د. حسن حنفى

من النص إلى الواقع

الجزء الأول

تكوين النص

محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

مركز الكتاب للنشر

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

الإهـــــداء ...

إلى كل من يعطى الأولوية للمصالح العامة

على النصوص والحروف

حسن حنفى

مدينة نصر يوليو ٢٠٠٢

مقدمـــة

أولا: من "من النقل إلى الإبداع" إلى "من النص إلى الواقع".

١- إعادة بناء علم أصول الفقه.

طالما وجه سؤال: لماذا لا تترجم الرسالة الأولى "مناهج التفسير" من الفرنسية إلى العربية بعد أن ذاعت وأصبحت موضوعا لعدة رسائل علمية فى الغرب؟ وكان الرد باستمرار: سيعاد كتابتها من جديد خاصة وقد انقضى عليها ما يزيد على ثمان وثلاثين عاما[1]. قدم عليها العهد وإن بقى الروح. كانت مثالية الطابع، تبدأ من الوعى الفردى وتنتهى إليه. فقد كتبت قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧، وإبان المد القومى العربى، وفى خضم حركات التحرر الوطنى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وفرق بين هذا العهد وما حدث للثورة المصرية من تقلبات وللقومية العربية من تحولات، وللخيار الاشتراكى من مراجعات منذ السبعينات حتى الآن.

وكان قد صدر منها "التراث والتجديد" عام ١٩٨٠ وهو المقدمة الأولى للرسالة، المقدمة المنهجية مثل المقدمات التى غلبت على كتب الأصول الأولى، المنطق فى "المستصفى"، وفلسفة العمل فى "الموافقات" مثلا. وتتضح فيها التحولات التى حدثت فى مصر إبان السبعينات، وتحول الثورة إلى ثورة مضادة. وفى رأى البعض هذا "المانفستو" الصغير الذى يعتبر مقدمة للمشروع كله هو أفضل ما كتبت من حيث الأسلوب والتحليل والبرهان بعيدا عن إنشائيات "من العقيدة إلى الثورة" والتحليلات الكمية فى "من النقل إلى الإبداع". أعجب العلمانيين وأغضب السلفيين كما هو الحال فى معظم كتاباتى النظرية. وهو نفس ما حدث عندما صدر "مقدمة فى علم الاستغراب" فأفرح السلفيين وغضب العلمانيون. والفرح والغضب عن هذا الفريق أو ذاك موقفان غير علميين. فالتحليل العلمى يناقش علميا ولا يرد إلى مواقف أيديولوجية مسبقة تخطئ فى الحكم. فلا "من العقيدة إلى الثورة" نيل من العقيدة وتشكك فيها بل قراءتها كدافع على التقدم بعد اتهامها بأنها سبب التخلف. ولا "مقدمة فى علم الاستغراب" رفض للغرب بل هو تحويل الغرب من كونه مصدرا للعلم كى يصبح موضوعا للعلم.

---

(1) Les Méthodes d'Exégèse, essai sur la science des Fondements de lu Compréhension, Ilm Usual al-Fiqh, Le Caire, 1965, (Paris, 1966).

وقد تم التنبيه من قبل على أهمية "علم أصول الفقه" استئنافا لحركة الإصلاح الحديثة التى كانت وراء تأسيس قسم الفلسفة فى الجامعة المصرية. فقد نبه الشيخ مصطفى عبد الرازق تلميذ محمد عبده على أهمية علم الأصول بشقيه، أصول الفقه وأصول الدين فى كتابه الشهير "التمهيد لتاريخ الفلسفة فى الإسلام" فى معرض رده على تهمة المستشرقين بتبعية الفلسفة الإسلامية لليونان ترجمة وشرحا وتلخيصا، ومبينا أن إبداع المسلمين يتجلى فى علم الأصول. وقد وجه تلميذه على سامى النشار لدراسة هذا الموضوع فى رسالته الشهيرة "مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسى"[(1)].

---

(١) على سامى النشار: مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسى، دار الفكر العربى.
وقد تم التنويه من قبل كيف تم اختيار "علم الأصول" موضوعا للدكتوراة فى باريس عام ١٩٥٦. فقد استمعت لنقاش بين المرحوم مصطفى حلمى وطالب هو رشدى راشد، وهو الآن العالم الكبير فى تاريخ العلوم بباريس، عن نقد ابن تيمية للمنطق ومحاولته وضع منطق جديد، نقد الصورية الأرسطية ووضع منطق حسى مادى تجريبى. وقد كنا ننتسب للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت، ونقرأ أبا الأعلى المردودى "منهاج الانقلاب الإسلامى" وسيد قطب "خصائص التصور الإسلامى ومقوماته". كان الهاجس التجديد والإبداع والأصالة. وكانت فكرة أن الإسلام منهج، منهج فكر وحياة من الأفكار التى ورثناها من الحركة الإصلاحية كما لاحظ ذلك لاوست وأنا أقدم له خطة رسالة الدكتوراه الأولى عن "المنهج الإسلامى العام" عام ١٩٥٦.

وبعد مغادرتى باريس نفس العام بعد التخرج بأربعة أشهر بين تأميم القناة فى يوليو ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ بدأت فكرة "المنهاج الإسلامى العام" وقدمتها كمشروع للدكتوراه تنهل من مصادرها الإصلاحية منذ الأفغانى إلى سيد قطب. وكانت له صورتان، صورة ثابتة Statique وصورة حركية Dynamique. وكان للصورة الثابتة جانبان التصور Concept والنظام Ordre، وهو تعبير لاشعورى نظرى عن العقيدة والشريعة ، وللصورة الحركية جانبان ، الطاقة Energie والحركة Mouvement، وهو تعبير لاشعورى ربما عن الإيمان والجهاد. أراد لاوست إرجاعه إلى مصادره التاريخية وتوجيه دراستى إلى الفكر الإصلاحى التاريخى بينما كنت أريد تجاوزه بمزيد من التنظير. وأراد فال J. Wahl أن أدرس كانط الذى يجمع بين القبلى والبعدى أى بين الوحى والعقل. أما ماسنيون فقد أراد أن أبقى على فكرتى "المنهاج الإسلامى العام" وأؤصلها فى علم أصول الفقه، وهو التفكير المنهجى فى الإسلام واتباعا لنصيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق. وعجب كيف أننا لم ندرس فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة هذا العلم. كان اكتشاف الشباب بعد قراءة "المستصفى" و"الموافقات". وكان معروف الدواليبى من سوريا قد درس معه هذا العلم. وطلب من برنشفيج مدير معهد الدراسات الإسلامية بالسربون تسجيل الموضوع معه إداريا لأن ماسنيون كان بالكوليج دى فرانس التى لا تعطى درجات علمية، فالعلم فيها للعلم. وكان برنشفيج فقيها أكثر منه أصوليا، مؤرخا أكثر منه فيلسوفا. وقبل على مضض الرسالة التى تبدأ من علم أصول الفقه وتصب فى الظاهريات. وهو ما قاله اتين جيلسون عندما قرأ الرسالة للمناقشة وكان من ممثلى التوماوية. "هذه أول مرة أرى فيها أحدا يدرس وحى إبراهيم بطريقة جان بول سارتر، يدرس القديم بلغة الجديد. وقد لاحظ المستشرقون على مدى عشرة أعوام أنه لا يشرف على إلا "رينان" المستشرق الفيلسوف، لأننى "عربى بين ثقافتين". وكلانا إسلامى هيجلى.
Les Méthodes d'Exégèse, pp. V – VI. =

وبعد جنوح الحركة الإصلاحية نحو التشدد والتزمت والقطعية والاستبعاد والإقصاء بل والتكفير والعنف عاد "علم الأصول" خاصة مقاصد الشريعة، والمصلحة أساس التشريع. وبرزت أسماء الشاطبى والطوفى. ودخل حثيثا فى الجامعات وأعدت على موضوعاته الرسائل العلمية[1].

و"من النص إلى الواقع" هو ثالث علم من التراث القديم يُعاد بناؤه بعد "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. كا بودى أن يأتى بعد "من الفناء إلى البقاء" لإعادة بناء علوم التصوف لأنى كنت أريد أن أختم العلوم النقلية العقلية الأربعة بعلم أصول الفقه باعتباره زبدة العلوم، وأقلها حاجة إلى إعادة البناء، وأبعدها عن عقائد علم الكلام، وتصورات الفلسفة، ومقامات الصوفية وأحوالهم بعد أن أبدأ بأخطرها على العصر فى العلوم الثلاثة السابقة وكما هو معلن عنه فى الخطة الأولى لمشروع "التراث والتجديد". لولا إلحاح "علم أصول الفقه" علىّ، ورؤية "من النص إلى الواقع" أمامى وما علىّ إلا التدوين، وكما حدث من قبل فى "مقدمة فى علم الاستغراب" عندما رأيته فى شريط سينمائى أمامى عام ١٩٩٠ وأنا فى خضم "من النقل إلى الإبداع" وما علىّ إلا العرض[2].

وإذا كان المتلقى جزءا من الخطاب، فالرسالة خطاب من كاتب إلى قارئ فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" للثائر الذى يريد تأصيل ثورته ومد جذورها فى الموروث الثقافى، وللمحافظ

=وأيضا "محاولة مبدئية لسيرة ذاتية"، الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢-١٩٨١ جـ ٦ الأصولية الإسلامية. مدبولى، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٠٧ - ٢٩٢. وأيضا "الحرية والإبداع، شهادة على العصر، محاولة ثانية لسيرة ذاتية"، هموم الفكر والوطن جـ ٢ الفكر العربى المعاصر، قباء، القاهرة، ١٩٩٨ ص ٦٠٩ - ٦٦٧.

(١) أدخل قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة "علم أصول الفقه" فى أوائل التسعينات كجزء من مقررات السنة الرابعة حتى تكتمل العلوم العقلية النقلية الأربعة، علم الكلام أى أصول الدين (السنة الثانية)، والفلسفة أى علوم الحكمة (السنة الثالثة)، والتصوف (السنة الرابعة) حتى يقارن الطالب التأويل والتنزيل، ويعرف دلالة الصراع بين الصوفية والفقهاء، بين الباطن والظاهر. كما أعدت عدة رسائل جامعية فى علم أصول الفقه مثل: محمد فهمى علوان: المقاصد فى علم الأصول. سحبان خليفات (أردنى): مبادئ الأخلاق فى علم الأصول، رابح مراجى (جزائرى): التعليل فى علم أصول الفقه، وأيضا "التعادل والتراجيح فى علم أصول الفقه". وقد صدر لى مؤخرا "المقاصد، قراءة فى الموافقات" للشاطبى، المسلم المعاصر.

(٢) هذا بالإضافة إلى هموم قصر العمر، وسرعة إنجاز "من النص إلى الواقع" بعد أن اختمر فى الذهن عبر أربعة عقود من الزمان، وأنه بالإمكان إنجازه فى عام واحد، فى حين أن "من الفناء إلى البقاء" يحتاج إلى سنوات أطول لم أعد أمتلكها على وجه يقينى. كما أن مادة "علم أصول الفقه" من حيث المؤلفات أقل من مادة "علم التصوف" من حيث المؤلفين. وربما حاجة طلاب قسم الفلسفة إلى مؤلف معاصر فى "علم أصول الفقه" بالإضافة إلى مؤلفات القدماء منذ "الرسالة" مرورا بـ "المستصفى" حتى "الموافقات" و"مقاصد الشريعة ومكارمها" لعلال الفاسى و"تجديد علم الأصول" لمحمد باقر الصدر، وكأحد علامات تطور العلم ضمن اجتهادات المعاصرين.

ليقلل محافظته ويساهم فى مسار التقدم الاجتماعى. وللعلمانى كى يعرف أن التراث الذى يقطع معه يمكن أن يجد فيه بغيته، وللسلفى الذى يتصور العقائد غاية فى ذاتها، عالما مغلقا يحتوى على حقائق فى ذاتها وليست مجرد أدوات لتغيير الواقع وأدوات لتطويره، وللمتكلم أنه لا يوجد علم مقدس بل علم اجتماعى أيديولوجى يدخل فى صراع الأفكار كجزء من عملية الصراع الاجتماعى، وللعالم الاجتماعى كى يعلم أن الصراع الأيديولوجى فى المجتمعات التراثى هو العامل الأكثر حسما فى عمليات الصراع الاجتماعى فإن "من النقل إلى الإبداع" كتب لكل من يريد الحكم على الذات العربى الإسلامى وقدره بين النقل والإبداع، وفى أى مرحلة، وفى أى علم، وفى أى نص من أجل تقييد إطلاق الأحكام، إما الحكم بالنقل على الإطلاق كما يفعل بعض المستشرقين أو بالإبداع على الإطلاق كما يفعل بعض الباحثين العرب الغيورين على التراث ودوره الحضارى. ويكتب الآن "من النص إلى الواقع" للفقيه من أجل أن يحسن الاستدلال ويغلب المصلحة العامة، وهى أساس التشريع، على حرفية النص، وإعطاء الأولوية للواقع على النص.

وقد كتبت كل محاولة من أجل دحض شبهة شائعة روجها المستشرقون أو بعض الباحثين العرب المتأثرين بالاستشراق وتصحيح حكم سابق إما على مجمل التراث أو أحد علومه. فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" لدحض شبهة أن الإسلام سبب تخلف المسلمين، وبأنه غير قادر أيديولوجيا على الدخول فى عصر الحداثة عصر العقلانية والعلم وحقوق الانسان.

وكتب "من النقل إلى الإبداع" لدحض شبهة أن علماء المسلمين كانوا نقلة عن اليونان، مترجمين لعلومهم، شارحين لمؤلفاتهم وملخصين وعارضين لها، وأن الفلسفة يونانية، والتصوف مسيحى أو فارسى أو هندى أو يونانى، أفلاطون أو سقراط أو النحلة الأورفية، وأن علم الكلام نصرانى يهودى، وأن أصول الفقه يونانى فى القياس، وكأن المسلمون لم يبدعوا شيئا، وأنهم مجرد حفظة ونقلة يسيئون النقل، ويلخطون بين أرسطو وأفلوطين، وبين أفلاطون وأرسطو، وينتحلون نصوصا على لسان الفلاسفة.

ويكتب الآن "من النص إلى الواقع" ضد شبهة أن التشريعات الإسلامية، حرفية فقهية تضحى بالصالح العامة، قاسية لا تعرف إلا الرجم والقتل والجلد والتعذيب وقطع الأيدى، والصلب والتعليق على جذوع النخل وتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف، وتكليف بما لا يطاق. كما أن من ضمن مآسينا خروج بعض الحركات الإسلامية المعاصرة من النص الحرفى وتطبيق

شعاراته حول الحاكمية لله وتطبيق الشريعة الإسلامية والبديل الإسلامى دون رعاية لواقع متجدد أو لتدرج فى التغير.

وإذا كان "من النص إلى الواقع" عنوانا مستقرا لهذه المحاولة الثالثة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية بعد "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة، فإن عنوان كل جزء مازال وضع التساؤل. فإذا كان الجزء الأول هو وصف لنشأة النصوص الأصولية وتطورها لمحاولة التعرف على بنيتها كبديل عن الفصول التمهيدية التاريخية التقليدية خارج النص فإن عنوان هذا الجزء يكون "تكوين النص". وإن كان الجزء الثانى يحاول إرجاع بنية النص الثلاثية إلى تجاربها المعاشة وأبعاد الشعور التاريخى والنظرى والعملى فإن عنوانه يكون "بنية النص". والتقابل بين التكوين والبنية قائم. وهو الاختيار الذى تم بعد احتمال كان واردا. وبالرغم أن لفظ النص يتكرر فى الجزأين، إلا أن الجزء الثانى دراسة لواقع النص فى التجربة المعيشة كما يدل على ذلك العنوان، والجزء الأول "بنية النص" أو "تكوين النص"، وهى حيرة أخرى أيهما أفضل؟ فالتكوين طريق للبنية، والبنية من خلال التكوين. والثانى "واقع النص" وفى هذه الحالة يكون النص أيضا قد تكرر فى الجزأين الأول والثانى. كما أن تكوين النص إنما يقوم على وصف بنيته عبر التاريخ وطبقا للترتيب الزمانى، من السابق إلى اللاحق. فهو تكوين للبنية، وبنية للتكوين. ويُراعى فى نفس الوقت البنيات المتشابهة من خلال الترتيب الزمانى، والترتيب الزمانى داخل البنية الواحدة.

وقد انتهى عصر المجلدات. فلم يعد فى العمر متسع لكتابة الموسوعات. ولم يعد لدى القارئ العام أو المتخصص الهمة ولا الوقت ولا الرغبة فى الاطلاع على هذا الكم الكبير والتحقق منه. "من العقيدة إلى الثورة" خمسة مجلدات، و"من النقل إلى الإبداع" تسعة مجلدات. كانت النية أن يكون "من النص إلى الواقع" مجلدا واحدا لكن عز الطلب، وانقسم الموضوع بطبيعته إلى قسمين، الأول لرصد النص الماضى تكوينا وبنية، والثانى لإعادة قراءته طبقا لروح العصر واكتشاف بنيته فى تحليل الشعور. ومجلدان أفضل من خمسة أو تسعة. ويؤمل من أن يكون "من الفناء إلى البقاء" مجلدين أيضا الأول فى التصوف كتاريخ، والثانى فى التصوف كطريق.

٢- النقد الذاتى لـ "من النقل إلى الإبداع".

بالرغم من عدم وجود مراجعات دقيقة ومناقشات تفصيلية حول "من النقل إلى الإبداع" كى تبرز أوجه القصور فيه اعتمادا على الخبرات المشتركة بين جماعة العلماء إلا أن عيوب أى عمل

لا تظهر إلا بعد اكتماله. وهى فى الحقيقة رد فعل على انتقادات أخرى لأعمال أخرى. فالكمال لا وجود له فى العمل الانسانى. كماله فى إنجازه، وتحوله من النية إلى التحقق، ومن الإمكان إلى الواقع، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان بتعبير القدماء[1].

هذا التقليد فى مراجعة النفس المستمرة، وإخضاعها للنقد الذاتى هو نوع من الاستبطان، وكشف المفكر لمساره أمام نفسه، فكل عمل يعبر عن مرحلة من مراحل تطوره الفكرى منهجا وموضوعا. هو نوع من البحث عن الكمال، والتعلم من التجارب السابقة، والرقى العلمى، والتعلم من الأخطاء المرحلية[2].

وأحيانا يأتى هذا النقد الذاتى فى البداية كما هو الحال فى "من النقل إلى الإبداع" مراجعة لـ "من العقيدة إلى الثورة" واعتمادا على نقد الآخرين حتى يتم توجيه العمل الجديد بناء على التجربة السابقة[3]. واحيانا يأتى فى النهاية بعد اكتمال العمل مباشرة دون انتظار للعمل التالى[4].

ويمكن رصد أهم أوجه السلب فى "من النقل إلى الإبداع" على النحو التالى:

أ- نظرا لكثرة ما وجه إلى "من العقيدة إلى الثورة" من أنه أيديولوجى وليس علميا، خطابى وليس برهانيا، يريد تثوير النص أكثر مما يريد تغيير الواقع، قراءة للنص عن طريق إعادة التعبير عنه بلغة جديدة أكثر منه تحليل للواقع الاجتماعى والسياسى الذى نشأ فيه النص ارتد

---

(١) من النقل إلى الإبداع" مجـ ١ النقل جـ ١ التدوين، ١- النقد الذاتى ص ٧ - ١٤.

(٢) مقدمة فى علم الاستغراب، خاتمة النقد الذاتى وهموم قصر العمر، ص ٧٧٧ - ٧٩١.

(٣) عقدت ندوة فى قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، عن "من العقيدة إلى الثورة" بعد صدوره ١٩٨٨ للتسجيل والنشر فى إحدى المجلات الثقافية التى كان يشرف عليها أ.د. أحمد عثمان ولكنها لم تر النور. وعقدت ندوة يوم كامل بلجنة الفلسفة فى المجلس الأعلى للثقافة يوم ٢٠٠٢/٦/٢٨ شارك فيها عشرات الأساتذة والجمهور المتخصص. وأعطى لكل أستاذ جزء للمراجعة والنقد بالإضافة إلى جلسة أولى عامة عن المنهج والموضوع شارك فيها محمود أمين العالم، محمود إسماعيل، واعتذر جابر عصفور لأمر طارئ. وقدم الأجزاء التسعة على التوالى أميرة حلمى مطر، أحمد عتمان، مصطفى النشار (النقل)، سهير أبو وافية، سعيد مراد، أحمد عبد الحليم (التحول)، مصطفى لبيب، عبد الحميد مدكور، على مبروك (الإبداع). وباستثناء المناقشات المنهجية العامة، غابت المراجعات التفصيلية والدقيقة إما لتضخم المجلدات مما يجعل قراءتها يحتاج إلى وقت طويل أو نقص فى الاهتمام أو لغياب فى الرؤية أو لروح العصر.

(٤) هذا ما فعله كيركجارد فى التحول من "الفتات الفلسفى" إلى "شروح على الفتات"
Kierkegaard: Postcriptum aux Miettes Philosophiques, Paris, Gallimard, 1949 pp. 167-200, (من أجل توجيه الذات نحو تخطيط "الفتات") pp. 243-259 ,(نظرة على جهد مواز فى الأدب الدانماركى).

"من النقل إلى الإبداع" إلى النقيض وغلب المعرفى على الأيديولوجى، والتاريخى على الفكرى. أتى أقرب إلى البحث العلمى منه إلى الفكر الخالص حتى أنه ليصل إلى درجة المدرسية والتعليمية، وذكر أسماء العلم وأسماء المقالات والمؤلفات. أتى أقرب إلى الموسوعة أو الملحمة منه إلى التحليل فى العمق. جاء أقرب إلى الاتساع عرضا منه إلى العمق طولا.

ب- انتهى منهج تحليل المضمون إلى نوع من الصورية والشكلانية فيما يتعلق برصد أسماء الأعلام، الموروث منها والوافد، والإحصائيات لمن لم يتعود عليها بغير ذى دلالة حاسمة، وأن وصف مكونات النص الموروث والوافد والواقع التاريخى لا يكفى فى الحكم على النص. والحقيقة أن هذا هو عيب المنهج وليس عيب التطبيق. ولا يوجد منهج كامل. كل منهج له مميزاته وعيوبه. منهج تحليل المضمون له مميزاته فى أنه قادر على إعطاء حكم دقيق على النص ومكوناته ومقاصده وبواعثه وتجنب الأحكام المطلقة وتكرار الأخطاء الشائعة. وله عيوبه مثل الوقوع فى الصورية، واعتبار النص عالما مغلق بذاته عائما فوق الواقع وليس داخلا فيه أو خارجا منه. والمنهج التاريخى له مميزاته فى أنه يبين أن النص جزء من مكونات الواقع ومتكونا فيه، وأن النص ما هو إلا الواقع يتحدث عن نفسه، لسان حاله له، ومرآة تعكسه، كما أن الواقع مرآة تعكس النص. وعيبه فى فقد المكونات الداخلية للنص وبنيته المستقلة. والمنهج البنيوى له ميزته فى أنه يكتشف المنطق الداخلى للنص والبنية المتحكمة فى تكوينه دون ردها إلى جزئياتها فى الواقع التاريخى، فالكل سابق على الجزء. وله عيوبه فى جعل النص أيضا عالما صوريا سواء كان فى الذهن أو فى عالم المثل، وإغفال التجارب التاريخية والحياة اليومية الفردية والاجتماعية التى يتكون فيها النص. والمنهج الظاهرياتى قد يكون أكمل المناهج لأنه يبدأ من التجربة الحية التى تتكون فى الواقع وكما عرض هوسرل فى "التجربة والحكم". وفى نفس الوقت يصف الماهيات المستقلة ويتجه نحو المعانى. كما أنه أيضا يحلل لغة الخطاب. فالفكر قول وكما وضح فى الهرمنيطيقا. ومع ذلك لم يسلم من الاتهام بالأناوحدية والذاتية والاستبطان والنزعة النفسية. لذلك كانت ميزات منهج تحليل المضمون تفوق عيوبه. وكان هو الأقدر على تحليل نصوص علوم الحكمة بعد استعمال منهج القراءة فى "من العقيدة إلى الثورة". وهو منهج ذاتى تأويلى تحديثى ينقل الماضى إلى الحاضر مع تغيير اللغة ومستوى التحليل وإعادة توجيه القصد لما ينقص الواقع الحالى من قدرة على التشريع وصياغة القانون، وفهم مضمون النص باعتباره تجربة حية فى الشعور. وهو منهج يعتمد على تحليل النصوص وليس الأفكار، وتحليل اللغة وليس المعانى، والدخول إلى الفكر عن طريق اللغة، والاتجاه إلى المضمون ابتداء من الشكل.

واللغة عالم بأكمله عالم الكلام وعالم العقل وعالم الوجود.

جـ - كان معيار الإبداع هو استقلال النص عن مكونيه الرئيسيين ، الوافد والموروث، واعتماده على العقل الخالص وبنيته الداخلية واتساقه المنطقى دون دعامات خارجية من الموروث الداخلى أو الوافد الخارجى أو الواقع التاريخى. وقد يراه البعض معيارا شكليا. فالإبداع يتجاوز مكونات النص إلى مضمونه، معانيه وتصوراته ونظرياته وليس لغته وأسماء أعلامه ومواقعه. وهو نقد صحيح علميا إلا أن الإبداع ليس له معنى واحد. فالإبداع فى أحد مستوياته هو الاستقلال عن المكونات، والاستغناء عن الروافد، وإقصاء الدعامات الداخلية والخارجية من أجل إبداع ذاتى له منطقه الداخلى. وقد يكون للإبداع معنى آخر وهو تجاوز التصورات والنظريات والمناهج والرؤى القديمة إلى أخرى جديدة، إبداع فى المضمون وليس فى الشكل، فى الجوهر وليس فى العرض، فى الشئ وليس فى طرق التعبير عنه. ولما كان الإبداع بالمعنى الأول فى العلوم الرياضية والطبيعية فإن الإبداع بالمعنى الثانى لا يقوى عليه إلا مؤرخ العلوم. وهو ما يتجاوز قدرات الباحث وتخصصه[1]. إلا أن تاريخ العلوم الخالص بلا دلالات حضارية عامة ودون ارتباط بالإبداع الحضارى الشامل فى باقى العلوم العقلية النقلية بل والنقلية الخالصة يكون أقرب إلى التاريخ الصرف. وإن كان هناك سبق إبداع فإنه يكون فى تاريخ العلوم العام من اليونان إلى العرب إلى الغرب، وبما من الصين والهند وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصر القديمة إلى الغرب الحديث مرورا بالشرق المتوسط. وهو بحث علمى خالص لا شأن له بالتغيرات الاجتماعية وأزمات العصر الحالية. النظر نظر، والعمل عمل.

جاء "النقل" بأجزائه الثلاثة أقوى من "التحول" بأجزائه الثلاثة. ففى "التدوين" تم عرض الكتب التى حاولت التأريخ لعلوم الحكمة، كيف تمت قراءته تم كيف أضيف الانتحال لإكمال التاريخ. وفى "النص" تم التعرف على أنواع الترجمة وكيف نشأ المصطلح الفلسفى وأخيرا كيف تحولت الترجمة إلى تعليق. وفى "الشرح" تم التعرف على أنواع الشروح الثلاثة، التفسير ابتداء من اللفظ، والتلخيص اقتناصا للمعنى، والجامع توجها نحو الشئ.

أما "التحول" فإنه غلب عليه رصد الشكل لمعرفة مراحل التأليف ابتداء من العرض ، الجزئى والكلى، والنسقى المنطقى، والنسقى الشعبى، ثم الأدبى. كما تم وصف مراحل التأليف

---

(١) من النقل إلى الإبداع" مجـ ٢ التحول جـ ٣ التراكم، الفصل الثالث: الإبداع الخالص. والأقدر على ذلك هم الزملاء والأصدقاء: رشدى راشد، عبد الحميد صبرة، خليل درويش، أحمد جباره، ومعظم أعضاء الجمعيات الدولية والوطنية لتاريخ العلوم ومعاهد تاريخ العلوم مثل معهد حلب بسوريا.

الست: تمثل الوافد، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث، تمثل الوافد مع تنظير الموروث، تنظير الموروث قبل تمثل الوافد، تنظير الموروث، وأخيرا الإبداع الخالص. فلما أتى المجلد الثالث "الإبداع" تم التحول من الشكل إلى المضمون لمعرفة كيف نشأت علوم الحكمة من نقد علم الكلام والتوحيد بين الدين والفلسفة وتصنيف العلوم ثم عرض الحكمة النظرية: المنطق، والطبيعيات والإلهيات، والنفس ثم الحكمة العملية: الأخلاق، والاجتماع والسياسة، والتاريخ. وكان من الضرورى استرجاع كل نصوص "التحول" وإدخالها فى "الإبداع"، والتحول من تحليل الشكل إلى وصف المضمون. إلا أنه تم الاكتفاء بالنصوص الكبرى فى "الإبداع" خاصة وأن مادتها متكررة. ومن ثم كان السؤال عن نص ضرورى فى "الإبداع" سؤالا شرعيا نظرا لأنه استعمل من قبل فى "التحول". وبرزت مسألة دائمة أين موقع هذا النص فى "التحول" من حيث الشكل أو فى "الإبداع" من حيث المضمون؟

د – ظهر الإبداع متشظيا متجزئا متناثرا جزئيا فى كل نص على حدة، ولدى كل فيلسوف كجزيرة منعزلة دون نظرية شاملة للإبداع الفلسفى تلم الأجزاء وتستخلص النتائج العامة. صحيح أن الإبداع فى كل مرحلة. "فالنقل" إبداع فى التدوين، فى تدوين التاريخ وقراءته وضم الوافد إلى الموروث فى رؤية فلسفية إنسانية حضارية عامة. وتبلغ قمة الإبداع فى التدوين فى الانتحال، إكمال الناقص فى الوافد بإبداع الموروث فيه. والترجمة إبداع تتجاوز النقل الحرفى إلى النقل المعنوى، فالهدف هو النص الجديد وليس النص القديم، المتلقى وليس المؤلف، الحضارة الجديدة وليس الحضارة القديمة، العرب المسلمين وليس اليونان والرومان غربا أو فارس والهند شرقا. ونشأة المصطلح الفلسفى إبداع. فلأول مرة فى اللغة العربية، لغة الشعر والخيل والسيف والبيداء تتحول إلى لغة الجوهر والعرض، والصورة والمادة، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة نقلا من اللغة الحسية العادية إلى المصطلح الفلسفى المجرد. والشرح بأنواعه الثلاثة، التفسير والتلخيص والجامع، إبداع طبقا لمستويات اللغة الثلاثة، اللفظ والمعنى والشئ. الشرح للفظ والعبارة وتركيب الجملة. والتلخيص التعبير عن المعنى بإيجاز ووضوح بعد تخليصه من ألفاظه وعباراته الأولى. والجامع اتجاه نحو الشئ ورؤيته وكشفه وتصويره فى قضايا قصيرة مركزة وكأن الشئ يتحدث عن نفسه.

و"التحول" إبداع، إبداع فى العرض الجزئى والقدرة على فهم كل نص على حدة والتعرف على موضوعه وقصده. والعرض الكلى إبداع بضم نصين معا لفيلسوف واحد أو ضم مذهبين لفيلسوفين متكاملين أو ضم الفلاسفة جميعا فى رؤية حضارية واحدة تعبر عن روحها ومقصدها

الكلى. والعرض النسقى إبداع فى ضم الفلسفة كلها كعلم أو نسق سواء على المستوى المنطقى كما فعل ابن سينا فى "الشفاء" وهيجل فى "موسوعة العلوم الفلسفية" أو على المستوى الشعبى عند إخوان الصفا أو بأسلوب أدبى عند أبى حيان. فالفلسفة للخاصة والعامة، للمتخصص ولرجل الشارع، للفيلسوف والأديب. والتأليف إبداع مرحلى كتقدم عقارب الساعة كل عشر دقائق خطوة فى ست مراحل فى التفاعل بين الوافد والموروث. يبدأ أولا تمثل الوافد من أجل هضمه والاستفادة منه ثم يأتى ثانيا تمثل الوافد قبل تنظير الموروث بعد أن يتداخل الموروث مع الوافد على استحياء كمصدر ثان للمعرفة. ثم يتعادل ثالثا تمثل الوافد مع تنظير الموروث بعد أن بعد العهد بتمثل الوافد واشتد ظهور تنظير الموروث. ثم يتغلب تنظير الموروث على تمثل الوافد رابعا، فالداخل له الأولوية على الخارج. ثم يطغى تنظير الموروث على تمثل الوافد خامسا بعد أن تحول الوافد إلى مجرد ذكرى حضارية قديمة. وأخيرا يظهر الإبداع الخالص عندما يختفى تنظير الموروث أيضا ولا يبقى إلا الإبداع الخالص دون مكونيه الأوليين، اعتمادا على العقل وحده الذى استقل بنفسه ووضع موضوعه دون ما حاجة إلى "عكازين" من الخارج أو الداخل. وهى ليست مراحل تاريخية متوالية فى الزمان، بل مراحل بنيوية خارج الزمان فى بنية الموضوع نفسه[1].

و"الإبداع" إبداع سواء فى تكوين الحكمة وتجاوز علم الكلام بعد نقده والتخلص من موضوعه ومنهجه أو فى التوحيد بين الفلسفة والدين أى بين الحكمة والشريعة فى نسق معرفى واحد أو فى إحصاء العلوم ووضع المعرفة الانسانية كلها فى نسق واحد. والحكمة النظرية إبداع سواء فى المنطق تدرجا من عرض المنطق الصورى القديم إلى نقضه إلى أقيسة الرسول حتى المنطق المتكامل فى الميزان. والطبيعيات والإلهيات علم واحد بالتضايف بين النفى والإثبات على التبادل. والنفس إبداع فى وظيفتها المزوجة بين قوى البدن وقوى الروح. والحكمة العملية إبداع فى الأخلاق الإنسانية العامة وفى الاجتماع السياسى وتكوين المدن الفاضلة أو فى التاريخ وصياغة صور التقدم ابتداء من قصص الأنبياء ودورات التاريخ.

هـ - ومع ذلك جاء المجلد الثالث كله "الإبداع" بأجزائه الثلاثة "تكوين الحكمة"، "الحكمة النظرية"، "الحكمة العملية" أقرب إلى النقل منه إلى الإبداع. ففى "تكوين الحكمة" كان "نقد علم الكلام"، و"الفلسفة والدين"، و"إحصاء العلوم" موضوعات تقليدية يتم فيها رصد مواقف القدماء دون تجاوزها تجاوزا ملحوظا ملفتا للأنظار. و"الحكمة النظرية" "المنطق"،

---

(١) بلغة البنيويين المعاصرين، التوالى فى الزمان Diachronic، والبنية خارج الزمان Synchronic.

و"الطبيعيات والإلهيات" و"النفس" قسمة تقليدية موروثة. وقدر تجاوز المنطق القديم إلى المنطق الجديد والانتهاء بالمنطق الشعورى تعرضت إليه كثير من الدراسات المنطقية من قبل. ويخشى أن يكون فيه انتقال من الغزالى وابن تيمية إلى هوسرل والظاهريات وعلوم التأويل فى الغرب المعاصر. بل إن ضم الطبيعيات والإلهيات فى علم واحد سبق إليه الفارابى فى "إحصاء العلوم". و"النفس" ليس به جديد إلا من تجاوز الثنائية القديمة، النفس والبدن. ويغلب على "الحكمة العملية" الأخلاق التقليدية، والاجتماع والسياسة القديمان، وربما الإضافة هى فى إعلان النوايا عن ضرورة إضافة التاريخ ورصد اجتهادات القدماء فى فلسفة التاريخ انتهاء بتطويره. وكان السبب فى ذلك رغبة التواصل مع القدماء فجاء التواصل أكثر من الانقطاع. ولم يستيقظ الكندى والرازى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن باجه وابن طفيل وأبو حيان ولم يبعثوا فى هذا العصر. ولم نعرف إذا استيقظ ابن سينا الآن فكيف يكتب "الشفاء"، وكيف يقسم الحكمة؟ وإذا بعث ابن رشد اليوم فمن يشرح؟ من خليفة أرسطو اليوم؟ هيجل؟ وأى مدينة فاضلة يكتبها الفارابى أو ابن باجه اليوم؟ هذا ما لم يجب عليه "من النقل إلى الإبداع" حتى الآن. ربما عرفنا "النقل" فى المجلد الأول وعرفنا "التحول" من المجلد الثانى، ولكننا لم نعرف "الإبداع" الذى ظل أقرب إلى نقل القدماء من اجتهادات المحدثين. وهو اعتراض صحيح. يبدو سببه أن الهم كان وصف حكمة القدماء أكثر من وضع حكمة للمحدثين. مازال الهم هو حسن فهم القدماء درءا لشبهة التقليد والتبعية والتحليل العلمى الدقيق للقديم أكثر من تطويره على مستوى المحدثين. وربما كان الدافع هو أن هذا المطلب هو وظيفة "الجبهة الثانية" الموقف من التراث الغربى وإعادة استئناف علوم الحكمة القديمة فى لحظة تاريخية ثانية، هى اللحظة الغربية، الفلسفة الحديثة والمعاصرة والتى نحن على اتصال معها منذ فجر النهضة العربية الحديثة عبر رواد النهضة ثم بعد تأسيس أقسام الفلسفة فى الجامعات المصرية[1].

و – توارى تطوير الإبداع القديم إلى الإبداع الجديد، فغلب القديم على الجديد. وتم الاكتفاء بالإبداع القديم دون تطويره إلى إبداع جديد سواء فى الحكمة النظرية أو الحكمة العملية. جاءت الحكمتان عرضا أكثر منهما تطويرا، ورصدا أكثر منهما قراءة. ربما كان السبب فى ذلك الحرص على العلم دون الأيديولوجيا ،وعلى التحليل دون التركيب، وعلى الموضوع دون الذات. لم يظهر الإبداع الجديد إلا فى الخاتمة فى التساؤل حول إمكانية قيام منطق جديد أو طبيعيات

(١) تعامل رواد النهضة الأوائل مع المفكرين الغربيين مثل الطهطاوى وفلاسفة التنوير، وشبلى شميل ودارون، والأفغانى ورينان، ومحمد حسين هيكل وروسو، وعثمان أمين وديكارت وكانط ورواد المثالية فى الفلسفة الغربية.

شعورية شعرية جديدة أو رؤية أحادية للإنسان لا تنفصل فيه النفس عن البدن. وفي الحكمة العملية كان الجديد أيضا تساؤلا حول إمكانية رد الأخلاق المثالية المعيارية إلى تحليلات طبقية، أخلاق الطبقة العليا في السيطرة، والطبقة الوسطى في القانون والنظام، والطبقة الدنيا في التعايش من أجل البقاء. وربما كان الإبداع في الاجتماع السياسي هو التساؤل حول الدولة الوطنية والصلة بينها وبين المجتمع. وكان الإبداع في التاريخ في محاولة الحفر عن فلسفة في التاريخ ضمن علوم الحكمة، وتحديد مراحل التقدم، وكيفية قيام الدول وسقوطها، والتصورات المختلفة للتاريخ الخطي أو الدائري، وجدل الضرورة والحرية، والقانون التاريخي والعمل الانساني الحر الفردي والجماعي، مع إعادة قراءة لابن خلدون ولو أنه أقرب إلى التاريخ باعتباره مؤرخا وليس إلى الفلسفة باعتبار التاريخ أحد عناصرها. ربما كان الدافع على ذلك أيضا خشية الإطالة. وربما كان من الحكمة ترك ذلك لجيل جديد يعيد بناء الحكمتين النظرية والعملية ابتداء من روح العصر، بحيث يتغلب الإبداع الجديد على الإبداع القديم، وبحيث لا يبقى القديم إلا كذكريات تتوارى في الوعي الفلسفي التاريخي.

ز - غرق "من النقل إلى الإبداع" في اللحظة القديمة، اللحظة اليونانية، دون نقلها إلى اللحظة الحديثة، اللحظة الغربية. إذ تنشأ علوم الحكمة في كل لحظة تاريخية تمر بها الحضارة الإسلامية وهي في لقاء وتفاعل مع الحضارات المجاورة القديمة أو الحديثة. كان الحديث يتخلل القديم أحيانا في اللغة أو التحليل أو الأفق. ومع ذلك ظل مطويا داخل القديم ومتناثرا فيه. صحيح أن المقارنات مع الغرب الحديث كانت في الهوامش لجيل جديد قادم، قادر على أن ينقل اللحظة اليونانية القديمة إلى اللحظة الغربية الحديثة. يكفي هذا الجيل المراحل المتوسطة. فالتاريخ له قانونه المرحلي. كان الخيال يقتضي أن يُبعث الكندي والرازي والفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد من جديد، فتعاد كتابة الفلسفة الإسلامية بعد ما يقرب من ألف عام على لسان أحفادهم. والخيال شيء، والواقع التاريخي شيء آخر. يكفي تحريك التاريخ كي يستأنف دوراته بدلا من التوقف على دورة واحدة، ويظل الأحفاد خارج التاريخ. بدأه الأجداد والآباء، وأنهاه الأبناء والأحفاد.

ح - بالرغم من التحذير من طول المحاولات، وأن الناس لم يعد لديهم وقت لقراءة مجلدات ومجلدات، كانت النية بعد أن انفلت عقال "من العقيدة إلى الثورة" إلى خمسة مجلدات تقليص "من النقل إلى الإبداع" إلى اثنين فقط، الأول النقل، والثاني الإبداع. ولما تضخم الإبداع ظهر جزء ثالث، التحول، مرحلة وسطى للعرض والتأليف والتراكم بين النقل والإبداع. ولسهولة

النشر والطباعة والحمل تم تفصيل المجلد الأول فى ثلاثة أجزاء، والثانى فى ثلاثة، والثالث فى ثلاثة مما أدى إلى الارتباك فى عدد الأجزاء من الأول إلى التاسع أو من الأول إلى الثالث لكل مجلد. لذلك تجددت النية من جديد إلى أن يكون "من النص إلى الواقع" جزءا واحدا ولن تتعدد الأجزاء بأى حال. وإذا كان "من العقيدة إلى الثورة" قد استغرق ثلاثة عشر عاما (١٩٧١-١٩٨٤) و"من النقل إلى الإبداع" ستة عشر عاما (١٩٨٤-٢٠٠٠) فكم فى العمر من عشرات الأعوام وأنا فى نهاية العقد السابع؟ والتأليف الآن فى منتصف الطريق يبدو أيضا أن الجزء الواحد قد يتحول إلى جزأين، الأول "تكوين النص"، والثانى "بنية النص" وربما الأول "النص، التكوين والبنية"، والثانى "النص، الواقع والتجربة" ولكنى مازلت إلى الاختيار الأول أقرب.

ثانيا: السمـــات والمنهــج.

١- السمات العامة للفكر الأصولى. ويتسم الفكر الأصولى بعدة سمات عامة تميزه عن الفكر الكلامى والفكر الفلسفى والفكر الصوفى أهمها:

أ- العقل. ويعنى التحليل العقلى، والنظر العقلى، والقسمة العقلية، والبحث عن بنية الموضوع فى العقل. فهو أحد الضروريات الخمس من مقاصد الشريعة فى وضع الشريعة ابتداء عند الشاطبى. فليس المنهج العقلى من إبداع الغرب الحديث وحده بل مارسه الأصوليون القدماء لدرجة تشعب القسمة إلى فروع عدة. ويبتعد المنهج العقلى عن الخطابة والإنشاء، والوعظ والإرشاد. كما يبتعد عن المنهج الحدسى الذوقى الصوفى الذى يغيب عنه البرهان. العقل ركيزة الوحى وأساسه الأول. وهو ما اتفق عليه المتكلمون والفلاسفة من قبل فى التوحيد بين العقل والنقل، وبين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة. وهو ما أكده الفقهاء أيضا فى "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" و"درء تعارض النقل والعقل". فمن قدح فى العقل فقد قدح فى النقل. وفى الحديث القدسى "أول ما خلق الله خلق العقل". الوحى معرفة معطاة للبشر كحدس أولى فى حاجة إلى برهان كما طالب إبراهيم الخليل **﴿ولكن لكى يطمئن قلبى﴾**. وهو حدس أصيل يمنع عنه الخطأ فى الاستدلال. يقصر مسافة البحث النظرى من أجل تخصيص الوقت والعمر للتحقيق والفائدة العملية منه، إسراعا فى الحصاد. وارتبط العقل بالتحليل والقسمة من أجل رؤية الموضوع فى أجزائه الأولية بوضوح وتميز، ورد المركب إلى أجزائه الأولية. كما ارتبط بالاستنباط والاستدلال والوصول من المقدمات إلى النتائج فى تسلسل منطقى يقوم على الاتساق.

ب- التجربة. وتعنى المشاهدة والتجريب والتعليل كما هو معروف فى المنهج التجريبى، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات. وليس من الضرورى أن يكون الإحصاء شاملا والاستقراء كاملا. يكفى ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى" أى الاستقراء الكافى للوصول إلى الحكم العام. وهو أسبه بالاستقراء العلمى الناقص الذى لا يجرب على كل الجزئيات بل على الجزئيات الكافية للوصول منها إلى القانون الكلى. ولا تعنى التجربة التجربة الطبيعية للوصول إلى القانون الطبيعى كما هو الحال فى العلوم الطبيعية بل التجربة الانسانية واطراد حقائقها للوصول إلى جوهر الطبيعة البشرية. تلك وظيفة مراحل الوحى فى التاريخ، ومساهمته فى تطوير الوعى البشرى ومساعدته على الاستقلال، عقلا وإرادة، وتجريب الشريعة على الواقع الإنسانى حتى تتم صياغتها طبقا لقدرات البشر وإمكانيات الفعل. الوحى تجريبى بمعنى أنه يساير تطور الوعى

الانسانى ويدفع على تقدمه. والشريعة تجريبية بمعنى أنها تقد طبقا للقدرات كما هو معروف فى "الناسخ والمنسوخ" لرفع الحرج، وعدم تكليف ما لا يطاق، واليسر دون العسر. فى حين أن التجربة فى الغرب الحديث على نقيض العقل وضده. ولابد من الاختيار بين العقل أو التجربة، بين الاستنباط أو الاستقراء، بين الفلسفة أو العلم. وهى الثنائية، ثنائية النفس والبدن، التى مزقت الوعى الأوربى فى بداية العصور الحديثة[1].

جـ- **المنهجية**. والمنهجية سمة طبيعية للعقل والتجربة وهما المنهجان اللذان بدأ بهما الوعى الأوربى الحديث. وتعنى البحث عن نقطة بداية يقينية يبدأ بها العلم ثم تتوالى الخطوات بعد ذلك على نحو منهجى دون قفز على الخطوات المتوسطة منذ تلقى الوحى كمعطى حتى تحقيقه كنظام مثالى للعالم. فالوحى ينتقل إلى التاريخ على مراحل، الوحى غير المتعين وهو القرآن إلى الوحى المتعين فى تجربة مثالية أولى وهو الحديث، إلى الوحى المتعين فى الأمة، وهو الإجماع، فصوت الله هو صوت الشعب، وضمير الجماعة، إلى الوحى المتعين فى تجربة الفرد وفهمه الخاص وهو الاجتهاد. وبعد أن يتم التلقى يبدأ الفهم عن طريق الألفاظ إلى المعانى ثم من المعانى إلى الأشياء ثم من الأشياء أفعال البشر وعللها. وبعد أن يتم الفهم يأتى التحقق، تحقق مقاصد الوحى الكلية والفردية، ثم الأحكام الوضعية والتكليفية. هذه الخطوات المنهجية هى التى تجعل علم أصول الفقه أحد أشكال مناهج البحث فى العلوم الإنسانية وهى العلوم السلوكية، وتصف مسار الوحى فى الوعى الإنسانى منذ لحظة التلقى إلى لحظة التحقق. لا تسبق خطوة خطوة مثل نظام الطبيعة، **﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق للنهار، وكل فى فلك يسبحون﴾**.

د- **المنطقية**. وتعنى قبول العقل البديهى بهذا الفكر المنهجى بلا اعتراض أساسى. فكل تساؤل له إجابة، وكل اعتراض له رد. ويتخيل الفكر الاعتراض مسبقا للرد عليه حتى يكفل الاتساق المنطقى والإحكام النظرى ورؤية الموضوع من كل جوانبه، والجمع بين "وجهات النظر" كلها فى رؤية متكاملة للموضوع. لا يوجد فى الفكر الأصولى ما يخرج على قواعد المنطق وأصول الفهم السليم. وهو منطق عملى يقوم على الفهم المشترك والخبرة المتبادلة وليس منطقا صوريا يضع القضايا، ويصف أشكالها المتطابقة أو المتناقضة كألعاب الشطرنج أو الكراسى الموسيقية. يعنى المنطق البداهة، والانتقال من بداهة أولى إلى بداهة ثانية كما هو الحال فى علم البداهات أو

(١) أنظر: مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩٠، ص٢٤٧-٢٤٩.

المصادرات أو المبادئ الأولى[1]. لذلك يمكن ضم المذاهب الفقهية فى نسق أصولى واحد، والجمع بين القواعد فى نسق منطقى واحد. جوانبه اختيارات بشرية محتملة طبقا للظروف والإمكانيات، تتراوح بين المثال والواقع، بين ما يجب أن يكون وما هو كائن. وتقوم المنطقية على البداهة والاتساق، البداهة كبداية، والاتساق كمسار، والتحقق كنهاية.

هـ- **الفطرة**. وهى الطبيعة البشرية الثابتة المطردة بصرف النظر عن الدين والفرقة والمذهب والطائفة والجنس والعمر والعصر والمرحلة التاريخية. وهى التى أشار إليها القرآن ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله**﴾. وقد سماها أيضا "الصبغة" ﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**﴾. وسماها أيضا "سنة"، ﴿**سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾. فلا يخص علم أصول الفقه دينا معينا أو شعبا خاصا أو نحلة أو ملة بل يتجاوز كل هذه الفروق إلى الطبيعة البشرية الأصلية، الحد الأدنى المشترك بين الشعوب، الجامع بين الناس والثقافات. وهى فطرة الخلق التى لا تتبدل مهما تبدلت العصور والأزمان. هى البراءة الأولى قبل أن تتبدد فى الأوضاع الاجتماعية، وتتشابك وتتداخل وتتعقد فى السياق البشرى. لذلك يظل علم الأصول ثابتا لا يتغير وإن تغيرت مادته. وهو منطق الوحى بعد أن اكتمل فى ختم النبوة، وبعد أن اكتمل الوعى الانسانى عقلا مستقلا وإرادة حرة.

و- **الذاتية**. وتعنى أفق التحليل وميدانه. فالوحى عندما ينتقل إلى التاريخ يمكن وصفه من حيث صحة المسار التاريخى وهو موضوع النقد التاريخى للكتب المقدسة. ويمكن وصفه باعتباره مدركا بشريا كما هو الحال فى علوم التأويل أو الهرمنيطيقا. ويمكن تحقيقه باعتباره نظاما مثاليا للعالم كما هو الحال فى العلوم الانسانية، الأخلاق والاجتماع والسياسة. ميدان الوصف إذن هو العالم الانسانى. وجوهر العالم الانسانى وبؤرته هى الذاتية. فتلقى الوحى فى الوعى الانسانى الفردى والجماعى. وفهم الوحى فى الوعى الانسانى باللغة وبالعالم. وتطبيق الوحى بالفعل الانسانى الذى يحقق مقاصده. فالذاتية هى أفق التحليل وميدان الوصف كما لاحظ إقبال وكما هو الحال فى بداية الفلسفة الغربية الحديثة بالكوجيتو الديكارتى "أنا أفكر فأنا إذن موجود"، وتطوره فى المثالية الترنسندنتالية حتى اكتمالها فى الظاهريات، فينومينولوجيا هوسرل. الوحى فى الشعور كقصد بين اللغة والعالم، بين الكلمة والوجود. عالم الذاتية إذن ليس

---

(١) انظر دراستنا. Hermeneutics as Axiomatics فى: Religious Dialogue and Revolution, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977, pp. 1-20.

عالما منغلقا على الذات بل هو عالم منفتح على اللغة التى عبر بها الوحى من خلالها ومتجه نحو التحقق فى العالم. فالوحى قصد متجه نحو العالم وليس فقط خطابا Discours لغويا مغلقا، يدور حول نفسه، أوله فى نهايته، ونهايته فى أوله كما هو الحال فى تحليل الخطاب فى الفكر العربى المعاصر.

ز- **الوضعية**. وتعنى أن الذاتية ليست مجرد خواء او فراغ، خيال أو وهم. بل هى جوهر الوضعية وأساسها. فالشريعة وضعية وأحكامها وضعية كما يقول الشاطبى، أى أنها موضوعة فى الواقع والتاريخ. لها أسسها فى بنية الفرد والمجتمع، وفى قدراته الفعلية وسياقاتها الاجتماعية. فلكل فعل ميدان تحقق بكل ما فيه من شروط وموانع وأشكال للتحقق وأنماط للفعل. الفعل ليس مطلقا خارج الزمان والمكان بل له سياقاته الاجتماعية والتاريخية. فقد تمت تجربة الشريعة من قبل على الواقع وقياسها عليه. كما تمت تجربتها فى التاريخ لمعرفة مدى إمكانية تطبيقها عند أكثر من شعب وفى أكثر من مرحلة تاريخية للوصول إلى عموم الشريعة عبر الزمان والمكان.

ولقد ساء معنى "وضعى" إثر انتشار المذهب الوضعى من الفلسفة الغربية فى فكرنا المعاصر بمعنى قدحى لما سادت الثالية كتطور طبيعى للدين. فالوضعى معارض للدينى والميتافيزيقى والمثالى، وأقرب إلى الحسى المادى. يبعد عن الإيمان ويقترب من الإلحاد، ويتباعد عن الدين ويتقارب من العلمانية. وينحرف عن التراث القديم ويغترب فى التراث الحديث. وأصبح القانون الوضعى ضد القانون الإلهى، والشريعة الوضعية ضد الشريعة الإسلامية. ولفظ "وضعى" من إبداع الشاطبى، ووصف الشريعة بأنها وضعية وصف الشاطبى أى تقوم فى وضع اجتماعى وتاريخى وليست معلقة فى الهواء, ومن ثم جمع علم الأصول بين الذاتية والموضوعية فى آن واحد، بين تحليل الذات الفاعل فى إطارها الاجتماعى ووضعها التاريخى.

ح- **العملية**. ويتسم الفكر الأصولى بالنزعة العملية الخالصة. فالوحى نداء للعمل بالرغم من أن أول آية فيه توحى بالنظر ﴿إقرأ﴾. والقراءة هنا تعنى التدبر والوعى والدراية من أجل انتفاضة الفعل، وليس من أجل القراءة والكتابة والرسول أمى لا يقرأ ولا يكتب. القراءة تعنى النظر فى الطبيعة والإنسان، والتأمل فى الكون والبشر من أجل العلم كمقدمة للعمل. اللفظان من اشتقاق واحد مع تبدل ترتيب الحروف الثلاثة ع ل م، ع م ل. وهما نفس اللفظين، العلم والعمل من أجل التحقق فى العالم. والعالم من نفس الاشتقاق وله نفس الترتيب للعلم ع ل م بزيادة حرف المد بعد الحرف الأول إشارة إلى امتداد العالم وسعة آفاقه. فإذا كان "الكوجيتو" الغربى

"أنا أفكر فأنا إذن موجود" يعطى الأولوية للنظر على العمل وللفكر على الوجود فإن "الكوجيتو" الإسلامى ﴿وقل اعملوا﴾، ﴿إنى عامل﴾، يعطى الأولوية للعمل على النظر، وللوجود على الفكر[1]. لذلك تعددت القواعد الفقهية العامة مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطاق"، "رفع الحرج"، "الضرورات تبيح المحظورات"، "لا ضرر ولا ضرار" استنباطا من عدة آيات مثل **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾**، **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**. وقد كانت المثالية باستمرار مثالية عمل عند فشتة[2]. وجعل بلوندل "الفعل" تجل من التجليات الإلهية قبل أن تحوله البرجماتية والذرائعية إلى مجرد منفعة وتحقق أداتى.

ط – الإنسانية. بالرغم من أن الوحى معطى من الموحِى إلى الموحَى إليه إلا أنه مقصد نحو الإنسان والعالم، وحركة نحو البشر والتاريخ. وكما أن لا يجوز قلب القصد وجعله اتجاها من الموحَى إليه إلى الموحِى، ومن التاريخ إلى ما وراء التاريخ كما حدث فى "علم الكلام" عندما جعل موضوع الوحى "الذات والصفات والأسماء والأفعال" فإن علم أصول الفقه قد صمد ضد هذا القلب وظل علما انسانيا خالصا[3]. لا يتحدث عن الموحِى الا باعتباره الشارع أى الذى وضع الشريعة. ولا يصف الوحى إلا بعد تحققه فى التاريخ. لا يصف الوحى كما يفعل الفلاسفة فى نظرية "النبوة" على نحو رأسى، الوحى خارج التاريخ، بل يصف الوحى على نحو أفقى، الوحى فى التاريخ. لا يهتم بطريق الوحى من الموحِى إلى الموحَى إليه بل بمسار الوحى من الموحَى إليه إلى المتلقين منه، الكلمة فى التاريخ، الوحى أساس لنظام اجتماعى. الوحى قصد من "الله" إلى "الانسان"، يتوجه إليه بالخطاب. ويتحول إلى تجربة مثالية فى أقوال النبى وتجربة جماعية فى إجماع الأمة، وتجربة فردية فى اجتهاد الشخص. ثم يتم فهمه باللغة الانسانية التى من خلالها يُفهم "الكلام" ثم يتم تحقيقه كمقاصد انسانية. الحياة (النفس)، والعقل، والمبدأ العام (الدين)، والكرامة الانسانية (العرض)، والثروة الوطنية والمال العام (المال). ويتم ذلك بالفعل الانسانى كواجب ضرورى أو اختيارى إيجابا (الواجب والمندوب) أو سلبا (المحرم والمكروه) أو كطبيعة تلقائية تعبر عن الفطرة والبراءة الأصلية (المباح).

ومن ثم كانت كل محاولات الدعوة إلى حقوق الإنسان بناء على الإعلان العالمى لحقوق الانسان فى الغرب الحديث إنما تكتفى بالنقل عن الوافد دون الحفر فى الموروث فى مقاصد

---

(١) انظر حوارنا مع الأخ أبى يعرب المرزوقى: العمل والنظر، دار فكر، دمشق ٢٠٠٣.

(٢) انظر كتابنا عن "فشته، فيلسوف المقاومة"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.

(٣) من العقيدة إلى الثورة، جـ ٢ التوحيد، إلهيات أم إنسانيات، مدبولى، القاهرة ١٩٧٨، ص٦٠٠-٦٦٤.

الشريعة ثم إكمال "الإعلان العالمى لحقوق الانسان" بإعلان آخر "الإعلان العالمى لحقوق الشعوب" إثر حركات التحرر الوطنى وحق كل شعب فى تقرير المصير. إنما هو الاستسهال بالإعلانات الجاهزة دون حفر فى الموروث القديم، والانبهار بالغرب دون تحويل الغرب من مصدر العلم كى يكون موضوعا للعلم[1].

ى – **الأصالة**. وتعنى الإبداع الذاتى. إذ يعتمد علم الأصول على المصدر الداخلى. فى العلوم النقلية العقلية المشابهة مثل الكلام والتصوف والحكمة، بعيدا عن المصادر الخارجية. فلا يظهر الحكماء المتعاملين مع الخارج مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد. علم أصول الفقه علم أصيل، إبداع ذاتى خالص نشأ مع علم أصول الدين قبل عصر الترجمة فى القرن الثانى الهجرى. وما قيل عن معرفة الشافعى باللغة اليونانية مجرد افتراض. ورد القياس الشرعى إلى القياس الأرسطى أخذ بالشبهات. له مصادره الداخلية فى حديث الرسول الشهير إلى معاذ عن الحكم بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ثم الاجتهاد بالرأى دون تردد أو خوف. وتظهر بعض الألفاظ اليونانية المعربة مثل الموسيقى والسفسطة بعد أن تم تعريبها كما تم تعريب بعض الألفاظ الفارسية مثل استبرق، والهندية مثل مشكاة، واليونانية مثل صراط إلى العربية قبل نزول الوحى واستعمال الوحى لها[2]. فعلم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم التصوف كلها قامت بدافع داخلى خالص. علوم الحكمة وحدها هى التى نشأت فى القرن الثالث بعد عصر الترجمة فى القرن الثانى من أجل وحدة المعرفة الإنسانية بدلا من ازدواجية الموروث والوافد، القديم والجديد الذى يهدد وحدة الثقافة[3].

فى "الاحكام فى أصول الأحكام" لا يذكر إلا جالينوس مرة واحدة للرد عليه فى قوله أن لغة اليونانيين أفضل اللغات وأن سائر اللغات إنما تشبه إما نباح الكلب أو نقيق الضفادع[4]. وإذا ذكر سقراط أو أبقراط فكأسماء وأعلام مثل زيد وعمر. ويذكر السفسطائيون كنموذج تاريخى لإنكار العلم[5]. ويذكر سقراط الشهيد بكل تبجيل واحترام واستشهادا بقول له بعد أن نظر إلى رجل يحب الفلسفة ويستحى ويستغرب عن حياته وكيف أنه لا يرضى بأن يكون فى آخر عمره أفضل

---

(١) أنظر: مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩١، ص٥.

(٢) ابن الهمام: التحرير جـ ٤٩/١ سفسطة، محب الله عبد الشكور، مسلم الثبوت جـ ٤٠/١.

(٣) من النقل إلى الإبداع، جـ ٢ النقل.

(٤) ابن حزم: الاحكام جـ ٣٢/١.

(٥) الباقلانى: التقريب والإرشاد جـ ٣٥٩/١.

مما كان فى أوله[١].

٢- كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ يمكن دراسة علم أصول الفقه بعدة طرق تحددها مادة العلم التى توجد فى كتب علم الأصول مما يحتم اتباع منهج تحليل النصوص. صحيح أن هناك واقعا خارجيا نشأت النصوص فيه ولكن هذا الواقع يساعد فى شرح تكوين النص وليس فى فهم مكوناته الداخلية. لذلك يؤخذ فى الاعتبار تطور النصوص زمانيا، ومحاولة التعرف على مراحلها فى المسار التاريخى للعلم ومنعطفاته. وهذا لا يعنى استعمال المنهج التاريخى بل يعنى فقط ترتيب كتب علم الأصول زمانيا منذ "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ) حتى "إرشاد الفحول" للشوكانى (١٢٥٥هـ). ويبدو أن النعطفين الرئيسين فى هذا المسار هما "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ) و"الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ). فالتاريخ للنص وليس للواقع الذى نشأ النص فيه. بل إن لكل متن سبب تأليف فى الواقع الذى يصدر فيه[٢].

ومن ثم يعرف التاريخ من خلال النص وليس النص من خلال التاريخ. التاريخ يكشف نفسه من خلال النص، والنص مرآة له. ليس النص من صنع التاريخ ومجرد انعكاس له. النص هو الذى يحدد التاريخ ويفرض نفسه عليه وليس التاريخ هو الذى يحدد ا نص ويكون بنيته. النص له استقلاله الذاتى عن التاريخ، والتاريخ مجرد حامل له. النص مستقل عن التاريخ ويظهر فيه التاريخ. يقدم النص ثم يبتعد عنه.

ويمكن تتبع نشأة النص الأصولى بطريقتين. الأولى تتبع نشأة النص الأصولى المذهبى وتكوينه، النص المالكى، والنص الحنفى، والنص الشافعى، والنص الحنبلى على التوالى. وميزة هذه الطريقة أنها تبين نشأة أصول كل مذهب وتطوره من السابق إلى اللاحق، هل استمر على أصوله الأولى أم تحول عنها مقتربا من المذاهب الأخرى خاصة فى العصور المتأخرة التى غلب عليها التجميع[٣].

وعيب هذه الطريقة هى الرؤية المذهبية للعلم، وتحويله إلى مذاهب مغلقة، والتضحية

---

(١) أصول السرخسى جـ ٢٨٣/١، المستصفى جـ ١٠/١، المنخول ص ٣٤، شفاء الغليل ص ٣٥٢، الواضح جـ ٢٣٥/٢٠٢/١، جـ ١٧٠/٥، الوصول إلى الأصول جـ ١٤٠/١، الأحكام للأمدى، البحر المحيط جـ ٤٢٨/١..الخ.

(٢) كتب عبد الرحمن بن مهدى إلى الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن، ويجمع قبول الأخبار وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب "الرسالة"، الرسالة ص ٤.

(٣) ومن ثم يمكن عرض نشأة النص الأصولى المالكى والحنفى والشافعى والحنبلى كل على حدة ووصف تطوره.

بالأصل من أجل الفرع، وبالعلم من أجل المذهب، وتكريس الفُرقة المذهبية بعد المحاولات المعاصرة الجادة للتقريب بين المذاهب. كما أن المذاهب الفقهية في الواقع لم تكن مغلقة على ذاتها بل كانت متداخلة ومتفاعلة مع المذاهب الأخرى وفي حوار مستمر وجدل بينهما أشبه بالجدل بين الفرق الكلامية. وقد تكون المذاهب الفقهية في أسسها النظرية تعبيرا عن الفرق الكلامية مثل الحنفية والمعتزلة، والشافعية والأشعرية. وكانت هناك محاولات في تطور العلم في مراحله النهائية للجمع بين المذاهب الفقهية مثل "الموافقات" للشاطبي الذي حاول الجمع بين الشافعية والمالكية[1].

والطريقة الثانية أفضل، تتبع نشأة النص الأصولي وتطوره بصرف النظر عن المذاهب الفقهية. فالنص الأصولي واحد والعلم واحد أسسه الشافعي وإن لم يكن أول الفقهاء. والخلافات المذهبية قليلة، في الفروع وليست في الأصول، باستثناء القول بالإمام المعصوم كأحد مصادر الأصول عند الشيعة، وبإجماع أهل العترة، الإجماع الخاص وليس الإجماع العام. والقول بالإمام المعصوم الذي تفرد به الشيعة على نحو ما مثل القول بعمل أهل المدينة الذي تفرد به مالك. والقول بإجماع أهل العترة عند الشيعة مثل القول بالإجماع الخاص عند ابن حزم. ومن ثم فإن علم الأصول علم واحد بصرف النظر عن الفروق المذهبية في الفقه، إذ أنها في الفروع وليست في الأصول.

وإذا كان علم أصول الفقه القديم قد امتلأ بالخلافيات المذهبية في الكلام والفقه لأنه كان موازيا لنشأتها فإنه يمكن إعادة بناء علم أصول الفقه الجديد حفاظا على الأصول دون الفروع، وبناء على الاتفاق بين المذاهب بعد محاولات التقريب، وتجاوز التاريخ منطق الخلاف والفرقة إلى منطق الاتفاق والوحدة[2].

وإذا كان أصول الفقه القديم قد وقع في الحجاج والسجال والجدل بين المذاهب المختلفة بل والمتعارضة، وأن الصواب في فرقة والخطأ في الفرق الأخرى طبقا لحديث الفرقة الناجية فإن أصول الفقه الجديد لا يخطئ ولا يصوب أحدا، ويعتبر كل الاجتهادات تعبر عن وجهات نظر في الموضوع تحتمها الظروف الاجتماعية والسياسية وجدل التاريخ بين التقدم والتخلف، والتحرر والمحافظة، والتجديد والتقليد، والمحكوم والحاكم. فليس نفي القياس خطأ وإثباته صوابا،

---

(١) الشاطبي: الموافقات جـ ١/٢٤.

(٢) من العقيدة إلى الثورة، جـ ٥ الإيمان والعمل والإمامة، من الفُرقة العقائدية إلى الوحدة الوطنية ص٣٩٣–٣٩٨.

وليس إثباته صواب ونفيه خطأ. ونفى القياس يفسح المجال للعمل الطبيعى دون سؤال التحليل والتحريم. وما سكت عنه فهو عفو أو مباح. وإثبات القياس يفتح المجال فى البحث عن علل الأحكام وأن الشريعة مستمرة عبر التاريخ، إذا حضرت العلة حضر الحكم، وإذا غابت العلة غاب الحكم. فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. ونشأة المذاهب الأصولية والفقهية نشأة طبيعية نتيجة لإعمال النظر وإبداء الرأى وممارسة الاجتهاد.

ومن ثم فإن اختلاف الآراء يبين الجوانب المختلفة للموضوع وأوجه النظر إليه. لا يوجد صحيح وفاسد، خطأ وصواب. والاعتراف بالتعددية فى وجهات النظر لا يسمح بإصدار الحكم على الصحيح أو الفاسد ولا على "الأصح عندى" دون رفض الرأى المخالف الذى قد يكون صحيحا. الأصح والأصوب هو الأفضل والأصلح فى تغير الواقع وتطويره ودفعه إلى الأمام، وإزالة معوقات تقدمه.

ولم يخل تكوين النص فى علم أصول الفقه من الدوافع السياسية منذ أن وضع الشافعى "الرسالة" لضبط طرق الاستدلال وتثبيت النص[1]. واستمر الأمر حتى الغزالى فى "المنخول" وتشبيه الله بالسلطان، والسلطان بالله[2]. ومع ذلك يظل أقل توجيها بالسياسة من علم أصول الدين. فالفرق الكلامية أحزاب سياسية. وعقائدها أيديولوجيات سياسية. فى حين أن علم أصول الفقه أقرب إلى التأصيل العقلى، ووضع قواعد للاستدلال لاستنباط الأحكام. إنما يظهر فيه صراع القوى الاجتماعية بين قوة تعطى الأولوية للنص على الواقع وهى القوى المحافظة التى فى الغالب ما تكون قريبة من السلطان، وقوة تعطى الأولوية للواقع على النص والتى فى الغالب ما تكون خارجة عن إطار الحكم. وكثيرا ما قاوم الأصوليون الحاكم الظالم أسوة بالفقهاء، وألفوا مصنفاتهم والمدن محاصرة، وفى لحظات الانكسار[3].

وقد تم فى الجزء الأول استخدام منهج وصف تكوين النص وتتبع مراحله ابتداء من البنية الثلاثية فى "الرسالة" عند الشافعى (٢٠٤هـ) إلى البنية الرباعية ابتداء من "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ) إلى تشتت البنية ابتداء من القرن السادس إلى غياب البنية كلية والاكتفاء بالمقال السيال دون بنية.

---

(١) نصر حامد أبو زيد: الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، دار سيناء، القاهرة ١٩٩٢.

(٢) الغزالى: المنخول ص ١٧.

(٣) وذلك مثل السرخسى فى أصوله.

وقد قيل كثيرا عن المنهج الظاهرياتى "الفينومينولوجى" السارى فى مشروع "التراث والتجديد" منذ بيانه الأول "موقفنا من التراث القديم". وفى المحاولة الأولى "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، وفى المحاولة الثانية "من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. وهو حكم ناتج عن بنية لاشعورية أو شعورية، أن الغرب هو أصل المناهج وأن الباحثين خارج الدائرة الغربية لا مناهج لهم، لذلك يتبنون بالضرورة أحد المناهج الغربية طبقا لموقفهم الفكرى والتزامهم الاجتماعى. وهو غير صحيح فالمناهج موجودة فى كل حضارة، أشهرها مناهج التأويل، ومناهج النظر، ومناهج الذوق، ومناهج التحليل اللغوى وغيرها فى الحضارة الإسلامية. وهناك مناهج فى الفكر والسياسة والدين والفن فى الصين والهند وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصر القديمة. وكل حضارة أدرى بمناهجها.

ومنهج تحليل الخبرات منهج انسانى عام فى كل حضارة. وهو منهج تلقائى طبيعى. لا يدرك الانسان إلا ما يشعر به. والعالم الخارجى هو العالم الدرك، المعطى فى الشعور. والنصوص الشعرية والدينية ما هى إلا وصف للتجارب الحية للشعراء والأنبياء، الأحزان والأفراح، والانكسارات والانتصارات. ويظهر ذلك فى كثير من الآيات القرآنية **﴿فأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾**، وفراغ الشعور وملء الشعور من التحليلات الفينومينولوجية. وأيضا **﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾**، وهى القصدية. وهو منهج يسهل التعبير من خلاله عن الأفكار الواضحة التى يمكن إيصالها للقارئ بسهولة ويسر دون فيقهات لفظية وصياغات نظرية مجردة.

أما فى الجزء الثانى فقد استخدم منهج البحث عن بنية النص خارج النص فى التجربة الإنسانية المعيشة. فبنية النض تعبير عن أبعاد الشعور. ومن ثم فإن تحليل النص هو فى نفس الوقت تحليل التجارب الشعورية[1]. لا فرق بين اللغة والوجود، بين الفكر والواقع، بين التصور والأفق، بين المفهوم وبُعد الشعور. يمكن فهم النص برده إلى أصله فى التجربة الإنسانية. فالنص صياغة لتجربة معيشة ليس فقط لمؤلف النص بل لقارئه. فقد مات المؤلف وبقى القارئ حيا متجددا ومتعددا بتعدد القراءات. ولما كانت التجربة البشرية واحدة فإن تجربة المؤلف هى نفسها تجربة القارئ حتى ولو تغيرت ظروف العصر. القصد واحد، قصد النص وقصد المؤلف وقصد القارئ.

٣- **النص وليس المؤلف**. ومؤلفات علم الأصول هى وحدات التحليل وليس المؤلفين

---

(1) Les Méthodes d'Exégèse, pp. CLXXX-CCLXVIII.

والإعلام. فالعمل مستقل عن صاحبه كما أن الرسالة مستقلة عن الرسول. النص لا مؤلف له، استقل عنه وأصبح عملا مستقلا بذاته. فالمؤلف يعرض أنماطا مثالية سابقة عليه ولا يخط موقفا خاصا به إلا في إطار البنية الحضارية العامة. وذلك على عكس الاستشراق الذى أكثر من تحويل الفكر إلى أشخاص، والعلوم إلى العلماء، وكذلك الأمر في الرسائل الجامعية في عصور التدهور والانحطاط عن فلان وعلان، حياته وأعماله حتى تشخص الفكر وفي عصر المذاهب الفلسفية الكبرى في الفلسفة الغربية عندما ارتبط المذهب باسم صاحبه، الديكارتية، الكانطية، الهيجلية، البرجسونية، وكما حدث من قبل في الفرق الكلامية، الأشعرية، النجادية، الهذيلية، وفي المذاهب الفقهية، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، وكما يفعل الاستشراق في حديثه عن السبينوية والرشدية[1]. وخطورة أولوية المؤلف على النص هو توارى النص لصالح المؤلف، وتضخيم المؤلف بحيث يحتوى النص. ويتضخم المؤلف بحيث يصبح معصوما من الخطأ ولا عصمة لأحد من المؤلفين، ولا تضخيم ولا تعظيم ولا تمجيد ولا إكبار لأى منهم حتى لا يشعر المحدثون أمامهم بالدونية وبالتالي يقعوا في التقليد "هم رجال ونحن رجال، نتعلم منهم ولا نقتدى بهم". لذلك يذكر النص بلا تفخيم بأنه أفضل نص وأعظم متن. ويذكر صاحبه بلا ألقاب من أجل إرجاع الشخص إلى حجمه الطبيعي وإبراز النص أمامه.

وتذكر الألقاب مثل "الإمام"، وما أكثر الأئمة مثل الأئمة الأربعة[2]. وقد يقرن بالإمام إمام من أو ماذا مثل "إمام الحرمين" للجويني (٤٧٨هـ)، وقد يأخذ الأصولى لقبا مزدوجا مثل الإمام

(١) "لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح فإني لأكثر الدعاء له" (عبد الرحمن بن مهدى)، الرسالة (الغلاف الداخلي). "هذا السفر القيم"، "قرأت كتاب "الرسالة" للشافعي خمسمائة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى"، "أنا أنظر في كتاب "الرسالة" عن الشافعي منذ خمسين سنة ما أعلم أنى نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن عرفته"، السابق ص ٣-٤.

(٢) وبالإضافة إلى الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي (٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل، هناك الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)، الإمام أبو بكر الصيرفي (٣٣٠هـ)، الإمام السرخسي (٤٩٠هـ)، الإمام أبو اسحق الشيرازى (٤٧٦هـ)، الإمام أبو عبد الله المازرى المالكي (٥٣٦هـ)، الإمام أبو نصر أحمد بن جعفر ابن الصباغ (٤٧٧هـ)، الإمام فخر الدين الرازى (٦٠٦هـ)، الإمام سيف الدين الأموى (٦٣١هـ)، الإمام سراج الدين الأرموى (٦٧٢هـ)، الإمام تاج الدين الأرموى (٦٥٦هـ)، الإمام شهاب الدين القرافي (٦٨٤هـ)، الإمام جمال الدين الأسنوى (٧٧٢هـ)، الإمام تقى الدين السبكي (٧٥٦هـ)، الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ)، الإمام أبو منصور الماتريدى (٣٣٠هـ)، الإمام أحمد بن على الحصاص (٣٧٠هـ)، الإمام الكرخي (٥٤٠هـ)، الإمام محمد بن الحسن البدخشي، الإمام أبو عمر عثمان بن عمرو والمعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ)، الإمام الساعاتي (٦٩٤هـ)، الإمام النسفي (٧١٠هـ)، الإمام المحلى (٨٦٤هـ)، الإمام الزركشي (٧٩٤هـ).

فخر الإسلام البزدوى (٤٨٣هـ)، شمس الأئمة السرخسى (٤٩٠هـ).

وهناك ألقاب أخرى مثل "حجة الإسلام"، "القاضى"، "الكبير"، "الشريف"، "العلامة"، "الأستاذ"[1]. ويطلق اللقب على أكثر من واحد بحيث يختلط القاضى فقد كانت شهرة اللقب فى عصره، وانقضت باختلاف العصور، وربما أضعفهم لقب "الشيخ" أو "الأستاذ"[2]. ، بل يعطى المحققون أيضا لأنفسهم نفس الألقاب مثل أبو الأشبال[3]. وتزداد الألقاب وتتضاعف وتتكاثر على مر العصور خاصة فى العصور المتأخرة. فكلما ضعف العلم قوى العالم[4]. فتكثر العمائم وتقل العلوم، وتزداد المناصب وتقل النصوص.

وقد يتجاوز التعظيم الألقاب إلى المدح والتقريظ. وقد يكون ذلك من الأئمة الكبار لبعضهم البعض اعتزازا بهم وليس تملقا لهم ولإعطاء نموذج لاحترام المحدثين للقدماء والتراكم المعرفى الضرورى للوعى التاريخى. ويكون التعظيم نثرا وشعرا إذ لا يتجلى وجدان العرب إلا فى الشعر[5].

ثالثا: أنـواع المصنفـــات.

ومصنفات الأصول على أنواع عدة:

١- المؤلفات الأصولية ابتداء من "الرسالة" للشافعى حتى "إرشاد الفحول" للشوكانى. وهى

---

(١) حجة الإسلام الغزالى، القاضى أبو بكر الباقلانى (٤٠٣هـ)، القاضى أبو الطيب الطبرى (٤٥٠هـ)، القاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، القاضى عبد الله بن عمر البيضاوى (٦٨٥هـ). الكبير القفال الشاشى، الشريف الجرجانى، الشريف أبو يحيى زكريا بن يحيى الحسنى المغربى، العلامة الإيجى، العلامة قطب الدين الشيرازى، العلامة شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى (٧٤٩هـ).

(٢) الشيخ شمس الدين عبد الرحيم بن حسين العراقى (٨٠٦هـ). الأستاذ أبو اسحق الاسفراييني.

(٣) تحقيق وشرح أبى الأشبال أحمد محمد شاكر، النص ص ١.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جـ ١ المقدمات النظرية، ص ٣٩-٤٤.

(٥) "كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس. فانظر هل للذين من خلف أو منهما عوض" (احمد بن حنبل). "طالت مجالستنا للشافعى فما سمعت منه لحنة قط ولا كلمة غيرها أحسن منها"، " الشافعى كلامه لغة يحتج بها" (ابن هشام النحوى صاحب السيرة)

ألم تر آثار ابن ادريس بعده ∴ ولا ثلها فى المشكلات لوامع
معالم تعنى الدهر وهى خوالد ∴ وتنخفض الأعلام وهى فوارع
مناهج فيها للهدى متصرف ∴ موارد فيها للرشاد شرائع
فمن يك علم الشافعى إمامه ∴ فمرتعه فى باحة العلم واسع

(أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة)

"ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعى فيها" (عبد الرحمن بن مهدى)، الرسالة ص ٣-٤.

المؤلفات العمدة فى العلم.

٢- المؤلفات الأصولية الجزئية فى بعض الموضوعات الخلافية خاصة الإجماع لابن حزم وابن تيمية، والقياس وملحقاته مثل الشافعى وأبى الحسن البصرى وابن حزم والغزالى وابن تيمية والطوفى والشوكانى والطهطاوى، ومباحث الألفاظ للقرافى. وهى مؤلفات مكملة لبعض أجزاء العلم.

٣- الشروح والحواشى والملخصات للنصوص الأساسية خاصة فى العصور المتأخرة ابتداء من القرن السابع مثل الأسنوى والأرموى والدمياطى والعبادى والبنانى والقرافى والأنصارى وغيرهم من الشراح وأصحاب الحواشى والملخصين. ولها منطقها الخاص عندما توقفت الحضارة عن الإبداع، وعاشت على ما أنتجته من قبل واجترت مثل جمل الصحراء ما أنتجته من قبل لتمضغه من جديد.

٤- المؤلفات الأصولية الشيعية التى تمثل وحدة بمفردها وإن كان الخلاف بينها وبين المؤلفات الأصولية السنية ليس كبيرا مثل مؤلفات الطوسى والحلى والخمينى ومحمد باقر الصدر وغيرهم. وهى فى الأغلب لا تضيف جديدا إلا من حيث الإمام المعصوم كمصدر من مصادر العلم كما يصنف مالك عمل أهل المدينة.

٥- الدراسات الثانوية التى قام بها أساتذة الجامعات بغرض تدريس كتب مقررة دون تطوير للأصول القديمة. وهى كثيرة لا تحصى، ضررها أكثر من نفعها.

١- المتون الأصلية. ويقسم بعض القدماء والمحدثين مصنفات الأصول إلى نوعين. الأول طريقة المتكلمين التى تضع الأصول والقواعد كما يفعل الأشاعرة فى كتب قواعد العقائد فى علم أصول الدين. يفعل الشافعية نفس الشئ فى علم أصول الفقه. وتعتمد على الاستدلال العقلى وتجريد المسائل الأصولية عن الأمثلة الفقهية. فالأصول علم مستقل عن الفروع[1].

---

(١) مثل: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "التقريب والإرشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلانى (٤٠٣هـ)، "القواطع" لابن السمعانى (٤٦٢هـ)، "اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "البرهان" للجوينى (٤٧٨هـ)، "عدة العالم والطريق السالم" لابن الصباغ (٤٧٧هـ)، "شرح الكفاية" للقاضى الطبرى (٤٥٠هـ)، "العمد" للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، "المعتمد" لأبى الحسين البصرى (٤٧٣هـ)، "المستصفى"، "شفاء الغليل فى بيان مالك التعليل"، "المنخول من تعليقات الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)، "الاحكام فى أصول الأحكام" للآمدى (٦٣١هـ)...الخ.

والثانى طريقة الفقهاء التى تجمع بين الأصول والفروع، بين القواعد الأصولية والأمثلة الفقهية، وتعتمد على الشواهد النقلية أكثر من الاستدلالات العقلية[1].

وهناك كتب جمعت بين الطريقتين، طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء من أجل استقلال العلم عن علم أصول الدين وعن علم الفقه[2].

والتقسيم الأفضل هو تقسيم مصنفات الأصول، بين مصنفات لامذهبية ومصنفات مذهبية. معظم كتب الأصول لامذهبية، تبنى العلم بناء على العقل الخالص وإن كانت فى أغلبيتها أشعرية بعد أن أصبحت الأشعرية هى عقيدة الفرقة الناجية، واختيار الدولة القائمة[3]. ترصد اختلافات المذاهب دون أن تتبناها. والفروق الأصولية طفيفة بين المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة. وهذا لا يمنع من انتساب عالم الأصول إلى أحد المذاهب الأربعة غير الشافعية مثل الباجى والطوفى والشاطبى من المالكية، وابن رجب الحنبلى، والبزدوى الحنفى...الخ، ولكن هذا الانتساب لا يظهر فى وضع الأصول بل فى التطبيقات الفقهية.

وهناك كتب أصولية مذهبية كاملة تعبر عن اتجاه جذرى معين مثل الظاهرية وإنكار القياس والتعليل[4].وأصول الفقه الشيعى والقول بتقليد الإمام المعصوم[1]. وهناك كتب الفرق

---

(١) مثل: "مآخذ الشرائع" للماتريدى (٣٣٠هـ)، "أصول الكرخى" (٥٤٠هـ)، "أصول البزدوى" (٤٨٣هـ)، "أصول الجصاص" (٣٧٠هـ)، "أصول السرخسى" (٤٩٠هـ)، "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسى (٤٣٠هـ)، "المنار" للنسفى (٧١٠هـ)...الخ.

(٢) مثل: "بديع النظام بين أصول البزدوى والأحكام" للساعاتى (٦٩٤هـ)، "التنقيح لصدر الشريعة" (٧٤٧هـ)، "التحرير" لابن الهمام (٨٦١هـ)، "جمع الجوامع" لتاج الدين السبكى (٧٧١هـ)، "مسلم الثبوت". لابن عبد الشكور (١١١٩هـ)، وربما "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ). الغزالى: "المنخول"، مقدمة المحقق محمد حسن هيتو ص ٦-١٢.

(٣) وذلك مثل: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "كتاب الحدود فى الأصول" لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى (٤٧٤هـ)، "اللمع فى أصول الفقه" لأبى اسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازىالفيروزبادى الشافعى (٤٧٦هـ)، "البرهان فى أصول الفقه" للجوينى (٤٧٨هـ) (جزءان)، "أصول السرخسى" للسرخسى (٤٩٠هـ) (جزءان)، "كتاب الورقات" للجوينى (٤٧٨هـ)، "المستصفى من علم الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المنخول من تعليقات الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)، "الاحكام فى أصول الأحكام" للآمدى (٦٣١هـ) (ثلاثة أجزاء)، "منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول"، للبيضاوى (٦٨٥هـ)، "المنار" للنسفى (٧١٠هـ)، "جمع الجوامع" للسبكى (٧٧١هـ)، "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ) (أربعة أجزاء فى مجلدين)، "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكانى (١٢٥٥هـ)، "ألفية الوصول إلى علم الأصول" للشيخ على إبراهيم شقير.

(٤) يعتبر ابن حزم عادة ممثلا لهذه المدرسة فى كتب الأصولية مثل: "الاحكام فى أصول الأحكام" (ثمانية أجزاء فى مجلدين)، "النبذ فى أصول الفقه الظاهرى".

الكلامية مثل المعتزلة والقول بالحسن والقبح العقليين[٢]. ولم نعتمد عليها كثيرا لأننا نريد تأصيل الأصول وتجريدها كما هو الحال فى علم المصادرات أو علم البديهيات أو علم الأوليات[٣]. كما أن علم الأصول مثل علوم التصوف وعلوم الحكمة أكثر العلوم عمومية وشمولا، والإبقاء عليها خارج الأطر المذهبية اتجاه إصلاحى أصيل. هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من كتب الأصول خاصة "المستصفى" قد صدر المسائل بمناقشات كلامية أى الأصول النظرية للأصول العملية. ولما كانت المسائل الكلامية مثل الحسن والقبح العقليين، والفلسفية مثل العلية واجب الوجود، والصوفية مثل الأحوال والمقامات مسائل نظرية خالصة فإنها تكون خارج منظور أصول الفقه باعتباره علما يضع القواعد النظرية للعمل وليس للنظر.

وقد عاب علينا الاخوة علماء إيران الأجلاء أننا لم نأخذ بعين الاعتبار فى "من العقيدة إلى الثورة" اعتقادات الشيعة وهذا تقصير بالفعل. إلا أنه يرجع لعدة أسباب، أننى لست على علم به بالقدر الكافى مثل علماء إيران الأجلاء، كما أنه ربما ليس مدركا فى الثقافة الشعبية بالقدر الكافى مثل عقائد أهل السنة بالرغم من أنهم فى الممارسة العملية من آل البيت كما هو الحال فى مصر، ولأن الثورة الإسلامية فى إيران قد قامت بهذا الدور خاصة فى أعمال الإمام الخمينى، الأب والابن، والطالقانى وغيرهم من أئمة الثورة الإسلامية، وربما حرصا على تجاوز الخلاف حول الأصول. وقد تفادينا ذلك فى "من النقل إلى الإبداع" ربما لأن الفلسفة بطبيعة مصادرها شيعية الأصل. وسنحاول تجاوز ذلك قدر الإمكان فى "من النص إلى الواقع" خاصة بعد تجديد الإمام محمد باقر الصدر لعلم الأصول.

٢- الشروح والحواشى والملخصات. النص هو الأساس، أما الشروح والحواشى والملخصات فلم تبدأ إلا منذ القرن السابع. فقد كان آخر نص هو "الاحكام فى أصول الأحكام"

---

(١) كتب أصول الفقه الشيعى كثيرة منها: الحلى: "تهذيب الأصول إلى علم الأصول"، الطوسى: "العدة فى أصول الفقه"، شيخ حسن بن زيد الدين شهيدثانى: معالم الأصول، تحقيق مهدى محقق، شركة انتشارات علمى وفر بنكى، تطهران ١٩٨٥، الشيخ المنيد (٤١٣هـ): أوائل المقالات فى المذاهب المختارات، تقديم وتعليق الزنجانى، القاضى النعمان بن محمد (٣١٥هـ): اختلاف أصول المذاهب...الخ.

(٢) كتب اعتزالية مثل: "العمد" للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٧٣هـ).

(3) Hermeneutics as Axiomatics, in: Religious Dialogue and Revolution, Anglc-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977, pp. 1-20.

للآمدى (٦٣١هـ)[1]. بعدها بدأت الشروح والحواشى عندما توقفت الحضارة عن إبداع المتون باستثناء "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ)، "إرشاد الفحول" للشوكانى(١٢٥٥هـ)[2].

وغالبا لا تخرج الشروح والحواشى والتخريجات والتذييلات والتقريرات عن بنية المتن. إنما تعمل من داخله على مستوى الخطاب، إما شرحا للفظ أو بيانا لمعنى أو إضافة لشبيه من علم آخر. وهى موضوع لدراسة خاصة كيف يكون الفكر ثانيا فى المكار، يدور حول نفسه، ينغلق حول النص دائرا ومتضخما دون أن يخرج منه كما تخرج الدودة من الشرنقة إلا فى لحظات التجديد كما فعل الشاطبى فى "الموافقات". هى موضوع لدراسات خاصة حول الإبداع إلى الوراء وليس الإبداع إلى الأمام. عندما يعيش الفكر على ذاته ويتذكر ماضيه. تسترجع الذاكرة ما حفظت دون أن يفكر العقل فيما وصل إليه. عمل الماضى وليس عمل الحاضر أو المستقبل. جمل الصحراء عندما لا يجد ما يأكله فيجتر ما اختزنه من قبل ويعيد مضغه.

وكما أن هناك الشروح والحواشى والتخريجات والتذييلات والتقريرات هناك أيضا

---

(١) ربما يصعب العثور على نصوص أصولية قبل "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، ولكن يمكن العصور على شروح وحواشى وملخصات على متون أصولية وربما على متون بعد "إرشاد الفحول" للشوكانى (١٢٥٠هـ) نثرا أو شعرا مثل "ألفية الوصول إلى علم الأصول" للشيخ على إبراهيم شقير من علماء الأزهر الشريف.

(٢) – أول الشروح هو "شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول" لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس القراقى (٦٨٤هـ). والمتن هو "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ).

– "نهاية السؤل فى شرح منهاج الأصول" للأسنوى (٧٧٢هـ) مع حواشيه "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل" لمحمد المطيعى. والمتن "منهاج الوصول" للبيضاوى (٦٨٥هـ).

– "شرح المنار وحواشيه من علم الأصول". الشرح لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الملك، والحاشية الأولى ليحيى الرهاوى المصرى، والتذييل الأول لعزمى زادة (١٠٤٠هـ) والثانى لابن الحلبى (٩٧١هـ). والمتن الأول هو "المنار" للنسفى (٧١٠هـ).

– "حاشية نسمات الأسحار" لمحمد بن عابدين على "شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار" لمحمد علاء الدين الحصنى، مع بعض التغييرات على الحاشية والشرح لمحمد أحمد الطوخى. والمتن هو أيضا "المنار".

– حاشية واحد بن محمد الدمياطى على شرح الورقات فى أصول الفقه لجلال الدين المحلى.

– شرح أحمد بن قاسم العبادى الشافعى على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى على الورقات.

– "غاية الوصول شرح لب الأصول" وكلاهما لأبى يحيى زكريا الأنصارى وعليه حواشى محمد الجوهرى والمتن هو "جمع الجوامع" للسبكى (٧٧١هـ).

– حاشية البنانى على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلى على متن "جمع الجوامع" للسبكى أيضا، وبهامشها تعزيز عبد الرحمن الشربينى. فهناك أربعة نصوص، المتن والحاشية والشرح والتقرير.

– فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت" لعبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى، والمتن "مسلم الثبوت" لمحب الله بن عبد الشكور (١١٢٩هـ) على حاشية "المستصفى" للغزالى.

الملخصات والمختصرات. فالمتن بين التوسيع والتضييق، بين الإسهاب والاختزال. فإذا كانت الغاية من الإسهاب هو أن يعيش المتن على نفسه، ويكون قناة لتجميع المعلومات اللغوية والفقهية والأصولية من مواد أخرى، فإن الغاية من الاختصار هو التركيز والحرص على اللب والتمسك بالقلب. وهو ليس اختصارا للمتن بل هو اختصار للشروح والحواشى، عمليات كر وفر ذهاب وعودة، وإقدام وإحجام تنتهى فى النهاية إلى "محلك سر" فى أصل المتن أو المتن الأصلى[1]. فى الشرح عندما تعيش الحضارة على ذاتها، تتضخم من الداخل كالبالون الذى يزداد انتفاخا بالهواء فلا يتمدد إلا من الداخل وفى المختصر يتم الانكماش إلى الداخل عندما يقل الهواء تدريجيا حتى الوصول إلى جلد البالون نفسه، النص الأول، هيكله الأساسى دون تفريع أو تشعب أو استطراد. وفى كلتا الحالتين، لا يضاف جديد ولا تبدع بنية. كلاهما حركة فى المكان، بطيئة فى الشرح أو سريعة فى المختصر.

وتتكرر مادة علم الأصول. كل كتاب لاحق يبنى على السابق ويزيد عليه فى التفصيلات، يعدل بنيته أو يغير اتجاهه. فالمادة متكررة ومتشابهة أكثر منها متنوعة ومختلفة. وفى ثقافة لا تعرف حق ملكية الأفكار، فإن اقتباس اللاحق من السابق وارد حتى دون الإحالة إليه أو ذكره. فالفكر جماعى، والبنية موضوعية، والعلم حضارى. لذلك يكفى أكبر قدر ممكن من نماذج النصوص الأصولية دون إحصاء كامل شامل لها. المطبوع يغنى عن المخطوط، والمطبوع الموجود يغنى عن المطبوع الغائب.

وتتفاوت كتب الأصول فى التحقيق بين المغالاة فيه إلى حد ترقيم العبارات والفقرات وعشرات الفهارس للآيات والأحاديث والأعلام والأماكن والاستدراكات والمراجع والمفردات المفسرة والفوائد اللغوية المستنبطة وبين الطبعات الأزهرية غير المحققة والمفهرسة التى تملأ الصفحات بالمتون والهوامش والحواشى. وما بينهما طبعات بولاق القديمة وسط بين الاثنين، دقيقة من حيث التصحيح ولكنها ليس مفهرسة أو مخرجة.

وأخيرا تتفاوت عناوين الكتب القديمة حول سبعة اتجاهات:

---

(١) من هذه المختصرات: "مختصر تنقيح الفصول" لشهاب الدين القرافى (المالكى) (٦٨٤هـ)، "قواعد الأصول" لصفى الدين البغدادى (الحنبلى) (٧٣٩هـ) وهو مختصر. "منتهى الوصول والأمل فى علمى الأصول والجدل" لابن الحاجب، "مختصر المنار" لزين الدين الحلبى" (الحنفى) (٨٠٨هـ). وكلها مع "الورقات" للجوينى مطبوعة تحت عنوان "مجموع متون أصولية".

١- العناوين المحايدة غير الدالة على خاصية خاصة مثل "كتاب" أو "رسالة"[1].

٢- العناوين الحذرة التى تفيد الاقتراب من الموضوع مثل "التقريب" أو الإرشاد إليه مثل "الإرشاد" أو الإعداد له مثل "العدة والطريق"[2].

٣- العناوين الصوفية الدالة على أن الأصول أيضا وإن كانت برهانية إلا أنها لمحات وومضات وبرقات مثل "اللمع"، "المنار"، "أنوار البروق"، "بديع النظام"[3].

٤- العناوين البرهانية التى تدل على أن الأصول برهانية مثل "البرهان"، "تقويم الأدلة"، "تأسيس النظر"، "مسلم الثبوت"[4].

٥- عناوين الأصول والقواعد والأحكام والقواطع والعمد والمعتمد والمآخذ[5].

٦-عناوين التلخيص والتركيز والزبدة والمنخول والتنقيح والمستصفى والمحصول والذخيرة وشفاء الغليل والتحرير[6].

٧- عناوين الجمع والتوفيق وتجميع الأصول والموافقات بين المذاهب[7].

أما عنوان "من النص إلى الواقع" فإنه يدل على مرحلة جديدة فى تطور علم الأصول والتحول فيها من النص الواقع، أى من الحرف إلى المصلحة استئنافا للشاطبى والطوفى. فسواء كان الأصل عقلا بطريقة المتكلمين أو نصا بطريقة الفقهاء فإن أصول الفقه الجديدة تبدأ من الواقع ومن مصالح الناس المتغيرة بتغير العصور. وهو رد فعل على ما يحدث فى هذا العصر من تضحية بالمصالح العامة باسم النص، وتراكم مآسى الناس باسم الشريعة. صحيح أنه كانت هناك

---

(١) مثل "الرسالة" للشافعى.

(٢) مثل "التقريب والإرشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلانى.

(٣) مثل "اللمع" للشيرازى، "المنار" للنسفى، "أنوار البروق فى نوار الفروق" للقراقى، "بديع النظام" للساعاتى.

(٤) مثل "البرهان" للجوينى، "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسى، "تقويم النظر" لابن شعيب، "مسلم الثبوت" لابن عبد الشكور.

(٥) مثل "القواطع" لابن السمعانى، "العمد" للقاضى عبد الجبار، "المعتمد" لأبى الحسين البصرى، "الاحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم، والآمدى، أصول السرخسى، أصول البزدوى، أصول الجصاص، "مآخذ الشرائع" للماتريدى.

(٦) مثل "المستصفى"، "المنخول"، "شفاء الغليل" للغزالى، "المحصول" للرازى، "التنقيح" لصدر الشريعة، "التحرير" لابن الهمام، "الذخيرة" للقرافى.

(٧) مثل "جمع الجوامع" للسبكى، "الموافقات" للشاطبى.

محاولات لإصلاح قانون الأحوال الشخصية ولإعادة النظر فى قضايا الربا والفائدة وعوائد شهادات الاستثمار وصناديق التوفير، ولكنها مازالت محاولات جزئية مترددة، لها مؤيدوها ومعارضوها. إنما الإصلاح الجذرى هو العودة إلى أصول التشريع ومناهج الاستدلال وإعادة بناء علم أصول الفقه نفسه استئناف للشاطبى فى "الموافقات" وللطوفى فى "المصالح المرسلة" ولعلال الفاسى فى "مقاصد الشريعة ومكارمها" ولجمال الدين عطية فى "تفعيل مقاصد الشريعة".

٣- **الدراسات الثانوية.** كانت المؤلفات الإصلاحية آخر المحاولات لتجديد علم الأصول عند علال الفاسى، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد باقر الصدر. بعدها تحولت إلى كتب مدرسية ومؤلفات جامعية تعرض القدماء أو المحدثين بدعوى الموضوعية والحياد، وكأن العلم أصبح غريبا على العلماء، والعلماء غرباء عن العلم. فالأصول تراث من القدماء يُنقل ويُعرض ويتاجر به. لا فرق بين حامل العلم والعالم استئنافا لعلماء الخلافة العثمانية، علماء المشيخة وفقهاء السلطنة.

جاء وقت واعتبر العالم فيه نفسه خارج التراث، متفرجا عليه، إما بدعوى الحياد والموضوعية والتاريخية والبعد عن الأيديولوجيا والمواقف الشخصية أو خوفا من أخذ موقف فى عصر يحاصر فيه العالم بين المطرقة والسندان، بين السلفية التى تكفر وتستبعد وتحاصر وتقصى، والعلمانية التى تدفع وتؤيد وتشجع. وفى كلتا الحالتين، يصب الزيت على النار ويشتعل الحريق[1]. وربما كان الوضع الاقتصادى للعالم أيضا مسئولا عن هذا التأليف الجامعى لمزيد من الإثراء عن طريق تأليف كتب مقررة على مستوى الطلاب من أجل الاستذكار والامتحان ثم نسيان كل شئ بعده. فلا عرف الطالب كيف نشأ علم أصول الفقه القديم ولا بنيته. ولا حاول أن يجتهد لتطويره إلى علم أصول فقه جديد، وفاقد الشئ لا يعطيه. وربما كان تأليف المعارين لجامعات شبه الجزيرة العربية أحد الأسباب أيضا حتى يطمئن الأستاذ إلى تجديد العقد واستقرار الحال والحرص على المال[2].

وقد غذى ذلك الاتجاه المحايد الاستشراق والمنهج التاريخى والخلط بين المعلومات والعلم. فقد بدأ الاستشراق منذ القرن التاسع عشر هذا النوع من التأليف للعلم به والتعريف بمضمونه.

---

(١) وأشهر مثال على ذلك قضية نصر حامد أبو زيد.

(٢) هناك العشرات من هذا التأليف تزدخر بها المكتبات العامة والخاصة يكفى الاطلاع على فهارس المكتبات العامة والمعروض منها فى المكتبات التجارية لمعرفتها.

فهو جديد بالنسبة للمستشرق مع أنه مألوف لنا. يكفى أن يذكر المستشرق الشافعى واضعا علم الأصول فى الرسالة أو "المستصفى" للغزالى أو "المحصول" للرازى حتى يكون عالما معلما. ويغلب عليه المؤلفون لا المؤلفات، أسماء الأعلام أكثر من أسماء المصنفات. فالمؤلف لديه علم يتميز به عن مؤلف آخر مع أن العلم يضع نفسه من خلال المؤلفين. ولا يهتم ببنية العلم ولا بروح الحضارة. ولا يهدف إلى تطويره وإعادة بنائه. ولا يبغى مصلحة عامة أو الدفاع عن قضية. فالحضارة ليست حضارته، والقضية ليست قضيته، والأمة ليست أمته، والمعاناة ليست معاناته. يكفيه التاريخ والتعريف بما أنتجه الأسلاف ومحاولات المصلحين. ينشر المخطوطات نشرا علميا سليما. وفى إطار الانبهار بالغرب بدأ أيضا الإعجاب بالاستشراق وتقليده فأصبح تاريخ علم الأصول هو علم الأصول، لا فرق بين مستشرق غربى أو شرقى وباحث وطنى، عربى أو إسلامى.

لذلك كانت الدراسات الثانوية موضوع دراسة وليست دراسة لموضوع. تكشف دراسات العرب والمسلمين عن حال البحث العلمى والموقف من التراث الإسلامى وحال الأمة وموقف علمائها من قضاياها. وتكشف دراسات المستشرقين عن موقف الاستشراق. مناهجه وأهدافه ونتائجه، وعن موقف الباحث الغربى أو الشرقى من التراث الإسلامى، إيجابا أم سلبا. وهو موضوع يدخل فى "أنثروبولوجيا الثقافة" أكثر مما يدخل فى علم أصول الفقه.

الفصل الأول

كشـــف البنيـــة

الفصل الأول
كشف البنية

أولا: بنية علم الأصول.

وتعنى البنية القواعد والأصول التى يقوم عليها العلم طبقا لتقسيم واضعه. وهى بنية ظاهرية بصرف النظر عن ما وراءها الميتافيزيقى فى الوجود أو النظرى فى العقل.

ولا يعنى البحث عن القواعد والأصول الوقوع فى التجريد الرياضى أو التحليل المنطقى. فهذه الأصول مستقراه من الشريعة وأحكامها الجزئية. إنما يكون البحث عن أصول الأصول وتعميق الأصول النظرية العامة فى أسسها الشعورية فى التجربة الإنسانية الحية. وهذا هو الفرق بين المبادئ وما بعد المبادئ، والمنطق وما بعد المنطق، والأصول وما بعد الأصول. وتعنى "ما بعد" هنا "ما قبل" أو "ما تحت"[1].

وتؤخذ البنية هنا بالمعنى العادى وهو القسمة أو "التمفصلات" بلغة المغاربة. وتتجلى القسمة فى الأقسام والأبواب والفصول ليس باعتبارها أجزاء للنص بل باعتبارها كاشفة عن وعى المؤلف بالموضوع وطريقة تصوره وقسمته له.

والهدف من هذا التصنيف التاريخى البنيوى لكتب علم الأصول الكاملة هو بيان كيف تتأسس القواعد والأصول التى ينبنى عليها العلم. كيف بدأت الأصول فى "الرسالة"، وبلغت الذروة فى القسمة الرباعية فى "المستصفى"، الثمرة، والمستثمَر، وطرق الاستثمار، والمستثمِر، وكيف تحولت هذه القسمة الرباعية فى "الموافقات" إلى قسمة رباعية أخرى، ثنائية مضاعفة، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، وأحكام الوضع وأحكام التكليف. وكما لا يمكن القول أن ترتيب كتب الأصول تاريخيا لمعرفة تطورها، نشأة واكتمالا، من البداية إلى النهاية هو المنهج التاريخى لأنه لا يخرج عن النص كوحدة تحليل أولى إلى الواقع الخارجى. كذلك لا يمكن القول إن محاولة الكشف عن القواعد والأصول الثلاثية والرباعية، أقل أو أكثر، للعلم هو منهج بنيوى لأنه لا يتجاوز الوصف للبنية الداخلية لتطور العلم. فالبنية ليست موضوعا سابقا على التاريخ، فى الذهن أو فى الواقع بل هى شئ يتخلق عبر العصور، ويتطور بتطور روح الحضارة، قوة وضعفا، بداية ونهاية، نشأة واضمحلالا من أجل العثور على بنية العلم الثابتة وتحريكها من جديد بروح

---

(1) Axiomatics, Meta-axiomatics, Logic, Meta-logic, Mathematics, Meta-mathematics.

هذا العصر.

وتتدرج البنية من البنية الثنائية ("قواطع الأدلة" للسمعانى، "مفتاح الوصـول" للتلمسـانى) إلى الثلاثية ("الرسالة" للشافعى، "الإشارات" للباجى، "المذهب" للأخسيكى، "البحـر المحيـط" للزركشى، "التحرير" لابن الهمام، "مسـلم الثبـوت" لعبـد الشـكور) إلى الرباعيـة ("أصـول" ابـن فورك، "المستصفى" للغزالى، "الاحكام" للآمـدى، "مختصـر المنتـهى" لابـن الحـاجب، "منـهاج الوصول" للبيضاوى، "أصول المنار" للنسفى، "تنقيـح الأصـول" للبخـارى، "رسـالة" السـيوطى، "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى، "نشـر البنـود" للشـنقيطى، "ألفيـة الوصـول" لإبراهيـم شـقير، "نظـم مختصـر المنـار" لبسـنوى زاده) إلى الخماسـية ("مـيزان الأصـول" للسـمرقندى، "الموافقات" للشاطبى)[1]. إلى السباعية ("بـذل النظـر" للأسمنـدى، "جمـع الجوامـع" للسـبكى، "إرشاد الفحول" للشوكانى) إلى الثمانيـة ("البرهـان" للجوينـى، "روضـة النـاظر" لابـن قدامـة). فالغالب هى البنية الثلاثية والبنية الرباعية. وقد يكون للأصولى الواحد أكثر من متن، تتشابه فى البنية أو تختلف ويكون لكل متن بنية. ولا يعنى ترتيب المصنفات زمانيا أن البنية تتغـير بتغـير الزمان. فالبنية الثلاثية هى الثابت وما قبلـها تجميـع فيـها، ومـا بعدهـا تفريـع عليـها. البنيـة الثلاثية فى النص وفى الشعور، فى المتن وفى الواقع. والشعور ثابت والنص متغـير طبقـا للمـادة العلمية، والواقع الشعورى ثابت والمتن المدون متغير طبقا للمعلومات المتوافرة.

ثانيا: البنية الأحادية.

١- "المقدمة فى أصول الفقه" للقاضى عبد الوهاب المـالكى (٤٢٢هـ)[2]. تـدور كلـها حول الفرق بين الأحكام التكليفية الخمسـة، الواجـب والمنـدوب والمحظـور أو المحـرم والمكـروه والمباح فى الشرع وفى اللغة كمقدمة لأول "التلقين" ثم انفصلت عنه[3]. ففـى الشـرع الواجـب مـا حرم تركه أو ما فعله ثواب وفى تركه عقاب والأول أفضل. وهو نوعان ليس فى تركه عقـاب إذا كان له بدل والثانى به عقاب لأن لا بدل له. وله ألفاظ أخرى مثل مكتـوب، ثـابت، مفـروض،

---

(١) يقوم "الموافقات" على بنية رباعية فإذا أضيفت إليها المقدمات تصبح خماسية.

(٢) القاضى عبد الوهاب على بن نصر البغدادى المالكى (٤٢٢هـ): "المقدمة فى أصـول الفقـه، المقدمـة فـى الأصـول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحـق ص ٢٢٧-٢٣٤.

(٣) "قال القاضى: وكنت أجعل هذه مقدمـة لأول "التلقين" ولكـن خرجـت منـه نسـخ فكرهـت إفسـادها"، السـابق ص ٢٣٤.

محتوم، لازم، مستحق، وهى ألفاظ من الكتاب والسنة واللغة. والمندوب ما فعله ثواب وليس فى تركه عقاب. وله ألفاظ أخرى مثل مسنون، نفل، تطوع، فضيلة، مرغوب فيه. والمحظور نقيض الواجب، ما تركه ثواب وفعله عقاب. ويسمى أيضا محرم. والمكروه تركه ثواب وعمله ليس به عقاب. والمباح يستوى فيه أحوال المكلفين، لا ثواب ولا عقاب فى فعله أو عدم فعله.

أما فى اللغة فتختلف معانى الألفاظ الخمسة. فالوجوب فى اللغة السقوط، والفرض إما التقرير أو الثبوت. والسنة الطريقة، والندب الدعاء إلى الشئ، والنفل فعل ما ليس عليه عقاب. والمحظور المنوع، والكراهة نفور النفس من الشئ. والإباحة التوسعة. وعند الأصوليين يأتى المعنى الشرعى اعتمادا على المعنى اللغوى، ونقله من المعنى الحسى إلى المعنى الشرعى. وتستشهد المقدمة بعدة آيات وبيت شعر واحد لأبى ذؤيب للتأكيد على معنى السنة أى الطريقة. ولا توجد أسماء أعلام أو فرق. وهنا يتخلق العلم حول أحكام التكليف الخمسة. ويتم الانتقال من المصطلح إلى اللغة ثم من اللغة إلى العالم عبر المعنى الاشتقاقى فتظهر أحكام التكليف ليست فقط مستنبطة من النص بل أيضا مستقراه من الواقع. فالنص واقع، والأصل تجربة. وفى الشعور يتفاعل النص مع الواقع من خلال اللغة. وهذا هو الذى جعل معظم المتون الأصولية تبدأ بأحكام التكليف باعتباره النواة الأولى لعلم الأصول.

ثالثا: البنية الثنائية.

١- "مسائل فى أصول الفقه" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢ هـ)[1]. وتدور أيضا حول أحكام التكليف الخمسة: الوجوب والندب والحظر والكراهة والإباحة عند علماء الأصول وعلماء اللغة وما يتعلق بها من الطاعة والصحة والرخصة. والصحة والرخصة ضمن أحكام الوضع، السبب والشرط والمانع والعزيمة والرخصة والصحة والبطلان. ثم يظهر إجماع أهل المدينة الخاص بمالك للدفاع عنه ثم الأدلة الشرعية الخمسة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس والعمل، "واعتقاد ما يؤدى صحيح النظر فى ذلك فيه". فإذا كانت أفعال التكليف تمثل الثمرة أى الوعى العملى، والأدلة الأربعة أو الخمسة تمثل المثمِر فإن الوعى النظرى أى مباحث الألفاظ تظل غائبة. من الثمرة وهى أحكام التكليف يخلق المثمِر بتعبير "المستصفى" قبل طرق الاستثمار أى مباحث الألفاظ. ومن ثم تتحول البنية الأحادية إلى بنية ثنائية، الأحكام والأدلة. وقد أراد

---

(١) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى: مسائل فى أصول الفقه مستخرجة من كتاب "المعونة على مذهب أهل المدينة"، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٣٥-٢٥٠.

المؤلف أن يصنف تأليفا فوضع له هذه المقدمة بدلا من الخاتمة ثم انفصالها عنه وإجازتها خوفا من الوقوع فى الاختلاف حولها[1]. وهو نفس السبب الذى جعله يكتب "المقدمة فى علم أصول الفقه" كمقدمة للتلقين أى العلم المدون.

والأحكام الخمسة جزء من أحكام الشريعة وآدابها. فهى جزء من الأخلاق العلمية. أما إجماع أهل المدينة فهو حجة تحرم مخالفته نقلا وإن كان يمكن ذلك اجتهادا. وهو يرجح على غيره ولا يحرم عدم القول به. والإجماع به عن طريق النقل، نقلا لقول أو فعل أو إقرار أو ترك. وهو أصل عديد من المسائل وإن كان ليس فى قوة أخبار الآحاد والمقاييس. والدليل على صحته اتصال نقله المتواتر. وشرطه تساوى الأطراف، وامتناع الكذب والتواطؤ. وهم أهل المدينة قرنا بعد قرن، وخلفا عن سلف. أخذ به أبو يوسف وتراجع بسببه عن مسألة أخذ فيها حكم صاحبه أبى حنيفة. كما أنه حجة عن طريق الاستنباط والاجتهاد. فقد شافه أهل المدينة الرسول واستمعوا إلى كلامه. ومن المدينة انتشرت السنن. وهو ليس حجة عند أبى بكر وكافة البغداديين من الأصحاب. وإذا ثبت أنه ليس حجة تحرم مخالفته فهو أولى من اجتهاد غيرهم إذا اقترن بأحد الخبرين المتعارضين رجح به على ما حرى عنه. فهو عامل مرجح للانتقال من الظن إلى اليقين لما له من ميزة المعاينة والرجحان والمشاهدة والمعرفة بمخارج الكلام. فاجتهادهم أولى. وكان بعض الصحابة يؤخر حكمه وهو خارج المدينة حتى يعود إليها، وهى دار الهجرة وموطن الصحابة. وإذا ما تعارضت الأخبار مع عمل أهل المدينة تم ترجيح عمل أهل المدينة لأنه أشبه بالنقل المتواتر.

وعمل أهل المدينة هو المصدر الخامس بعد الأدلة الشرعية الأربعة. ومنها تستمد الأحكام بالاجتهاد والنظر دون الاعتقاد بالمذاهب الفقهية أو بأقوال المتكلمين دون طلب الدليل. وهذا هو مذهب مالك الذى اعتقده المبتدءون بالدليل النقلى والعقلى. اعترف به الشافعى ومحمد بن إدريس والأوزاعى والثورى وتأويل الأئمة مثل ابن جُريج وابن عيينة وعبد الرحمن مهدى. ويظهر أسلوب الرد على الاعتراض المسبق من أجل نفى الدليل المعارض[2]. ومن الأدلة النقلية، يتقدم القرآن الحديث[3]. والقرآن هو المصدر الأول. ومن أسماء الأعلام يتساوى مالك والشافعى وابن

---

(١) "وقد كان فى حق التصنيف أن يكون الابتداء أولى من الخاتمة ولكن تجدد هذا الرأى بعد خروج نسخ منه كرهنا إفسادها بالاختلاف" السابق ص ٢٣٧.

(٢) السابق ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) القرآن (١١)، الحديث (٤).

جريج. ثم يأتى أبو حنيفة وأبو يوسف والثورى والأوزاعى وغيرهم[1]. فلم يحن الوقت بعد لتفضيل مذهب على آخر. ومن المجموعات يتقدم بطبيعة الحال أهل المدينة على البغداديين والتابعين والأصوليين وأهل اللغة[2].

٢- "فصول مختارة فى أصول الفقه" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ)[3]. وهى كما يدل العنوان فصول مختارة من كتاب المؤلف "الملخص فى أصول الفقه" والذى يحيل إليه مرات عديدة[4]. ويقوم على فصول خمسة: النظر، والإجماع، والحث على النظر وذم التقليد، وفساد التقليد، والفرق بين الحقيقة والمجاز. ولما كان البعض منها يدخل فى موضوع واحد مثل النظر، والحث على النظر وذم التقليد، وفساد التقليد دخلت كلها فى فصل واحد أشبه بالمقدمات النظرية الأولى حول اللغة والمنطق أو أشبه بالدليل الرابع وهو القياس. ويبقى الإجماع الدليل الثالث، والفرق بين الحقيقة والمجاز من مباحث الألفاظ. ومن ثم تتشكل بنية ثنائية من الأدلة، الإجماع والقياس، ومباحث الألفاظ. ومادة الإجماع مشابهة لكتاب "الإجماع" لنفس المؤلف. ويتساوى النظر والإجماع كما. وكلاهما أكبر من الحقيقة والمجاز[5]. فالخليتان هنا هما المصادر الأربعة ومباحث الألفاظ أى المثير وطرق الاستثمار بعد أن أصبحت الثمرة مكتسبا تاريخيا. ويتجلى فيه أيضا أسلوب الرد على الاعتراضات مسبقا. ويعتمد على الآيات أكثر من الأحاديث[6]. وتقل أسماء الأعلام باستثناء القاضى أبى بكر، ومالك بن أنس. كما تقل أسماء الفرق والجماعات إلى الحد الأدنى تتقدمها المالكية[7].

ويثبت المؤلف صحة النظر وأنه مثمر للعلم ومفيد لحقيقته إذا رتب على سننه بإجماع أهل العلم. لذلك فإنه واجب يُعرف به الصواب والخطأ فى الاستدلال[8]. وفى الحث على النظر وذم

---

(١) مالك، الشافعى، ابن جريج، عبد الرحمن بن عوف عمر (٢)، الثورى، أبو يوسف، أبو حنيفة، الأوزاعى، محمد بن إدريس، عبد الرحمن مهدى، أبو بكر بن حزم، أبو الزناد، ابن مسعود، سعيد بن المسيب، على ربيعة (١).

(٢) أهل المدينة (٤)، البغداديون، الأصوليون، أهل اللغة، التابعون (١).

(٣) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى: فصول مختارة فى أصول الفقه، "مقدمة فى الأصول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٨٩-٣٠٨.

(٤) الملخص (٥).

(٥) النظر، الإجماع (٨)، الحقيقة والمجاز (٢).

(٦) الآيات (٢٢)، الأحاديث (٧).

(٧) المالكية (٢)، الصحابة، المسلمون (١).

(٨) وتذكر بعض الأدلة النقلية مثل: **﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾**، **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾**، **﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**، **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾**، السابق ص ٢٩١-٢٩٢.

التقليد من أول "المقدمات فى علم أصول الفقه" يذكر أدلة نقلية أخرى[1]. والتفقه من الفهم والتبين. ولا يكون إلا بالنظر فى الأدلة دون التقليد. فالتقليد لا يثمر علما. وقد جاء النص بذم التقليد. والمقلِّد قد يصيب ويخطئ ولا يراجعه المقلَّد. وإذا علم وجه التقليد بالدليل والحجة فإنه ليس مقلدا. وقد حث القرآن على النظر والاعتبار وطلب الدليل[2]. وناظر الصحابة بعضهم بعضا. فالتفقه هو النظر والاعتبار عن طريق الاستدلال الصحيح. واتباع مذهب مالك ليس عن طريق التقليد بل عن طريق الدليل. ويتكرر نفس الشئ فى فصل "فساد التقليد" بأنه لا يثمر علما. ولا ينكره إلا صاحب رئاسة أو مصلحة أو نشوة أو عادة أو عصبية. والمقلد إما أن يكون عالما بموضوعه فهو عالم وليس مقلدا أو غير عالم فيظل به جاهلا لغياب الدليل.

وفرق بين الاجتهاد والقياس. الاجتهاد أعم من القياس كما أن الاستدلال أعم من القياس لأن كل قياس استدلال، وليس كل استدلال قياسا. والرأى فى اللغة يتعلق بالتدبير والمشاورة والمصالح. وفى الشرع ما يتوصل به إلى الحكم الشرعى من جهة الاستدلال والقياس. وإذا قام على دلالة قاطعة كان إجماعا. الرأى هو المذهب والقول بالحكم فقط. ولا يستعمل إلا ما كان فيه خلاف. وليس من شرطه الصحة[3].

والإجماع حجة فى كل عصر وغير مقيد بوقت ولا حال. وبالرغم من أن الوحى قد انقطع والشريعة محفوظة فإن الأمة وريثة الشرع والمحافظة عليه من الخطأ والضلال. والأمة قادرة على الحكم على الحدث. وإن تولت فإنها أيضا قادرة على نقله. ولا يقع الخطأ منها. ورتبته أقل من السنة قولا وفعلا وإقرارا. ولا يشترط وصول حد الإجماع حد التواتر وإلا شق على الناس. فلا تحديد مطلق له ولا بأقل القليل. ولا يشترط فيهم وجود المعصوم. فالعصمة للجماعة وليست للآحاد. كلهم من المسلمين. وعصمتهم أنهم من الأولين. وإذا كان الإجماع أقل من عدد التواتر فإنه يكون استدلالا. وإذا قل العدد وامتنع الكذب فلا يزول وصف العدالة عنهم أو الأخذ

---

(١) مثل: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾، ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب﴾، ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾. ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾، ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾، ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾، السابق ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) مثل: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾. ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعملون﴾، ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾، السابق ص ٣٠٣.

(٣) السابق ص ٣٠٥-٣٠٦.

بشهاداتهم. وإذا استحال الإجماع نظرا لجواز الكذب أو لعدم ظهور المهدى فإن السمع يؤمنه. وإذا أجمع الصحابة على أحد القولين فإنه يجوز للتابعين إحداث قول ثالث. وقد يظهر القائم بالحق والداعى إلى الهدى مما يجعل الأمة قادرة على معرفة الصواب[1].

و"الحقيقة والمجاز" هو مبحث الألفاظ الوحيد. لا يعرف بالفعل أو بالسمع بل عن طريق اللغة بالرغم من تقدم الفعل على اللغة. وينقل اللفظ إلى غير معناه بقرينة أو دليل. ثم يأتى السمع بعد اللغة وفهم الخطاب ومعرفة الاستعمال وإقرار وضع الألفاظ لمعانيها أو لغير ما وضعت له. فاللغة هى القادرة على التمييز بين الحقيقة والمجاز. وصرف الكلمة مثنى وجمعا واشتقاقا وتعلقا بمعلوم واستعمالها فى موضع غيرها يجعلها مجازا مثل **﴿وما أمر فرعون برشيد﴾** أى جملة أفعاله. واطراد الكلمة فى موضع وعدم اطرادها فى موضع آخر دون مانع يجعلها مجازا لوجوب اطراد الحقيقة وإلا كان ذلك نقضا للغة مثل تسمية الجد أبا وابن الابن أبا وعدم اطرادها. وتقوية الكلام بالتأكيد يجعله مجازا عند القاضى أبى بكر (الباقلانى)، يجعله من علامات التمييز بين الحقيقة والمجاز، لا يتضرر بالتأكيد بل يفيد الحقيقة مثل **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾**[2].

٣- "قواطع الأدلة فى الأصول" لأبى المظفر السمعانى (٤٨٦هـ)[3]. وفيه تنتظم أصول الفقه فى بنية ثنائية "الأوامر والنواهى" و"العموم والخصوص" وهى أبحاث أو مباحث الألفاظ. ويشمل العموم والخصوص المطلق والمقيد. وتبقهما مقدمتان. الأولى مقدمات أصول الفقه، وتشمل الأدلة الشرعية الأربعة وهى تتخلق من حيث الألفاظ والترتيب. إذ تتعدد ألفاظ القياس وتتنوع مثل العقل والقياس والنظر والجدل والدليل والحد، ستة ألفاظ استقر منها القياس. كما تتنوع ألفاظ الإجماع بين الملة والإجماع ثم استقر الإجماع. ويتغير الترتيب. إذ يأتى العقل قبل الكتاب[4]. وتشمل المقدمة الثانية "أقسام الكلام ومعانى الحروف" وهى تعادل "المبادئ اللغوية" كمقدمة عامة للعلم فى كثير من مصنفات الأصول مثل "المستصفى". ويتساوى الأصلان تقريبا من حيث الكم فى حين أن المقدمتين لا تتعدى ثلث أى من الأصلين. والعنوان يوحى بالأصول، وبه قدر من الإبداع "قواعد الأدلة". فالثنائية هنا تضم مباحث الألفاظ والمصادر الأربعة أى طرق

---

(١) "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتى الله أمرا"، السابق ص ٣٠٠.

(٢) السابق ص ٣٠٦-٣٠٨.

(٣) أبو مظفر السمعانى: قواطع الأدلة فى الأصول، تحقيق د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة ط١، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤) المقدمتان (٥٤)، الأوامر والنواهى (١٦١)، العموم والخصوص (١٤٥).

الاستثمار والمثير، وتختفي أحكام التكليف، الخلية الأولى في البينة الأحادية. إنما الخوف من القواطع أن تكون قطعا. والقواطع نفسها عليها خلاف كما يبدو في الكتاب.

وتتكون أبحاث "الأوامر والنواهي" من أبواب وأقوال وفصول ومسائل. فهناك باب الأوامر وباب النواهي. وبعد باب الأوامر "القول بالوقف في الأوامر والنواهي" و"باب القول في النواهي". ومباحث العموم والخصوص تبدأ بالقول في العموم والخصوص وتتخلل الأبواب فصول وتتخلل الفصول مسائل[1]. بل قد تجتمع بعض المسائل والفصول نظرا لأهميتها في عنوان فرعي خاص مثل "مسائل قصار وفصول من المذهب تليق بهذا الوضع"[2]. وقد تظهر بعض الموضوعات الفرعية كفروع للمسائل دون تحديد لنوع قسمتها[3]. وطريقة رصد "المسائل" الخلافية قبل عرض الأصول هي نفس الطريقة التي اتبعها الغزالي في "المستصفى".

والأصول مناسبة لرصد خلاف الفرق الكلامية والفقهية. لذلك غلب الجدل والحجاج والسجال لدرجة تخطئة جميع الآراء الكلامية والفقهية المخالفة وتصويب رأي المؤلف وأصحابه ومذهبه عندما يقول "أصحابنا" و"مذهبنا". يعرض آراء المخالفين ثم يرد عليها حجة حجة بأسلوب "فإن قيل ... قلنا"، "فإن قالوا ... قلنا" حتى يضيع الأصل وسط الخلاف حوله تغيب الأصول لصالح الفروع، ويختفي الاتفاق في خضم الاختلاف.

ولما كان المذهب الفقهي أو الكلامي لا يمثل اتجاها واحدا بل به أغلبية وأقلية فكثيرا ما توضع أسماء التبعيض قبل الفرقة مثل "بعض أصحابنا"، "بعض الأصحاب"، "جماعة من أصحابنا"، "بعض أصحاب الشافعي"، "بعض الفقهاء". وينطبق التبعيض أيضا على المتكلمين مثل بعض المتكلمين. وقد يكون التبعيض بألفاظ طائفة أو جماعة أو شرذمة أو قوم أو جماعة أو بعضهم على الإطلاق دون تعيين. وقد يكون التبعيض بالأغلبية وليس بالأقلية مثل أكثر المعتزلة، "أكثر أصحابهم من العراقيين"، "سائر الأصحاب"[4].

---

(١) فصول الأوامر والنواهي (١٢)، فصول العموم والخصوص (١٧)، مسائل فصول الأوامر والنواهي (٧)، ومسائل فصول العموم والخصوص (١٠).

(٢) قواطع الأدلة ص ١٨٣-٢٢١.

(٣) مثل: من هم الذين يتناولهم الخطاب، ومن فروع هذه المسألة، تخصيص العموم بالإجماع، التخصيص بالإجماع السكوتي، تخصيص الخبر بمذاهب راوية، التخصيص بالقياس، السابق ١٩٨/٢٦٣-٢٦٧/٣٠٧-٣١٤.

(٤) بعض أصحابنا (١٧)، بعض الأصحاب، بعض المبتدعة، بعض النحويين، بعض المتكلمين، بعض المخالفين، بعض من ينسب إلى الكلام، بعضهم، شرذمة من فقهاء العراقيين (٢)، طائفة من الفقهاء، جماعة من أصحابنا، طائفة من المتكلمين، شرذمة من الفقهاء، طائفة قليلة من أصحابنا، قوم من المتكلمين، جماعة أكثر المتكلمين (٣)، أكثر الفقهاء، أكثر أصحابنا (١).

ويتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين وتتغير الأصول مما يدل على التراكم المذهبي ونشأة الوعي التاريخي[1].

وتتقدم المذاهب الفقهية بطبيعة الحال على الفرق الكلامية. إذ يتقدم الشافعي وأبو حنيفة على المعتزلة والأشاعرة بالرغم من أن المؤلف حنفي إلا أن الشافعي يتقدم في وعيه الأصولي نظرا لأنه مؤسس علم الأصول. وهو في النهاية التلميذ الذي فاق الأستاذ ونسق مذهبه وأعاد إليه التوازن بين العقل والواقع، بين النص والمصلحة. ولا يحال إلى مؤسسي المذاهب وحدهم مثل الشافعي وأبي حنيفة بل أيضا إلى الفرقة الفقهية وأصحاب المذهب مثل أصحاب أبي حنيفة. ويتوحد معهم المؤلف ويقول أصحابنا[2]. ويشار إلى الجماعة أو الفرقة على العموم دون تخصيص بالكل والكافة أو تبعيض بالبعض أو الطائفة[3]. وقد يكون الرأي بالإجماع عند "كافة المسلمين"، "عامة أهل اللغة"[4].

ومن أسماء الأعلام يتقدم الشافعي وعيسى ابن أبان والقفال والقاضي أبو يزيد والكرخي على أبي حنيفة، والأصولي على الجماعة، والفرد على المذهب[5]. ومن المتكلمين الأشاعرة يتقدم الباقلاني على الأشعري[6]. ومن المعتزلة يتقدم أبو هاشم على أبو علي والنظام[7]. وتتساوى باقي الفرق مثل الظاهرية لأبي داود الظاهري. ومن اللغويين يتقدم سيبويه[8]. ثم يتساوى الفقهاء تباعا[9].

ويتم الاستشهاد بالشعر والشعراء مثل النابغة، وكميت ولبيد. فالقرآن وريث الشعر،

---

(١) المتقدمون، بعض أصحابنا من المتأخرين، المتأخرون من أصحابنا، جماعة من متأخريهم (١).

(٢) أصحاب أبي حنيفة (١٦)، المعتزلة (١٢)، أصحابنا، الأصحاب (١١).

(٣) كافة المسلمين، عامة أهل العلم، جمهور أهل العلم، عامة الفقهاء.

(٤) مثل أهل اللغة (٦)، الفقهاء (٤)، المتكلمون، الواقفية (٢)، أهل العلم، العلماء، أهل الكلام، أهل التحقيق من الفقهاء، أهل الظاهر، الفقهاء المتكلمون (١).

(٥) الشافعي (١٧)، القاضي أبو يزيد، عيسى بن أبان (٨)، القفال (٥)، أبو حنيفة، الكرخي (٤)، أبو زيد الدبوسي (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، أبو عبد الله البصري (جعل)، أبو العباس بن سريج، المزني (١).

(٦) الباقلاني (٥)، الأشعري (٤)، الاسفرايني، القاضي أبو ماجد، ابن الدقاق، داود الظاهري، أبو بكر الصيرفي، أبو الحسن البصري (١).

(٧) أبو هاشم (٤)، أبو علي (٢)، النظام، القاضي عبد الجبار (١).

(٨) سيبويه (٣)، المبرد، الخليل، الفراء، ابن فارس، الشماخ، الخطابي (١).

(٩) الماوردي، أبو بكر الرازي، ابن كيسان، محمد بن شجاع، نفطويه، أبو علي بن خيران، أبو علي بن أبي هريرة، أبو بكر الأشعري، الحسن، طاووس (١).

والشعر أصله الأدبى، والقديم يفسر الجديد، والجديد تطوير للقديم. ويتم اللجوء إلى عادة العرب، وكلام العرب، وأساليب العرب مما يدل على الأصل العربى لمباحث الألفاظ[1].

ولما كان الكتاب جدليا فقد اعتمد على كثير من الشواهد النقلية، القرآن والحديث، والقرآن أكثر بأربعة أضعاف تقريبا[2]. كما تتم الإحالات إلى بعض المؤلفات الأصولية السابقة مثل "الإفصاح" للقفال الشاشى، و"المعتمد" لأبى الحسين البصرى. ويحيل العمل إلى نفسه مما يدل على وحدته ورؤيته الكلية[3].

٤- "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع علـى الأصـول" للتلمسـانى (٧٧١هـ)[4]. ويقوم على قسمة ثنائية عقلية تنقسم بدورها إلى أقسام ثنائية من أجل بناء الفروع على الأصول كما يكشف عن ذلك العنوان. وبالرغم من أن التلمسانى مالكى المذهب إلا أنه عقلانى القسمة. لا يبدأ بالمصالح المرسلة كما هو معروف عند المالكية بل بالبحث عن القسمة العقلية للعلم كله بحيث يصبح النقل جزءاً منها. فالأصول تنقسم إلى جنسين: دليل بنفسه ومتضمن فى الدليل. والدليل بنفسه ينقسم إلى نوعين: أصل وفرع. والأصل ينقسم إلى صنفين: نقلى وعقلى، وهو الاستصحاب. والنقلى ينقسم إلى أربعة أبواب: سند ومتن ونسخ وترجيح. والسند ينقسم إلى فصلين: متواتر وآحاد. والمتواتر كتاب وسنة. والمتن قول وفعل وتقرير. وينقسم القول إلى جهتين: منطوق ومفهوم. وينقسم المنطوق إلى طرفين: الدلالة على الحكم، والدلالة على منطق الحكم. وتنقسم الدلالة على الحكم إلى أمر ونهى وتخيير. وتنقسم الدلالة على منطق الحكم إلى نص ومجمل وظاهر ومؤول. والمفهوم موافقة أو مخالفة. والترجيح فى السند أو فى المتن. والفرع وهو القياس ينقسم إلى قياس الطرد وقياس العكس وقياس الاستدلال. وقياس الطرد ينقسم إلى أركانه الأربعة، الأصل والفرع والعلة والحكم، وأقسامه. أما المتضمن فى الدليل فهما الإجماع وقول الصحابى. ومن ثم تتدرج القسمة من الجنس إلى النوع إلى الصنف إلى الباب إلى الفصل إلى الجهة

---

(١) الشواهد الشعرية (١١)، العرب (١٠)، كلام العرب (٤)، لسان العرب (٣)، لبيد، الكميت، النابغة، الحسن بن هانى (١).

(٢) الآيات (٢٠٦)، الأحاديث (٥٧).

(٣) قواطع الأدلة ص ١٤٩/١٣٧.

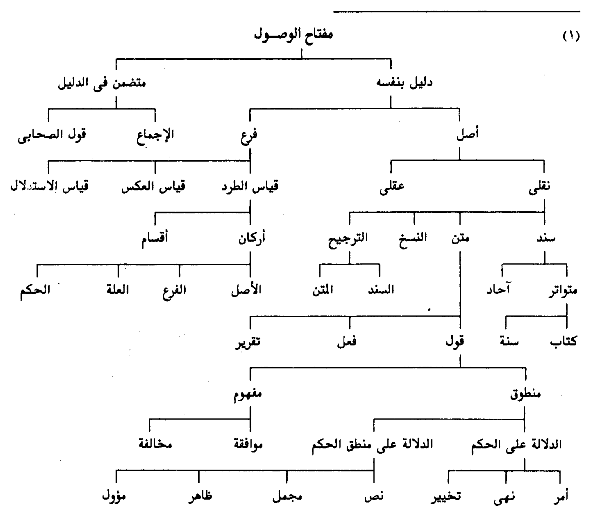
(٤) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكى التلمسانى: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، حققه وخرج أحاديثه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

إلى الطرف إلى المسائل، ثمانية أقسام متراتبة من العام إلى الخاص[1]. أكبرها الدليل بنفسه، والأصل أكبر من الفرع، والنقلى أكبر من العقلى، والمتن أكبر من السند، وقد تشفع بخاتمة[2]، والنسخ أكبر من الترجيح[3]. ومع ذلك فهو نص مختصر حظى بشروح كثيرة فيما بعد. وتدخل أفعال التكليف ضمن المنطوق. فالبنية الثنائية هى طرق الاستثمار والمستثير وليس الثمرة التى اختفت كخلية أولى.

وبالرغم من أن التلمسانى مالكى المذهب يعتمد على المصالح المرسلة، إلا أنه كثير الاعتماد على الشواهد النقلية. وتتعادل الآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية. كما انه يكثر من مراجعة الروايات للتحقق من صدقها بالرغم من بعد العهد بجمع السنة وصحة الأسانيد. لذلك تكثر أسماء الرواة لدرجة أنها تزيد على أسماء الأصوليين. كما يتم الاستشهاد بالشعر[4]. وذلك يدل

---

(١)



(٢) مفتاح الوصول ص ٢٥.

(٣) الدليل بنفسه (١١٩ص)، المتضمن فى الدليل (٣). الأصل (٩١)، الفرع (٢٨). النقلى (٩٠)، العقلى (١). المتن (٧٨)، السند (١٢). النسخ (٨)، الترجيح (٦).

(٤) القرآن (١٤٦)، الحديث (١٤٥)، الشعر (٥).

على أن النص والمصلحة شيء واحد، إذ يمكن استنباط المصلحة من النص كما يمكن استقراؤها من الواقع. والتجربة الشعرية هي نقطة الالتقاء بين النص والواقع. وفي المقابل تغيب الحجج العقلية، فالمالكية توجيه للنص نحو الواقع بصرف النظر عن الأساس النظري كما تفعل الحنفية. لذلك اقتربت من الحنبلية في العودة إلى النص. ومع ذلك لا يخلو من حجاج. وبالرغم من أن الكتاب يهدف إلى "بناء الفروع على الأصول" إلا أنه استغرق في الفروع، وفي رصد الاختلافات أكثر من عرض أوجه الاتفاق بين المذاهب. والجواب الصحيح عند "أصحابنا". ولا يستبعد أن يكون أيضا عند المذاهب الأخرى كالحنفية. ويحكم بالصحة والبطلان على المواقف بعد التحقيق و"تحقيق المذهب"[1]. ومن ثم يخلو الكتاب من الجديد أو اكتشاف مدخل جديد يُعاد بناء العلم عليه كما فعل الشاطبي في "المقاصد". ويحيل إلى كتب الفقه والأصول الأخرى لمن شاء التوسع في المسائل[2].

وتتقدم المالكية بلفظ "أصحابنا" ثم أصحاب الشافعي، ثم أصحاب أبي حنيفة ثم الحنابلة إشارة إلى مجموع الفقهاء. وأحيانا تكون الإحالة إلى المذهب الفقهي الشافعية والحنفية والمالكية والظاهرية. وأحيانا يحال إلى مؤسس المذهب الفقهي مثل أبو حنيفة والشافعي. وأحيانا يذكر مذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي. والعجيب الإحالة إلى الحنفية والشافعية قبل المالكية مما يدل على أن المالكية في البداية لم تكن منافسة للحنفية والشافعية وإن ازدهرت في النهاية[3]. ويحال إلى أعلام الفقهاء والمتكلمين[4]. كما يحال إلى الأصوليين على العموم وإلى الفقهاء وإلى الأكثرين وجمهور العلماء والمعتزلة والظاهرية وأصحابنا المشارقة لما كان المؤلف من المغرب، من تلمسان[5]. ويحال إلى عديد من الصحابة والرواة[6].

---

(١) مفتاح الوصول ص ٤١.

(٢) مفتاح الوصول ص ٣٢/٣٠/٢١.

(٣) أصحابنا (١٦٣)، أصحاب الشافعي (٢٦)، أصحاب أبي حنيفة (٢١)، الحنابلة (٣). الشافعية (٦٣)، الحنفية (٦٢)، المالكية (٥)، الظاهرية (١)، أبو حنيفة (٩)، الشافعي (٥)، مالك (١)، مذهب أبو حنيفة (٢)، مذهب الشافعي (١).

(٤) ابن القاسم، ابن الانباري (٢)، ابن خويزمنداد، ابن حبيب، أبو يوسف، أحمد بن حنبل، الجوهري، الباقلاني، ابن حزم، أبو عبد الله البصري، الدبوسي، أبو موسى الأشعري (١).

(٥) الأصوليون (١٤)، الجمهور (٦)، الفقهاء (٥)، الأكثرون، جمهور العلماء، المعتزلة، الظاهرية، أصحابنا المشارقة (١).

(٦) مثل عائشة، ابن معين، الدارقطني، الجعفي، أبو ثور، ابن أبي كعب، ابن جريج.

٥- "المختصر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" لابن اللحام (٨٠٣هـ)[١]. وهو استمرار لهذا اللون من التأليف عن طريق التجميع باسم المختصر. وهى أصول حنبلية تجمع بين الأصول الحنفية والشافعية. فالتجميع سابق على التمذهب. وأقرب إلى الشرح منه إلى التلخيص والمختصر كما يدل العنوان. ويكشف ذلك عن بداية الوعى التاريخى عند المتأخرين عندما يبدأ العلم فى تاريخ ذاته، ورصد مساره من البداية إلى النهاية. لذلك تكثر أسماء الأعلام، فقهاء وأصوليين ومتكلمين ورواة وصحابة وتابعين بحيث يستحيل تحليل المضمون. ومن الواضح أنه تراكم حنبلى من ابن عقيل لرصد أقوال السابقين مع كثير من التكرار دون إضافة جديدة. وأحيانا يذكر الكتاب. ويحرص فى إصدار الأحكام التى تبدأ بالتبعيض والتخصيص بلفظى "الأكثر" و"البعض". وكما هو الحال عند الحنابلة تظهر الأدلة النقلية، والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ويقل الشعر. ففى صحوة التجميع يختفى الوجدان[٢].

وربما مال الكتاب إلى اعتبار الصواب دائما من جانب الإمام أحمد وفقهاء الحنابلة بوجه عام. فهى الفرقة الناجية. وهى قريبة من الأشعرية، الفرقة الناجية فى علم أصول الدين. لذلك يقال "عند أصحابنا والأشعرية". وتظل المعتزلة تمثل الخصوم من كثرة الإحالة إليهم أكثر من الأشاعرة بالرغم من سطوة الغزالى فى المشرق والمغرب.

وتغيب البنية المحكمة إذ يضم الكتاب مجموعة من الموضوعات المتفرقة يتم التحقق من الخلاف فيها. ونظرا لغياب البنية فإنها تخلو من الترقيم. كل موضوع مقسم إلى مسائل. والموضوعات نفسها إلى أقسام أبواب أو فصول. ومع ذلك يمكن تلمس بنية ثنائية غير ظاهرة، الأحكام والأدلة بعد مقدمة عن تعريف العلم واللغة. فاللغة وليس المنطق هو مدخل العلم. والأدلة أكبر من المقدمة والأحكام[٣]. وتشمل الأحكام مبدأ الحكم "لا حاكم إلا الله" والحكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه. والأدلة هى الأدلة الأربعة المعروفة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها القياس بالرغم من الحنبلية[٤]. وتظهر مباحث الألفاظ كعنصر مشترك بين الكتاب والسنة

---

(١) أبو الحسن علاء الدين على بن محمد بن على بن عباس البعلى المعروف بأبى اللحام: المختصر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) القرآن (٦١)، الحديث (١٨)، الشعر (١).

(٣) الأدلة (١٩٣)، المقدمة (٣٢)، الأحكام (٢١).

(٤) القياس (٢٥)، الإجماع (٦)، الكتاب (٣)، السنة (٢).

والإجماع لضبط فهم النص ووضع منطق لغوى له. وهو أكبر من الأدلة مجتمعة[1]. وهى الخبر، والأمر والنهى، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، ومفهوم المخالفة والموافقة فى فحوى الخطاب ثم النسخ. وأكبرها العام والخاص ثم الخبر ثم النسخ، وأصغرها المطلق والمقيد. والعجيب أن يدخل الخبر مع مباحث الألفاظ[2]. وهو أقرب إلى السنة. كما أن ثنائيات اللفظ مذكورة كل طرف فيها على حدة دون الجمع بينهما. والظاهر مذكور بمفرده دون المؤول. ويضم القياس الاستصحاب والاجتهاد والتقليد والترجيح. وأكبرها الترجيح ثم التقليد ثم الاجتهاد ثم الاستصحاب. فالترتيب الكمى عكس الترتيب الكيفى[3].

وتكشف البنية الثنائية عند السمعانى عن أهمية مباحث الألفاظ، الأوامر والنواهى، العموم والخصوص، وعند التلمسانى عن أهمية الاستدلال، الدليل بنفسه، الأصل والفرع، والنقلى والعقلى، والمتضمن فى الدليل مثل الإجماع. فالكتاب والسنة يدخلان ضمن نظرية فى الاستدلال النقلى كما يدخل القياس فى نظرية للاستدلال العقلى، وعند ابن اللحام الأحكام والأدلة دون طرق الاستدلال. يركز السمعانى والتلمسانى على الوعى النظرى التأملى وحده، وابن اللحام على الوعى التاريخى والوعى العملى وكأن الوعى النظرى مكتسب حضارى لغوى تكفيه المقدمة وليس فى بنية العلم.

رابعا: البنية الثلاثية.

١- "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)[4]. بالرغم من أن "الرسالة" للشافعى إملاء وليست تحريرا إلا أنها تكشف ولو شكليا عن بنية ثلاثية من خلال قسمتها إلى أجزاء ثلاثة لا حدود بينها، ومتداخلة فى موضوعاتها[5]. فالجزء الأول عن "البيان" وهو مصطلح أصيل يعنى بيان الأدلة النقلية وأوجه الاستدلال بها فى حالة تعارض رواياتها وظواهرها من الكتاب والسنة، والعموم والخصوص والناسخ والمنسوخ بل والفرائض أى الواجب فى أحكام التكليف وإذا ما تغير أسلوب الإملاء إلى أسلوب الحوار لم تتغير القواعد أو الأصول[6]. والجزء الثانى استمرار لأحكام

---

(١) مباحث الألفاظ (١٢١).

(٢) العام والخاص (٣٣)، الخبر (٢٩)، النسخ (١٩)، المجمل والمبين (١٣)، مفهوم الموافقة والمخالفة (٧)، الظاهر والمؤول (٥)، المطلق والمقيد (٢).

(٣) الترجيح (١٢)، التقليد (١١)، الاجتهاد (٧)، الاستصحاب (٦).

(٤) الإملاء ص ٧-٣٦٩، الحوار ص ٣٦٩-٦٠١.

(٥) الشافعى: الرسالة. تحقيق أحمد محمد شاكر، مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

(٦) لذلك تبدأ بعض الفقرات بصيغة قال الشافعى، وأخرى قال فقط.

التكليف فى المحرم نقيض الفرض، استمراراً للموضوع وإن كان انقطاعاً فى الشكل. وتستعمل صيغة النهى فى المحرم دون استعمال صيغة الأمر فى الفرض، وهما من مباحث الألفاظ. ويبدو التعليل فى الأحاديث وطرق الاستدلال بها وليس فى الأفعال، العلل النظرية وليست العلل المادية. لذلك ينتهى الجزء الثانى بباب العلم وبباب خبر الواحد هل يورث العلم أم لا؟ فالجزء الثانى بين الوعى التاريخى فى العلل فى الأحاديث والوعى النظرى فى مباحث الألفاظ والوعى العملى فى المحرم من أحكام التكليف. والجزء الثالث استمرار لموضوع خبر الواحد آخر الجزء الثانى ومدى حجيته. ثم يعرض الإجماع، الدليل الثالث ثم القياس والاجتهاد والاستحسان أشكال الدليل الرابع وأخيرا الاختلاف وهو ما أصبح التعرض والتراجيح.

ويمكن القول أن الأجزاء الثلاثة التى تتكون منها الرسالة هى فى الحقيقة عن الأدلة الشرعية فى الجزء الأول "البيان" خاص بالقرآن، والثانى خاص بالحديث "العلل فى الأحاديث"، والثالث خاص بالإجماع والقياس والتعارض والتراجيح خاصة إذا ما تعارض خبر الواحد مع القياس[1]. وتتساوى الأجزاء الثلاثة فيما بينها كماً تقريبا وإن اختلفت فى عدد الأبواب[2]. وهى بنية عقلية خالصة لا تعتمد على اجتهادات سابقة لأن "الرسالة" أول اجتهاد مؤسس هذا العلم. لا تحيل إلا إلى ذاتها باسم الكتاب أو كتابنا وكتابى. وكثير من الفقرات تنتهى بالعبارة الشهيرة "الله أعلم" وأقل منها "أسأل الله التوفيق إن شاء الله".

وهنا وعى ضمنى بالقسمة غير المعلنة. وكلها مستنبطة من الوعى التاريخى أى الخبر[3]. وهناك أيضا وعى بالأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس[4]. وأحيانا تذكر السنة والإجماع أو الكتاب والسنة. وتتفرق الموضوعات فى أكثر من مكان مثل الناسخ والمنسوخ

---

(١) قرأت الرسالة منذ أكثر من خمس وأربعين عاما وكنت متأثرا "بالمستصفى" فلما وجدتها أقل منه لم أعطها الاهتمام الكافى. والآن تبدو أهميتها فى ضبط الخبر والاستدلال فى الرواية مما جعله عند القدماء "ناصر السنة" وعند المحدثين "مقصى العقل" (نصر حامد أبو زيد). وكلاهما صحيح فى عصره.

(٢) الجزء الأول (٢٠٠ ص)، الثانى (١٨٥)، الثالث (٢١١). الأول (١٦ بابا)، الثانى (٤)، الثالث (٥).

(٣) فأول ما نبدأ به بعد ذكر سنة رسول الله مع كتاب الله ذكر الاستدلال بسنته على الناسخ والمنسوخ من كتاب الله، ثم ذكر الفرائض المنصوصة التى سنى رسول الله معها ثم ذكر الفرائض، المجمل التى أبان رسول الله عن الله كيف هى ومواقيتها ثم ذكر العام من أمر الله الذى أراد به العام والعام الذى أراد به الخاص ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب، السابق ص ١٠٥.

(٤) "وجهة العلم الخبر فى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس"، السابق ص ١٣٧/٣٩، "توسمت قولك فى الإجماع والقياس بعد قولك فى حكم كتاب الله وسنة رسوله أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله إذا تفرقوا فيها؟"، السابق ص ٥٩٦.

والفرائض[1]. وقد توجد بعض المناقشات النظرية للقواعد الأصولية قبل أن تتحول إلى علم دقيق[2]. كما يبدأ تجميع بعض الأحاديث فى معانى قبل أن تتحول إلى قاعدة[3].

ويختلط الفقه بالأصول، وتتداخل الأصول مع الفقه. فالعلم فى أول نشأته قبل التمييز بين الأصول والفروع. وتظهر بعض القواعد الفقهية قبل أن تتحول إلى علم مستقل "علم القواعد الفقهية" مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطاق"[4]. وتبدو بعض المناطق الجغرافية مثل الشام التى أثرت فى تكوين المدارس الفقهية[5]. وهناك وعى ببداية تخلق المذاهب فى هذه الفترة المبكرة وبداية المذهب الأصولى الأول[6].

والشافعى تلميذ أبى حنيفة تلميذ مالك. لم يكن لمالك قصب السبق فى وضع علم الأصول وهو أستاذ أبى حنيفة أستاذ الشافعى. ربما كانت المصالح المرسلة اتجاها نحو الواقع لا يحتاج إلى تنظير عقلى. وربما كان الوقت مبكرا فى القرن الأول، ولم يكن التنظير لأى علم قد بدأ بعد. وربما كان الحجاز، أقرب إلى الأثر والنقل من العراق ومصر، من العقل والواقع. ولم يسبق أبو حنيفة فى وضع علم الأصول وهو أستاذ الشافعى، ويعتمد على العقل والرأى والنظر والاجتهاد، وكان التنظير قد بدأ عند المعتزلة الأوائل. وهو من أهل العراق حيث يسود الرأى والنظر وإعمال العقل. تأسس العلم عند الشافعى الذى يجمع بين العقل والواقع، بين الرأى والمصلحة، بين العراق ومصر. ولم يتم استئنافه عند أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعى ربما لأنه عاد إلى النص الخام دون تنظير من العقل أو المصلحة أو الجمع بينهما.

٢- "الإشارات فى أصول الفقه المالكى" للباجى (٤٧٤هـ)[7]. وبالرغم من الإعلان عن بنية ثلاثية، أن الأدلة الشرعية على ثلاثة أضرب: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال. إلا أن تقسيم الكتاب جاء على نحو آخر، فى ستة عشرة فصلا، النية موجودة ولكنها لم تتحقق. القصد فى الذهن ولكنه لم يتحول إلى فعل.

---

(١) السابق، الناسخ والمنسوخ ص ١٠٦-١١٧/١٣٧-١٤٧، الفرائض ص ٧٩-١٠٦/١١٧-١٣٧/١٦١-٢٠٤.

(٢) مثل المناقشات النظرية حول النسخ ص ١٢١-٢٢٢، والفرق بين خبر الواحد والشهادة ص ٣٨٠-٣٨٤/٣٩٢-٣٩٤.

(٣) السابق ص ٢٣٧.

(٤) السابق ص ١٢٨.

(٥) السابق ص ١٣٩/٢٩٢.

(٦) فقال لى قائل: "قد فهمت مذهبك فى أحكام الله وأحكام رسوله"، السابق ص ٤٧١.

(٧) أبو الوليد بن سليمان بن خلف الباجى: الإشارات فى أصول الفقه المالكى، تحقيق وتعليق د. نور الدين مختار الخادمى، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.

الأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. هى الأدلة الشرعية الثلاثة الأولى. ويتضمن مباحث الألفاظ فى الأبواب العشرة الأولى، أقسام أدلة الشرع، والعموم، والاستثناء، والأسماء العرفية وأفعال النبى، والأخبار، والناسخ والمنسوخ، والإجماع. والأصل الثانى، معقول الأصل يشمل أبواب لن الخطاب وفحوى الخطاب والحصر ومعنى الخطاب والقياس. وهى مباحث المعانى والعلة، جمعا بين مباحث الألفاظ والقياس الأصل الرابع. والأصل الثالث استصحاب الحال ويشمل أبواب الترجيح للمتون والمعانى وهى من ملاحق القياس. وتغيب أحكام التكليف، ثمرة العلم بتشبيه "المستصفى". وتتضم طرق الاستدلال بحيث تضم أصلين، الثانى والثالث. فتضم الوعى النظرى على حساب الوعى العملى.

وعلى هذا النحو تختلف الأصول الثلاثة فيما بينها كما. الأصل الأول، الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع، أكبر بكثير من الأصل الثانى. والثانى أصغر بكثير من الثالث[1]. ومباحث الألفاظ فى الأصل الأول تستغرق أكثر من نصف الأصل[2]. وتأتى السنة قبل القرآن.

وتغلب الحجج النقلية على الحجج العقلية. وتظهر الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[3]. كما يستشهد بالشعر العربى لشرح ألفاظ القرآن. ومن الشعراء يذكر امرؤ القيس والنابغة وأبو تمام[4]. ومن علماء الأصول يأتى فى المقدمة الباقلانى والشافعى ثم أبو حنيفة ثم داود الظاهرى، ثم مالك بن أنس، ثم المزنى ثم الكرخى وآخرون غيرهم[5].

٣- "المذهب فى أصول المذهب على المنتخب" للاخسيكى (٦٤٤هـ)[6]. وتبرز القسمة الثلاثية بوضوح وهى الأدلة الأربعة والأحكام وحروف المعانى[7]. وأكبرها القسم الأول وأصغرها

---

(١) الأصل الأول (٤٦)، الثانى (١١)، الثالث (٢١).

(٢) مباحث الألفاظ (٢٥)، السنة (٩)، القرآن (٧)، الإجماع (٥).

(٣) القرآن (٦٣)، الأحاديث (١٧).

(٤) الإشارات ص ١٥٥/٦٦.

(٥) الباقلانى، الشافعى (١٠)، أبو حنيفة (٩)، ابن خويزمنداد (٨)، عمر بن الخطاب (٧)، داود الظاهرى (٦)، مالك بن أنس (٤)، عائشة، ابن عباس، ابن عمر بن الخطاب، ابن المنتاب (٣)، الابهرى، عثمان، أبو الفرج المالكى، المزنى، البغدادى عبد الوهاب القاضى، الكرخى (٢)، الأسفراينى، إسماعيل القاضى، أبو بكر بن واحد، أبو بكر الصديق، أبو بكر الصيرفى، ابن جرير الطبرى، خليل اللغوى، أبو عبيدة، فريحة بنت مالك، ابن القصار، ابن المسيب سعيد، النخعى، أبو هريرة (١).

(٦) سلطان الشريعة وبرهان الحقيقة العلامة حسام الدين محمد بن محمد الاخسيكى الحنفى: المذهب فى أصول المذهب (جزءان)، دار الفرفور، دمشق ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٧) الأدلة الأربعة (٩٣٧)، الأحكام (٢٤٨)، حروف المعانى (٧٢).

الثالث. وفى الأدلة الأربعة الكتاب أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع[1]. والفرق بين الثلاثة الأولى خلاف فى الدرجة فى حين أن الفرق بين الثلاثة الأولى والدليل الرابع فرق فى النوع. لذلك تذكر الأدلة ثلاثة ويضاف إليها الرابع مستنبط منها بدلا من أن تكون الأدلة أربعة متتالية[2]. ويشمل الكتاب مباحث الألفاظ: النظم والاستدلالات الفاسدة والأمر والنهى وأضرارهما وأسباب الشرائع والعزيمة والرخصة. وتشمل السنة أقسامها والتعارض والتراجيح والبيان والأفعال وشرع من قبلنا وتقليد الصحابى وتقليد التابعى. ويتناول الإجماع أركانه وحجيته وأهليته وعصره وكثرته ومراتبه ونسخه وسنده ووجوه النقل. أما القياس فيضم شرائطه وأركانه وحكمه ومتى يرفع والترجيح فى العلل. أما القسم الثانى، الأحكام، فهو الثمرة فى "المستصفى" المحكوم به والحكم والمحكوم عليه، والأهلية وجودا وعدما. والقسم الثالث حروف الجر تضم حرف العطف والجر والشرط. وهى أقرب إلى المبادئ اللغوية.

وهو نص قصير للغاية وضع له الناشر المعاصر شرحا يتجاوزه عشرات المرات وكأن عصر الشروح لم ينته بعد، بهدف إظهار العلم أو التربح بنشر جزأين. والنص مجرد للغاية يكاد يخلو من أسماء الأعلام والفرق إلا فى أضيق الحدود. ولما كان المؤلف حنفيا يتقدم أبو حنيفة ثم الشافعى ثم الشيبانى ثم أبو يوسف ثم الجصاص وأخيرا عيسى بن أبان والكرخى والبزدعى[3]. ومن الفرق يتقدم بطبيعة الحال أصحابنا، وأصحابنا المتقدمون، وعلماؤنا ومشايخنا. ثم يأتى العلماء والفقهاء والجمهور، ثم المشايخ وأئمة الفتوى وأئمة اللغة والعامة[4]. ومن الفرق يتقدم المعتزلة والأشاعرة[5]. وتقل الشواهد النقلية للغاية حتى مع أولوية الآيات على الأحاديث[6]. كما تقل المحاجة العقلية إلى أقصى حد للتركيز على البنية الخالصة بوضوح وتركيز شديدين. ولا يحكم بالخطأ والصواب أو الصحة والفساد بل يشار إلى المختار فحسب[7].

---

(١) الكتاب (٣٥٣)، السنة (٢٧١)، القياس (٢٠٠)، الإجماع (١٠٤).

(٢) "إن أصول الشرع ثلاثة: الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والأصل الرابع القياس المستنبط من هذه الأصول الثلاثة، المذهب جـ١/٤٩.

(٣) أبو حنيفة (١٢)، الشافعى (٩)، الشيبانى (٧)، أبو يوسف (٦)، الجصاص (٢)، عيسى بن أبان، الكرخى، البزدعى (١).

(٤) أصحابنا (٣)، أصحابنا المتقدمون، علماؤنا، مشايخنا (١). العلماء (٣)، الفقهاء، الجمهور (٢)، أئمة اللغة، أئمة الفتوى، المشايخ والعامة (١).

(٥) المعتزلة (٢)، الأشاعرة (١).

(٦) الآيات (١٨)، الأحاديث (٤).

(٧) والمذهب المختار جـ١/٤٦٦.

٤- "تيسير الوصول إلى قواعد الأصول" لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى (٧٣٩هـ)[١]. وهو اختصار لعمل المؤلف "تحقيق الأمل" دون الإخلال به بل "مجردة عن الدلائل" أى مع تخفيف الحجج النقلية والعقلية حتى يسهل تعلمه[٢]. لذلك أتى واضحا قصيرا مركزا. ويقوم على بنية ثلاثية الأحكام والأدلة ثم الاجتهاد والتقليد. وأكبرها الأدلة وأصغرها الاجتهاد والتقليد[٣]. وتشمل الأحكام التكليف والوضع[٤]. وتضم الأدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها السنة لأنها تضم مبحث الألفاظ، ثم القياس ثم الإجماع، وأصغرها الكتاب[٥]. كما تضم الأدلة الأصول المختلف فيها مثل شرع من قبلنا وقول الصحابى والاستحسان والاستصلاح[٦]. وفى الباب الثالث الاجتهاد أكبر من التقليد حتى ولو كان بعض الانبعاج الكمى لصالح الأدلة الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب الأحكام وهو الوعى العملى، والاجتهاد والتقليد وهو الوعى النظرى[٧]. والمؤلف على وعى بهذه البنية الثلاثية الرئيسية فى تقسيم المتن إلى ثلاثة أبواب ويعلن عنها صراحة[٨]. ولا توجد أقسام أخرى، فصول أو أقسام أو فنون حرصا على البنية الأولية باستثناء الأدلة الأربعة وتسمية كل دليل أصلا، وتسمية كل من الأمر والنهى والمفهوم بابا، نظرا لطول مباحث الألفاظ وضرورة قسمتها قسمة فرعية ثانية. ويدل ذلك على أثر "المستصفى" فى قسمته الرباعية وردها إلى الثلاثية. وقد أفاض الناشر الحديث فى الشرح على طريقة القدماء وكأننا مازلنا فى العصر المملوكى العثمانى عصر الشروح والملخصات نظرا للبيئة الثقافية التى يعيش فيها فى شبه الجزيرة العربية وتقدمه لدرجة علمية تُعطى على أكبر قدر ممكن من المعلومات والشروح حتى ولو تحول العلم إلى تعالم، والعقل إلى نقل. وهناك تنبيه واحد خلال المتن[٩].

---

(١) الإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى (٧٣٩هـ): تيسير الوصول إلى قواعد الأصول، شرح عبد الله بن صالح الفوزان، دار الفضيلة، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٢) "هذه قواعد الأصول ومعاقد الفصول من كتابى المسمى بـ "تحقيق الأمل" مجردة عن الدلائل، من غير إخلال بشىء من المسائل، تذكرة للطالب المستبين، وتبصرة للراغب المستعين"، السابق ص ١٩-٢٠.

(٣) الأدلة (٥٨٣)، الأحكام (٧٤)، الاجتهاد والتقليد(٤٤).

(٤) الأحكام التكليفية (٣٨)، الأحكام الوضعية (٣٦).

(٥) السنة (٣١٦)، القياس (١٧٢)، الإجماع (٣٠)، الكتاب (١٧).

(٦) تيسير الوصول ص ٤٦٩-٥١٣.

(٧) الاجتهاد (٧١)، التقليد (١٣).

(٨) تيسير الوصول ص٢٨-٣٢.

(٩) السابق ص٢٢٣.

ويعتمد على عدد من الشواهد النقلية دون الشعرية[١]. وبالرغم من أن المؤلف حنبلى إلا أن الثقافة فى عصره كانت شافعية حنفية. لذلك يتقدم أبو الخطاب ثم القاضى ثم أبو حنيفة ثم الشافعى ثم مالك، ثم التميمى ثم ابن حامد وأخيرا أحمد. ثم يتداخل فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية مثل الجزرى وابن شقلا وعيسى بن أبان والقفال والرازى وابن عقيل والكرخى والبستى والغزالى والعنبرى والخرقى. ويظهر المتكلمون مثل المعتزلة والنظام والجاحظ. وقد ظل الأثر قائما حتى هذا العصر المتأخر[٢]. ومن الفرق والمذاهب يتقدم الشافعية ثم الحنفية ثم المتكلمون ثم الفقهاء ثم المعتزلة ثم الظاهرية وأخيرا "أصحابنا" قبل المالكية قبل أن تؤكد سلطانها مما يدل على سيادة المذاهب الفقهية الثلاثة الأولى على الحنبلية فى الثقافة الفقهية المتأخرة. وتذكر المعتزلة فى الغالب أكثر من القدرية[٣].

٥- "البحر المحيط فى أصول الفقه" لبدر الدين الزركشى (٧٩٤هـ)[٤]. تبدو نهاية الإبداع فى علم الأصول وبداية تجميع آراء السابقين، وإعمال الذاكرة بدلا من العقل، وتحويل العلم إلى موسوعة ضخمة تنقل كل شئ ولا تقول شيئا. فالاسم على مسمى "البحر المحيط"، ومع ذلك لا يشرب منه. ويبدو أن "الموافقات" للشاطبى كانت آخر إبداعات علم الأصول. وفى هذه الحالة التلخيص كنوع أدبى أفضل من الشرح لأنه تركيز فى حين أن الشرح إسهاب، ولكن الغالب على هذه الفترة كانت الشروح على المتن والهوامش على الشروح والتخريجات على الهوامش[٥]. ويصيب الروح بالخواء، ويشعر القارئ بالضياع.

ضاعت الأصول وسط الفروع، واختفت الاتفاقات وسط الاختلافات، وتاهت الكليات وسط الجزئيات. وغابت عن علم أصول الفقه البحث عن معايير للسلوك الانسانى وقواعد له. أصبحت

---

(١) القرآن (٢٥)، الحديث (١٦).

(٢) أبو الخطاب (٢٤)، القاضى (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، الشافعى (٨)، مالك (٦)، التميمى (٥)، أحمد (٤)، ابن حامد (٣)، الجزرى، ابن شقلا، ابن داود، أبو بكر عبد العزيز، الجاحظ، عيسى بن أبان (٢). القفال، الرازى، ابن عقيل، الكرخى، البستى، النظام، القاضى يعقوب، العنبرى، الخرقى، الغزالى، أبو ثور (١)، ومن الصحابة والتابعين داود (٢)، عمر، أبو بكر، ابن عباس، العطار، الحسن، ابن جرير (١).

(٣) الشافعية (٣١)، الحنفية (٢٤)، المتكلمون (١٥)، الفقهاء (٩)، المعتزلة (٧)، الظاهرية (٦)، أصحابنا (٤)، القدرية، المالكية، المحققون (٢)، أصحاب الحديث، المحدثون، بعض النحاة، متأخروا النحاة، المجتهدون، التابعون، العلماء المحققون، متأخروا أصحابنا، أهل العربية والكلام، أهل اللغة، أهل الشرع والشرعية (١).

(٤) الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى: البحر المحيط فى أصول الفقه، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد محمد تامر (أربعة مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥) انظر كتابنا "من النقل إلى الإبداع"، المجلد الأول النقل، الجزء الثالث: التفسير، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠.

الخلافيات بديلا عن الواقع الذى يحتاج إلى توحيد القوى وهو ما نحن فيه الآن. ومكانـها كلـها فى الهوامش لإبقاء الأصول فى صلب المتن حتى لا يختلط القش مع التبر. وأحيانا تظـهر البنيـة العقلية وسط الركام الضخم من الروايات والأقوال حتى ولو كانت نقلا عن ابن تيمية[1]. وكل قول تسبقه الرواية كما هو الحال فى علم الحديث، وكل متن يعتمد فى صحة نقله على صحة السند. فطغى السند على المتن. وبرزت الرواية على حساب الموقف والرأى. وإذا كان هناك رد على الاعتراضات فبراوية أخرى. فهل النقل صحيح؟ وهل هو عن مصادر شفاهية يصعب تصديقها نظرا لبعد الزمن الأول أو عن مصادر كتابية؟ والأرجح المصادر الكتابية نظرا لورود اقتباسات بطريقة المحدثين، بداية ونهاية. وهى طريقة التأليف الغالبة اليوم[2]. ويشرح الاقتباسات مع كثير من التكرار.

وإذا كثرت الروايات وتزايد النقل قل الشعر واختفى الوجدان. ولما كان العقل لا يعمل، والذاكرة لا تحتوى فإنه يصعب الدخول فى "البحر المحيط" والخروج منه لأن القارئ سرعان ما يغرق فيه ويغوص فى القاع[3].

وهو مملوء بالشواهد النقلية، والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية بنفس المنهج النقلى[4]. ونظرا لكثرة الإحالات يحيل العمل أيضا إلى نفسه للتذكير بأقسامه. لذلك يصعب تطبيق منهج تحليل المضمون لكثرة أسماء العلام من الرواة والصحابة والتابعين والفقهاء المعروفين والذين طواهم النسيان، والملوك والخلفاء والأئمة والقضاه والأصوليين والمتكلمين والصوفية وهى تبلغ الآلاف. لذلك استحال عمل ثبت بأسماء الأعلام فى الطبعات الحديثة. وأحيانا يكتفى بالإشارة إلى مؤلف الكتاب. ولأول مرة يحال إلى ابن تيمية مما يدل على نهاية فترة وبداية أخرى فى مسار الحضارة الإسلامية. وتكثر ألقابهم وتتنوع بين القاضى والأستاذ والشيخ والإمام وهى ألقاب فى أصول الفقه غيرها فى أصول الدين أو علوم الحكمة أو التصوف. وعادة ما يكتفى باللقب دون الاسم. فالقاضى هل هو الباقلانى؟ والأستاذ هل هو ابن فورك؟ والشيخ ابن سينا غير الشيخ فى أصول الفقه. والإمام هل هو الرازى؟

---

(١) البحر المحيط جـ١/٢١٢.

(٢) يتحدث المؤلف نفسه فى المقدمة عن مصادره، السابق جـ١/٣-٦.

(٣) بدأت قراءته فى منتصف يناير محاولا تطبيق تحليل المضمون عليه لمعرفة مكوناته ومصادره وتوجهاته التى استمرت حتى القرن الثامن الهجرى. ثم توقفت حتى نهاية أبريل لغرقى فى "البحر المحيط" بالإضافة إلى اجتياح الضفة الغربية. وأعود الآن إليه فى أول مايو بعد انقطاع دام حوالى ثلاثة أشهر ونصف.

(٤) يصعب إحصاء الشواهد النقلية لكثرتها بأسماء الأعلام.

ومع ذلك يمتاز "البحر" بالوضوح وحسن الترتيب والموضوعية والهدوء دون التطرف فى الأحكام من أجل الإقصاء والاستبعاد الذى قد يصل عند البعض إلى حد التكفير. ويكفى الحكم على الرأى المخالف بأنه "فاسد" أو "باطل" أو "غريب". وعندما يذكر رأيه يكتفى بالقول "والمختار عندنا" أو "والتحقيق" وأحيانا "والصحيح". وهو شافعى الاتجاه ولكن لا تبدو الشافعية مذهبا قطعيا يستبعد المذاهب الأخرى. ومع ذلك يبدو الهجوم مازال مستمرا على المعتزلة فى نظرية الحسن والقبح العقليين تحت أثر الغزالى منذ القرن الخامس عندما طعن فى أصول التوحيد والعدل عندهم فى "الاقتصاد فى الاعتقاد". فسادت عقيدة الفرقة الناجية وتوحد بها السلاطين، فنشأ التسلط بالإرادة وليس الحكمة بالعقل كما هو الحال عند ابن رشد.

ولأول مرة يتم الاعتماد على أصول الفقه "الشيعى" واستعمال مصادر الشيعة قبل محاولات التقريب الحالية التى بدأها الشيخ شلتوت، واعتبار الفقه الجعفرى المذهب الفقهى الخامس وهو تلميذ أبى حنيفة. وفى نفس الوقت تم التحول من نظرية العلم المعروفة فى علم أصول الدين إلى المنطق، واللغة عامل مشترك بينهما[1].

وبالرغم من قسمة الكتاب إلى فصول ومقدمات ومسائل وفروع وضوابط وخواتيم وتنبيهات وتتمات وتكبيلات ومباحث إلا أنه يبدو ذو بنية ثلاثية غير معلنة: المقدمات، والأحكام، والمباحث وهى الأدلة الشرعية الأربعة دون أن يكون هناك مفهوم جامع بينها. أكبرها المباحث ثم الأحكام وأصغرها المقدمات مما يدل على انبعاج البنية الثلاثية حول الأدلة الأربعة (المباحث) أى الوعى التاريخى على حساب الأحكام، الوعى العملى، والمقدمات بعد أن أصبح الوعى النظرى أى مباحث الألفاظ جزءا من الوعى التاريخى[2]. المقدمات مجرد حديث عن تاريخ العلم، مما يدل على بداية النهاية عندما يؤرخ العلم لنفسه، وشرفه وغايته ومرتبته ودور العقل فيه، وكما هو الحال فى المقدمات القديمة. إنما تضم الأحكام أساسا أحكام التكليف الخمسة، الواجب والمحرم، والمندوب والمكروه دون المباح مكتفيا بالتضاد المطلق أو النسبى، الضرورى أو الاختيارى، بعد مقدمة عن الأحكام وما يعلم به الخطاب ثم تفصيل أقسام الواجب. ويتحدث عن أحكام الوضع فى الخاتمة تحت عنوان "خلاف الأولى" وهو تعبير جديد. والمباحث تضم الأدلة الشرعية الأربعة أكبرها الكتاب ثم القياس أى النص والواقع ثم السنة ثم الإجماع أى النص الثانى والأمة[3].

---

(١) "من العقيدة إلى الثورة"، جـ١ المقدمات النظرية، مدبولى، القاهرة ١٩٨٧ ص ٢٣١-٤٠٩.

(٢) الأدلة الأربعة (عدد الصفحات) (١٩٨٢)، الأحكام (٢٦٥)، المقدمات (٨٧).

(٣) الكتاب (١٠٢٤)، القياس (٦٠٥)، السنة (٢٥٠)، الإجماع (١٠٣).

وفى الكتاب تدخل مباحث الألفاظ بعد تعريفه وأهمية اللغة والاشتقاق والترادف. وهى الحقيقة والمجاز، الأمر والنهى، العام والخاص، المطلق والمقيد، الظاهر والمؤول، المجمل والمبين. بل يدخل أيضا مفهوم المخالفة وهو عن فحوى الخطاب وموضوع النسخ. وبين الحقيقة والمجاز والأمر والنهى يظهر موضوع أدوات المعانى. وتنقسم السنة إلى قول وفعل وإقرار وسند ومتن وهى أقسام السنة التقليدية فى كتب الأصول السابقة. ويتضمن الإجماع تعريفه، وما ينعقد منه، وما ينقد به، وفيما يستقر به، والمجمع عليه، وأحكام الإجماع. أما القياس فيبدأ بالتعريف ثم بالأركان الأربعة، الأصل والفرع والعلة والحكم. وتُلحق به الأدلة المختلف عليها، والتعادل والتراجيح، والاجتهاد.

٦- **"التحرير" لابن الهمام (٨٦١هـ)**[١]. وربما يكون آخر النصوص الأصولية التى ما زالت تحرص على التجريد الأصولى، والتأسيس العقلى الخالص بعيدا عن التجميع الذى طبع المؤلفات الأصولية المتأخرة ابتداء من "البحر المحيط" للزركشى. وربما يرجع هذا الطابع العقلى المجرد إلى الحنفية التى ينتسب إليها المؤلف بالرغم من محاولات الجمع بينها وبين الشافعية. وكان المؤلف على وعى بذلك إذ تحتكم الحنفية إلى العقل لا إلى النص[٢]. لذلك تغيب عنه الأحكام الاقصائية والمواقف الحدية، لا يستعمل أحكام الخطأ والصواب أو الصحيح أو الفاسد بل و"المختار" أى مجرد احتمال ضمن احتمالات، ورأى ضمن الآراء. وكان هم الكم هو أحد الدوافع على التركيز فى العرض والتأصيل للقواعد بالرغم من ظهور السجع كعادة العصور المتأخرة فى الكتابة. وتقل فيه الشواهد النقلية، الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار العربية إلى الحد الأدنى. ويغلب الحديث على القرآن مما يدل على بداية فترة أهل الحديث أو السلفية المعاصرة. وكلاهما يغلبان الشعر بعد أن توارى الوجدان[٣].

وتظهر البنية الثلاثية للعلم، المبادئ اللغوية، أحوال الموضوع، والاجتهاد. وهى بنية واعية يعبر عنها المؤلف كقصد له[٤]. أكبرها أحوال الموضوع الأربعة ثم المبادئ اللغوية وأصغرها الاجتهاد[٥]. وتجمع المقدمة بين بعض المبادئ اللغوية والمنطقية فى حين تشمل المبادئ اللغوية

(١) الإمام الكمال ابن الهمام: التحرير فى علم الأصول، الجامع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية (ثلاثة أجزاء)، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦.

(٢) السابق جـ١/١٩٩.

(٣) الحديث (٤١)، القرآن (٢٧)، الشعر (١).

(٤) "وسميته بالتحرير بعد ترتيبه على مقدمة هى المقدمات، وثلاث مقالات فى المبادئ وأحوال الموضوع والاجتهاد، السابق جـ١/١٨-١٩.

(٥) أحوال الموضوع (٧٠٠)، المبادئ اللغوية (٤٢٢)، الاجتهاد (٨٧).

مباحث الألفاظ. وتضم مسائل الاشتقاق والدلالة والمقايسة والكلى والجزئى والمفرد والمركب. فى حين تضم مباحث الألفاظ الحقيقة والمجاز. وتضم أحوال الموضوع أحكام التكليف وأحكام الوضع بالإضافة إلى الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. والاجتهاد لا يحتوى إلا على عدة مسائل دون أبواب أو فصول. ويتم انبعاج البنية الثلاثية أيضا لصالح أحوال الموضوع أى الأدلة الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب المبادئ اللغوية أى الوعى النظرى والاجتهاد جزء منه. أما أحكام التكليف فإنها تدخل ضمن الوعى التاريخى مما يدل على بداية اختفاء العمل لحساب النص واللغة. وبالرغم من هذه التقسيمات تتأكد وحدة العمل، بإحالة السابق إلى اللاحق[1].

لذلك تتقدم الحنفية ومشتقاتها، أبو حنيفة وحنفى. تتلوها الشافعية والشافعى وشافعى[2]. ويتبعهما فقهاء الحنفية مثل فخر الإسلام ثم القاضى ثم أبو يوسف. ثم يتداخل فقهاء الشافعية مثل الآمدى ثم الغزالى. ويعود الأحناف للظهور مثل الكرخى ثم محمد بن الحسن الشيبانى. ويظهر المتكلمون باعتبارهم أصوليين مثل الأشعرى والأشاعرة المرتبطين بالشافعية، والجبائى وابنه أبو هاشم المرتبطين بالأحناف. ويظهر أبو منصور الماتريدى باعتباره أول من جمع بين الأشاعرة والمعتزلة كما يفعل ابن الهمام بين الشافعية والحنفية. ويتداخل الأصوليون، حنفية وشافعية مع المتكلمين معتزلة وأشاعرة مما يدل على الرغبة فى الجمع بين المذهبين فى الأصول بشقيه، أصول الفقه وأصول الدين. بل يتداخل الحنابلة أيضا من خلال أحمد بن حنبل قبل المالكية من خلال مالك.

ومن الفرق يتقدم المعتزلة بطبيعة الحال الذين كانوا ولا يزالوا يمثلون التحدى العقلى للأشاعرة والشافعية، ثم باقى الجمهور أى غالبية الفقهاء الحنابلة ثم الأشاعرة والأشعرية وعامة الشافعية. ولا حرج من ذكر الفرق الهالكة مثل الشيعة والخوارج واليهود

---

(١) التحرير جـ١/١٣٥/١٤٥/٢١٤.

(٢) الحنفية (٢٠٩)، أبو حنيفة (٣٤)، حنفى (٩). الشافعية (٧٣)، الشافعى (٥٦)، شافعى (٤). فخر الإسلام (٣٨)، أبو يوسف (٣٠)، القاضى (٢١)، الآمدى (١٧)، الغزالى، الشيبانى (١٦)، الكرخى (١٣). الأشعرى، الجبائى (١٠)، الماتريدى (١١)، القاضى أبو بكر، إمام الحرمين، أبو الحسين (٩)، الحسن، أحمد بن حنبل (٨)، أبو الحسن، السرخسى (٧)، القاضى عبد الجبار، شمس الأئمة (٦)، الإمام، القاضى أبو زيد (٥)، الرازى (٤)، الدارقطنى، ابن الحاجب، الصيرفى، ابن اللبان، مالك، ابن جريج، الرازى الحنفى، الاسفراييني (الأستاذ) (٣)، الكعبى، الجصاص، الجرجانى، ابن المسيب، ابن معين، الشعبى ، القفال (٢)، وخمسون آخرين مثل الباقلانى، والنخعى، والسمعانى، والثورى، واسحق بن راهويه، والبيضاوى، وأبو زيد الدبوسى، وعيسى بن أبان، والنظام. ومن اللغويين، الخليل وسيبويه وابن جنى.

والنصارى[1]. ويشار إلى الأصوليين والفقهاء باعتبارهم فرقا. ويشار إلى الفرق الصائبة باسم "المحققون". والظاهرية فرقة أصولية. ومنهم المتقدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التاريخ. أو التابعون الذين ينكرون تغير الزمن[2].

ومن الفرق من يرتبط بالمدن والأمصار. فالجغرافيا أى المكان بُعْد فقهى فى الأحكام مثل الزمان فى الفرق بين المتقدمين والمتأخرين. فهناك أئمة الكوفة والكوفيون، والعراقيون والسمرقنديون، ومشايخ سمرقند، وأهل المدينة، ومشايخ ما وراء النهر من الحنفية، والبخاريون. ومنها ما يرتبط بالمعرفة مثل: الإشراقيون، السمنية التى لا تعترف إلا بالحس، والسوفسطائية التى تنكر المعارف بعد أن تعربت الكلمة على أيدى الفلاسفة. ومنها ما يرتبط بالديانات السابقة مثل الحنيفية والمجوس. ومنها ما يرتبط بالعلوم مثل علم اللغة مثل أئمة اللغة، وأهل اللسان. ومنها ما يرتبط بالجماعة مثل: الشيخان، أصحابنا، مشايخهم، المشايخ. ويتم الاعتماد على الصحابة والتابعين باعتبارهم فقهاء ورواة للحديث فى نفس الوقت وكأن الصحابة فرقة. ويتقدمهم ابن عباس حبر الأمة[3]. بل ويظهر الأنبياء أيضا فى موضوع النسخ، يتقدمهم عيسى وموسى، ثم آدم ونوح وإبراهيم، ثم يعقوب وإسماعيل محمد[4]. وتذكر التوراة. كما يشار إلى نبختنصر ملك بابل الذى أسر اليهود.

٧- **"مسلم الثبوت" لمحب الله بن عبد الشكور (١١١٩هـ)**[5]. ويجمع بين الحنفية والشافعية "ولا يميل ميلا ما عن الواقعية" وهى المالكية. ومن ثم يعتمد النص على العقل والوجود كما يتضح فى مبحث "الماهية والوجود"[6]. وتظهر مباحث الفلسفة والفلاسفة مثل ابن سينا.

وهو أقرب النصوص إلى "المستصفى" للغزالى. وقد طبع النصان معا على صفحة واحدة،

---

(١) المعتزلة (٣٣)، الجمهور (١٣)، الحنابلة (١٠)، الأشاعرة (٩)، الأشعرية، الشيعة، الخوارج، اليهود (٦). الأصوليون (٥). المحققون (٤)، النصارى، الظاهرية (٣). المتكلمون، الروافض، العيسوية، الحشوية، أصحاب الحديث، أهل الحديث، الخطابية، المالكية (١).

(٢) المتأخرون المحدثون، المتقدمون (٢)، قدماؤهم، التابعون (١).

(٣) الصحابة، ابن عباس (١٢)، فاطمة، على (١٠)، أبو بكر (٧)، أبو هريرة، ابن عمر، عائشة (٦)، أنس، عمر (٥)، عثمان، البخارى (٤)، الترمذى (٢)، ابن الزبير، معاذ، مجاهد، أبو داود، الضحاك، ميمونة، زيد بن ثابت، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن معاذ، ابن العاص، أم سلمة وآخرون (١).

(٤) عيسى، موسى (٤)، آدم، نوح، إبراهيم (٢)، المسيح، يعقوب، إسماعيل، محمد (١). التوراة، نبختنصر (١).

(٥) الإمام المحقق الشيخ محب الله بن عبد الشكور: مسلم الثبوت، حاشية، المستصفى للغزالى (جزءان)، الطبعة الأولى، بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٢٢هـ. جـ١ ص٧.

(٦) السابق ص١٩-٢٤.

قصدا أو مصادفة. يقوم على الحجاج ضد المتكلمين، وهو ما يظهر فى الأسلوب "فإن قيل ... قلنا". ويبحث عن اليقين كما يوحى العنوان "مسلم الثبوت". ومع ذلك لا يستبعد رأيا ولا يكفر أحدا. وإذا أراد الصواب قال "والمختار" أى احتمال لا ينفى الاحتمالات الأخرى. وهو أقرب إلى الماتريدية التى حاولت من قبل فى علم الكلام الجمع بين الأشعرية والاعتزال وبين الشافعية والحنفية. ويظهر موضوع "الصلاة فى الدار المغصوبة" كنموذج لإصدار حكم شرعى يجمع بين العقل والنقل[1].

وتكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية[2]. وتقل الشواهد الشعرية إلى الحد الأقصى فالمؤلف أقرب إلى العقل منه إلى الوجدان[3]. ويحيل النص إلى عدة نصوص سابقة، متون وملخصات وشروح أو نصوص المؤلف نفسه[4].

والبنية ثلاثية تتضمن مقدمة عن حد العلم وموضوعه وغايته ومقالات ثلاث، كلامية وإحكامية ولغوية، والمقاصد وهى الأدلة الشرعية الأربعة. المبادئ الكلامية تتضمن ما يعادل نظرية العلم، والأحكام ما سماه المستصفى الثمرة. والمبادئ اللغوية طرق الاستثمار. والمقاصد الأربعة هى المثمر. ومن حيث الكم تتعادل تقريبا المقدمة والمبادئ الكلامية والحكمية واللغوية. وهى بمثابة المنهج مع الأصول الأربعة وهى بمثابة الموضوع[5]. والمبادئ اللغوية أكبر من الحكمية والكلامية[6]. والقياس أكبر الأصول الأربعة والإجماع أصغرها[7]. وتنبعج البنية الثلاثية لصالح الأصول الأربعة أى الوعى التاريخى فى حين تضم الأحكام أى الوعى العملى والمبادئ اللغوية أى الوعى النظرى مع المقدمات.

ولما كان الكتاب يجمع بين الأصول الشافعية والحنفية يتصدر الشافعى وأبو حنيفة، وما بينهما ابن الحاجب والباقلانى. ثم يتداخل علماء الأصول مثل إمام الحرمين والحنفية مثل الجصاص، الغزالى والآمدى من ناحية وأبو الحسن البصرى وأبو هاشم الجبائى من ناحية أخرى. ثم يتوالى فقهاء الحنفية كالبزدوى والسرخسى وأبو يوسف، ومن المتأخرين ابن الهمام.

---

(١) السابق ص١٠٥.

(٢) القرآن (١٣٩)، الحديث (٧٩).

(٣) الشعر (٢).

(٤) وهى: شرح المختصر (٥٨)، التحرير (٥٣)، المنهاج (٨)، شرح الشرح (٧)، المحصول (٥)، التلويح (٢)، المواقف، الشفاء، المعتمد، الهداية، الكشاف، البرهان، الإقرار (١). كتبنا (١).

(٥) المقدمة والمقالات الثلاث (٤٣٥)، الأصول الأربعة (٤٠٦).

(٦) المبادئ اللغوية (٢٥٩)، المبادئ الحكمية (١٥٣)، المبادئ الكلامية (٧).

(٧) القياس (١٦٢)، السنة (١١٥)، الكتاب (٨٩)، الإجماع (٣٥).

وفى هذا العصر المتأخر الذى سيطر فيه الفقهاء وسادت فيـه الحركـة السـلفية يتقـدم أحمـد بـن حنبل والحنابلة على مالك والمالكية[1]. ويظهر أئمة الصحابة باعتبارهم أصوليـين ويتقدمـهم ابـن عباس حبر الأمة ثم عمر منجمها[2].

ومن الفرق يتقدم أيضا الحنفيـة ثـم الشـافعية، وتكييـف الأصـول الشـافعية طبقـا للأصـول الحنفية. ثم يظهر المعتزلة قرائن الأحناف لاشتراكهم فى الفعـل. ويتسـاوى الجمـهور والحنابلـة بعد أن أصبحت السلفية التيار الغالب فى الثقافة الشعبية. لذلـك كثـيرا مـا يحـال إلى الصحابـة والشـيخين. ومـن المتكلمـين يظـهر الأشـاعرة أو الأشـعرية والشـيعة والظاهريـة، أنصـار التـأويل وأعداؤه، والزيدية والكرامية. وتظهر فرق الأقاليم مثل مشايخ سمرقند مع العراقيين والبخـاريين. والحكماء أو الفلاسفة فرقة أيضا. وأهل الحق والجدليون مع الأصوليـين فـرق. بـل تتفـرع الفـرق الكلامية إلى الجبائية والجهمية أو الجبرية والبهشـمية والخـوارج أو الروافض والجعفريـة. كمـا تظهر بعض الفـرق غـير الإسـلامية كالنصـارى واليـهود والمجـوس والبراهمـة والصابئـة. ويظـهر أصحاب الرأى كالعقلاء والفضلاء والمحققون والمصوبـة والمجتـهدون والعلمـاء. ويحـال إلى علمـاء اللغة أو النحاة أو البلاغة. وفى كل فرقة بها قدماء ومحدثون إذ يتغـير مسـار الفرقـة واتجاهـها عبر الزمان. كما يظهر الأنبياء خاصة فى موضوع النسخ. ويتقدمهم موسى ثم عيسـى ثـم إبراهيـم ونوح ثم آدم ثـم داود وسـليمان وهـارون ويعقـوب واسحق وإسمـاعيل ومحمـد. ولا ينسـى أيضـا جبريل[3].

---

(١) الشافعى (٦٥)، ابن الحاجب (٤٥)، الباقلانى (القـاضى) (٤١)، أبـو حنيفـة (٣٧)، إمـام الحرمـين، أبـو بكـر الرازى (الجصاص) (٣١)، الغزالى (٢٤)، الآمدى (٢٣)، أبو الحسين البصرى (١٩)، أحمـد بـن حنبـل (١٧)، البزدوى (فخر الإسلام)، أبو يوسف (١٣)، ابـن الهمـام (١٢)، الكرخـى، الأشـعرى (١١)، مـالك (١٠)، ابـن شريح، الدبوسى (أبو زيد) (٧)، الشيرازى، عبد الجبار (القاضى) (٦)، زفر، ابـن أبـان، الأسـتاذ (أبـو اسـحق الاسفراييني (٥)، البيضاوى، النظام (٤)، الكعبى، السبكى، فخر الدين الرازى (الإمـام) (٣)، المـاتريدى، ابـن سينا، الصيرفى، المرتضى، الأوزاعى، سيبويه، أبو عبد الله البصـرى، ابـن السـمعانى، ابـن الصـلاح، القفـال، النخعى، أبو ثور، أبو عبد الله البصرى (٢)، أبو على الفارسى، الأرمـوى، القرافـى، عبـاد بـن سـليمان، عبـد القاهر، الثورى، الزهرى، ابن جنى، ابـن الراونـدى، ابـن الجـوزى، ابـن المبـارك، الذهبـى، البردعـى، داود الظاهرى، القاسانى، النهروانى، البهيقى (١)، وآخرون.

(٢) ابن عباس (٣٣)، عمر (٢١)، على (١٦)، أبو بكر (١٥)، ابن مسعود (١١)، عثمان (٧)، أبو رافع (٥)، معـاذ (٤)، البخارى ، العباس، أبو ثور، سلمة، ابن مالك، أبو بكره، طلحة وآخرون.

(٣) الحنفيـة (١٣٧)، الشـافعية (٧٣)، المعتزلـة (٤٧)، الحنابلـة، الجمـهور (١٦)، المتكلمـون، الأشـاعرة (١١)، الصحابة (١٠)، الفقهاء، المالكية (٩)، الشيعة (٨)، الشيخان (٦)، الظاهرية (٥)، الحكمـاء، مشـايخ سمرقنـد (٤)، أهل الحق، الجدليون، الأصوليون (٣)، الزيدية، الكرامية، القاضيان، القدماء، أئمة اللغـة، النحـاة (٢). الجبائية، الجهمية، البهشـمية والخـوارج أو الروافـض والجعفريـة، الإماميـة. النصـارى، اليـهود، الصابئـة،=

وتكشف البنية الثلاثية بطريقة أو بأخرى عن أبعاد الشعور الثلاثية. البعد التاريخى الذى يتلقى الوحى فى تعيناته الأربعة، الكتاب وهى الخبر البشرية العامة الأولى التى تمثل حكمة الشعوب، والسنة التى تمثل التجربة المثالية الأولى والنموذج الأول، والإجماع الذى يمثل التجربة الجماعية للأمة، والقياس تجربة الفرد واجتهاده الخاص. سمى الشافعى هذا البعد خبر الواحد والإجماع والقياس والاجتهاد والاستحسان والاختلاف. وسماه التلمسانى الأصل، الكتاب والسنة والإجماع، واستصحاب الحال والقياس والترجيح. وسماه الأخسيكى الأدلة الأربعة، والزركشى المباحث أى الأدلة الشرعية الأربعة، وابن الهمام الاجتهاد، وعبد الشكور المقاصد أى الأدلة الأربعة. وغالبا ما يكون القسم الثالث باستثناء الأخسيكى الذى جعله القسم الأول والتلمسانى الذى جعله الأول والثالث.

والبعد الثانى الشعور التأملى أو النظرى الذى يفهم الوحى المدون فى الكتاب والسنة أو غير المدون فى التجربتين الجماعية والفردية. سماه الشافعى البيان وغلبت عليه الأدلة النقلية، والتلمسانى معقول الأصل أى مباحث الألفاظ، والأخسيكى حروف المعانى والمبادئ اللغوية، والزركشى المقدمات، وابن الهمام المبادئ اللغوية، وعبد الشكور المقدمة. وهو القسم الأول عند الشافعى والزركشى وابن الهمام وعبد الشكور، والثانى عند التلمسانى، والثالث عند الأخسيكى.

خامسا: البنية الرباعية.

١- **"أصول الفقه" لابن فورك (٤٠٦هـ)**[1]. تدور على الأدلة الشرعية الأربعة وحدها، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وتدخل مباحث الألفاظ مثل النص والظاهر والعموم والمجمل مع الكتاب. ومع السنة يدخل الفعل والإقرار. ويجتمع فى القياس وهو أكبرها معقول الأصل وهو لحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب ومعنى الخطاب وهى أقسام القياس. وتلحق به حجيته وكذلك الاستصحاب وأقسامه. ابتلع الوعى التاريخى، المصادر الشرعية الأربعة، كل مسائل الوعى النظرى والوعى العملى. فالنص حوى كل شىء، اللغة فى طرق الاستدلال والفعل فى أحكام التكليف. ويكثر فيه الاعتماد على الشواهد النقلية. ويتغلب الحديث على

=المجوس، البراهمة. أصحاب الرأى، العقلاء، الفضلاء، المحققون، المصوبة، المجتهدون، العلماء (١). علماء اللغة، النحاة، علماء البلاغة (٢). ومن الأنبياء، موسى (٩)، عيسى، إبراهيم (٤)، نوح (٣)، آدم (٢)، داود، سليمان، هارون، يعقوب، اسحق، إسماعيل، محمد (١). جبريل (١).

(١) الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين ابن فورك الأصبهانى الشافعى عليه رحمة الله والرضوان (المتوفى سنة ٤٠٦هـ): مقدمة فى نكت من أصول الفقه، ص٤-١٤.

القرآن[1]. ويغيب الشعر بعد أن تحول الإبداع العربى إلى العقل. ويتقدم الشافعى وأبو حنيفة على مالك وأحمد. والأشعرى وعمر والأصحاب[2].

٢- "المستصفى من علم الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)[3]. وفيه تظهر البنية الرباعية. إذ يدور العلم حول أربعة أقطاب، الحكم وهى أحكام التكليف، وأدلة الأحكام وهى الأدلة الشرعية الأربعة، وكيفية استثمار الأحكام وهى مباحث الألفاظ والمعانى والعلل، وحكم المستثمر الذى يضم الاجتهاد، والتقليد والاستفتاء والترجيح.

ولأول مرة تتحول العلل من الأصل الرابع إلى مباحث الألفاظ بعد قسمة الخطاب إلى لفظ ومعنى وشئ، إلى منظوم وفحوى أو إشارة وقياس. ولما كان القطب الرابع أقرب إلى الأصل الرابع، ومن ثم تبرز البنية الثلاثية ضمنيا بداية بأحكام التكليف ثم الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ، بداية بالثمرة ثم المثير ثم طرق الاستثمار. والأولى البداية بالمثير ثم بطريق الاستثمار ثم بالثمرة، البذور قبل الجذوع، والجذوع قبل الثمار. أكبرها القطب الثالث كيفية الاستثمار وأصغرها الثمرة مع أحكام المستثمر[4]. وأحيانا يقول الغزالى إن الأدلة ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع، ودليل رابع هو دليل العقل أو الاستصحاب، أى استصحاب الأصل. ولا يضاف الدليل الرابع إلى باقى الأدلة الثلاثة وبنفس الصيغة ربما لأثر الأشعرية الشافعية، وتقديم النقل على العقل. فيظهر انبعاج البنية الثلاثية نحو الوعى النظرى أى طرق الاستثمار على حساب الوعى التاريخى أى الأدلة الأربعة والوعى العملى أى أحكام التكليف.

ولإحكام البنية تكثر ألفاظها وتتنوع أقسامها. البنية الرباعية كل من أقسامها قطب، وهو مصطلح صوفى، القطب وقطب الأقطاب مثل البدل وبدل الأبدال فى مدينة السماء التى يعيش فيها الصوفية. وقد كان ابن عربى قطبا. وينقسم القطب إلى فنون، والفن إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى أصول، والأصول إلى أقسام أو أبواب، والأصول والأبواب إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى فنون، والفنون إلى أقسام، والأقسام إلى فصول أو مسائل، والأقسام إلى أنظار، والأنظار

---

(١) القرآن (٨)، الحديث (١١).

(٢) الشافعى، أبو حنيفة (٢)، مالك، أحمد، الأشعرى، عمر، أصحابنا (١).

(٣) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى: المستصفى من علم الأصول (جزءان)، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية ١٣٢٢هـ، الطبعة الثانية بالأوفست، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة (د.ت).

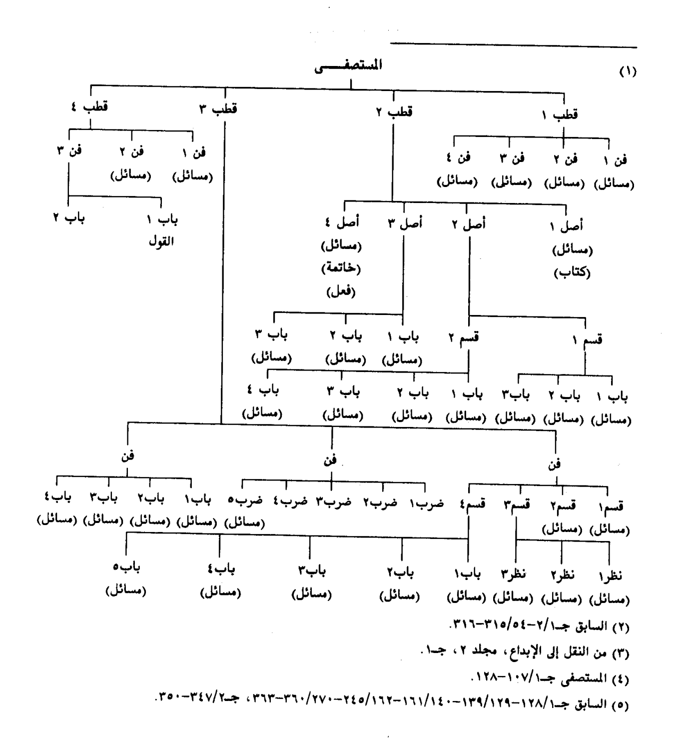
(٤) القطب الثالث (٣٥٠)، الثانى (١١٥)، الأول (٤٤)، الرابع (٤٤)، وهو نفس الخلل الكمى فى رسالتنا "مناهج التفسير" وصغر الوعى العملى لحساب الوعى النظرى. الوعى التاريخى (١٣٨)، الوعى التأملى (١٦٠)، الوعى العملى (١٠٤).

إلى مسائل وأبواب. وقد تنقسم الأقسام إلى أبواب. وقد ينقسم الفن إلى أضرب أو أبواب[1].

وهناك الخطبة والصدر والبيان والدعامة والقانون والامتحان فـى أول الكتـاب قبـل القطـب الأول[2]. وهى ألفاظ صوفية استعملها الفلاسفة مثل ابن سينا فى "الإشارات والتنبيـهات" وصـدر الدين الشيرازى فى "الأسفار الأربعة" و"شواهد الربوبية"[3]. وقد ينقسـم الأصـل إلى أبـواب مثـل كتاب النسخ ببابيه فى الأصل الأول[4]. وقد توضع خاتمة فى آخر الكتاب أو الباب أو المسألة[5]. وكما يبرز الكتاب يبرز القول داخل قسم فى فن أو داخل مسألة فى نظر أو بعد باب أو فصل أو

---

(١)



(٢) السابق جـ١/٢-٥٤/٣١٥-٣١٦.

(٣) من النقل إلى الإبداع، مجلد ٢، جـ١.

(٤) المستصفى جـ١/١٠٧-١٢٨.

(٥) السابق جـ١/١٢٨-١٢٩/١٣٩-١٤٠/١٦١-١٦٢/٢٤٥-٢٧٠/٣٦٠-٣٦٣، جـ٢/٣٤٧-٣٥٠.

أو فصل أو ضرب أو مسألة[1]. وقد تسبق مقدمة الباب. وقد يتكون الباب كله من مجموعة من المقدمات أولى وثانية وثالثة[2]. ويكون بعد القول بيان[3]. وقد توضع أكثر من مقدمة للفن، مقدمة أولى ومقدمة أخرى[4]. وقد يوضع تنبيه بعد باب[5]. وتزاد خلال العرض ألفاظ أخرى مثل امتحان، قانون، رتبة، ضرب، مسلك، تنبيه، نظر، شبهة، وضع. وقبل كل قطب أو فن أو أصل أو باب أو قسم يتم تلخيص الموضوع أولا وعرضه فى جوانبه الرئيسية قبل الدخول فى تفصيله جزءا جزءا. فالكل يسبق الجزء، والبنية تسبق الموضوع[6].

وبما أن "المستصفى" آخر ما كتب الغزالى بعد ان اختار الطريق الصوفى فى مؤلفاته الصوفية خاصة "إحياء علوم الدين" الذى يحيل إليه يظهر الأسلوب الصوفى فى خطبة الكتاب وصدره،أسلوب السجع مع الدعوات الصوفية[7]. فهو كتاب بسيط مثل "كيمياء السعادة". ونظرا لأنه آخر ما كتب الغزالى ففيه جمع العقل والتجربة، العلم والرؤية.

والغزالى على وعى برائعته بنية وكما وقصدا وأسلوبا. ووضع علم أصول الفقه كعلم عقلى نقلى وسط العلوم النقلية الخالصة والعلوم العقلية الخالصة. جمع بين "الترتيب والتحقيق" أى بين البنية العقلية والمادة الأصولية. ويهدف إلى التوسط بين الإخلال والإملال، بين الإيجاز والاختصار من جانب مثل "المنخول"، والاستقصاء والإكثار مثل "تهذيب الأصول". ويرجع الفضل فى ذلك إلى "الورقات" للجوينى أستاذه الذى لا يميل إليه ولا يذكره. بل أن "المستصفى" يعتبره شرحا على "الورقات" وتفصيلا له.

---

(١) السابق جـ١/٣٦٤-٣٦٧، جـ٢/٢٤/٣٨-٤٨/٥٤-٥٧/١٨٠-١٨٦/٢٠٤-٢١٠/٢١٢-٢٢١/٢٥٦-٢٥٩/٣٠٦-٣٠٩/٣٩٨.

(٢) السابق جـ٢/٣٢-٣٥/٣٩٢-٣٩٨.

(٣) السابق جـ٢/٤٨-٥٤.

(٤) السابق جـ٢/٢٢٨-٢٣٤.

(٥) السابق جـ٢/٣٢١-٣٢٣.

(٦) السابق جـ١/٦٧/٣١٥-٣١٧، جـ٢/٣٨.

(٧) السابق جـ١/٢-٤، إحياء علوم الدين جـ٢/٢١٣

"أصرف العناية فيه إلى التلفيق بين الترتيب والتحقيق، والى التوسط بين الإخلال والإملال على وجه يقع فى الفهم دون كتاب "تهذيب الأصول" ميله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق كتاب "المنخول" لميله إلى الإيجاز والاقتصار... وجمعت فيه بين الترتيب والتحقيق لفهم المعانى، فلا مندوحة لأحدهما عن الثانى. فصنفته وأتيت فيه بترتيب لطيف عجيب يطلع فيه الناظر لأول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم ويفيده الاحتواء على جميع مسارح النظر فيه. فكل علم لا يستوفى الطالب فى ابتداء نظره على مجامعه ولا مبادئه فلا مطمع له فى الظفر بأسراره ومباغيه".

ويجمع الكتاب بين العقل والنقل وهو إلى العقل أقرب مما أعطاه طابعا منطقيا استدلاليا واضحا فى ترتيب الحجج والاعتراضات والردود عليها، مرقمة ومرتبة من الكل إلى الجزء، ومن العام إلى الخاص، والقرآن ضعف الحديث[1]. ويغيب الشاهد الشعرى ففى الاستبطان غنى عن الشعر. ومع ذلك لم يغب عنه الطابع الجدلى السجالى ضد الفرق الكلامية خاصة المعتزلة أكثر منه ضد المذاهب الفقهية خاصة الحنفية. وهو أمر طبيعى. فالحنفية اعتزال، كما أن الشافعية أشعرية. ويتوحد الغزالى مع فرقته الأثيرة، الشافعية فى الفقه والأشعرية فى الكلام. ويتكلم عن "أصحابنا" و"اصطلاحاتنا" ويقصد الشافعية والأشعرية.

ومع ذلك هناك صحيح وفاسد وليس صوابا وخطأ حتى يظل للعلم مقاييسه المنطقية الاستدلالية بعيدا عن الفرقة الناجية والفرق الهالكة كما هو الحال فى علم الكلام. لذلك خلا من الأحكام القطعية الحادة التى عرف بها ابن حزم ومن بعض الألفاظ التى تتجاوز اللياقة العلمية باستثناء القليل مثل هوس[2].

ويحيل الكتاب إلى نفسه مما يدل على وحدة العمل وترابط أجزائه[3]. كما يحيل إلى باقى أعمال المؤلف مما يدل على وحدة المشروع الفكرى[4]. كما يحيل إلى كتب الآخرين مما يدل على التراكم العلمى والوعى التاريخى، من المتقدمين إلى المتأخرين[5].

ويتصدر الباقلانى (القاضى) نموذج الأشاعرة فى الكلام والشافعى وأصحابه مؤسسة الشافعية فى الفقه. ونظر لأهمية الشافعى والباقلانى مع المعتزلة فإنهما يظهران فى الفهرس التحليلى لبعض الموضوعات فى فصل خاص[6].ثم يأتى أبو حنيفة وأصحابه المقابل للشافعى والمعتزلة فى مقابل الأشاعرة. ولا يكاد يذكر مالك[7]. ثم يتداخل الأصوليون حنفية وشافعية والمتكلمون أشاعرة ومعتزلة[8]. ومن الفرق تتصدر المعتزلة أو القدرية ثم أهل الظاهر ثم

---

(١) القرآن (٤٧٧)، الحديث (١٩٣).

(٢) المستصفى جـ١/٢٨١.

(٣) السابق جـ١/٣٨/٧٨/١٠٧/٣٢٤/٣٤١/٣٦٣/٣٨٣، جـ٢/٣٠/١٤١/١٦٤/٢٢٧/٢٤٦/٢٦٦/٣٠٩.

(٤) السابق جـ١/٤٠، جـ٢/٢١٣/٢٩٠.

إذ يحيل الغزالى إلى شفاء الغليل (٢) محك النظر، ومعيار العلم (١).

(٥) يحيل الغزالى إلى اختلاف الحديث وأحكام القرآن للشافعى. السابق جـ١/٢٧١/٤٢٦.

(٦) الشافعى، المستصفى جـ١/٢٧١-٣١٥، الباقلانى جـ١/١٠٥-١٠٦، المعتزلة جـ١/٥٥-٦٥.

(٧) الباقلانى، الشافعى (٤٩)، أصحاب الشافعى (٧)، أبو حنيفة (٣٠)، الحنفية (٦)، أصحاب أبى حنيفة (٢)، مالك (٤).

(٨) النظام (٥)، الكرخى (٤)، الأشعرى، ابن سريج، العنبرى (٣)، أبو هاشم، عيسى بن أبان (٢)، الشيبانى،=

الشيعة[1]. ومن العلماء يتصدر الفقهاء ثم المتكلمون[2]. كما يتصدر فقهاء الأمصار[3]. وتتكاثر الطبقات مثل الصحابة والتابعين أو الجماعات العامة مثل قوم، طائفة، جماعة[4].

ومن الفرق غير الإسلامية يتصدر اليهود ثم النصارى وأنبياؤهم موسى وعيسى، وكتبهم، التوراة والإنجيل. ومن الشعراء ابن الرومى. ومن النحويين الخليل والمبرد. ولكل فرقة تبعيضها، كلها أو بعضها أو أكثرها[5].

ويحيل إلى الشعر العربى لإحكام مباحث الألفاظ ولبيان أوجه استعمال اللغة عند العرب بالمقارنة مع العجم أو الفرس والترك[6].

لذلك يظل "المستصفى" بعد "الرسالة" علامة على الطريق، ما قبل "المستصفى" وما بعده. أما "المحصول" للرازى فإنه قراءة للمستصفى. ثم تأتى "الموافقات" للشاطبى علامة ثانية قبل أن يتجدد العلم من جديد فى "من النص إلى الواقع" ابتداء من قراءة "المستصفى" وكما لخصه ابن رشد .

٣- "الاحكام فى أصول الأحكام" للأمدى (٦٣١هـ)[7]. ويقوم على أربعة قواعد مثل "المستصفى" للغزالى. الأولى تعريف علم الأصول وموضوعه وغايته. ويضم المقدمات الأولى، المبادئ

=الصيرفى، بشر المريسى، الكعبى، الكاشانى، الدبوسى، النهروانى، المروزى، وبعض الموحدين قبل الإسلام مثل أويس القرقى، قس بن ساعدة، زيد بن عمر بن نقيل..

(١) المعتزلة (١٨)، القدرية (٧)، أهل الظاهر (٥)، الشيعة (٢)، الجبرية، الأشعرية، الفلاسفة، الدهرية، الخوارج، التعليمية، الروافض، الحشوية. وقد لاحظت وأنا طلب تقدم الشافعى والمعتزلة دون تحليل كمى دقيق للمضمون بل بانطباع كيفى خالص مما يدل على صدق الحدوس عبر مراحل العمر.

(٢) الفقهاء (٢٤)، المتكلمون (٩).

(٣) أهل العرق، أهل الشام، فقهاء الكوفة، فقهاء البصرة.

(٤) وتتكاثر الفرق مثل الصحابة والتابعين، أرباب العموم، أرباب الخصوص الواقفية، بعض الأصحاب، أهل الرأى. كما تتكاثر أسماء الصحابة مثل على، وابن عباس، وعثمان، وابن مسعود، والعباس، وأبو بكر، وعائشة، وأبى هريرة، والحسن، وابن سيرين، وعلقمة، والشعبى الأسود، ومسروق.

(٥) اليهود (١٧)، النصارى (١٣)، المجوسية (١١). موسى (١٢)، عيسى (٦)، نوح، هارون، إبراهيم (٢)، داود، يوسف، فرعون، العبرانيون (١). التوراة (٥)، الإنجيل (٢).

(٦) الشعر، السابق جـ١/١٠٠/١٠٧/٤١٨، جـ٢/٦٨/١٦٩/١٧٢. كلام العرب والفرس والترك والعجم. لسان العرب (١٧)، ألفاظ العرب، الفرس، العجم (٣)، التركية (١) جـ٢/٧/٢٦/٣٨/٤٦/٥٥/٨٠/٩٦/١٦٤/١٦٨-١٦٩/١٧١/١٧٧/٣٥٢.

(٧) الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبو الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى: الاحكام فى أصول الأحكام، صبيح، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الكلامية واللغوية والفقهية. وتضم المبادئ الفقهية أحكام الوضع وأحكام التكليف والتى سماها الغزالى الثمرة. والثانية الأدلة الشرعية الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويظهر فيها مباحث الألفاظ كقاسم مشترك بين الكتاب والسنة والإجماع مع أن الكتاب والسنة نصوص فى حين أن الإجماع تجربة مشتركة قبل أن تكون رواية عن القدماء. وهناك ما يشترك فيه الكتاب والسنة وحدهما وهما الناسخ والمنسوخ. والقاعدة الثالثة فى المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين. وهى عادة ما تكون خاتمة الاجتهاد. والقاعدة الرابعة فى الترجيحات، وتضم التعارض. وكلاهما فى المنقول والمعقول. أكبرها بطبيعة الحال الثانية ثم الأولى ثم الثالثة وأصغرها الرابعة[1]. وتظهر عدة فقرات تحدد عناصر الموضوع وتكشف عن البنيات الجزئية للقواعد الكلية[2]. ويكون انبعاج البنية لصالح الأدلة الشرعية الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب الوعى النظرى وخاصة على حساب الوعى العملى مما يبين تمركز العلم حول النص وليس حول الفهم أو الفعل.

ويستعمل الآمدى أسلوب الحجاج على طريقى تخيل الاعتراض مسبقا "فإن قيل... قلنا" دون استبعاد أحد[3]. وترقم الحجج العقلية كما هو الحال فى المستصفى حتى يتم حصرها وترتيبها. كما تكثر الشواهد النقلية، ومن الآيات أكثر من الأحاديث كالعادة، ويستشهد بالشعر خاصة فى مباحث الألفاظ. فالشعر العربى هو منطق اللغة العربية وكيفية استعمالها. وعليه تفهم الآيات والأحاديث. وأحيانا يذكر أسماء كبار الشعراء مثل امرؤ القيس والكميت والنابغة الذبيانى[4].

وتظهر طريقة المستصفى فى التأليف، عرض المسألة ثم بيان اختلاف المذاهب الكلامية والفقهية فيها ثم عرض حجج كل فريق وأخيرا اختيار أحدهما، وهو "المختار" أو "المعتمد" دون الحكم المستمر بالصواب والخطأ، الصحيح والباطل[5].

ويقدم الشافعى، مذهبا وأصحابا على الإطلاق، ثم الباقلانى شيخ الأشاعرة، ثم المعتزلة خصومهم مثل أبى الحسين البصرى، ثم أبو حنيفة وأصحابه، ثم أحمد بن حنبل الذى بدأ فى

---

(١) الثانية (٥٣٠)، الأولى (٧٧)، الثالثة (٥٢)، الرابعة (٤٠).

(٢) الاحكام (الآمدى) جـ١/٨١-٨٢/١٦٠/١٩٠.

(٣) وهذا باطل، السابق جـ٢/١٥٥/١٧٥. وقد أبطلناه جـ١/٧٤، جـ٢/٢٧/١٨١. وهو فاسد جـ٢/١٥/٩٦. وقد أبطلناه فى كتبنا الكلامية جـ٣/٢٢٧. وقد أبطلناه فى موضعه جـ٣/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) الآيات (٦٢٥)، الأحاديث (٢٢٠)، الشعر (٣٢).

(٥) الاحكام (الآمدى) جـ١/١٣٩/١٤٤/١٥٣/١٦١/١٨٧/٢٠٠-٢٠١، جـ٢/٦/١٥/٢١/٣٥/٧٠/١٠٢/١٢٤/١٥٣/١٥٦/١٥٧/١٩١-١٩٢.

الظهور منافسا للشافعي. ثم يتبادل أصحاب كل مذهب الأولية مع أصحاب المذهب الآخر. فمن الشافعية والأشاعرة يتقدم الغزالى، والأشعرى، والجوينى، وأبو اسحق الأسفرايينى والقفال الشاشى، والكيا الهراسى وغيرهم. ومن المعتزلة القاضى عبد الجبار، وأبو هاشم الجبائى، وأبو عبد الله البصرى، وأبو على الجبائى، والنظام، والجاحظ، والخياط. ومن الحنفية يتقدم الكرخى، والجصاص، وعيسى بن أبان، وأبو يوسف، والدبوسى، والكعبى وغيرهم[1]. ومن الأنبياء يذكر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى[2]. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل خاصة فى موضوع النسخ والرواتب[3].

والمعتزلة على الإطلاق، ومعتزلة بغداد على الخصوص هم الخصوم كما هو الحال فى "المستصفى"، والشافعى هو المصيب وأصحابه من الشافعية هم "أصحابنا". ثم يأتى مجموع الأصوليين والمتكلمين، وأهم الفرق الكلامية أهل الظاهروالأشاعرة والشيعة والخوارج، وآخرهم الأزارقة والزيدية والجدليون ثم السمنية والفلاسفة والجبائية والكرامية والبهشمية، والفرقة الناجية أصحاب الحديث وفقهاء الحرمين والمحدثون وأهل السنة. ومن الفرق غير الإسلامية الثنوية ثم المجوس والبراهمة[4]. وتسمى الفرق المختارة المحققون[5]. وتكثر الإحالة إلى أهل العلم وأهل العربية على الخصوص أو أهل اللسان وأرباب اللغات على العموم. كما تكثر الإحالة إلى

---

(١) الشافعى (٩٦)، الباقلانى (٦٨)، أبو الحسن البصرى (٦٣)، أبو حنيفة وأصحابه (٥٥)، أحمد بن حنبل (٤٤)، القاضى عبد الجبار (٣١)، الغزالى، مالك بن أنس، الكرخى (٢٠)، أبو هاشم الجبائى (١٧)، أبو عبد الله البصرى (١٥)، أبو على الجبائى، الأشعرى (١٢)، سيبويه (١٠)، النظام (٩)، الجصاص، الجوينى، أبو اسحق الأسفرايينى (٨)، ابن سريج، الصيرفى (٦)، عيسى بن أبان، الجاحظ، القفال الشاشى، أبو يوسف (٥)، الدبوسى، ابن العنبرى (٤)،.أبو موسى الأشعرى، جعفر بن مبشر، عبد القاسم بن سلام، أبو الهذيل، الكيا الهراسى (٣)، الكعبى، المزنى، جعفر بن حرب، القاشاتى، الشيبانى، أبو ثور (٢)، يحيى الاسكافى، الشيرازى، الأصمعى، الخليل، الأصم، بشر المريسى، ابن علية، موسى بن عمران، ابن جيزان، الاصطخرى، المروزى، أبو حامد الأسفرايتى، الجرجانى، ابن حديد، ابن أبى يعلى، ابن الراوندى، الليث بن سعد، الدقاق، ابن دستويه، الطبرى، الخياط، أنس بن مالك، الفارض، ابن سيرين، مسروق، الشعبى، السبرذعى، البخارى، مسلم، يحيى بن معين، ابن حزم، الانماطى، الحليمى.

(٢) موسى، نوح، إبراهيم (٣)، عيسى (٢)، هارون (١).

(٣) التوراة (٤)، الإنجيل (٢).

(٤) المعتزلة (٧٢)، أصحابنا (٥٦)، الفقهاء (٣٢)، الأصوليون (٢٧)، المتكلمون (٢٥)، الجمهور (١٥)، أهل الظاهر (١٢)، الحنابلة، العلماء، الأشاعرة (١١)، الحنفية (١٠)، الأكثرون (٩)، الشيعة، الخوارج (٨)، الشافعية (٧)، العقلاء (٣)، الجدليون، الزيدية، المسلمون (٢)، السمنية، الفلاسفة، الجبائية، الكرامية، البهشمية، المجوس، البراهمة، الحشوية، التعليمية (١).

(٥) المحققون، أهل الحق (٣)، أهل الحق من أصحابنا، المحققون من أصحابنا (١). اليهود (٩)، النصارى (٤).

كلام العرب واستعمالات العرب مما يدل على أن اللغة منطق للحكم على الأشياء[(١)].

والمذاهب الفقهية ليست مغلقة على نفسها. إذ يروى عن صاحب كل مذهب أكثر من موقف. لذلك يجمعها النافون والمثبتون والواقفية كمواقف أصولية أو أرباب العموم وأرباب الخصوص[(٢)].

ويقوم الآمدى بشرح أقواله وتعريفاته مما ينبؤ ببداية عصر الشروح والملخصات، شرح الذات قبل شرح الغير[(٣)]. وهو على علم بتطور العصر وتغير الزمان. فيتحدث عن "زماننا" مما يدل على نهاية مرحلة تاريخية وبداية أخرى[(٤)].

ولا يحيل الآمدى إلى مصادره ولكنه يذكر فقط "أبكار الأفكار" له وكذلك "دقائق الحقائق". ويذكر لغيره "الرسالة" للشافعى و"العمد" لأبى الحسين البصرى[(٥)]. ومع ذلك فالعمل له وحدته. تحيل أجزاؤه إلى بعضها البعض. فوحدة العمل مقدمة لوحدة المشروع الكلى الذى يجمع بين شقى علم الأصول، أصول الدين وأصول الفقه[(٦)].

٤- "مختصر المنتهى الأصولى" لابن الحاجب (٦٤٦هـ)[(٧)]. ويسمى "منتهى الوصول والأمل فى علمى الأصول والجدل". ويقوم على بنية رباعية: المبادئ، والأدلة السمعية، والترجيح، والاجتهاد. وتشمل المبادئ المنطق واللغة كما هو الحال فى "المستصفى". والأدلة السمعية هى الأدلة النقلية، الكتاب والسنة والإجماع والترجيح بينها فى حالة التعارض، والدليل الرابع الاجتهاد. أما مباحث الألفاظ فهى جزء من الأدلة النقلية. وأحكام التكليف هى جزء من المبادئ العامة. وهنا تبدو البنية الثلاثية مائلة نحو الأدلة الشرعية الأربعة على حساب الوعى النظرى والوعى العملى. وأحيانا تبدو البنية سداسية: المنطق واللغة، والحكم عامة، والحكم خاصة، والأدلة، والاستدلال والاستصحاب، والمصالح المرسلة. الحكم عامة الأحكام

---

(١) أهل اللغة (٨)، أهل العربية (٢)، أرباب اللغات، أهل اللسان، أهل الأدب (١).

(٢) المثبتون، النافون (٥)، الشاذون (٣)، الواقفية (٢). أرباب العموم، أرباب الخصوص (٣).

(٣) الاحكام (الآمدى) جـ١/٦٧/١٠١.

(٤) وهو مذهب أكثر أبناء أهل زماننا جـ٣/٩١.

(٥) الأحكام (الآمدى) جـ١/٦/٧/١١٧/٢٥٦، جـ٢/٢/٧٢/٨٨، جـ٣/١.

(٦) السابق جـ١/٦٧/٨٧/١٠٧/١٢٢/١٣٠/١٦٤، جـ٣/١٩٢/٢١٧/٢٨٥.

(٧) الإمام العلامة أبو عمر جمال الدين عثمان بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن الحاجب المالكى: مختصر المنتهى الأصولى، مع "شرح العضد" للقاضى عضد الملة والدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى (٧٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وله طبعة أزهرية قديمة بمطبعة السعادة عام ١٣٢٦هـ.

الشرعية، والحكم خاصة مباحث الألفاظ. ويمكن ردها إلى القسمة الثلاثية: الأدلة الشرعية الأربعة وطرق الاستدلال على الأحكام منها. أما المقدمات وأحكام الاستفتاء فهى خارج العلم. ولا توجد حدود فاصلة، أبواب أو فصول أو أقسام أو مباحث أو أقوال لبيان بنية العلم. فقد أصبح سيلا واحدا تغيب عنه "التمفصلات". أصبح العلم كله مقالا متصلا مما يدعو الناشر إلى تقسيمه إلى كلام ومباحث وكلام. وتظل المسائل أى الموضوعات المتفرقة بلا بنية جامعة تدل على رؤية للعلم. ومبادئ اللغة والمنطق الخالص معروضان كما هو الحال فى "المستصفى" دون توظيف أو توطئة مباشرة لعلم أصول الفقه بعد تكفير الغزالى للفلاسفة فى "الإلهيات والطبيعيات" واستثناء المنطق باعتباره آلة تخرج عن دائرة الحكم بالكفر. والمنطق عرض مبسط للمنطق القديم دون بيان زيادات ابن سينا والغزالى والسهرردى وغيرهم. وأسلوب الكتاب هادئ يخلو من الحدة والتعصب. فهو مالكى المذهب. وإذا انتصر إلى رأى فهو "المختار"، وليس الصحيح أو الصواب فى مقابل الفاسد أو الباطل. وإذا خطأ القاضى (الباقلانى) فبهدوء، وإذا أصدر حكما فهو ضعيف أو أعظم الخطأ[1]. ويجمع بين النقل والعقل وإن كان للعقل أقرب. يعتمد على القرآن أكثر من الحديث، فالأصول أولى من الفروع. ويستعمل الشعر مع القرآن كشواهد نقلية. فالقرآن وريث الشعر[2]. وإذا كان القول مستبعدا فإن صاحبه زاعم. وإذا كان مقبولا فهو المختار[3]. ونظرا للمحاجة العقلية تظهر صياغة "قيل ... قالوا" والخلاف فى اللغة وليس فى المنطق. ويحيل العمل إلى ذاته مما يبين وحدته.

وبالرغم من أن المؤلف مالكى المذهب إلا أن الباقلانى متكلم الأشاعرة ثم الشافعى ثم الإمام (الرازى) ثم الغزالى يتقدمون أبا الحسين والبصرى. ثم يأتى أبو حنيفة ثم أحمد. وفى النهاية يذكر مالك مما يدل على تواضع المؤلف وسماحته. ويتداخل متكلمو الأشاعرة مثل الأشعرى والأسفرائينى مع متكلمى المعتزلة كالجبائى وأبى هاشم والنظام. ويدخل أهل اللغة مثل سيبويه والخليل وأبى عبيد[4].

---

(١) السابق ص ١٠٠/١٠٣/١٢٠.

(٢) الآيات القرآنية (٦٥)، الأحاديث النبوية (٣٥)، الشعر (٥).

(٣) المختار (١٦).

(٤) القاضى (الباقلانى) (٣٧)، الشافعى (٣٠)، الإمام (الرازى) (١٩)، الرازى (٢)، أبو الحسين (١٧)، البصرى (١٠). أبو حنيفة، أحمد (١٥)، الكرخى، الأشعرى (١٠)، الجبائى (٩)، عبد الجبار (٦)، مالك (٥)، ابن سريج (٤)، أبو هاشم، الأستاذ (الأسفرائينى)، النظام، القاشانى (٣)، الزهرى، القفال، ابن داود، الكعبى، أبو يوسف، العنبرى، بشر المريسى، أبو ثور، الأصم (٢)، الجصاص، ابن سعيد، البغوى، ابن فورك، الصيرفى، المزنى، الحليمى، البلخى، ابن الراوندى، الأخفش، ابن غيلان، ابن جنى، الدقاق، الأصفهانى، سيبويه،=

أما على مستوى الفرق فيتقدم المعتزلة مع الجمهور أى العقل مع الطبيعة والفطرة، ثم الحنابلة وكأن النص الخام هو الحامى للمصلحة، ثم الشافعية والأكثرون فالشافعية مذهب الأمة، ثم الشيعة بعد أن هدأت حدة الخلاف بين السنة والشيعة. ثم تتكاثر الفرق الكلامية كالرافضة والظاهرية والجبائية وتتداخل مع الفلاسفة والأئمة الأربعة والفقهاء وعلماء اللغة[1].

٥- "منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول" للبيضاوى (٦٨٥هـ)[2]. ويقوم على قسمة رباعية هى الأدلة الشرعية الأربعة فى الكتب الأربعة الأولى ثم الأدلة المختلف عليها، والتعادل والتراجيح، والاجتهاد والإفتاء فى الكتب الثلاثة الأخيرة. أما المقدمة فتشمل أولا تعريف العلم والثانية أحكام التكليف. فالمقدمات والأحكام ليست جزءا من العلم. الكتاب أكبرها، والقياس أوسعها[3]. والكتاب يضم مباحث الألفاظ بل ومقدمة عامة عن اللغات قبل الأوامر والنواهى والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ. وينقسم الكتاب إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، بالإضافة إلى تذنيب أو تنبيه[4]. والكتاب فى غاية التركيز مما استدعى شرحه من المؤلف نفسه ومن آخرين[5]. وتظل البنية مائلة نحو المصادر الأربعة أى الوعى التاريخى. ودخل الوعى النظرى فى الكتاب أى فى النص، وأحكام التكليف فى المقدمة أى خارج العلم مما يدل على السيطرة الكاملة للنص على بنية العلم.

ويتقدم الشافعى صاحب المذهب المختار منذ الغزالى ثم الباقلانى شيخ الأشاعرة. ثم يأتى أبو هاشم والحسن البصرى من المعتزلة، فالجدل مازال ضد الفرق المخالفة. ثم يأتى أصحاب المذاهب الأخرى مثل أبى حنيفة وأصحابه مثل الكرخى وابن سريج والكعبى وابن أبان، وأصحاب الشافعى مثل ابن سريج والغزالى والرازى والجوينى والصيرفى وباقى المعتزلة مثل الكعبى وعبد الجبار والجبائى، وابن داود من الظاهرية، والمرتضى من الشيعة، وابن سينا من

=أبو عبيد، الخليل، الأصمعى، ابن أبان، الشيرازى (١).

(١) المعتزلة، الجمهور (١٨)، الحنابلة (١٠)، الشافعية (٩)، الأكثرون، الشيعة (٥)، الروافض (الخوارج) (٤)، الظاهرية (٣)، الجبائية، الفلاسفة، الأئمة الأربعة، الفقهاء، المحققون (٢)، الكرامية، المتكلمون، السمنية، الصحابة، أهل اللغة، أهل العربية، المصوبة (١).

(٢) قاضى القضاة ناصر الدين البيضاوى: منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول، صبيح، القاهرة (د.ت).

(٣) الكتاب (٢٥)، القياس وتوابعه (١٧)، المقدمات (٧)، السنة (٦)، الإجماع (٤).

(٤) منهاج الوصول ص ٣١/٣٣.

(٥) شرحه البيضاوى فى "الإبهاج بشرح المنهاج"، والأسنوى فى "نهاية السول شرح منهاج الوصول" وتاج الدين السبكى وابنه.

الفلاسفة[١]. ويذكر عديد من رواة الصحابة[٢].

ومن الفرق تتقدم المعتزلة، فضدهم يحدث الحجاج، ثم الحنفية والفقهاء ثم المتكلمون ثم الشيعة. ثم تتداخل المذاهب الفقهية كالحنابلة والمالكية مع الفرق الكلامية كالإمامية والبصرية والبغدادية والخوارج، والفرق الفلسفية كالسمنية و"أصحابنا" أى الأشاعرة فى الكلام الشافعية فى الفقه[٣].

وتكثر الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث. وتتخللها بعض الشواهد الشعرية[٤]. والحجج العقلية فى صيغة "فإن قيل ... قلنا" للرد على الاعتراضات. ومع ذلك فيمتاز النص بالتركيز على الأصول دون الدخول فى الفروع[٥]. ويحيل إلى كتابه الآخر "المصباح" مما يدل على وحدة المشروع الفكرى.

٦- "أصول الشاشى" (القرن السابع الهجرى)[٦]. ويقوم على بنية رباعية، الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب، والسنة والإجماع والقياس. أكبرها الكتاب لأنه يضم مبحث الألفاظ. وأصغرها الإجماع[٧]. وقد تقلصت البنية الثلاثية إلى مصادر الشرع الأربعة وحدها أى النص بعد أن تحول الوعى النظرى إلى داخل النص، الكتاب، وغاب نهائيا الفعل أى الواقع لصالح النص. وبالرغم من الوعى بالبنية الرباعية إلا أن الأصول مقسمة إلى مباحث، وكل مبحث مقسم إلى فصول غير مرقمة[٨]. والأسلوب واضح. يغلب عليه القصر والتركيز كما هو الحال فى التعريفات

---

(١) الشافعى (١٢)، الباقلانى (١١)، أبو هاشم، البصرى (١٠)، أبو حنيفة (٧)، الكرخى (٥)، ابن سريج (٤)، أبو على، النظام (٣)، الغزالى، الإمام (الرازى)، الجوينى، أبو الحسين (٢)، الكعبى، الشيخ، الصيرفى، ابن سينا، ابن داود، المرتضى، عبد الجبار، أبو حازم، مالك، الجبائى، ابن أبان، القفال الشاشى، أبو اسحق، ابن الزيعرى (١).

(٢) مثل أبى هريرة، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، ابن عباس، على، طلخة، فاطمة، معاذ، أبو موسى، أبو بكر، عمر.

(٣) المعتزلة (١٢)، الحنفية، الفقهاء (٦)، المتكلمون (٥)، الشيعة (٣)، الحنابلة، المالكية، الإمامية، البصرية، البغدادية، الخوارج، السمنية، أصحابنا (١).

(٤) الآيات (١٣٢)، الأحاديث (٤٠)، الشواهد الشعرية (٢)، السابق ص ٤٩/٢٣.

(٥) "وإن كتابنا هذا منهاج الوصول إلى علم الأصول الجامع بين المعقول والمشروع، والمتوسط بين الأصول والفروع. وهو وإن صغر حجمه كبر علمه وكثرت فوائده وجلت عوائده"، السابق ص٣.

(٦) الإمام الفقيه نظام الدين الشاشى (من رجال القرن السابع الهجرى): أصول الشاشى (مختصر فى أصول الفقه الإسلامى) مع مقدمة لفضيلة الشيخ العلامة الفقيه يوسف القرضاوى. حققه وراجع نصوصه وعلق عليه الأستاذ محمد أكرم الندوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ٢٠٠٠.

(٧) الكتاب (١٧٤)، السنة (١٧)، القياس (١٣)، الإجماع (١٠).

(٨) أصول الشاشى ص١٦.

والمواصفات والمصطلحات بلا حشو. تكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيات على الأحاديث، ويقل الشعر[1]. وتقل أسماء الأعلام والفرق والمذاهب. ويتقدمها أبو حنيفة ثم الشيبانى ثم الشافعى ثم القاضى أبو زيد وأبو يوسف[2]. ومن الصحابة والتابعين يتقدم أبو هريرة وعبد الله بن مسعود ثم زيد بن ثابت ومعاذ وأنس وعلى وغيرهم[3]. ومن الفرق والمذاهب يتقدم "أصحابنا" ثم "علماؤنا" ثم "مشايخنا" والفقهاء والأئمة والعلماء. ومنهم المتقدمون والمتأخرون[4]. ومن الأقوام يذكر العرب والفرس. ومن ألوان البشرة الأحمر والزنجى والأدهم[5]. ومن المصادر يذكر "الشامل" للجوينى، و"الجامع الكبير" و"السير الكبير" للشيبانى[6].

٧- **المسودة لآل تيمية**. ولأول مرة يتكون نص جماعى من مذهب واحد، الحنبلية، ومن أجيال ثلاثة من نفس العائلة، ابن تيمية الجد والأب والحفيد[7].

ويقوم على قسمة رباعية طبقا لمصادر الشرع الأربعة. القسم الأول عدة مسائل تتعلق بمباحث الألفاظ مثل: مسائل الأوامر، مسائل الأفعال، مسائل العموم، مسائل البيان والمجمل والمحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز ونحو ذلك، ثم مسائل المفهوم وأقسامه مفصولة بكتابى الأخبار والإجماع. ويعنى ذلك أن مباحث الألفاظ هى البديل عن الكتاب، المصدر الأول. ثم تأتى بعد ذلك المصادر الثلاثة التالية، الأخبار أى السنة ثم الإجماع ثم القياس. ويضم كتاب القياس

---

(١) القرآن (٤٥)، الحديث (٣٤)، الشعر (١).

(٢) أبو حنيفة (٢٥)، الشيبانى (١٦)، الشافعى (١٥)، القاضى أبو زيد، أبو يوسف (٢)، الحماسى، الكرخى، زفر (١).

(٣) أبو هريرة، عبد الله بن مسعود (٣)، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل، أنس، على، عبد الله بن عمير، عائشة، ابن الصباغ، قيس بن حالف، الحس بن زياد (١).

(٤) أصحابنا (١٥)، علماؤنا (٣)، مشايخنا، الأئمة، الفقهاء، العلماء، قدماء أصحابه، المتأخرون (١).

(٥) العرب، الفرس، الأحمر، الزنجى، الأدهم.

(٦) الجامع الكبير (٥)، السير الكبير (٤)، الشامل (١).

(٧) المسودة فى أصول الفقه. تتابع على تصنيفه ثلاثة من أئمة آل تيمية:

١- مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر.

٢- شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام.

٣- شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم.

جمعها وبيضها شهاب الدين أبو العباس الفقيه الحنبلى أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغنى الحرانى الدمشقى المتوفى فى سنة ٧٤٥ من الهجرة. حقق أصوله وفصله، وضبط مشكله، وعلّق على حواشيه محمد محى الدين عبد الحميد، عفا الله عنه. وجميع حق إعادة الطبع محفوظة له، مطبعة المدنى، ٦٨ شارع العباسية، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

عدة مسائل: مسائل التقليد والاستصحاب ونحوهما، ومسائل أحكام المجتهد والمقلد. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم الأخبار، وأصغرها الإجماع[1]. ومع ذلك تظل مسائل متفرقة دون بنية واضحة، مجرد لحم فقهى دون هيكل عظمى، مادة هلامية دون عصب.

وتتكون بعض المسائل من عدة فصول. فالمسألة أكبر من الفصل. هى الأصل وهو الفرع. ولتأكيد وحدة العمل يتم الإحالة إلى أجزائه السابق واللاحق منها[2].

وعلى غير عادة الفقهاء الحنابلة تتسم المسودة بأسلوب معتدل، ونفس هادئ، وروح موضوعية، وتحليل علمى دقيق. تخلو من المحاجة والسجال والعنف، والحكم بالكفر أو الشرك أو الضلال أو الهلاك على غير عادتهم فى أصول الدين. لذلك خلا النص من الحياة واتسم بالبرود على غير عادة الحنابلة مثل "اجتماع الجيوش" ترصد الخلافات طبقا للروايات والمصادر دون أن تحاجج عقلا أو نقلا مع فريق لصالح فريق آخر. حتى أصبحت المسودة قاموسا للمسائل الخلافية الفقهية أكثر منها الأصولية. فمادة الفقه واضحة على حين توارت مادة الأصول بالرغم من الاستشهاد بعديد من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث دون الأشعار، فالتجربة الشعرية ليست مصدرا للتجربة الأصولية عند الحنابلة مع أن الكثير منهم لهم باع فى النقد الأدبى.

ومع ذلك يتم التحقق من الخلافات المذهبية ورصدها دون الحجاج ضد آراء المخالفين بل الحكم عليها فقط بالصواب أو الخطأ، بالصحة أو الفساد[3]. رأى المخالف يتقدمه فعل "زعم" والرأى الصواب يتقدمه فعل "قال". وكان يمكن تطوير بعض المسائل التقليدية مثل الصلاة فى الدار المغصوبة، وآل تيمية لهم باع طويل فى صد هجمات التتار[4]. وهم أصحاب إيمان قوى يتجلى فى اللازمات المعروفة "والله أعلم".

وتحضر الحجة النقلية خاصة الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية وتقل الحجج العقلية إلى الحد الأدنى إن لم تغب كلية[5].

وتكثر أسماء الأعلام، أصوليين وفقهاء ورواه. يتقدمهم جميعا القاضى أبو يعلى الحنبلى ثم ابن عقيل الحنبلى أيضا. ثم يحضر الأشاعرة بقوة عند الجوينى والشافعى والباقلانى والرازى والغزالى والأشعرى والقفال والاسفراييني. ثم يتوالى الحنابلة بداية من أحمد، وأبو الخطاب. ثم

---

(١) مباحث الألفاظ (٢٤٧)، القياس (٢١٤)، الأخبار (٨٤)، الإجماع (٣١).

(٢) "وسنذكره"، السابق ص١٨.

(٣) "وهو حسن"، السابق ص٦. "وهو ضعيف"، ص٢٨.

(٤) الدار المغصوبة، السابق ص٨٥/٨٣/٥٢.

(٥) الآيات (٣٥٠)، الأحاديث (١٢٥).

يظهر الأحناف بداية بأبى حنيفة والصيرفى والجصاص والمزنى والسرخسى وعيسى بن أبان. ثم يظهر المعتزلة بداية بأبى هاشم وأبى على والقاضى عبد الجبار (صاحب المغنى) وأبى الحسين البصرى، والكعبى، وأبو عبد الله البصرى، والبلخى. ويأتى المالكية أيضا بداية بمالك وأبى نصر المالكى، وأبى الفرج المالكى ، ومن المتكلمين أبو شمر المرجئى[1].

ومن المصنفات يتصدى "الكفاية" للقاضى أبى يعلى ثم تتعدد المصادر والإحالات بالعشرات دون أن يكون لأحدها أى صدارة[2]. وذلك يدل على أن الحنابلة يعتمدون على المنقول والروايات والنوازل والأمثلة الفقهية أكثر من اعتمادهم على النصوص الجاهزة.

ومن الفرق والطوائف يتقدم المعتزلة على غيرهم مما يدل على حضور الاعتزال حتى القرن الثامن بالرغم من محنتهم أيام المتوكل فى القرن الخامس[3]. ثم يظهر الشافعية بعد أن تزحزحوا من مركز الصدارة ثم الحنفية تأكيدا للمذاهب المهمشة على حقها فى أن تتصدر الوعى الأصولى التاريخى. ثم يأتى مجموع المتكلمين والفقهاء. ثم تظهر الأشعرية وأهل السنة والمرجئة مع فرق أخرى من "أصحابنا" أى الحنابلة والمالكية وأهل الظاهر وأهل العراق والكرامية.

٨- "أصول المنار" للنسفى (٧١٠هـ)[4]. وتقوم على قسمة رباعية هى الأدلة الأربعة

---

(١) القاضى (أبو يعلى) (٤٧٥)، ابن عقيل (٢٥٥)، الجوينى، أحمد (١٧٥)، أبو الخطاب، ابن برهان (١٢٥)، الشافعى (١٢٠)، أبو الطيب (٧٥)، أبو حنيفة، الحلوانى (٦٥)، الباقلانى، المقدسى (٦٠)، أبو هاشم (٥٥)، الرازى (٥٠)، الجرجانى، الكرخى (٣٥)، أبو بكر الخلال، أبو الحسين البصرى (٣٠)، الغزالى، الأشعرى (٢٥)، الميمونى، مالك، أبو على، الصيرفى، القفال (٢٠)، الدقاق، عبد الجبار، الأشعرى (١٥)، الجوزجانى، على بن سعيد، شيخنا، الاسفراييني، أبو نصر المالكى، الشيخ، الكعبى، ابن خلاد (١٠)، حنبل (إمامنا)، والد شيخنا، أبو عبد الله بن حامد، الجصاص، أبو محمد البغدادى، شيخنا أبو العباس (حفيد المصنف)، أبو هاشم، أبو الحارث، أبو الحسن التميمى، أبو الفرج المالكى، ابن أبى هريرة، الفيروزبادى، المزنى، المروزى، محمد بن شجاع، أبو سفيان، ابن وافد، صاحب المغنى، ابن شاقلا، الفخر إسماعيل، الأصطخرى، بن خيران، السرخسى، أبو شمر، عيسى بن أبان، أبو عبد الله البصرى، البلخى.

(٢) وذلك مثل: الروايتان للقاضى. فى الرد على من اتبع الظاهر وإن خالف السنة والأثر، اللامع، طاعة الرسول، اختلاف الروايتين والوجهين، مختصر أصول الفقه، المحصول، كتاب المجمل... الخ.

(٣) المعتزلة (١٩٠)، الشافعية (١٥٠)، الحنفية (١٤٠)، المتكلمون (١٣٥)، الفقهاء، أصحابنا (١٢٥)، الأشعرية (١٠٥)، المالكية، الجمهور (٣٥)، الأصوليون (٢٠)، أهل السنة، أهل الظاهر، العلماء (أهل العلم) (١٠)، المرجئة، الأصحاب، المتقدمون، أهل العراق، الكرامية.

(٤) أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى: المنار فى "فتح الغفار بشرح المنار" المعروف بـ "مشكاة الأنوار فى أصول المنار" تأليف الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم الحنفى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

التى يسميها أصولا. الأدلة الثلاثة الأولى نقلية، والرابعة عقلية، فالإجماع عند القدماء إجماع على تفسير أو تأويل نص أو صحة رواية أو أثر وليس خارج النص فى التجربة المشتركة. لذلك يقال أن الأصول ثلاثة ثم يضاف إليها الأصل الرابع[1]. وهنا يمكن رد البنية الرباعية إلى ثنائية، النص والعقل أو النقل والعقل بتعبير المتكلمين بتعبير المتكلمين دون الواقع. بل إن الإجماع ليس تجربة مشتركة بين المجتهدين بل أيضا نص مما يدل على انبعاج البنية نحو النص الذى يتضمن أيضا مباحث الألفاظ أى الوعى النظرى. وأكبرها الكتاب ثم القياس ثم السنة وأصغرها الإجماع[2]. وتدخل مباحث الألفاظ كلها تحت الأصل الأول، الكتاب. ولا تنقسم الأصول إلى فصول أو مباحث أو مسائل. كل أصل يسمى بابا باستثناء الأول، الكتاب[3]. فهو أقرب إلى المقال السيال دون "تمفصلات" كثيرة، أشبه بمصنفات قواعد العقائد المتأخرة فى علم الكلام[4]. ويبلغ درجة عالية من التجريد والتركيز والاختصار وكأن المصنفات المتأخرة قد صارت فى اتجاهين. الأول التركيز والقالب الواحد مثل "منهاج الوصول" للبيضاوى و"المنار" للنسفى. والثانى الإسهاب والتجميع والتفصيل والقيل والقال مثل "البحر المحيط" للزركشى (٧٩٤هـ). يغلب عليه العرض العقلى أكثر من الشواهد النقلية. والآيات أكثر من الأحاديث[5]. ويغيب الشعر بعد أن غابت التجربة الأصولية والواقع المعيش. وتقل أسماء الأعلام. وبالرغم من أن المؤلف حنفى المذهب إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكرا إما لأنه المحاور الرئيسى وله الاحترام الكامل أو لاستقراره مذهبا للأمة منذ الغزالى عندما اختار الأشعرية فى العقيدة، والشافعية فى الفقه، مذهبا للفرقة الناجية. ثم يأتى أبو حنيفة بعد ذلك مع باقى الأحناف مثل الكرخى وعيسى بن أبان. ويحال إلى مالك دون أحمد بن حنبل[6]. ومن الفرق يتصدر المعتزلة لأنهم المحاور الرئيسى ولقربهم من الأحناف لاشتراكهم فى النظر والقياس. ثم يأتى الأشعرية والمتكلمون والفقهاء وأهل اللغة[7].

٩- "تنقيح الأصول" للمحبوبى البخارى الشافعى (٧٤٧هـ)[8]. ويقوم على القسمة

---

(١) السابق ص١٢.

(٢) الكتاب (٢٥٠)، القياس (١٤٥)، السنة (٨٢)، الإجماع (٧).

(٣) هناك أيضا. تنبيه، السابق ص٣٠٤/٣٢٠/٣٤٣/٤٠٧.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جـ١ المقدمات النظرية، الفصل الثانى: بناء العلم ص١٤١-٢٢٧.

(٥) الآيات (٢٣)، الأحاديث (٦).

(٦) الشافعى (٢١)، أبو حنيفة (٩)، الكرخى (٤)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).

(٧) المعتزلة (٢)، الأشعرية، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة (١).

(٨) الإمام القاضى صدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الشافعى: تنقيح الأصول (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

الرباعية التقليدية بعد أن أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة هى بنية الأصول. والقرآن أكبرها ثم القياس ثم السنة والإجماع أصغرها[1]. وتدخل مباحث الألفاظ فى القرآن. أما الأحكام، أحكام التكليف وأحكام الوضع فإنها تأتى فى النهاية بعد القياس. فالثمرة فى النهاية وليست فى البداية كما هو الحال فى "المستصفى". وهى ثانى موضوع من حيث الكم بعد القرآن وقبل القياس[2]. مالت البنية الرباعية كلها نحو النص أى التاريخ بما فى ذلك طرق الاستدلال أى الوعى النظرى وأحكام التكليف أى الفعل خارج النص. ويتميز الكتاب بالهدوء وعدم إطلاق الأحكام بالصواب والخطأ والعنف مع المواقف. يكفى أن يقال "والمختار"[3]. وتغيب المسائل الميتافيزيقية الكلامية الفلسفية الخالصة. يعتمد على العرض العقلى مع بعض الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث. وتقل فى القياس. تخلو من الحياة وروح العصر وتحتمى وراء التجريد والصورية. ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم الشافعى على أبى حنيفة وأبى يوسف والشيبانى وباقى الأحناف، نظرا لتصدر الشافعية على الحنفية فى الوعى الأصولى التاريخى المتأخر[4]. ومن الفرق يتقدم المعتزلة لقربهم من الحنفية أو للجدال معهم باسم الشافعية ثم أصحابنا أو علماؤنا ومشايخنا أى الأحناف ثم الشافعية ثم الصحابة ثم الفقهاء والمحدثون وعلماء البيان[5].

١٠- **"رسالة فى أصول الفقه" للسيوطى (٩١١هـ)**[6]. وتخلو من أية دلالة أو زيادة أو أى شاهد نقلى أو عقلى. تدور حول موضوع الأدلة الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. وتدخل مباحث الألفاظ فى الكتاب. ويتلو القياس الاستصحاب والاستدلال والمستدل. ويخلو من الشواهد النقلية والعقلية وأسماء الأعلام والفرق، مجرد وضع صورى لبنية العلم التى مالت نحو النص وانحصرت فيه وأصبح النص بديلا عن العقل أى الوعى النظرى، والواقع أى الوعى العملى.

١١- **"الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى الغزى الحنفى (كان حيا عام**

---

(١) القرآن (٣٧٩)، القياس (١٤٩)، السنة (٨٤)، الإجماع (٢٣).

(٢) أحكام التكليف وأحكام الوضع جـ٢ ص٢٥٩-٤٢٧ (١٦٩ص).

(٣) تنقيح الأصول جـ١/٩٦.

(٤) الشافعى (٣١)، أبو حنيفة (١٢)، أبو يوسف، الشيبانى (٥)، الكرخى (٣)، الأشعرى (٢)، البردعى، أبو الحسين (١).

(٥) المعتزلة (٧)، أصحابنا (٦)، الصحابة، علماؤنا (٣)، المحدثون، الفقهاء، الشافعية، علما البيان، مشايخنا (١).

(٦) الحافظ السيوطى: رسالة فى أصول الفقه ص٧٢-٧٧.

١٠٠٧هـ)[١]. ويقوم على التجميع مثل معظم المؤلفات المتأخرة ابتداء من "البحر المحيط" للزركشي. لذلك تبدأ كثير من الفقرات بألفاظ "قال"، "يقول" دون نقد الأقوال أو إبداء الرأى فيها أو إيجاد بديل لها. وهو من نوع تخريج الفروع على الأصول. الفصول فى الأبواب، والفروع فى المسائل. يجمع الجزيئات فى الكليات. والفروع انتقائية نظرا لاستحالة حصرها. فالزمان متجدد، والوقائع تتوالى، لذلك لزم الانتقاء. إذ تبدأ كثير من الفقرات بالتبعيض بلفظ "منها". ويحيل اللاحق إلى السابق تأكيدا على وحدة العمل. والأسلوب هادى دون إقصاء أو استبعاد. يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يضم ولا يبعثر.

ويقوم النص على بنية رباعية هى الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويلحق بالقياس باب خامس فى الاجتهاد والإفتاء، وباب آخر بلا ترقيم "الأمور المعترضة على الأهلية" وهى أقرب إلى الموانع فى أحكام الوضع خاصة وان الأحكام غائبة، ودخول مباحث الألفاظ فى الدليل الأول الكتاب. وأكبرها الكتاب ثم السنة ثم القياس وملحقه وأصغرها الإجماع[٢]. والمقدمة فى تعريف علم الأصول وموضوعه وغايته واستمداده أى مصادره والخاتمة "فصل فى المتفرقات" أدخل فى نظرية العلم التى عادة ما توضع ضمن المقدمات، الإلهام والنظر والدلالة والحجة وشهادة العقل والجدل مع الخصوم. وهنا أيضا تنحصر البنية داخل قطب واحد هو النص الذى شمل كل شىء خاصة الكتاب والذى ضم العقل أى الوعى النظرى فى غياب تام لأحكام التكليف أى للوعى العملى.

ويعتمد على الشواهد النقلية. تغلب الآيات الأحاديث كما تغلب الآثار الأشعار[٣]. وآثار عمر أكثر من آثار على وعثمان وابن عباس[٤]. وهنا يختلط القول المأثور بالشعر كنوع من الأمثال العامية والثقافة الشعبية.

أما الأسماء فيتقدم أبو حنيفة، فالمؤلف حنفى، ثم الشافعى المحاور الأول قبل العصر التركى، ثم أصحاب أبى حنيفة مثل الشيبانى، ثم باقى الأصوليين على اختلاف مذاهبهم مثل الأسنوى ثم الرافعى ثم ابن الحاجب مع بعض النحاة مثل سيبويه، والصحابة مثل ابن عباس،

---

(١) الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب التمرتاشى الغزى: الوصول إلى قواعد الأصول. دراسة وتحقيق د. محمد شريف مصطفى أحمد سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢) الكتاب (١٦٢)، السنة (٢١)، القياس (١٠)، الاجتهاد والإفتاء (١٠). الأمور المعترضة على الأهلية (٣٠)، المقدمة (١٥).

(٣) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٤٠)، الآثار (٨)، الأشعار (٥).

(٤) عمر (٣)، على (٢)، عثمان، ابن عباس (١).

والمحدثين مثل البخارى، والمتكلمين مثل الأشعرى، وبعض الشيعة مثل ملا خسرو، وآخرون[1]. ومن المدن تتقدم بغداد ثم مكة ثم بلخ وخواقندة والديلم والرى. ومن الأمصار الشام[2].

١٢- "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى (فى أوائل القرن الثالث عشر)[3]. وفيه تم التعبير عن علم الأصول فى منظومة شعرية. فالشعر ذخيرة العرب ورصيدهم الأول فى لحظات القوة، عصر المتنبى وأبى العلاء أو فى لحظات الضعف فى بداية الأراجيز والمنظومات الشعرية لتدوين العلوم فى عصر التدوين الثانى حفاظا على التراث بوجدان العرب وصياغاتهم الأولى بعد هجمات التتار والمغول من الشرق والصليبيين من الغرب. وهو شعر موزون وإلا لما كان شعرا، وأقرب إلى الشعر العمودى. وأحيانا يأتى نصف بيت كما هو الحال فى الرجز. وفى الغالب تتغير القافية فى كل بيت. ويشارك الشطر الأول الشطر الثانى فى القافية. وبالرغم من صعوبة الشعر التعليمى إلا أنه كان أداة حفظ الذاكرة العربية فى هذه العصور المتأخرة. يضحى بجماليات الشعر لصالح المضمون المجرد بلا خبرات جديدة. هو شعر عقلى وليس شعرا وجدانيا. يصوغ فكرا نظريا، ولا يعبر عن تجربة شعرية. الشعر وسيلة وليس غاية، كعلم النحو أو الرياضيات. تغيب جماليات الشعر، ويغيب المضمون الأصولى الجديد. لا يتحمل الشعر الاستدلال والمحاجة، والرأى والرأى الآخر.

ولا يتضح للعمل هدف خاص، أخذ موقف أو الجمع بين مذهبين بل يعبر فقط عن خصائص الأقاليم، القدرة الشعرية فى موريتانيا، صحراؤها وخيمها وبدوها.

---

(١) أبو حنيفة (٤١). الشافعى (٢٤). الأسنوى (٢٣). الشيبانى (٢٢). الرافعى (١٦). ابن الحاجب (١١). الآمدى (٧). ابن الهمام (٦). الجوينى، السرخسى، قاضيجان (٥). الزيلعى، سيبويه، الماوردى، ابن ملك (٤). ابن أبى ليلى، البوشنجى، البيضاوى، الخبازى، الرازى، الرويانى، ابن عباس، الغزالى، القرافى، الكرخى (٣). ابن الصلاح، ابن مالك، أبو جعفر البلخى، أبو سفيان، أبو هريرة، الأشعرى، البخارى، البزازى، البزدوى، الترجمانى، الخصاف، فخر الإسلام الحنفى، القيروانى، الكردرى، الكرمانى، ملا خسرو، النسفى، النووى، هلال البصرى (٢). وهناك ثلاثة وثمانون اسما يذكر كل منها مرة واحدة. ومن الأنبياء إبراهيم، أيوب، نوح. ومن الأصوليين الأبهرى، ابن برهان، ابن البيضاوى، ابن سماعة، ابن غيلان، ابن عيسى، ابن اللحام، الجصاص، الدبوسى، الرازى، زفر، الشيرازى، الكرخى. ومن الفقهاء ابن عبد السلام. ومن المتكلمين الايجى، أبو الحسين البصرى، التفتازانى، الجرجانى، الصيمرى، غيلان، النسفى. ومن المحدثين البخارى. ومن الصحابة أبو بكر، أبى بن أبى كعب، عائشة، عمر بن الخطاب. ومن أهل السلف ابن سيرين.

(٢) المدن: بغداد (٧). مكة (٢). بلخ، خواقندة، الديلم، الرى، المدينة المنورة (١). الأمصار: الشام (١).

(٣) سيدى عبد الله بن إبراهيم العلوى الشنقيطى: نشر البنود على مراقى السعود (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م. تم تأليفه عام ١٢٠٧ والانتهاء منه عام ١٢١٤.

وله بنية رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعة، القرآن والسنة والإجماع والقياس، بالإضافة إلى المقدمة. أكبرها القياس ثم القرآن ثم السنة وأصغرها الإجماع[1]. تغيب المقدمات النظرية اللغوية أو المنطقية، وتكتفى بتعريف العلم وتحديد موضوعه. وتدخل مباحث اللغة ضمن الدليل الأول، القرآن، دون أن تكون مبحثا بمفردها كما هو الحال فى "المستصفى" فى "طرق الاستثمار". ويعتمد على نصوص سابقة يورد أسماءها فى بيت شعرى مرة واحدة لجمع المادة منها[2]. وهنا يتقدم العقل على النقل ولكن يغيب الواقع. فالعقل أسلم والواقع مخاطرة.

وتقل الشواهد النقلية، القرآن والحديث، وأسماء الأعلام والفرق والأماكن من المنظومة الشعرية لصعوبة التحكم فيها طبقا لأوزان الشعر. والبعض منها يتحول إلى صيغ شعرية[3].

وتقل أسماء الأعلام والفرق لصعوبة وضعها فى الشعر الموزون المقفى. ويتصدر مالك والقرافى والباجى فقهاء المالكية على السبكى وابن الحاجب والغزالى وغيرهم[4]. ومن المذاهب يأتى المذهب السنى قبل الشافعى والمعتزلى أو الاعتزالى والحنبلى[5]. ولا يذكر الحنفى. والمؤلف من نسب علوى. ومن الفرق يذكر الصحابى وأهل السلف ثم آل البيت[6]. ومن الرسل يذكر محمد الرسول أى النبى ثم إسماعيل ويوسف[7]. ويذكر العديد من الصحابة بألقابهم المثالية مثل الصديق والفاروق والبحر (ابن عباس) والشيخ ذو الترجيح[8]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر النصارى. وبطبيعة الحال تظهر الأقاليم والأمصار والبوادى مثل أهل المغرب وأهل المشرق وفارس والترك والعرب[9].

---

(١) القياس (٢٤٢)، القرآن (٢٢٨)، السنة (٧١)، الإجماع (٢٤). المقدمة (٦٥).

(٢) مثل: التلويح، الضياء اللامع، الآيات، الجمع، التنقيح، الشرح، شروح الجمع، المختصر جـ٢/٣٤٧-٣٤٨.

(٣) مثل تحول حديث "فى سائمة الغنم الزكاة" إلى:

معلوفة الغنم أو ما يعلف ∴ الخلف فى النهى لا يعرف

السابق جـ١/٩٧.

(٤) مالك (٣)، القرافى، القاضى (الباقلانى)، القاضى (عبد الوهاب) (٢)، القشيرى، النعمان، ابن الحاجب، حجة الإسلام (الغزالى)، ابن حلولو، اللخمى، الطحاوى، ابن دقيق العيد، ابن السبكى، ابن علية (١).

(٥) المذهب السنى (٢)، الشافعى، المعتزلى، الاعتزالى، الحنبلى، الفاطمى، العلوى، أهل الاجتهاد، الولى، الراوى (١).

(٦) الصحابى (٤)، أهل السلف، الفقيه (٢)، أهل البيت، الأصحاب، التابعين، أهل الاجتهاد، أصحاب النبى، الأولياء، الجمهور (١).

(٧) محمد، النبى (٢)، أحمد، إمام الأعجمين والعرب، إسماعيل، يوسف، الرسل (١).

(٨) الصديق، الفاروق، أنس، جابر، أبو هريرة (صاحب روش)، ابن عمر، المسيب، ابن تغلب، ابن فارس، البخارى، مسلم، الجطفى.

(٩) العرب (٢)، الترك، المغرب، المشرق، فارس، أم قيس (١).

١٣- "الجواهر الثمينة فى بيان أدلة عالم المدينة" للمشاط (١٣٩٩هـ)[1]. وهى إعادة صياغة نثرية لقصيدة "مراقى السعود" للشنقيطى مع الإكثار من الحجج النقلية، الآيات والأحاديث وجمعا بين النثر والشعر. وهو غير الشرح لأن النص الجديد ليس تقطيعا للنص القديم لفظا لفظا، وعبارة عبارة، بل إعادة صياغة للمعانى. كما أن إعادة التعبير تسبق الأبيات المشروحة ولا تتلوها كما هو الحال فى الشرح. وتأتى الأبيات كشاهد شعر على صدق الشرح. فهو تأليف شارح أو شرح تأليفى. وهو مختلف عن "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمازرى (٥٣٦هـ) الذى يقوم بإعادة كتابة نص "البرهان" دون التزام به قبل الكتابة وبعدها. فإذا كانت "الجواهر الثمينة" أشبه بالتلخيص لأنه يعتمد على المتن المشروح فإن "إيضاح المحصول" يكون أقرب إلى الجوامع الذى لا يشير إلى المتن المشروح بل يدخل إلى موضوع مباشرة خارج الألفاظ وخارج عالم اللغة. ولا يعتمد فقط على نظم "مراقى السعود" بل أيضا على شرحه فى "نشر البنود". لذلك لم يبق شئ للعالم الجليل.

وهو مالكى يعيش فى شبه الجزيرة العربية موطن الوهابية والسلفية. يشرح مالكيا موريتانيا مما يدل على وحدة الأمة بالرغم من تنوع فرقها ومذاهبها. وكلاهما ينتسب إلى مالك "عالم المدينة"، ويحاولان بيان أدلته، الجواهر الثمينة، دون نقد للإمام أو تطوير لمذهبه طبقا لظروف العصر، القرن الرابع عشر. وقد تم التأليف بناء على أمر وتكليف وليس طواعية واختيارا بناء على قصد فى التطوير ونية فى التغيير، وكعادة القدماء يحتقر العالم نفسه ويتهمها بأنها أسيرة المساوئ والشهوات، وأنه كثير الخطايا والزلات، راجى الفوز على الصراط[2].

وهو يدل عل نهاية الإبداع فى العصور الحديثة فى علم الأصول، وحاجة التأليف إلى سند جديد يبدأ منه فى متن شعرى سابق وفى الحجج النقلية. فالقرآن والشعر ركيزتان للتأليف عندما ينتهى الإبداع. وتضاف إليه عدة اقتباسات من أقوال القدماء بين معقوفتين[3] أو علامة "انتهى" أو يعتمد على نص من المحدثين كشماعة يعلق عليها اقتباسات من القدماء، ويحمل على نص شعرى حديث نصوصا من القدماء مساهمة من علماء موريتانيا الصحراويين فى التأليف الأصولى حتى ولو خلا من الإبداع. لا يأخذ النص الجديد موقفا من المتن الشعرى ولا يغير فيه موقفا ولا ينقد فيه رأيا، التأليف لمجرد التأليف كما يفعل علماء النقل. وإذا قارن فلا ينقد. ويكفى

---

(١) العلامة الفقيه حسن بن محمد المشاط: الجواهر الثمينة فى بيان أدلة عالم المدينة، دراسة وتحقيق د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ط٢/١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٢) السابق ص١١١.

(٣) السابق ص١٢٥/١٣٠/١٣٨/١٥٢/١٧٢/١٨٣/١٩٢/١٩٧-١٩٩/٢٠٣/٢١٥/٢٦٠/٢٨٢/٢٨٦/٢٨٨/٢٩٣.

الإعلان عن "المختار". ويمكن تقليد القدماء فى الشكل والأسلوب مثل إضافة "تذنيب" و"تعميم" و"تنبيه"[1]. هو نص "قعيد" لأنه له دعامتان وليس فقط نصا "كسيحا" أو "أعرجا"، يعتمد على دعامة واحدة. وربما لم يعتمد المؤلف على أبيات القصيدة كلها بل كفاه نماذج منها لعرض الآراء نثرا. وقد استوفى القدماء كل شئ. والمالكية أفضل المذاهب[2].

ويعتمد على البنية الثلاثية الأولى، الكتاب والسنة ثم باقى الأدلة من إجماع وقياس وعمل أهل المدينة وقول الصحابى والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب ومراعاة الخلاف والاستدلال والمصالح المرسلة وتصديق المعصوم والبراءة الأصلية والعوائد والأخذ بالأخف. وهى موضوعات متعددة تدخل معظمها فى الأصل الرابع، القياس. وقد كانت بنية القصيدة الشعرية رباعية ثم تحولت إلى ثلاثية، وهناك وعى مبدئى بهذه البنية الثلاثية المختارة. وهى ترد جميعا إلى الكتاب والسنة، عودا بالتجربة المشتركة، الإجماع، والتجربة الفردية، الاجتهاد، إلى بطن النص من جديد. وتضاف مقدمة فى الأدلة إجمالا، وخاتمة عن التمييز بين الحكم والفتوى. وبالرغم من هذه البنية التقليدية ينعى المؤلف حال العلم فى عصره، وامتهان العلماء، والإعراض عنهم، وتشتت أغراض العلم، والتكسب به[3]. كما أنه ينعى الجمود على النصوص لأنه ضلال وإضلال طبقا للقول المأثور. فالتجديد أيضا تقليد لقول مأثور[4]. والخاتمة فى علم القواعد الفقهية، أربعة منها[5].

---

(١) السابق ص٢٣٣/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٥.

(٢) "وقد تكلم على المسألة الإمام الغزالى فى كتابه فاستوفى"، السابق ص٢٥٤.

(٣) "وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب وأربعة وعشرين فصلا حسبما اقتضته الأدلة التى بنى عليها إمامنا مالك مذهبه وخاتمة. أما المقدمة ففى سرد الأدلة إجمالا ليتصورها الطالب قبل الشروع فى مباحثها والحكم عليها لأن الحكم على شئ فرع من تصوره. وأما الفصول ففى مباحث الأدلة المسرودة فى المقدمة. فخمسة فصول منها تحت الباب الأول، وهو باب أدلة الكتاب، وخمسة أيضا تحت الباب الثانى، وهو باب أدلة السنة، وأربعة عشر فصلا تحت الباب الثالث، وهو باب الأدلة الأربعة عشر الباقية. وهى مفرعة على أدلة الكتاب والسنة ومبنية عليها لأن كل دليل راجع إلى الكتاب والسنة وأميل إليهما فى نفس الأمر. وأما الخاتمة ففى الفرق بين الحكم والفتوى، وبيان أقل الصفات للمفتى فى هذا الزمن الذى قل فيه العلم. وصار كل من ينسب إلى العلم فيه ممتهنا. وقد أعرض الناس عنه كل الأعراض، وكثرت فيه الدعاوى والأغراض، وفى بيان أن من جاز له الإفتاء جاز له القضاء ليكون العالم على بصيرة من ذلك إن ابتلى بأحدهما، وفى ذكر القواعد الخمس التى أسس عليها الفقه"، السابق ص١١٢-١١٣.

(٤) "والجمود على النصوص أبدا ضلال وإضلال"، السابق ص٢٩٣.

(٥) وهى: ١- أن الضرر يُزال ٢- أن المشقة تجلب التيسير ٣- أن اليقين لا يُزال بالشك ٤- أن العادة محكَمة. السابق ص٢٩١-٢٩٢.

ويتضمن الكتاب كعادة المتأخرين مباحث الألفاظ. وتتكرر نفسها فى السنة دون الجمع بين الدليلين اللفظين الأدلين فى نفس المنطق اللغوى[1]. والمعصوم فى باقى الأدلة ليس ما هو معروف لدى الشيعة الإمام المعصوم بل النبى باعتباره معصوما[2].

ويتم الاعتماد على العديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر تدعيما للمتن النثرى الذى لم تتحمله القصيدة الشعرية[3].

كما يحال إلى عديد من الأعلام يتقدمهم القرافى ثم مالك ثم لحلو ثم الشافعى ثم الآمدى والسبكى والشاطبى والغزالى وابن الحاجب وأبو حنيفة والرازى والباقلانى وابن العربى والجوينى والسيوطى والأسفراييني والأشعرى وعديد من الأصوليين والمتكلمين والنحاة والفقهاء والمتصوفة والمعتزلة والبغداديين...الخ. ويتقدمهم علماء المالكية وباقى المذاهب الأخرى[4].

كما يذكر عديد من النصوص القديمة فى مقدمتها "نشر البنود" وهو شرح على "مراقى السعود"، "وجمع الجوامع" وشروحه المختلفة "والتنقيح" و"الفروق" للقرافى و"الموافقات" للشاطبى و"الاحكام" للآمدى، و"الإحياء" و"المستصفى" و"شفاء الغليل" و"المنخول" للغزالى، و"الإشارات" للباجى و"التحرير" لابن الهمام، و"نهاية السؤل" للبيضاوى، وغيرها من أمهات المتون الأصولية جمعا بين المالكية والشافعية وأقلها الحنفية والحنبلية[5].

١٤- "ألفية الوصول إلى علم الأصول" لعلى إبراهيم شقير (من علماء الأزهر

---

(١) وهى: نص الكتاب أو السنة، العموم، مفهوم المخالفة، المفهوم بالأولى، التنبيه على العلة. السابق ص١٢١-١٥٢/١٥٥-١٨٦.

(٢) السابق ص٢٥٧.

(٣) الآيات (٦٧)، الأحاديث (٤٩).

(٤) لم يقم الكشاف برصد تردد اسم كل علم بل اكتفى بذكرهم مرة واحدة، وبلغ عددهم حوالى ١٣١ علما مع سنوات وفاتهم. ومع ذلك يمكن رصد التردد الآتى: القرافى (٣٧)، مالك (٣٠)، لحلو، الشافعى (١٧)، الآمدى، السبكى، الشاطبى (١٢)، الغزالى (٧)، ابن الحاجب (٦)، أبو حنيفة، الرازى، الحلى، الباقلانى (٥)، ابن العربى (٤)، الجوينى، السيوطى، الإبيارى، البطليوسى (٣)، وآخرون مثل الأبهرى، الأسفراييني، الأشعرى، البلقينى، ابن رشد، السمعانى، الصيرفى، القاضى عياص، المزنى، المقرى... الخ.

(٥) بلغت أكثر من ثلاثين نصا قديما. فى مقدمتها نشر البنود (١٣)، شرح التنقيح للحلو (١٢)، وغيرها مثل محلى جمع الجوامع، جمع الجوامع للسبكى (٥)، مراقى السعود للشنقيطى (٣)، الضوء اللامع، التنقيح للقرافى، الاحكام للآمدى، الاحكام لابن عربى، الموافقات للشاطبى (٢) ثم الفروق للقرافى، البرهان للزركشى، الاعتصام للشاطبى، الموطأ، اللامع على جمع الجوامع، شرح المنهاج للأسنوى، شرح الورقات للمحلى، الإشارات للباجى، الإحياء والمنخول وشفاء الغليل والمستصفى للغزالى، التحرير لابن الهمام، إصلاح المنطق، ونيل السؤل... الخ.

الشريف)[1]. ومن مظاهر توقف الإبداع ليس فقط بداية الشروح والملخصات ولكن أيضا بداية صياغة العلم بالشعر. فالشعر هو الإبداع المتواصل الذى لم يتوقف لأنه هو الذى يعبر عن جوهر الثقافة العربية والذى ورثه القرآن بنفس الإبداع الشعرى الذى وصل إلى حد الإعجاز. وتقوم على القسمة التقليدية الرباعية المتأخرة، الأدلة الشرعية الأربعة مثل "منهاج الوصول" للبيضاوى، ويسميها المؤلف الأركان، بالإضافة إلى مقدمة عن تعريف الأصول وموضوعه وغايته وأحكام التكليف ومعها بعض مباحث الأمر. وفى الركن الأول، الكتاب تدخل معظم مباحث الألفاظ فى أبواب وفصول مثل المنطوق والمفهوم والمفاهيم والاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والحروف، والأمر، والعام والتخصيص، والظاهر والمؤول، والمجمل، والبيان والنسخ. وفى الركن الثانى، كتاب السنة، فالسنة أيضا كتاب وتشمل الخبر وأنواعه وشروط الراوى وانقطاع الحديث. والركن الثالث الإجماع، شروطه ومراتبه. والركن الرابع القياس، أركانه وشروطه ومسالكه وقوادحه واستدلاله والاجتهاد والتقليد خاصة فى علم أصول الدين مع حديث الفرقة الناجية نظرا للوحدة بين العلمين. وتضاف خاتمة فى علم التصوف تأكيدا على وحدة العلوم باستثناء الفلسفة بعد أن تم إقصاؤها منذ ابن خلدون وابن الصلاح. وأطولها الكتاب ثم المقدمات ثم القياس ثم الخاتمة ثم السنة. وأصغرها الإجماع[2]. وبعض الفصول بلا عناوين[3]. ويحاصر القياس أى العقل والوعى النظرى بين نص الكتاب ونص السنة والإجماع ويغيب الفعل أى الوعى العملى.

وتظهر بعض المواد من العلم الحديث مثل علم الأجنة كدليل على التعاقب وعدمه[4]. وقد دخلت الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث داخل النظم[5]. وبالرغم من النظم يظهر أعلام الأصول مثل الرازى والغزالى ثم الشافعى، ثم الإمام الأعظم النعمان بألقاب التعظيم المتأخرة فى الظهور. ويظهر المتكلمون مثل الجبائى ثم القاضى ثم الآمدى ثم الجوينى والشيرازى ومالك والكرخى، وغيرهم من أهل النحو ومؤسسى الفرق[6]. كما يحال إلى "المحصول" للرازى. ومن

---

(١) الشيخ على إبراهيم شقير: ألفية الوصول إلى علم الأصول، غفر الله له وللمسلمين، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، شركة مطبعة الرغائب بمصر (د.ت).

(٢) الكتاب (٣٧ص)، المقدمات (١٤)، القياس (٩)، الخاتمة (٨)، السنة (٦)، الإجماع (٢).

(٣) ألفية الوصول ص٣٣/٦٦.

(٤) مثاله بيع الملاقيح ∴ تكون فى البطون من أجنة

(٥) القرآن (٦)، الحديث (٢).

(٦) الرازى، الغزالى (٨)، الشافعى، الإمام (الأعظم) (٧)، أبو هاشم الجبائى (٥)، القاضى (٤)، الآمدى (٣)، الجوينى. أحمد، الشيخ، ابن الحاجب، الشيرازى، مالك، الكرخى (٢)، أبو عيينة، الأستاذ، الثورى، الأوزاعى، الأشعرى، اسحق، ابن دقيق العيد، الكيا، البصيرى، القاضيان، الخليل، عبد الجبار، داود الظاهرى (١).

الفرق يظهر المعتزلة (أهل الاعتزال) [1]. ويذكر عديد من الصحابة الرواة[2]. والحقيقة فى مذهب دون آخر[3].

١٥- "نظم مختصر المنار" للشيخ طه افندى العريف بسنوى زاده (هـ)[4]. لما كان الشعر هو وجدان العرب، ومركز ثقافتهم وحضارتهم قبل أن يرثه القرآن فقد تم نظم علم الأصول شعرا فى الفترة الأخيرة. وبطبيعة الحال لا يتحمل النظم الشواهد النقلية من القرآن والحديث لأنها لها نظمها الخاص. كما يخلو من أسماء الأعلام والفرق[5]. وهو شعر تعليمى ركيك، الغاية منه مساعدة الطلاب الأزهريين على حفظ المادة العلمية حتى ولو بدون فهم كما هو الحال فى حفظ القرآن، ويكون حافظا لا عالما. ولا يتضمن مادة أو رؤية أصولية جديدة بل هو تكرار لما هو معروف سلفا مع اضطراب فى ترتيب الأدلة الأربعة، وتداخل بين الفصل والباب[6]. وهو أقرب إلى التمرينات الإنشائية منه إلى الموضوعات العلمية. تبدأ القصيدة بمدح السلطان "باسمه"، وهو الوحيد المذكور[7]. وتنتهى بعض الأشعار باللازمة "الله أعلم"[8]. وأحيانا تذكر تتمة[9].

ويركز على الأدلة الأربعة الكتاب والإجماع والسنة والقياس[10]. وتدخل مباحث الألفاظ فى الكتاب فلم تعد تمثل طرقا لاستنباط الأحكام. وفى الأمر تدخل الأحكام، أحكام التكليف، وأحكام الوضع. ويدخل فى السنة تعارض الحجج وعادة ما يأتى التعارض والتراجيح فى النهاية. ويضم البيان إلى السنة، والاجتهاد إلى القياس. فالنص قد ابتلع كل شىء، الوعى

---

(١) المعتزلة (أهل الاعتزال) (٥)، الجمهور (٣)، العرب (٢)، مجوس (١).

(٢) مثل: أبو هريرة، مسلم، الترمذى، البخارى، عمر، خزيمة.

(٣) ألفية الوصول ص٢٦/٢٨.

(٤) الشيخ طه افندى: مختصر المنار، استانبول ١٣١٦هـ.

(٥) يذكر النعمان "كذا روى القوم عن النعمان، السابق ص١٧.

(٦) فصل فى حكم الأمر، السابق ص١١، فصل فى الحكم التكليفى ص٣٤، فصل ص١٣/٣٨، فصل فى الحكم الوضعى ص٣٥، الباب الثانى فى السنة ص٣٦، فصل فى نفس الخبر ص٣٩، فصل فى تعارض الحجج ص٤٠، فصل فى البيان ص٤١، باب الإجماع ص٤٥، باب القياس ص٤٥، باب الاجتهاد ص٤٦.

(٧) السابق ص٤-٥.

(٨) السابق ص٤٢.

(٩) تتمة، السابق ص٢٠.

(١٠) والشرع مبنى على الكتاب والإجماع والسنة قولا وعمل
وهذه الأصول والقياس ∴ رابعها وهى له أساس
السابق ص٧.

النظرى والوعى العملى على حد سواء.

وواضح أن النموذج الأمثل للبنية الرباعية هو نموذج "المستصفى" للغزالى، الأحكام وهى الثمرة، والأدلة الأربعة وهى المستثمر، ومباحث الألفاظ وهى طرق الاستثمار، والاجتهاد والاستفتاء والترجيح وهو المستثمر. ثم بدأت البنية تنحسر بعده فى "الاحكام" للآمدى بوضع الأحكام ضمن المقدمات مع المبادئ الكلامية واللغوية والفقهية وبقاء الأدلة الأربعة، والمجتهدون والمستفتون، ثم إضافة الترجيحات والتعارض واختفاء طرق الاستثمار. وهو ما حدث أيضا فى "مختصر المنتهى" لابن الحاجب. أما "منهاج الوصول" للبيضاوى فإنه قسم الأدلة إلى متفق عليها وهى الأدلة الأربعة، وأدلة مختلف عليها فى قسمين، ثم التعادل والتراجيح، والاجتهاد والإفتاء فى قسمين آخرين. واختفت الأحكام وطرق الاستثمار. ثم أبقى "تنقيح الأصول" للبخارى الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الأحكام كخاتمة عرضية. ثم أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة وحدها هى البنية الرباعية فى "أصول الفقه" لابن فورك، و"أصول المنار" للنسفى، و"أصول الفقه" للسيوطى، و"الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى، و"نشر البنود" للشنقيطى، و"ألفية الوصول" لإبراهيم شقير، و"نظم مختصر المنار" لبسنوى زاده حتى مع اضطراب فى ترتيب الأدلة.

سادسا: البنية الخماسية.

١- "تقريب الوصول إلى علم الأصول" لأحمد بن جُزَىْ المالكى (٧٤١هـ)[١]. ويقوم على بنية خماسية: المنطق (التعاريف العقلية)، واللغة (التعريفات اللغوية)، والأحكام الشرعية، وأدلة الأحكام، وأخيرا الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح. أكبرها أدلة الأحكام ثم التعريفات اللغوية ثم الاجتهاد وما يتعلق به ثم التعاريف العقلية. وأصغرها الأحكام الشرعية[٢]. ويمكن ردها إلى بنية ثلاثية: الأدلة والأحكام واللغة أى مباحث الألفاظ بالإضافة إلى المقدمة المنطقية. والبنية الخماسية مقسمة إلى فنون، وكل فن مقسم إلى أبواب. وبعض الأبواب فى الفنين الثانى والرابع إلى فصول. ولا ضير من إضافة تنبيه واحد[٣]. ويكون للوعى النظرى الأولوية على الوعى العملى والوعى التاريخى بينهما. الأولوية للعقل ثم للنقل وأخيرا يأتى الفعل فى ثلاثية

---

(١) أبو القاسم محمد بن أحمد جزى (٧٤١هـ): تقريب الوصول إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق د. عبد الله محمد الجبورى، دار النفائس، عمان، الأردن ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢) أدلة الأحكام (٤٠)، التعريفات اللغوية (٣٠)، الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح (٢٤)، التعاريف العقلية (٢٠)، الأحكام الشرعية (١٦).

(٣) تقريب الوصول ص ١٣٧.

وهو نص قصير وواضح. أقرب إلى التعريفات الأولى لمصطلحات الأصول والمبادئ الأولى والمصادرات والبديهيات الأولية، دون حشو أو شرح يقوم على التشعب النظرى، ودون الدخول فى اختلافات المذاهب والفرق، وأقرب إلى الهيكل العظمى منه إلى المادة العضوية. ويقوم على العد والإحصاء لترقيم الأقسام. فقد كتبه المؤلف لتعليم ابنه. ويقوم على شرح الذات، إيراد التعريف ثم شرحه. ويعتمد على عديد من الأدلة النقلية، تتقدم فيها الآيات على الأحاديث[1]. ويظهر كلام العرب ولغة العرب واللسان العربى والعربية[2].

وبالرغم من أن المؤلف مالكى إلا أن الشافعى يتقدم أسماء الأعلام قبل مالك نظرا لسيادة الشافعية على علم الفقه والأصول بعد أن جعلها الغزالى المذهب الفقهى الرسمى للأمة. ثم يأتى أبو حنيفة. ثم يتداخل المتكلمون والأصوليون، أشاعرة وأحناف ومالكية مثل الباقلانى وفخر الدين الخطيب، والأبهرى والأشعرى. ثم يأتى القرافى والباجى والجوينى وأبو يوسف وابن حنبل وغيرهم مثل الجاحظ والدقاق وأبو حامد وأبو داود الظاهرى والشيبانى وسفيان الثورى واسحق راهويه[3]. ومن المجموعات والفرق والمذاهب يتقدم العلماء ثم الفقهاء ثم الظاهرية أو أهل الظاهر ثم المتكلمون والمعتزلة وأهل المدينة والنصارى. ثم يأتى النحويون والصحابة واليهود. وأخيرا يأتى المقلدون والمجتهدون والمالكيون أو المالكية والحنفية وأهل السنة وأهل الكوفة وفقهاء الأمصار وغيرهم[4].

٢- "إحكام الفصول فى أحكام الأصول" للباجى (٤٧٤هـ)[5]. وهو نص واضح هادئ

---

(١) الآيات (٣٨)، الأحاديث (١٣).

(٢) كلام العرب (٢). لغة العرب، اللسان العربى، العربية (١).

(٣) الشافعى (١٦)، مالك (١١)، أبو حنيفة (٩)، القاضى أبو بكر (الباقلانى) (٧)، فخر الدين الخطيب (٦)، أبو الفرج الأبهرى (٥)، الأشعرى (٣)، القرافى، الباجى، الجوينى، أبو يوسف، أحمد بن حنبل (٢)، العنبرى، الجاحظ، الدقاق، أبو حامد، موسى بن عمران، أبو داود الظاهرى، اسحق بن راهويه، سفيان الثورى، الشيبانى، أبو بكر، يعقوب، ابن محيص (١).

(٤) العلماء (٨). الفقهاء (٦). الظاهرية، أهل الظاهر (٥). المعتزلة، المتكلمون، أهل المدينة، النصارى (٣). النحويون، اليهود، الصحابة (٢). الحنفية، المقلدون، المجتهدون، المالكيون، المالكية، فقهاء الأمصار، أهل الكوفة، المحدثون، أهل السنة، الخلفاء الأربعة، إجماع العشرة (١).

(٥) أبو الوليد الباجى: إحكام الفصول فى أحكام الأصول، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركى. (جزءان)، دار الغرب الإسلامى، بيروت ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ط٢/١٤١٥هـ/١٩٩٥م. (وللمحقق فضل كبير على النشر العلمى الدقيق لمتون المالكية فى المغرب الإسلامى وهو خليفة برنشفيج فى إدارة مجلة دراسات إسلامية)

غير سجالى. يرصد الخلاف بين المذاهب دون استبعاد أحد. والصحيح ما جاء فى "الموطأ". وهو دقيق العرض دون رغبة فى التطويل[1].

والبنية خماسية كما هو الحال فى باقى متون المؤلف حول الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الاستصحاب بعد القياس[2]. وأكبرها القياس ثم السنة ثم الكتاب ثم الاستصحاب وما يتبعه من اجتهاد وتعارض وأصغرها الإجماع ثم الدخل[3]. وتدخل مباحث الألفاظ كالعادة فى القرآن. وتختفى أحكام التكليف. فالأولوية للنقل أى المصادر الأربعة على العقل أى الاجتهاد ويختفى الفعل أى الواقع كلية. ويظهر اتفاق أصول الفقه السنى والشيعى على الاستصحاب وتدعيمه بنفس الأدلة النقلية والعقلية. والتعارض فى السنن أكثر منه فى الآيات نظرا لتفاوتها فى الصحة ولتطورها فى الزمان ولاختلاف المواقف والأذواق والعادات والأعراف العربية.

وتكثر فيه الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر، والأشعار أقل. ويكثر الشعر فى فصل الحروف وفى باب القرآن. ويقل فى باب القياس[4].

ومن أسماء الأعلام يتقدم الباقلانى متكلم الأشاعرة وليس مالك ثم عمر بن الخطاب روح المالكية. ومن الصحابة ابن عباس وأبو بكر وعائشة. ثم يأتى أبو حنيفة والنظام[5]. ثم يأتى

---

(١) السابق ص٥٨٥.

(٢) الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، الاستصحاب (بالإضافة إلى الاجتهاد والتعارض).

(٣) القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتاب (١١٩)، الاستصحاب (١٠٥) الإجماع (٧٠)، التعارض (٣٦)، الاجتهاد (٢٤)، المدخل (١٧).

(٤) الأحاديث (٣٠١)، الآيات (٢٣١)، الأبيات الشعرية (٢٣).

(٥) الباقلانى (٦٣)، عمر بن الخطاب (٥١)، أبو جعفر (٣٨)، ابن عباس (٣٥)، أبو تمام البصرى (٣٤)، أبو بكر (٣٣)، الشيرازى، السمنانى (٢٩)، أبو محمد (والد الجوينى)، الشافعى (٢٤)، عائشة (١٩)، الطبرى، على (١٧)، داود بن على، ابن عمر (١٥)، ابن القصار (١٤)، ابن نصر، الصيرفى، الباجى، ابن عفان (١٢)، أبو الفرج (القاضى)، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١٠)، ابن سريج (٩)، أبو حنيفة، أنس بن مالك، معاذ، النظام (٨)، الجبائى (أبو على)، القفال، الأشعرى (أبو موسى) (٧)، الأبهرى، الخدرى، الكرخى (٦)، أبو الحسن (القاضى)، أبو عبيدة، داود، ابن المسيب، طلحة، ابن عوف (٥)، ابن فورك، بريرة، بلال، جابر، الحسين البصرى، ذو اليدين، ابن أبى عروة، شعبة (٤)، إبراهيم (النبى)، ابن المنتاب، أبو الدرداء، أبو سلمة، أحمد بن حنبل، الأزدى، أم سلمة، البخارى، حمزة، الزبير، زياد بن الأرقم، سعد بن أبى وقاص، سلمة بن صخر، سليمان (النبى)، الطبرى (أبو على)، عروة، بن أبان، القاسانى، ابن مسلمة، مسروق، النابغة، معاوية، موسى (٣)، ابن بكير، ابن خيران، أبو اسحق، أبو الفضل المالكى، المزوردى، أبو طلحة، أبو هريرة، أبى بن كعب، اسحق (النبى)، إسماعيل (النبى)، الأسود بن يزيد، الأصطخرى، الأعشى، امرؤ القيس، بشير بن نهيك، الثورى، جعفر بن أبى طالب، حذيفة بن النعمان، الحسين بن على، الحكم بن أبى=

غيرهم من المتكلمين والفقهاء والمؤرخين والنحاة والشعراء والصحابة والتابعين والمحدثين والمفسرين وأصحاب المذاهب الفقهية والأنبياء[1].

ومن الطوائف والفرق يتقدم الصحابة بطبيعة الحال وهم أهل الرواية والحديث ثم الحنفى ثم الشافعى قبل المالكى، ثم أهل اللغة وأهل الأصول والمتكلمون لارتباط اللغة بالأصول، ثم السلف واليهودية لإنكارها النسخ والمعتزلة للقول بالحسن والقبح العقليين فى التكاليف ثم أهل الظاهر والنصرانية. ثم تتداخل باقى الفرق والطوائف، الإسلامية وغير الإسلامية وفقهاء الأمصار، المتقدمون منهم والمتأخرون[2].

ومن الكتب التى يحال إليها "الموطأ" ثم "أصول الديانات" للباجى مع الصحيحين، البخارى فمسلم، ثم "إحكام الفصول" نفسه تأكيدا على وحدة العمل و"التقريب" للباقلانى، و"الرسالة" للشافعى[3].

ومن أسماء المدن تتقدم المدينة ومكة بطبيعة الحال موطن أهل الأثر ثم بغداد واليمن موطن أهل الرأى، ثم بيت المقدس وبقاع الحجيج مثل الصفا والمروة، ثم الغزوات الأولى كبدر وأحد، ثم باقى المدن الإسلامية حتى الهند والصين[4].

=العاص، حمل بن مالك، خالد بن الوليد، رافع بن خديج، الزبرقان، زيد بن حارثة، الشيبانى، سالم بن عبد الله، ابن معاذ، طاوس، الطبرى (جرير)، عامر، عكرمة، ابن العاص، عوف بن مالك، قتادة، مالك بن نويرة، المسيح، مصعب (١).

(١) حوالى ١٨٥ علما.

(٢) حوالى ٧٩ فرقة وجماعة أشهرها: الصحابى (١٠١)، الحنفى (٦٥)، الشافعى (٥١)، أهل اللغة (٢٥). أهل الأصول، المتكلمون (١٧)، السلف، اليهودية (١٤)، المعتزلة (١٢)، أهل الظاهر، النصرانية (٩)، أعجمى، أهل البدع، أهل المدينة (٧)، الأنصار، الخلف (٦)، أصحاب الحديث، أهل العراق، الفارسية (٥)، أهل النظر، بنو النضير، النحاة (٤)، أهل الرأى والاجتهاد، أهل الكفر والضلال، الخوارج، حفاظ الحديث، المهاجرون، القرشيون (٣)، الأنبياء، أهل الردة، أهل الكتاب، بنو تميم، بنو سليم، بنو عمرو بن عوف، الرافضة، الشيعة، الصدر الأول من الفقهاء، القدرية، المجوسية، الملحدة (٢)، الإمامية، أهل الاجتهاد، أهل الأوثان، أهل التفسير، أهل الحجاز، أهل السنة، أهل الشرائع، أهل الفتيا، أهل القدوة، أهل القرآن، أهل النقل والسير، أهل أيلة، أهل قباء، أهل قسطنطينة، البراهمة، البصريون، البغداديون، المعتزلة، بنو أسد، بنو إسرائيل، بنو حنيفة، بنو قريظة، تابعوا التابعين، السوفسطائية، السودان، الشاميون، العراقيون، العنانية، الفقهاء السبعة، قوم لوط، بنو كليب، المتأخرون، متفقهة خراسان، المغاربة، المنافقون (١).

(٣) الموطأ (٦)، أصول الديانات، صحيح البخارى، صحيح مسلم (٢)، إحكام الفصول، الرسالة، التقريب (١).

(٤) المدينة، مكة (٥)، بغداد، اليمن (٤)، بيت المقدس، خيبر، الشام، الصفا، قباء، مؤته، المروة (٢)، بدر، أحد، البصرة، الحجاز، صفين، صنعاء، الصين، العراق، عرفة، الكوفة، منى، النهروان، النيل، همذان، الهند، اليمامة (١).

٣- "المنهاج فى ترتيب الحجاج" للباجى (٤٧٤هـ)[1]. وقد يعرض علم الأصول كله فى إطار منهج الجدل، والتعارض والتراجيح. فهو منهج علم أصول الدين الذى استطاع علم أصول الفقه تجاوزه إلى البرهان. ومع ذلك بقى منهج الجدل أيضا فى علم أصول الفقه فأصبح جزءا من علم الخلافيات. وهو ما يدل عليه عنوان الكتاب. ومستعملا لفظى "المنهاج" و"الحجاج" أى منهج الجدل. والحجاج هنا يعنى الاعتراض، اعتراض العقل على النص، والاستدلال على الكتاب والسنة والإجماع. وهى مشكلة كلامية النقل والعقل. هنا يأخذ العقل زمام المبادرة ويعترض على الاستدلال بالنقل، كتاباً أم سنة أم إجماعا. أما النص فلا يعترض على معقول العقل ولا على الاستصحاب.

ويدخل أيضا ضمن آداب الجدل والمناظرة وكيفية الاعتراض على الخصوم بإعادة استعمال النص لصالح طرف ضد الطرف الآخر. فالنص متشابهه وليس به تعيين داخلى إلا بالتأويل. النص بمفرده ظنى فى حاجة إلى سياق داخلى أو خارجى حتى يحين استعماله على الوجه الصحيح بحيث يؤمن به الطرفان ويتفقان على معناه، ويشاركان فى فهمه وقراءته وتأويله دون معارضته بنص آخر أو انتقاء البعض دون البعض إذا كان نصا من الكتاب. أما إذا كان نصا من السنة فمن الطبيعى أن يكون الاتفاق على صحة السند أولا قبل الاتفاق على معنى المتن وتسليم الطرفين به لفظا ومعنى ونسخا ومنسوخا. ويكون الاتفاق أيضا على نص الإجماع لمعرفة إجماع من، الخاص أم العام؟

وهو أقرب إلى موقف المعتزلة والشيعة. فالعقل أساس النقل عند المعتزلة، وعلم أصول الفقه عند الشيعة نظرية فى المعرفة أولا تقوم على التمييز بين القطع والشك والظن. ويكشف "المنهاج" عن قدرة نقدية على إعمال العقل فى النص وعدم التردد فى عرض الاعتراض على النص بالعقل وبيان أوجه التعارض بين النقل والعقل. والمؤلف مالكى، ومعروف أن المالكية من أهل الأثر وليست من أهل العقل.

ولا يكون حل التعارض بين الأدلة فقط عن طريق التأويل أو السياق أو زمن النص فى الناسخ والمنسوخ أو مكانه فى أسباب النزول أى عن طريق النص ولكن أيضا عن طريق المصلحة خارج النص جمعا للزمان والمكان والقدرة والأهلية والتغير والتطور وروح العصر حتى لو اقتضى ذلك العود إلى المنسوخ. فضبط النص يكون بالسياق اللغوى والزمانى والمكانى والاجتماعى

---

(١) أبو الوليد الباجى: كتاب المنهاج فى ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط٢/١٩٨٧، ط٣/٢٠٠١. ومن نفس النوع "كتاب الجدل على طريقة الفقهاء لابن عقيل (٥١٥هـ)، تحقيق جورج مقدسى، مجلة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية، جـ٢٠، ص١١٩-٢٠٦، دمشق ١٩٦٧.

والتاريخى. التعارض قائم بين النصوص للاشتباه فى اللغة. ويحل بالعقل والمصلحة نظرا لتطابق الوحى والعقل والواقع. والنص تجربة بشرية فردية وجماعية وتاريخية وليس خطابا مغلقا لا يحيل إلى عوالم أخرى خارجه، عالم المعانى وعالم الأشياء بالإضافة إلى عالم اللغة. ولا يكفى فى حل التعارض تخصيص العموم أو إحكام المتشابه أو بيان المجمل فهى كلها من مباحث الألفاظ ومن طبيعة اللغة.

والبنية خماسية تدور حول الأدلة الشرعية: الكتاب، والسنة، والإجماع، ومعقول الأصل، ثم استصحاب الحال. فى خمسة أبواب. ثم يسبقها مدخل وباب لإحصاء أقسام أدلة الشرع الخمسة، بعدها باب فى أقسام السؤال والجواب وهو الجدل بين الطرفين الذى عادة ما يوضع فى نهاية العلم بعد الاجتهاد مع المفتى والمستفتى كما هو الحال فى "الموافقات" للشاطبى. وبعد عرض الأدلة الخمسة ينهى العلم بباب عن الترجيحات وهو ما يعادل التعارض والتراجيح[1]. فالعلم كله محاصر فى البداية بالجدل فى السؤال والجواب وفى النهاية بالترجيحات. وأكبرها معقول الأصل ثم السنة ثم الكتاب ثم الترجيحات ثم أقسام أدلة الشرع ثم السؤال والجواب ثم المدخل ثم الإجماع وأصغرها استصحاب الحال[2]. ويتضمن الكتاب مباحث الألفاظ. كما يتضمن معقول الأصل القياس. وتغيب "الثمرة" بتعبير "المستصفى" أى أحكام التكليف. ومن ثم ينبنى العلم على قطبين فحسب العقل والنقل دون الفعل. يسقط الفعل أولا لحساب العقل والنقل، ثم يسقط العقل ثانيا لحساب النقل. ويقترب أصول الفقه عند السنة مع أصول الفقه عند الشيعة فى الاستصحاب الذى بدأه "المستصفى" من قبل فى جعله معادلا لدليل العقل. ويبدأ المدخل بتجديد مصطلحات العلم كما هو الحال عند ابن فورك والشيرازى[3].

وهناك بنية أخرى ثلاثية فى أول الباب الأول "أقسام أدلة الشرع". فأدلة الشرع ثلاثة: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال. والأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ومعقول الأصل لحن الخطاب وفحوى الخطاب والحصر ومعنى الخطاب. واستصحاب الحال هى براءة الذمة. ولكل توابعها. فالأصل هو النص ومعقول الأصل القياس. واستصحاب الحال بتأويل عملى

---

(١) ويكون مجموع الأبواب سبعة: ١- (المدخل) ٢- أقسام أدلة الشرع ٣- أقسام السؤال والجواب ٤- الاعتراض على الاستدلال بالكتاب ٥- الاعتراض على الاستدلال بالسنة ٦- الاعتراض على الاستدلال بالإجماع ٧- معقول الأصل ٨- استصحاب الحال ٩- الترجيحات.

(٢) معقول الأصل (٧٤)، السنة (٦٢)، الكتاب (٣٤)، الترجيحات (٢٠)، أدلة الشرع (١٩)، السؤال والجواب، المدخل (٨)، الإجماع (٧) استصحاب الحال (٢).

(٣) المنهاج ص١٠-١٤.

هو الشيء أو الواقع أو الطبيعة[1]. وأحيانا تتفرع البنية فى كل موضوع فى قسمة كل باب إلى فصول بحيث يمكن إقامة منطق دقيق للجدل بالنسبة للعلاقة بين الطرفين وتحديد الأهداف والمقاصد لكل منهما فى علاقتهما بالنص والواقع، واللفظ والمعنى، والمعنى والشئ.

وتكثر الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر. ويدخل الشعر والمثل بدرجة أقل لاحكام معنى النص العربى[2]. بل أنه يتم أحيانا الاستشهاد بالعهد القديم نظرا لوحدة الوحى بالرغم من التحريف الذى أثبته علم أصول الدين خاصة ابن حزم وابن تيمية وغيرهم من مؤسسى علم تاريخ الأديان المقارن وعلم نقد الكتب المقدسة[3]. وتتكرر الآيات والأحاديث أكثر من مرة. ونقد الحديث أكثر تعقيدا من نقد الآيات لمرور الحديث بفترة شفاهية تضع مشكلة الصحة التاريخية، وتجعل النقد للسند والمتن على حد سواء[4]. وتدل الروايات العدة لحديث واحد على تحول القول غير المباشر إلى قول مباشر وبالعكس، كما يتم استعمال ألفاظ الرواية الخمسة المعروفة فى أول باب الأخبار لمعرفة درجة المباشرة. والسنة قول وفعل وإقرار. القول قاطع للتعارض والتراجيح لأنه لغة. والفعل تأسى وقدوة ورؤية، واستصحاب حال للأفعال الطبيعية والعرفية. والنسخ أيضا فى الحديث طبقا لتغير المصالح والأزمان بالرغم مما يبدو فى بعض الأحاديث من أذواق ومشاعر انسانية خالصة. وكثير منها يتناول الحياة البدوية الخالصة.

ومن أسماء الأعلام يتقدم مالك بطبيعة الحال. فالمؤلف مالكى. ثم عمر بن الخطاب مؤسس الفقه الواقعى المصلحى مثل المالكية، ثم الشيرازى الأصولى الأشعرى، ثم أبو حنيفة تلميذ مالك متحولا من الأثر إلى الرأى، ومن النص إلى العقل مع ابن عباس حبر الأمة. ثم يتوالى الصحابة مثل على وابن مسعود مع أئمة الأشاعرة مثل الباقلانى. ثم يأتى الشافعى وبعده ابن حنبل ثم يتقدم بعض الشعراء والنحويين[5].

---

(١) السابق ص١٥.

(٢) الأحاديث (١٧٥)، الآيات (٩٦)، الشعر (١٠).

(٣) المنهاج ص٩٨-٩٩.

(٤) انظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص١٣١-٢٤٣.

(٥) مالك (٤٣)، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشيرازى (١٧)، أبو حنيفة، الداودى، ابن عباس (١٣)، عبد الله بن عمر، أبو هريرة (١٢)، ابن القصار (١١)، على بن أبى طالب (٩)، الباقلانى، ابن مسعود (٨)، الباجى، عثمان بن عفان (٧)، أنس بن مالك، البخارى، أبو بكر (٦)، القاضى عبد الوهاب (٥)، أبى بن كعب، بربرة، جابر، الزهرى، الشافعى، أبو يوسف (القاضى) (٤)، ابن أبى ليلى، ميمونة، أحمد بن شاكر، أبو جعفر القاضى، ابن حنبل، يحيى بن معين، طلق بن على، النسائى، ابن معين، أبو موسى الأشعرى (٣)، ابن أبى هريرة، أسامة بن زيد، إسماعيل القاضى، يسرة، بشير بن نهيك، بلال، أبو تمام، أبو حاتم، الحطيئة،=

ومن الفرق والمذاهب يتقدم بطبيعة الحال ومرة أخرى المالكى ثم الحنفى ثـم الشـافعى، ولا يأتى الحنبلى إلا متأخرا. ثم يأتى أصحاب كل منهم أصحاب الباجى ثم أصحاب أبى حنيفة ثم أصحاب الشافعى ثم أصحـاب مـالك. ثـم يـأتى الصحابـة وأهـل الحديـث والتـابعون والفقـهاء والظاهرية وأهل اللسان واللغة ثم أصحاب الكلام والأصول[1].

ومن الأماكن تتقدم المدينة فمالك منها، وإجماع أهلها وعملها دليـل شـرعى. وتتلوهـا مكـة وبغداد، وأهل الأثر وأهل الرأى، ثم العراق ومصر حيث عاش الشافعى، وخيبر[2].

ومن المؤلفات التى يحيل إليها المؤلف مصنفه "احكام الفصول فى أحكام الأصول" مما يدل على وحدة المشروع وأن "المنهاج" ما هو إلا قراءة لعلم الأصـول مـن خـلال أحـد موضوعاتـه وهـو التعارض والتراجيح[3].

٤- "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمازرى (٥٣٦هـ)[4]. وهو كمـا يبـدو مـن العنوان لا هو شرح ولا حاشية ولا تقرير ولا تلخيص بل هو "إيضاح" أى إبراز المضمون، وتوضيح

=ابن خويزمنداد، داود الأصبهانى، الزجاج، أبو زيد (الصحابى)، سعيد بن المسيب، عبادة بن الصامت، عبد الله بن أبى بكر، أبو عبيدة، أبو على الطبرى، أبو الفرج المالكى، أبو قزازة، العبسى، فضالة بن عبيد، قتـادة، المبرد، الأشعرى، ابن أم مكتوم، المغيرة، ابن المنكدر، موسى بن عقبة، نافع، النضر بن أنس (٢)، ثم يأتى مـا يقارب من مائة وأربعون علما يذكر كل منهم مرة واحدة مثل الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وإسمـاعيل، وعلمـاء ومؤرخون ونحاة وشعراء ومتكلمين مثل القيروانى وابن الأثير والدؤلى وامرؤ القيس والحسـن البصـرى وابـن سـريج والخدرى والمعرى والكرخى والمبرد... الخ.

(١) المالكى (٢٩٠)، الحنفى (١٨٩)، الشافعى (٨٥)، الصحابة (٣٤)، أصحاب الباجى (٢٧)، أصحاب أبى حنيفة (٢١)، أصحـاب الشـافعى (١٥)، أصحـاب مـالك (١٣)، أصحـاب الحديـث، التـابعون (٩)، أهـل الذمـة، الفقهاء، الظاهرية (٨)، الخليفة، الخلفاء (٧)، أصحاب النظر وأهل الجدل (٦)، الحنبلى، أهل اللسان أو أهل اللغة (٥)، أهل الردة، أهل الكتاب (٤)، أهـل الظـاهر، السـلف (٣)، أصحـاب الكـلام، أهـل الأصـول، أهـل الجزية، شيوخ الباجى، القدرى (٢)، أصحاب الصوامع، أهل الأوثان، أهل البغى، أهل عصر الصحابة، أهـل الفسق، أهل الكوفة، الشيعة، العراقيون، بنو مخزوم (١).

(٢) المدينة (١)، مكة، بغداد (٦)، العراق، مصر، خيبر (٣)، بدر، الحديبية، الشام، الطـائف، العقبـة، اليرموك (٢)، وحوالى سبع عشرة مدينة وموقعا ومصرا مثل الشام وأفريقية، والجزائـر واليمـن، والبصـرة وتونـس ودمشـق والكوفة والموصل، وأرض العدو، ودار الحرب، والقادسية... الخ.

(٣) السابق ص٦٦/١٢٤/١٤٢/١٥١/١٥٤/١٥٦ (كشاف الكتب فى فهارس الكتاب كلها تقريبـا مـن هوامـش المحقـق وليس من المتن)، السابق ص٢٦٢-٢٦٣.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد التميمى المازرى: إيضـاح المحصـول مـن برهـان الأصـول. دراسـة وتحقيـق الأستاذ الدكتور عمار الطالبى، دار الغرب الإسلامى ط١، بيروت ٢٠٠١.

الفكر ووصف مساره، والدخول فى مسائل "البرهان" للجوينى، ربما أسوة بما فعل الغزالى فى "المنخول" عندما "نخل" "البرهان"[1]. هو أشبه بتقارير الشيعة على محاضرات الحوزة وإن اختلف الأسلوب باستثناء "اعلم" والدعوة لمشاركة القارئ. ولا يبين سبب التلخيص أو هدفه. "الإيضاح" فى العنوان ولكن ضاع فى خضم التفصيلات والمقارنات والخلافيات والتحقيقات. أراد التلخيص ولكن أتى الإيضاح مسهبا بالرغم من نقد تطويل البرهان[2]. أسهب فى المسائل النظرية الخالصة التى لا ينتج عنها أثر عملى مما يجعل التطوير خارج مقصد العلم. وهى المسائل الكلامية الفلسفية. كثرت التفصيلات المسهبة فأتى أقرب إلى دوائر المعارف. وفى خضم التفصيلات ضاعت العموميات، ووسط التعريفات اختفت الكليات، وفى المطبخ الداخلى تاهت الحصيلة، وكثير من التفصيلات خارج الموضوع مثل التأويلات مع أنه فى القرن السادس كان "المستصفى" قد كتب من قبل بإحكام أكثر، وتوازن بين الأصول والفروع. لذلك كان "المستصفى" نصا محكما لجمعه بين الكل والجزء دون فقد الكل. وأحيانا يتم اقتباس نص من البرهان قبل شرحه[3]. فى أوله خرم أو سقط وبالتالى غابت البداية التى كان يمكن أن تحدد الهدف أو القصد من "الإيضاح". والأسلوب غير مميز بل متنوع على غير أسلوب تقارير الشيعة المميزة باستثناء "والحق" ومخاطبة القارئ[4].

غلب عليه الأسلوب السجالى وإبراز أوجه الخلاف بين المذاهب والفرق، والرد على الاعتراضات. مازال المعتزلة هم المحاور الرئيسى لكثرة الحوار معهم ورفض نظرياتهم فى الحسن والقبح العقليين والقدرة شرط التكليف وهى مسائل العدل دون التوحيد، العمل وليس النظر. فانتقل الخلاف الكلامى إلى الأصول مع خلط واضح بين العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه خاصة فى مباحث العلم[5]. بل أحيانا يبدو طغيان علم الكلام على علم الأصول. ويأخذ موقفا من المذاهب الأصولية والكلامية. بل ويفصل الاتجاهات المتعددة داخل المذهب الواحد.

يوضع الجزء فى إطار الكل، علم الأصول بشقيه، علم أصول الفقه فى علم أصول الدين، وعلم الأصول داخل علوم الحكمة، والعلوم الإسلامية داخل العلوم اليونانية[6]. وتصحح بعض

---

(١) "إن الغزالى نخل هذا الكتاب الذى نحن آخذين فى (شرحه)"، السابق ص١٣٨ .

(٢) "هذا باب أطال فيه أبو المعالى القول حتى خرج من فن إلى فن، ولباب ما أورد فى هذا الباب سبع نكت"، السابق ص١١٤. "ورأيته أطال فى كتابه الكلام على هذا المذهب"، السابق ص٤٤٢.

(٣) الإيضاح ص٢٦٥.

(٤) السابق ص٤٣٢/٤٨٩.

(٥) السابق ص١١٣.

(٦) السابق ص٨٤.

المصطلحات اليونانية. لفظ "سوفسطان" ليس اسم شخص بل مشتق من المغالطة. كما تستعمل بعض الألفاظ اليونانية المعربة مثل السقمونيا[1]. ويدخل فى حوار بين المتكلمين والفلاسفة، مثل ابن سينا. وينقد الفريقين وينوى تأليف كتاب مستقل فى نقدهم. وأحيانا تتم المغالاة والتطرف فى الأحكام والحدة فى الأسلوب كما هو الحال عند بعض الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم حراسا للشريعة لامتلاكهم الحق ومعرفتهم إياه[2].

والنشر جيد، ومقدمة التحقيق دقيقة تبين أهمية "البرهان" للجوينى وشرحه من المازرى المالكى واتباع منهج التحليل والنقد مع نظرات أصيلة واجتهادات متميزة وأحكام حرة، مع مناقشة الفلاسفة اليونان والإسلام وحواره مع أساتذته ونقد جوانب ميتافيزيقية ومنطقية عند القدماء. كما قدم اجتهادات فى اللغة العربية وفى النقد الأدبى[3].

والمازرى من المالكية يشرح نص "البرهان" للجوينى من الشافعية مما يدل على الحوار بين المذاهب الفقهية وبالتالى الفرق الكلامية. يكشف عن روح المناظرة، ودرجة عالية فى السجال ضد التهمة الشائعة ضد المالكية أنهم ليسوا أهل نظر، بل أهل عمل، وبأنهم أهل أثر وليسوا أهل رأى[4].

يعنى "الإيضاح" بيان الاتفاق والاختلاف بين المذاهب. وهو أقرب إلى الشرح منه إلى الاختصار، والإسهاب منه إلى التركيز، مع إنه جزء واحد فى حين أن "البرهان" جزءان. ويحكم عليها بالصحة أو البطلان. ويختلف مع المتن الأول ويتفق معه[5]. ومازال النص هو المحك وليس التجربة البشرية أو المصالح العامة، المفهوم الرئيسى عند المالكية. ويكشف عن رغبة فى التجديد سواء فى النص الأول أو فى النص الثانى[6].

---

(١) السابق ص٩٢/١٢٢.

(٢) وهذه الحجة لا تساوى استماعها، السابق ص٢٥٨. "وهذا جرى القوم فى علومهم التى سموها الإلهيات والطبيعيات يستمسكون فيها بخيالات مضمحلات لكنهم يجنحون فيها إلى المحسوسات فربما استمالت الغر واستقاوت من لم يعجم حقائق الأدلة. ثم مع هذا يزدرون مع أدلة المتكلمين، وأن نفس الله فى مدة العمر فلابد أن نورد جميع ما قالوه فى كتبهم فى الإلهيات حرفا حرفا... وذكر الصحيح من المذهبين لظهور ضعف مبانيهم التى بنوا عليها معانيهم"، السابق ص٢٥١.

(٣) والتحية واجبة لدار الغرب الإسلامى التى أسسها الأخ الحبيب اللمسى لنشر التراث المالكى فى المغرب العربى، وكذلك لدار الكتب العلمية التى قامت بتوفير عدد من النصوص التراثية.

(٤) السابق ص٢٣٦.

(٥) السابق ص٢٦٤.

(٦) "دعت الضرورة فى هذا الكتاب إلى الخروج عن رسم ما يقتضيه التأليف فى هذا العلم وذلك أن أبا المعالى رمز=

والبنية خماسية: الأوامر، والعموم والخصوص، والتأويلات، والأخبار، والإجماع. كل موضوع كتاب. وكل كتاب ينقسم إلى فصول إلا كتاب التأويلات الذى ينقسم إلى مسائل. ويضاف إليها مقدمة بلا عنوان تنقسم فى معظمها إلى فصول باستثناء "القول فى البيان" و"حد الكلام"[1]. أكبرها العموم والخصوص ثم الأخبار ثم الأوامر ثم التأويلات وأصغرها الإجماع. والغريب أن الإجماع لا يتجاوز صفحة واحدة![2]. وتبدو مباحث الألفاظ لها الأولوية المطلقة على الأخبار والتأويلات[3]. وإذا كانت الأخبار هى السنة المصدر الثانى، والتأويلات القرآن المصدر الأول، والإجماع المصدر الثالث فإن القياس يغيب كلية. والفصول قصيرة، والمسائل أقصر. ومع ذلك يظل للعقل الأولوية على النقل وغياب الفعل كلية فقد سقط الفعل أولا قبل أن يسقط العقل ثانيا.

ومن ثم ارتدت البنية الثمانية فى "البرهان" إلى بنية خماسية بغاية الإيضاح[4]. فانقسم البيان إلى الأوامر، والعموم والخصوص، والتأويلات. وتحول الكتاب الواحد إلى ثلاثة كتب مستقلة. وتحول النسخ إلى الأخبار. وبقى الإجماع لم يتغير. ثم حذفت كتب القياس والاستدلال والترجيحات والاجتهاد والفتوى. فصاحب "الإيضاح" مالكى. الاستدلال لديه بالمصالح المرسلة وليس بالقياس.

وهناك وعى بالبنية يظهر فى عد عناصر الموضوع التى يمثل جوانبه المختلفة[5]. وأحيانا يتم ذلك فى بداية الفصل تحديدا لعناصره[6]. هى الفقرات- البرنامج التى تحدد خط السير ونقلات الفكر. وهناك وحدة للعمل تظهر من إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق[7].

=فيه إلى مذاهب الفلاسفة فى القوة الفكرية والعقلية وخرج عن عاداته القديمة فى إكبار أئمة الأشعرية وتحسين المخارج لهم فيما قد يظن ظان بهم أن يتوجه عليهم فيهم قدح. وأشار إليهم بأنهم طاشت منهم الأحلام فى أمرهم فى استهانتهم إياه كالنيام استركاكا واستهجانا، ووصفهم بأنهم جهلوا من علم الفلسفة أمرا فاختبطوا لأجله"، السابق ص٢٥٠.

(١) القول فى البيان، السابق ص١٣٤-١٥٨، حد الكلام وأقسامه ص١٥٩-١٨٧.

(٢) العموم والخصوص (١٢٤)، الأخبار (١١٥)، الأوامر (٦٢)، التأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

(٣) مباحث الألفاظ (١٨٦)، الأخبار (١١٥)، التأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

(٤) كانت بنية "البرهان" الثمانية كالآتى: ١- البيان ٢- الإجماع ٣- القياس ٤- الاستدلال ٥- الترجيحات ٦- النسخ ٧- الاجتهاد ٨- الفتوى.

(٥) السابق ص٨٣/١٠٢/١٣٧/١٤٨/١٦٣/١٦٥-١٦٦/١٧٠/١٩٧/٢٠٠/٢٠٥-٢٠٦/٢١٠/٢٤٦/٢٨١/٣٢٥/٣٦٨/٣٧٩-٣٨٠/٣٨٦/٤٤٥-٤٤٦/٥١٥.

(٦) السابق ص٩٢/١١٤/١٣١-١٣٢/١٥٠/١٨٨/١٩٩/٣٠١/٣١٣/٣٢٨/٣٣٢-٣٣٣/٤٣٢/٤٤١/٤٨٤/٥١٨/٥٣١.

(٧) السابق ص١١٩/٢٧٦/٢٨٠/٣٢١/٣٢٦/٣٣٣/٣٥٣/٤٠٦/٤١١/٤١٤/٤٣٦/٣٩٤/٣٨٢/٤٢٩/٤٤٠/٤٧٠/٤٧٣/٤٩٨/٥٢٢/٥٢٧.

كما تظهر وحدة المشروع الفكرى كله للمازرى بالإحالة إلى أعماله الأخرى التى يحيل "الإيضاح" إليها[١]. كما يحيل إلى مصادر أخرى كما هو الحال فى الدراسات المعاصرة[٢].

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر. كما يتم الاستشهاد بالشعر خاصة فى كتاب الحروف[٣]. وتظهر اللازمات الدينية مثل "إن شاء الله"، "وبالله التوفيق"[٤].

وتكثر أسماء الأعلام. ويأتى فى المقدمة بطبيعة الحال أبو المعالى الجوينى صاحب البرهان ثم الشافعى صاحب المذهب السائد منذ الغزالى، ثم مالك بن أنس صاحب المذهب الذى ينتمى إليه المازرى ثم أبو حنيفة صاحب المذهب الثالث، ثم الباقلانى، ثم القاضى عبد الوهاب، ثم ابن خويز منداد من أعلام الأشاعرة، مثل الأشعرى مؤسس المذهب والأسفراييني. ثم من الصحابة يتقدم عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم ابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمر وأبو بكر وأبو هريرة وعلى وابن مسعود ومعاذ. ومن المحدثين يتقدم البخارى، ومن الفلاسفة ابن سينا. ومن المتكلمين يتقدم الجبائى والنظام والجاحظ والعلاف والحسن البصرى وعبد الجبار وواصل. ومن الشعراء يتقدم امرؤ القيس، ومن المؤرخين الطبرى، ومن الأصوليين الصيرفى وابن القصار وعيسى بن أبان وأبو يوسف والغزالى وابن فورك. ومن النحاة الخليل وابن جنى[٥].

---

(١) السابق ص٢٣١/٢٦٢/٢٩٣/٣٦٧/٣٦٩/٣٩٤/٣٩٨-٣٩٩/٥٠٨/٤٣٧/٥١١.

(٢) السابق ص٣٣٦/٣٤٨/٤٢٠-٤٢١/٤٦٥/٤٩٦/٤٨٦.

(٣) الآيات (٣٨٨)، الأحاديث (١٣٧)، الشعر (٢٥).

(٤) إن شاء الله (٦)، وبالله التوفيق (٥).

(٥) الجوينى (٣٠٨)، الشافعى (٩٦)، مالك بن أنس (٦٥)، أبو حنيفة (٦٠)، الباقلانى (٥٣)، القاضى عبد الوهاب (٣٢)، ابن خويز منداد (٣٠)، عمر بن الخطاب (٢٢)، الأشعرى (١٩)، الاسفراييني (١٧)، ابن الجبائى، عبد الله بن عمر (١٦)، سيبويه (١٤)، ابن فورك (١١)، عثمان بن عفان (١٠)، ابن بردة، أبو بكر (٩)، آدم، ابن عباس، أبو الفرج الليثى، البخارى (٨)، الدقاق، عائشة، موسى (٧)، إبراهيم، أبو هريرة، امرؤ القيس، الصيرفى، على (٦)، ابن القصار، نوح، ابن مسعود، الأبهرى، الأذرى، المغيرة، النظام (٥)، ابن القاسم، ابن المسيب، أبو موسى الأشعرى، البلخى، الخليل بن أحمد، الكعبى، عيسى بن أبان، سحنون (٤)، ابليس، ابن جنى، ابن داود، ابن الزبير، أبو ثور، الجاحظ، حاتم الطائى، يونس، داود الظاهرى، الزجاج، الطحاوى، العلاف، فرعون، القفال، اللخمى، معاذ (٣)، وسبعة وثلاثون علما آخرون منهم: أبو جهل، أبو سنان، أبو يوسف، أسامة بن زيد، الإسكافى، الأصم، الحسن البصرى، داود، زفر، زيد بن ثابت، زيد بن حارثة، الطبرى، عبد الجبار، عمرو بن عبيد، الغزالى، القاسانى، الكرخى، لبيد، الشيبانى، يحيى بن أكثم... الخ (٢)، كما يذكر أكثر من ثمانين علما، كلا منها مرة واحدة مثل ابن حنبل، ابن الراوندى، ابن الزعبرى، ابن سينا، ابن سيرين، ابن قتيبة، ابن وهب، الخدرى، الصابونى، الأصمعى، الباهلى، سفيان الثورى، الشيرازى، المروزى، غيلان، المحاسبى، قس بن ساعة، كعب الأحبار، لوقا، مرقص، واصل، يوحنا... الخ.

ومن أسماء المذاهب والفرق يتقدم الفقهاء على العموم، ثم الأصوليون علـى الخصـوص. ثـم المعتزلة على وجه أخص. فمازالوا يمثلون الخصـم الرئيسـى. ثـم يظـهر العـرب لارتبـاط الأصـول باللغة العربية، ثم أصحابنا (المالكية) فالمؤلف مـالكى، ثـم الفقيـه علـى الإطـلاق، ثـم المسلمون والمتعلمون على الإطلاق، ثـم صـاحب الشـرع والمحدثـون والواقفيـة، ثـم أصحـاب أبـى حنيفة والنحاة، ثم أصحاب الشافعى وأهل اللسان، ثم أصحابنا (الأشـاعرة) والأشـعرية، ثـم الفلاسـفة والنصارى والنظار... الخ. وتتـوالى الفرق، ويتداخـل الأصوليـون والفقـهاء والمتكلمـون والفلاسـفة والنحاة والرواة وكأنها موسوعة عامة للفرق والمذاهب الإسلامية[1].

ويحال إلى عديد من المصادر كتاب المازرى نفسه عن فوائد مسلم، ثم كتب علم الكـلام ممـا يبين طغيان علم أصول الدين على علم أصول الفقـه، ثـم كتـب الفقـه، ثـم موطـأ مـالك فـالمؤلف مالكى، ثم شرح التلقين، ثم البخارى لكثرة الحجج النقلية، والبرهان للجوينى المتن المشروح، ثم التلقين والمدونة، ثم التمهيد للباقلانى متكلم الأشـاعرة. ثـم تتـوالى كتـب الأصـول والفقـه وبـاقى مؤلفات الباقلانى، والكتب المقدسة الأخرى، التوراة والإنجيل، والرسالة للشافعى وابـن فـورك،

---

(١) الفقهاء (٦٢)، الأصوليون العلماء (٥٤)، المعتزلة (٥١)، العرب (٤٨)، أصحابنا (المالكية) (٤١)، الفقيـه (٢٣)، المسلون (٢٧)، المتكلمون (٢٦)، صاحب الشرع (٢١)، المحدثون، الواقفية (١٩)، أصحاب أبى حنيفة (١٦)، النحاة (١٥)، أصحاب الشافعى (١٤)، أهل اللسان (١٣) أصحابنا (الأشاعرة) (١١)، الأشعرية (١٠)، الفلاسفة (٩)، النصارى، النظار (٨)، الأصولى، أهل الظاهر، المالكى (٧)، أهل الأصول، أهل اللغة، الخوارج، الشافعية، اليهود، المالكية، المعتزلى (٦)، أئمة اللغة، الأطباء، البغداديون، فقهاء الأمصار (٥)، أئمة الأشعرية، أئمة المتكلمين، أصحاب مالك، أهل الجنة، الفلاسفة، أهل المنطق، الجاهلية، العجم، بنو إسرائيل (٤)، أئمة النحاة، أصحاب التراخى، أهل التواتر، أهل الصحيح، أهل الكتاب، الإسلاميون، الإمامية، البصريون، بنو آدم، الحنفى، العربى (٣)، أئمة الشافعية، أئمة المحدثين، أئمة المسلمين، أصحاب المقالات، أصحاب الوجوب، الأنصار، أهل الأعصار، أهل الشرع، أهل العراق، أهل الكمون والظهور، أهل اللغات، أهل المدينة، أهل بيعة الرضوان، بنو عبد المطلب، بنو هاشم، الجهمية، السفسطائية، السمنية، صاحب المذهب، المفتون، المهاجرون (٢)، ثم نذكر حوالى مائة من الفرق والطوائف كل منها مرة واحدة مثل: أئمة الحديث والدين والصحابة والفقهاء والأصوليين والمحققين والمسلمين والأشعرية والمهاجرين والأنصار، وأهل كل من: الإباحة والاصطلاح والجنة والحديث والخصوص والوقف والصحيح والكسب والكمون والظهور والنار والنبى والنصب والأديان والكبائر والأخبار والاعتزال والتأويل والتراخى والحق والخير والردة والسنة والشرائع والصغائر والعربية والعلم والقبلة والقرية والكفر والمصر والنطق والتواتر والعصر واللغة والإمام المعصوم، والحجازيون والخارجى ورؤساء الدين والزندقة والسفسطة والشعراء والصوفية وعلماء الأمة والشرع والقدرية والقدماء والكعبية والكوفيون والمتفلسفون واليونانيون والمجوس وأرباب الأصول والشرائع والملحدون والمهندسون والنحويون واليهودية.

وكتب النحاة والديانات والحديث والفلسفة[1].

ومن الأماكن تتقدم المدينة موطن مالك ثم بغداد والبصرة موطنا العلوم العقلية، ثم الكوفة ومكة وبعض البلدان والأمصار[2].

٥- "ميزان الأصول فى نتاج العقول" للسمرقندى (٥٣٩هـ)[3]. وتحت أثر "المستصفى" للغزالى يقوم العلم على خمسة فصول: الأحكام، ما تعرف به الأحكام وهى الأدلة الأربعة، والتعارض بين الأدلة، وأهلية الأحكام وهى أقرب إلى أحكام الوضع، وأخيرا توابع القياس أو أحوال المجتهدين وتعادل أحكام المفتى والمستفتى. وتشمل الأحكام تفسيرها وأنواعها. والأدلة أربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. والتعارض يشمل النسخ والتراجيح، فالنسخ أحد وسائل حل التعارض[4]. وتدخل معظم مباحث الألفاظ مثل الأمر والنهى والخبر فى الكتاب. وتضم السنة القول والفعل والإقرار وشرع من قبلنا وتقليد الصحابى. وأكبر الفصول الخمسة الثانى عن الأدلة، وأصغرها الأهلية[5]. فمن الواضح تضخم الأدلة أكثر من عشرة أضعاف الأحكام والتعارض وأربعة أخماس العلم كله. فالعلم كله هو المثِمر بتعبير الغزالى وطرق الاستثمار جزء منه.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم للمازرى (٢٢)، كتب علم الكلام (١٦)، كتب الفقه (١٣)، الموطأ لمالك (١٠)، شرح التلقين (٩)، البخارى، البرهان للجوينى، التلقين، المدونة (٧)، التمهيد للباقلانى، مسلم (صحيح) (٤)، كتب الأصول، كتب الفقهاء، كتبنا الفقهية، كتبه (الباقلانى)، كتبهم (الفقهاء) (٣)، الإنجيل، الانتصار لنقل القرآن للباقلانى، التوراة، الرسالة للشافعى، كتاب ابن فورك فى أصول الفقه، كتب أصول الديانات، كتب الحديث، كتب النحاة، كتبهم (أهل الحديث)، كتبهم (الفلاسفة) (٢)، ثم تذكر بعض الكتب كل منها مرة واحدة مثل الأساليب للجوينى، والتلخيص له أيضا، وديوان الاسفراييني، والرسائل للمازرى، والزاهى لابن شعبان، وسر الصناعة لابن جنى، وشرح العمد، وغريب الحديث لابن قتيبة، وقطع لسان النابح فى المترجم بالواضح، وكتب الأحاديث الصحيحة، وكتب أخرى للجوينى، وكتب أصول الفقه وكتب الديانات، والكتب السماوية السالفة والمنزلة، وكتب العلل والصفات، وكتب الفقهيات للمازرى، وكتب الكلام، وكتب المالكية، وكتب النحو، وكتب متفرقة للجوينى، وكتب العروض والقوافى، وكتب أهل المنطق والحفاظ والمتكلمين.

(٢) المدينة (٦)، بغداد (٥)، البصرة (٤)، عرفة، الكوفة، مكة (٣)، الحمام، العراق، الكعبة، مصر (٢)، ثم تذكر بعض الأماكن كل منها مرة واحدة مثل حنين والشام والصفا والمروة والمزدلفة.

(٣) الشيخ الإمام علاء الدين شمس النظر أبى بكر محمد بن أحمد السمرقندى: ميزان الأصول فى نتاج العقول (المختصر) حققه وقدم عليه وينشره لأول مرة د. محمد زكى عبد البر، دار التراث، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) الفصل الأول فى بيان الأحكام ص١٣-٦٦. الفصل الثانى بيان ما يعرف به الأحكام ص٦٩-٦٨٤. الفصل الثالث التعارض ص٦٨٦-٧٤١. الفصل الرابع فى أهلية الأحكام ص٧٤٢-٧٥٠. الفصل الخامس فى أحوال المجتهدين ص٧٥١-٧٧٣.

(٥) الترتيب الكمى للفصول كالآتى: ١- الأدلة (٦١٨) ٢- التعارض (٥٦) ٣-الأحكام (٥٤) ٤- أحوال المجتهدين (٢٤) ٥- الأهلية (٩).

والثمرة والمستثمر أقل القليل[1]. فالبنية الخماسية منبعجة نحـو النـص أى الأدلـة ثـم العقـل أى التعارض وأحوال المجتهدين على حساب الفعل أى الأحكام والأهلية.

والحقيقة أن الكتاب كله كما يبدو فى وعى المؤلف يقدم أصلين فقط: الأحكام، وما تعـرف به الأحكام أى الثمرة والمثمر بعد أن أدخل طرق الاستثمار فى الدليل الأول والمستثمر فى الدليـل الرابع[2].فالبنية الخماسية هى بنية ثنائية: الأحكام وما تعرف بـه الأحكـام أى الثمـرة والمثمـر بتعبير "المستصفى". أما طرق الاسـتثمار أى مبـاحث الألفـاظ فقـد دخلـت فـى الكتـاب، الدليـل الأول. وأهلية الأحكام القسم الرابع هى أحكام الوضـع تـرد إلى الأحكـام، القسـم الأول. وتوابـع القياس لأحوال المجتهدين وأحكام المفتى والمستفتى تدخـل ضمـن الأدلـة الأربعـة فـى الدليـل الرابع. ومع ذلك هناك اضطراب فى القسمة والتأليف. الفصلان الأولان فصلان، والثـالث بـاب، والرابع والخامس بلا ترقيم. فالفصل الأول فى بيان الأحكام ينقسم إلى فصلين فى تفسـير الحكـم وأنواع الأحكام[3]. والفصل الثانى "ما يعرف به الأحكام" ينقسم إلى الكلام فى الكتاب والقول فى السنة، والكلام فى الإجماع، والقول فى القياس، تذبذبا بين الكلام والقول. والكتـاب ينقسـم إلى فصول: الأمر والنهى والعام والخاص، والمشترك والمؤول، والظاهر والنص والمفسر والمبين والحكـم وما يقابلها من الخفـى والمشـكل والمجمـل والمتشـابه، والحقيقـة والمجـاز، والصريـح والكنايـة، والمطلق والمقيد، وما يرجع إلى العبارة من حيث الإشارة والدلالة والإضمار والاقتضاء[4]. وفـى كـل فصل بيان. ويتضمن مسائل وفصول بيانية أخرى[5].

ويصنف السمرقندى كتب الأصول فى نوعين. الأول فى غاية الإحكام والإتقان جمعـا بـين الفروع والأصول، وتبحرا فى المعقول والمنقول. ونموذج ذلك "مآخذ الشرائع" للماتريدى. والثـانى فى نهاية التحقيق والمعانى وحسن الترتيب والمبانى، واستخراج الفروع مـن ظواهـر المسـموع دون التمهر فى دقائق الأصول فى قضايا العقول مما أدى إلى اختلافهم فى بعض الفصول. وقـل النـوع الأول، وهجره المؤلفون إما لتوحش الألفاظ والمعانى أو لقصور الهمم والتوانى. وساد النـوع الثـانى

---

(١) ميزان الأصول، الصفحة الأولى من الكتاب بلا ترقيم (من الناشر).

(٢) "وجعلنا الكتاب المسمى بأصول الفقه فى العرف على فصلين: فصل فى بيان الأحكام المسماة بالفقه، وفصـل فـى بيان ما يعرف به الأحكام. وبدأنا بفصل الأحكام ثم بفصل الدلائل فيتم الكتاب بذكر الفصلين بتوفيـق الله تعـالى وعونه"، السابق ص١١.

(٣) ميزان الأصول ص١٥-٦٦.

(٤) السابق ص٦٧-٦٨٥.

(٥) وقد استدعى ذلك الناشر إلى التدخل لتوضيح القسـمة وترقيمـها فـى الفـهرس الأول والفـهرس الختـامى. السـابق ص٧٩١-٨٠٢.

لميل الفقهاء إلى الفقه المحض مع الوقوع فى المخالفة والنقض دون قصد. فالتفريع دون أحكام الأصول، والأمن عن الزلل خارج عن العقل. فأكمل السمرقندى هذا النقص فى "ميزان الأصول فى نتائج العقول" ليزن العاقل قضايا العقول حتى يظهر الحق. وقد كتبها المؤلف مرتين، المبسوط والمختصر. وفضل الثانى على الأول[1].

ويعتمد "ميزان الأصول" على شواهد نقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيات أكثر من ضعف الأحاديث[2]. كما يستشهد بالشعر والشعراء.

وبالرغم من أن "ميزان الأصول" هو "المختصر" وليس "المبسوط" إلا أنه مازال ضخما. وقد حاول السمرقندى التخفيف من ذلك بإيراد عناصر الوضوع فى كل فصل وكأنه يعطى الهيكل له قبل التفصيل، البنية العقلية قبل المادة الفقهية[3]. كما أن العمل يحيل إلى بعضه البعض من أجل التأكيد على وحدته[4]. ومع ذلك، الكتاب مرهق فى قراءته لإسهابه وكثرة أعلامه وفرقه ومواقفه ولسجاله خاصة ضد المعتزلة استمرارا لنقد الغزالى بالرغم من أن الماتريدى حاول التوسط بين الأشاعرة والمعتزلة فى سمرقند. ويتسم بطابع المراجعة والتحقق من صحة المواقف الأصولية مثل الحنابلة وعدم إضافة جديد حتى ضاعت الأصول من كثرة الآراء وكثرة القيل والقال.

ويتضح من تردد أسماء الأعلام أولوية الشافعى ثم أعلام الحنفية مثل الدبوسى، ثم الجمع بين الأشعرية والاعتزال عن الماتريدى. ثم يتوالى أعلام الحنفية ثم الكرخى والجصاص، ثم أبو هاشم من المعتزلة، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم النظام من المعتزلة، ثم الشيبانى وعيسى بن أبان، والقاشانى وأبو يوسف من أعلام الحنفية قبل أى عَلَم من الأشاعرة أو الشافعية. وذلك لأن السمرقندى يجادل المعتزلة باسم الأشعرية الضمنية، ويحاور الحنفية باسم الشافعية. ثم يظهر علماء اللغة والمتكلمون كدعامة للأصوليين نظرا لارتباط مباحث الألفاظ بمبادئ اللغة، وأحكام التكليف بالحسن والقبح العقليين[5]. كما يحيل السمرقندى إلى أهل اللغة وأهل اللسان وأهل

---

(١) السابق ص٣-٧.

(٢) الآيات القرآنية (٢٤٦)، الأحاديث النبوية (٩٧)، الشواهد الشعرية (٨)، من الشعراء: المتنبى، الهزلى، النابغة، زهير (١).

(٣) ميزان الأصول ص١١/١٥/٢٤/٦٩/٧٦-٧٧/٢٢٣/٢٤٩/٢٥٤/٢٩٧/٣٦٧/٤٢٠/٤٨٩/٥٥١/٦١٥/٦٥٦-٦٥٧/٦٧٧/٦٨٥-٦٨٦/٦٩٦-٦٩٧/٧٢٩/٧٥١.

(٤) السابق ص٢٦٦/٤٠٥/٧٣٥.

(٥) الشافعى (٤٣). الدبوسى (٢٤). الماتريدى (٢١). الكرخى (١٥). الجصاص (١٠). أبو هاشم (٩). أبو حنيفة (٨). النظام (٥). الشيبانى، عيسى بن أبان، القاشانى (٤). أبو يوسف، محمد بن شجاع الثلجى، الجبائى (٣). الأسفراييني، الكعبى، الأشعرى، القلانسى، القفال، الشاشى، مالك، عيسى النحوى، ابن الراوندى (٢)=

الأدب[1]. كما يستشهد بالشعر والشعراء. ولا تقل أهمية أقوال العامة عن أقوال أهل اللسان. فاللغة للاستعمال[2].

ومن الفرق تتقدم المعتزلة على الإطلاق لأنها الخصم، واستئنافا لدور الغزالى فى نقده مع باقى فرق المعارضة العلنية والسرية. وقد يخصص المعتزلة بالمتقدمين أو المتأخرين منهم، وبمعتزلة البصرة أو بغداد، من عامتهم أو من حذاقهم، كلهم أو بعضهم. وأحيانا يذكر الأصولى أنه من المعتزلة أو أهل الاعتزال. ثم يأتى أصحاب الحديث أو أهل الحديث وهو تعبير عام يدل على البداية بالمنقول على عكس المعتزلة التى تبدأ بالمعقول. ثم أهل الأصول أى المختصون بعلم الأصول، ثم أصحاب الشافعى أى الشافعية مشخصة فى الشافعيين، ثم الفقهاء مؤسسى المذاهب الفقهية، ثم العلماء عامتهم أو أكثرهم لصعوبة الإجماع، ثم الفقهاء المتكلمون أى الأصوليون الذين يجمعون بين أصول الفقه وأصول الدين، ثم أهل التحقيق أو الحق أى أهل الخبرة والاختصاص، ثم الأشعرية عامتهم وخاصتهم، أغلبيتهم وأقليتهم، ثم المتكلمون أصوليو الدين فقط دون الفقه، ثم أصحاب الظواهر أى الظاهرية فى الأصول، ثم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية. وبعدها تأتى الفرق الضالة مثل الملحدة والإمامية والروافض والسمنية والدهرية والفلاسفة والجعفرية والمشبهة مما يدل على قوة الرفض فى علم الأصول[3]. كما يحيل إلى مشايخ الأمصار. ويأتى فى المقدمة مشايخ العراق ثم مشايخ سمرقند والتى منها ينتسب الماتريدى الإمام الزاهد، الشيخ الإمام[4]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والمجوس. ومن الأنبياء موسى وعيسى وإبراهيم وهارون ولوط وزرادشت، ومن الكتب المقدسة التوراة[5].

= عباد الضمرى، الحليمى، أبو عبد الله البصرى، مسروق، شريح، الجاحظ، بشر المريسى، ضرار بن عمرو، أبو على القسوى، محمد بن شبيب، صاحب المعتمد (أبو الحسين البصرى)، زفر، البزدوى، ابن السراج النحوى، الفراء، الخليل، الزجاجى، أبو عبد الله التلجى، عبد القاهر البغدادى، أبو الثور، داود الأصفهانى، عبيدة السمانى، أبو موسى الأشعرى، الشطوى (١).

(١) أهل اللغة (٣)، أهل اللسان (٢)، أهل الأدب، أئمة الأدب (١).

(٢) قول العامة (١١).

(٣) المعتزلة (٨١)، أصحاب الحديث (٥٠)، الفقهاء (٣٠)، أصحاب الشافعى (٢٥)، العلماء (٢١)، أهل الأصول (١٦)، الفقهاء المتكلمون (١٥)، أهل التحقيق (١٤)، الأشعرية (١٢)، المتكلمون (٩)، أصحاب الظواهر (٨)، أهل السنة والجماعة (٤)، الإمامية ، المشبة من الحنابلة (٣)، النجادية، المفسرون (أهل التفسير)، أهل السنة، الخوارج، الملحدة (٢)، المرجئة، أصحاب الحديث من المتكلمين، المشايخ، السمنية من الدهرية، الفلاسفة، الإمامية، الجعفرية (من الروافض)، قوم من الصوفية، الدهرية، النجدات (١).

(٤) مشايخ العراق (٢٧)، مشايخ سمرقند (٢٢)، مشايخ بخارى (٣).

(٥) اليهود (٥)، المجوس (١). موسى (٥)، عيسى، إبراهيم (٤)، هارون، لوط، زرادشت (١). التوراة (١).

ويكثر السمرقندى من الإشارة إلى المذهب الذى ينتمى إليه والفرقة التى يمثلها بألفاظ "مشايخنا"، "أصحابنا"، "علماؤنا"، "مشايخ ديارنا"، "مذهبنا"[1]. وهو المذهب الصحيح وما دونه فاسد، المذهب الحق وما دونه باطل[2]. ومن المؤلفات يحال إلى "مآخذ الشرائع" للماتريدى، و"المنتقى" للمروزى، و"الأضداد" لأبى عبيدة، و"الاشتقاق" فى اللغة[3]. وقد يتم تجاوز المذاهب الفقهية والفرق الكلامية إلى المواقف والمناهج مثل الواقفية التى تقوم بالتوقف عن الحكم فى مقابل النفى والإثبات. فالموقف أو المنهج هو الذى يحدد الفرقة مثل أنصار القياس أو العموم أو الخصوص[4].

٦- "الموافقات فى أصول الشريعة" للشاطبى (٧٩٠هـ)[5]. ويقفز قفزة نوعية لتطوير العلم كما فعل "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ) من قبل لاحكام العلم. فالشريعة قد وقعت فى أيدى الفقهاء وتحولت إلى حرف دون روح فى وقت تضيع فيه الأندلس وتحتاج إلى شحذ الهمم. وقد برزت هذه الهمة عند الشاطبى الغرناطى الأندلسى عن طريق الجمع بين المذاهب جمعا لفرق الأمة، بين مذهبى أبى القاسم وأبى حنيفة. ووجد هذه الروح فى التصوف والأخلاق والتجارب الشعورية التى تجلت فى فكرة "المقاصد"، مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة وليس أحكامها الجزئية، وهى الأسس التى قامت عليها الشريعة ابتداء من المصالح الضرورية. وهنا يعاد تأسيس المالكية والمصالح المرسلة على التصوف والتجارب الشعورية. فالواقع فى الشعور. بل تظهر مصطلحات الصوفية، المقامات والأحوال، ولغة الشيخ والمريد، والإلهام والأحلام. فقد تم تأليف الكتاب بناء على حلم أعطى عنوانه. وقد كان العنوان الأول فى اليقظة "التعريف بأسرار التكليف" وهو أيضا عنوان صوفى يجعل للشريعة ظاهرا وباطنا، تكليفا وسرا[6]. ويبرز الغزالى فى

---

(١) مشايخنا (٥١)، أصحابنا (٤٠)، علماؤنا، مشايخ ديارنا (٣). مذهبنا (٢).

(٢) وإنما الصحيح أن يقال، ميزان الأصول ص٦١٧، وأما الصحيح ص٧٣٨، وهذا الأخير هو الصحيح ص٥٧٨، وإنما ما ذكرنا ص٢٣٩/٣١٧، وهذا حد صحيح ص٤٢١، والحد الصحيح ص٢٥٨/٥٥٤. والصحيح قولنا ص١٢٦/١٧١، حجة القول الصحيح ص٢٦٥، والصحيح قول العامة ص٧٦٥، والصحيح مذهبنا ص٢١٩.
وما قالوه باطل ص١٦٥، والأول باطل، والثانى باطل ص٥٢٨، الأول فاسد، والثانى فاسد ص٤٢٥/٤٥٤، وهذه العبارات فاسدة ص٥٨١، وهو حد فاسد ص٦٠١، وهذا فاسد ص٦٧٣.

(٣) مآخذ الشرائع، الجدل (٢)، المنتقى، الأضداد، الاشتقاق (١).

(٤) الواقفية (٦)، أهل الحظر، أصحاب العموم، أصحاب الخصوص ، القايسون (١).

(٥) أبو اسحق الشاطبى (إبراهيم بن موسى اللحمى الغرناطى المالكى): الموافقات فى أصول الشريعة، وعليه شرح جليل للشيخ عبد الله دراز شيخ علماء دمياط (أربعة أجزاء فى مجلدين)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (د.ت).

(٦) السابق ص ٢٤.

"الإحياء" وفى "جواهر القرآن" و"مشكاة الأنوار" باعتباره المنقذ من المذاهب الفقهية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل، ومن المتكلمين والقضاة مثل الجوينى وابن العربى والرازى، والفلاسفة مثل ابن رشد. ومن الشعراء يظهر ذو الرمة والأصمعى والحطيئة[1]. كما اقتضت العودة إلى النص وتوجيهه نحو الشعور مباشرة ظهور سيبويه، والخليل، ويستشهد بالشعر[2]. كما يعتمد على لسان العرب وكلام العرب وقواعد اللغة العربية[3]. وبالرغم من اعتماد المقدمة على السجع كما هو الحال فى المؤلفات المتأخرة[4]. ومع ذلك لم تخل "الموافقات" من بعض القضايا الكلامية والفلسفية مثل العلاقة بين السبب والمسبب، وخلق العالم ووجود الله.

ويعتمد على المصادر المدونة. ويحيل إلى الصوفية والفلاسفة والأصوليين[5]. والاعتماد الأكثر على الآيات والأحاديث[6]. والآيات أكثر من ضعف الأحاديث. ومع ذلك يعتمد "الموافقات" على الترتيب المنطقى، والبرهان، والاستدلال واستنباط كل قاعدة تالية من القاعدة السابقة كما هو الحال فى البنيان. وفى نفس الوقت يعتمد على الاستقراء المعنوى، استقراء جزئيات الشريعة بما يكفى للحصول على القاعدة الكلية. لذلك كان أقرب إلى "علم القواعد الفقهية" عند السيوطى وابن النجيم الذى برع فيه المالكية حرصا على روح العلم، كلياته وقواعده، أصوله وأسسه. فالأدلة عقلية وعادية، فى الذهن وفى العالم. ومع ذلك يظهر أسلوب "فإن قيل ... قيل" ردا على الاعتراضات مسبقا من أجل الإحكام النظرى والاتساق المنطقى.

ومازال الجدل قائما ضد المعتزلة والأشاعرة والظاهرية والباطنية والمرجئة، ومجموع المتكلمين، ومع المذاهب الفقهية المغلقة، الشافعية والمالكية، استنادا إلى باقى الفقهاء والعلماء

---

(١) مالك (٦٧)، الغزالى (٢٦)، الشافعى (٢٣)، أبو حنيفة (١٨)، الجوينى (١٤)، ابن العربى (١٢)، أبو يوسف القاضى (٩)، القرافى (٥)، اللخمى، الباجى (٤)، القشيرى، أحمد بن حنبل، المزنى، ابن رشد، الكتانى، ابن سريج (٣)، أبو هاشم، أبو يزيد البسطامى، ابن عبد السلام، الجوينى، داود، الأصفهانى، ابن قتيبة، الشاشى، الشبلى، الشيرازى، الأوزاعى، محمد بن الحسن، ابن وهب (٢)، ابن عبد البر، الكعبى، إسماعيل القاضى، أبو تراب النخشبى، الطحاوى، المحاسبى، ذو الرمة، الأصمعى، الحطيئة، الشيرازى، بشر الحافى (١).

(٢) سيبويه (٨)، الخليل (٥)، الفراء (٢)، المبرد (١).

(٣) جـ١/٥٤، جـ٣/٣٢١/٣٩٥، جـ٤/٢٥٧.

(٤) الموافقات جـ١/١٩-٢٦.

(٥) الغزالى: الإحياء، جواهر القرآن، مشكاة الأنوار، شفاء الغليل، المستظهرى، ابن رشد: فصل المقال، الكعبى: الاحكام، الرازى: المحصول، الباجى: التبين لسنن المهندين، الشافعى: الرسالة، ابن حبيب: كتاب الجهاد، الداودى: الأحوال.

(٦) الآيات (١٤٥٠)، الأحاديث (٦٥٠).

والصوفية والفلاسفة والحكماء المتقدمين منهم والمتأخرين، أهل العراق وأهل الشام. المحققون والمصوبون ومجموع الأصوليين[١]. ويظهر الصحابة والتابعون والرواة الأولون باعتبارهم المصادر الرئيسية لتطوير العلم الجديد حيث كانت الشريعة مازالت حية فى القلوب. بل يفوق عددهم عدد المتكلمين والفقهاء والأصوليين والفلاسفة والمحدثين والصوفية والحكماء الذين حاولوا تأسيس العلوم[٢].

ويقوم "الموافقات" على بنية خماسية كما يصرح الشاطبى بذلك فى المقدمة: المقدمات، والأحكام، والمقاصد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد. وتبين المقدمات الطابع العملى الأصولى للعلم ووضع قواعد عامة للسلوك. والأحكام قسمان أحكام التكليف وأحكام الوضع. الأولى قواعد سلوك الانسان فى العالم، والثانية العالم ميدان تحقق الفعل الانسانى. والمقاصد نوعان، مقاصد الشارع، وهى مقاصد الشريعة، الشريعة كقصد وهدف وغاية، ومقاصد المكلف أى النية. وتطبيق الشريعة هو تطابق النية مع مقاصد الشرع. وقد لامس القدماء أحكام الوضع ولكن الشاطبى هو الذى أبرزها وفصّلها فى مقابل أحكام التكليف. والأدلة الكتاب والسنة دون الإجماع والرأى نظرا لتعرض السابقين لهما. فالشاطبى يريد التطوير والإكمال على ما ترك السابقون. والاجتهاد والتقليد هى لواحق الدليل الرابع الذى لم يتم التعرض له. ومن الناحية الكمية تتقدم الأدلة الأربعة كما هو الحال فى المصنفات الأصولية المتأخرة ثم المقاصد، القفزة النوعية الجديدة، ثم تتعادل تقريبا الأحكام مع الاجتهاد مما يدل على إبراز الاجتهاد ولواحقه وأخيرا تأتى المقدمات العامة[٣]. والعجيب إسقاط الإجماع ليس فقط لأن القدماء قد تعرضوا له فقد تعرض القدماء لكل موضوعات علم الأصول ربما لتحجر الفقهاء، ووقوع العلماء فى الحرفية. فأراد الشاطبى الاعتماد على النص والواقع ، على الوحى والمصلحة. والعجيب أيضا تسمية الدليل الرابع الرأى، وعدم الحديث عنه لأن القدماء عرضوا له. والقدماء قد تعرضوا لكل شئ. ومع ذلك يجعل الكتاب

---

(١) المعتزلة (١٣)، الأصوليون (١١)، الفقهاء (١٠)، العلماء (٦)، المصوبون ، الأشاعرة (٤)، الفلاسفة، الخوارج (٣)، أهل العراق، الظاهرية، الباطنية، الشيوخ، الحنفية، الجمهور، المتأخرون، المحققون (٢)، الحكماء، الشافعية، المالكية، علماء الفقه، المرجئة، الأقدمون، الصوفية، أهل الشام المتكلمون، أهل فاس، أهل تونس، أهل مصر، المجتهدون، أصحاب المنطق، السوفسطائية (١).
ومن الفرق غير الإسلامية، النصارى (٧)، اليهود (٥).

(٢) ويتقدمهم أبو بكر، ابن مسعود، عائشة، الحسن، على، الشعبى، يحيى بن معين، الثورى، ابن عيينة، ابن عبد البر، أبو ذر، عمر، ابن حبيب، ابن عباس، ابن عياض، سمنون، مطرف، ابن الماجشون، أبو هريرة، ابن مسعود، عمر بن عبد العزيز، ابن المسيب، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، الترمذى، النسائى، عمر بن الخطاب، شريح، حذيفة، سعيد بن جبير ...الخ.

(٣) الأدلة (٥٠٦)، المقاصد (٤١٠)، الأحكام (٢٥٦)، الاجتهاد (٢٥٥)، المقدمات العامة (٧٨).

الخامس فى الاجتهاد ولواحقه. والاجتهاد هو رعاية المصلحة وقد يؤدى الرأى إلى الفقه الافتراضى النظرى الخالص.

فالبنية الخماسية فى "الموافقات" للشاطبى فى الحقيقة بنية رباعية أيضا باستثناء المقدمات. وهى الأحكام، والمقاصد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد والمفتى والمستفتى. وقد دخلت طرق الاستثمار كالعادة فى الكتاب. وتكرر الدليل الرابع فى الاجتهاد والتقليد. والجديد هو المقاصد ومن ثم تصبح بنية "الموافقات" الجديدة ثلاثية: الأحكام والمقاصد والأدلة. ولما كانت المقدمات الأصولية العملية الأولى خارج عن بنية العلم ولكنها أقرب إلى الفعل لنزعتها العملية، وكان الاجتهاد جزءا من الأدلة الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والرأى، تبقى القسمة ثلاثية: الأدلة والمقاصد والأحكام. فقد حلت المقاصد محل مباحث الألفاظ التى دخلت فى الأدلة على الجملة. فإذا ما دخلت المقاصد مع الأحكام، وأصبحت الأحكام وسيلة لتحقيق المقاصد فإن القسمة الثلاثية تظل هى البنية الثلاثية للعلم. وتكون الأولوية حينئذ للفعل فى المقاصد والأحكام ثم النص فى الأدلة وأخيرا العقل فى الاجتهاد[1].

سابعا: البنية السباعية.

١- "بذل النظر فى الأصول" للأسمندى (٥٥٢هـ). ويدور على أصول مشابهة "لميزان الأصول" للسمرقندى مع أنه شافعى والأسمندى حنفى مما يدل على أن العصر وليس المذهب، العقل وليس الفرقة، هو الذى يفرض أصوله[2].

ويقوم على سبعة أقسام تدور كلها حول الأدلة الأربعة وحدها: الكتاب، والأخبار (السنة)، والإجماع، والقياس. وأكبرها الكتاب الذى يستغرق بمفرده أكثر من نصف الكتاب، وأصغرها تقليد الصحابى[3]. ويضم الكتاب كل مباحث الألفاظ فى أبواب: الحقيقة والمجاز، اللغات، الأمر، النواهى، العموم، الخصوص، المطلق والمقيد، المجمل والمبين، والنسخ. فقد ارتبطت مباحث الألفاظ أساسا بالكتاب. بل إن المبادئ اللغوية العامة عن أصل اللغة ومعانى الحروف تدخل فى مباحث الألفاظ. وينفصل الأمر عن النهى، والعموم عن الخصوص، فى حين تجمع الحقيقة

---

(١) المقاصد والأحكام (٧٤٤)، الأدلة (٥٠٦)، الاجتهاد (٢٥٥).

(٢) الشيخ الإمام العلاء العالم محمد بن عبد الحميد الأسمندى: بذل النظر فى الأصول، حققه وعلق عليه ونشره لأول مرة محمد زكى عبد البر، دار التراث، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣) الكتاب (٣٥٥)، الأخبار (٥٢)، الإجماع (٥٤)، تقليد الصحابى (٧)، القياس (٦٦)، الاستحسان (٢٦)، استصحاب الحال (٣٦).

والمجاز، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. وتسمى السنة "الأخبار" لأنها أهم موضوع فيها. وتضم الأقوال (الأخبار) والأفعال. أما الاستحسان واستصحاب الحال وتقليد الصحابى فإنها تدخل فى موضوع القياس. أكبرها الأمر وأصغرها اللغات[1].

ويبدأ الكتاب بمقدمة عن علم أصول الفقه، وجوبه وماهيته وقسمته[2]. ولفظ الباب كله مفردا إلا فى العموم فهو جمع، وكذلك الإجماع. والقسمان الأولان، الكتاب والإجماع بلا لفظ باب مفردا أو جمعا. وفى الحقيقة أن البنية السباعية ترد إلى الرباعية أى إلى الأدلة الأربعة بعد إضافة ملحقات للدليل الرابع وهو القياس فبعد تسمية السنة الأخبار، ودخول مباحث الألفاظ فى الكتاب يضاف إلى القياس الاستحسان واستصحاب الحال وتقليد الصحابى دليلا أم لا. فالبنية الغالبة الرباعية والثنائية. الثنائية مثل العقل والنقل. ومن العقل تستنبط الحكام، ومن النقل تستنبط الأقوال، الكتاب والسنة والإجماع، والأفعال وهو القياس[3]. والعقل هو الأساس. والنقل هو الفرع. أحكام التكليف الخمسة بالعقل قبل النقل[4]. ومع ذلك تبدو البنية منبعجة نحو النقل أى الأدلة ثم العقل ويختفى الفعل كلية بعد أن كان له الأولوية فى "الموافقات"[5]. والكتاب تجربة إنسانية عامة اتفقت عليها كل الشعوب، حكمة البشر. والسنة رواية متواترة، صدقها أيضا فى التجربة الإنسانية الخاصة والعامة. والإجماع تجربة الأمة، والوعى الجماعى. والاجتهاد عمل ذهنى فردى. وهى مصادر أربعة أيضا تؤكدها التجربة البشرية العامة. وتتضح البنية فى وعى المؤلف فى تعداد عناصر كل موضوع قبل البدء فيه فى "الفقرة- البرنامج" أولا[6].

---

(١) الحقيقة والمجاز (١٩)، اللغات (٤)، الحروف (١٣)، الأمر (٩٧)، النواهى (٩)، العموم (٤٤)، الخصوص (٥٩)، المطلق والمقيد (٩)، المجمل والمبين (٣٨)، النسخ (٥٨).

(٢) بذل النظر ص٣-١٠.

(٣) "وطريق المجتهد ضربان: أحدهما الرجوع إلى حكم العقل لأنا متعبدون بالبقاء على حكم العقل إلى أن يرد الشرع بالنقل عنه. وذلك يوجب أن نتكلم فى أن الحظر والإباحة ثابتان بقضية العقل ليصح لنا التمسك بهما إلى أن يرد الشرع بالنقل عنهما. فلذلك صار الكلام فى الحظر والإباحة من أصول الفقه. والآخر ضربان: أفعال وأقوال. فالأقوال، هو القول الصادر: من الله تعالى وهو الكتاب، ووجه الدلالة فيه أنه كلام حكيم غنى لا يجوز عليه الكذب والهذيان والمغالطة، أو من الرسول وهو الخبر. ووجه الدلالة فيه أنه كلام مخبر صادق مؤيد بالمعجزة لا يكذب فيما يؤدى عن الله تعالى ولا يقصر فى تبليغ الرسالة، أو من الأمة وهو الإجماع. ووجه الدلالة فيه أن عقائد قوم لا يجتمعون على ضلال، عرف ذلك بكتاب الله ورسوله. والأفعال الأقيسة والاجتهادات. فهذه جملة أصول الفقه وأقسامها"، السابق ص١٠.

(٤) بذل النظر ص٣-١٠.

(٥) الأدلة (٤٦٣)، العقل (١٢٨).

(٦) السابق ص ٣٦٧/٥١٩/٣٦٧.

فالأصول تجمع ولا تفرق، تؤسس ولا تفرع، والفروع والفروق فى علم آخر هو علم الخلاف[1].

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير، ويعتمد على العقل أكثر من النقل. ويستشهد بالآيات أكثر من الأحاديث[2]. ويستشهد بالشعر العربى وبلسان العرب ولغتهم. فالثقافة لغة، واللغة ثقافة فى مقابل الترك والزنج[3]. ومع ذلك فإن الأسمندى حنفى يدافع عن المذهب الصحيح، الحنفية، وهو المذهب المختار. هناك صواب وخطأ، صحة وفساد[4].

وتقل أسماء الأعلام والفرق. ويتقدم الشافعى على الكرخى، والكرخى على أبى حنيفة، وأبو حنيفة على الشيبانى وأبى يوسف. ثم يتساوى الأشعرى وعيسى بن أبان الحنفى. ثم يتعادل الماتريدى ومالك وابن سيرين وغيرهم من الصحابة والتابعين. فالشافعى مذهبا وليس ملة أو دينا هو الحاضر دائما. والمحاور الأول للأحناف. ويذكر للشيبانى عدة كتب مثل الناسك والصوم والنكاح[5]. ومن الفرق الإسلامية يتقدم المتكلمون، عامتهم وخاصتهم، أصحاب الشافعى وأصحابنا (أصحاب أبى حنيفة). كما يتقدم الفقهاء على الإطلاق، الأصوليين وأهل الظاهر والإمامية وعامة العلماء وأهل الحق. ولكل فرقة متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور المذهب[6]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر عادة اليهود والنصارى فى موضوعات النسخ والدية والأخبار. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل[7].

٢- "جمع الجوامع" للسبكى (٧٧١هـ)[8]. ويقوم على قسمة سباعية ترد إلى رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعة نظرا لأن الكتب الثلاثة الأخيرة، الاستدلال، والتعادل والتراجيح،

---

(١) السابق ص٣.

(٢) الآيات (٢٩٤)، الحديث (٥٨)، الشعر (٢).

(٣) الشعر، بذل النظر ص٢٠٤/٢١٢، لسان العرب ص٢١٢، الترك والزنج ص٢٩٠/٢٩٣.

(٤) والدلالة على صحة مذهبنا، بذل النظر ص٦٠٤، والمذهب الصحيح ص٢١٨، والمذهب المختار ص٢٦٠/٤٧٤/٦٠٦/٦٩٥.

(٥) الشافعى (١٩)، الكرخى (١٥)، أبو حنيفة (٧)، الشيبانى، أبو يوسف، أبو موسى الأشعرى (٣)، الأشعرى، عيسى بن أبان (٢)، الماتريدى، أبو سعيد الخدرى، مالك، عبيدة السلمانى، ابن سيرين، أبو الحسن (١). الكتب: الناسك، الصوم، النكاح (١).

(٦) المتكلمون (٢٤)، أصحاب الشافعى، أصحابنا (١٦)، الفقهاء (١٣)، أصحاب الظاهر (٦)، أهل الأصول (٥)، الأصوليون (٣)، أصحاب أبى حنيفة، مشايخنا المتأخرون، الإمامية، عامة العلماء، أهل الحق (١).

(٧) اليهود (٣)، النصارى (١). نوح، إبراهيم، موسى (١). التوراة، الإنجيل (١).

(٨) تاج الدين السبكى: جمع الجوامع، فى تشنيف المسامع (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

والاجتهاد لواحق للقياس. أكبرها القياس ولواحقه ثم الكتاب ثم السنة وأصغرها الإجماع[1]. أما الأحكام ففى المقدمات[2]. والبنية منبعجة نحو النقل والعقل والفعل غائب بعد أن كانت له الأولوية فى "الموافقات". وهو نص مركز يقدم تعريفات قصيرة مما استدعى شرحه عدة مرات. يجمع بين المقال السيال فتغيب التفصلات مثل "منهاج الوصول" للبيضاوى و"المنار" للنسفى، وتجميع الآراء الذى سيتضخم فى "البحر المحيط" للزركشى، وهو أحد شراحه. يبدأ بنظرية العلم كما هو الحال فى علم أصول الدين وينتهى بنظرية العلم[3]. لا يفرق بل يجمع، ولا يستبعد بل يضم. والخلاف بين المذاهب فى معظمه لفظى. والمذهب الصحيح هو المختار وليس الصواب المطلق[4]. وتكثر الألقاب فى المذهب المختار مثل الإمام (الرازى)، وإمام الحرمين (الجوينى)، والأستاذ (الأسفراييني)، والقاضى (الباقلانى)، والشيخ (الجنيد). والتصوف تضخيم للأشعرية وتكبير لها. وقد تتضاعف ألقاب التعظيم مثل الشيخ الإمام.

وبقدر ما تزيد أسماء الأعلام تقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث ويغيب الشعر[5]. وهى على الاتساع وليست فى العمق أى فى كثرتها وليس فى ترددها. ويتقدم الرازى إمام الأشعرية المتأخر ثم إمام الحرمين والقاضى الباقلانى والآمدى ثم الشيخ الإمام ثم الغزالى. وواضح أولوية المتكلمين على الفقهاء، وعلم أصول الدين على علم أصول الفقه. ثم يأتى بعد ذلك الشافعى ثم أبو حنيفة ثم الشيرازى ثم السمعانى. ويتداخل الشافعية مثل الأستاذ والقاضى وابن فورك مع الحنفية مثل الكرخى، والمالكية مثل ابن الحاجب والقرافى، والحنابلة مثل أحمد. ونظرا لأولوية المتكلمين على الفقهاء يظهر متكلمو المعتزلة مثل أبو هاشم، والجبائى، وأبو على، والقاضى عبد الجبار، والأشاعرة مثل الأشعرى نفسه. كما يظهر الماتريدى الذى جمع بين الأشعرية والاعتزال. ومن الصوفية يظهر القشيرى والجنيد والسهروردى. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فى شرع من قبلنا[6].

---

(١) القياس ولواحقه (٣٩٨)، الكتاب (٢٧٣)، السنة (٨٨)، الإجماع (٢٦).

(٢) السابق جـ١/٣٠-١٧٢.

(٣) السابق جـ٢/٣٩١-٤٢٦.

(٤) السابق جـ١/١١٤/٢٤١/٤١٦/٤٢٠/٤٢٦/٤٢٨/٤٤١/٥١٥، جـ٢/١٣/٤٤/٤٦/٦٠/٦٦/٦٨/١١٩/١٣٣/٢١٦/٢٢٧/ ٣٨٥/٣٨٧.

(٥) الآيات (١٨)، الأحاديث (٥).

(٦) الرازى (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضى أبو بكر، الآمدى (٢٣)، الشيخ الإمام، الغزالى، الشافعى (٢١)، أبو حنيفة (١٦)، أبو اسحق الشيرازى (١٢)، السمعانى (٩)، أبو الحسين (٨)، الأستاذ (٧)، الكرخى، القاضى، ابن الحاجب (٦)، أحمد، ابن فورك (٥)، أبو هاشم، الإمامان، الصيرفى (٤)، الباقلانى، أبو حامد، مالك، عبد الجبار، ابن سريج (٣)، القاضى حسين، ابن دقيق العيد، أبو حيان، القاضى أبو الطيب، الأشعرى،=

ومن الفرق يتقدم المعتزلة باعتبارهم الخصم الدائم الذى دافع عن الحسن والقبح العقليين فى أحكام التكليف وفى العقل كشريعة من قبلنا. ثم يظهر الجمهور باعتبار الأغلبية السائدة والفرقة الناجية. وتأتى الحنفية قبل الشافعية كما تأتى المعتزلة قبل الأشعرية لأنها المخالف أو السائد فى خراسان. ثم تأتى الظاهرية نظرا لسيادة الحرفية والنصية فى العصور المتأخرة مع الحشوية والمرجئة والحنابلة. ونظرا لسيادة عقائد الفرقة الناجية، يظهر علماؤنا وأصحابنا، والمحققون. ونظرا لسيادة التقليد يظهر الشيخان، والخلفاء الأربعة، وأهل الحرمين، وأهل البيت، وأهل المصرين الكوفة والبصرة والصحابة. ونظرا لسيادة التصوف وسيطرته على الفكر فيظهر الصوفية باعتبارهم أصحاب عقائد وأصول[1].

والأهم من ذلك كله هى الخاتمة الكلامية الصوفية الإيمانية العقيدية التى على نقيض علم أصول الفقه مما يؤذن ببداية النهاية. وقد بدأ ذلك من قبل فى أصول "المنار" للنسفى (٧١٠هـ) أى منذ القرن الثامن الهجرى قبل ابن خلدون بقرن من الزمان (٨٠٨هـ). فقد تحولت الخاتمة إلى ما يشبه "قواعد العقائد" فى علم أصول الدين. لا خلاف عليها، بل عقائد مغلقة مصمتة، يجب الإيمان بها والتسليم بصياغاتها حتى ولو كانت تحت باب الاجتهاد[2]. لا يكفر فيها أحد. ومن هنا أتى اسمه "جمع الجوامع". وهى عقائد الفرقة الناجية، الأشعرية التى يسميها ابن رشد الأموية، عقائد السلطان التى جعلها الغزالى منذ "الاقتصاد فى الاعتقاد" عقائد الأمة. الاختلاف فيها قليل، وفى الطبيعيات وحدها. والإيمان بها واجب حتى فى الطبيعيات وفى الموضوعات الميتافيزيقية الخالصة. ومن ثم ينتهى علم أصول الفقه باعتباره علما عمليا إلى علم نظرى خالص، ومن علم استدلالى إلى علم إيمانى عقائدى صرف، ومن الاجتهاد كأصل فيه إلى التسليم كواجب منه. ويصبح الأشعرى هو نموذج الأمة، والشيخ الجنيد مخلصها. والاجتهاد يتحول إلى جهاد النفس، .من العقل إلى الإرادة، ومن الأصول إلى التصوف[3].

=القرافى، الماوردى، ثعلبة، سليم، الخطيب، العنبرى، الجبائى، ابن عصفور، المروزى، داود، الزمخشرى، ابن سيرين، الشيخ (٢)، أبو شامة. البغوى، الدقاق، ابن خويزمداد، الكيا الهراسى، الكعبى، ابن أبى هريرة، ابن فارس، البيضاوى، الهندى، عياض، الشهرستانى، أبو مسلم، الأخفش، ابن مالك، المبرد، الزجاجى، الأصمعى، العبادى، ابن الصباغ، الماتريدى، القزوينى، الاصطخرى، البصرى، الذهبى، ابن شعبان، أبو عبد الله الحافظ، الذهبى، البيهقى، الحربى، أبو الشيخ، ابن حزم، ابن عبدان، ابن يحيى، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، الأوزاعى، الرازى (أبو بكر) (١).

(١) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الظاهرية (٣)، الشافعية، أهل المدينة، علماؤنا (٢)، أصحابنا، المحققون، الحشوية، المرجئة، الحنابلة، الفقهاء، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل البيت، أهل المصرين الكوفة والبصرة، الشيخان، الخلفاء الأربعة، الصحابة، الجدليون، الصوفية (١).

(٢) جمع الجوامع جـ٢/٢٣٧-٣٩١.

(٣) السابق جـ٢/٢٥٣/٣٥٥/٣٥٧/٤١٠.

٣- "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق مـن علـم الأصـول" للشـوكانى (١٢٥٥هـ)[1].

ويعود إلى طريقـة التجميـع ورصـد الآراء والمواقـف لمختلـف المذاهـب الأصوليـة والكلاميـة، تلـك الطريقة التى بلورها "البحر المحيط" للزركشى فى القـرن الثـامن الهجـرى. ميزتـها أنـها دائـرة معارف عامة تمتلئ بمئات المتكلمين والأصوليين والـرواة والمصنفـين والمصنفـات. يصعـب تحليـل مضمون لها لكثرتها وتقتبس نصوصها من المصنفات الأصولية السابقة، والإعلان عن نهاية النص بفعل "انتهى"[2]. يجمع بين الأصول والفروع، وتضم الخلافات نحو الأصل الواحـد. ويحيـل إلى ما يقرب من المائة مصدر يقتبس منها أقوال السابقين. يتقدمها "المحصـول" للـرازى ثـم "البحـر المحيط" للزركشى ثم "التقريب" للقاضى، ثم "البرهان" للجوينى، ثـم "مختصـر المنتـهى" لابـن الحاجب، ثم "اللمع" للشـيرازى، ثـم "المنخـول" و"المسـتصفى" للغـزالى، وعشـرات أخـرى مـن المصنفات، متون أو ملخصات أو شروح[3]. بل تتم العودة إلى النص الأصلى "الرسـالة" للشـافعى. كما يحال إلى "المنهاج" للبيضاوى، و"الدلائل" للصيرفى و"الودائع" لابن سريج، و"العـدة" لابـن الصباغ، و"التلويح" للطبرى وإلى عشرات نصوص أخرى من اللغة والأصـول والتفسـير والحديـث وعلوم القرآن والمدونات الفقهية. فضاع الأصل من خلال الفروع. وتاه المتن فى تشعب السند.

ومع ذلك، يمتاز بالهدوء وعدم التطرف فى المواقف. بل أنـه يرفـض التطـرف والغلـو فـى الحكام، وهى إحدى شيم الإصلاح. ومع أنه شـافعى المذهـب إلا أنـه يحـاور الحنفيـة والمالكيـة والحنبلية. بل ويضم الشيعة أيضا طبقـا لنوايـا الإصـلاح فـى توحيـد فـرق الأمـة. والصـواب هـو

---

(١) محمد بن على بن محمد الشوكانى: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق مـن علـم الأصـول، الطبعـة الأولى، مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

(٢) عدد الاقتباسات (١٠١).

(٣) المحصـول (٧٥)، البحر المحيط (٣٠)، التقريب (٢٨)، البرهان (١٩)، مختصر المنتهى (١٢)، اللمـع، المنخـول (٨)، الوجـيز (ابـن برهـان) (٦)، المسـتصفى (٤)، الرسـالة، شـرح مختصـر المنتـهى (العضـد)، شـرح البرهـان (الانبارى)، التلويح (الطبرى)، التحرير (ابن الهمام)، جامع بيان العلم (القاضى عبد البر)، المعتمد (أبو الحسين البصرى)، المرشد (ابن القشيرى) (٣)، القواطع (ابن السمعانى)، الملخص (القاضى عبد الوهاب)، الأحكام (ابـن حزم)، شرح المحصول (الأصفهانى)، النبلاء (الذهبى)، شرح الكفاية (٢)، المنهاج (البيضاوى)، شـرح البرهـان (ابن المنير)، شرح اللمع (الشيرازى)، الخصائص (ابن جنى)، الدلائل (الصيرفى)، الودائع (ابن سريج)، أحكام القرآن (الشافعى)، العدة (ابـن الصبـاغ)، التلخيـص (الجوينـى)، المسـائل (ابـن قتيبـة)، شـرح الـبزدوى (عبـد العزيـز)، الافـادة (القـاضى عبـد الوهـاب)، التفسـير (الـرازى)، شـرح سـيبويه (السـيرافى)، مسـائل الخـلاف (الصيمرى)، الملل والنحل (ابن حزم)، كتاب العلل (ابن الخلال)، شرح مقالات الأشعرى (ابـن فـورك). الفقيـه والمتفقه (الحافظ البغدادى)، التذكرة فى أصول الدين (التميمى)، شفاء الغليل، الجام العوام، التفرقة بين الإسلام والزندقة (الغزالى)، الروضة (ابن قدامة)، المطالب العالية (الرازى)، التبصرة (الشيرازى) ...الخ.

"المختار" أى الصحيح والمرجح دون إقصاء أو إبعاد لمذهب أو رأى، مع أن العنوان يوحى باليقين "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول". وقد يكون هـذا الاعتـدال مـن آثـار الماتريديـة التى حاولت من قبل الجمع بين الأشاعرة والمعتزلة فـى الكـلام، وبـين الشـافعية والحنفيـة فـى أصول الفقه. يحاجج المواقف الأخرى، ويرد على الأدلة بأدلـة، ويبـين ضعفـها أو قوتـها. وقـد طغت المباحث الكلامية على علم الأصول المتأخر. كما طغت على علوم الحكمـة لأن الكـلام كـان هو العلم الشرعى الوحيد. يجمع بـين الحجـج النقليـة والعقليـة. وتغلـب الآيـات القرآنيـة علـى الأحاديث النبوية. ويقل الشعر إلى أقل درجة. فالتجريد النظرى لا ينتج تجربة إنسانية شعرية.

والقسـمة سـباعية بعـد المقدمـة، الكتـاب والسـنة والإجمـاع. ثـم تـأتى النواهـى والعمـوم والخصوص كمنطق للألفاظ للأدلة الثلاثة الأولى. ثم القياس والاجتهاد والتعادل والتراجيح. أكبرها المقصد الرابع عن مباحث الألفاظ ثم مباحث القيـاس وأصغرهـا الأدلـة الثلاثـة الأولى[1]. والمقدمـة أشبه بالمقدمات الكلامية، شبيهة بنظرية العلم عند المتكلمين. وقد تم عرض المقاصد السبعة علـى نحو ترتيبى تعليمى. كل مقصد فى عدة فصول، وكل فصل يتضمن عدة أبحاث أو أبواب، وكـل بحث عدة مسائل. ومن ثم تتوارى البنية الثلاثية خاصة الأحكام وطرق الاستثمار لصـالح المثمِر، الأدلة الأربعة. وتنبعج نحو النص على حساب العقل ويغيب الفعل بعد أن كانت له الأولوية فى "الموافقات".

وبالرغم من قسمة النص إلى سبعة مقاصد إلا أنها تحيـل إلى بعضـها البعـض للتـأكيد علـى وحدة النص[2]. كما يحيل الشوكانى إلى بقية أعماله فـى الأصـول مثـل "القـول المفيـد فـى أدلـة الاجتهاد والتقليد" والى تفسيره "فتح القدير" والى فقهه فى "أدب الطلب"[3]. ويضع الموضوع كلـه فى إطار العلوم الإسلامية كلها ومنظورها الحضارى العام[4].

ولـا كـان الشـوكانى مـن أوائـل المصلحـين فـإن بدايـات الإصـلاح الحديـث تظـهر فـى "إرشـاد الفحـول". ويتطلـب الإصـلاح التخلـى عـن التطويـل والتفصيـل فـى كـل مـا لا فـائدة منه. والشوكانى نفسه لم يطبق ذلك نظرا لأنه أراد فى نفس الوقت الجمع بـين التدويـن الثـانى، والعمل بالذاكرة والإصلاح والتطوير. بل قد يصل النقد إلى درجة الحدة فـى التعبـير والتعجـب مـن

---

(١) المقصد الرابع: النواهى والعموم والخصوص (١٠٨). المقصد الخـامس: القيـاس (٥١)، الاجتـهاد (٢٤)، التعـادل والتراجيح (١٥) = (٩٠). السنة (٣٨)، الإجماع (١٩)، الكتاب (٤) = (٥١). المقدمة (٢٦).

(٢) السابق ص٦/١٦/٢٠/٢٩/٣٥/٣٩/٥٥/٦٠/١٦٠/١٦٤/١٧٦/٢١٨/٢٢٠/٢٥٨/٢٦٨/٢٨٦.

(٣) السابق ص٣١/٢٤٥/٢٦٧.

(٤) السابق ص٣٢/٣٥/١٧٧/٢٣٩/٢٦٠.

الموقف، والاندهاش من الرأى. فينقد الاسفراييني لعدم اطلاعه على لغة العرب. وأحيانا يُقال "وهذا كلام ساقط جدا"[1]. ويتعجب من مقالة تقشعر لها الجلود[2]. وينقد القدماء. فالتراث الأصولى ليس مقدسا. والأسلاف ليسوا معصومين. كان الهدف من الدخول فى حوار مع المذاهب الأصولية تحريك العلم، وإعادة النظر فى مسلماته، والدخول فى معارك القدماء من أجل تعليم المحدثين[3].

والعقل معيار الإصلاح. وهو قصد خاتمة الكتاب. فالعقل حاكم على صفات الكمال والنقص، وملائمة الغرض ومنافرته وقسمة الأحكام الشرعية إلى خمسة أحكام قسمة عقلية[4].

ويظهر ابن رشد فقيها فيلسوفا أو متكلما أو طبيبا أو نحويا وهو أول من حاول إعادة بناء الفقه طبقا للفضائل فى آخر "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"[5]. ويتوجه الشوكانى إلى نقد التقليد[6]. ويكتب فيه رسالة خاصة "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد". فالتقليد قول بلا

---

(١) السابق ص ٢٣.

(٢) "فيا للعجب من هذه المقالة التى تقشعر لها الجلود، وترجف عند سماعها الأفئدة، فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة. وتكليف لهم بما ليس فى وسعهم ولا يطيقونه"، ص٢٦٩ .

(٣) "بل هو محل نزاع وتطويل الكلام فى هذا البحث قليل الجدوى بل مسألة الخلاف فى كلام الله سبحانه وإن طالت ذيولها وتفرق الناس فيها فرقا وامتحن بها من امتحن من أهل العلم، وطن من طن أنها من أعظم مسائل أصول الدين لها كبير فائدة. بل هى من فضول العلم. ولهذا صان الله سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من التكلم فيها"، السابق ص١٢. "ثم أطال الكلام على هذا، ثم عاد إلى التشكيك فى نقلها آحادا وجميع ما جاء به مدفوع مردود. فلا نشتغل بالتطويل بنقله والكلام عليه" ص١٦. "هذا كلام صاحب المحصول. وقد أسقطنا ما فيه من ضعف، وما اشتمل على تعسف" ص٧٦. "وقد أطال أهل الأصول والكلام فى هذه المسألة، وليس هناك ما يقتضى التطويل" ص١٣٩. "وقد أطال أهل الأصول والكلام فى هذه المسألة، وساقوا من أدلة المذاهب ما لا طائل تحته" ص١٥٢. "وقد طول أهل الأصول والكلام فى هذا المبحث بإيراد شبه زائفة لا طائل تحتها" ص١٥٩. "والكلام فى هذا يطول لما فيه من كثرة النقول عن الفحول" ص١٧٧. "وهو من حشو الكلام لولا أنه أودع كتابا مستعملا لكان تركه أولى" ص٢٢٥. "وبالجملة فتطويل البحث فى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح" ص ٢٥٤. "كلام طويل، وليست محتاجة إلى التطويل فإن القول فيها لا مستند له إلا بعض الرأى" ص٢٦٤.

(٤) "قدمنا فى أول هذا الكتاب الخلاف فى كون العقل حاكما أولا. وذكرنا أنه لا خلاف فى أن بعض الأشياء يدركها العقل ويحكم فيها كصفات الكمال والنقص وملائمة الغرض ومنافرته. وأحكام العقل باعتبار مدركاته تنقسم إلى خمسة أحكام كما انقسمت الأحكام الشرعية إلى خمسة أقسام. الأول الوجوب كقضاء الدين، والثانى التحريم كالظلم، والثالث الندب كالإحسان. والرابع الكراهة كسوء الأخلاق. والخامس الإباحة كتصرف المالك فى ملكه"، السابق ص٢٨٤.

(٥) انظر دراستنا: ابن رشد فقيها، مجلة الف للبلاغة المقارنة، العدد ١٦، القاهرة ١٩٩٦، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ص١١٦-١٤٤.

(٦) السابق ص١٧٩/٢٤٧.

برهان نقلى أو عقلى[1].

ثامنا: البنية الثمانية.

١- **"البرهان" للجوينى (٤٨٧هـ)**[2]. وإذا كان مقال "الورقات" قد رصد أوجه الاتفاق بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية حول القواعد والأصول فى صيغة مركزة فإن "البرهان" على عكس من ذلك، مسهب ومطول يرصد الاختلاف أكثر من الاتفاق، ويستعمل الأصل كمناسبة لرصد الاختلاف حولها بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية. فالأصل وسيلة للاختلاف، وليس الاختلاف وسيلة إلى تجريد الأصل. ويبدو الارتباط الوثيق بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. ولما كان الجوينى شافعيا أشعريا مثل تلميذه الغزالى كان الحجاج ضد المعتزلة وتفنيد شبههم مما يدل على انتشارهم قبل محنتهم فى القرن الخامس[3]. يرد على الاعتراضات مسبقا. والاعتماد على الحجج العقلية أكثر من الاعتماد على الحجج النقلية خاصة فى المقدمات النظرية الأولى التى تماثل نظرية العلم فى علم أصول الدين. وفى الكتب الخمسة الأخيرة عن القياس الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[4]. وتدعمها الشواهد الشعرية ولغة العرب وكلامهم[5].

---

(١) "وياللعجب من جرى أقلام أهل العلم بمثل هذه الأقوال التى لا ترجع إلى عقل ولا نقل، ولا يوجد بينها وبين محل النزاع جامع. وإنما ذكرناها ليعتبر بها المعتبر، ويعلم أن القيل والقال قد يكون من أهل العلم فى بعض الأحوال من جنس الهذيان فيأخذ عند ذلك حذره من التقليد، ويبحث عن الأدلة التى هى شرع الله الذى شرعه لعباده"، السابق ص٤٨.

(٢) الجوينى: البرهان فى أصول الفقه (جزءان)، حققه وقدمه ووضع فهارسه د. عبد العظيم الديب، توزيع دار الأنصار، القاهرة جـ١ ١٤٠٠هـ وذلك مثل العلاقة بين "اللمع" للاتفاق، و"التبصرة" للاختلاف للشيرازى.

(٣) السابق جـ١/١٣-٢٥ ويلخص المحقق هذا المنهج فى النقاط الآتية:

أ- تحديد الهدف المطلوب مما يختلط به لمزيد من الوضوح فى التقسيم.

ب-تحديد معانى الألفاظ والمصطلحات المستخدمة فى الجدل والكلام.

جـ-عرض آراء المخالفين وأدلتهم ومناقشتها واختيار أفضلها.

د- التحرر من الأفكار المسبقة وعدم التعصب لمذهب أو رأى.

هـ-إسقاط العنصر الشخصى من أجل البحث عن الحقيقة الموضوعية.

و- الانتباه إلى الأصول دون الفروع، والتوجه إلى الكليات دون الجزئيات.

ز- الحذر من أساليب الزلل فى البحث والخطأ فى الحكم.

ح- إعطاء القرآن والأدلة والبراهين والحجج فى كل موقف، السابق ص٥٧-٥٨

(٤) الآيات القرآنية (١٢٧)، الأحاديث النبوية (٨٨).

(٥) الشواهد الشعرية (١٢)، كلام العرب جـ١/٥٤٧، جـ٢/٨٠٧.

والمقدمات إيمانية بالرغم من العنوان "البرهان". لذلك تأتى الأحكام قطعية، الحق مع الأصحاب، والخطأ مع الفرق المعارضة. وقد يشوب الأسلوب بعض الحدة فى التعبير مثل ابن حزم[1].

وتغيب عن الكتاب القسمة الواضحة إلى كتب وأبواب وفصول. وكلها غير مرقمة. وكل كتاب أو باب أو فصل أو قول أو عنوان منفرد يتكون من عدة مسائل فالمسألة هى الوحدة الصغرى. مجموع المسائل لم يفرض بنيته. وهناك إحساس بالقسمة وترتيب الكلام دون تحولها إلى بنية مستقلة عن الكلام والأقوال[2]. ومع ذلك تغيب الرؤية الكلية والقسمة الشاملة وإن حضرت فى قسمة الموضوعات الجزئية كالإجماع أو القياس[3].

ومع ذلك وبجهد الناشر ينقسم "البرهان" إلى ثمانية كتب متفاوتة فى الكم[4]. أطولها الأول "البيان"، وأصغرها السابع "ملحق كتاب البرهان" أو "كتاب الاجتهاد"[5]. وبعض الأبواب يتكون من فصل واحد والبعض الآخر من أكثر من فصل، والبعض الثالث من باب أو أكثر. ويضاف إلى الفصول والأبواب لفظ "القول". وبعض الفصول بعناوين، والبعض الآخر بلا عناوين[6]. والثانى الإجماع من فصل واحد. ثم عنوان مفرد "مسائل متفرقة فى الإجماع".

---

(١) وتظهر هذه الحدة فى تعبيرات مثل: "شرذمة من الأصحاب"، "بعض المستظرفين فى علم الأصول"، السابق ص٢٤٠/٢٥٥.

(٢) "عود إلى ترتيب الكتاب"، السابق جـ١/٥٦٢-٥٦٣، "وقد نجز مرادنا فى التأويل تفصيلا تفصيلا. ونحن الآن نجدد العهد بترتيب يشتمل على ما مضى من الكتاب وعلى ما سيأتى منه حتى يتجدد عهد الناظر بترتيب أبواب الكتاب فإن معرفة الترتيب من أظهر الأعوان على درك مضمون العلوم القطعية"، السابق جـ١/٢٦٢.

(٣) السابق جـ١/٦٧٠/٧٥٠.

(٤) الكتاب الأول: البيان (٥١١)، الثانى: الإجماع (٥٥)، الثالث: القياس (٣٧٠)، الرابع: الاستدلال (٢٩)، الخامس: الترجيحات (١٥١)، السادس: النسخ (٢٣)، السابع: ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤)، الثامن: الفتوى (٣٧).

(٥) ومن ثم يكون ترتيب الكتب تنازليا كالآتى: ١-البيان (٥١١) ٢-القياس (٣٧٠) ٣-الترجيحات (١٥١) ٤-الإجماع (٥٥) ٥-الفتوى (٣٧) ٦-الاستدلال (٢٩)، ٧-النسخ (٢٣) ٨-ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤).

(٦) مقدمات الكتاب قبل الكتاب الأول تحتوى على فصلين وقول وشبه المعتزلة لا يسبقها فصل أو باب أو قول. والكتاب الأول "القول فى البيان" يتضمن سبعة أبواب: الأوامر، والنواهى (يسبقها القول)، والعموم والخصوص، وأفعال الرسول (يسبقها القول)، والتعلق بشرائع الماضين (يسبقها القول)، والتأويلات، والأخبار. ويتضمن القول فى البيان فصلا واحدا، والأوامر ثلاثة فصول، والنواهى فصلين، والعموم والخصوص ستة فصول مع عنوانين زائدين، واحد بعد الفصل الثالث، والآخر بعد الفصل الخامس. والفصل السادس يبدأ بالقول. وأفعال الرسول فصل واحد. والتعلق بشرائع الماضين، والتأويلات بلا فصول. والأخبار ستة فصول. وتظهر الحكام الشرعية فى فصل من باب النواهى بعنوان "فى معنى الأحكام الشرعية"، السابق جـ١/٢١٧-٢٢٥.

والثالث كتاب القياس. يتضمن خمسة أبواب، الأول بلا عنوان والثانى "القول فى تقاسيم النظر الشرعى"، سبعة فصول بلا عناوين. والثالث "تقسيم العلل والأصول" بلا فصول، والرابع "الاعتراضات" وتقسيمها أربعة فصول. الأول "الاعتراضات الصحيحة"، والثانى "من توابع القول فى النقض"، والثالث والرابع بلا عناوين. وبين الثانى والثالث عنوان مفرد "مسائل فى الفرق". والخامس "القول فى المركبات" فصلان بلا عناوين. والكتاب الرابع "الاستدلال" ثلاثة فصول بلا عناوين. والخامس كتاب "الترجيحات" فصل بلا عنوان، وباب "فى ترجيح الأقيسة"، وعنوان مفرد "مسائل فى سائر أغراض المرجحين". والكتاب السادس "النسخ"، والكتاب السابع "ملحق كتاب البرهان (كتاب الاجتهاد)"، والكتاب الثامن "الفتوى" بلا فصول أو أبواب أو أقوال.

بنية العلم على هذا النحو تبدأ بالبيان تحت أثر "الرسالة" للشافعى والذى يشمل مباحث الألفاظ التى تعادل الدليل الأول القرآن، وتشمل مباحث الدليل الثانى الأخبار والأفعال بل وأحكام التكليف ثمرة العلم بتعبير "المستصفى". ثم يظهر موضوع النسخ فى الكتاب السادس، وهو خاص بالدليل الأول. والكتاب الثانى الدليل الثالث أى الإجماع. والكتب الثالث، كتاب القياس، والرابع كتاب الاستدلال، والخامس كتاب الترجيحات، والسابع ملحق كتاب البرهان أو كتاب الاجتهاد، والثامن كتاب الفتوى، أى خمسة كتب من ثمانية تتعلق بالدليل الرابع وهو القياس. وبهذه القسمة تكون البنية رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعة. أكبرها القياس ثم القرآن والسنة وأصغرها الإجماع[1]. ومن ثم تنعرج البنية نحو العقل ثم النقل ويكاد يختفى الفعل.

وللبرهان أصوله المكتوبة. فهو لا يحيل فقط إلى ذاته، إحالة إلى الماضى أو بيانا للحاضر أو استباقا لمستقبل بل يحيل إلى باقى أعمال الجوينى مما يدل على وحدة مشروعه الفكرى[2]. بل يحيل أيضا إلى التراث الفقهى الأصولى السابق، ويصف مسار العلم من المتقدمين إلى المتأخرين مما يدل على بداية ظهور الوعى التاريخى[3]. ففى كل مذهب هناك متقدمون

---

(١) القياس (٦٠١)، الكتاب والسنة (٥١١)، الإجماع (٥٥).

(٢) "وإن ساعف الزمان أملينا مجموعا من الكلام ما فيه شفاء الغليل إن شاء الله تعالى". السابق ص٢٧٥. وهو ما فعله الغزالى مستعيرا نفس الاسم فى "شفاء الغليل".

الإحالة إلى النفس، السابق ص١٥٣/١٦٩/٥١٢.

الإعلان عن الحالى، السابق ص٧٤٧/٨٤٠/٩٢٧/٩٥١.

استباق الموضوع، السابق جـ١/١٦٩/١٩٨/٢٢٠/٢٣٦/٢٨٢/٣٣٧/٤١١/٥١٠/٥١٢–٥١٣/٥٥٩/٥٦٣/٥٨٦/٥٩٨/٦٠٢، جـ٢/٧٥٧/٤٧١/٨٠٢/٨١٢/٨٣٣/٨٧٢/٧٨٣/٩٨٥/١٠٦٩/١٢١٤.

(٣) السابق جـ١/٤١٣/٥٣١، جـ٢/٧٤٧.

ومتأخرون. ويحيل الجوينى إلى مجموعة من الكتب السابقة تدل على تراكم الوعى التاريخى[1]. وأكثرها أعمال الجوينى ذاته الأصولية والكلامية ثم الباقلانى ثم القاضى عبد الجبار ثم الأشعرى والشافعى وابن فورك وابن جنى والجبائى والهذليين[2].

ومما يدل على ارتباط العلمين معا، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه أسماء الأعلام من المتكلمين والفقهاء على التبادل وفى مقدمتهم الباقلانى بأسلوبه وحجاجه، ثم أبو حنيفة إمام الحنفية، ثم الاسفراييني متكلم الأشعرية، ثم مالك بن أنس فقيه المالكية، ثم عمر بن الخطاب عودا إلى الصحابة. ويظل التبادل بين المتكلمين أشاعرة ومعتزلة مثل أبو هاشم الجبائى والنظام وابن فورك والقاضى عبد الجبار وأبو داود الظاهرى، والفقهاء من المذاهب الأربعة أحمد بن حنبل، واللغويين مثل سيبويه والزجاج، والصحابة مثل الصديق وعلى ومعاذ وابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وبلال وزيد وسعد، والمفسرون مثل الطبرى. هذا بالإضافة إلى الأنبياء، إبراهيم وموسى وعيسى والرسول[3].

ومن الفرق والجماعات والطوائف والأصحاب يتقدم الصحابة ثم علماء الشريعة ثم الفقهاء ثم الأصحاب مما يدل على أن الصحابة كانوا هم العلماء والفقهاء قبل صياغة المذاهب

---

(١) يحيل الجوينى إلى باقى أعماله مثل: "الأساليب" جـ١/٩٠، ٤٨١/٣٧٤، جـ٢/٧٧٩/٧٨٠/٧٨٢/٩٤٤/١٠١٠/١١٥١/١٣٦٩/١٣٩٩/١٤٤٦، "الاستقصاء" جـ٢/٨١٢، "التكفير والتبرؤ" جـ١/٦٧٣، "العمد" جـ١/٤٨١، "الغياثى" جـ٢/٩١٦، "النظر فى الكلام" جـ١/٤٩/٥٥. وإلى أعمال الباقلانى مثل "الانتصار فى علوم القرآن" جـ١/٦١٦، "التأويلات" جـ١/١٧٢، "التقريب" جـ٢/٨٤١/١٥١٢. وللقاضى عبد الجبار "شرح العمد" جـ١/١٣١، جـ٢/١١٨٦، "المغنى" جـ١/١٣١، جـ٢/١١٨٦. كما يحيل إلى "جواب المسائل البصرية" للأشعرى جـ١/١١٥، "دواوين الهذليين" جـ١/٣٦٠، جـ٢/١٥٠١، "الرسالة" للشافعى جـ١/٧٢/٣٥٣/٣٨٠/٥٨١، جـ٢/١٥٠٢، "سر صناعة الاعراب" لابن جنى جـ١/٩٠، "مجموعات ابن فورك جـ١/٣٥٤.

(٢) الجوينى (٦)، الباقلانى (٣)، القاضى عبد الجبار (٢)، الأشعرى، الشافعى، ابن فورك، ابن جنى، الجبائى، الهذليين (١).

(٣) الباقلانى (١٥٩)، أبو حنيفة (٥٢)، الاسفراينى (٣٥)، مالك ابن أنس (٣٢)، عمر بن الخطاب (١٨)، الأشعرى (١٧)، أبو هاشم الجبائى (١٦)، سيبويه، أبو بكر الصديق، على بن أبى طالب (١٣)، معاذ بن جبل (١٠)، ابن عباس، الكعبى، ابن مسعود، النظام (٩)، ابن فورك (٨)، ابن سريج، عبد الله بن عمر (٧)، الدقاق، موسى (٦)، إبراهيم، عائشة، عثمان (٥)، الحليمى، ابن فوات، زفر، القاضى عبد الجبار، أبو هريرة (٤)، البخارى، الصيرفى، عبد الرحمن بن عوف، عيسى، غيلان، أحمد بن حنبل (٣)، أسامة بن زيد، الأصمعى، أنس، أبو بردة، بلال، جابر، الجبائى، خالد بن الوليد، ابن داود الظاهرى، الزجاج، زيد بن ثابت، زيد بن حارثة، سعد بن أبى وقاص، طلحة بن عبيد الله، عبادة بن الصامت، عمرو بن العاص، القاسانى، الطبرى، القلانسى، ماعز، المغيرة بن شعبه، النهراوانى، يعلى بن أمية (٢)، بالإضافة إلى أسماء وأعلام أخرى (٣١) ذكر كل منها مرة واحدة.

الفقهية الأربعة، والعرب والعجم، والرواة والمحدثون. بل يدخل الأنبياء كمعلمين للبشر كفرقة وجماعة. كما تظهر بعض الفرق الكلامية مثل الواقفية. ثم تتبادل الفرق الإسلامية مثل الجدليين والتابعين وأهل السلف والكفار وأهل السنة والحشوية والروافض مع الفرق غير الإسلامية مثل اليهود مع الجماعات الفقهية مثل المفتين والمحدثين والرواة والظاهرية والمالكية والحنابلة ومنكرى القياس. كما تظهر المدارس الفقهية الجغرافية مثل أهل المدينة وأهل الحجاز[1].

٢- "روضة الناظر وجنة المناظر" لابن قدامة الحنبلى (٦٢٠هـ)[2]. ويتضمن ثمانية أبواب. تدور حول أربعة أصول، الحكم والأدلة الأربعة مثل "بذل النظر" للأسمندى، ثم مباحث الألفاظ التى تشمل الكلام والأسماء والأمر، والعموم، والفحوى والإشارة، ثم القياس، ثم ترتيب الأدلة والترجيح. مباحث الألفاظ هنا خارج الكتاب فى أربعة مباحث مستقلة[3]. أكبرها الأدلة الأربعة ثم القياس ثم العموم ثم الحكم ثم الأمر ثم الكلام والأسماء ثم الفحوى والإشارة. وأصغرها ترتيب الأدلة والترجيح. ويميز فى الحكم بين أحكام التكليف وأحكام الوضع مثل الشاطبى فى "الموافقات". وبتقسيم "المستصفى" يأتى المستثمَر أى الأدلة الأربعة أولا ثم طرق الاستثمار ثانيا ثم الثمرة ثالثا وفى النهاية المستثمِر رابعا[4]. والقياس جزء من مباحث الألفاظ فيما

---

(١) الصحابة (١٠١)، علماء الشريعة (٦٩)، الفقهاء (٦٧)، الأصحاب (٥٢)، الحنفية (٥٠)، المعتزلة (٤٤)، الجدليون (٢٤)، العرب (٢٠)، المفتون (١٩)، أهل اللسان (أهل العربية)، المحدثون (١٦)، الواقفية (١٤)، الرواة (١٣)، الأنبياء (١٢)، التابعون، السلف، الكفار (المشركون)، المتقدمون (الأوائل) (١١)، أهل السنة (١٠)، الحشوية، حملة الشريعة، المتكلمون (٩)، نقلة الشريعة، اليهود (٨)، المتأخرون (٧)، الروافض (٦)، الجماهير (الجمهور) (٥)، أهل المدينة، العجم، القضاة، الفسقة (٤)، أهل الكتاب، البصريون، الحنابلة، الظاهرية، القراء، المالكية، المشبهة، المفسرون، منكرو القياس (٣)، المنافقون، الهذليون، أهل بيعة الرضوان، أهل الحجاز، بنو تميم، ذو القربى، السمنية (٢)، بالإضافة إلى ثلاثين فرقة يذكر كل منها مرة واحدة مثل الأباضية والأزارقة والبراهمة والخوارج والزنادقة والسوفسطائية والمجوس والمعطلة والعيسوية والنصارى والنجدات والبهشمية من المتكلمين، وأصحاب الشورى ومنكرى البداء ومنكرى النظر من الأصوليين، وأصحاب الهيولى من الفلاسفة، والأعراب وأهل بدر والأنصار وأهل بيعة السقيفة وأهل الفيافى، والخلفاء الراشدون، وخدمة الحديث، وكتبة الحديث وقريش، والكوفيون.

(٢) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر، قدم له ووضح غوامضه وخرّج شواهده الدكتور شعبان محمد إسماعيل الأستاذ فى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (جزءان)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة التدمرية، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، ط ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) ١-الحكم (٩٧)، ٢-الأدلة (٢٩١)، ٣-الكلام والأسماء (٥٧)، ٤-الأمر (٧٣)، ٥-العموم (١٠٤)، ٦-الفحوى والإشارة (٣١)، ٧-القياس (٢٤٩)، ٨-ترتيب الأدلة والترجيح (١٤).

(٤) المستثمَر (٥٥٤)، طرق الاستثمار (٢٥١)، الثمرة (٩٧)، المستثمِر (١٤).

يتعلق بالمعانى كما هو الحال فى "المستصفى". والمقدمة فى المنطق مثل "المستصفى" من أجل توسيعه وجعله نظرية فى الأصول أو "تعقيل" الأصول وجعلها نظرية فى المنطق. قد يكون المنطق أعم من الأصول، وأصول أخص منه. وقد تكون الأصول أعم من المنطق، والمنطق أخص منها. فلا فرق بين مباحث الألفاظ فى الأصول والمقولات والعبارة فى المنطق، وبين القياس الأصولى والقياس المنطقى. وينقسم كل باب من الأبواب الثمانية إلى فصول، بعنوان أو بغير عنوان. والنهى جزء من الأمر فى حين يشمل العموم الخصوص والاستثناء والشرط والإطلاق والتقيد. وأحيانا يسمى الفصل كتابا أو مسألة كما يسمى الباب فصلا[1]. وتتداخل المقدمة المنطقية مع نظرية العلم عند المتكلمين والمنطق عند الفلاسفة. فهى نظرية شاملة تعبر عن وحدة العلم داخل الحضارة الإسلامية. ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض مما يدل على وحدة العمل والرؤية[2]. وتتضح البنية فى الفقرات – البرنامج التى تلخص الموضوع فى عناصره الأولية أولا قبل بداية عرضه[3]. وهى العناصر التى يمكن إعادة بنائها بحيث يمكن من خلالها اكتشاف بنية العلم بدلا من الاكتفاء بالتخريجات المسهبة للآيات والأحاديث وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والإحالة إلى مصادرها الأصلية. وهو نوع من الشروح على المتون، والحواشى على الشروح، والتخريجات على الحواشى استئنافا لعصر الشروح والملخصات الذى لم ينته بعد فى الجامعات والمعاهد الدينية[4]. والحقيقة أن البنية الثمانية ترد أيضا إلى البنية الرباعية ففى "البرهان" للجوينى يستحوذ الدليل الأول "البيان" وهو الكتاب على كل مباحث الألفاظ كما هو الحال عند الشافعى بل والدليل الثانى أيضا وهو السنة. وينضم إليها النسخ الموضوع السادس. ثم يتفرع القياس ويتضمن الاستدلال والترجيحات والاجتهاد والفتوى أى إلى خمسة أقسام من الثمانية. بل إن تضخم القياس فى العصور المتأخرة ضد التصور الشعبى الشائع بغلق باب الاجتهاد. وترتد البنية الثمانية إلى بنية رباعية أيضا. تبدأ بالحكم وهو الثمرة ثم بالأدلة وهى المثمر ويتفرد القياس بإضافة ترتيب الأدلة والترجيح ثم تستأثر طرق الاستثمار بخمسة موضوعات من ثمانية وهى مباحث الألفاظ: الكلام والأسماء، الأمر، والعموم، والفحوى والإشارة.

---

(١) السابق جـ٢/٣٣٣/٣٣٨/٣٨٩.

(٢) السابق جـ٢/٣٠٥.

(٣) السابق جـ١/٥٢.

(٤) ملأ الناشر هوامشه بالشروح والحواشى والتخريجات لدرجة الإسهاب وتجاوزها كما النص الأصلى، وطباعة الحديث بنفس بنط القرآن بالرغم من التمايز النوعى بينهما فى أكثر من ثمانية وعشرين موضعا.

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير والتجريد. فالقول أهم من القائل، والموقف أهم من الفرقة أو الطائفة. وما يعتبره الناشر عيبا هو في الحقيقة ميزة، استقلال الأفكار عن أصحابها[1]. فلا توجد خلافات كبيرة في المنطق نظرا لطابعه الصورى الخالص. والخلاف في المضمون وليس في الصورة. اتسم الكتاب بدرجة كبيرة من الوضوح، والهدوء، والشمول والموضوعية دون حدة وانفعال أصحاب المواقف والأصول المذهبية كالظاهرية. ومع ذلك يعتمد على الشواهد النقلية. ولما كان المؤلف حنبليا فقد تجاوزت الأحاديث النبوية الآيات القرآنية[2]. وفي القياس تقل الشواهد النقلية كما تزداد آثار الصحابة والتابعين وأقوالهم[3]. كما يستشهد بالشعر، ديوان العرب الذى فيه تفسير الكتاب[4].

وعلى غير العادة من الحنابلة الهجائيين الشتامين الذين تصل مواقفهم إلى بعد الاستبعاد والإقصاء إلى حد التكفير، ومع ذلك يظهر الأسلوب السجالي "فإن قالوا... قلنا" مع ترقيم الحجج بعد إحصائها.

والحقيقة أن الخلاف بين القواعد الأصولية والمذاهب الأربعة، الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية أقل بكثير من الخلاف بينها وبين القواعد الأصولية عند أهل الظاهر والإمامية. وذلك راجع أساسا إلى الخلاف بينهما في قواعد العقائد. وتتداخل المذاهب فيما بينها دون وجود فواصل حادة بينها مما يدل على وحدة القواعد الأصولية بصرف النظر عن المذاهب الفقهية والخلافات العقائدية. ومع ذلك يقترب الحنابلة من أصحاب الحديث وأهل الظاهر وأحيانا من الحشوية من المتكلمين[5]. والمذهب الحنبلي هو المذهب الصحيح وغيره من المذاهب فاسد ، هو الصواب وغيره باطل[6]. وهو مذهب سلفي يرى أن المتقدمين أفضل من المتأخرين،

---

(١) روضة الناظر ص٤٢-٤٨.

(٢) الآيات (١٧٥)، الأحاديث (١٩١).

(٣) مجموع الآثار (٦٢). عمر (١٦)، على، عبد الله بن عباس (٨)، أبو بكر (٧)، عثمان، عائشة (٥)، عبد الله بن مسعود (٣)، البراء بن عازب، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر (٢)، أبو هريرة، عثمان بن مظعون، إبراهيم النخعي، الحسن البصرى (١).

(٤) الأبيات الشعرية (١٩).

(٥) "ولا فرق بين الكلامية" جـ٢/٣٣٤.

(٦) "وهو فاسد" جـ١/٢٢٤/٢٢٧/٢٣٨/٣٧٢/٤٧١/٥٤٣، "الفاسد هذا الضرب" جـ٢/١١٣، "وما ذكروه باطل" جـ١/٤٨٦، "دليل صحتها انتفاء المفاسد، ودليل الفساد انتفاء المصالح" جـ٢/٢٣٤، "وهذا غير صحيح" جـ١/١٥٩/٣٧١، جـ٢/٢٣٦/٢٩٠، "والصحيح" جـ١/١٧٤/٢١٥/٤٨٢/٥٤٨، جـ٢/٣١٩، "ولأننا نعلم أن أحد القولين صواب، والآخر خطأ، ولا نعلم ذلك إلا بالدليل، وإنما يدل اختلافهم على تسويغ الاجتهاد في كلا=

والسلف خير من الخلف[1].

ونظرا للطابع النظرى العام تقـل أسمـاء الأعـلام والفـرق والطوائـف نسـبيا. بـل يغفـى اللقب عـن الأسمـاء. فالقـاضى عـن الأشـاعرة عقيـدة الشـافعية مذهبـا هـو أبـو بكـر البـاقلانى، وعند الماتريدية الحنفية هو الدبوسى أو الجصاص، وعند الحنابلة هـو القـاضى أبـو يعلـى الفـراء وهـو الـذى يتقدم الجميـع مـع أبـى الخطـاب الكلوذانـى. ومـع ذلـك يظـل المحـاور الرئيسـى صاحب المذهب المتكامل هو الشافعى أو أبو حنيفة. فالشافعى فقيه وصاحب مذهب "الشـافعية". ثم يأتى أحمد بن حنبل، ثم مالك، ثم بـاقى الأصوليين الأحنـاف مثـل الجصـاص والكرخـى، والشـافعية مثـل الغـزالى والقفـال الشاشـى، وبعـض المعتزلـة مثـل النظـام والجـاحظ والجبـائى. ونظـرا للاستشـهاد بالشـعر واللغـة يظـهر أسمـاء الشـعراء مثـل امـرؤ القيـس ولبيـد والخنسـاء، ومن النحويين سيبويه وابن جنى والزجاج وابن فصال[2]. ويذكـر عديـد مـن الصحابـة والتـابعين كرواة وأصحاب آثار[3].

ومن الفرق يتقدم أيضا الشافعية أى أصحاب الشافعى ثم الحنفية أهم مذهبين فقهيين. ثم المتكلمون نظرا لأنهم الأصوليون أيضا، ثم المعتزلة، ثم أهل الظاهر، ثم القدرية. ونظرا لارتباط مباحث الألفاظ بمبادئ اللغة يظهر أهل اللغـة وأهـل اللسـان والنحويـون وأهـل العربيـة. ونظـرا لانتساب المؤلف إلى الحنبلية فإنه يحيل إلى "أصحابنا". وتذكر فرقة واحدة من المبتدعة[4]. ومـن الفرق غير الإسلامية يظهر اليهود فى موضوع النسخ ثم النصارى فى موضوع الروايـة، والمجـوس فى ضمهم إلى أهل الكتاب. ومن الأنبياء يظهر إبراهيم ثـم آدم ويعقـوب وسـليمان وداود وعيسـى

=القولين. أما على الأخذ به فكلا"، روضة الناظر جـ١/٤٧١.

(١) "الصحابة شاهدوا التنزيل، وهم أعلم بالتأويل، وأعرف بالمقاصد، وقولهم حجة على من بعدهم. فهم من التابعين كالعلماء مع العامة ولذلك قدمنا تفسيرهم"، السابق جـ١/٣٩٧/٤٦٨-٤٦٩.

(٢) أبو يعلى (٣٥)، أبو الخطاب الكلوذانى (٣١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشافعى (٢٢)، أحمد بن حنبل (إمامنا) (١٩)، مالك (١٢)، الجصاص، التميمى (٤)، النظام، القاضى يعقوب المرزينى، ابن شقلا (٣)، الكرخى، عبد العزيز جعفر، ابن حامد، أبو الحسن العنبرى، ابن قتيبة، الجزرى (٢)، أبو ثور، القفال الشاشى، الغزالى، أبو الحسن، أبو حفص الجرمكى، ابن عقيل، الجبائى، أبو يوسف، محمد بن شجاع الثلجى (١). ومن الشعراء: لبيد، الخنساء، امرؤ القيس (١). ومن اللغويين: سيبويه، اسحق الزجاج، ابن جنى، ابن فصال النحوى (١).

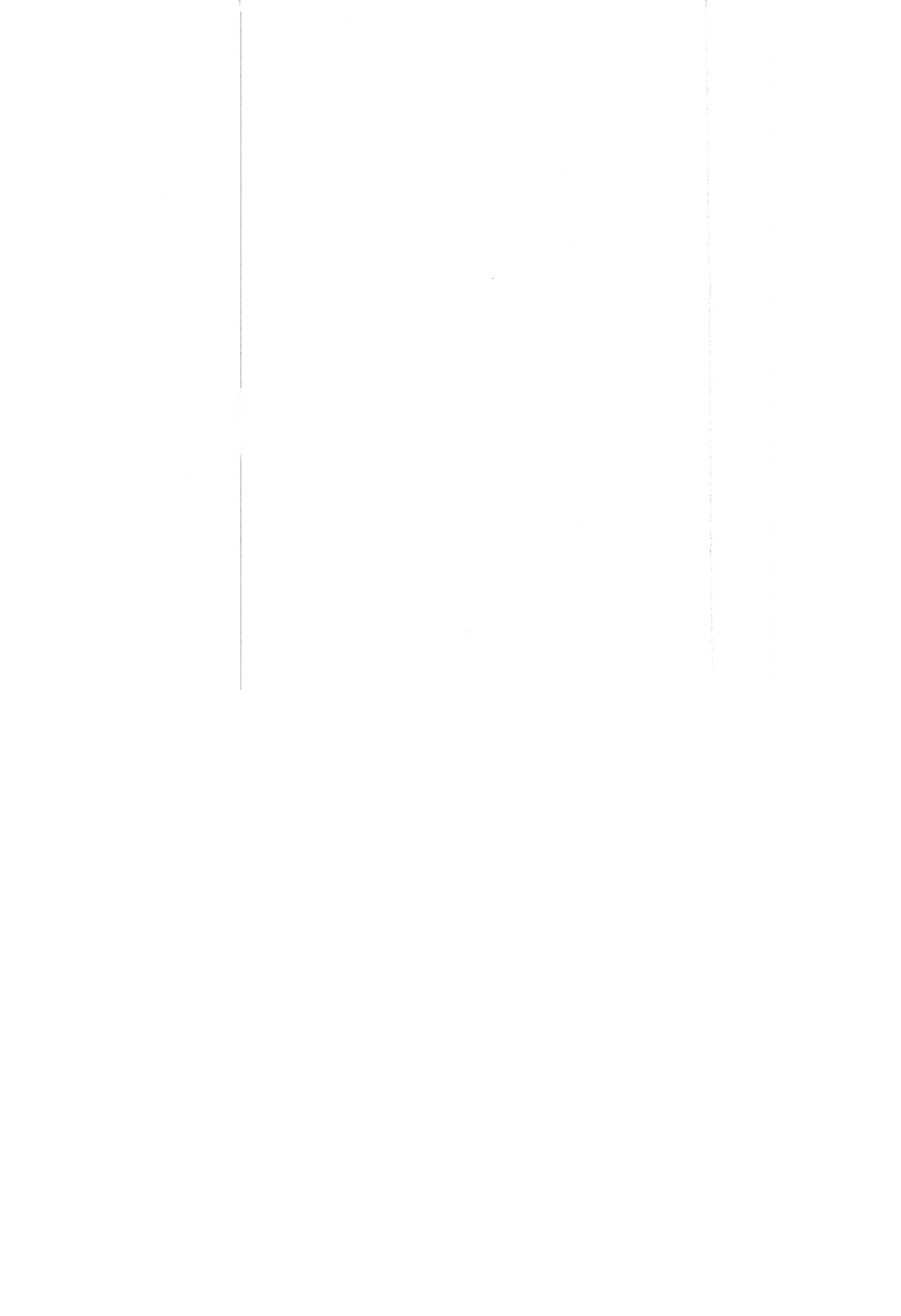
(٣) مثل: ابن عباس، أبو هريرة، عكرمة، الدارقطنى.

(٤) الشافعية (أصحاب الشافعى) (٢٩)، الحنفية (٢٤)، المتكلمون (٢١)، المعتزلة (١١)، أهل الظاهر (٩)، القدرية، الواقفية (أهل الوقف)، بعض أصحابنا (٦)، أهل اللغة (٥)، أهل اللسان (٤)، النحويون، أصحاب الحديث، أهل العلم (العلماء) (٢)، أهل العربية، الجدليون، العربى، التركى، العلماء، السلف، فرقة من المبتدعة (١).

ومحمد. ومن الكتب المقدسة تذكر التوراة ثم الإنجيل[1].

والنتيجة النهائية فى كشف البنية وتجليها وظهورها وتخلقها أن البنيات الأحادية والثنائية والرباعية والخماسية والسباعية والثمانية ترد معظمها إلى البنية الثلاثية: الأدلة الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام. وهى أبعاد الشعور الثلاثة: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى.

(١) الفرق غير الإسلامية: اليهود (٤)، النصارى (٢)، المجوس (١). الأنبياء: إبراهيم (٣)، آدم، يعقوب، سليمان، داود، عيسى، محمد (١). الكتب المقدسة: التوراة (٥)، الإنجيل (١).



الفصل الثانى

حجب البنية

الفصل الثانى

حجب البنية

أولا: توارى البنية.

وتتوارى البنية كلية، وتتداخل الأصول فى معظم المؤلفات المذهبية التى تعبر عن مواقف الفرق الكلامية سواء داخل أهل السنة مثل المعتزلة فى "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ) أو أهل الظاهر مثل "الاحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ) أو الأشاعرة مثل "اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ). وهى نصوص دون بنية، مجرد كلام فى موضوعات أصولية قبل أن تقعد القواعد وتؤصل الأصول. وقد تم ذلك مباشرة منذ القرن الثالث بعد أن حاول الشافعى فى "الرسالة" وضع بنية ثلاثية للعلم. يعنى "توارى" البنية وجود مادة أصولية هلامية دون هيكل عظمى، مواد بناء دون رسم هندسى، قماش دون تفصيل. فالهيكل مازال يتخلق، والأطراف مازالت تتجمع، والكثرة مازالت تبحث عن وحدة أولى.

وتكوين البنية من الكشف إلى الحجب لا يعنى تطورا فى الزمان بل فقط نوعا آخر من المصنفات الأصولية توارت فيه البنية حتى بعد ظهورها فى "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ). فالكشف والستر فى وعى المؤلف وليس فى التاريخ. والوعى التاريخى هو الحامل للكشف والستر على حد سواء فى الزمان وخارجه[1].

والصعوبة فى توارى البنية هو عدم تطابق التكوين مع البنية. فتتبع التكوين التاريخى تختفى البنية وتظهر دون نسق طولى من الاختفاء إلى الظهور أو من الظهور والخفاء، مرة تظهر ومرة تختفى. ومن ثم يتردد عرض البنية بين التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية أو بين التكوين البنيوى بصرف النظر عن التاريخ. وكان من الأفضل الاختيار الأول التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية لمعرفة جدل الخفاء والتجلى لتاريخ البنية وبنية التاريخ.

وقد توارت البنية بسبب سيادة الفروع على الأصول (أصول الكرخى ٣٤٠هـ) أو سيطرة الخلافيات الفقهية على قواعدها (تأسيس النظر للدبوسى ٤٣٠هـ).

ثم بدأت متناثرة عن بعد قبل أن تتجمع فى بنيات واضحة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية فى

---

(١) كان ظهور "الرسالة" مبكرا هو الذى جعل الفصل الأول "كشف البنية" والثانى "حجب البنية" بالرغم من احتمال اعتراض البعض بأن الكشف بعد الحجب، والحجب قبل الكشف.

أبواب تصل إلى المائة وخمسة بابا (الفصول فى الأصول للجصاص ٣٧٠هـ) وكما يوحى به العنوان، مجرد فصول فى الأصول. ثم تأخذ فى التناقص إلى ثمانين بابا (أصول البزدوى ٤٨٢هـ) ثم إلى أربعين بابا (الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٤٥٦هـ) إلى سبع وعشرين فصلا (الكافية فى الجدل للجوينى ٤٧٨هـ) إلى تسعة عشر بابا (أصول السرخسى ٤٩٠هـ).

ثم بدأت البنية فى التشكل ابتداء من المقال السيال، وحدة واحدة بلا أدنى تقسيم (الورقات للجوينى ٤٧٨هـ) حتى بدايات بعض المباحث مثل مباحث الألفاظ (التقريب والإرشاد (الصغير) للباقلانى ٤٠٣هـ) حتى تقويم النظر عندما بدأت المقدمات المنطقية اللغوية فى التشكل (تقويم النظر لابن البرهان ٥٩٢هـ). ثم تخلقت البنية الثلاثية بالفعل فى الإجماع والسنة التى تشمل القرآن وإبطال الرأى والقياس والتعليل ودليل الخطاب والمفهوم (النبذ فى أصول الفقه الظاهرى لابن حزم ٤٥٦هـ).

وبعد كشف البنية الثنائية والرباعية والخماسية والسباعية والثمانية تفرعت البنية من جديد وبدأت تذوب في تفريعات أوسع، مجرد أقوال فى موضوعات أصولية تسعة تتعلق معظمها بمبحث الألفاظ والنسخ والقياس ولواحقه مثل الاجتهاد بلا ترتيب لأدلة أو وعى بأصول (اللمع فى أصول الفقه للشيرازى ٤٧٦هـ). وتصبح الأصول كلها أبوابا وفصولا وأقوالا فى أنواع الحجج وأنواع التكلم وأسباب الشرائع، وأسماء الألفاظ. ثم تظهر الموضوعات الأصولية دون الأصول وترتيبها مثل الخبر الواحد والنسخ وأفعال النبى والقياس والعام والخاص والظاهر والمؤول، والمقاصد، والأحكام والأمر والنهى والأدلة الشرعية الثلاثة الأولى والنسخ والأفعال (تقويم الأدلة للدبوسى ٤٣٠هـ).

ثم تتفرع التسعة موضوعات إلى إثنتى عشر موضوعا دون ترقيم، وكلام فى الأوامر والنواهى والأفعال والناسخ والمنسوخ والإجماع والأخبار والقياس والاجتهاد والحظر والإباحة والمفتى والمستفتى مع فصول فى المجمل والمبين بلا ترتيب أو نسق أو بنية (المعتمد فى أصول الفقه لأبى الحسين البصرى ٤٣٦هـ). ويتشعب نص آخر إلى اثنى عشرة موضوعا أيضا بلا ترتيب أو نظام مثل أخلاق الفقيه، والقياس، والجدل، والسؤال والجواب، والتفقه فى الدين الكتاب، ويشمل مباحث الألفاظ والناسخ والمنسوخ، والسنة والأفعال والإجماع والفقه وأصوله (الفقيه والمتفقه للبغدادى ٤٦٣هـ). وتنصب فى مصنف ثالث إلى اثنى عشرة موضوعا أيضا فى كتب وأبواب وفصول ومسائل وأقسام حول البيان، والأوامر والنواهى، والعموم والخصوص، والتأويل، والمفهوم والأخبار، والنسخ، والإجماع، والقياس، والترجيح، والاجتهاد، والفتوى بلا ترتيب أو نسق (المنخول من تعليقات الأصول للغزالى ٥٠٥هـ). ثم تتشعب المسائل إلى ثلاثة عشرة قسما موزعة

حـول الأمـر، والقيـاس، والأخبـار، والعمــوم، والإجمـاع، والاجتــهاد، والنسـخ، والمجمـل والمفصل،ودليل الخطاب، والتقليد، والاستثناء، والأفعال، والمطلـق والمقيـد بـلا ترتيـب أو نظـام (التبصرة فى أصول الفقه للشيرازى ٤٧٤هـ).

ثم تتشعب الأصول أكثر من ذلك إلى ثلاثة عشر موضوعا حول اللغات، والأوامر والنواهى، والعموم والخصوص، والمجمـل والمبـين، والأفعـال، والناسـخ والمنسـوخ، والإجمـاع، والأخبـار، والقياس، والتعادل والتراجيح، والجهاد، والمفتى والمستفتى، وفيما اختلف فيه المجتـهدون أنـه من أدلة الشرع بلا نظام أو ترتيب، تختلط فيه مباحث الألفـاظ مـع الأدلـة فـى غيـاب الأحكـام (المحصول للرازى ٦٠٦هـ). ثم تتشعب الأصول أكثر فأكثر إلى أربعة عشر موضوعـا تختلـط فيمـا بينها بلا ترتيـب أو نسـق بـين التعـارض والسـنة والروايـة والنسـخ والألفـاظ والإجمـاع والتقليـد والاستثناء والاجتهاد (أصول الفقه لابن عربى ٦٣٨هـ). ثم تتشعب الموضوعـات أكـثر إلى خمسـة عشر موضوعا بلا نسـق أو ترتيـب مثـل التكـاليف واللغـات والبيـان ومبـاحث الألفـاظ والأفعـال والنسخ والإجماع والأخبار والقياس والاجتـهاد (الوصـول إلى الأصـول لابـن برهـان ٥١٨هـ). ثـم تتشـعب الموضوعـات أكـثر فـأكثر إلى سـبع عشـرة موضوعـا بـلا ترتيـب أيضـا ولا نسـق، وهـى المقدمات، والنظر والعقل والتكليف، والحدود والعقود والحروف، والناسخ والمنسـوخ، والجـدل، والحجة والشبهة، والعلة والمعلول، والمعارضـة، والقيـاس، والاسـتدلال والانقطـاع (الواضـح فـى أصول الفقه لابن عقيل الحنبلى ٥١٣هـ). ثم تتشعب أخيرا فى ثمانية عشر عنوانا، مـن المقدمـة وأحكام الوضع والتكليف والأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ حتى لواحـق القيـاس مثـل الاسـتدلال والتعادل والتراجيح والاجتهاد (سلم الوصول إلى علم الأصول لعبد العليم ابـن الشـيخ محمـد ابـن أبى حجاب الشافعى).

ثانيا: غياب البنية.

١- "**أصول الكرخى**" (**٣٤٠هـ**). هى أقرب إلى الفروع إلى الأصول أو إلى الأصول الجزئية منها إلى الأصــول الكليـة[1]. تعطـى الأصـل الجزئـى والمثـال الفقـهى عليـه. هـى أقـرب إلى علـم الخلافيات كما هو الحال فى "تأسيس النظر" للدبوسى. وهو تقليد شـائع عنـد الأحنـاف الذيـن يضعون الأصول قبل الفروع. وعلم الخلافيات لا هو أصول الفقه ولا هو الفقه ولا هو علـم القواعـد الفقهية. يجمع بين الأصل الجزئـى ومثالـه الفقـهى. فـى حـين أن علـم القواعـد الفقهيـة يضـع

(١) الكرخى: الأصول التى عليها مدار كتب أصحابنا من جهة الإمـام العلامـة أبـو الحسـن الكرخـى وذكـر أمثلتـها ونظائرها وشواهدها الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفى، ص٨٠-٨٧.

القواعد الكلية التى تندرج تحتها الأمثلة الفقهية. يعتمد عليه أصول الفقه فى مناهج الاستدلال. تقل فيها الشواهد العقلية لاعتمادها على الأصول وللآيات الأولية على الأحاديث[1]. وفى نفس الوقت يخلو من الحجاج العقلى لصالح مذهب ضد مذهب آخر. فالغاية الرصد وليس الجدل. لذلك تخلو أحكامه من الحدة والعنف أو الاستبعاد والإقصاء. وهو تقليد الأحناف. وفى المقابل يكثر لفظ "أصحابنا". والمقارنة مع الشافعى. لذلك يتقدم على الأحناف مثل محمد وأبى يوسف. ويأتى الصحابة والتابعون بعد ذلك[2].

٢- "تأسيس النظر" للدبوسى (٤٣٠ هـ). وبالرغم من أنه يوحى بأن موضوعه علم أصول الفقه مثل "تقويم الأدلة" له أيضا إلا أنه فى علم الخلافيات[3]. ويعنى الأصل فيه الموضوع الفقهى أى الفرع الذى تختلف عليه المذاهب الأربعة أو الفروع داخل المذهب الواحد. فعلم أصول الفقه إذن هو العلم الوسيط بين "علم القوانين الفقهية" وهو ما سماه القدماء "الأشباه والنظائر" والذى يضع القواعد العامة للاستدلال بصرف النظر عن الأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ والأحكام الشرعية، آخذا فقط بعين الاعتبار المقاصد الشرعية وأحكام الوضع، وعلم الخلافيات الذى هو أقرب إلى علم الفروع حتى وإن تفرعت من أصل فقهى واحد. ولا يخضع علم الخلافيات لترتيب علم الأصول المعروف وبنية العلم الثلاثية: الأدلة الأربعة، مباحث الألفاظ، الأحكام. كما أنه لا يخضع لترتيب كتب الفقه بداية بكتاب العلم أسوة بالحديث ثم العبادات ثم المعاملات. كما أن الأصول وهى الموضوعات الفقهية أى الفروع لا ترابط بينها ولا ينظمها أصل واحد. وهى فى الغالب النوازل القديمة مثل الطلاق والزواج، والجوارى والعبيد، والغنائم والأسرى، والمعاملات التجارية البدوية. ويحال إلى كتب الفقه فى المدونات المذهبية مثل كتاب الوقف وغيرها مثل كتب الصلاة والصلح والشفعة والصرف[4]. ويحال إلى "السير الكبير" للشيبانى[5]. وهناك متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور الفقه عبر العصور. وتقل الشواهد النقلية إلى أقصى حد، عدد قليل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[6].

---

(١) القرآن (٧)، الحديث (٥).

(٢) أصحابنا (٥)، الشافعى (٣)، النسفى محمد، أبو يوسف، ابن عباس (٢)، عيسى، أنس، ابن مسعود (١).

(٣) الإمام الأجل أبو زيد عبيد الله عمر بن عيسى الدبوسى الحنفى عليه سحائب الرحمة والرضوان: تأسيس النظر، الطبعة الأولى، الخانجى الحلبى، مصر. وكان برنشفيج أول من حدثنى عن هذا الكتاب فى باريس عام ١٩٥٨.

(٤) كتاب الوقف (٢)، الصلاة، الصلح، الشفعة، الصرف (١).

(٥) السير الكبير (١).

(٦) القرآن (١١)، الحديث (١).

وتداخل علم الخلافيات مع علم الأصول مثل تداخل علم المناظرة والجدل مع علم الكلام. فالخلافيات جدل حول الفروع، وعلم المناظرة خلاف حول الأصول. ويقتصر "تأسيس النظر" على رصد الخلافيات بين المذاهب حول المسائل الفقهية دون دخول فى الحجج العقلية النقلية، وبيان حجاج الفرق فيما بينها. وهو أشبه بما يسمى فى عصرنا "الفقه على المذاهب الأربعة". وكان يمكن للدبوسى خاصة بعد أن عنون كتابه "تأسيس النظر" أن يبين نظريا مكان الخلاف وأوجهه وكيفية تجاوزه والعودة إلى وحدة الأصل. ونادرا ما يكون الخلاف حول أصل مثل الخلاف حول العموم والخصوص، وتعارض القياس مع خبر الآحاد بين الحنفية والمالكية[1]. والأحناف هم الأكثر تأهيلا للكتابة فى علم الخلافيات. فهم أصحاب الأصول العقلية، والقدرة على الاستدلال. والعقل يوحد، والنوازل تفرق. والعجيب ظهور بعض مسائل الفقه الافتراضى وليست النوازل الفعلية. ويتم الخلاف عليها من أجل المران العقلى[2].

ولما كان الدبوسى حنفى المذهب فإنه يبدأ أولا برصد الخلاف بين أئمة المذاهب الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيبانى طبقا لاحتمالات أربعة بين طرفين فى منطق العلاقات على النحو الآتى:

أبو حنيفة	أبو حنيفة، أبو يوسف	أبو حنيفة، محمد	أبو يوسف
أبو يوسف، محمد	محمد	أبو يوسف	محمد

وطبقا لمنطق العلاقات بين المذهب الحنفى والمذاهب الثلاثة الأخرى توجد أربعة احتمالات أخرى هى:

الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة
زفر	مالك	أبو ليلى	الشافعى

وبالإضافة إلى هذه الاحتمالات الثمانية يوجد قول تاسع فى أصل تنبنى عليه مسائل. وتختلف الأقوال الستة فيما بينها من حيث الكم. أطولها القول الأول الذى يعرض للخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه[3]. ويحضر أبو حنيفة كطرف أول فى كل العلاقات داخل المذهب الحنفى أو خارجه مع المذاهب الأخرى خاصة الشافعية والمالكية. لذلك يتقدم أبو حنيفة أولا، يتلوه

---

(١) السابق ص٨/٤٧.

(٢) السابق ص١٣.

(٣) القول الأول (٢٤)، الثامن (١٧)، التاسع (١١)، الخامس (١٠)، الرابع (٦)، الثالث (٣)، الثانى، السادس، السابع (٢).

الشافعى ثم أبو يوسف ثم محمد الحسن الشيبانى ثم زفر ثم مالك ثم ابن أبى ليلى ثم الحسن بن زياد. ويأتى الآخرون فى درجة أقل من الأهمية كأطراف بعيدة فى الحوار بحيث بدت المقارنات غير متساوية بين الأطراف، ويسمى الشافعى بعدة أسماء، أبو عبد الله، والإمام القرشى، والشافعى. وغالبا ما يتم الترحم على أبى حنيفة ويتم تلقيبه باسم الإمام الأعظم بالرغم من عدم استمرار عقلانيته المترسبة فى المخزون التراثى القديم[(١)].

ولما كان المؤلف حنفى المذهب تحدث باسمه وتقدم "أصحابنا" ثم "علماؤنا" ثم "علماؤنا الثلاثة"[(٢)]. ويحال إلى عديد من الصحابة والتابعين وفى مقدمتهم عمر[(٣)]. كما يحال إلى أهل الذمة والمجوس[(٤)]. ومن الخلفاء يشار إلى معاوية أى إلى نظام سياسى اختلف عليه الفقهاء بين مؤيد ومعارض. وتتكرر الأسماء بطريقة آلية دون دلالة أو معنى[(٥)]. والسؤال بالنسبة لنا: لماذا بقى مذهب أبى حنيفة وتوارى مذهبا صاحبيه محمد وأبى يوسف، هل لأسباب خارجية، اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية بين الحجاز والشام والعراق ومصر خاصة وأن صفة "الشامية" ترد فى النص أم لأسباب داخلية تتعلق ببنية المذهب وقدرته على الجمع بين الأصول والفروع؟[(٦)]. وقد يرجع أحد أسباب الخلاف إلى الروايات ودرجتها من الصحة.

ثالثا: تناثر البنية.

١- "الفصول فى الأصول" للجصاص (٣٧٠هـ). والمعروف باسم "أصول الجصاص"[(٧)]. وهو كتاب كبير الحجم، فى أربعة مجلدات، ويتضمن مائة وخمسة بابا غير متساوية

---

(١) أبو حنيفة (٢٦٢)، الشافعى (٢١٩)، أبو يوسف (١٦١)، محمد (١٢٢)، زفر (١٠٠)، مالك (٢٢)، ابن أبى ليلى (٢١)، الحسن بن زياد (٥)، إبراهيم النخعى، سفيان الثورى، الكرخى، الأوزاعى، الشعبى، البردعى، داود الأصفهانى، البلخى (١).

(٢) أصحابنا (١٠٠)، علماؤنا (٢٥)، علماؤنا الثلاثة (٨)، أصحابنا الثلاثة (٣).

(٣) عمر (٥)، عبد الله بن عباس (٣)، على عبد الله بن مسعود، عائشة (٢)، أشعب بن أبى القاسم، نصير بن يحيى، محمد بن سلمة، أبو مدين، علقمة بن قيس، سعيد بن المسيب، زيد بن أرقم، معاوية (١).

(٤) أهل الذمة (٣)، المجوس (٢).

(٥) "ومسائل هذا الباب كثيرة لا تحصى وما ذكرنا فيه كفاية لمن اهتدى"، السابق ص٤٣.

(٦) تأسيس النظر ص١٧.

(٧) الإمام أحمد بن على الرازى: الفصول فى الأصول (أربعة أجزاء)، دراسة وتحقيق د. عجيل جاسم النشمى، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية، دولة الكويت (التراث الإسلامى-١٤)، مطبعة الإرشاد، استانبول، تركيا.

كما[1]. أكبرها الثانى والثمانون "ذكر الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس فى أحكام الحوادث"، وأصغرها التاسع والخمسون "فى القول فى أفعال النبى"[2]. ويتضمن بعضها عدة

---

(١) الجزء الأول (عدد الأبواب) (٢١)، الثانى (٢١)، الثالث (٣٧)، الرابع (٢٦). بالرغم من النية فى الاختصار "فكرمنا إعادته مخافة التطويل" جـ٢/٣١٤.

(٢) ترتيب الأبواب فى تنازل كمى طبقا لعدد الصفحات: ٨٢- ذكر الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس فى أحكام الحوادث (٧٣) ١٠٣- فى حكم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه (٦٧) ٨- تخصيص العموم بخبر الواحد (٥٣) ٤٩- قبول خبر الآحاد فى أمور الديانات (٣٥) ٤٠- فى الوجوه التى يعلم بها النسخ (٤٨) ٢٠- فى العام والخاص والمجمل والمفسر (٤٠) ٥- فى إثبات القول بالعموم وذكر الاختلاف فيه (٣٨) ١٤- فى دليل الخطاب وحكم المخصوص بالذكر (٣٣) ٩- فى تخصيص العموم بالقياس (٣٢) ٢٦- فى تأخير البيان (٣٠) ٣٣- فى النهى هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقرب أم لا؟ (٢٦) ٤٧- فى ما يقع به البيان (٢٥) ٤٢- فى نسخ القرآن بالسنة (٢٤) ٣٨- فى نسخ الحكم قبل مجىء وقته (٢١) ٣٢- فى الأمر إذا تناول أحد أشياء على جهة التخيير ٨٤- فى ذكر ما يمتنع فيه القياس (٢٠) ٤١- فيما ينسخ بعضه بعضا وما لا ينسخ (١٩) ١- فى العام ٣٩- فى نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٨٨- فيما يستدل به على صحة العلة (١٧) ٣- فى معنى المجمل ٢٨- فى لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طاعته على الوجوب هو أم على الندب؟ ٥١- فى اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (١٦) ٢٩- فى الأمر إذا صدر غير مؤقت هل هو على الفور أم على المهلة؟ (١٥) ٤- فى معانى حروف العطف وغيرها ١٢- فى الاستثناء ولفظ التخصيص إذا اتصلا بالخطاب ما حكمهما؟ ٢٢- فى صفة البيان ٣٧- فى نسخ الحكم بما هو أثقل منه ٥٣- فى الخبرين المتضادين ٦٠- فيما يستدل به على أحكام أفعاله عليه السلام ٧٨- فى وجوب النظر وذم التقليد (١٤) ٢٥- فى ما يقع به البيان ٥٢- فى الخبر المرسل (١٣) ١٨- فى الحقيقة والمجاز ٣١- فى الأمر المطلق هل يقتضى التكرار؟ ٩٤- فى تعارض العلل والإلزام وذكر وجوه الترجيح ٩٩- فى الاحتجاج لما تقدم ذكره (١٢) ٧- فى الوجوه التى يقع بها التخصيص ١٦- فى الكلام الخارج عن سبب ٥٠- فى قبول شرائط أخبار الآحاد ٦٤- فى الإجماع ٦٨- فيمن ينعقد بهم الإجماع ٧٩- فى النافى وهل عليه دليل ٨٦- فى وصف العلل الشرعية وكيفية استخراجها ٩٧- فى ماهية الاستحسان وبيان وجوهه (١١) ١٠- فى اللفظ العام إذا خص منه شىء ما حكم الباقى؟ ٤٥- فى لزوم شرائع الأنبياء من كان قبل نبينا من الأنبياء ١٠٥- فى الكلام على عبيد الله بن الحسن العنبرى (١٠) ٣٠- فى الأمر المؤقت ٤٨- فى موجب أخبار الآحاد (٩) ١٥- فى حكم المجمل ٣٥- فى ما يجوز نسخه وما لا يجوز ٦٣- فى أحكام الأشياء قبل مجىء السمع فى الحظر والإباحة ٧٤- فى الإجماع بعد الاختلاف ٨٥- فى ذكر الأصول التى يقاس عليها ٩٦- فى الاستحسان ١٠٤- فى إثبات الأشبه المطلوب (٨) ٨٠- فى إثبات القياس والاجتهاد ٩٣- فيما يضم إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه وما جرى مجرى ذلك؟ (٧) ٣٦- فى الدلالة على جواز النسخ فى الوجوه التى بيننا ٥٨- فى الصحابى إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه ٦٦- فيما يكون عنه الإجماع ٦٧- فى صفة الإجماع الذى هو حجة الله تعالى ٧١- فى إجماع أهل المدينة ٧٧- فى تقليد الصحابى إذا لم يعلم خلافه ١٠٠- فى صفة من يكون من أهل الاجتهاد (٦) ٦- فى اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ١١- فى حكم التحليل والتحريم إذا علقا بما لا يصلح أن يتناولاه فى الحقيقة ١٧- فى حرف النفى إذا دخل على الكلام ١٩- فى المحكم والمتشابه ٢٧- فى الأمر ما هو؟ ٦٢- فى أن النبى هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ ٦٩- فى وقت انعقاد الإجماع ٧٦- فى اعتبار الإجماع فى موضع الخلاف ١٠١- فى تقليد=

فصول متفاوتة من حيث العدد. أكبرها الثانى والثلاثون "الأمر إذا تناول أحد أشـياء علـى جهـة التخيير" (ثمانية فصول)، وأصغرها فصل واحد[1]. وأحيانا تسبق بعـض الفصـول لفـظ بـاب ممـا يدل على غموض القسمة وعدم تشكلها على نحو نهائى واضح كما هو الحـال فـى "المستصفى". وقد يكون الفصل بلا عنوان[2]. وعلاقة الفصول بالأبواب علاقة توضيح وبيان دلالة وماهية ورصد الاحتجاجات والاعتراضات، والأسئلة والآراء. وأكثر من ثلاثة أرباع الكتاب أبواب بلا فصول[3]. تتناثر فيه البنية وتذوب فيه حتى أنه يصعب المسك بها أو تثبيتها أو حتى التعرف عليها.

وهى أشبه بمادة هلامية لم يتخلق فيها هيكلها العظمـى بعـد. ولا توجـد عنـاوين مسـتقلة رنانة للأصول الحنفية كما هو الحال فى الأصـول الشـافعية بـل ترتبـط أصـول الحنفيـة بأسـماء أصحابها مثل "أصول الجصاص"، "أصول البزدوى"، "أصول السرخسى".

ويبدو أثر الشافعى الذى تأثر بسيبويه على كل مؤلفات الأصـول حتـى الحنفيـة منـها فـى

=المجتهد (٥) ٣٤- فى الناسخ والمنسوخ ٤٣- فى الناسخ من الأحكام، أمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٥٦- فى رواية المدلسين.٥٧- فى قول الصحابى :أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كذا ٦٥- فى إجماع أهل الأنصـار ٧٣- فى التابعى هل يعد خلافا على الصحابة؟ ٩٥- فى ذكر وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام الموارث (٤) ٢- فى صفة النص ١٣- فى الإجماع والسنة إذا حصلا على معنى يواطئ حكما مذكورا فـى الكتـاب ٢١- فـى الخبرين إذا كان كل واحد منهما عاما من وجه وخاصا من وجه آخر ٤٤- فى باب آخـر فـى النسـخ ٥٤- فـى اختلاف الرواية فى زيادة ألفاظ الحديث ٥٥- فيمن روى عنه حديث وهو ينكره ٧٠- فى اختـلاف الأقـل علـى الأكثر ٩٢- فى مخالفة علة الفرع لعلة الأصل ١٠٢- فى القول بالاجتهاد فى حضرة النبى (٣) ٢٣- فـى وجـوه البيان ٢٤- فى ما يحتاج إلى البيان وما لا يحتاج إليه ٤٦- فى الأخبار واختلاف الناس فى أصول الأخبار ٦١- فى سنن رسول الله ٧٢- فى الخروج عن اختلاف السلف ٧٥- فى وقوع الاتفاق على التسـوية بـين شـيئين فـى الحكم ٨٧- فى ذكر الوجوه التى يستدل بها على كون الأصل معلولا ٨٩- فى اختلاف الأحكام مع اتفاق المعنى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠- فى ذكر شروط الحكم مع العلة ٩١- فى ذكر الأصناف التى تكون علـة للحكـم ٩٨- فى تخصيص أحكام العلة الشرعية (٢) ٥٩- فى أفعال النبى (١).

(١) ترتيب الأبواب من حيث عدد الفصول فى تنازل كمى: ٣٢- فى الأمر إذا تناول أحد الأشياء علـى التخيـير (٨) ١- فى العام ٣- فى معنى المجمل (٣) ٤٠- فى الوجوه التى يعلم بها النسخ ٥١- فى اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (٢) ٢٦- فى تأخير البيان ٣١- فصل الأمر إذا كان معالقا أو معلقا بوقت أو شـرط أو صفـة هـل يقتضـى التكرار؟ ٣٣- فصل: فى الدلالة على صحة ما قدمنا فى أصل هذا الباب ٣٤- فصـل: فـى ماهيـة النسـخ ٣٥- فصل: فصل من هذا الباب ٣٨- فصل: فى الدلالة على امتناع جواز نسخ الأمر قبل مجىء وقتـه ٤١- فصـل: الدليل على جواز نسخ السنة بالقرآن ٨٠- فصل: فى معنى الدليل، العلة، القياس والاجتهاد ٨٢- فصل: فيما احتج به مبطلوا القياس ٨٤- فصل: فيما خص بالأثر من جملة قياس الأصول لا يقاس عليه ١٠٣- فصـل: فـى سؤالات من قال: إن الحق واحد احتجاجهم لذلك ١٠٤- آراء العلماء فيما يوجب الاجتهاد فى الأحكام.

(٢) الباب الأول (الفصول الثلاثة)، الباب الثالث (الفصول الثلاثة).

(٣) هى ٨٧ بابا: ٢/٤- ٢٥/٢٧- ٣٠/٣٦- ٣٧/٣٩/٤٢- ٥٠/٥٢- ٧٩/٨١/٨٣/٨٦- ١٠٢/١٠٥.

البداية بمباحث الألفاظ بداية بالعام والخاص والتى تستغرق أحد عشر بابا متقطعة غير متواصلة بموضوعات أخرى[1]. وترتبط بموضوعات شبيهه مثل الاستثناء ودليل الخطاب والمجمل والمفسر بالرغم من وجود أبواب فى المجمل[2]. وتظهر على استحياء باقى مباحث الألفاظ الأخرى مثل الحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه[3]. ثم تظهر مباحث عامة تتداخل وسط العام والخاص مثل النص وحروف العطف والكلام الخارج عن السبب وحروف النفى الأقرب إلى مبحث الأمر والنهى. وهى أقرب إلى المبادئ اللغوية العامة قبل أن تنفصل عن مباحث الألفاظ كمقدمة له[4]. ثم يظهر "البيان" متفردا بنفسه وليس كطرف للمجمل[5]. ثم يظهر تباعا "الأمر والنهى"[6]. ومن ثم تكون مباحث الألفاظ أكبر المباحث على الإطلاق[7]. ويبدو أن مباحث الألفاظ قد ارتبطت بالدليل الأول، القرآن. لذلك أتى موضوع النسخ لاحقا به[8]. ثم تأتى الأخبار، موضوع الدليل الثانى، السنة[9]. ولما كانت الأخبار هى الأقوال تأتى بعد ذلك أفعال

---

(١) ١- فى العام ٥- إثبات القول بالعموم وذكر الاختلاف فيه ٦- اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ٧- الوجوه التى يقع بها التخصيص ٨- تخصيص العموم بخبر الواحد ٩- تخصيص العموم بالقياس ١٠- اللفظ العام إذا خص منه شئ ما حكم الباقى؟ ١٢- الاستثناء ولفظ التخصيص إذا اتصلا بالخطاب ما حكمهما؟ ١٤- دليل الخطاب وحكم المخصوص بالذكر ٢٠- العام والخاص والمجمل والمفسر ٢١- الخبران إذا كان كل واحد منهما عاما من وجه وخاصا من وجه آخر.

(٢) ٣- معنى المجمل ١٥- حكم المجمل.

(٣) ١٨- الحقيقة والمجاز ١٩- المحكم والمتشابه.

(٤) ٢- صفة النص ٤- معانى حروف العطف وغيرها ١٦- الكلام الخارج عن سبب ١٧- حرف النفى إذا دخل على الكلام.

(٥) ٢٢- صفة البيان ٢٣- وجوه البيان ٢٤- ما يحتاج إليه البيان وما لا يحتاج إليه ٢٥- ما يقع به البيان ٢٦- تأخير البيان.

(٦) ٢٧- الأمر ما هو؟ ٢٨- لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طاعته على الوجوب هو أم على الندب؟ ٢٩- الأمر إذا صدر غير مؤقت هل هو على الفور أو على المهلة؟ ٣٠- الأمر المؤقت ٣١- الأمر المطلق هل يقتضى التكرار؟ ٣٢- الأمر إذا تناول أحد الأشياء على جهة التخيير ٣٣- النهى هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقرب أم لا؟

(٧) مباحث الألفاظ ٣٣ بابا، ٥١٩ص.

(٨) ٣٤- الناسخ والمنسوخ ٣٥- ما يجوز نسخه وما لا يجوز ٣٦- الدلالة على جواز النسخ فى الوجوه التى بينا ٣٧- نسخ الحكم بما هو أثقل منه ٣٨- نسخ الحكم قبل مجئ وقته ٣٩- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٤٠- الوجوه التى يعلم بها النسخ ٤١- فيما ينسخ بعضه بعضا وما لا ينسخ ٤٢- نسخ القرآن بالسنة ٤٣- نسخ الناسخ من الأحكام وأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٤٤- باب آخر فى النسخ. النسخ ١١ بابا ١٦٨ص.

(٩) ٤٦- الأخبار واختلاف الناس فى أصول الأخبار ٤٧- وجوه الأخبار ومراتبها وأحكامها ٤٨- موجب أخبار الآحاد ٤٩- قبول أخبار الآحاد فى أمور الديانات ٥٠- قبول شرائط أخبار الآحاد ٥١- اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد ٥٢- الخبر المرسل ٥٣- الخبران المتضادان ٥٤- اختلاف الرواية فى زيادة ألفاظ الحديث=

النبى[1]. ثم يأتى الدليل الثالث الإجماع[2]. والدليل الرابع الاجتهاد، ويبدأ بنبذ التقليد[3]. وتغيب أحكام التكليف وهى ثمرة العلم قبل أن تتخلق مباحث الألفاظ، الأمر والنهى، مع بزوغ موضوع واحد هو "شرع من قبلنا"[4]. مما يدل على انحسار الفعل لحساب النقل والعقل منذ بدايات علم الأصول.

وإذا كان علم الأصول عند الشافعى قد نشأ من اللغة فى "الرسالة" من أجل ضبط الأخبار وتقنين السنة فإن أصول الفقه الحنفى تخلقت من تفسير القرآن. فأصول الجصاص ما هى إلا منطق "أحكام القرآن" له أيضا. فقد نشأت الحاجة إلى وضع منطق للتفسير خاصة بعد أن تكررت الآيات والأحكام ولزم لفهمها بنية. لذلك أتت "مباحث الألفاظ" أهم الموضوعات. ويتم وضع الحديث فى نفس منطق القرآن وقياسا عليه. لذلك تغلب الشواهد النقلية على العقلية،

=٥٥- فيمن روى عنه حديث وهو ينكره ٥٦- رواية المدلسين ٥٧- قول الصحابى: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كذا ٥٨- الصحابى إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه.

(١) ٥٩- أفعال النبى ٦٠- فيما يستدل به على أحكام أفعاله ٦١- سنن الرسول ٦٢- النبى هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ وبالتالى تكون السنة ١٧ بابا، ١٤٥ص.

(٢) ٦٤- الإجماع ٦٥- إجماع أهل الاعصار ٦٦- فيما يكون عند الإجماع ٦٧- صفة الإجماع الذى هو حجة الله تعالى ٦٨- فيمن ينعقد بهم الإجماع ٦٩- وقت انعقاد الإجماع ٧٠- اختلاف الأقل على الأكثر ٧١- إجماع أهل المدينة ٧٢- الخروج عن اختلاف السلف ٧٣- التابعى هل يعد خلافا على الصحابة؟ ٧٤- الإجماع بعد الاختلاف ٧٥- وقوع الاتفاق على التسوية بين شيئين فى الحكم ٧٦- اعتبار الإجماع فى موضع الخلاف. ومن ثم يكون الإجماع ١٣ بابا، ٧٦ص.

(٣) ٧٧- تقليد الصحابى إذا لم يعلم خلافه ٧٨- وجوب النظر وذم التقليد ٧٩- النافى هل عليه دليل؟ ٨٠- إثبات القياس والاجتهاد ٨١- الوجوه التى يوصل بها إلى أحكام الحوادث ٨٢- الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس فى أحكام الحوادث ٨٣- وجوه القياس ٨٤- ما يمتنع فيه القياس ٨٥- الأصول التى يقاس عليها ٨٦- وصف العلل الشرعية وكيفية استخراجها ٨٧- الوجوه التى يستدل بها على كون الأصل معلولا ٨٨- ما يستدل به على صحة العلة ٨٩- اختلاف الأحكام مع اتفاق المعنى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠- شروط الحكم مع العلة ٩١- الأصناف التى تكون علة للحكم ٩٢- مخالفة علة الفرع لعلة الأصل ٩٣- ما يضم إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه وما جرى مجرى ذلك ٩٤- تعارض العلل والإلزام وذكر وجوه الترجيح ٩٥- وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام الحوادث ٩٦- الاستحسان ٩٧- ماهية الاستحسان وبيان وجوهه ٩٨- تخصيص أحكام العلة الشرعية ٩٩- الاحتجاج ما تقدم ذكره ١٠٠- صفة من يكون من أهل الاجتهاد ١٠١- تقليد المجتهد ١٠٢- الاجتهاد بحضرة النبى ١٠٣- حكم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه ١٠٤- إثبات الأشبه المطلوب ١٠٥- آراء العلماء فيما يوجبه الاجتهاد من الأحكام. وبالتالى يكون القياس ٢٦ بابا، ٣٤٠ص.

(٤) ٦٢- القول فى أحكام الأشياء قبل مجىء السمع فى الحظر والإباحة جـ٣/٢٤٧-٢٥٤.

ويغلب القرآن على الحديث[1]. وتتكرر نفس الآيات ونفس الأحاديث طبقا للمواقف والاستعمال. والآيات قصيرة لتوظيفها كقضايا منطقية دون استشهادات إيمانية طويلة. والأحاديث أيضا قصيرة ومتقطعة كمقدمات كبرى أو صغرى فى قياس. وتذكر المتون دون الأسانيد لعدم الحاجة إليها. يكفى العقل لفهم المتن واستنباط الحكم منه. وتظهر الشواهد الشعرية والاحتكام إلى لغة العرب وكلامهم كمنطق للغة لإحكام التفسير[2]. وتذكر أشعار امرؤ القيس، وأمية بن أبى الصلت، وحسان بن ثابت.

ويعتمد الجصاص فى أصوله على مشايخ الحنفية على مدى قرنين من الزمان. ويأتى فى المقدمة شيخه أبو الحسن الكرخى ثم عمر بن الخطاب صاحب الجرأة فى التشريع طبقا للعقل والمصلحة ثم عيسى بن أبان من شيوخ الحنفية، ثم ابن عباس وأبو بكر وعائشة من الصحابة والرواة، ثم محمد بن الحسن الشيبانى فقيه الحنفية فى الشام، ثم أبو هريرة وعبد الله بن عمرو وأبو حنيفة النعمان وعمر بن دينار. فمؤسس المذهب يأتى فى المرتبة الثامنة، ثم الشافعى مؤسس العلم الأول. ثم يأتى أنس بن مالك فى المرتبة الثالثة عشرة[3].

ويرتبط علم أصول الفقه بعلم أصول الدين منذ البداية. فعلماء أصول الدين من المعتزلة مثل النظام ومن الأشاعرة مثل الأشعرى وبشر المريسى. ومن الفرق الكلامية تذكر الخوارج والرافضة

---

(١) الآيات (٤٠٥)، الأحاديث (٣٣٥).

(٢) الشعر (١٩) جـ١/٥١/٦٠/٦٧-٦٨/٨٦/٩٠-٩١/١٢٢/٣٥٢/٣٦٢/٣٦٤/٣٧٥/٣٦٥ جـ٢/ ٧-٨/٨٣/٩٦ جـ٣/٢٥٧ جـ٤/٧٦.

لغة العرب (٦) جـ١/١١٤/٣٥٩/٣٠٨/٣٦٢/٣٦٥ جـ٢/٨٩.

(٣) أبو الحسن الكرخى (٨٩)، عمر بن الخطاب (٧١)، عيسى بن أبان (٦٩)، ابن عباس (٥١)، أبو بكر الصديق، عائشة (٣٥)، محمد بن الحسن الشيبانى (٣٤)، أبو هريرة (٣٣)، عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو حنيفة النعمان، عمرو بن دينار (٣٠)، الشافعى (٢٨)، على بن المدينى (٢٧)، إبراهيم الخليل (٢٢)، على بن أبى طالب (٢٠)، أنس بن مالك، أنيس بن الضحاك الأسلمى (١٦)، إبراهيم بن يزيد النخعى، أبو يوسف الأنصارى (١٥)، الحسن البصرى، موسى بن عمران (١٤)، المسيح، معاذ بن جبل (١٣)، عبد الرحمن بن عوف (١٢)، بريرة (١١)، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعرى (١٠)، ابن شهاب الزهرى (٩)، ذو اليدين، أبو سعيد الخدرى، عبادة بن الصامت، ميمونة بنت الحارث (٨)، أبو إدريس الخولانى، سليمان بن داود، فاطمة بنت قيس، مالك بن أنس (٧)، جابر الأنصارى، حمل بن مالك، أم سلمة (٦)، أسامة بن زيد، أبو سنان الأشجعى، الضحاك بن سفيان، عبد الرحمن بن أبى ليل، عمرو بن العاص، ماعز بن مالك (٥)، بشر المريسى، أحمد بن يحيى الشيبانى، الشعبى، أبو العاليا الرفاعى (٤) العباس بن عبد المطلب، عمران بن حصين، المغيرة بن شعبة، النظام، أنيس بن الضحاك الأسلمى، محمد بن حزم، ابن سيرين، ابو العاص بن عبد العزى (٣) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، المبرد، محمد بن شجاع الثلجى، محمد بن سلمة الأنصارى بالإضافة إلى مائة من الصحابة والفقهاء مذكورين مرتين أو مرة واحدة.

والمرجئة من الفرق الإسلامية، واليهود والنصارى والمجوس مع زرادشت من الفرق غير الإسلامية[1]. فلكل فرقة كلامية أصولها خاصة أصول الخوارج والمعتزلة والأشعرية والشيعة. ولكل مذهب فقهى أصوله. بدأه الشافعى ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم أحمد[2].

لقد بدأ أصول الفقه بالرأى والنظر والاستحسان كما هو واضح عند أبى حنيفة (١٥٠هـ). ثم تلته أصول الفقه القائمة على المصالح المرسلة عند مالك (١٧٩هـ). الأولى على العقل والثانية على المصلحة، ركنى الوحى. ثم قام الشافعى (٢٠٤هـ) فتوسط بينهما جاعلا الأصول تقوم على الدعامتين معا. ثم عاد أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) للنص الخام من جديد دون تشعيب وتفريع وتقنين وتعقيد. توسط الشافعى بين الحنفية فى العراق والمالكية فى مصر. فالأصول تعبر عن طبائع الأقوام وتوزيعهم الجغرافى بين الحجاز (مالك) والعراق والشام وتركيا وخراسان وما وراء النهر (أبو حنيفة)، والشافعى (مصر).

وقد تغلب أصول الفقه الشافعى لقيامه على الأشعرية، عقائد السلطة فى حين توارى الفقه الحنفى القائم على الاعتزال الذى يمثل عقائد المعارضة. فقد ضرب أبو حنيفة وسجن، وخرج مع آل البيت. كانت المعارضة تتم باسم العقل مثل المعارضة الاعتزالية أو باسم المصلحة ثم الأصول المالكية. وقد انقطعت الأصول الكلامية إلا الشافعية لقيامها على الأشعرية، عقيدة السلطة.

وبالإضافة إلى الحجج النقلية هناك أيضا الحجج العقلية التى تتمثل فى الردود على الاعتراضات، ومقابلة الحجة بالحجة، والرأى بالرأى، والبرهان بالبرهان. لذلك غلب الأسلوب السجالى الحجاجى على أصول الجصاص. بل أن أبوابا وفصولا بأكملها خصصت لذلك[3]. ونظرا للاعتماد على العقل فقد اتسمت الأصول بوضوحها الشديد. وقامت على روح التساؤل والبحث وليس على المذاهب المغلقة مثل الظاهرية والتشيع.

وبالرغم من كل هذه التقسيمات والامتداد الكمى الضخم إلا أن العمل لم يفقد وحدته. إذ

---

(١) الخوارج (٤)، الرافضة، المرجئة (١)، اليهود (٦)، النصارى (٤)، المجوس، زرادشت (١).

(٢) من الأصول الاعتزالية "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ). ومن الأصول المالكية "الحدود فى الأصول"، "الإشارات" للباجى (٤٧٤هـ). ومن الأصول الحنفية "أصول الجصاص" (٣٧٠هـ)، "أصول البزدوى (٤٨٩هـ)، أصول السرخسى (٤٩٢هـ). ومن أصول الفقه الظاهرى "الإحكام فى أصول الأحكام" و"النبذ" لابن حزم. ومن الأصول الشافعية: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "الحدود والمواضعات" لابن فورك (٤٠٦هـ)، "اللمع" و"التبصرة" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "الورقات" و"البرهان" لإمام الحرمين (٤٧٨هـ)، "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ). ومن أصول الفقه الحنبلى "مختصر النتهى الأصولى" لابن الحاجب، "الوصول إلى الأصول" للبغدادى.

(٣) مثلا جـ١/١٦٩-١٨١/٣٨٦-٣٨٨ جـ٢/٩٣-٩٨ جـ٣/٢٢٧/٣٧٢-٣٧٦/٣٨٧ جـ٤/١٢٨/١٦٦-١٦٨/٣٣٥-٣٣٦/٣٥٠-٣٦١. والباب ٩٩ كله "الاحتجاج لما تقدم ذكره" جـ٤/٢٥٩-٢٧٢.

يحيل بعضه إلى بعض[1]. كما أن العمل نفسه يحيل إلى باقى مؤلفات الجصاص داخل وحدة المشروع الأصولى الكلى.

٢- **"أصول البزدوى" (٤٨٢هـ)**[2]. وتغيب البنية إذ تتوالى الأبواب واحدا تلو الآخر حتى تبلغ الثمانين بابا، أقل من "أصول الجصاص" التى بلغت مائة وخمسة بابا[3]. وهى غير مرقمة وتظهر بعض الفصول داخل الأبواب على نحو غير نسقى. ويشمل الموضوع الواحد عدة أبواب. فالأبواب أقرب إلى الفصول[4]. ويحيل العمل إلى أبوابه مما يبين وحدة الرؤية الكلية للموضوع بالرغم من تناثر أجزائه[5].

ومع ذلك تتكشف البنية الضمنية فى الأدلة الأربعة. الدليل الأول الكتاب هو المعلن عنه دون الأدلة الثلاثة الأخرى. وتدخل فيه مباحث الألفاظ، الخاص والعام. والأمر والنهى متداخلان[6]. ثم تظهر باقى مباحث الألفاظ حول الظاهر والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، وأحكام النظم وهو ما يقابل فحوى الخطاب، وبعض المبادئ اللغوية عن حروف المعانى أو معانى الحروف، ثم البيان والاستثناء والعود إلى المنطوق، وكلها متداخلة فيما بينها[7]. ثم تأتى بدايات ما سماه الشاطبى أحكام الوضع مثل العزيمة والرخصة مع أسباب الشرائع التى

---

(١) الإحالة إلى العمل نفسه جـ١/٦٩/٧٥/٢٠٦/٣١٦ جـ٢/٢٨/٣٠٧/٣٤٨/٣٦١ جـ٣/٦٧/٣١١.

(٢) أصول البزدوى فى كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوى للإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخارى (٧٣٠هـ)، ضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادى، دار الكتاب العربى، بيروت (الطبعة الثالثة) ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (أربعة أجزاء). وهى الطبعة التى اعتدنا عليها. وله طبعة أخرى فى "الكافى شرح البزدوى" لحسام الدين حسين بن على بن حجاج السنغانى (٧١٤هـ)، دارسة وتحقيق فخر الدين سيد محمد قانت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (٥أجزاء).

(٣) جـ١/ (١٠)، جـ٢ (١٩)، جـ٣ (٣١)، جـ٤ (٢٠).

(٤) مثل فصل فى تعليل الأصول داخل باب تفسير القياس جـ٣/٥٣١.

(٥) جـ١/٧٢ جـ٤/٣٠.

(٦) يشمل الدليل الأول اثنى عشر بابا: ١- أحكام العموم والخصوص ٢- الأمر ٣- موجب الأمر وحكمه ٤- موجب الأمر فى معنى العموم والتكرار ٥- صفة حكم الأمر ٦- صفة حسن المأمور به ٧- تقسيم المأمور فى حكم الوقت ٨- النهى ٩- أحكام العموم ١٠- العام إذا لحقه الخصوص ١١- ألفاظ العموم ٢١- حكم الأمر والنهى وأضدادهما.

(٧) ويشمل ذلك أحد عشر بابا: ١٢- حكم الظاهر ١٣- أحكام الحقيقة والمجاز والصريح والكناية ١٤- جملة ما تترك به الحقيقة ١٥- حروف المعانى ١٦- حتى ١٧- حروف الجر ١٨- الصريح والكناية ١٩- أحكام النظم ٣٨- البيان ٣٩- بيان التخيير وهو نوعان: التعليق بالشرط والاستثناء ٤٠- بيان الضرورة وهو على أربعة أوجه.

توحى بالمقاصد[1]. ثم يأتى الدليل الثانى دون الإعلان عنه وهو السنة فى أقسام السنة وتضم الأخبار وأنواعها، المتواتر والآحاد، وطرق النقل الكتابى، والتعارض والتراجيح[2]. ثم يظهر النسخ مع السنة كأحد أوجه البيان وليس مع القرآن[3]. ثم تظهر السنة الفعلية بعد السنة القولية[4]. ويظهر معها شرع من قبلنا وهى من المصادر المزاحة جانبا، الزائدة على المصادر الأربعة[5]. ثم يأتى الدليل الثالث الإجماع وأهلية المجمعين وشروطه وحكمه وسببه[6]. ثم يأتى الدليل الرابع، القياس[7]. أكبرها الدليل الرابع ثم الأول والثانى، ثم الثالث وهو أصغرها[8]. ويبين ذلك أولوية العقل على النقل فى أصول الأحناف.

وتبرز البنية الثلاثية كالبرق وتختفى، كاحتمال لم يتحقق داخل قسمة علم الفروع وهو الفقه. علم المشروع بنفسه أى الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به وهى مباحث الألفاظ، ثم العمل

---

(١) وذلك فى بابين: ٢٠- العزيمة والرخصة ٢٢- أسباب الشرائع.

(٢) وذلك فى خمسة عشر بابا: ٢٣- أقسام السنة ٢٤- المتواتر ٢٥- المشهور ٢٦- خبر الواحد ٢٧- تقسيم الراوى الذى جعل خبره حجة ٢٨- شرائط الراوى ٢٩- تفسير هذه الشروط وتقسيمها ٣٠- قسم الانقطاع ٣١- محل الخبر ٣٢- القسم الرابع من أقسام السنة وهو الخبر ٣٣- الكتابة والخط ٣٤- تقسيم الخبر عن طريق المعنى وهو خمسة أقسام ٣٥- ما يلحقه النكير من قبل الراوى وهو أربعة أقسام ٣٦- الطعن يلحق الحديث من قبل غير راويه قسمان ٣٧- المعارضة (التعارض) أربعة أقسام.

(٣) وذلك فى خمسة أبواب: ٤١- بيان التبديل وهو النسخ ٤٢- بيان محل النسخ ٤٣- بيان الشرط، شروط النسخ ٤٤- تقسيم الناسخ ٤٥- تفصيل المنسوخ.

(٤) وذلك فى ثلاثة أبواب: ٤٦- أفعال النبى ٤٧- تقسيم السنة فى حق النبى ٤٩- متابعة أصحاب النبى والاقتداء بهم.

(٥) ٤٨- شرع من قبلنا.

(٦) وذلك فى خمسة أبواب: ٥٠- الإجماع ٥١- أهلية المجمعين ٥٢- شروط الإجماع ٥٣- حكم الإجماع ٥٤- سبب الإجماع وهو نوعان: الداعى والناقل.

(٧) وذلك فى خمسة وعشرين بابا: ٥٦- القياس ٥٧- شروط القياس وهى أربعة أوجه ٥٨- ركن القياس ٥٩- تقسيم وجوهه وهو الطرد ٦٠- حكم العلة ٦١- القياس والاستحسان ٦٢- أحوال المجتهدين ومنازلهم فى الاجتهاد ٦٣- فساد وتخصيص العلل ٦٤- وجوه دفع العلل ٦٥- أوجه الممانعة فى نفس الحجة ٦٦- المعارضة وهى قسمان ٦٧- بيان وجوه دفع المعارضة ٦٨- الترجيح ٦٩- وجوه دفع العلل الطردية ٧٠- وجوه الانتقال: أربعة ٧١- معرفة أقسام الأسباب والعلل والشروط ٧٢- تقسيم السبب ٧٣- تقسيم العلة سبعة أقسام ٧٤- تقسيم الشرط خمسة أقسام ٧٥- تقسيم العلامة ٧٦- بيان العقل ٧٧- بيان الأهلية ٧٨- أهلية الأداء: قاصر وكامل ٧٩- الأمور المعترضة على الأهلية: سماوية ومكتسبة ٨٠- العوارض المكتسبة.

(٨) الرابع (٢٥)، الأول (٢٣)، الثانى (٢٢)، الثالث (٥).

به أى أحكام التكليف[1]. وهى مركزة للغاية، خال من الحشو والاستطراد، مما استدعى شرحها مرتين على الأقل فى "الكافى" للسنغانى (٧١٤هـ) و"كشف الأسرار" للبخارى (٧٣٠هـ).

ومع ذلك فهو يحاجج الفرق الكلامية خاصة المعتزلة لأواصر القربى بين الحنفية والاعتزال فى الاعتماد على العقل والنظر. كما يشير إلى أصحاب الرأى وأصحاب الحديث والعلماء والفقهاء وأصحابنا ومشايخنا، كلهم أو بعضهم[2]. وتدل التفرقة بين "أصحابنا" و"أصحابنا المتقدمين" على تطور المذهب تاريخيا من الأوائل إلى الأواخر. فالمذهب قد يكون "مذهبنا". وتبدو التعددية فيه منذ البداية. فالمذهب لا يمثل نسقا واحدا متسقا مغلقا بل تتنوع فيه الآراء والاتجاهات. وتظهر الفرق غير الإسلامية كما هو الحال فى علم الكلام مثل اليهود والنصارى والمجوس مع بعض الأنبياء مثل إبراهيم وسليمان والمسيح وبعض أنبياء الفرق مثل زرادشت[3].

ويعتمد على الحجج النقلية والحجج العقلية، وعلى الحجج العقلية أكثر كما هو الحال فى أصول الحنفية. إذ تقل الأدلة النقلية تباعا كلما تم الانتقال من الدليل الأول إلى الدليل الرابع. ومن الحجج النقلية يتم الاعتماد على القرآن أكثر من الحديث بحوالى الضعف. فالقرآن يتضمن الأصول، والحديث الفروع. والعقل أقرب إلى الأصول[4].

كما يتم الاستشهاد بالشعر العربى ديوان العرب الذى به تفسير الكتاب كما قال عمر[5]. كما يتم الاستشهاد بالأمثال العربية وبكلام العرب وعاداتهم فى القول. فالقرآن إنما نزل بلسان عربى مبين[6].

ويحال إلى أسماء المصنفات السابقة كشفا عن المصادر على غير ما هو متبع فى علوم الحكمة. فنادرا ما يشير الحكماء إلى بعضهم البعض. كل حكيم يبنى الحكمة من الألف إلى الياء كما فعل ابن سينا فى موسوعاته الأربع. فيحال إلى الجامع، والجامع الصغير ثم إلى كتاب إبطال

---

(١) "علم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشروع بنفسه. والقسم الثانى إتقان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها. والقسم الثالث هو العمل به حتى لا يصير نفس العلم مقصودا. فإذا تمت هذه الأوجه كان فقيها"، أصول البزدوى جـ١/٤٧-٤٨.

(٢) أصحابنا (١٨)، المعتزلة (الاعتزال) (٤)، بعض مشايخنا (٣)، أصحابنا المتقدمين، أهل الكوفة، الأشعرية (٢)، الخطابية، أهل الفقه، الفقهاء، علماء الشريعة، علماؤنا، أهل اللغة، أصحاب ظاهر الحديث، بعض أصحابنا، البصريون، مشايخنا، الجبرية، المقدرية (١).

(٣) النصارى، موسى، المسيح (٢)، اليهود، المجوس، إبراهيم، سليمان، زرادشت (١).

(٤) القرآن (١٢٣٠)، الحديث (٩٨٠).

(٥) جـ١ (٣) ٤٩/١٢٢/١٦٩، جـ٢/٢٠٧/٢٤٤/٣٦٦/٢٠٧.

(٦) جـ١/٣١١، جـ٢/١١٤/٢٠٢/٢٠٦/٢٩٤/٢٩٧/٣١١، جـ٣/٢١١.

الاستحسان للشافعى والسير الكبير للشيبانى والمبسوط للسرخسى، والى كتب فقهية متفرقة مثل الصلاة والإقرار والحدود والتركة والعبادات[1].

والسؤال هو: لماذا لم تعش مذاهب الشيبانى وأبى يوسف فى الشام وعاش مذهب أبى حنيفة فى العرق؟ هل لأنهما كانا تنويعين على أبى حنيفة؟ وما هى الفروق النوعية بين المذهب الأصلى والمذهبين الفرعيين؟

ومن أسماء الأعلام يتقدم أبو حنيفة على الشافعى، الأستاذ على التلميذ، اتفاقا واختلافا وهو إلى الاتفاق أقرب بعد أن كون التلميذ مذهبا مستقلا. ثم يظهر صاحبا أبى حنيفة أبو يوسف والشيبانى. ثم يأتى مالك وغيره من الفقهاء قبل أن تتحول المالكية إلى مذهب، بالإضافة إلى رواة الحديث. ويحدث التراكم الفلسفى الأصول الحنفى فى هذا الوقت المبكر، فتتم الإحالة إلى أصول الجصاص ثم أصول الكرخى، وبعض مشايخ الحنفية الأقل شهرة مثل عيسى بن أبان. ثم يأتى مالك بن أنس فى النهاية لأنه لم يكن صاحب مذهب نظرى متكامل مع بعض الفقهاء الأقل شهرة[2].

٣- "المقدمة فى الأصول " لابن القصار المالكى (٣٩٧هـ)[3]. ولم تتناثر البنية فقط فى أصول الحنفية والشافعية والظاهرية بل تناثرت أيضا أصول المالكية. فقد توزعت البنية وانتشرت فى واحد وخمسين بابا، كل منها يبدأ بلفظ "الكلام فى .." أو "القول فى.." [4]. ثلاثة منها تحتوى على فصول، الأول "الكلام فى وجوب أدلة السمع" ويحتوى على خمسة فصول، الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم الاستدلال والقياس ثم القياس مرة أخرى، وهى لب الأدلة الشرعية الأربعة[5]. والثانى "القول فيما يخص به العموم". ويضم ستة فصول حول التخصيص، تخصيص القرآن بالقرآن، والكتاب بالسنة، والكتاب بالإجماع، والكتاب بالقياس، والظاهر بقول

---

(١) الجامع (الصغير) (١٢)، الاستحسان، السير الكبير (٤)، الصلاة، الإقرار، الحدود، التركة، العبادات، الفقه الأكبر، العالم والمتعلم، الرسالة (لأبى حنيفة) (١).

(٢) أبو حنيفة (٨٤)، الشافعى (٧٨)، أبو يوسف (٥٦)، الشيبانى (٤٩)، الجصاص (٧)، الكرخى (٥)، عيسى بن أبان (٢)، مالك، الأقرع بن حابس، زفر، الغرر، الفراء (١).

(٣) الإمام أبو الحسن على بن عمر بن القصار المالكى (٣٩٧هـ): المقدمة فى الأصول، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦.

(٤) "القول فى .." (٣٧)، "الكلام فى .." (١٤).

(٥) السابق ص٤٠-٥٢.

الصحابى، وأخيرا السنة بالقرآن، والسنة بالسنة، والسنة بالإجماع، والسنة بالقياس[1]. وهى جزء من مباحث الألفاظ. والثالث "الكلام فى العلة والمعلول" ويضم فصلا واحدا "فى المعلول"[2]. وأكبر الأبواب بطبيعة الحال البابان عن أدلة السمع وتخصيص العموم ومعظم باقى الأبواب أقرب إلى الصغر[3].

ومع ذلك يمكن تلمس هذه البنية المتناثرة داخل هذه الأبواب الواحد وخمسين. فالأبواب الثلاثة عشر الأولى حول اختلاف وجوه الدلائل ووجوب النظر، وإبطال التقليد وما يجوز فيه مثل تقليد العامى للعالم والعامى للعامى، وتقليد من مات من العلماء، وما يوجد فى كتب العلماء، وما يلزم المستفتى العامى، وما يلزم فيه الاجتهاد واستعمال العامى ما يفتى له، والترجمة على المفتى[4]. ثم تبدأ الأدلة الشرعية الأربعة فى باب واحد كأصل بارز وهو الباب الرابع عشر[5]. ثم تتداخل مباحث الألفاظ مثل الخصوص والعموم[6]، والأوامر والنواهى[7]، ودليل الخطاب والبيان والاستثناء[8]، مع موضوعات الدليل الثانى الأخبار والخبر المتواتر وخبر الواحد العدل والخبر المرسل والزائد من الأخبار، وتعارض الأخبار فيما بينها، وتعارضها مع القياس[9]. كما تتداخل مع الدليل الأول فى موضوع النسخ[10]. ثم يأتى الإجماع[11] الدليل الثالث ثم

---

(1) السابق ص٩٤-١٠٦.

(2) السابق ص١٦٧-١٧٠.

(3) تتراوح بين الصفحة الواحدة والسبع صفحات.

(4) هذه الأبواب الثلاثة عشر هى: ١- اختلاف وجوه الدلائل ٢- وجوب النظر ٣- إبطال التقليد من العالم إلى العالم ٤- ما يجوز فيه التقليد ٥- تقليد العامى للعالم ٦- تقليد العامى للعامى ٧- ما يلزم المستفتى العامى ٨- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٩- ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز ١٠- استعمال العامى ما يُفتى له ١١- تقليد من مات من العلماء ١٢- ما يوجد فى كتب العلماء ١٣- الترجمة على المفتى، السابق ص٥-٣٩.

(5) ١٤- فى وجوب أدلة السمع: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاستدلال والقياس، والقياس.

(6) ١٥- الخصوص والعموم ٢٥- ما يخص به العموم ٣٠- خطاب الواحد هل يكون خطابا للجميع؟ ٣١- العموم يخص بعضه.

(7) ١٦- الأوامر والنواهى ٣٤- الأوامر هل هى على الفور أو على التراخى؟ ٣٥- الأوامر هل تقتضى تكرار المأمور به أم لا؟

(8) ٢٢- دليل الخطاب ٢٣- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٩- تأخير البيان ٣٣- الاستثناء عقيب الجملة.

(9) ١٧- أفعال النبى ١٨- الأخبار وخبر التواتر ١٩- خبر الواحد العدل ٢٠- الخبر المرسل ٢٤- الزائد من الأخبار ٢٦- الأخبار إذا اختلفت ٢٧- خبر الواحد والقياس يجتمعان.

(10) ٣٦- فى نسخ القرآن بالسنة ٣٧- الزيادة على النص هل تكون نسخا أم لا؟

(11) ٤١- الإجماع بعد الخلاف ٤٢- إجماع الأمصار.

الثالث ثم مباحث العلة والقياس، الدليل الرابع[1]. وتاتى بعض الأبواب لمحقات القياس مثل إجماع أهل المدينة، شرع من قبلنا، واستصحاب الحال[2]. ولا تظهر أحكام التكليف إلا فى باب واحد، فى الحظر والإباحة[3]. وعلى هذا النحو يكون القياس أكبرها، ثم مباحث الألفاظ، ثم النظر والتقليد، ثم السنة، ثم الأدلة الأربعة، ثم الكتاب والإجماع، ثم التكليف وهو أصغرها على الإطلاق[4]. وتكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل كما هو الحال فى معظم الأصول الحنفية. فالمصلحة فى قوة الاستدلال العقلى. ومع ذلك تظهر وحدة الموضوع فى الإحالة إلى السابق واللاحق مما ينبئ بظهور البنية[5].

ويبدأ كل باب بمذهب مالك ما يقره وما لا يقره، ما يقبله وما لا يقبله، ما فيه وما ليس فيه. فأصول الفقه أيضا نشأت من خلال المالكية وليس فقط من خلال الشافعية أو الحنفية. صحيح سبق مالك (١٥٠هـ) الشافعى (٢٠٤هـ) ولكن تلاه الجصاص من الحنفية (٣٧٠هـ) ثم ابن القصار من المالكية (٣٩٧هـ) [6]. ولما كان مذهب مالك هو الحق كثر الدفاع عنه يقوم على العقل والنقل. لذلك تكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما تبرز الأدلة العقلية[7]. فالأصول استقراء للفروع. والعقليات استقراء للنقليات. وبعض الأبواب خالية من الآيات وهى أكثر من النصف، مما يدل على إمكانية تأسيس الأصل على العقل وحده[8]. وتصل الأدلة العقلية إلى حد

---

(١) ٤٣- العلة والمعلول ٤٤- ما يدل على صحة العلة ٤٥- العلة التى لا تتعدى ٤٦- تخصيص العلة ٤٧- القول بالعلتين ٤٨- العلتان إحداهما أكثر فروعا من الأخرى ٤٩- جواز كون الاسم علة ٥٠- أخذ الأسماء قياسا ٥١- الحدود هل تؤخذ من جهة القياس؟

(٢) ٢١- إجماع أهل المدينة وعلمهم ٣٨- شرائع من كان قبلنا من الأنبياء ٢٨- الحق واحد من أقاويل المجتهدين ٤٠- استصحاب الحال.

(٣) ٣٩- الحظر والإباحة.

(٤) القياس (٤٨)، مباحث الألفاظ (٤٣)، النظر والتقليد (٣٥)، السنة (٢١)، الأدلة الأربعة (١٣)، الكتاب، الإجماع (٨)، التكليف (٦).

(٥) المقدمة فى الأصول ص٤٨.

(٦) "سألتمونى أرشدكم الله أن أجمع لكم ما وقع إلىّ من الأدلة فى مسائل الخلاف بين مالك بن أنس، رحمه الله، وبين من خالفه من فقهاء الأمصار، رحمة الله عليهم، وأن أبين ما علمته من الحجج فى ذلك. وأنا أذكر لكم جملة من ذلك بمشيئة الله وعونه لتعلموا أن مالكا، رحمه الله، كان موفقا فى مذهبه، متبعا لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة والنظر الصحيح، وأن الله خصه بحسن الاختيار ولطيف الحكمة وجودة الاعتبار... وقد رأيت أن أقدم لكم بين يدى المسائل جملة من الأصول التى وقفت عليها من مذهبه، وما يليق به مذهبه، وأن أذكر لكل أصل نكتة ليجتمع لكم الأمران جميعا أعنى: علم أصوله ومسائل الخلاف من فروعه..."، السابق ص٣-٤.

(٧) الآيات (٦٧)، الأحاديث والآثار (٤٥).

(٨) هى الأبواب الآتية ٤/٦-١٣/١٨/٢٠-٢١/٢٤-٢٧/٣١/٣٩-٤١/٤٣/٤٥/٤٧-٤٩ (٢٨ بابا).

قسمة موضوعها قسمة عقلية من أجل تناول كل قسم على حدة مثل قسمة شروط العلة إلى أربعة[1]. كما يظهر أسلوب الرد مسبقا على الاعتراضات بعد تخيلها من أجل الإبقاء على الاتساق المنطقى[2]. وكان من المكن الزيادة فى الحجج المنطقية لأسباب الخلاف بين المذاهب. فقد كان القصد الأصول وليس الفروع[3]. ومع ذلك تغلب العبارات الإيمانية فى نهاية كل باب تقريبا مثل "الله أعلم" و"وبالله التوفيق" و"إن شاء الله تعالى"[4]. وبطبيعة الحال يتقدم الرسول، وهو المعلم، على مالك وهو المتعلم، ثم المؤلف، ابن القصار، ثم أبو الفرج المالكى. وبعد ذلك يأتى الشافعى والأبهرى من المالكية وعمر بن الخطاب الذى أسس روح المالكية بأولوية الواقع على النص. ثم يأتى أبو حنيفة النعمان والأوزاعى والتميمى، ومن الصحابة على وغيرهم[5]. ومن الفرق والجماعات يتقدم الصحابة ثم الفقهاء ثم المالكية ثم أهل المدينة ثم التابعون طبقا لأولويات المالكية. ثم يأتى بعد ذلك أهل العلم وأهل العراق (الحنفية)وأصحاب أبى حنيفة، وأصحاب مالك، وأهل الاجتهاد. وأخيرا يأتى أهل اللغة وأهل مكة، وأهل عصر مالك، والمتقدمون من أصحاب مالك نظرا لتطور المذهب، والمتكلمون، والمجتهدون، والقائسون وغيرهم[6]. ومن المدن تتقدم بطبيعة الحال المدينة ثم مكة[7]. ويحيل ابن القصار إلى عدة كتب فى مقدمتها "الموطأ" لمالك ثم كتاب الشافعى "الأم" وجامع سفيان الثورى، ثم كتاب "السنن فى الفقه" للأوزاعى[8].

---

(١) المقدمة فى الأصول ص١٦٨-١٦٩.

(٢) السابق ص١٣٨.

(٣) "هذه مقدمة عن الأصول في الفقه ذكرتها فى أول مسائل الخلاف ليفهمها أصحابنا. ولم استقص الحجج عليها لأنه لم يكن مقصودى ذلك"، السابق ص٢٠٦.

(٤) "الله اعلم" (٣٠)، "وبالله التوفيق" (١٤)، "إن شاء الله تعالى (١)، فصول خالية منها (٦) فقط.

(٥) الرسول (٥٧)، مالك (٥٦)، ابن القصار (١٩)، أبو الفرج المالكى (٧)، الشافعى، الأبهرى، عمر بن الخطاب (٣)، أبو حنيفة، الأوزاعى، التميمى، على، إسماعيل بن اسحق، عبد الله بن نافع (٢)، أسامة بن زيد، زيد، الليث بن سعد، المدلجى، عائشة، أبو هريرة، العنقى، ابن رواحة، ابن عباس، سفيان الثورى، سراقة (١).

(٦) الصحابة (١٥)، الفقهاء (١١)، المالكية (٨)، أهل المدينة (٥)، التابعون (٤)، أهل العلم، بنو تميم، العرب، أهل العراق (٣)، أصحاب أبى حنيفة، أصحاب مالك، أهل الاجتهاد، المشركون، العامة، شيوخ بنى تميم (٢)، أهل التوراة، أهل الذكر، أهل الذمة، أهل اللغة، أهل مكة، أهل عصر مالك، أهل العهد والذمة، أهل اليمن، بنو إسرائيل، المتكلمون، المتقدمون من أصحاب مالك، المجتهدون، المحدثون، المفسرون، العجم، القائسون (١).

(٧) المدينة (٥)، مكة (٢)، بيت المقدس، حنين، خراسان، الصين، اليمن (١).

(٨) الموطأ (٥)، الأم، جامع سفيان الثورى (٢)، السنن للأوزاعى (١).

٤- "الإشارة فى أصول الفقه" لأبى الوليد الباجى (٤٥٠هـ)[١]. وتتناثر البنية فيه فى اثنين وستين بابا. ينقسم البعض منها إلى فصل واحد أو فصلين أو ثلاثة أو أربعة أو تسعة فصول[٢]. تتفاوت فيما بينها من حيث الحجم ولو أنها جميعا أقرب إلى القصر[٣]. وتتكرر معظم الموضوعات فى أكثر من باب، فى عدد من الأبواب المتفرقة. وتدخل بعض موضوعات الفقه مع الأصول كأمثلة توضيحية[٤]. وتترك بعض الفصول بلا عناوين وأخرى يضاف إليها "مسائل"[٥]. وبعض الأبواب تبدأ بـ"القول فى" وأخرى بـ"الكلام فى"، وثالثة "فى" مباشرة فى الموضوع[٦]. ويجمع باب "فى أبواب" مرة واحدة[٧]. وشرح المحقق مسهب للغاية وكأننا مازلنا فى عصر الشروح والملخصات.

ومع ذلك يمكن تجميع هذه الأبواب الاثنين وستين والمتشابه منها فى عدة أصول. نظرية

---

(١) الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الأندلسى القرطبى الباجى الذهبى (٤٥٠هـ): الإشارة فى أصول الفقه، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد عوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٢) ٤٢- الكلام فى العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاستثناء ٥٦- الإجماع وأحكامه (فصل واحد). ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ ٥٧- الكلام فى معقول الأصل ٥٨- أحكام القياس ٥٩- أحكام استصحاب الحال (فصلان). ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (ثلاثة فصول). ١٣- الكلام فى وجوب أدلة السمع ٢٤- القول فيما يخص به العموم ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (أربعة فصول) ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (خمسة فصول) ٥١- باب أقسام أدلة الشرع (تسعة فصول).

(٣) ٥١- أقسام أدلة الشرع (٣٣)، ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ (١٥)، ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (١٣)، ١٣- فى وجوب أدلة السمع ٢٤- فيما يخص به العموم (١١)، ٢٠- إجماع أهل المدينة ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (١٠)، ٢٨- تأخر البيان (٨)، ٣٠- فيما يجوز فيه التقليد ٢١- دليل الخطاب (٧) ١٨- خبر الواحد العدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد فى الأخبار ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخا أم لا؟ (٦)، ١٤- فى الخصوص والعموم ١٥- فى الأوامر والنواهى ٢٧- فى أن الحق واحد من أقاويل المجتهدين ٣٢- فى الاستثناء عقب الجملة ٥٠- فى الحدود ٥٧- فى معقول الأصل (٥) ٥- فى تقليد العامى ١٦- أفعال النبى ١٧- الأخبار والتواتر ٣٥- نسخ القرآن بالسنة ٤٦- إجماع الأعصار ٥٦- الإجماع وأحكامه ٥٩- استصحاب الحال (٤) ٦- ما يلزم المستفتى للعامى ١٠- تقليد من مات من العلماء ٣٠- العموم يخص بعضه (٣)، ٢- إبطال التقليد من العالم للعالم ١١- ما يوجد فى كتاب العلماء ٢٩- خطاب الواحد هل يكون خطابا للجميع؟ ٣٤- فى الأوامر هل تقضى تكرار المأمور أم لا؟ ٤٢- العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاستثناء (٢) بالإضافة إلى ثمانية عشر بابا كل منها صفحة واحدة.

(٤) الإشارة ص٢٤٦-٢٥٠.

(٥) فصول بلا عناوين، السبق ص٢٤٤-٢٤٦/٣٠٩/٣٥٨/٣٦٣/٣٧١-٣٧٧. إضافة مسائل ص٣٤٣-٣٥٦.

(٦) "القول فى" (٣٧)، "الكلام فى" (١٢)، فى الموضوع مباشرة (١٣).

(٧) أبواب العموم وأقسامه، السابق ص٣٥٦-٣٥٨.

العلم، الأدلة الشرعية الأربعة، مباحث الألفاظ، أحكام التكليف وهى البنية الثلاثية للعلم بالإضافة إلى المقدمة العامة. وتضم المقدمة العامة وجوب النظر وإبطال التقليد وضرورة الاجتهاد وأحكام الاستفتاء(1). وتشمل الأدلة الشرعية الأربعة موضوعات متفرقة ومتداخلة(2). أصغرها الكتاب فى موضوع النسخ(3). وأكبرها السنة وتشمل أفعال النبى والأخبار، والتواتر والآحاد والمرسل والزائد والتعارض بينها، والتعارض بينها وبين القياس(4). ويضم الإجماع أحكامه وتكراره فى كل عصر(5). أما القياس فيشمل معظم مباحث العلة ومعقول الأصل واستصحاب الحال والترجيح(6). وتضم مباحث الألفاظ وهى أوسعها، الخصوص والعموم، الأوامر والنواهى، المجمل والمبين، المطلق والمقيد، ودليل الخطاب، والاستثناء(7). أما أحكام التكليف فإنها نادرة للغاية تضم الحظر والإباحة والحدود قياسا أو لا(8). وهناك أبواب أخرى فى موضوعات إضافية خارج الأدلة الشرعية مثل إجماع أهل المدينة، وشرع من قبلنا، وتعدد الصواب فى أقوال

---

(1) نظرية العلم فى الأبواب: ١- وجوب النظر ٢- إبطال التقليد من العالم للعالم ٣- ما يجوز فيه التقليد ٤- تقليد العامى للعالم ٥- تقليد العامى للعامى ٦- ما يلزم المستفتى للعامى ٧- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٨- ما لا يجوز فيه التقليد وما يجوز ٩- استعمال العامى ما يفتى به ١٠- تقليد من مات من العلماء ١١- ما يوجد فى كتاب العلماء ١٢- فى الترجمة على المفتى (اثنا عشر بابا)، السابق ص١٣٢-١٦٤.

(2) ١٣- وجوب أدلة السمع، السابق ص١٦٤-١٨٥.

(3) ٣٥- نسخ القرآن بالسنة ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخا أم لا؟ ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ، السابق ص٢٨٧-٢٩٧/٣٨١-٣٩٦.

(4) ١٦- أفعال النبى ١٧- الأخبار والتواتر ١٨- خبر الواحد العدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد من الأخبار ٢٥- الأخبار إذا اختلفت؟ ٢٦- خبر الواحد والقياس يجتمعان، السابق ص١٩٥-٢١٥/٢٣٣-٢٣٩/٢٥٠-٢٥١.

(5) ٤٠- الإجماع بعد الخلاف ٤١- إجماع الأعصار ٥٦- الإجماع وأحكامه ٥٧- إجماع كل عصر حجة، السابق ص٣٠١-٣٠٧/٣٩٦-٤٠٠.

(6) ٤٢- العلة والمعلول ٤٣- ما يدل على صحة العلة ٤٤- العلة التى لا تتعدى ٤٦- القول بعلتين ٤٧- العلتان أحدهما أكثر فروعا من الأخرى ٤٨- جواز كون الاسم علة ٤٩- أخذ الأسماء قياسا ٥٧- معقول الأصل ٥٨- أحكام القياس ٥٩- استصحاب الحال ٦٠- أحكام الترجيح ٦١- ترجيحات المتون ٦٢- ترجيح المعانى، السابق ص٣٠٧-٣١٨/٤٠٠-٤٢٩.

(7) ١٤- الخصوص والعموم ١٥- الأوامر والنواهى ٢١- دليل الخطاب ٢٢- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٤- ما يخص به العموم ٢٨- تأخير البيان ٢٩- خطاب الواحد يكون خطابا للجميع ٣٠- العموم يخص بعضه ٣١- القياس على المخصوص ٣٢- الاستثناء عقب الجملة ٣٣- الأوامر هل هى على الفور أو على التراخى ٣٤- الأوامر هل تقضى تكرار المأمور به أم لا؟ ٥١- أقسام أدلة الشرع ٥٢- أبواب العموم وأقسامه ٥٣- أحكام الاستثناء ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص، السابق ص١٨٥-١٩٥/٢٢٥-٢٣٣/٢٣٩-٢٤٣/٢٦٦-٢٨٧/٣٢٣-٣٨١.

(8) ٣٨- الحظر والإباحة ٥٠- الحدود، السابق ص٢٩٨-٣٠٠/٣١٨-٣٢٣.

المجتهدين[1]. ويدل على نفس النتيجة أولوية العقل على النقل على حساب الفعل.

ونظرا لأن المؤلف مالكى المذهب فإنه يبدأ البـاب بمذهـب مـالك، مـا يريـد ومـا لا يريـد، بالرغم من انتهاء معظم الفصول باللازمات المعروفة مثل "والله أعلم"، "وبالله التوفيق"[2]. ويعتمـد على كثير مـن الحجـج النقليـة وأقلـها العقليـة. والآيـات أكـثر مـن الأحـاديث، كمـا يستشـهد بالشعر[3]. ويرد على الاعتراضات مسبقا حرصا على اتساق الحجة العقليـة. ومـن أسمـاء الأعـلام يتقدم مالك بطبيعة الحال، ثم البـاقلانى مفكـر الأشـاعرة، ثـم الشـافعى وأصحابـه وأبـو حنيفـة وأصحابه، وفقهاء المالكية والشافعية والحنفية مثل محمد بن جويز منداد، والأبهرى، وإسماعيل بن اسحق، والثورى، والأوزاعى، والمـاوردى، والكرخـى وغـيرهم. ومـن الشـعراء النابغـة. ومـن النحويين الخليل وسيبويه[4].

٥- "الإحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ). وفيها تغيـب البنيـة أيضـا. إذ يقسم الكتاب إلى أربعين بابا، وكل باب له فصول. ويختلـف عـدد الفصـول فـى كـل بـاب بـين أبواب بلا فصول إلى أبواب من عشرين فصلا[5]. وإذا كان لكـل بـاب وفصـل عنـوان فـإن بعـض

---

(١) ٢٠- إجماع اهل المدينة، السابق ص٢١٥-٢٢٥. ٣٧- شرائع من قبلنـا قبـل الأنبيـاء، السـابق ص٢٩٧-٢٩٨. ٢٧- أن الحق واحد من أقاويل المجتهدين، السابق ص٢٥١-٢٦٦.

(٢) "والله أعلم" (٣٤)، "وبالله التوفيق" (١٤)، "إن شاء الله" (١)، وبدون لازمة (١٤).

(٣) الآيات (١٤٢)، الأحاديث (٢٩)، الشعر (٢).

(٤) مالك (٥٤)، الباقلانى (٢٤)، الشافعى، أصحاب الشافعى (٥)، أصحـاب أبـى حنيفـة (٥)، أبـو حنيفـة (٢)، محمد بن جويز منداد (٥)، الأبهرى (٤)، إسماعيل بن اسحق (٣)، الثورى، الأوزاعى، أصحاب مالك، النابغة (٢)، الربيع (كتاب)، الماوردى، ابن القفطـان، الليـث، ابـن العراقـى، ابـن القاسـم، ابـن رواحـه، الكرخـى، الخليل، سيبويه.

(٥) الأبـواب بـلا فصـول (٢٥): ١/٢/٣/٤/٨/٩/١٠/١٦/١٩/٢١/٢٣/٢٤/٢٥/٢٦/٢٧/٢٨/٢٩/٣٠/٣١/٣٢/٣٣/٣٤/٣٥/٤٠.

- الأبواب من فصل واحد (٥): ٥/٦/٧/١٤/١٨.
- الأبواب من فصلين (١): ١٥.
- الأبواب من ثلاثة فصول (٣): ١٣/٣٦/٣٨.
- الأبواب من خمسة فصول (٢): ٣٧/٣٩.
- الأبواب من عشرة فصول (١): ١٢.
- الأبواب من خمسة عشر فصلا (١): ٢٢.
- الأبواب من تسعة عشر فصلا (١): ٢٠.
- الأبواب من عشرين فصلا (١): ١١.

الفصول ليس لها عناوين[1]. وأكثر من نصفها يبدأ باللازمة الشهيرة فى التأليف القديم "الكلام فى". وتضم الأبواب الأربعين فى ثمانية أجزاء متداخلة البداية والنهاية دون حد موضوعى بينها[2]. وإذا كانت الأجزاء الثمانية متساوية فيما بينها من حيث الكم تقريبا باستثناء الرابع فهو أكبرها[3]. الأبواب الأربعين والفصول أيضا تختلف فيما بينها كما[4]. ويبدو انتقالا من الكم إلى الكيف أن أهم الأبواب هو إبطال القياس فى أحكام الدين ثم الأخبار والإيجاب ثم الإجماع ثم التقليد طبقا لنفس الجدل المقلوب بين الإثبات والنفى، ثم الأوامر والنواهى، ثم الأوامر على العموم، ثم النسخ من أجل حل التعارض فى الأخبار ورد اعتراضات الخصوم، ثم إبطال القول بالعلل، ثم دليل الخطاب، ثم استصحاب الحال، ثم الاستحسان والاستنباط والرأى وإبطال كل ذلك للنفى المطلق فى جدل ذى طرف واحد.

ثم بعد ذلك يتداخل المحايد بين السلب والإيجاب وهو إلى السلب أقرب مثل شرائع الأنبياء قبل محمد أو شرع من قبلنا، والاجتهاد. وأحيانا يكون إلى الإيجاب أقرب مثل التفقه فى الدين، والنيات فى الأعمال. وأحيانا تكون الموضوعات أقرب إلى الإعلان عن الموقف المذهبى الظاهرى مثل: الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطل، لزوم الشريعة لكل مؤمن وكافر على الأرض. وأحيانا تكون الموضوعات محايدة تماما مجرد وصف موضوعى له دون إثبات أو نفى أو إعلان موقف مثل الاستثناء والكناية والإشارة، كيفية ظهور اللغات، والغرض من الكتاب وموضوعاته وأقسامه.

---

(١) عناوين الفصول الثانى حتي الخامس من الباب العشرين عن النسخ من الناشر جـ٤/٤٤٢-٤٤٤.

(٢) مثل الباب الحادى عشر فى الأخبار موزع بين الجزأين الأول والثانى جـ١/٨٧-١٣٤، جـ٢/١٣٥-٢٥٨.

(٣) جـ١ (عدد الصفحات) (١٣١)، جـ٢ (١٢٤)، جـ٣ (١٣٢)، جـ٤ (١٩٩)، جـ٥ (١٦٥)، جـ٦ (١٤٢)، جـ٧ (١٦٢)، جـ٨ (١٢٤).

(٤) ٣٨- إبطال القياس فى أحكام الدين (١٨١)، ١١- الأخبار (١٧٢)، ٣- الإجماع (٩٦)، ٤- إبطال التقليد (٩٤)، ٥- الأوامر والنواهى (٧٩)، ٦- الأوامر على العموم (٥٣)، ٧- النسخ (٥١)، ٨- إبطال القول بالعلل (٤٥)، ٩- دليل الخطاب (٤٢)، ١٠- استصحاب الحال (٤٠)، ١١- إبطال الاستحسان والاستنباط والرأى (٣٦)، ١٢- فى شرائع الأنبياء قبل محمد (٢٣)، ١٣- الاجتهاد (١٨)، ١٤- التفقه فى الدين (١٧)، ١٥- فى أفعال الرسول، النيات فى الأعمال (١٦)، ١٦- الاستثناء (١٥)، ١٧- الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطل (١٤)، ١٨- تسمية الصحابة، الألفاظ الاصطلاحية (١٣)، ١٩- الحكم بأقل القليل، الاحتياط وقطع الذرائع، هل الأشياء فى العقل قبل ورود الشرع على الحظر أم على الإباحة، أصول الأحكام فى الديانة وأقسام المعارف (١٢)، ٢٠- الأخذ بموجب القرآن، تأخير البيان (١٠)، ٢١- فى المجاز والتشبيه (٩)، ٢٢- فى أقل الجمع، كيفية ظهور اللغات (٦). ٢٣- الغرض المقصود من الكتاب، المتشابه فى القرآن والأحكام (٥)، ٢٤- البيان (٤)، ٢٥- الدليل، فهرس الكتاب وأبوابه، الأخذ بموجب القرآن، الشذوذ (٢)، ٢٦- لزوم الشريعة الإسلامية لكل مؤمن وكافر على الأرض، الكناية بالضمير، الإشارة (١).

وتغيب الأصول والقواعد والأسس والمبادئ التى يقوم عليها علم الأصول وسط هذا الخضم الهائل من الخلاف النظرى حولها. فابن حزم من أصحاب المواقف، يمثل أصول الفقه الظاهرى كما يمثل القاضى النعمان والشيخ المفيد أصول الفقه الشيعى، وأبو الحسين البصرى أصول الفقه الاعتزالى.

ويغلب على الكتاب الطابع الحجاجى، والمنهج السجالى، ليس فقط بين المذاهب الفقهية الأربعة، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية بل أيضا مع الفرق الكلامية من سنة وشيعة، ومعتزلة ومرجئة وخوارج بالرغم من التمييز بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. وتذكر المذاهب الفقهية الثلاثة الأولى أكثر مما يذكر المذهب الحنبلى الرابع، فهو آخرها[1].

وتهتم أمثال هذه المؤلفات بالمواقف وليس بالبنية، بالحجاج وليس بالقاعدة، بالأسس النظرية التى تنبنى عليها القواعد، وليس بالقواعد كأسس نظرية ينبنى عليها علم الأصول. لذلك تكثر التفصيلات والجزئيات والحوادث وأسماء الإعلام والرواة للنقاش حول الأصل والدفاع عن المذهب. فالمذهب أساس القاعدة وليس العكس. وتطول الحجج والحجج المضادة، ويُسهب فى الاعتراضات والردود على الاعتراضات حتى تمحى الغاية من علم الأصول وهو التجميع، جمع الجزئيات فى الكليات، والفروع فى الأصول.

فى هذا الجو المشحون بالرفض والإقصاء والجدال والتعصب والقطعية، وأن الحق مع فرقة واحدة والباقى هالكة، يعود التحزب الكلامى وينعكس على علم الأصول فتضيع الغاية منه. يتحدث ابن حزم باسم الله لأن الآخرين يتحدثون باسم الشيطان. يعلن عن الحق بينما يعلن الآخرون عن الباطل. وفى هذا التحزب تطلق الأحكام القطعية، وتغيب النسبية، وتضيع القاعدة وسط الإقصاء المتبادل. تغيب الموضوعية والحياد الذى يتسم به "المستصفى" بالرغم من أشعريته، مصالح التحزب والتحيز والانزواء. وليس السجال بديلا عن الحوار، ولا الحجاج بديلا عن التعددية المذهبية.

وأحيانا تغلب الأمثلة الفقهية على القواعد الأصولية وتستخدم القاعدة للتحقق من الحكم الفقهى أكثر من استخدام الأمثلة الفقهية الجزئية لاستقراء المبدأ الكلى. كما يراجع ابن حزم صحة الأحكام الشرعية على الأمثلة الفقهية رافضا أحكام المذاهب ناسيا استقراء المبادئ الأصولية العامة بصرف النظر عن الفروق المذهبية واختلاف الأحكام الشرعية. مع أن عنوان الكتاب

---

(١) انظر دراستنا: المذاهب الإسلامية، هموم الفكر والوطن، جـ١ التراث والغرب والحداثة، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، ص٢٣٩-٢٤٦.

"الإحكام فى أصول الأحكام" أى إحكام الأصول وليس استخدامها للتحقق من صدق الأحكام على الفروع.

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الثلاثية وهى تتخلق خلال الأربعين بابا والتسعين فصلا حول الأدلة الأربعة، القرآن فى صيغة البيان، والسنة فى صيغة الخبر[1]. ثم تأتى مباحث الألفاظ الأوامر والنواهى مع النسخ وهو يتعلق بالدليل الأول، القرآن، والإجماع وهو الدليل الثالث[2]. وتظهر مادة أحكام التكليف مثل النية وشرع من قبلنا مع بعض أوجه الاستدلال[3]. وأخيرا يظهر الدليل الرابع نفيا وهو القياس والاستحسان والاستنباط والرأى والتعليل[4]. وهنا أيضا تكون الأولوية للنقل على العقل كما هو الحال فى الأصول الظاهرية على حساب الفعل.

وتكثر الشواهد النقلية من القرآن والحديث. وتتكرر نفس الآيات عدة مرات، ونفس الأحاديث فى عدة صياغات وروايات وأسانيد. ويتم إحصاؤها واحدة تلو الأخرى والرد عليها. ولكل فريق أدلته النقلية الجزئية خارج السياق، أسباب النزول، وخارج المنظور الكلى. يرد ابن حزم على حجج الخصوم ويعيد تأويل شواهدهم النقلية ضدهم. ثم يستعمل نفس المنهج، اجتزاء شواهد نقلية مضادة يستطيع الخصم أن يرد عليها بنفس المنهج، وإعادة تأويلها ضد ابن حزم ولصالحهم. وينتهى الفريقان إلى ضرب الكتاب بعضه ببعض، ويضيع الأصل وسط الخصومات المذهبية والتى هى فى الحقيقة مواقف اجتماعية وسياسية ومزاجية فى الصلة بين النص والواقع، بين النظر والعمل، بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة. ويستشهد بالآيات القرآنية أكثر مما يستشهد بالأحاديث النبوية. فالقرآن أصل الأصول. والحديث متواتر وآحاد.

كما يستعمل الشعر كشاهد نقلى لتفسير الكتاب أو كدليل لغوى كما قال عمر "عليكم بشعر جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم". وابن حزم فقيه وأصولى ومتكلم وأديب. وكما كان الشعر مركزا للحضارة العربية قبل الإسلام أصبح القرآن هو مركز الحضارة الإسلامية وبؤرتها بعد الإسلام. ومن ثم يمكن تفسير القرآن بالشعر. فقد استمرت نفس الجماليات التى كانت وراء "إعجاز القرآن".

ويتم رصد الحجج العقلية بنفس الطريقة، عدها وإحصاؤها والرد عليها. ثم تعطى حجج عقلية معارضة يستطيع الخصم أيضا أن يرد عليها. وبالتالى يتحول العقل البرهانى إلى عقل

---

(١) هذا هو الجزء الأول والجزءان الثانى والثالث.

(٢) هذا هو الجزء الرابع.

(٣) هذا هو الجزء الخامس.

(٤) هذه هى الأجزاء السادس والسابع والثامن.

جدلى، ويصبح العقل البديهى عقلا تبريريا. لا يبدأ العقل من ذاته، من بديهياته ومشاهداته بل من المواقف المسبقة والمذاهب المغلقة، وبالتالى يقضى على علم أصول الفقه لصالح علم أصول الدين. ويستعمل ابن حزم الحجج النقلية "السلطوية" التى توحى بسلطة النص وتلجم اللسان وتبطل العقل مثل ﴿لا يسأل عما يفعل وهو يسألون﴾، ﴿إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ حتى يتوقف كل عمل عقلى فى النص.

ويقع المذهب، الظاهرية، فى عدة تناقضات. يدافع عن الظاهر ضد التأويل والرأى والقياس والاستحسان والتعليل والنظر وفى نفس الوقت ينقد التقليد ويعنى تقليد المذاهب الفقهية. وقد يكون التقليد أيضا للحرف. وقد نشأت الظاهرية فى المشرق، فى الكوفة، على يد داود الظاهرى ربما ردا على معتزلة البصرة وبغداد، وأقرب إلى الأثر فى الحجاز. ثم انتقل المذهب إلى الأندلس بسبب سيطرة الفقهاء على الحياة العقلية والسياسية فيها.

ويحيل "الإحكام" إلى ذاته مما يدل على وحدة عناصر الكتاب، وضم أجزائه فى كل واحد، وخضوعه لمنطق واحد ورؤية واحدة بالرغم من تناثر الأجزاء. كما يحيل إلى باقى مؤلفات ابن حزم الأصولية مثل "النبذ" وهو تلخيص "الإحكام" أو "إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" وهو ملخص الجزء الثامن والأخير. كما يحيل إلى باقى مؤلفاته الفقهية مثل "المحلى" أو الكلامية مثل "الفصل فى أهل الأهواء والملل والنحل" مما يدل على وحدة المشروع الفكرى لابن حزم.

٦- **"الكافية فى الجدل" للجوينى (٤٧٨هـ)**[1]. وتبدو الصلة بين الجدل فى علم أصول الدين والقياس فى علم أصول الفقه. فعلم الأصول واحد وإن اختلف المنهجان. ليس الغرض منه تأسيس علم الأصول بل رصد الخلافيات بين الأصوليين. فى علم مستقل فرعى هو "علم الجدل" أو "علم الخلافيات". الجدل شفاهى، والقياس مدون. الأول مناظرة، والثانى استدلال. موضوع الكتاب هو الخلافيات فى الأقيسة، وإخضاعه لمنطق محكم، والتحول من المعارضة الجدلية إلى الاعتراض القياسى. ومع ذلك يغلب الجدل الكلامى على القياس الأصولى، ويتمتع بدرجة عالية من التنظير، والرد مسبقا على الاعتراضات فى أسلوب "فإن قيل... قيل". ولا غرابة على الجوينى فى ذلك وهو أول من وضع نسق العقائد فى علم أصول الدين فى "العقيدة النظامية". وقد انعكست هذه القدرة على تلميذه الغزالى فى "المستصفى".

---

(١) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى الشافعى: الكافية فى الجدل، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وتقل الأدلة النقلية، ويغلب التحليل العقلى الخالص. ومع ذلك تفوق الآيات القرآنية الأحاديث النبوية [1]. وتبرز البنية من إشكال النقل والعقل فى علم أصول الدين. فالدليل إما خبر أو نظر. والخبر إما كتاب أو سنة أو إجماع. والنظر هو القياس. ومن ثم تنتظم الأدلة الشرعية الأربعة فى علم أصول الفقه فى موضوع النقل والعقل فى أصول الدين. يتضمن النقل الأدلة الثلاثة الأولى فى حين يشير النظر إلى الدليل الرابع وحده. والسؤال هو: إذا كان القرآن والحديث خبرا فإن الإجماع ليس كذلك. هو تجربة مشتركة، اتفاق واختلاف، ووجود أمة خارج النص[2]. وإذا كان الخبر يحكمه منطق الألفاظ فإن النظر تحكمه قواعد القياس. وكلاهما تعبير عن الواقع الجديد الذى يستدعى حكما فى بيئة يصدر سلوك الأفراد والجماعات فيها عن منطق الأحكام.

ومع ذلك يمكن استكشاف البنية الأصولية من خلال الجدل الكلامى. فالكتاب يتكون من سبعة وعشرين فصلا بعد مقدمة عن تحديد أهم المصطلحات الأصولية. الفصلان الأولان فى طريق معرفة الأحكام وكيفيته. والآخران فى التعلق بالإجماع والمعانى. وكل الفصول التالية فى القياس والعلة والقلب والعكس والتأثير واستصحاب الحال والدليل والتقسيم والمعارضة والترجيح وآداب الجدل والمناظرة. وواضح فى البنية الثلاثية الضمنية أولوية العقل على النقل وغياب الفعل. والخير فى استعمال القرآن والشعر كأمثال وحِكَم حين يتعدى أهل الجدل على بعضهم البعض. فالقرآن تجربة شعرية، والشعر تجربة دينية. ويتم الاستشهاد بالشعر وبلسان العرب. ومن الشعراء يذكر المتنبى والفرزدق والكميت[3]. وتبين هذه القسمة أن أصول الفقه تطور لعلم الجدل والتحول من الخصم إلى النص[4].

---

(1) الآيات (١٢٤)، الأحاديث (٥٨).

(2) السابق جـ١/٥٥.

(3) الشعر (١١)، لسان العرب، المتنبى، الفرزدق، الكميت (١).

(4) ١- طريق معرفة الأحكام فى الشرع ٢- كيفية الحصول على الحكم ٣- النطق بالإجماع ٤- المعانى والتعلق بها ٥- كيفية الاعتراض على القياس ببيان فساد الوضع والجواب عنه ٦- القول بموجب العلة ومقتضاها ٧- الاعتراض على الأدلة بالمناقضة ٨- القلب والعكس ٩- بيان ما يدفع به القلب ١٠- بيان عدم التأثير ١١- القياس بوجوه الفرق ١٢- الجواب عن الفرق ١٣- صحة الاحتياج بالعلة المأخوذة من أصلين بين الخصمين متفقى الحكم مختلفى موجب الحكم ١٤- بيان وجه التصرف عند التعلق بالقياس ١٥- التعلق بالأولى ١٦- التعلق باستصحاب الحال ١٧- التعلق بعدم الدليل وبأن النافى هل عليه دليل؟ ١٨- التعلق بالتقسيم ١٩- بيان ما لا يصح من الاعتراضات وما أحدث من الرسوم الفاسدة ٢٠- المعارضة ٢١- أحكام المعارضة ٢٢- الترجيح وبيان وجوهه وأقسامه ٢٣- ترجيحات المعانى والعلل ٢٤- آداب الجدل ٢٥- بيان حيل المتناظرين ٢٦- وجوه الانتقال والانقطاع ٢٧- فيما يستعمل من ذكر الأمثال والحكم عند تعدى أهل الجدل بعضهم على بعض.

وتقل أسماء الأعلام. ومع ذلك يتقدم الشافعى على الإطلاق أو "الرسالة". ويتلوه أبو حنيفة والأوزاعى والنخعى وأبو اسحق وأبو الحسن "شيخنا". ومن المعتزلة يحال إلى أبو هاشم والجبائى[1]. ومن الفرق الكلامية يحال إلى المعتزلة والقدرية. المعتزلة فى الحسن والقبح العقليين، والقدرية فى خلق الأفعال، وهما فرقة واحدة. والفرقة الغالبة هى "أصحابنا"، "أهل التحقيق" على الكل أو على التبعيض فى مقابل "أصحابكم"[2].

وهناك صواب وخطأ كما يظهر من عبارات مثل: "والصحيح"، "وهذا غلط جدا"، "وقد أخطأ قوم"... الخ. ولا فرق فى ذلك بين المتقدمين والمتأخرين. ومن الفرق غير الإسلامية يشار إلى أهل الكتاب. ومن فقه المناطق يذكر أهل العراق[3].

٧- "أصول السرخسى" (٤٩٠هـ)[4]. وتغيب البنية فيه مثل باقى أصول الحنفية "أصول الجصاص" و"أصول البزدوى"، وربما "أصول الكرخى". يكفى وضع الأصول دون تجميعها فى بنية واحدة تنتظمها. لذلك تغيب العناوين المميزة لكتب الأصول. وتضم تسعة عشر بابا، وكل باب من عدة فصول، أكبرها اثنا عشر فصلا، وأصغرها فصل واحد[5]. وبعض الفصول بلا عناوين نظرا لأنها لا تدخل فى صلب البنية[6].

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية وهى تتخلق ابتداء من مباحث الألفاظ حتى الأدلة الأربعة. إذ تضم مباحث الألفاظ معظم أبواب الكتاب[7]. ثم يأتى بعدها القياس ثم السنة ثم الكتاب،

---

(١) الشافعى (٩) الرسالة (١)، أبو حنيفة، اسحق، الأوزاعى، النخعى، أبو الحسن، الأستاذ. أبو هاشم، الجبائى (١).

(٢) أصحابنا (٥)، أهل التحقيق، جمهور أهل النظر (٢)، المتكلمون، أصحابكم، أهل الكتاب (١).

(٣) "والصحيح"، الكافية جـ٢/٢٥/٣٠٥، "وهذا غلط جدا" جـ٢/١١٤، "وقد اخطأ قوم" جـ٢/٣٠٦، "وقد غلط بعض المتأخرين" جـ٢/١١٣، "ليس من عادة المتقدمين" جـ٢/٢٤٤، أهل العراق جـ٢/٢٩٤.

(٤) الإمام الفقيه الأصولى النظار أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسى: أصول السرخسى (جزءان)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٥) ١- الأمر (٦)، ٢- النهى (٥)، ٣- صيغة الخطاب (٤)، ٤- صيغة الخطاب (٤) ٥- معانى الحروف (١٢)، ٦- الظاهر والنص (١)، ٧- الحجة الشرعية (٨)، ٨- أخبار الآحاد (٧)، ٩- الشهادة والرواية (٢)، ١٠- البيان (٢)، ١١- النسخ (٤)، ١٢- أفعال النبى (٧)، ١٣- القياس (٦)، ١٤- الاحتجاج (٤)، ١٥- الاعتراض (٤)، ١٦- الترجيح (٣)، ١٧- الاعتراض على العلل (٤)، ١٨- أقسام الأحكام (٥)، ١٩- أهلية الحقوق (١).

(٦) أصول البزدوى جـ١/٢١٧-٢٣٥/٢٥٥-٢٧٧.

(٧) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، الأدلة الشرعية الأربعة (١٠)، أحكام التكليف (٢).

وأصغرها الإجماع[١]. أما من حيث الفصول فأكثرها الأدلة الشرعية الأربعة ثم مباحث الألفاظ ثم أحكام التكليف[٢]. ولم تستقر بعد مباحث الألفاظ من حيث مصطلحاتها. إذ يشار إلى صيغة الخطاب وتعنى العام والخاص والمحكم والمتشابه، والظاهر والنص يعنيان الظاهر والمؤول[٣]. وتظل أحكام التكليف مطوية داخل مبحث الأمر والنهى قبل أن تستقل وتصبح ثمرة العلم. فالأولوية للعقل على النقل وعلى حساب الفعل.

وقد استطاع السرخسى فى أصوله تلمس البنية الثلاثية والمرور عليها دون التوقف عندها بأن تمام الفقه لا يكون إلا باجتماع ثلاثة أشياء: المشروعات أى الأدلة الأربعة، والإتقان فى معرفتها من النصوص، ألفاظها ومعانيها وهى مباحث الألفاظ، ثم العمل بها، فغاية العلم العمل، وهى مباحث المقاصد والأحكام[٤]. فحمل المشروعات بلا علم يكون رواية، والعالم بالمشروعات دون العمل به فهو فقيه ناقص وليس فقيها كاملا، والعالم به فقيه نسبى وليس فقيها مطلقا وهو يساوى ألف عابد دون علم. فالتقدم هو الفقيه المطلق، وهو خير من ألف عابد يجمع بين العلم والعمل مثل أبو حنيفة وأبى يوسف والشيبانى[٥].

ولا يوجد حجاج كلامى أو فقهى بل تأصيل للأصول. إذ يهدف الكتاب إلى بيان أوجه الاتفاق على الأصول وليس الاختلاف فيما بينها إلا بقدر ما يسمح به الأصل. يخلو الكتاب من الخلافيات والجدليات والسجاليات. وينم عن روح صافية هادئة بسيطة تأملية رفيعة. وتذكر الاختلافات الفقهية فحسب وبأدب الاختلاف، رصد دون حجاج بطريقة "فإن قيل... قلنا". ويريد التركيز دون الإطالة[٦].

و"أصول السرخسى" على وعى بهذا الشكل الأدبى، الانتقال من شرح الشيبانى إلى التأليف فى الموضوع، من الشرع إلى بنيته، ومن الفروع إلى الأصول. والأصول محدودة والحوادث

---

(١) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٢٩٣)، القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتاب (٣٥)، الإجماع (٢٦).

(٢) الأدلة الشرعية الأربعة (عدد الفصول) (٤٩)، مباحث الألفاظ (٣٤)، أحكام التكليف (٦).

(٣) أصول السرخسى جـ١/١٢٤-١٩٩.

(٤) "غير أن تمام الفقه لا يكون إلا باجتماع ثلاثة أشياء: العلم بالمشروعات، والإتقان فى معرفة ذلك بالوقوف على النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها ثم العمل بذلك، فتمام المقصود لا يكون إلا بعد العمل بالعلم. ومن كان حافظا للمشروعات من غير إتقان فى المعرفة فهو من جملة الرواة. وبعد الإتقان إذا لم يكن عاملا بما يعلم فهو فقيه من وجه دون وجه. فأما إذا كان عاملا بما يعلم فهو الفقيه المطلق"، أصول السرخسى جـ١/١٠.

(٥) السابق جـ١/١٣٢/٣٠٢/٣٣٣/٣٦٨، جـ٢/٢٠١.

(٦) السابق جـ٢/١١.

ممدودة[1]. والكتاب على وعى بتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين، وبالاتباع دون الابتداع، وأنه أقرب إلى المتقدمين منه إلى المتأخرين، عودا إلى الأصول الأولى.

وبالرغم من أن علم الأصول علم إسلامى خالص إلا أنه علم مقارن بأصول الديانات الأخرى، اليهودية والنصرانية والمجوسية والزرادشتية كما هو الحال فى علم الكلام والحديث عن الفرق غير الإسلامية والمقارنات فى النسخ اليهودية. فيذكر زرادشت[2].

ونظرا لأنها أصول حنفية، تغلب الأدلة العقلية على الأدلة النقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية. وبطبيعة الحال تقل فى القياس[3]. ويتم اللجوء إلى الشعر الربى، فهو ديوان الجاهلية الذى به تفسير الكتاب كما قال عمر[4]. ويذكر زهير من الشعراء. كما يتم الاعتماد على كلام العرب وعاداتهم فى الاستعمالات اللغوية[5].

ومن حيث أسماء الأعلام يتصدر الشافعى على الإطلاق بالرغم من أن الأصول حنفية لأنه واضع علم الأصول، ثم أبو حنيفة، ثم صاحبه الشيبانى، ثم صاحبه الثانى أبو يوسف. ويتلوهما من الصحابة عمر، ثم عبد الله بن مسعود. ثم على وابن عباس حبر الأمة. ثم يأتى الكرخى فى أصوله الحنفية وزفر صاحب أبى حنيفة. ومن أصحاب أبى حنيفة يذكر عيسى بن أبان. ومن أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة يذكر مالك بن أنس، وعشرات آخرين من الصحابة والرواة والفقهاء[6].

---

(١) "ولما انتهى المقصود من ذلك رأيت من الصواب أن أبين للمقتبسين أصول ما بنيت عليها شرح الكتب ليكون الوقوف على الأصول معينا لهم على فهم ما هو الحقيقة فى الفروع، ومرشدا لهم إلى ما وقع فى الإخلال به فى بيان الفروع. فالأصول محدودة والحوادث ممدودة. والمجموعات فى هذا الباب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين. وأنا فيما قصدته بهم من المقتدين. رجاء أن أكون من الأشياع. فخير الأمور الاتباع، وشرها الابتداع"، أصول السرخسى جـ١/١٠.

(٢) السابق جـ١/٢٨٢/٢٨٧/٣٧٤، جـ٢/٢٢/١٠٢/٣٢٨.

(٣) الآيات (٧١٩)، الأحاديث (٣٦٨)، الشعر (١٣).

(٤) السابق جـ١/١٥/١١٢/١٦٥/١٩٠/٣٩٨/٢٠١/٢١٦/٢٣٠/٢٣٢/٢٧٦-٢٧٧، جـ٢/٣٠١/٣٤٦.

(٥) السابق جـ١/١٢٥/١٧٨/٢٠٠/٢٢٧.

(٦) الشافعى (١٣٦)، أبو حنيفة (١٣٢)، الشيبانى (١١٤)، أبو يوسف (٧٨)، عمر (٥١)، ابن مسعود (٢٨)، على، ابن عباس، أبو بكر الصديق (٢٦)، الكرخى، زفر (١٩)، الجصاص (١٦)، ابن عمر (١٢)، عائشة، عيسى ابن أبان، معاذ، عثمان (١٠)، إبراهيم، موسى (٩)، أنس بن مالك، مالك بن أنس، محمد الرسول (٨)، المسيح، أبو سنان (٧)، أبو هريرة، بريرة، أبى بن كعب (٦)، زيد بن ثابت، هاشم بن عبد مناف، محمد الرسول (٥)، إبراهيم النخعى، الحسن البصرى، الشعبى، سعيد بن المسيب، آدم، جبريل (٤)، بلال، سلمان الفارسى، فاطمة بنت قيس، معاذ، الحسن بن زياد، الكوفى، سعيد بن المسيب، الشعبى، ابن سيرين، بلال،=

ويحيل السرخسى إلى باقى أجزاء العمل مما يدل على وحدته[1]. كما يحيل إلى باقى مؤلفاته مما يدل على وحدة فكره ومشروعه[2].

رابعا: تشكّل البنية.

١- "مقدمة فى الأصول" للجبيرى المالكى (٣٧٨هـ)[3]. وكما نشأ علم الأصول عند الشافعى (٢٠٤هـ) لتقنين الشافعية كذلك نشأ علم الأصول عند المالكية لتقنين المالكية.

وقد تشكلت البنية حول النص والاستدلال والمصلحة وهى الوحدة الثلاثية بين الوحى والعقل والواقع. وكان الدافع هو أن فى الأوامر والنواهى الجلى والخفى، والظاهر والباطن. فلو كانت كلها جلية لارتفع الخلاف بين الفقهاء والأصوليين، ولما احتاجوا إلى تفكر وتدبير ونظر واستدلال، لا فرق بين علم وجهل، ولكان العلم كله طباعا. والخفى لا يعلم بنفسه وإلا كان جليا. والنص الخفى غير مكتف بذاته ولا يستغنى عن جلى يدل عليه. ومن ثم وجب الاستنباط والخلاف بين المستنبطين فى النظر المؤدى إليه. وهنا لزم أن يسلم النظر من الآفات حتى يصيب مطلوبه، وصدقه عن طريق إجماع أهل العلم واتفاقهم على الحكم فى الحادثة موضوع النظر. وإذا كان فى الاختلاف نص، فالأولوية للنص. وإن غاب النص فالأولوية لمذهب مالك لأن له منزلتين: ضبط الآثار وحسن الاختيار، ظاهر النص واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة. وهو إما استنباط وإما توقيف. والأول يتفق عليه أهل الأمصار. والثانى مُعترض على خبر الواحد به مثل الحكم على السنة التى لا نص فيها استدلالا على السنة التى بها نص. ولا مدخل للعقل فى التوقيف. فإذا انعدم الكتاب والسنة واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة "فزع إلى العبرة" أى إلى النظر للحكم على الفرع بحكم الأصل. فالأصول الشرعية إذن خمسة: الكتاب والسنة واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة والعبرة. وربما عدل مالك عن هذه الأصول إما لخفاء العلة أو لضرب من المصلحة طبقا للحكم بالأصلح فيما لا نص فيه ما لم تعارض نصا أو دليلا. فلربما للحكم غاية أخرى وهو نادر. لذلك كان التمسك بالأصول الخمسة لأنها أولى بالاتباع من احتمال يجوز عليه السهو والخطأ. وهذا هو

=أبى بن كعب، نوح، الفراء (٣)، ذو اليدين، النظام، مسروق، قتادة، الزهرى، عمرو بن العاص، سلمة بن المحرق (٢)، الفضل بن عباس، المغيرة بن شعبة، ابن سيرين، الأعمش، قتادة، محمد بن شجاع، مسيلمة، يزيد بن الأصم، عمار بن ياسر، عبد الرحمن بن عوف، زينب، زيد بن ثابت، حبير بن عاصم، جابر الأنصارى (١).

(١) السابق جـ١/١٢٨/١٦٦/٢٢٣، جـ٢/٣٠٣.

(٢) السابق جـ١/٢٢٧.

(٣) الفقيه أبو عبيد القاسم بن خلف الجبيرى المالكى (٣٧٨هـ): مقدمة فى الأصول، مسئلة من كتاب "التوسط بين مالك وابن القاسم فى المسائل التى اختلفا فيها من مسائل المدونة"، المقدمة فى الأصول، قراءة وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٢٠٧-٢١٥.

سبب مخالفة بعض أصحاب مالك له نظرا لحكمه على الحادثة خارج الأصول. وقد يختلف الحكم فى المسألة الواحدة بحيث لا يمكن الجمع بينهما وذلك لاختلاف الأدلة والشبهات، والفرق بين العلم والعمل. وهذا هو سبب خلاف أصدق أصدقائه عبد الرحمن القاسم له. وكانت الغاية من وضع هذه المقدمة ضبط المسائل المختلف عليها فى المدونة، وتوسط القول العدل بينها مع تأييد كل حكم بالأدلة الشرعية والعقلية، من الكتاب والسنة واتفاق الأمة أو إجماع أهل المدينة أو العبرة. و"مفتاح معالم التنزيل ومستقر دلائل التأويل" علم لا ينتهى(1). ومن ثم تتشكل بنية خماسية، إضافة لعمل أهل المدينة على الأدلة الشرعية الأربعة. ولأهمية ما تفرد به مالك يسمى الإجماع اتفاق الأمة، ويسمى عمل أهل المدينة "إجماع أهل المدينة" أشبه بالإجماع الخاص عند الشيعة إجماع "العترة" أى أئمة آل البيت. والحجج النقلية وأسماء الأعلام قليلة للغاية(2). وواضح هنا أولوية النقل على العقل وغياب الفعل.

٢- "الورقات" للجوينى (٤٧٨هـ)(3). مقال سيال صغير بلا أبواب أو فصول يعطى مادة علم أصول الفقه مرة واحدة فى عبارات بسيطة مجملة دون سجال أو جدل مع الآراء المخالفة والمذاهب المعارضة. هو أقرب إلى التعريفات والحدود، الحد الأدنى من الاتفاق على قواعد العلم وأصوله، الهيكل العام قبل أن يضيعه الجوينى فى "البرهان" مطولا، والغزالى تلميذه فى "المستصفى" مبرهنا عليه.

تغلب عليه التحديدات العقلية اللغوية وتعريف المصطلحات، وتغيب منه الحجج النقلية إلا فى أقل الحدود(4). والقرآن أكثر من الحديث. ويخلو من أسماء الأعلام والكتب. وهو النص

---

(١) وكان الدافع أيضا الامتثال لأمر الإمام الحاكم المستنصر بالله أمير المؤمنين المؤتمر بأمر الله الذى تفرد بالعلم والفضل ووصل خيره للقاضى والدانى، السابق ص٢١٤-٢١٥.

(٢) الآيات (٣)، مالك (١).

(٣) إمام الحرمين: الورقات، مجموع متون أصولية، طبع على ذمة محمد هاشم الكتبى وأخيه. يباع بالمكتبة الهاشمية بدمشق مع تعليقات مقتبسة من الشروح والحواشى فى العشر الأخير من رمضان بدمشق على يد جمال الدين القاسمى سنة ١٣٢٤ ص٢٧-٣٩. وله طبعة أخرى فى حاشية الدمياطى على شرح الورقات للعالم العلامة والحبر الفهامة وحيد عصره وفريد دهره الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى على شرح الورقات فى أصول الفقه للإمام جلال الدين المحلى رحمهما الله آمين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة (د.ت). ولا يتجاوز إثنى عشرة صفحة.

(٤) أربع آيات، ثلاث منها لضرب المثل بالمجاز، زيادة فى ﴿ليس كمثله شىء﴾، ونقصانا فى ﴿واسأل القرية﴾ واستعارة فى ﴿جدرا يريد أن ينقض﴾، ورابعة لدخول الكفار فى المخاطبين بفروع الشرائع فى ﴿قالوا لم تك من المصلين﴾، وخامسة فى الأفعال ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾، السابق ص٢٩-٣٠ . والأحاديث الأول فى الإجماع "لا تجتمع أمتى على ضلالة"، والثانى فى الاجتهاد "من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد"، السابق ص٣٤/٣٩.

الذى تحول فيما بعد بعد مزيد من الإسهاب وإبراز البنية فى "المستصفى" للغزالى.

فبعد تعريف العلم " أصول الفقه" تبرز أحكام التكليف لأول مرة قبل "المستصفى". وهى خمسة لا سبعة، الواجب والمندوب والمباح، والمكروه والمحظور، وإضافة الصحيح والفاسد اللذين سيصبحان خمسة فى "الموافقات" للشاطبى فى أحكام الوضع. ثم يتم تحديد الفقه والعلم والجهل والنظر والدليل وكأن أحكام التكليف جزءا من حدود العلم الأولى وأحد مداخله. ثم تبدو أبواب أصول الفقه من خلال أقسام الكلام، وهى مباحث الألفاظ، طرق الاستثمار بتعبير "المستصفى"، الأمر والنهى، الخاص والعام، المجمل والمبين، الظاهر (دون المؤول). وتدخل معها الأفعال، وهو الدليل الثانى، السنة، والناسخ والمنسوخ، وهو الدليل الأول، القرآن، ثم الإجماع، الدليل الثالث. ثم تظهر الأخبار، عودا إلى الدليل الثانى ثم القياس. ثم تظهر حدود أحكام التكليف من البداية فى النهاية مثل الحظر والإباحة. وتنتهى الموضوعات بملحق القياس مثل ترتيب الأدلة، وصفة المفتى والمستفتى وأحكام المجتهدين.

وتبدأ مباحث الألفاظ بما سماه "المستصفى" المبادئ اللغوية، الاسم والفعل والحرف، وقسمة الكلام إلى أمر ونهى وخبر واستخبار، وتمن وعرض وقسم، وحقيقة ومجاز، وقسمة الحقيقة إلى لغوية وشرعية وعرفية. ثم يظهر الأمر والنهى، والعام والخاص، ومعه الاستثناء والشرط والمقيد (دون المطلق) والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول. ثم تعود الأفعال. ثم يظهر النسخ ثم الإجماع ثم الأخبار وأخيرا القياس وأنواعه، قياس العلة وقياس الدلالة وقياس الشبه، وشروط العلة والحكم. وتعود أحكام التكليف، الحظر والإباحة، للظهور داخل الدليل الرابع قبل الانتهاء، باستصحاب الحال والأدلة وشرط المفتى والمستفتى، ونقد التقليد وإثبات الاجتهاد. وهنا يتقدم الفعل لأول مرة على العقل والنقل وكما سيتضح فى "المستصفى" للغزالى وربما لأولوية العمل على النظر فى التصوف.

٣- "التقريب والإرشاد" (الصغير) للباقلانى (٤٠٣هـ)[1]. وتغيب البنية فيه بالرغم من أنه شافعى ينتسب إلى "الرسالة" ويطورها. تغيب عنها القسمة الواضحة إلا من قسمة ثلاثية طبقا للأجزاء الثلاثة. الأول فى مباحث الألفاظ، والثانى فى الأمر والنهى، والثالث فى العموم والخصوص، وهى أيضا من مباحث الألفاظ. وبالتالى تغلب طرق الاستثمار على المستثمِر وهى الأدلة الشرعية الأربعة وعلى أحكام التكليف وهى الثمرة. أكبرها الثالث ثم الثانى ثم

---

(١) الباقلانى: التقريب والإرشاد (الصغير)، قدم له، وحققه وعلق عليه د. عبد الحميد بن على أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ثلاثة أجزاء).

الأول[1]. ومن ثم تكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل. وتتضمن بعض الأبواب فصولا بعناوين أو بدون عناوين. وقد يظهر لفظ "القول" أو "الكلام" قبل الباب مما يدل على قسمة أكبر[2]. وأحيانا تتفرد بعض العناوين بين الفصول والأبواب والقول والكلام[3].

وتتفاوت الأبواب من حيث الكم. أكبرها باب إثبات الأسماء العرفية في الجزء الأول. وكلها أقرب إلى الصغر[4]. وأكبرها في الجزء الثاني "أدلة من حمل "افعل" على الوجوب والرد عليهم"[5]. وأكبرها في الجزء الثالث "شبه القائلين بالعموم ورد الباقلاني عليها"[6]. والكتاب وجيز في مقابل الوسيط والكبير. فأنواع الشروح الثلاثة الأصغر والأوسط والأكبر التي عرف بها ابن رشد في شروحه مع أرسطو معروفة عند الأصوليين من أجل التركيز والإسهاب[7].

ومع ذلك يمكن الكشف عن بنية تتخلق، تبدأ بتحديد العلم والنظر كما هو الحال في علم أصول الدين[8]. ثم تظهر أحكام التكليف[9]. ثم يعود تحديد علم أصول الفقه ووجوبه وترتيبه وأقسامه ومباحثه قبل أن تبدأ مباحث الألفاظ[10]. وتضم الحقيقة والمجاز. وتحليل الأوامر أكثر من النهي[11]. والأوامر جمع والنهي مفرد. ويشمل العموم والخصوص، الاستثناء والمطلق والمقيد والبيان وبعض المفاهيم الأخرى مثل الشرط التي ستصبح في "الموافقات" جزءا من "أحكام الوضع". هناك إحساس بالبنية لا يتجاوز ترتيب العلم وأقسامه ومباحثه، مادة دون صورة[12].

---

(١) الثالث (عدد الفصول) (٦٢)، الثاني (٥٢)، الأول (٤٥). (عدد الصفحات): الثالث (٤٢٧)، الثاني (٣٦٤)، الأول (٢٨١).

(٢) مثل: القول في حقيقة الفقه وأصوله جـ١/١٧١، القول في حد العلم وحقيقته جـ١/١٧٤، القول في حد الحد جـ١/١٩٩، القول في الفصل بين الدليل والدال والمدلول له جـ١/٢٠٧، القول في أن النظر الصحيح لا يولد العلم جـ١/٢١١، القول في الوجوه التي من قبلها يخطئ الناظر في نظره جـ١/٢١٩، القول في الأمر ما هو؟ جـ٢/٥، القول في العموم والخصوص جـ١/٥. الكلام على القدرية في حد العلم جـ١/١٧٨، الكلام في أقسام العلوم جـ١/١٨٣، الكلام في الأوامر جـ٢/٥، الكلام في دليل الخطاب وأقوال العلماء فيه جـ٣/٢٣١.

(٣) السابق جـ١/٣٦٧-٣٨٧، جـ٢/١٢٤-١٢٩.

(٤) أصغرها صفحة واحدة.

(٥) السابق جـ٢/٥٠-٧٢.

(٦) السابق جـ٣/٢١-٥٠.

(٧) من النقل إلى الإبداع مجـ١ النقل جـ٣ الشرح.

(٨) السابق جـ١/١٧١-٢٣١.

(٩) السابق جـ١/٢٣٢-٣٠٢.

(١٠) السابق جـ١/٣٠٣-٣١٥.

(١١) الأوامر (٣١٢)، النهي (٥١) أي حوالي السدس.

(١٢) السابق جـ١/٣١٠-٣١٥.

ولما كان العلم مازال فى طور التشكل تغلبت عليه التعريفات والحدود بالرغم من أن الأبواب والفصول. تعطى عبارات شارحة أكثر مما تعطى تصورات وحدود. وتغيب الأدلة الأربعة كبنية متميزة. وتنضم كلها تحت مبحث الألفاظ. فالقرآن والسنة كمتن تخضع للمبادئ اللغوية. وباب "طريق معرفة مراده تعالى" أقرب إلى السنة كمتن، والرسول ومعجزاته وكلام الله المخلوق، وهى موضوعات كلامية وفلسفية وليست أصولية[1]. والقياس ممنوع فى الأسماء[2]. والإجماع غائب تماما.

والكتاب سجالى حجاجى. يعتمد منهج الجدل والكلام. فالعلم واحد هو علم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه. لذلك يرصد الباقلانى آراء المتكلمين والفقهاء معا. ويظهر أسلوب الردود على الشبهات، ورصد الأدلة وتفنيد أدلة الخصوم، وتخيل الاعتراض مسبقا والرد عليه. "فإن قيل... قيل". والأسلوب قطعى. يعرف الباقلانى الحق وهو فرقته الكلامية، الأشعرية، ومذهبه الفقهى، الشافعية. وبطبيعة الحال يتصدر المعتزلة فى الردود عليهم ثم الخوارج. الأصحاب والمشايخ هم أهل الحق، الفرقة الناجية وغيرها من الفرق الهالكة[3]. الأولى تقرر وتصحح، والثانية تزعم. الحق مع الأولى، أهل الحق، أهل السلف، والثانية الشذوذ من الفقهاء. والحق معروف سلفا كما تدل على ذلك المقدمات الإيمانية واللوازم مثل "إن شاء الله"، "الله أعلم"[4]. وتذكر بعض الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة والمجوس، والثنوية، والوثنيون والدهرية امتدادا لتاريخ الأديان من علم أصول الدين إلى علم أصول الفقه[5]. ولا يذكر أحمد بن حنبل ربما لعدم حضوره فى هذا الوقت المبكر مثل حضوره فى القرون المتأخرة. ويذكر من كل فرقة المتقدمين والمتأخرين بداية بلورة الوعى التاريخى[6].

---

(١) السابق جـ١/٤٢٩–٤٤٤.

(٢) السابق جـ١/٣٦١–٣٦٣.

(٣) فى الجزء الأول: المعتزلة (القدرية) (٢٤)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٨)، الخوارج (٧)، أصحابنا، الأشاعرة، شيوخنا أهل الحق (٦)، أصحاب أبى حنيفة، أهل العراق (٤)، البراهمة، المجوس (٣)، الدهرية، أهل الدهر (٢)، نوابت القدرية (١). الجزء الثانى: المعتزلة (القدرية) (٢٧)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٧)، أهل العراق (٥)، أهل الظاهر (٤)، أصحاب الشافعى (٢)، أصحاب أبى حنيفة، أصحاب مالك، أصحابنا، أهل الإثبات، أهل المدينة، أهل اللغة، البراهمة، الثنوية، المجوس، الوثنيون (١). الجزء الثالث: أهل اللغة (٣٤)، أهل العراق (١٤)، الشافعية (١٠)، المتكلمون (٩)، أهل الوقف، الحنفية، الفقهاء، القدرية (المعتزلة) (٨)، أصحاب العموم (٦)، المالكية (٥)، الأشاعرة (٢)، وستة فرق أخرى من بطون قريش.

(٤) السابق جـ١/٢٤٢.

(٥) هناك إمكانية دراسة الصلة بين العلمين عند المتكلمين الفقهاء مثل الجوينى فى "الإرشاد" و"البرهان"، الغزالى فى "الاقتصاد" و"المستصفى"، ابن حزم فى "الفصل" و"الأحكام"، القاضى عبد الجبار فى "المغنى" و"العمد".

(٦) جـ٣/١١٨/٣٠١/٣١٠.

ويجمع بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية. تكثر الأدلة العقلية في البداية حيث تعرض الأمور حول تحديد العلم والنظر، عرضا عقليا خالصا. وهنا يظهر الحجاج وتكثر ألفاظ الأدلة والبراهين والحجج والشبه. وكثيرا ما تنتهى الفقرات بلازمة "فصح بذلك ما قلناه" أو "فبطل ما قالوه" أو "فسقط ما قالوه". فالحجاج كله لإثبات صحة رأى النفس وإبطال الرأى الآخر[1]. وتوجد عناوين بأكملها للإبطال والرد. فهناك صواب وخطأ، حق وباطل، صحيح وفاسد مع أنها كلها مواقف اجتماعية وسياسية تبحث عن شرعيتها فى الفكر[2]. وهناك الدهماء أو الجمهور، فكر الأغلبية فى كل فرقة. فالفرقة ليست على رأى واحد. ويظهر فقه الأمصار والمناطق الجغرافية خاصة أهل العراق. وفى الأدلة النقلية تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية وتتكرر كأدلة[3]. وهى قصيرة كقضايا منطقية وليست طويلة تعبر عن تصورات إيمانية[4]. ويستشهد بكثير من الأشعار فى مباحث الألفاظ[5]. ويجمع بين القرآن والشعر[6]. كما تكثر الإحالة إلى لغة العرب وكلام العرب[7].

ومن أسماء الأعلام يتصدر المتكلمون والفقهاء واللغويون والشعراء والصحابة والسياسيون[8].

---

(١) السابق جـ٢، مثلا "فبطل ما قالوه" جـ٢/٢٩٢/٢٩٥/٢٩٦، "فلم يلزم ما قالوه" جـ٢/٢٩٩، فلنثبت ما قلناه" جـ٢/٣٠٠، "فصح ما قلناه" جـ١/٣٠.

(٢) إبطال الباقلانى لقول الجمهور أن "افعل" تكون أمرا لصيغتها جـ٢/١٢، ذكر الأدلة جـ٢/٥٠-٨٢/١٩٢-١٩٨/٢٠٢/٢١٦-٢٣١/٢٩٠-٢٩٢/٢٩٩-٣٠٧، أدلة المعتزلة جـ٢/١٦٠-١٦٣/٢٧٧-٢٨٢، ذكر الشبه جـ٢/١٢٤-١٣٠/٢٠٤-٢٠٨، إبطال أدلة جـ٢/٣٤١-٣٤٦/٣٥٩-٣٦٤، حجة جـ٢/٢٣٥، شبه جـ٣/٢١، إبطال جـ٣/٤٣-٥٠، أدلة جـ٣/٥٥-٦٣/١٤٨-١٥٧/١٧٢-١٧٣/٢٠٠/٢٩٤-٣٠١/٣١٢-٣١٨/٣٢٨-٢٣١/٢٣٨، حجية جـ٣/٧٣-٧٦، الرد جـ٣/٢٣٧-٢٤٢.

(٣) فى الجزء الأول: الآيات (٩١)، الأحاديث (١٩). فى الجزء الثانى: الآيات (١١١)، الأحاديث (٣٦). فى الجزء الثالث: الآيات (١٧٤)، الأحاديث (١٢٥)

(٤) السابق جـ٣/١٢٨.

(٥) فى الجزء الأول (١٤) جـ١/٣١٧/٣٣٣-٣٣٤/٣٤١/٣٧٩/٣٩٦/٣٩٨/٤٠٦، فى الجزء الثانى (١) جـ٢/٣٣، فى الجزء الثالث (١٢) جـ٣/١٣٩/١٣٤/١٣٨/٣١٣/٣٨١/١٣٤/١٣٩/٣١٣/١٤٤/٣١٣.

(٦) السابق جـ٣/١٤٣.

(٧) كلام العرب، السابق جـ١/١٧١/٣٨٧/٣٩٨/٣٩٩/٤٠٤، جـ٣/١٣٣، لغة العرب جـ٣/٣٤٢.

(٨) فى الجزء الأول: الأعشى (٢)، امرؤ القيس، ذو الرمة، الأسود بن يعفر، ابن الجبائى، أبو الهذيل، الحرث بن ظالم، سحبان وائل، سلمان الفارسى، سيبويه، على بن أبى طالب، المزنى، معاوية، وابصة، يزيد بن حجية (١). وفى الجزء الثانى: أبو شمر المرجئى الحنفى، الشافعى الكرخى (٤)، ابن الجبائى (٣)، أبو سعيد بن المعلى، البلخى، الجبائى، عبد الرحمن بن عوف (٢)، أبو عمر، أبو الحسن الأشعرى، أبو برده، الأقرع، أم سلمة، يروع بنت داشق، بريرة، الجاحظ، حمل بن مالك، سراقة، ابن عباس، العنبرى، عيسى بن أبان الحنفى، ماعز بن مالك، مسيلمة (١). وفى الجزء الثالث: الشافعى (١٠)، عمر بن الخطاب (٨)، ابن سريج،=

فالشعر به تفسير القرآن. واللغة تقدم منطقه. والمتكلمون والفقهاء ينظرون عقيدته وشريعته. ورجال السياسة يعطون الخلفية السياسية للمذاهب والفرق. ويحيل الباقلانى إلى باقى أجزاء العمل مما يدل على وحدته الداخلية، ما سبق، وما يأتى[1]. كما يحيل إلى باقى أعماله مما يدل على وحدة مشروعه الفكرى. ثم يحال إلى أعمال الآخرين السابقين عليه بلورة للوعى التاريخى مثل "أحكام القرآن" للشافعى والذى كانت "الرسالة" مقدمة له[2].

٤- "تقويم النظر" لابن البرهان (٥٩٢هـ)[3]. وهو عنوان مشابه لعنوان الدبوسى"تأسيس النظر" فليس الغاية منه تأسيس الأصول وإيجاد بنية لعلم أصول الفقه بعد أن أحكمها "المستصفى" بل الغاية إدخال الأصول فى علم المنطق لتعميق مباحث القياس فى علم الأصول باعتباره نظرية فى الاستدلال، وإدخال المنطق فى علم الأصول لتوسيع مفهوم المنطق بحيث يشمل الأدلة الثلاثة الأخرى. وهذا ما سمى "تقويم النظر" أى تعميقه من ناحية الاستدلال، وتوسيعه من ناحية الأدلة. ولما كان علم الأصول يجمع بين اللغة فى مباحث الألفاظ والمنطق فى القياس فقد غلب على الكتاب المنطق واللغة. كما أن المنطق يجمع بين اللغة فى المقولات والعبارة وأشكال القضايا فى التحليلات الأولى والتحليلات الثانية لدرجة أنه يصعب الحكم على المنطق هل هو منطق لغة أم منطق تصورات؟ ويتسم بالاختصار الشديد وكأنه أقرب إلى رسائل التعريفات وتحديد معانى الألفاظ. ولا غرابة فى الجمع بين تحليل مخارج الحروف كما هو معروف فى علم الأصوات وحساب الجمل ومعرفة تاريخ مولد الشافعى ووفاته وبعض الصحابة عن طريق حساب الحروف[4].

=عبد الله بن عباس، على بن أبى طالب، عيسى بن أبان (٥)، على بن إسماعيل الأشعرى (٤)، أبو بكر الصديق، عبد الله بن عمر، عبد الله بن قيس، الجبائى، النعمان بن ثابت (٣)، عائشة، عباد بن الصامت، عبد الرحمن بن صخر، فاطمة بنت قيس، ماعز بن مالك (٢). وهناك عشرات أخرى ذكرت مرة أخرى مثل أبو بكر الصيرفى، أنس بن مالك، أويس القرنى، النابغة الذبيانى، زيد بن ثابت، أبو سعيد الخدرى، سعد بن أبى وقاص، عمر بن عبد العزيز، القفال الشاشى.. الخ.

(١) السابق جـ٢/١٧٥/١٨٥/٢٦٠/٣٥٣، جـ٣/٥٦/٦٣/٨٢/٨٥/٨٨/١٥٥/١٣١/١٨١/٢٢٠/٢٣٥/٢٥٨/٣٥٧/٣٧٧.

(٢) من كتب الباقلانى يحيل فى الجزء الأول إلى: الأصول الكبير، الأصول الأوسط، الفرق بين معجزات الرسل وكرامات الأولياء، تعريف عجز المعتزلة عن إثبات دلائل النبوة وصحتها على مذاهب المثبتة (١)، السابق جـ١/٤٢٠/٤٣٩/٤٠٧. وفى الجزء الثانى: التقريب والإرشاد الكبير، الأوسط، إعجاز القرآن، الأمالى، الإمامة ثم أحكام القرآن للشافعى. وفى الجزء الثالث يحيل إلى الكتاب الكبير له (٥).

(٣) محمد بن على بن شعيب ابن البرهان: تقويم النظر، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الفتاح أحمد الفاوى، القاهرة ١٩٩٢.

(٤) السابق ص١٨٩.

لذلك تقل الشواهد النقلية، وتكثر التعريفات العقلية. ومع ذلك يكثر الاستشهاد بالشعر فهو الرصيد الثانى لمباحث الألفاظ بعد اللغة[1]. ويتقدم الشافعى على أبى حنيفة وما سواه، الشعراء أو أحد الصحابة[2].

وفى نفس الوقت هو محاولة للجمع بين المذاهب الفقهية الأربعة فى نظرية لغوية واحدة تتجاوز الخلافات المذهبية بالرغم من تقديم الشافعى عليها، فالمؤلف شافعى وليس "شفعويا"[3].

لم يحص أصولا أو قواعدا بل وضع عدة فقرات فى موضوعات متفرقة مرتبطة فيما بينها بموضوعات اللغة والمنطق[4]. وتظهر بين الحين والآخر ألفاظ مثل "تفهيم"، وهو الأغلب، أو فصل أو إشارة أو مقدمة وهو الأقل[5]. وتتداخل الموضوعات، تحضر وتغيب. إذ تبدأ اللغة باللفظ والمعنى وعيوب اللسان وأقسام الكلام، ثم تتحول إلى منطق التصورات مثل الكلى والجزئى، والقوة والفعل، والموضوع والمحمول. والأسماء الخمسة هى الجامع بين الألفاظ والتصورات. ثم تظهر أنواع القضايا وأشكال القياس وترتبط به بعض مباحث العلة والدلالة من القياس الفقهى. ثم تأتى مباحث الألفاظ من علم الأصول مثل الخاص والعام والأمر والنهى والظاهر والمؤول، والمنطق والمفهوم. وينتهى بالمنقول والنسخ.

٥- **"النبذ فى أصول الفقه الظاهرى" لابن حزم (٤٥٦هـ)**[6]. للتخلص من الإسهاب

---

(١) القرآن (٣)، الحديث (٢)، الشعر (١٣).

(٢) الشافعى (٣)، أبو حنيفة (١)، خالد الهذيلى، على بن أبى الغدير القنوى (١)، ابن مسعود (١).

(٣) "ثم جمعت هذه الأوراق ووسمتها "بتقويم النظر". يشتمل على مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية ناقصة بعد مقدمات تعين على النظر فى ذلك، وجعلته يشتمل على المذاهب الأربعة مقدما مذهب الشافعى..".

(٤) وهى واحد وأربعون عنوانا على النحو الآتى: ١- االفظ والمعنى ٢- عيوب اللسان ٣- أقسام الكلمة ٤- أقسام الكلم ٥- الجزئى والكلى ٦- الاسم المحصل والمعدول ٧- أقسام الاسم من حيث المعنى ٨- القوة والفعل ٩- الموضوع والمحمول ١٠- الكليات الخمس ١١- أنواع الدلالات ١٢- القياس وأنواعه ١٣- الصفقة المحصلة والمعدلة ١٤- الكم والكيف ١٥- أجزاء القضية ١٦- جهة القضية ١٧- تقابل القضايا ١٨- عكس القضايا ١٩- استعمال الحروف ٢٠- أجزاء القياس ٢١- أشكال القياس ٢٢- القياس الشرطى ٢٣- مقدمات القياس ٢٤- الفرق بين برهانى العلة والدلالة ٢٥- أمهات المطالب ٢٦- وجه الدليل ٢٧- المقصود بالأمر ٢٨- المقصود بالعام ٢٩- المقصود بالمطلق ٣٠- المقصود بالنص ٣١- المقصود بالظاهر ٣٢- المقصود بالتأويل ٣٣- المقصود بالمجمل ٣٤- المقصود بالمنطوق ٣٥- المقصود بالمفهوم ٣٦- مفهوم بالخطاب ٣٧- تنقيح المناط ٣٨- تأثير العلة ٣٩- تقويم العلة وتوابعها ٤٠- المنقول ٤١- النسخ.

(٥) تفهيم (١٩)، فصل، مقدمة، إشارة (١).

(٦) الإمام الحافظ على بن أحمد بن حزم الأندلسى القرطبى الظاهرى: النبذ فى أصول الفقه الظاهرى، عرف الكتاب وعلق على حواشيه أستاذ المحققين العلامة المحدّث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن=

والتطويل والتفريع والجزئيات قرر ابن حـزم نفسـه تلخيصـه. فالإحكـام كتـاب تقص لا كتـاب إيجاز. ويعتبر أن الخصوم قد شغبوا وأطالوا، فشغب بشغب، وإطالة بإطالة[1]. بل أنه أقرب إلى التفصيل والشرح منه إلى التلخيص بمقارنة الأبواب فـي "الإحكـام"، والفصـل فـي "النبـذ". أمـا بمقارنة الفصول فإن "النبذ" تعتبر اختصارا للإحكام. وربما لا يكون ملخصا أو تلخيصا أو تعديلا بل هو تأليف جديد لأن الفصـول بـين "الإحكـام" و"النبـذ" غـير متطابقـة. والـترتيب مختلـف. فالبداية فى "النبذ" بالإجماع، وفى "الإحكام" بالبيان أى مباحث الألفـاظ بعـد المقدمـة اللغويـة التى أصبحت فى "النبذ" مقدمـة إيمانيـة خالصـة[2]. أراد ابـن حـزم أن يكـون تمـهيدا ومدخـلا "للإحكام" والإلمام بأصول المذهب بأسرع طريق، ولكن أتى بموضوعـات جديـدة للاسـتدلال علـى المذهب ليست فى "الإحكام"، وتكثر فيه الآيات القرآنية أكثر مـن الأحـاديث النبويـة. فـالقرآن أصل والحديث فرع. والقرآن متواتر، والحديث متواتر وآحاد.

وكما تغيب البنية فى "الإحكام" تغيب أيضـا فـى "النبـذ"، وتسـتعمل الأصـول والمبـادئ، للإعلان عن الموقف المذهبى لأهل الظاهر. ومع ذلك تتخلق البنية جزئيا بداية بالإجماع، الدليـل الثالث، ثم الأخبـار أى السـنة، الدليـل الثـانى، ثـم بإبطـال الـرأى والقيـاس والتعليـل ودليـل الخطاب والمفهوم. أما القرآن، وهو الدليل الأول، فيعرض من خـلال الأخبـار، الدليـل الثـانى، فى موضوع التشابه[3].

خامسا: تفريع البنية.

١- **"اللمع فى أصول الفقه" للشيرازى (٤٧٦هـ)**[4]. وقد تم تـأليف "اللمـع" اختصـارا لكتاب "التبصرة" بناء على سؤال[5]. وتبين خطة الكتاب بيان العلم والظن ومـا يتعلـق بـهما مـن

=الكوثرى، وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا. وقف على طبعـه وراجـع أصلـه السيد عـزت العطار الحسينى مؤسس ومدير مكتبة نشر الثقافة الإسلامية من أقدم عصورها حتى الآن، الخانجى، القاهرة ١٩٤٠.

(١) "لكن شغبوا وأطالوا، فوجب تقصى شغبهم. إذ كتابنا هذا كتاب تقصى لا كتاب إيجـاز"، الإحكـام جــ٥/٧٩٤، "ويكون إن شاء الله عز وجل درجة إلى الإشراق على ما فى كتابنا الكبير فى ذلك"، النبذ ص٦.

(٢) النبذ ص٦-٧.

(٣) السابق ص٢٣٨.

(٤) الإمام أبو اسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزبادى الشافعى: اللمع فى أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥) "سألنى بعض إخوانى أن أصنف له مختصرا فى المذهب فى أصول الفقه ليكـون ذلـك مضافـا إلى مـا عملـت مـن "التبصرة" فى الخلاف. فأجبته إلى ذلك إيجابا لمسألته وقضاء لحقه. وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لابـد منـه من الدليل. فربما وقع ذلك إلى ما ليس عنده ما عملت من الخلاف"، اللمع ص٣.

النظر والدليل[١]. "اللمع" فى الاتفاق، و"التبصرة" فى الاختلاف. اللمع فى الأصول والقواعد، و"التبصرة" فى اختلاف المذاهب حولها.

وتتفرع البنية فيه. إذ ينقسم الكتاب إلى سبعة أقسام غير مرقمة بداية بلازمة "الكلام فى" أو "القول فى" ودون نسق عقلى واضح[٢]. يبدأ بمباحث الألفاظ، الأمر والنهى، والمجمل والمبين، ثم الكلام فى النسخ، وهو موضوع يتعلق بالمصدر الأول، القرآن، ثم القول فى الإجماع المصدر الثالث، ثم الكلام فى القياس المصدر الرابع، ثم القول فى التقليد والقول فى الاجتهاد، الأصل الرابع. وتتقدم مباحث الألفاظ من حيث الكم ثم القياس ثم النسخ وأقلهم الإجماع[٣]. ويغيب المصدر الثانى السنة. كما تغيب أحكام التكليف الخمسة، ثمرة العلم بتعبير "المستصفى". ومن ثم يكون للعقل الأولوية على النقل ويغيب الفعل.

ويتكون كل كلام أو قول من الأقوال السبعة من عدة أبواب[٤]. وتكثر الأبواب لدرجة أن تصبح كل فقرة بابا. وقد تتخلل الأبواب عبارات أخرى مثل "ذكر" أو "بيان"[٥]. ويتكون كل باب من عدة فصول مختلفة عددا. وبعضها بلا فصول[٦]. وغالبيتها بلا عنوان. وبعض الأبواب من فصل واحد. وبعضها بلا فصول على الإطلاق. وبعض الموضوعات خارجة عن الأبواب والفصول[٧].

الأدلة النقلية أكثر من العقلية، والقرآن أكثر من الحديث، ما يقرب من الضعف[٨]. ويستعمل الشعر كدليل على تفسير ألفاظ القرآن[٩]. ويتقدم أبو حنيفة والمعتزلة على غيرهم للجدال معهم باسم الأشعرية[١٠].

---

(١) السابق ص٣.

(٢) الكلام فى الأمر والنهى، الكلام فى المجمل والمبين، الكلام فى النسخ، الكلام فى القياس، القول فى الإجماع، القول فى التقليد، القول فى الاجتهاد.

(٣) الألفاظ (٤٣)، القياس (٣٩)، النسخ (٣٢)، الإجماع (٩).

(٤) عدد الأبواب: المقدمة (٦)، الأمر والنهى (١٧)، المجمل والمبين (٤)، النسخ (١٩)، الإجماع (٧)، القياس (١٣)، التقليد (٢)، الاجتهاد (٣).

(٥) اللمع ص٣١-٣٤.

(٦) عدد الفصول بالنسبة لعدد الأبواب: ١٨ فصل=باب واحد، ١٦=١، ١٤=١، ١٢=١، ١٠=١، ٩=٢، ٨=٢، ٧=٥، ٦=٢، ٥=٣، ٤=١٠، ٣=٩، ٢=١٣، ١=١٣، أبواب دون فصول ٨.

(٧) مثل بيان الخبر وصحته، اللمع ص٧١.

(٨) الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٤)، (بما فى ذلك التكرار)، الشعر (٢).

(٩) اللمع ص٤٦/٥٦.

(١٠) أبو حنيفة (٥)، المعتزلة (٤)، الأشعرية (٢)، الأشعرى (٢)، أبو اسحق المروزى (٣)، أبو بكر الصيرفى،=

٢- "تقويم الأدلة" للدبوسى (٤٣٠هـ)[1]. وتتفرع البنية أيضا فيه. إذ ينقسم إلى أبـواب وفصول وأقوال دون معرفة أيهما الأصل وأيهما الفرع[2]. ويغيب الترقيم كلية مما يدل على غياب "التمفصلات".

والعنوان يدل على الهدف "تقويـم الأدلـة" أى البحـث عـن الأسـس النظريـة للاسـتدلال، ووضع فلسفة للأصول، وتأسيس للنظر وكما يتضح ذلك فى كتابه الثانى "تأسيس النظر". يعنـى "تقويم" الضبط والتصحيح والتأسيس. يعتمد على التنظير المباشر لاعتماد الأحنـاف علـى العقـل. لذلك يغلب عليه التأمل النظرى، والانعكاف على الذات، والنظر إلى الداخل. ويبعد عن السجال ضد الفرق بالرغم من ظهور أسلوب "فإن قيل... قلنا". ومـع ذلـك يعتمـد علـى الأدلـة النقليـة، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والقرآن أكثر من الحديث أربعة أضعافه[3].ويستشهد بالشعر العربى وبكلام العرب ولسانهم وعاداتهم واستعمالاتهم اللغويـة[4]. والبدايـة بتحديـد مصطلحـات العلم، مما يبين أن العلم مازال فى مرحلة التكوين من حيث البنية والمصطلح.

ومع ذلك تبرز بدايات البنيـة فـى بعـض عنـاوين الأبـواب - البرنـامج التـى تفصّـل بنيـة موضوع جزئى داخل العلم الكلى مثل أنواع الحجج الشرعية، والحجج العقلية، والكلام، وأسماء الشرائع، والألفاظ، والحجج المحجوزة من الشرعيات[5]. ومنـهـا يمكـن رصـد تشكـل بنيـة غـير معلن عنها تقوم على تسـعة موضوعـات، الأدلـة الثلاثـة الأولى، ثـم الأمـر والنـهى مـن مبـاحث الألفـاظ، ثـم مـا يعـادل أحكـام التكليـف وأحكـام الوضـع، ثـم العـودة إلى العـام والخـاص، والظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ، ثم خبر الواحد المرتبـط بـالدليل الثـانى، ثـم النسـخ المرتبـط بالدليل الأول، ثم أفعال النبى المرتبطة بالدليل الثانى، فالسنة قـول وفعـل وإقـرار، ثـم القيـاس الدليل الرابع، ثم الأهلية أى الحقوق والواجبـات التـى تدخـل فـى مقـاصد الشـارع مثـل العقـل

=سفيان الثورى (٢)، الباقلانى، الكرخى، الدقاق، الشافعى، الحسن، عطاء الشعبى، النخعى، مالك، أحمـد، محمد بن الحسن (١).

(١) الإمام أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى الحنفى: تقويم الأدلة فى أصول الفقه، قدم له وصححه الشيخ خليل محيى الدين الميسى، مفتى زحلة والبقاع، مدير أزهر لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١.

(٢) باب القول (٨٢)، القول (٢٥)، الأصل (١٣)، "بدون عنوان (٧)، بعنوان (٦)".

(٣) الآيات (٤٥٩)، الأحاديث (١٢٣).

(٤) الشواهد الشعرية (١٠)، العرب (٢)، لسان العرب، اللسان (١).

(٥) القول فى أسماء أنواع الحجج، السابق ص١٣، القول فى أنواع التكلم ص٣٤، القول فى الحجـج المحجـوزة مـن الشرعيات ص١٦٨.

والتكليف[1]. وأكبرها القياس، وأصغرها أفعال النبى[2]. وهنا تكون الأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل.

وبالرغم من أن المؤلف حنفى إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكرا. فقد فاق التلميذ الأستاذ، وفرض نفسه على العلم فى "الرسالة"[3]. ثم يأتى أبو حنيفة مؤسس المذهب ثم محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، ثم أبو يوسف، ثم الكرخى، ثم الجصاص، ثم زفر وعيسى بن أبان، وإبراهيم النخعى من أعلام الحنفية، والفراء من النحويين.

وبالرغم من الطابع النظرى التأملى الخالص إلا أنه يحاور المذاهب. والمذهب الصحيح "مذهبنا" ضد الخصوم. ويتحدث عن "علماؤنا" وأصحابنا فى مقابل العلماء والفقهاء والعقلاء وأهل الحديث وأهل العلم وأهل النظر والصحابة. ويكون أحيانا على التبعيض مثل جمهور العلماء، جماعة العلماء، بعض أهل الحديث نظرا للفروع داخل كل طائفة[4]. فهناك صحيح وفاسد، صواب وخطأ[5]. ومازال الجدل مع المتكلمين خاصة الحشوية والخوارج. ويذكر النظام لإنكاره الإجماع[6]. بل تذكر الفرق غير الإسلامية كالنصارى واليهود والمجوس وأنبياؤهم عيسى وزرادشت مع المسلمين كفرقة وأنبياؤهم نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط[7]. بل وتذكر بعض الفرق الأصولية مثل الطردية[8].

---

(١) ١- القول فى أسماء أنواع الحجج ص١٣-٣٣، ٢- القول فى أنواع التكلم وضعا وتفسيرها حقا ص٣٤-٦٠، ٣- القول فى بيان أسباب الشرائع ص٦١-٩٣، ٤- القول فى أسماء الألفاظ فى حق قدر تناولها المسميات وحكمها فيما تناوله ص٩٤-١٦٩، ٥- باب القول فى الخبر الواحد ص١٧٠-٢٢٧، ٦- باب القول فى النسخ تفسيرا وجوازا ص٢٢٨-٢٤٦، ٧- باب القول فى أفعال النبى ص٢٤٧-٢٥٩، ٨- باب القول فى القياس ص٢٦٠-٤١٦، ٩- باب القول فى حين أهلية الآدمى لوجوب الحقوق المشروعة عليه، وهى الأمانة التى حملها الانسان ص٤١٧-٤٦٨.

(٢) القياس (١٥٧)، العام والخاص، والظاهر والمؤول (٧٦)، خبر الواحد (٥٩)، مقاصد الشارع (٥١)، أحكام التكليف والوضع (٣٣)، الأمر والنهى (٢٧)، الأدلة الشرعية الثلاثة الأولى (٢١)، النسخ (١٩)، أفعال النبى (١٣).

(٣) الشافعى (٤٤)، أصحاب الشافعى، مشايخ الشافعى (١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشيبانى (١٩)، أبو يوسف (١٣)، الكرخى (٧)، الجصاص، أبو الحسن (٢)، الفراء، زفر، عيسى بن أبان، إبراهيم النخعى (١).

(٤) علماؤنا (٤٦)، أصحابنا (٢)، مذهبنا، خصمنا (١)، الفقهاء، جمهور العلماء (٤)، العلماء، العقلاء (٢)، بعض أهل الحديث، بعض العلماء، أهل العلم، جماعة العلماء، أهل النظر، الصحابة (١).

(٥) الصحيح (٣).

(٦) الحشوية (٣)، المتكلمون، الخوارج، النظام (١).

(٧) اليهود (٢)، المجوس، عيسى، زرادشت (١).

(٨) تقويم الأدلة ص٣١٢.

وتبرز وحدة العمل فى إحالته إلى نفسه تذكيرا بالسابق وإنباء باللاحق[1]. كما يوضع العمل فى إطار المشروع الفكرى للمؤلف عندما يحيل إلى باقى أعماله مثل "الأمد الأقصى" و"خزانة الهدى" و"الهداية"[2]. وتوضع مساهمته فى إطار العلم والسابقين عليه مثل "الرسالة" للشافعى و"كتاب الإكراه" و"الاستحسان" للشيبانى[3]. ويتبلور الوعى التاريخى بالعلم والخلاف بين المتقدمين والمتأخرين، والتحول من اللابنية إلى البنية، والانتقال من النظرية الجزئية إلى المذهب المتكامل[4].

٣- "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ)[5]. ويتفرع إلى اثنى عشر قسما دون ترقيم ودون مفهوم ودون تصور مثل "أصل" أو "دليل"، بل مجرد "الكلام فى" دون اطراد، وفى تسعة أقسام فقط[6]. ومرة أخرى يستبدل "الكلام فى" بلفظ "أبواب" مثل "أبواب العموم والخصوص". ومرة أخرى دون "الكلام فى" أو "أبواب" ذكرا للموضوع مباشرة "المجمل والمبين"[7]. وأحيانا تظهر كلمة "فصول" دون أى دلالة. وهى القسمة الشائعة فى الزيادات وفى كتاب القياس الشرعى. وهناك "باب" كمقدمة و"كتاب" لوضع الزيادات ويلحق به "كتاب القياس الشرعى" وهو كتاب مستقل[8]. أكبرها "القياس والاجتهاد"، فالكتاب معتزلى ثم "الأخبار" نظرا لإشكال العلاقة بين القياس وخبر الواحد حين التعارض ثم "الأوامر" أهم مبحث من مباحث الألفاظ دون "النواهى"، ثم العموم والخصوص معا، ثم الإجماع المصدر الثالث للتشريع ثم "المفتى والمستفتى" الذى يوضع عادة من لواحق الاجتهاد، ثم "الناسخ والمنسوخ" الذى يذكر عادة مع المصدر الأول، الكتاب، ثم "الحظر والإباحة" من أحكام التكليف، ثم

---

(١) تقويم الأدلة ص٣٠٦/٣٠٢.

(٢) الأمد الأقصى (٣)، خزانة الهدى، الهداية (١)، السابق ص٩/١١/٤٥٩.

(٣) السابق ص ٨٦/٢١٩/٢٣٩.

(٤) "وليس عن أصحابنا المتقدمين مذهب ثابت" السابق ص٢٥٦.

(٥) أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى: كتاب المعتمد فى أصول الفقه، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله بتعاون محمد بكير وحسن حنفى (جزءان)، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية، دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٦) الكلام فى الأوامر، الكلام فى النواهى، الكلام فى الأفعال، الكلام فى الناسخ والمنسوخ، الكلام فى الإجماع، الكلام فى الأخبار، الكلام فى القياس والاجتهاد، الكلام فى الحظر والإباحة، الكلام فى المفتى والمستفتى.

(٧) أبواب العموم والخصوص السابق جـ١ ص٢٠٣-٣١٥، المجمل والمبين جـ١ ص٣١٦-٣٦٢ ومرة فصول الأمر السابق ص٤٣، فصول الناسخ والمنسوخ ص٣٩٣، فى فصول الإجماع ص٤٥٧، زيادات المعتمد ص٦٩٣-٩٩٩، القياس الشرعى ص١٠٣١-١٠٤٦.

(٨) باب جـ١ ص٦-٤٢، كتاب زيادات المعتمد جـ٢ ص٩٩٣-١٠٣٠، كتاب القياس الشرعى جـ٢ ص١٠٣١-١٠٥٠.

"المجمل والمبين" عودا إلى مباحث الألفاظ، ثم "الأفعال" دون الأقوال وهو من موضوعات المصدر الثانى السنة، السنة الفعلية، وأخيرا "النواهى" أصغرها منفصلة عن "الأوامر"[1].

وتتشكل بنية العلم خلال هذه الأقسام يبدو أن الأولوية مازالت لمباحث الألفاظ، الأوامر والنواهى، العموم والخصوص والمجمل والمبين، وهى الأقسام الأربعة الأولى. ثم تظهر الأدلة الأربعة بعد ذلك فى الأقسام السبعة الباقية دون ترتيب. الدليل الثانى وهو السنة فى الأفعال، القسم الخامس، والأخبار، القسم الثامن. والدليل الأول، الكتاب فى الناسخ والمنسوخ، القسم السادس. والدليل الثالث الإجماع فى القسم السابع، والدليل الرابع، القياس أو الاجتهاد فى القسم التاسع، والمفتى والمستفتى فى القسم الحادى عشر ثم القياس الشرعى، الكتاب المستقل. أما أحكام التكليف، وهى الثمرة فتظهر داخل الدليل الرابع بعنوان الحظر والإباحة، القسم العاشر. فمن حيث الأولوية تأتى مباحث الألفاظ أولا قبل الأدلة الشرعية أى طرق الاستثمار قبل المستثمر أما الثمرة فأقلها وهى أحكام التكليف بتشبيه "المستصفى". ومن حيث الكم أيضا تأتى مباحث الألفاظ أولا، القياس ثانيا، والسنة ثالثا، والإجماع رابعا، والقرآن خامسا، وأحكام التكليف سادسا[2]. فالأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل أيضا.

ونظرا لعدم استقرار العلم بعد فقد تميز الأسلوب بالإسهاب بالرغم من قصر الأبواب، وعدم التركيز. مازال الفكر يدور حول نفسه باحثا عن أصل أو قاعدة أو ركن حتى تتخلق البنية. وإذا ظهرت القواعد فلتأسيسها وإخضاعها لنقاش نظرى قبل البناء عليها[3]. لذلك يتم تفصيل المسائل إلى درجة التناهى فى الصغر، فتضيع القاعدة الكلية فى زمام التفصيلات قبل أن تخرج القاعدة من شرنقتها. لذلك أتى أقرب إلى "الأمالى" مثل "المغنى فى أبواب التوحيد والعدل" لأستاذه القاضى عبد الجبار. ويبحث الفكر عن الاتساق، وتطابق المقدمات مع النتائج. ويرد على الاعتراضات مسبقا فى صيغة "فإن قيل... قلنا"، وذكر الرأى والرأى الآخر. فهو كتاب حجاجى مازال خاضعا لمنهج الجدل الكلامى. وترصد الأدلة تباعا، وتحصر حجج المعارضين. وهناك أكثر من طريقة فى الاستدلال فى صيغة "طريقة أخرى". وأحيانا تكون صيغة السؤال والجواب،

---

(١) القياس والاجتهاد (١٧٨ص)، الأخبار (١٤٩)، الأوامر (١٣٨)، العموم والخصوص (١١٥)، الإجماع (٨٤)، المفتى والمستفتى (٦٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١)، المجمل والمبين (٤٧)، الأفعال (٣٠)، النواهى (٢٠)، القياس الشرعى (٢٠)، الزيادات (٣٥).

(٢) الأوامر والنواهى، العموم والخصوص، المجمل والمبين (٣٢٠)، القياس والاجتهاد، المفتى والمستفتى، كتاب القياس الشرعى (٢٦٢)، الأفعال، الأخبار (١٧٩)، الإجماع (٨٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١).

(٣) وهو ما يمكن تسميته Meta-axiomatics.

والاعتراضات والردود. ومن ثم طغى أسلوب الحجاج الكلامى والسجال مع الفرق خاصة الشافعية التى ترتكن إلى الأشعرية أكثر من السجال مع الحنفية لأنها من نفس الاتجاه العقلى أو المالكية لأن المصالح العامة متوارية وراء الاتساق النظرى. فى حين أن "المستصفى" هو الذى أبرز القاعدة أولا ثم قدم لها بالخلافات النظرية حولها من آراء الفرق الكلامية.

ولما كان الاتساق النظرى هو السمة الغالبة على الخطاب الأصولى ظهرت الأدلة النقلية إلى أقل حد ممكن، آيات قصيرة، داخل الخطاب النظرى كسند فرعى وليس كدليل نظرى. فالعقل أساس النقل كما هو معروف فى الاعتزال. ويظهر القرآن أكثر من الحديث بحثا عن الأصول النظرية والقواعد العامة. ويغيب الشعر. فالعقل يكفى دون الخيال.

ويقل المضمون لصالح الشكل، ويغيب المحتوى لصالح صورة الفكر. على عكس "الموافقات" للشاطبى فيما بعد التى غلبت المضمون على الشكل، والموضوع على الصياغة. فقد اكتفى "المعتمد" بتحليل صيغ القول أكثر من مضمون القول. وللتخفيف من حدة هذا العرض النظرى المجرد ضربت الأمثال بالعبارات كما هو الحال فى مدارس تحليل اللغة المعاصرة حتى ولو كان ضربا للأمثال للخطاب القرآنى أو الحديث النبوى. ونظرا لغياب القواعد والأصول تم ربط الفقرات آليا بطريقة مصطنعة للإعلان عن القادم.

ومازال "الله" باديا فى الخطاب الأصولى، ولو أن لفظ "الحكيم" يجاوره. فلغة أصول الدين لم تختف بعد فى علم أصول الفقه بالرغم من التمييز بين العلمين، وتسمية الشاطبى "الله" "الشارع" أى واضع الشريعة نظرا لأنها شريعة وضعية لها أسسها فى العالم وليست فقط تعبيرا عن الإرادة الإلهية كما هو الحال فى علم الكلام(١).

ومن حيث أسماء الأعلام يأتى قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى أستاذ أبى الحسين البصرى فى المقدمة، ثم أبو عبيد الله وأبو على وأبو هاشم وكلهم من المعتزلة مما يدل على المصدر الاعتزالى(٢). ثم يأتى أئمة المذاهب الشافعى وأبو حنيفة دون مالك وابن حنبل أى دون المصلحة والنص، ثم الصحابة. ويذكر بعض متكلمى المعتزلة مثل النظام وأبو الهذيل والجاحظ والخياط.

---

(١) وهذا هو نفس الانطباع القديم الذى أخذته من "المعتمد" وأنا بصدد نشره فى أوائل الستينات فى باريس بالاشتراك مع برنشفيج الذى تنازل إلى "حميد الله"، وكان قد قطع شوطا أكبر فى التحقيق، ومحمد بكير من تونس. وقد طبع من جديد فى المكتبة العلمية فى بيروت دون أخذ إذن المحققين الأوائل.

(٢) قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى (٢٤٠)، أبو عبيد الله المعتزلى (٥١)، أبو على المعتزلى (٤٩)، أبو هاشم المعتزلى (٤٧)، أبو الحسن الكرخى (٤٤)، عمر بن الخطاب (٤٣)، الإمام الشافعى (٤١)، ابن عباس (٢٣)، أبو بكر الصديق (٢٠)، أبو حنيفة النعمان (١٩)، على بن أبى طالب، معاذ بن جبل (١٥)، عيسى بن أبان (١١).

ومن الحنفية أبو الحسن الكرخى وعيسى بن أبان(١).

ومن الفرق والمذاهب والأصحاب يأتى أولا الفقهاء ونظرا لأن الأصول هو تجريد للفقه، ثم أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة وأهل اللغة الذين يعتمد عليهم الأصوليون فى مباحث اللغة كمدخل للعلم، ثم أصحابنا من المعتزلة، وشيوخنا المعتزلة، وشيوخنا البغداديون وأهل العراق، ثم أهل الظاهر وأهل القبلة، والحنفية(٢).

ومن أسماء الكتب كمصادر للمعتمد يذكر بطبيعة الحال كتاب الشرح ثم كتاب الدرس ثم كتاب العمد والنهاية للقاضى عبد الجبار ثم شرح العمد وكتاب القياس الشرعى لأبى الحسين البصرى ثم كتاب مختصر المعتمد لسليمان بن ناصر، والرسالة للشافعى وكتب أصول أخرى مفقودة مثل إثبات القياس لعيسى بن أبان، والاجتهاد لأبى على الجبائى، والأصول للإمام محمد، و"جوامع الأدلة" لأبى طالب الزيدى(٣). وهناك كتب أخرى فى التاريخ والتفسير والحديث والكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل خاصة إنجيل يوحنا. وهناك وثائق تاريخية معروفة كمصادر لعلم الأصول مثل كتاب عمر لأبى موسى الأشعرى(٤).

٤- **"الفقيه والمتفقه" للبغدادى (٤٦٣هـ)(٥)**. وتتفرع البنية أيضا إذ ينقسم إلى إثنى عشر جزءا بإعلان رسمى عن نهاية جزء وبداية آخر بشرط الإجازة والمناولة والكتابة كالوثائق الشرعية، دون منطق واضح(٦). فقد ينقسم موضوع واحد بين جزأين مثل التفقه فى الدين، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والإجماع، والقياس، والسؤال والجواب(٧). وقد يمتد

---

(١) النظام (٦)، أبو الهذيل (٣)، ابن علية المعتزلى، الجاحظ (٢)، جعفر بن حرب المعتزلى، جعفر بن مبشر المعتزلى، أبو الحسين الخياط (١).

(٢) الفقهاء (٣٣)، أصحاب الشافعى (٢٣)، أصحاب أبى حنيفة (٢٠)، أصحابنا المعتزلة (١٦)، شيوخنا المعتزلة (٩)، شيوخنا المتكلمون (٧)، أهل العراق (العراقيون) (٦)، شيوخنا البغداديون (٢)، البغداديون (١)، أهل الظاهر (١٢)، أصحاب الحديث (٦)، أهل القبلة (٥).

(٣) كتاب الشرح (٣٨)، كتاب الدرس (١٣)، كتاب العمد (١٠)، كتاب شرح العمد (٨)، كتاب القياس الشرعى (٣)، كتاب مختصر المعتمد، الرسالة (٣).

(٤) التوراة (١٠)، اللاويون (٢)، التثنية، الخروج، الإنجيل، إنجيل يوحنا (١). الاستيعاب لابن عبد البر، أنساب الأشراف للبلاذرى، التفسير لابن كثير، صحيح البخارى (٢)، سنن ابن ماجة، كتاب الكوفة لعمر بن شبة(١).

(٥) الحافظ المؤرخ أبو بكر الصيرفى أحمد بن على بن ثابت الطيب البغدادى: كتاب الفقيه والمتفقه (جزءان فى مجلد واحد)، قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى، عضو دار الإفتاء، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت).

(٦) السابق جـ١/٣٩-٤٠/٧٧-٧٨/١١٦/١٥٦-١٥٨/١٩٦-١٩٧/٢٣٥-٢٣٦، جـ٢/٣٨/٧٤/١١٤/١٤٦/١٧٥/٢٠٥.

(٧) الناسخ والمنسوخ جـ١/٨٠-٨٦/١٢٢-١٣٠، المجمل والمبين جـ١/١١٤-١٢٢، الإجماع جـ١/١٥٤-١٧٧، القياس جـ١/١٧٨-٢١٠، جـ٢/٧-٥٣.

موضوع واحد فى أكثر من جزء مثل آداب الجدل كملحق لكتاب القياس[1]. وأكبرها القياس وملحقاته مثل الجدل والسؤال والجواب، وأخلاق الفقيه أكبرها. إذ يشمل الجزء الثانى كله تقريبا. ويبدو أن علم الأصول هو انتقال من الجدل الكلامى إلى القياس الأصولى، وأن القياس ما هو إلا تطوير للجدل. ويشمل الكتاب مباحث الألفاظ مثل المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهى، والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، ثم يعود العام والخاص من جديد. كما يضم الناسخ والمنسوخ. ثم تأتى السنة، الأقوال والأفعال، والأفعال أكبر. ثم يأتى الإجماع. وأصغرها تعريف الفقه وأصوله[2]. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل على حساب الفعل.

وبالرغم من جمال العنوان "الفقيه والمتفقه" وهو من حديث للرسول أى العاقل والمتعقل، إلا أنه يغلب عليه الرواية، وأقرب إلى الحديث منه إلى الفقه أو الأصول[3]. السند لا يقل أهمية فيه عن المتن.ويتحدث الراوى عن نفسه بصيغة المتكلم المفرد "أنا" بطرق الرواية القديمة محددا مذهبه وهو فى الغالب شافعى. فالكتاب أقرب إلى بدايات تنظير الآيات والحديث ووضعها فى أصول دون تجميع هذه الأصول فى بنية للعلم. وقد وضع الشافعى "الرسالة" بهذه الطريقة، البحث عن المعانى التى تجمع الأحاديث أو "أحكام القرآن"[4]. لا شأن له بالمذاهب الفقهية أو الكلامية أو السجال بينها. فالمؤلف مؤرخ ومحدث يعتمد على الرواية وليس على الدراية، وعلى النقل أكثر من العقل. بل وتتكرر الأحاديث طبقا لاختلاف رواتها. فصحة المتن من صحة السند[5]. والزيادة والنقصان فى المتن تؤثر فى منطق الاستدلال حتى تتم طبعات متقابلة للإصحاحات الخمسة لوضع منطق محكم للزيادة والنقصان فى المتن وتبريره بمنطق الإبداع وليس بصحة السند. فالكتاب أقرب إلى المادة منه إلى الصورة، إلى الفقه منه إلى الأصول، إلى الأدلة النقلية منه إلى "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسى. صحيح أن الأدلة النقلية تقل فى الجزء الثانى المخصص للقياس نظرا لطبيعة الموضوع ولكن دون أن يزيد الجانب النظرى الخالص. ويتم

---

(١) جـ٢/٢٥-٢٠٤.

(٢) أخلاق الفقيه (١١٧)، القياس (٥١)، الجدل (٣٩)، السؤال والجواب (٣٠)، مجموع الأصل الرابع (٢٣٧)، التفقه فى الدين (٥٢)، الكتاب ويشمل مباحث الألفاظ (٤٩)، الناسخ والمنسوخ (١٤)، السنة (٢٠)، الأفعال (٢٤)، الإجماع (٢٤)، الفقه وأصوله (٢).

(٣) السابق جـ١/٥ وتغلب هذه الثنائيات على باقى مؤلفاته كما تغلب على مؤلفات الآمدى مثل آداب السامع، المتفق والمفترق، السابق واللاحق، الفصل والوصل... الخ جـ١/ى.

(٤) أنظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص١٣١-٢٤٣.

(٥) السابق جـ١/١٢٩.

الاستشهاد بالشعر على أوسع نطاق وبكلام العرب ولسانهم[1].

وتختلط أسماء الرواة بالصحابة والتابعين والفقهاء لدرجة أنه يصعب معرفة المحاورين. ومع ذلك يتقدم الشافعى، ليس كأصوليا أو حتى فقهيا بل راويا. يتلوه أبو حنيفة. ويقل مالك وأحمد بن حنبل. ويظهر أصحاب أبى حنيفة مثل الأوزاعى وليس الشيبانى. ولا يظهر اسم المذهب "الشافعية" بل اسم الصفة "شافعى"، وليس الحنفية بل "أصحاب أبى حنيفة" مما يدل على أن المؤلف لا يهتم بالمذهب وبنيته وطرق استدلاله. ويكثر الشافعى فى القياس وأشكاله المختلفة مثل الاستحسان. ويذكرون فى قصص وروايات كأصحاب أقوال وليس كأصحاب مذاهب وآراء[2]. ويذكر المتكلمون والفرق غير الإسلامية كاليهود والنصارى خاصة فى النسخ مع الاستشهاد بآية من التوراة عن ضرب أيوب لزوجته[3]. ويتحدث عن المحدثين من المتكلمين مما يدل على بلورة الوعى التاريخى، وتقدمه من القدماء إلى المحدثين. ونادرا ما يتحدث عن الفقهاء.

٥- "المنخول من تعليقات الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)[4]. وفيه تتفرع البنية أيضا. وهو من تعليقات الجوينى ومن أوائل أعمال الغزالى وقبل "المستصفى" آخر أعماله. ويتكون من إثنى عشر كتابا[5]. وينقسم الكتاب إلى أبواب أو أبواب وفصول وقول أو فصول وقول أو مسائل وقول أو فصل أو فصول أو أقسام[6]. وينقسم الباب إلى فصول أو مسائل أو أقسام، والفصول إلى مسائل، والقول إلى مسائل أو فصول. وتتفاوت الكتب كما. أكبرها القياس وأصغرها الاجتهاد، بالرغم من حرصه على "القول الوجيز"[7]. وتبدأ الكتب بكتاب البيان تحت تأثير الشافعى أى بمباحث

---

(١) الشعر (٣٠)، لغة العرب، كلام العرب (٦).

(٢) الشافعى (٤٣)، شافعى (١)، أبو حنيفة (١٠)، أصحاب أبى حنيفة (٣)، الحنفيون (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، الأوزاعى (١).

(٣) المتكلمون (٢)، الفقهاء (١)، اليهود والنصارى (١١).

(٤) الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى: المنخول من تعليقات الأصول، حققه وخرج نصه وعلق عليه محمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت (د.ت).

(٥) وهى: ١- البيان ٢- الأوامر (والنواهى) ٣- العموم والخصوص ٤- التأويل ٥- المفهوم ٦- الأخبار ٧- النسخ ٨- الإجماع ٩- القياس ١٠- الترجيح ١١- الاجتهاد ١٢- الفتوى.

(٦) تنقسم الكتب الأولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة إلى فصول وقول وأبواب، والكتاب الثانى إلى فصول وقول، والثالث والخامس إلى مسائل وقول، والسادس إلى أقسام.

(٧) الكتب مرتبة من حيث الكم تنازليا: ١- القياس (١٠٣) ٢- الأخبار (٥٣) ٣- التأويل (٤٤) ٤- الفتوى (٤٣) ٥- الأوامر (٤٠) ٦- البيان (٣٥) ٧- المفهوم (٢٧) ٨- العموم والخصوص (٢٦) ٩- الترجيح (٢٥) ١٠- الإجماع (٢٠) ١١- النسخ (١٥) ١٢- الاجتهاد (١١)، السابق ص٢٨٥/٢٨٧.

الألفاظ وأسوة بباقى كتب الأصول السابقة. وقد تكون الأبواب والفصول والمسائل مرقمة أو غير مرقمة مما يدل على غياب الحصر العقلى. تغلب عليها طابع الأمالى أو المدونات أو المذكرات لقصر الفقرات وجمع الأقوال ورصد الآراء. لم تكتمل الثنائيات بعد مثل عقد كتاب "الأوامر" دون النواهى، وجعلها مجرد قول. وربما لأن النواهى أوامر سلبية والإيجاب يسبق السلب. ويمكن رؤية تخلق البنية ابتداء من مباحث الألفاظ ثم الأدلة الأربعة أى طرق الاستثمار والمستثمر بلغة "المستصفى". وفى الأدلة الأربعة تكون الأولوية للقياس ثم للسنة نظرا للأخبار ثم للإجماع ثم للكتاب فى موضوع النسخ[1]. وعلى هذا النحو تكون الأولوية للعقل على النقل والغياب شبه الكلى للفعل.

ونظرا لكثرة الأبواب والفصول والأقسام والأقوال والمسائل يحيل العمل إلى بعضه البعض لبيان وحدته[2]. كما يعلن الجزء الحاضر عن الجزء القادم أو يستعيد الجزء الماضى[3]. كما يحيل العمل إلى أعمال أخرى سابقة مثل "المختصر" للشافعى[4]. ويتبلور الوعى التاريخى فى التمييز بين المحدثين والقدماء، والحديث عن المحدثين.

ويجمع الكتاب بين الاتفاق والاختلاف، بين الأصول والفروع. ففى كل أصل يرصد المذاهب الكلامية والفقهية فيه. ويحاجج ويساجل، ويرصد المذاهب ويصنفها بين مغالية ووسطية، وهو أقرب إلى التوسط كما هو معروف عند الأشعرية فى الكلام والشافعية فى الفقه. وهو سجال أصولى استدلالى منطقى لا يحتد ولا ينفعل ضد أحد إلا نادرا عندما يصف المواقف المغالية بالهوس أو المعتزلة بالجهالة[5]. لا يصدر أحكاما بالحق والباطل بل بالصحيح والفاسد أى أنه خطأ الاجتهاد والاستدلال. لذلك يرصد الحجج والمسالك والطرق العقلية المنطقية. ولهذا ظهر أسلوب "فإن قيل... يقال" ردا على الاعتراضات مسبقا. لا يقطع بحكم إلا فيما ندر[6]. لذلك يقول "المختار عندنا" أو "الأصح عندنا". بل إنه يعقد فصلا خاصا بعنوان "فصل فى بيان المختار عندنا". وأحيانا يقول: "الضابط عندنا" أى الأصح والأقرب إلى العقل والمنطق[7]. يرصد وجهات النظر المختلفة ثم إثبات خطئها إلا واحدا بطريقة السبر والتقسيم. وهذا لا يمنع من

---

(١) مباحث الألفاظ (١٧٢)، الأدلة الأربعة (٢٩٠): الرابع (٢٠٢)، الثانى (٥٣)، الثالث (٢٠)، الأول (١٥).

(٢) السابق ص٧٣/٢٩٩/٤٦٥/٤٧٥.

(٣) السابق ص٢٧٦.

(٤) السابق ص٢٥٢/٢٦٠/٢٧٠/٢٧٨.

(٥) السابق ص٧٧/١١١/٤٢٢/٤٥٣.

(٦) مثل "ونحن نقطع بوقوع النسخ"، السابق ص٢٩٥.

(٧) ذكر لفظ المختار حوالى ٧٢ مرة، والأصح (٧)، السابق ص٣٢٤/٢٥٩-٣٦٣/٣٨٥.

الانتساب إلى فرقة كلامية، الأشعرية، وإلى مذهب فقهى، الشافعية. لذلك يقول "شيخنا أبو الحسن" يقصد الأشعرى[1]. كما يتحدث باسم الفرقة، الفرقة الناجية فى الغالب بلفظ "أصحابنا"[2]. ويقول "المحققون" وهم الذين على صواب، الفرقة الناجية.

ومازالت الأصول واحدة، أصول الدين وأصول الفقه، أصول النظر وأصول العمل. لذلك يستشهد بآراء المتكلمين بل والفلاسفة والصوفية. بل لقد خصص فصلا عن "مراسم المتكلمين"[3]. كما يرتبط العلمان معا بأصول الجدل والمناظرة وقواعد الاستدلال المنطقى. والخلاف فقط فى مادة التطبيق العقليات أم الشرعيات، الاعتقادات أم العمليات. وربما كان الخلاف فى أصول الدين هو أساس الخلاف فى أصول الفقه مثل قول المعتزلة بالحسن والقبح العقليين فى أصول الدين، وأن الأوامر والنواهى فى ذاتهما[4]. ويعتمد على الحجج العقلية والنقلية ولكن على العقلية أكثر. والقرآن أكثر من الحديث[5]. ووسط هذا الجدل يغيب الشعر، ومن خضم السجال لا يأتى خيال.

وواضح من تحليل أسماء الأعلام أن الباقلانى متكلم الأشعرية هو عمدته الأولى، ثم الشافعى. فالأشعرية هى الأساس النظرى للشافعية، والشافعية هى التطبيق العملى للأشعرية. ثم يأتى أبو حنيفة المقابل للشافعى، ومالك الفقيه الثالث، وأخيرا أحمد بن حنبل[6]. ثم يعود متكلمو الأشاعرة الأسفراييني والأشعرى والكعبى، ثم الجوينى أستاذ الغزالى، والقلانسى، وابن فورك، وابن سريج[7]. ثم يأتى متكلمو المعتزلة أبو هاشم الجبائى، وأبو على الجبائى، ثم فقهاء الحنفية مثل الشيبانى[8]. ومن الصوفية الحسن البصرى ثم المحاسبى[9]. ومن الصحابة يتقدم أبو بكر وعمر وابن عباس وعلى وسعيد بن المسيب والزبير وخالد وأبو هريرة[10]. ومن اللغويين

---

(١) المنخول ص٢٢-٢٣/٣٦/١٠٥/١٢٤/١٣٩.

(٢) السابق ص٦٤/١٧٧/٢٢١/٢٣٩-٢٤٠/٣٠٢.

(٣) السابق ص٤٥.

(٤) السابق ص٥٢-٨٢.

(٥) القرآن (١٠٢)، الحديث (٧٦).

(٦) الباقلانى (٩٨)، الشافعى (٧٠)، أبو حنيفة (٤٧)، مالك (١٦)، أحمد بن حنبل، الحنبلية، أبو يوسف (١).

(٧) الأسفراييني (١٥)، الأشعرى (٨)، الكعبى (٧)، الجوينى، القلانسى، ابن فورك، الدقاق، ابن سريج، الكرخى (٢)، المروزى، الأوزاعى، الصيرفى، العنبرى، القاشانى، القفال (١).

(٨) أبو هاشم الجبائى (١٠)، النظام (٤)، أبو على الجبائى، الشيبانى (٣)، أبو الحسين البصرى، واصل بن عطاء (١).

(٩) الحسن البصرى (٢)، المحاسبى (١).

(١٠) أبو بكر (١٥)، عمر بن الخطاب (٨)، ابن عباس (٦)، ابن مسعود (٤)، على (٣)، طلحة، معاذ، عثمان، سعيد بن المسيب، الزبير، خالد، أبو هريرة (٢)، بلال، زيد بن ثابت، سعد بن أبى وقاص، سفيان بن عيينة، ابن سيرين، عمرو بن العاص (١).

سيبويه، والزجاج[١]. ومن الشعراء الأخطل[٢]. ويتم اللجوء إلى اللغة العربية ولسان العرب وكلام العرب، والألفاظ العربية وعادات العرب فى الكلام لضبط فهم النصوص[٣].

ومن الفرق يتصدر المعتزلة باعتبارهم المقابل للأشعرية كما أن الحنفية هى المقابل للشافعية. ثم يأتى الروافض نظرا لغلو فقه الخوارج، ثم الحشوية نظرا لارتباط الفرق الكلامية بالمذاهب الفقهية. ثم تأتى الفرق الكلامية، الخوارج والداودية (الظاهرية)، والسمنية التى تنكر ما يتجاوز الحس. ثم تأتى باقى الفرق مثل الاباضية والأزارقة والجهمية، والذمية والزيدية والشيعة والفلاسفة والكرامية والمرجئة والنجدات والوعيدية ومعظمها فرق كلامية. والفلاسفة فرقة ضمن باقى الفرق[٤]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود، ويحال إلى التوراة، ثم النصارى، ثم البراهمة والسوفسطائية التى أصبحت عنوانا على إنكار العلم اليقينى[٥]. ويتوزع الفقهاء على المناطق كما تتوزع اللهجات بين بنى تميم وأهل الحجاز[٦]. وأحيانا يتم الحديث عن جماعات غير معنية مثل: آخرون، قائلون[٧].

٦- "التبصرة فى أصول الفقه" للشيرازى (٤٧٤هـ)[٨]. وتتفرع البنية أكثر إذ أنه مجموعة من المسائل موزعة دون تساوى على ثلاثة عشر قسما: الأمر (مع النهى)، والعموم، والاستثناء، والمجمل والمفصل، والمطلق والمقيد، ودليل الخطاب، والأفعال، والنسخ، والأخبار، والإجماع، والتقليد، والقياس، والاجتهاد. أكبرها من حيث الكم الأمر ثم القياس ثم الأخبار ثم العموم ثم الإجماع ثم الاجتهاد ثم النسخ ثم المجمل والمفصل ثم دليل الخطاب ثم التقليد ثم الاستثناء ثم الأفعال ثم المطلق والمقيد[٩]. كما تتفاوت كميا فى المسائل. أكبرها القياس ثم الأمر ثم

---

(١) سيبويه، الزجاج ، أبو الأسود الدؤمى.

(٢) الأخطل، امرؤ القيس.

(٣) المنخول ص١٥٨/١٦٦/١٧٠/٤٦٣.

(٤) المعتزلة (١٩)، الروافض (٤)، الحشوية (٣)، الخوارج، الداودية، السمنية (٢)، الاباضية، الأزارقة، الجهمية، الذمية، الزيدية، الشيعة، الفلاسفة، الكرامية، المرجئة، النجدات، الوعيدية (١).

(٥) اليهود (٤)، النصارى (٢)، البراهمة، السوفسطائية (١)، التوراة، المنخول ص١٧٠.

(٦) المنخول ص١٥٦.

(٧) السابق ص٢٤١/٢٦٣/٢٧٣/٣٣٥/٣٨٤/٣٨٧/٤٠٣/٤١١/٤٢٣/٤٥٨/٤٤٦/٤٧٢/٤٨٣.

(٨) الشيخ الإمام أبو اسحق إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى الشيرازى: التبصرة فى أصول الفقه، شرحه وحققه د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م.

(٩) الأمر (٨٨)، القياس (٨٠)، الأخبار (٦٠)، العموم (٥٧)، الإجماع (٥٢)، الاجتهاد (٤٢)، النسخ (٣٨)، المجمل والمفصل (٣٥)، دليل الخطاب (٢٢)، التقليد (١٥)، الاستثناء (١٢)، الأفعال (١١)، المطلق والمقيد (٦).

الأخبار ثم العموم ثم الإجماع ثم النسخ ثم الاجتهاد ثم المجمل والمفصل ثم دليل الخطاب ثم التقليد ثم الاستثناء مع الأفعال، ثم المطلق والمقيد[1]. وكأن التأليف قد تم بناء على طلب السائل فأتى متوسطا بين المبسوط الكبير، بالرغم من كبر حجمه، والمختصر اللطيف، تبصرة للمبدئين، وتذكرة للمنتهين، مع تقريب الألفاظ، وتحرير الدلائل ليسهل تعلمه وتيسير حفظه[2].

ومع ذلك يمكن رؤية بنية خماسية تتخلق وتتداخل فيما بينها. تبدأ بمباحث الألفاظ وهي أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع ثم القرآن من حيث الكم[3]. ومباحث الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع والقياس من حيث الكيف. وتغيب أحكام التكليف والمقاصد. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل مع غياب كلى للفعل فى العالم.

ويعتمد على الحجج النقلية والعقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، أكثر من الضعف[4]. كما يعتمد على الشعر العربى كشواهد على مباحث الألفاظ[5]. ومن أسماء الأعلام يتصدر أصحاب أبى حنيفة ثم بعض المتكلمين ثم المعتزلة ثم أبو الحسن الكرخى ثم الشافعى ثم أبو بكر الصيرفى ثم القاضى أبو حامد المرورزى وأبو بكر القفال الشاسى وأبو حنيفة والنظام ثم عيسى بن أبان وغيرهم من الأصوليين، متكلمين وفقهاء[6]. ونظرا لاتصال علمى الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، ظهرت الفرق الإسلامية كالرافضة والمعتزلة والأشعرية والإمامية وأهل الظاهر وأهل الحديث، وأهل العراق، والبغداديون والبصريون، وغير الإسلامية مثل اليهود والنصارى والبراهمة والسوفسطائية.

---

(١) القياس (٣٣)، الأمر (٢٨)، الأخبار (٢٧)، العموم (١٧)، الإجماع (١٥)، النسخ (١٣)، الاجتهاد (١٢)، المجمل والمفصل (١١)، دليل الخطاب (٧)، التقليد (٥)، الاستثناء، الأفعال (٤)، المطلق والمقيد (٢).

(٢) التبصرة ص١٦.

(٣) عدد الصفحات: مباحث الألفاظ (١٢٠)، السنة (٧١)، القياس (٦٥)، الإجماع (٥٢)، القرآن (٣٨).
عدد المسائل: مباحث الألفاظ (٦٩)، القياس (٥٠)، السنة (٣١)، الإجماع (١٥)، القرآن (١٣).

(٤) الآيات القرآنية (٢١٢)، الأحاديث (٩١)، الشعر (٩).

(٥) التبصرة ص١٠٧/١٦٦/١٦٩/٢١٣/٢٣٢/٢٣٥-٢٣٦/٢٣٩/٣٥٤.

(٦) أصحاب أبى حنيفة (٤٧)، بعض المتكلمين (٢٠)، المعتزلة (١٧)، أبو الحسين الكرخى (١١)، الشافعى (١٠)، أبو بكر الصيرفى (٩)، القاضى أبو حامد المرورزى، القفال الشاشى، أبو حنيفة، الأشعرية، النظام (٧)، عيسى بن أبان (٦)، أبو على الدقاق، أهل الظاهر، أبو العباس سريج، أبو هاشم الجبائى، أبو على الجبائى (٤)، أبو بكر الأشعرى، أبو الحسن البصرى، القاسانى، أبو يحيى الجبائى، أبو ثور، داود الأصبهانى، أصحاب الحديث، الإمامية، محمد بن جرير (٣)، ابن داود، أبو عبد الله البصرى، على بن حيوان، ابن سيرين، ابن عباس (٢)، وعشرات آخرون مثل نفطويه، ابن درستويه، العنبرى، البلخى، الأشعرى، ثعلب. ابن الراوندى، الدارقطنى، الاسفرايينى الطبرى... الخ (١).

والكتاب حجاجي سجالي، يضع الاعتراضات ويرد عليها فهو كتاب في الخلاف وليس في الاتفاق، تكشف عن آراء المتكلمين فى علم أصول الفقه أكثر مما تكشف عن آراء علماء أصول الفقه فى العقائد[1]. ترصد الخلافات فى كل مسألة. ويكون الحجاج مع أبى حنيفة ثم مالك وهما خصما الأشعرى الشافعى أى ضد العقل والمصلحة. والخلاف ليس فقط بين المذاهب بل أيضا بين المواقف التى قد يلتقى عليها مذهبان. ولا فرق بين الظاهرية والإمامية فى رفض الإجماع، الأولى لحساب النص الحرفى والثانية لحساب الإمام والتأويل.

سادسا: تشعيب البنية.

١- "كتاب التلخيص فى أصول الفقه" للجوينى (٤٧٨هـ) [2]. وهو تلخيص لكتاب "التقريب والإرشاد" للقاضى الباقلانى (٤٠٣هـ). وكلاهما من أعلام الأشاعرة فى أصول الدين والشافعية فى أصول الفقه. فالأشعرية هى الأصول النظرية التى تقوم عليها الشافعية كأصول علمية، وكلاهما من أصول "الأموية" كما يقول ابن رشد، أى من نظّر الحكم ضد المعارضة خاصة الاعتزالية والحنفية. ولم يعلن الجوينى ذلك. بل قام بتمرينات عقلية حول المتن فى إسهاب وتطويل دون أى قصد أو معنى أو دلالة. فقد تحول الجزء فى المتن إلى ثلاثة أجزاء فى التلخيص! وماذا لو كان شرحا! ربما كتبه فى أول حياته وهو مازال يتمرن على ممارسة العلم. وربما كتبه فى آخر حياته وهو يفيض علما كما فعل ابن رشد فى الشروح الكبرى. والاحتمال الأول أقرب، وكانت عادته فى التركيز مرة والإسهاب مرة أخرى كما فعل فى "الورقات" ثم فى "البرهان". والغريب أن يتم ذلك فى ذروة الإبداع الحضارى فى القرن الخامس الهجرى وقبل أن يقضى الغزالى على العلوم النظرية، ويدعو إلى العلوم الذوقية. تحول العلم إلى معلومات، والإبداع إلى حشو، والعقل إلى ذاكرة. والمؤلف على وعى بقضية التركيز والإطناب[3].

ثم جاء الناشر الحديث وزاد فى الإسهاب والتطويل، مضيفا معلومات تاريخية على المعلومات الأصولية إظهارا للعلم أو نيلا للدرجة العلمية فى الجامعات التقليدية، وناقل العلم ليس بعالم، وكأننا مازلنا نعيش فى العصر المملوكى العثمانى عصر الشروح والملخصات لحفظ

---

(١) يمكن إعداد رسالة جامعية عن آراء الأصوليين فى العقائد وآراء المتكلمين فى الأصول.

(٢) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله يوسف الجوينى: كتاب التلخيص فى أصول الفقه (ثلاثة أجزاء) تحقيق د. عبد الله جولم النيبالى، شبير أحمد العمرى، دار النشر الإسلامية، مكتبة دار الباز، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣) "فلا فائدة فى الإطناب" جـ٣/٣٦١.

التراث من الضياع بعد أن توالت الغارات والغزوات على العالم الإسلامى من الغرب ومن الشرق على التوالى. ولم تشهد العلوم إبداعا جديدا أو على الأقل إعادة بناء مواكبة لحركات التحرر الوطنى الحديثة أو على أكثر تقدير تالية لها. وجاءت هذه الهوامش القاموسية المطولة رمية بغير رام لأن النشر نفسه خال من الفهارس حول تخريج الآيات والأحاديث والشواهد الشعرية وأسماء الأعلام والفرق والمذاهب والمدن والبلدان والأمصار كما هو الحال فى النشر العلمى الحديث. كما تم تقسيم النص إلى فقرات والفقرات إلى فصول أسوة بالنشر العلمى الحديث فى الغرب، تقليدا دون هدف خاص واستبعاد أرقام الصفحات كلية.

وكما هو الحال فى الشروح غابت البنية وتفرعت وتشعبت وتاهت وسط هذا الركام الضخم من المعلومات الفقهية والأصولية بلا قصد أو رؤية أو تنظير أو تطوير. ربما كان العصر قريبا بين المتن والتلخيص، أقل من قرن واحد. تشعبت البنيـة فـى ثلاثمائة وثلاث وعشرين فصلا دون تجميع منطقى لها فى فصول أو أبواب أو أقسام. تتداخل الأقوال والفصول والأبواب فيما بينها دون منطق محكم ودون بنية مرئية أو غير مرئية يمكن الكشف عنها[1]. يبدأ بالفصل وليس بالقول. وليس كل قول به فصول. وينقسم الكلام أو الباب إلى أقوال كما ينقسم إلى فصول، والفصول إلى مسائل. وتتكرر نفس الموضوعات فى أكثر من باب. وتظهر مسائل بين الأقوال والفصول. بل إن الكلام يبدأ مباشرة أحيانا دون فصل أو قول أو باب أو كلام أو مسألة أو كتاب. ولا تتناسب أحجام الكتب والأبواب والأقوال والفصول. ويمكن ضم عدة أبواب أو أقوال أو فصول فى موضوع واحد. بل إن الحديث فى معانى الحروف، كل حرف فى قول مع أن الحروف كلها تدخل فى قول واحد. ولا يكون بالضرورة الكتاب أكبر من الباب ، والباب أكبر من القول، والقول أكبر من الفصل، والفصل أكبر من المسألة.

وإذا كانت الأبواب هى أساس القسمة فإن مباحث الألفاظ أكبرها ثم القياس ثم السنة ثم الإجماع ثم الكتاب[2]. وتشمل مباحث الألفاظ الأوامر والنواهى والعموم والخصوص والاستثناء ودليل الخطاب. أما القياس فإنه يعرض لحقيقته والتعليل والتعبدية وتخريج المسألة على قولين والتقليد والاجتهاد. وتضم مباحث السنة أفعال الرسول وشريعة من قبلنا، وخبر الواحد والمرسل والجرح والتعديل والسماع وألفاظ الرواية وترجيح الألفاظ. أما الإجماع فإنه يشمل وجه ثبوته وأحكامه وإجماع أهل المدينة واستصحاب الحال بين الإجماع والقياس. وأخيرا يتناول القرآن

---

(١) وهى موزعة كالآتى: الفصول (١٦١)، الأقوال (١٢١)، الأبواب (١٨)، المسائل (٨)، باب القول فى (٧)، باب الكلام فى (٣)، الكلام فى (٤)، كتاب.. (١)، لا شىء (١).

(٢) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٤٧٤)، القياس (٣٣٨)، السنة (٢٠٥)، الإجماع (١٣٩)، القرآن (٩٧).

موضوع النسخ، مقدماته وجوازه ووقوعه[1]. ومن ثم تظهر قسمة خماسية حول الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ. وتغيب الأحكام ولا تظهر إلا فى الأوامر والنواهى من مباحث الألفاظ. وهناك وعى بالبنية الخماسية القائمة على الأدلة الشرعية الأربعة والإعلان عنها ومباحث الألفاظ استنادا إلى القاضى[2]. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل وغياب الفعل أى التحقق فى العالم.

والأسلوب تعليمى ابتدائى يقوم على الشرح أكثر مما يقوم على التلخيص. يكثر من الأسئلة والأجوبة المتتالية بطريقة القيل والقال: "فإن قيل... قيل". ويتجزأ الموضوع الواحد إلى عدة أجزاء متناثرة فيضيع الأصل، وتتوه البنية وسط هذا الكم الهائل من المعلومات، ويتوه القارئ. ويفضل المتن الأول على التلخيص الثانى. ضاعت الأصول لصالح الفروع. وغاب الكل لصالح الأجزاء. وتحول التلخيص إلى مجموعة من النصوص المتفرقة المشوهة المضطربة المفككة التجزيئية المتناثرة. فتناثرت البنية معها وتشرذمت.

ويغلب على التلخيص الطابع السجالى مع الخصوم، والردود مسبقا على الاعتراضات وشبهات الخصوم. وهى طريقة الحجاج الكلامى ومنهج الجدل عند المتكلمين، وإرجاع أصول الفقه إلى أصول الدين. فالجوينى والباقلانى هما من أئمة الأشاعرة فى أصول الدين وليسا فقط من أئمة الشافعية فى أصول الفقه وكما هو الحال فى الجدل الحق مع المتكلم الأصولى، والخطأ من جانب الخصم وهم فى الغالب المعتزلة. وبالتالى يتحول الخصام الكلام إلى خصام أصولى مع أن العلمين مختلفان. الأول جدلى والثانى برهانى. المتكلم هو "شيخنا" وهو الباقلانى، والخصم هم الأغيار، المخالف، عدو المذهب. الأول كل شئ، والثانى يجهل كل شئ. ومع المعتزلة يوضع أبو حنيفة وينالـه ما ينال المعتزلة من وصف مثل "شرذمة من أصحاب بنى حنيفة"[3]. وتشمل المعارضة ليس فقط المعتزلة والخوارج والشيعة أى كل صنوف المعارضة العلنية الفكرية مثل المعتزلة والمسلحة مثل الخوارج، والسرية مثل الشيعة دفاعا عن فرقة السلطان، الأشعرية فى الكلام والشافعية فى الفقه، الأموية كما سماها ابن رشد. لم يعد علم الأصول علما بل أصبح محاجة، هدفه الدعوة للفرقة الناجية واستبعاد الفرق الهالكة. فسادت الأحكام القطعية بالحق

---

(١) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، القياس (٦)، السنة (٩)، الإجماع (٤)، النسخ (٤).

(٢) "أولها الخطاب الوارد فى الكتاب والسنة وما يتعلق به من ترتيب مقتضيات الخطاب. والثانى معرفة أفعال رسول الله الواقعة موقع البيان. وثالثها الأخبار ومراتبها ومنها أخبار الآحاد. ورابعها الإجماع. وخامسها القياس، التلخيص جـ١/١٧٣.

(٣) السابق جـ١/٢٣٣.

والباطل وبالصواب والخطأ. وضاعت التعددية الفكرية التى هى أهم ما يتصف به علم الأصول بشقيه، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. ومن الخصوم أيضا الفلاسفة والمناطقة وآرائهم فى القياس[1].

وبالرغم من أن الاعتدال يبدو أحيانا إيثارا للمذهب المختار إلا أن الحق والباطل والصواب والخطأ هى القسمة الجدلية الأثيرة[2]. وبالرغم من الحديث عن بعض المخالفين دون تسمية إلا أنهم يوصفون بصفات التهكم والسخرية إلى حد القذف والسب وهو الأسلوب الحاد المعروف عند ابن حزم (٤٥٦هـ)، ومن نفس العصر، فهم "شرذمة من الفقهاء"، "ممن يعتزى إلى الأصول"، "ومن ينتسبون إلى الكلام"، "ومن المنتمين إلى العلم"، "بعض من لا معرفة له بالحقائق"، "بعض من ينتمى إلى أصل الحق"، "طائفة ممن تتعاطى اللغة"، والراوندى "لعنة الله"، "وهذا كلام ركيك جدا"، "كلام لا طائل تحته"[3]. وتوصف الآراء المعارضة بأن "هذا تلبيس"، "من عجيب المذاهب"[4]. أقول الخصوم شبهات ضرورى الرد عليها، وآراؤه مزاعم ضرورى تفنيدها[5]. فى مقابل المحققون، أرباب الحق، أهل الحق، عصبة أهل الحق.

ومن أجل لم الشتات المبعثر يتم التذكير بالسابق والتنبيه على اللاحق حتى تظهر وحدة العمل[6]. كما يحيل إلى بعض المصادر مثل "الرسالة" للشافعى بالإضافة إلى كتاب القاضى نفسه.

كما ركز على وحدة العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. فحل الخلاف الأصولى فى علم الفرق والديانات. فالخلاف دينى، والعقل غير قادر على مسائل الخلاف حتى يسهل الاستبعاد والتكفير باسم الدين[7].

---

(١) السابق جـ٣/١٥١.

(٢) السابق جـ١/١٧٤-١٧٥.

(٣) السابق جـ١/١٩٤/٢٠٣/٢٠٨/٢١٧/٢٢٠/٢٨٣/٣٠٨/٣٦٠/٤٢٢/٤٤٣/٤٦٠.

(٤) السابق ص٣٧١-٣٨٥.

(٥) السابق جـ١/٢٧٠-٢٧٣/٤١٧/٤٥٥/٤٥٧/٤٨٤، جـ٢/٢٦-٣٢/١١٢/١٢٣/١٥٨-٢٦٠/١٦٥/١٦٩/١٧٢/١٩٦/ ١٩٨/٢١١-٢١٨/٢٣٧/٢٥٩.

(٦) السابق جـ١/١٥٦/١٦٤/١٧١/١٧٤/١٨٤/٢٠٨/٢٣٨/٢٤٢/٢٤٥/٢٤٧-٢٤٨/٢٥٣/٢٧٣/٢٨٢/٢٩١/٢٩٨/٣٠٢- ٣٠٣/٣٠٨/٣١٢-٣٢٥/٣٣٦-٣٣٧/٣٥١-٣٥٣/٣٥٥-٣٥٨/٣٧٨-٣٧٩/٤٢١/٤٣٦/٤٤٨/٤٥٥/٤٦٥-٤٦٦/٤٨٢/ ٤٨٧/٥٠٣، جـ٢/١٢/٣٤-٣٥/٣٨-٣٩/٤٨-٤٩/٥٣/٥٥/٥٩/١٠٦/١٠٩/١٣٥/١٤٢/١٤٥/١٤٩/١٥٣-١٥٤/١٦٤/ ١٦٩/١٧٧/١٧٨/١٨٢/١٩٥/٢٠٠/٢٠٨/٢٢٥/٢٢٩/٢٣٣-٢٣٤/٢٣٨/٢٥٠/٢٧٥/٢٧٧/٢٨١/٢٩٣/٣٠٠/٣١٠/٣١٤-٣١٥/٣٢١- ٣٣٢/٣٤٦/٣٤٩/٣٥٥/٣٦٢/٣٦٤/٣٦٩-٣٧٠/٣٨٠/٣٩١-٣٩٢/٤١١/٤٦٦/٤٨٨/٤٩٤/٥١١.

(٧) السابق جـ١/٢٣٥/٢٦١/٤١٥/٤٥٥/٤٨١.

لذلك يتقدم القاضى أسماء الأعلام ثم باقى رؤساء المذاهب، الشافعى ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم يتداخل المعتزلة مثل النظام والجبائى، وأبو هاشم، وابن الجبائى وهشام والفوطى وضرار بن عمر والجاحظ مع الأحناف مثل عيسى بن أبان والعنبرى، والقفال الشاشى، والمروزى، والمزنى. ويظهر المتكلمون، معتزلة وأشاعرة مثل البلخى وأبو موسى الأشعرى ليكشف أصول الخلاف. كما يظهر باقى المتكلمين من ظاهرية مثل أبى داود الأصفهانى، ومرجئة مثل أبى شمر المرجئى[1].

ومن الفرق يتقدم المعتزلة الخصم الأول للأشاعرة ثم الشيعة والأمامية والخوارج (الرافضة، الأباضية) وهم الخصوم الذين يمثلون مع المعتزلة المعارضة للسلطان، ثم الحشوية والظاهرية لمعارضتهم للتأويل ثم الفرق غير الإسلامية مثل الدهرية والبراهمة[2]. ومن الطوائف والجماعات يتقدم الفقهاء ثم العلماء ثم "أصحابنا" ثم الأصوليون ثم المتكلمون ثم الجمهور[3].

وتقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار[4]. ففى خضم الجدل العقلى وأسلوب القيل والقال، وفى منطق الحجاج تتوارى الحجة النقلية التى تعطى الخصم قدر ما تعطى المتكلم لأنها سلاح ذو حدين. والمتكلم لا يريد إعطاء الخصم أى شئ، يريد الإقصاء والاستبعاد والتكفير.

وتكثر المقدمات والخواتم الإيمانية فى اللازمات المعروفة فى التراث القديم. ففى البداية "اعلم وفقك الله" كما هو الحال فى أسلوب إخوان الصفا ودعوة إلى مشاركة القارئ فى هذه التجربة الإيمانية لتحريضه ضد الخصوم. وأحيانا أخرى "اعلم" دون "وفقك الله" من أجل إيهام القارئ بجهل الخصم، وضمه إلى المتكلم. وتتعدد لازمات أخرى مثل "إن شاء الله"، "إن شاء الله تعالى"، "إن شاء الله عز وجل"، "وبالله التوفيق"[5].

---

(١) القاضى (١٤٥)، الشافعى (٦٢)، أبو حنيفة (٣٨)، مالك (٢١)، النظام (٢٠)، الطبرى (١٠)، الجبائى (٨)، الصيرفى، ابن سريج (٧)، الكرخى، الكعبى (٦)، أبو هاشم، عيسى بن أبان (٥)، العنبرى، داود الأصفهانى، القفال الشاشى، أبو اسحق (الأستاذ)، الكاشانى (٤)، المروزى، ابن الجبائى، المزنى (٣)، البلخى، أبو شمر المرجئى، أبو موسى الأشعرى، النهروانى (٢)، ابن داود، الاصطخرى، هشام، الفوطى، ضرار بن عمر، القلانسى، عبد الجبار، الجاحظ، عبد الله بن سعيد، ابن الزعبرى، أبو الحسن الأشعرى (شيخنا)، الكميت، النابغة، ابن أبى يعلى، ابن فورك (١).

(٢) المعتزلة (٣٨)، القدرية (١٠)، معتزلة بغداد (١)، الظاهرية (أهل الظاهر) (٥)، الشيعة (٤)، السمنية (٤)، الروافض (٣)، الاباضية، الإمامية (٢)، الحشوية، الدهرية، البراهمة (١) .

(٣) الفقهاء (٥٥)، العلماء (٤٥)، أصحابنا (٢٢)، الأصوليون، أرباب الأصول (١٨)، المتكلمون، أهل الحق، المحققون، أرباب التحقيق (٧)، الجمهور (١٥)، أهل المدينة، الفلاسفة (٢)، أهل الحديث، الخلفاء الراشدون، المناطقة (١).

(٤) الآيات (٣٢٨)، الأحاديث (٩٦)، الأشعار (الكميت والنابغة) (٨).

(٥) إن شاء الله (٥٠)، الله أعلم (٨)، وفقك الله (٤٨).

٢- "التمهيد فى أصول الفقه" للكلوذانى الحنبلى (٥١٠هـ) (١). وهو مؤلف تعليمى واضح يقوم على التعريفات اللغوية والحدود المنطقية. يخضع المؤلف المتن للشرح والتقسيم. فالتراث يشرح ذاته فى هذا الوقت المبكر. ويراجع تعريفات القدماء ويتحقق من صدقها. الجمل قصيرة، أشبه بالقضايا المنطقية. لا يدخل فى المنازعات والخلافات. ويبتعد عن السجال والمحاجة بالرغم من اتباع أسلوب "القيل.. والقال"، والرد على الاعتراضات مسبقا، وجمع الأدلة ورصدها. يغلب على المؤلف هدوء الطبع دون إصدار أحكام قطعية بالصواب والخطأ أو بالحق والباطل مع أنه حنبلى المذهب. يعرض موضوعيا آراء المذاهب الأخرى دون تجريح أو إقصاء. ويتم حوار بين المعترض والمستدل أو بين الخصم أو المخالف والمستدل مثل الاعتراضات حول القياس بين الحنبلى من ناحية والحنفى من ناحية أخرى(٢).

ويضم تحليلات جزئية مسهبة تضيع فيها الأصول وسط الفروع، وتتشعب فيها البنية بالرغم من إمكانية رؤيتها والعثور عليها عن طريق ضم الموضوعات المتشابهة إلى موضوع واحد. ينقسم إلى أبواب، والباب إلى مسائل، ويتكرر الموضوع الواحد فى عدة أبواب(٣). وقد تأتى موضوعات بلا أبواب ولا مسائل مثل "شرع من قبلنا"(٤). وكلها بلا ترقيم، بلا عد ولا إحصاء بعد اختفاء الهيكل العظمى وراء الكم الهائل من المعلومات كما هو الحال فى "التلخيص" للجوينى (٤٧٨هـ). وتضاف مقدمة خارج الأبواب والمسائل عن تعريف العلم وموضوعاته أشبه بتلخيص شامل للعلم قبل تفصيله(٥). وأحيانا يأتى "الكلام فى" بعد الباب(٦). ويظل الغالب على

---

(١) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانى الحنبلى: التمهيد فى أصول الفقه، جزء ١، ٢ دراسة وتحقيق د. مفيد محمد أبو عمشة، جزء ٣، ٤ د. محمد بن على بن إبراهيم، مؤسسة الريان، المكتبة المكية، بيروت، مكة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وقد تقاسمه ناشران للحصول على درجتين علميتين من جامعة تتبنى المذهب الحنبلى ويقوم عليه نظام الدولة.

(٢) جـ٤/١٠٨-١٣٧/١٤٠-١٤٦/٩٩-١٦٨.

(٣) يضم اثنين وعشرين بابا هى: ١- الحدود ٢- الحروف ٣- حروف الصفات التى يقوم بعضها مقام بعض ٤- ترتيب أصول الفقه ٥- الخصوص ٦- تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة ٧- المجمل والمبين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيان ١١- الأفعال ١٢- النسخ ١٣- الأخبار ١٤- فيما يرد به الخبر ١٥- الإجماع ١٦- القياس ١٧- شروط القياس وما يصححه وما يفسده ١٨- حكم الأصل ١٩- الاعتراضات على القياس ٢٠- ترجيح المعانى ٢١- الاجتهاد ومسائله وصفة المجتهد ٢٢- التقليد وما يجوز أن يقلد فيه وما لا يجوز.

(٤) "شرع من قبلنا"، التمهيد جـ٢/٤١١-٤٢٥.

(٥) السابق جـ١/٢-٩٨.

(٦) (ست مرات) السابق ٧-باب الكلام فى المجمل والمبين ١١- باب الكلام فى الأفعال ١٣- باب الكلام فى الأخبار ٢٥- باب الكلام فى الإجماع ٢٦- باب الكلام فى القياس ١٨- باب الكلام فى حكم الأصل.

القسمة الأبواب دون تفريعها إلى مسائل باستثناء ثلاثة أبواب فى مبحث الألفاظ وباب فى ترجيح المعانى[1]. ومسائل العموم ليست فى باب مثل الخصوص، وتدخل مع الأمر والنهى[2]. تكثر التحليلات اللغوية لأن مباحث الألفاظ هو المبحث الرئيسى الذى يتصدر الأدلة الشرعية الأربعة مع أن الحقيقة ليست فى اللفظ أو حتى فى المعنى، فحوى الخطاب، بل فى التوجه نحو العالم والفعل فيه.

ومع ذلك يمكن ضم الأبواب المتشابهة حول موضوع واحد، واكتشاف بنية خماسية، بالإضافة إلى المقدمة اللغوية المنطقية. تقوم على مباحث الألفاظ والنسخ (الكتاب) والسنة، والإجماع والقياس. وترد إلى بنية ثنائية، الأدلة الأربعة، ومباحث الألفاظ وغياب الأحكام الشرعية، أحكام التكليف وأحكام الوضع، طرق الاستثمار، والمثمر دون الثمرة بتعبيرات "المستصفى". ويغيب لفظ الكتاب ولكن النسخ يشير إليه بالرغم من أن النسخ فى الكتاب والسنة على حد سواء[3]. ومن حيث الكم أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم السنة ثم المقدمة اللغوية المنطقية ثم النسخ وأصغرها الإجماع[4]. والمؤلف على وعى بالبنية. ويفرد لها عنوان خاصا "فى ترتيب علم الأصول". وإن كان مضمونه بعض مباحث الألفاظ. فإذا كان علم الأصول هو علم الاستدلال يتقدم الخطاب أى مباحث الألفاظ. والخطاب حروف قبل الألفاظ. والأمر والنهى أعلى حالات الخطاب يحتاج إلى الأمر والنهى، فمعرفة الشئ بنفسه تسبق معرفة الشئ بالآخر. ويقدم الأمر على النهى كما يقدم الإثبات على النفى، والإيجاب على السلبويتقدم الخاص والعام على المجمل والمفسر لأن الأول جلى والثانى خفى. ثم تأتى الأفعال بعد الخطاب لأن الخطاب مقدم على الأفعال. وتتقدم الأفعال على الناسخ والمنسوخ لأن الأفعال إثبات والنسخ نفى. والنسخ مقدم

---

(١) أربعة أبواب فقط تتفرع إلى مسائل هى: ٤- باب ترتيب أصول الفقه: مسائل الأمر، مسائل النهى، مسائل العموم ٥- باب الخصوص: مسائل الاستثناء ٦- باب تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة: مسائل المطلق والمقيد، مسائل دليل الخطاب وفحواه ٢٠- باب ترجيح المعانى: مسائل فى استصحاب الحال.

(٢) التمهيد جـ٢/٥-٧٠.

(٣) أولا: المقدمة الأولى: ١- الحدود ٢- الحروف ٣- حروف الصفات. ثانيا: مباحث الألفاظ: ٤- ترتيب الأصول (الأمر، والنهى، والعموم) ٥- الخصوص ٦- تخصيص العموم بالأدلة التفصيلية (المطلق والمقيد، دليل الخطاب وفحواه) ٧- المجمل والمبين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيان. ثالثا: الكتاب: ١٢- النسخ. رابعا: السنة: ١١- الأفعال ١٣- الأخبار ١٤- فيما يرد به الخبر. خامسا: الإجماع: ١٥- الإجماع. سادسا: القياس: ١٦- القياس ١٧- شروط القياس ١٨- حكم الأصل ١٩- الاعتراضات على القياس ٢٠- ترجيح المعانى (استصحاب الحال) ٢١- الاجتهاد ومسائله وصفة المجتهد ٢٢- التقليد، ما يجوز وما لا يجوز.

(٤) مباحث الألفاظ (٥٦٦)، القياس (٤٧١)، السنة (٣٥١)، المقدمة اللغوية المنطقية (١١٦)، النسخ (القرآن) (٧٦)، الإجماع (٣٤).

على الإجماع لأن النسخ يدخل على الخطاب والأفعال وليس على الإجماع. ويتقدم الإجماع على القياس لأن شرعية القياس من ممارسته في إجمـاع الصحابـة. ويتقـدم القيـاس علـى الإفتـاء لأن الإفتاء يقوم على القياس[1]. وعلى هذا النحو للعقل الأولوية علـى النقـل أو النـص علـى حسـاب الواقع أى الفعل فى العالم.

ويعتمد على كثير من الأدلة النقلية والعقلية والأقوال المأثورة والشعرية. الأحاديث أكثر مـن الآيات. وكلاهما أكثر من الشعر[2]. كمـا تذكـر بعـض الفـرق وكلـها مـن المعارضـة مثـل الرافضـة (الخوارج) والمعتزلة (القدريـة) والإماميـة والفلاسـفة بالإضافـة إلى فـرق السـلطان مثـل الأشـعرية والجهمية، وبعض الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة[3]. وتتوالى الأدلة النقليـة، دليـلا وراء آخـر مع عدها والرد عليها أيضا[4]. فالمقصود هو المحاجة الداخلية النظرية وليس الهيكل الخـارجى.

---

(١) "وأصول الفقه طريق توصل إلى معرفة الفقه ينبغى أن يعرف مراتبها وطرقها وكيفية الاستدلال بـها. وإنمـا ذكرنـا ذلك لأنها متعلقة بالخطاب. فأول ما ينبغى أن يعلم حدود الخطاب (وحقيقته)، ومجازه والحروف الداخلة عليه والمغيرة له. ولهذا المعنى بدأنا بذكرها وسنذكر الخطاب. وأول ما ينبغى أن نبدأ به مـن الخطـاب الأمـر والنـهى لأنه أعلى حالات الخطاب لأن به يثبت الإيجاب (ويتمتم) الإلزام. وإنما قدمنا الأمر والنهى على الخاص والعام لأن الخاص والعام من فوائد الأمر والنهى. والأولى أن يعرف الشئ نفسه ثم يعرف بعد ذلـك فوائـده. وإنمـا يقـدم الأمر على النهى لأن الأمر مثبت والنهى منفى، والإثبات مقدم على النفى. وتذكر بعد ذلك الخاص والعام. وإنما نقدمه على المجمل والمفسر لأنه خطاب مفهوم جلى، والمجمل والمفسر خطاب خفى. والجلى مقدم على الخفى. ونذكر بعد ذلك المجمل والمفسر ونقدمه على الأفعال. وإنما كان كذلك لأنه وإن كان مجمـلا فـهو مـن الخطـاب. والخطاب مقدم على الأفعال. ونذكر بعد ذلك الأفعال ونقدمها على الناسخ والمنسوخ وإنما كان كذلك لأن الأفعـال موجبة ومثبتة ويدخل عليها النسخ. فلهذا المعنى ألحقناها بالخطاب. ونذكر بعد ذلك الناسـخ والمنسـوخ ونقدمـه على الإجماع لأجل أنه يدخل على الخطاب والأفعال (ويثير) الأحكـام فيـها فـلا يدخـل علـى الإجمـاع. فلـهذا قدمناه. ونذكر بعد ذلك الإجماع وتقدمه على القياس. وإنما كان كذلك لأنه دليل مقطوع وبه نسـتدل علـى جـواز الاستدلال بالقياس لأن الصحابة اجتمعت على الاستدلال بالقياس فكأنه أصل للقياس، والأصل مقدم على الفرع. ونذكر بعد ذلك القياس ونقدمه على الحظر والإباحة وعلى المفتى. وإنما كان كذلـك لأنـه دليـل مـن أدلـة الشـرع مثبت. وإنما يكون الحظر والإباحة بينهما. والمفتى إنما يفتى إذا عرف ما القياس ومـا الدليـل. ولا يجـوز لـه أن يفتى حتى توجد فى حقه. والمستفتى لا يجوز أن يستفتى حتى يعدم فى حقه. فلهذا قدمنـاه. ونذكـر بعـد ذلـك المجتهد وهل كل مجتهد مصيب؟ والحظر والإباحة وما نبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى"، التمهيد جـ١/١٢١-١٢٣.

(٢) الأحاديث (١٣٦)، الآيات (٩٠)، الأثار (٦١)، الأشعار (٣) (دون التكرار).

(٣) الرافضة (٢)، الإمامية، الخوارج، الفلاسفة، القدرية، المعتزلة، الأشعرية، الجهمية، البراهمة (١).

(٤) التمـهيد جـ١/٢٢٢/٢٢٦-٢٢٧/٢٤٢-٢٤٤/٢٥٤-٢٥٦/٢٧٢-٢٧٤/٢٨٣-٢٨٦/٢٩٤-٢٩٧/٣٠٦-٣١٠/٣١٨-٣١٩/٣٢٧-٣٣٤/٣٣٨-٣٤٢/٣٥٢-٣٥٨/٣٧٤-٣٧٦. جـ٢/٧-٤٠/٦١-٦٤/٧٤-٧٩/٨٦-٨٨/٩٤-٩٥/١٢٣-١٢٦/١٥٢-١٥٤/١٦٣-١٦٦/١٨٢-١٨٨/١٩٤-٢١٤/٢٤٢-٢٤٦/٢٩٤-٣٠٦/٣٣٢-٣٣٨/٣٤٩-٣٤٤/٣٦٠-٣٧٠/٤١٦-٤١٨. جـ٣/٢٤-٣٠/٣٦-٣٨/٦٣/١٥٧-١٥٨/١٦٤-١٦٥/١٧٨-١٨٩/٢٦٤-٢٦٥/٢٨٧-٢٨٩/٢٩٤=

ومن ثم حفر الحفر دون البناء. وله مصادر يحيل إليها، ومشايخ يجل لهم المؤلف الاحترام والتبجيل.

ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل وعمر بن الخطاب أى النص والمصلحة، ثم الشافعى باعتبار الشافعية هى المذهب السائد بعد تقنين الغزالى له. ثم يتقدم الصحابة لاعتماد المذهب الحنبلى عليهم مثل على بن أبى طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود قبل باقى المذاهب الفقهية مثل أبى حنيفة. ثم يتقدم الصحابة من جديد مثل أبى بكر وعائشة قبل الفقهاء مثل المروزى. ثم يتقدم من جديد أبو الحسن الكرخى فقيه الحنفية على بعض الصحابة مثل أبى هريرة. ثم يتداخل الفقهاء مثل الجصاص ومالك والسرخسى وأبى يوسف وشريح والقاشانى والصيرفى وابن شقلا مع المتكلمين أشاعرة ومعتزلة مثل الأشعرى والمريسى والقاضى عبد الجبار والنظام والجبائى والاسفرايني والخياط وأبى الحسين البصرى وابن الراوندى وغيرهم[1].

ويحيل العمل إلى ذاته بحثا عن وحدته، يحيل السابق إلى اللاحق، ويذكر اللاحق بالسابق[2].

وبالرغم من الحكم الشائع بأن الحنبلية قطعية الحكم إلا أن اللازمات الدينية مثل "الله أعلم"، "والله أعلم بالصواب"، "إن شاء الله تعالى" تجعل العلم أقرب إلى الاحتمال الأقوى[3].

=٣٠٢/٢٩٤/٣٦١-٣٦٣/٣٦٩/٤٤٢. جـ٤/٣٣/٤٤/٥٧/٦٥/٧٢-٧٦/١٥٤/٢٥٧/٢٦٤/٢٣٨/٣٠٩/٣٢٠-٣٢١/٣٧٩ /٤٠١/ ٤١١-٤١٢.

(١) أحمد بن حنبل، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشافعى (٢٠)، على بن أبى طالب (١٨)، عبد الله بن عباس (١٧)، أبو حنيفة، عبد الله بن مسعود (١٥)، أبو بكر، عائشة (١٣)، المروزى (١١)، الكرخى (٩)، أبو هريرة، عثمان بن عفان (٨)، أبو هاشم، أبو الحارث، عبد الله بن عمر (٧)، أبو سعيد الخدرى، أبو بكر الرازى الجصاص، عبد الرحمن بن عوف، الميمونى، المغيرة بن شعبة، مالك بن أنس (٦)، الأشرم، أبو على الجبائى، الحسن البصرى، داود الظاهرى، أبو موسى الأشعرى (٥)، السرخسى، أبو داود السجستانى، أبو يوسف، أبو الحسن الأشعرى، بشر المريسى، بكر بن محمد، زيد بن ثابت، شريح، عصمة بن أبى عصمة، عبد الجبار الهمذانى، محمد بن سيرين، محمد بن سلمة، النظام (٤). أبو يعلى، الأصم، التميمى، الجرجانى، سعيد بن المسيب، عبيدة السليمانى، محمد بن الحسم (٣)، أبو عبد الله البصرى، أبو اسحق الاسفراييني، الخزرى، ابن سلام، القاشانى، جعفر بن مبشر، عبد الله بن حنبل، الصيرفى، الطبرى، موسى بن عمران وآخرون من الصحابة (٢)، الخياط، أبو الحسين البصرى، الاسكافى، الأخفش، ابن شاقلا، أبو الهذيل، ابن سريج، ابن الراوندى، البغوى، البخارى، سفيان الثورى، وعشرات من الصحابة (١).

(٢) التمهيد جـ١/٢٣/٣١، جـ٢/٢١٣/٣٣٤، جـ٣/٧٥، جـ٤/١٢٥/٢١٧/٣١٧.

(٣) السابق جـ٢/٥٨/٦٥/١١٨/١٧٦/٣٥٢/٤١٣/٤٢٥، جـ٣/٢٢/٢٤٩/٢٥٥/٢٧٧/٢٨٧، جـ٤/٨٧/٢١٢/٢١٧/ ٢٤٩/٣٢٠.

ومع ذلك يصدر أحيانا أحكاما بالقطع "وهذا غلط"[1].

٣- "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)[2]. وفيه تنفك بنية الغزالى. وتعود الأصول إلى الامتداد إلى ثلاثة عشر أصلا يمكن ضمها إلى أصول أصغر وكما كان الحال قبل "المستصفى"[3]. وكل أصل يبدأ بلفظ "الكلام فى..". أكبرها القياس ثم الأوامر والنواهى ثم اللغات ثم العموم والخصوص. وأصغرها المفتى والمستفتى[4]. وتتداخل مباحث الألفاظ مع الأدلة الشرعية الأربعة. ويبدأ الكتاب بمقدمة عن تعريف العلم وبعض مصطلحاته وضوابطه وموضوع الحسن والقبح عقليان أم شرعيان وفيه تظهر أحكام التكليف[5]. ويمكن ضم الموضوعات المتشابهة فى أصل واحد وبالتالى تتقدم مباحث الألفاظ ثم الأدلة الشرعية الأربعة ابتداء من القياس ثم الإجماع ثم السنة وأصغرها الكتاب[6]. ومن ثم تكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل فى العالم وتحقيقه فى الواقع.

وينقسم كل كلام إما إلى أبواب أو أقسام أو أركان أو مسائل. والقسمة إلى الأقسام هى الغالبة. والمقدمة تنقسم إلى فصول[7]. ثم ينقسم القسم إلى مسائل أو أنظار تنقسم بدورها إلى مسائل. وقد ينقسم القسم إلى شطور أو أشطار، والشطر إلى مسائل، والمسائل إلى فصول. وقد

---

(١) السابق جـ٣/١٠٩/٢٩٨/٣٦٩/٣٨٢، جـ٤/١٧.

(٢) فخر الدين محمد بن عمر الرازى: المحصول فى علم أصول الفقه، (أربعة مجلدات)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣) وهى: ١- اللغات ٢- الأوامر والنواهى ٣- العموم والخصوص ٤- المجمل والمبين ٥- الأفعال ٦- الناسخ والمنسوخ ٧- الإجماع ٨- الأخبار ٩- القياس ١٠- التعادل والتراجيح ١١- الاجتهاد ١٢- المفتى والمستفتى ١٣- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع.

(٤) الترتيب الكمى على النحو الآتى: ١- القياس (٢٣٧)، ٢- الأوامر والنواهى (٢١٦)، ٣- اللغات (١٦١)، ٤- العموم والخصوص (١٥٩)، ٥- الإجماع (١٢٤)، ٦- الأخبار (٧٦)، ٧- الناسخ والمنسوخ (٦٨)، ٨- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع (٦١)، ٩- المجمل والمبين (٥٧)، ١٠- التعادل والتراجيح (٥٥)، ١١- الاجتهاد (٣٦)، ١٢- الأفعال (٣٢)، ١٣- المفتى والمستفتى (٢٥).

(٥) المحصول جـ١/٥-٨١.

(٦) مباحث الألفاظ (٦١٠)، القياس (٤١٤)، الإجماع (١٢٤)، السنة (١٠٠)، الكتاب (٦٨).

(٧) الأوامر والنواهى (أقسام) (٣)، العموم والخصوص (٤)، المجمل والمبين (٤)، الأفعال (٣)، الناسخ والمنسوخ (٤)، الإجماع (٧)، الأخبار (٢)، القياس (٣)، التعادل والتراجيح (٤)، المفتى والمستفتى (٣). اللغات (أبواب) (٩). الاجتهاد (أركان) (٤). فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع (مسائل) (١١). المقدمة (فصول) (١٠).

ينقسم القسم إلى أبواب، والباب إلى مسائل أو فصول. كما ينقسم إلى أبحاث أو مسالك أو إلى أقوال أو إلى أنواع. كل ذلك يدل على غياب البنية المحكمة[1]. أما الباب كوحدة أولى فقد تنقسم إلى أنظار، والنظر إلى مسائل[2]. ولا تغيب البنية الواعية بل يتم الإعلان عنها فى أسس كل موضوع بتوضيح أولى خطوات البنية[3]. وقد يدخل القول فى الباب أو فى الفصل أو فى المسألة. ويستعمل لفظ "تنبيه" للتركيز على جزئية خاصة فى مسألة أو قول[4]. كما يستعمل لفظ "فرع" لجزء فى مسألة[5].

وللرازى فضل كبير على علم أصول الدين فى "المحصل" و"أساس التقديس" و"محصل عقائد المتقدمين والمتأخرين" و"معالم أصول الدين" و"المسائل الخمسون". وفى أصول الفقه فى "المحصول"، وفى الفلسفة فى "المباحث المشرقية". مما يدل على إمكانية التأليف فى العلوم. فالقسمة بالعلم وليست بالعالم. وواضح شيوع مشتقات فعل "حصل" فى "المحصول" و"المحصل". ويبدأ "المحصول" بمشكلة الحسن والقبح العقليين التى تربط بين شقى علم الأصول. ويتسم بدرجة عالية من التنظير مما يدل على قلة أسماء الأعلام والمذاهب والفرق نسبيا بالمقارنة بالمؤلفات الأصولية الأخرى. وتأتى الأعلام كلها فى فقرة واحدة أو فى موضوع واحد فى رأسى المسألة لبيان أوجه الاختلاف نحوها. ومع ذلك تكثر التفريعات النظرية فى القواعد والأصول. ويتم ترقيم الأدلة، فالدليل هو وحدة التحليل. كما يتم الرد على الاعتراض واحتجاجات المخالفين، اعتراضا اعتراضا، وحجة حجة. كما يتم تقطيع التعريف لفظا لفظا وشرح كل جزء على حدة، وكأن الرازى يشرح نصه، ويفسر متنه وحتى يصبح كل جزء واضحا بنفسه. وهى بداية عصر الشروح والملخصات والتخريجات[6]. وكثيرا ما يتم التحليل على مستوى الشعور مثل البحث عن "الطلب النفسانى" و"المعنى النفسانى" و"زورت فى نفسى كلاماً" و"الوجدانى"[7].

ويستشهد الرازى بعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيات أكثر[8]. كما

---

(١) المحصول ص٢٤٣-١٠٧١/٨٩١-١٣٦٢.

(٢) السابق ص٨٢-٢٤٢.

(٣) السابق ص٥٧١-٥٩٢/٥٧٢-٥٩٨-٦٢٣/٦٢٦-٦٢٦.

(٤) تنبيه ص٥٩٠/٥٩٨/٦٩٢.

(٥) فرع ص٦٨٩/١٢١٢.

(٦) السابق ص٨٣-٨٧/٥٨٥-٥٨٩/٦٤٦/٧٥٧/١٠٨٨.

(٧) السابق ص٢٥٥/٢٥٨/٧٧١.

(٨) الآيات (٦٢٠)، الأحاديث (٢٢٠).

يستشهد بالشعر العربى ولغة العرب فى مباحث الألفاظ[١]. ومن النحاة يذكر سيبويه وابن جنى والمبرد[٢].ويستشهد بشعر الفرزدق. ومن كتب النقد يذكر الجرجانى فى الوساطة بين المتنبى وخصومه. ويتميز كلام العرب عن كلام الزنجى. فاللغة قوم، والشعوب لغات[٣]. ومن الكتب يحال إلى كتاب سيبويه "العين"، والخصائص لابن جنى، والصحاح للجوهرى. ومن كتب النقد يذكر الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى[٤].

ويذكر الرازى عددا من الأعلام والفرق والمذاهب[*]. يتقدمهم الشافعى لأنه شافعى ثم أبو الحسين البصرى شيخ المعتزلة للحوار معه، ثم الباقلانى شيخ الأشاعرة بعد الأشعرى، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم أبو هاشم من أئمة المعتزلة، ثم الغزالى الذى جعل الأشعرية المذهب فى العقيدة، والشافعية المذهب فى الفقه، ثم النظام.. الخ، مرة أشعرى مثل الجوينى والاسفراييني والرازى (أبو بكر) والأشعرى، ومرة معتزلى مثل أبى على، والجبائى، وأبى الهذيل، وأبى على بن خلاد، وأبى اسحق الشيرازى والطبرى، ومرة شافعى مثل ابن سريج والأصفهانى، ومرة حنفى مثل الجصاص والكرخى والشيبانى. ويدخل فقهاء الشيعة مع فقهاء أهل السنة مثل الشريف المرتضى[٦]. ويذكر الصحابة والتابعون وغيرهم مثل ابن عباس وأبو سعيد وأبو هريرة وغيرهم. ومن آل البيت الحسن وعلى وفاطمة والحسين[٧].

ومن الفرق يتقدم "المعتزلة" ثم "الفقهاء" ثم "أصحابنا" ثم "المتكلمون" مما يدل على صلة

---

(١) الشعر (١٩)، لغة العرب (٧)، الفرزدق (٣)، لبيد (٢)، الأخطل، طرفة، النابغة، الكميت، الطرماح، ذو الرمة (١).

(٢) سيبويه (٣)، ابن جنى (٤)، المبرد (٢).

(٣) السابق ص٦٦١-٦٦٤/٦٦٧.

(٤) العين (٦)، الخصائص، الوساطة (١).

(٥) للأسف لا توجد فى هذه الطبعة كما هو الحال فى طبعات المؤلفات الأصولية الأخرى على فهارس للأعلام أو الآيات أو الأحاديث أو الأشعار أو الفرق والمذاهب أو الأماكن.

(٦) الشافعى (٦٦)، أبو الحسين البصرى (٤٥)، الباقلانى (٢٢)، أبو حنيفة، أبو هاشم (١٣)، الغزالى (١٢)، النظام، القاضى عبد الجبار، ابن سريج (١٠)، الكرخى، أبو مسلم الأصفهانى (٩)، مالك (٨) أبو على (٧)، عيسى بن أبان (٦)، الجبائى، المرتضى من الشيعة (٥)، الجوينى، الأصمعى، الصيرفى، الشريف المرتضى (٤)، سيبويه، الاسفراييني، الرازى (أبو بكر)، الشيبانى، الأشعرى، أبو الهذيل، أبو عبد الله البصرى، أبو على بن خلاد، أبو اسحق الشيرازى، ابن العارض، الأشعرى (٣)، الأصطخرى، القفال، أبو على الفارسى، بشر المريسى، المازنى (٢)، عبد الجبار، ابن فورك، المزنى، المروزى، الدقاق، ابن الزبعرى، على بن حيزان، عبد الله بن سلام، ابن سيرين، الخياط، أبو زيد، المزنى الباهلى (١) .

(٧) ابن عباس (٣)، أبو سعيد، أبو هريرة، ابن هريرة، كعب، عمر، الصديق (٢).

العلمين، الفقهاء علماء أصول الفقه، والمتكلمون علماء أصول الدين[1]. كما تظهر المذاهب الفقهية مثل الحنفية والشافعية، ويتقدم الحنفية لأنهم الخصوم ثم الشيعة[2]. كما تظهر بعض الفرق غير الإسلامية مثل المجوس واليهود والنصارى والمانوية[3]. وقد يعبر عن المذهب بلفظ "أصحاب" مثل أصحاب بنى حنيفة وأصحاب الشافعى[4]. وتكثر الفرق الكلامية مثل الخوارج ومنهم الفضيلية والميمونية والحشوية. وتتحدد المذاهب بالأمصار وفقهائهم مثل الكوفيين[5]. ومن الأنبياء يذكر موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم ومحمد ثم إسماعيل. ومن الكتب المقدسة يحال إلى التوراة. ومن ملوك بابل نبختنصر[6].

وبالرغم من العقلانية والتحليل النظرى والاعتدال فى المواقف إلا أن الرازى يتحدث عن "مذهبنا" و"أصحابنا" و"مشايخنا" معلنا انتسابه لموقف دون آخر، موقفه هو الصحيح والمواقف الأخرى هى الفاسدة[7]. فالدليل هو وحدة التحليل[8]. والمواقف نفى وإثبات وتوقف أو طرف وطرف نقيض وواسطة[9]. وتكثر مصطلحات مثل "مسلم" و"ممنوع" أى مقبول ومرفوض أو صحيح وفاسد[10].

ويحيل العمل إلى بعضه البعض ضما لأجزائه مما يكشف عن وحدة الرؤية. كما يحيل إلى بعض كتبه الأخرى مثل "عصمة الأنبياء" مع الوعى بتمايز العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. كما يحيل إلى كتاب "النهاية" و"الخلق والبعث"[11]. ومن كتب المتكلمين يحال إلى كتاب

---

(١) المعتزلة (٢٣)، الفقهاء (١٩)، أصحابنا (٢١)، المتكلمون (٩)، الإمامية (٣)، السمنية، أهل الظاهر (١).

(٢) الحنفية (١٢)، الشيعة (٩)، الشافعية (٤)، الأصوليون (٢)، الاخباريون، الصحابة، التابعون (١).

(٣) اليهود (٥)، النصارى (٤)، المجوس (٣)، المانوية، البراهمة (١).

(٤) العلماء، أصحاب الحديث (المحدثون) (٤)، المحققون، أصحاب النظر (١) .

(٥) الخوارج (٢)، الفضيلية، الميمونية، قدماء الروافض، الخطابية، الحشوية (١). الكوفيون (٤)، اهل العراق، فقهاء الأمصار، البصريون، نحاة الكوفة، نحاة البصرة (١).

(٦) موسى (٦)، عيسى (٥)، إبراهيم (٤)، آدم، محمد (٢)، إسماعيل (١). التوراة (٥). نبختنصر (١).

(٧) وهذا باطل ص٥٢٦/٦٥١، وهذه الثلاثة باطلة ص٥٧٤، هذا التعريف فاسد، المحصول ص١٩/٤٠/٦٥، الأول باطل والثانى باطل ص٩٧، فهذا برهان قاطع على فساد قولهم ص٤٤٣، هذا تلبيس ص٧١٤، هذا ضعيف ص١٥٩٧/٧٦٧/٨٥٧، والصحيح أن يقال ص٢٥١، الأول باطل والثانى حق ص٩١٣، الطرق الفاسدة ص٩٣٥، والإنصاف أن ص٥٥٨، وهو المختار ص٦١٤/١٠٣٦/١٤٣٥، والمعتمد ص٩٩٧.

(٨) واحتج المخالف ص٤١٤، احتج الخصم والجواب ص٤٣٤، حجة المنكرين، حجة المجوزين ص٤٣٥، وأما المعارضة التى ذكروها ص٤٤٥.

(٩) الأطراف والوسط ص٦٠٦-٦٠٧.

(١٠) هذا مسلم وهذا ممنوع ص٨٣٤/٩٣٣/١٠٩٣/١١٠٠/١١١٧، والدليل على صحة هذا التعريف ص٥٤٠.

(١١) السابق ص٤٤/١٥٠/٢٨٧/٣٤٠/٣٩٢/٦٧٠/٧٦٩/٨١٩/٧٩٧/٨٢٤/٨٨٢/٨٩٧/٩٠٥/١٠١٧/٢٩٠/١٤٢٤/١٣٧١/١٤٣٦.

الغيث للجاحظ و"اختلاف الحديث" للشافعى[1].

٤- "أصول الفقه" لابن عربى (٦٣٨هـ)[1]. ويدخل مع أصول الفقه الظاهرى مثل ابن حزم، جامعا بين الظاهر والباطن، فى الأصول والتصوف. تكثر فيه الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث[3]. وتقل فيه أسماء الأعلام باستثناء مالك من الفقهاء والجنيد من الصوفية[4]. ولا يخلو من حدة الأحكام التى عرف بها أصول الفقه الظاهرى عن ابن حزم والحكم بالضلال والخروج عن دين الله عند المخالفين. وتبدو الظاهرية بوضوح فى عد أصول الأحكام المتفق عليها فى ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع. وأما الرابع وهو القياس فعليه خلاف. وتنقسم الرسالة إلى أربعة عشر فصلا دون رابط بينها[5]. قبلها يظهر الاستحسان وهو أدخل فى القياس ثم خبر العدل وهو أدخل فى السنة. وتغلب مباحث السنة على مباحث الكتاب، رواية الحديث باللفظ والمعنى ثم العود إلى أفعال النبى. وتتأرجح مباحث الألفاظ والأمر والنهى بين الكتاب والسنة. ويضم القياس عددا من الموضوعات مثل شرع من قبلنا، والتقليد، والاستفتاء والاجتهاد. وتختفى أحكام التكليف فيه فى خطاب الشرع. وبالرغم من انتهاء ابن عربى إلى التصوف مثل الغزالى إلا أن رسالته فى أصول الفقه تميل إلى النقل قبل العقل، ويكاد يختفى الفعل فى العالم بالرغم من أهمية الرياضات والمجاهدات فى التصوف.

٥- "الوصول إلى الأصول " لابن برهان البغدادى الشافعى (٥١٨هـ)[6]. وتتشعب إلى خمسة عشر كتابا، كما هو الحال فى "المستصفى"[7]. لكل كتاب عنوان قصير، كلمة واحدة،

---

(١) المحصول ص١٤٥٣/٩٥٦.

(٢) العالم الراسخ الكامل الشيخ محى الدين محمد بن عربى الأندلسى عليه الرحمة: رسالة فى أصول الفقه ص١٨-٣٥.

(٣) القرآن (٧)، الحديث (٢).

(٤) الجنيد، مالك بن أنس (١).

(٥) وهى: ١- التعارض ٢- السنة ٣- وجوب الأخذ برواية الرؤى ما لم يجرح بجرح يؤثر فى نقله، رواية الحديث بالمعنى ٣- النسخ ٤- فيما تحمل عليه الألفاظ الواردة فى الشرع ٥- الأمر والنهى ٦- الإجماع ٧- لا يجوز القول بغير حجة ٨- أفعال النبى ٩- شرع من قبلنا ١٠- التقليد ١١- الاستفتاء ١٢- الأصل المسكوت عنه الإباحة ١٣- خطاب الشرع ١٤- الاجتهاد، أن كل مجتهد مصيب.

(٦) شرف الإسلام أبو الفتح أحمد بن على بن برهان البغدادى: الوصول إلى الأصول (جزءان)، تحقيق د. عبد الحميد على أبو زيد، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٧) هذه الكتب الخمسة عشر هى: ١- التكاليف ٢- اللغات ٣- البيان ٤- الأوامر ٥- النهى ٦- العموم ٧- الخصوص ٨- المفهوم ٩- الأفعال ١٠- التأويلات ١١- النسخ ١٢- الإجماع ١٣- الأخبار ١٤- القياس ١٥- الاجتهاد.

والمسائل بلا عناوين إلا فيما ندر[1]. وتظهر مرة واحدة كلمة فصل عرضيا[2]. تختلف الكتب فيما بينها طولا وقصرا. كما تختلف المسائل فى كل كتاب من حيث العدد. أكبرها القياس الدليل الرابع ثم الخصوص منفصلا عن العموم من مباحث الألفاظ ثم الأخبار وهو الدليل الثانى، ثم النسخ من الدليل الأول، ثم الإجماع الدليل الثالث، ثم الأوامر من مباحث الألفاظ، ثم الاجتهاد من لواحق القياس. ثم يظهر البيان لفظ الشافعى الذى صدر به مباحث الألفاظ، ثم اللغات المقدمة العامة لمباحث الألفاظ، ثم التكاليف وهى أحكام التكليف الثمرة التى صدر بها الغزالى "المستصفى"، ثم المفهوم عودا إلى مباحث الألفاظ من حيث معانيها، ثم الأفعال التى تنطوى تحت الدليل الثانى، ثم التأويلات التى تضم الظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ، ثم العموم الشق الثانى من مبحث العموم والخصوص من مباحث الألفاظ، وأخيرا النهى بالمفرد الشق الثانى من الأوامر من مباحث الألفاظ[3].

وتتكشف البنية بطريقة "المستصفى"، وتكون الأولوية للمستثير أى الأدلة الأربعة وأولوية القياس ثم السنة على الكتاب ثم الإجماع. ثم تأتى مباحث الألفاظ، وأخيرا أحكام التكليف أصغرها قبل أن تتضخم فى "الموافقات" للشاطبى[4]. ويبدأ الكتاب بتعريف العلم[5]. وبالتالى تكون الأولوية للنقل على العقل وعلى حساب الفعل فى الواقع والتحقق فى العالم.

وبالرغم من أن المؤلف شافعى، فقد كان حنبليا ثم ترك الحنبلية لحشويتها، إلا أن روح الكتاب حنفية مثل أصول السرخسى وأصول الجصاص وأصول البزدوى، مجرد رصد للأصول بصرف النظر عن تجميعها فى بنية مركبة كما فعل الجوينى والغزالى[6]. ونظرا لأنه تلميذ لهما فقد ظهرت روحهما فى مؤلفه، التحليل العقلى الهادئ، وضوح الأفكار، الجدل الصافى، رصد

---

(١) مثل الصلاة فى الدار المغصوبة جـ١/١٨٩-١٩٦، العموم على عوارض الألفاظ جـ١/٢٠٣-٢٠٦، الاستثناء المنفصل باطل جـ١/٢٤٠-٢٤٣، الاستثناء من غير الجنس باطل جـ١/٢٤٣-٢٤٨، الزيادة على النص ليست نسخا جـ٢/٣٢-٣٤، فى علة الربا جـ٢/٢٢٥-٢٢٨.

(٢) جـ٢/٢٢٥.

(٣) الترتيب الكمى التنازلى (الصفحات أولا والمسائل ثانيا) ١- القياس (١٢٧-٣٣) ٢- الخصوص (١١٤-٣٦) ٣- الأخبار (٧٨-٢٢) ٤- النسخ (٦٦-٢٤) ٥- الإجماع (٦٤-٢٤) ٦- الأوامر (٥٩-٢٢) ٧- الاجتهاد (٤٦-١١) ٨- البيان (٢٧-١٠) ٩- اللغات (٢٤-١٠) ١٠- التكاليف (٢٢-٩) ١١- المفهوم (٢٠-٥) ١٢- الأفعال (٢٠-٥) ١٣- العموم (١٩-٧) ١٤- التأويلات (١٧-٣) ١٥- النهى (١٦-٤).

(٤) الأدلة الأربعة (٤٠١)، القياس (١٧٣)، السنة (٩٨)، الكتاب (٦٦)، الإجماع (٦٤)، مباحث الألفاظ (٢٩٦). التكاليف (٢٢).

(٥) جـ١/٤٧-٧٤.

(٦) جـ١/١٥-١٨.

المسائل وهى الأصول الأولى، القواعد النظرية قبل أن تنتظم فى البنية، الخلو من الحشو والمغالاة، والحمية المذهبية بالاستبعاد. صحيح أنه سجالى، ولكنه سجال راق بأسلوب "فإن قالوا... قلنا" دون الهجوم على الأشخاص، تجريح أشخاصهم وتسفيه آرائهم كما يفعل ابن حزم وبعض الفقهاء[1]. صحيح أنه يحكم بالصحة والبطلان أو الصحة والفساد ولكن للأقوال والاستدلالات والكلام[2]. ويختار الصواب والصحيح والحق وهو مذهبه الشافعية[3]. ويتوحد مع المذهب ويتكلم عن "مذهبنا"، ويناصر أصحابه فيتكلم عن "أصحابنا"، "علماؤنا". وينصر شيخه فى "شيخنا" وإمامه فى "إمامنا"[4]. ويعتمد على الحجة والبرهان والرد على حجج الخصوم. ويسمى الدليل "العمدة"، "عمدتنا" و"عمدة الخصم" أو "عمدة هؤلاء" أو "عمدتهم" أو "العمدة" دون الضمير[5]. ويتطور المذهب تاريخيا بين الأولين والآخرين، بين المتقدمين والمتأخرين. ولكل فريق عمدته[6].

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيدا لوحدته. كما يحيل إلى باقى الأعمال الأخرى تأكيدا على وحدة الرؤية واختلاف الشكل الأدبى بين الإطناب والتركيز، الإسهاب والاختصار.

---

(١) مثلا جـ١/٥٦، جـ٢/٦٢/١٥٨-١٥٩/١٦٤-١٦٥.

(٢) هذا الاستدلال باطل جـ١/٦٨/١٣٨/١٤٧/٢٤٠/٢٤٣/٢٥٣/٢٩٠/٣٢٦، جـ٢/٢٣٢. هذا قول باطل جـ٢/٣٦١. هذا باطل جـ٢/٣٩/٤٠/٣١٩. هذا الكلام فاسد جـ١/١٨٠/٢٦٥/٢٦٩/٢٨٨. هذا فاسد جـ٢/١٣٤. وهذا الجواب ليس بسديد جـ٢/٣٨. هذا غير صحيح جـ٢/٥٩/١٢٦/١٨٦. وليس هذا بصحيح جـ٢/١٤٦.

(٣) والجواب الصحيح جـ٢/٣٨/٧٢/١٢٠. مذهب أهل الحق جـ١/١٢٨. والحق جـ١/٢٥٥. والحق عندنا أن جـ٢/١٣٠. صحة مذهبنا جـ٢/١٨٢.

(٤) مذهبنا جـ١/١٣٥. صحة مذهبنا جـ٢/١٨٢. أصحابنا جـ١/٩٤/١٧٥/١٧٨/٢٣٥/٢٨٦ جـ٢/٥٨/١١٩. علماؤنا جـ١/٥٨/٦١/٨٧/١٢٥/١٢٧/١٥٣/١٦٣/١٧٠/١٧٦/١٧٨/١٩٥/٢٠٨/٢١٣/٢٢٧/٢٦٢/٢٦٨/٢٧٨/٢٨٣/٢٨٨/٢٩٠/٢٩٣/٣١٦/٣٤١/٣٤٩/٣٦١/٣٨٣/٣٩٠، جـ٢/٣٩/٦٦/٧٢/٧٨/٩٩/١٥٩/١٦٣/١٦٥/٢٠٥/٢٨٤/٣٢١. شيخنا (أبو الحسن الأشعرى) جـ١/٦٥-٦٦. شيخنا الإمام جـ٢/٥٦. شيخنا جـ٢/٨٨. إمامنا (الشافعى) جـ١/٦٦.

(٥) عمدتنا جـ١/١٠٦/١٠٩/١١٨/١٥٢/١٥٤/١٧١/١٧٩/١٨١/١٩٧/٢١٧/٢٢٠/٢٢٤/٢٢٨/٢٥٦/٢٩٦/٣٦٢، جـ٢/٣٣/٣٧/٥٠/٥٣/٦١/٦٤/٨٥-٨٦/٩٢/١٠٩/١١٥/١١٩/١٢٢/١٢٥-١٢٦/١٣٢/١٣٩/١٤٢/١٥٥/١٥٧/١٨١/١٨٣/١٨٦/١٩٣/١٩٥-١٩٦/٣٣٧. عمدة الخصم جـ١/١٠٧/١١٣-١١٤/١١٨/١٤٠/١٦٠/١٦٢/١٧٩/١٨١/٢٠٤/٢١٤/٢٢٢/٢٢٤/٢٤٢/٢٥٨/٢٩٤/٣١٦/٣٢٠، جـ٢/٤٣/٥٣/٥٥-٥٩/٦١/٦٣/٨٦/٩٣/١٠٦/١١١/١١٥/١٢٢/١٢٥-١٢٦/١٢٨-١٢٩/١٣٢/١٥١/١٧٠/١٨٩/١٩٦-١٩٧/٢٠١/٢٠٦/٢٨٨/٣٢٥. عمدة هؤلاء جـ١/١٦٥/١٨٨/٢٠٠/٢٠٤/٢١٨/٢٢٠/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٨/٢٩٨/٣٠٦. عمدتهم جـ٢/٣٣/٣٧/١٠٩/١١٨/١٢٩/١٥٤-١٥٥/١٨٣/١٩٢. والعمدة جـ٢/٤٤/٨٩/١١١/١١٣/١٤٢/١٤٤-١٤٥/١٧٤-١٧٥/١٧٨/١٨٦/٢٠٣/٢٣٣/٢٦٥/٣٠٤/٣١٠/٣٢٨/٣٣١/٣٧٩. عمدة الإمام جـ٢/١٠٤. والمعتمد جـ٢/٤٣.

(٦) عمدة الأولين جـ٢/٣٥/٥١/٥٦/١١٧/٢٣١/٣١٦. عمدة الآخرين جـ٢/٣٥/٢٨٥/٣٠٧. الأولون جـ٢/٣٧٨. المتأخرون جـ٢/٢٠١/٣٥٢.

إذ يحيل ابن برهان البغدادى إلى كتابه "اللغات"[1].

ونظرا للطابع العقلى التحليلى العام فإن الحجج العقلية تفوق النقلية. ونظرا للتركيز على الأصول فإن الآيات تفوق الأحاديث[2]. وفى الأثار المروية عن الصحابة يتقدم عمر ثم على ثم ابن عباس ثم أبو بكر على عثمان وابن مسعود وعائشة والبراء[3]. ويكثر الاستشهاد بالشعر ولغة العرب وكلامهم[4]. ومن الصحابة يتقدم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم على ثم عائشة وغيرهم من رواة الأحكام الشرعية[5]. ومن المؤرخين السيوطى والصفدى وابن كثير، ومن المحدثين البخارى وداود، ومن الزهاد الحسن البصرى[6].

ومن الأصوليين والفقهاء يتقدم الشافعى مؤسس المذهب وأول الأصوليين ثم الباقلانى مفكر الأشاعرة وأبو حنيفة ثم المؤلف ذاته، ثم الجوينى والجبائى (أبو على) مناظرة بينهما، ثم الجبائى (أبو هاشم)، ثم الاسفراييني علم أصول الدين، ثم القاضى عبد الجبار، ثم أبو الحسن البصرى والغزالى وابن السبكى، ثم الاسنوى وابن عقيل الحنبلى، ثم الشاشى وأبو زيد وابن العماد، ثم ابن حنبل والزركلى القديم، ثم داود الظاهرى، ثم القلانسى وابن سريج والكرخى ومالك ابن أنس وغيرهم[7].

ومن الفرق يتقدم المعتزلة، فالكتاب كله جدل معهم وإن وافقهم أحيانا مثل حدهم للنسخ، ثم الروافض لتميز أصول الشيعة وفقهم ثم أهل الظاهر الذين يتماهون مع الحنبلية والحشوية

---

(١) جـ١/٣٥٤/٣٨٠.

(٢) الآيات (١٥٦)، الأحاديث (١١٤).

(٣) عمر (٥)، على (٤)، ابن عباس (٣)، أبو بكر (٢)، عثمان، ابن مسعود، عائشة، البراء (١).

(٤) الشعر (١٦) جـ١/٨/٤٨/٥٩/٩٨/١٠٢/١٣٠/٢١٦/٢٤٥-٢٤٦، جـ٢/١١. اللغة العربية جـ١/٥٣-٥٤/٩٧/٩٩-١٠٠/١٠٣-١٠٤/١١١/١٤٠/١٦٥/٢٠٧/٢١٢/٢١٤-٢١٦/٢١٨/٢٤٤/٢٥١/٢٥٤/٢٥٧-٢٥٨/٢٨٥/٣٠١-٣٠٢، جـ٢/٥/١٢/٣٣.

(٥) عمر (٢١)، أبو بكر (١٤)، ابن عباس (١٠)، على (٩)، عائشة (٧)، معاذ (٣)، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، أبو هريرة... (٢)، المغيرة بن شعبة... (١).

(٦) السيوطى، الصفدى، ابن كثير (٥)، البخارى، داود، الحسن البصرى (٢).

(٧) الشافعى (٤٧)، الباقلانى، أبو حنيفة (٤٠)، ابن برهان (٣١)، الجوينى، الجبائى (أبو على) (١٨)، الجبائى (أبو هاشم) (١٣)، الاسفراييني (١١)، القاضى عبد الجبار (١٠)، أبو الحسين البصرى، ابن السبكى، الغزالى (٨)، الإسنوى، ابن عقيل (٧)، الشاشى، أبو زيد، ابن العماد (٦)، ابن حنبل، الزركلى (٤)، داود الظاهرى، سعيد بن المسيب، الكعبى، الكيا الهراسى، النظام، اليافعى (٣)، الجاحظ، الحسن البصرى، الكرخى، ابن سريج، القلانسى، مالك ابن أنس (٢)، أبو الحسن الأشعرى، القفال، الشيبانى... (١).

والمشبهة. ثم السمنية التى تنكر المعارف خارج الحس، والعيسوية من فرق اليهود[1]. ومن الفرق غير الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصارى ثم المجوس. ويتم الاستشهاد بالتوراة التى كانت مقروءة عند العرب والمسلمين[2].

٦- "الواضح فى أصول الفقه" لابن عقيل الحنبلى (٥١٣هـ)[3]. ولأول مرة يدخل الحنابلة ويدونون أصولهم بعد أن بدأ الشافعية ثم الحنفية وقبل أن يدون المالكية أصولهم فى النهاية. لم يكن قصد الحنابلة إعطاء بنية ولا المالكية، فالحنبلية عود إلى النص، المنبع الأول للعلوم، ومراجعة كل الأصول الخارجة من الشافعية والحنفية فى الفقه، والأشعرية والاعتزالية فى الكلام. وتتم المراجعة من أجل إنقاذ النص من التنظير العقلى الحنفى، والتوفيق الشافعى، والتخريج المالكى. ويدل العنوان على الغاية منه "الواضح" أى توضيح غموض الأصول فى المذاهب الفقهية والكلامية.

ويعنى تشعب البنية أيضا غياب التصورات، والتنسيق، والعرض النظرى، والإحكام المنطقى، عودا إلى الأصل. فالنص فى حد ذاته منطق، يكفى بذاته، ومهمة الأصول تخليصه من علم الأصول الذى يتجاوز منطق النص، لغته وروايته.

غلب عليه الطابع السجالى بطريقة "فإن قيل... قيل"، "فإن قلتم... قلنا"، "فإن قالوا... قلنا"[4]. وقد يكون السجال متخيلا مثل السجال بين الشيعى والعثمانى أى الأموى، والسنى والمعتزلى، والمعتزلى والجبرى[5]. بل أن الجدل أصبح موضوعا رئيسيا فى علم الأصول تحولا من الجدل إلى القياس[6]. وهو موضوع كلامى، ونظرا لارتباط العلمين معا، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. لذلك تكثر الشبهة والأدلة والحجج والاعتراضات والردود والأسئلة والأجوبة. ويخصص فصل بأكمله للرد على شبه المعتزلة[7]. والمجموعة الرابعة من الفصول فى الجزء الثالث

---

(١) المعتزلة (٤٥)، معتزلة بغداد (٢)، الروافض (٣)، أهل الظاهر، الحشوية، الدهرية، المشبهة (٢)، السمنية، العيسوية (١)، وحد المعتزلة أقرب إلى الصواب جـ١/٩.

(٢) اليهود (١٠)، النصارى (٧)، المجوس (٣).

(٣) أبو الوفا على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى الحنبلى (٥١٣هـ): الواضح فى أصول الفقه (خمسة أجزاء)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركى، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤) السابق جـ١/٣٩٠-٣٩٣، جـ٢/٥٧٠-٥٧٧.

(٥) السابق جـ١/٥٠٧-٥٣٠.

(٦) السابق جـ٣/٧٨-٤٩٩.

(٧) السابق جـ٣/٢٢٧-٢٤٩.

للرد على شبهات المخـالف[١]. ويكـون السـجال بـين الحنابلـة "أصحابنـا" والشـافعية، أو بـين الحنابلة والشافعية فى مقابل الحنفية[٢].

يجمع الأسئلة والأجوبـة علـى الآيـة، فالآيـة هـى الأصـل وليـس عقلـها أو تخريجـها[٣]. والجديد هو المستوى النفسى للتحليل[٤]. وبالرغم من أن ابن عقيل أول الحنابلة إلا أنه يميز بين المتقدمين والمتأخرين[٥]. ويشعر بتميزه بمذهـب مسـتقل فيقـول "مذهبنـا"، "أصحابنـا". فـهناك صواب وخطأ. أهل التحصيل وأهل العلم والمحققون من العلمـاء هـم الحنابلـة، الفرقـة الناجيـة. ويدعو المؤلف القارئ بالهداية ويطلب مشاركته[٦]. وحيل العمل إلى ذاته من أجـل ضمـان وحـدة الرؤية فى هذا العمل الضخم[٧]. كما يحيل إلى غيره نظرا لوحدة علم الأصول[٨].

ومع ذلك توجد بنية خارجية عن طريق القسمة العضوية، ووضع مجموعة من الفصول أولا حول موضوع واحد قبل عرضها فصلا فصـلا ودون ترقيـم للمجموعـة أو للفصـل. وأحيانـا توجـد فصول فى موضوع واحد دون ضمها فى مجموعة واحدة[٩]. وأحيانا توضع فصول بلا عنـاوين[١٠]. وبعد بعض الفصول يأتى لفظ الكلام[١١]. وتقصر بعض العناوين وتطول. والبعض منها يبدأ البداية

---

(١) السابق جـ٤/٢٣٢-٢٣٢.

(٢) الحنابلـة والشـافعية جــ٢/٧٥/٨٤/٩٧/١٥٣/١٥٥-١٥٦/١٦٢/١٦٤/١٧٤-١٧٧/٢٠٣/٢٦٢/٢٦٩/٢٧٣/٢٧٥. الحنابلـة وأبـو حنيفـة جــ٢/٢٣٧/٢٥٧/٢٦٣. الحنابلـة والشـافعية فـى مقـابل الحنفيـة جــ٢/١٨٦-١٨٧/١٥٣/١٩٩/٢٠٤/٢١٠/٢٤١/٢٦٥/٢٦٨/٢٨٢-٢٨٣/٢٩١/٢٩٥/٣٠٤/٣١٣/٣٠٨/٣١١.

(٣) السابق جـ٢/٤٦٣-٤٦٦.

(٤) السابق جـ١/١٢/١٩-٢٠.

(٥) السابق جـ١/١٢-١٣.

(٦) السابق جـ١/٤٥٨، جـ٢/٥٧.

(٧) السابق جـ١/٦٣/٢٦٠/٤٢٥، جـ٢/١٧٠/١٧٩/٣٢٠، جـ٣/٣١٣، جـ٤/١١٧.

(٨) يحيل إلى كتاب الإقرار للخرقى، وجوابات المسائل للقتيبـى، والجـامع فـى النحـو لابـن قتيبـة، وكتـاب العـدة جــ٣/٤٧٠/٤٧٢/٤٨٨/٢٩٧، وكتـاب التفسـير جــ٤/٥٣/٣١٩، وكتـاب الفتيـا للجـاحظ، والأصـول للجرجـانى جـ٥/٣٣١/١٠١/١٩٤/٢١٧.

(٩) السابق جـ١/٧-٤٥، جـ٢/٥-٦٨، جـ٥/٥-٩٦.

(١٠) السابق جـ١/١٧-٤٥/٤٦-٥٦/٦٠-٦٤/٧٣-٨٥/٨٨/٩٠-١٠٣/١٢٥-١٢٧/١٣١/١٣٢-١٣٤/٢٤٥-٢٥٧/٢٦٢-٢٦٨/٢٩٧/٢٩٨-٣٠٠/٣٣٤-٣٣٩/٤٠٢-٤٠٩/٤١٤-٤١٦، جــ٢/١٢-٤٣/٦١-٦٧/٧٠-٨٢/٩٧-١٠٠/١١٤-١١٩/١٤٩-١٥٤/١٥٨-١٦٨/١٦٩-١٨٣/١٩٢-٢٣٦/٢٧١-٢٩٠/٢٩٤-٣١٠/٣١٤/٣١٧-٣٢٥/٣٣٩/٣٥٠-٣٥٧/٣٦٠-٣٨٤/٣٨٧-٣٩٥/٤١٠-٤٢٢/٤٢٨-٤٤٨/٤٥٧-٤٦٣/٤٧٣/٤٧٦-٤٨٤/٤٨٨-٤٨٩/٤٩٣/٥١١/٥١٨/٥٢٢-٥٤٦/٥٤٨-٥٥٤/٥٦٥-٥٦٧/٥٧٠-٥٧٢/٥٧٤-٥٧٧.

(١١) السابق جـ١/٩٠/٣٥٠، جـ٢/٤٥٠.

التقليدية "فى كذا...". والبعض الآخر بمجرد عبارة تعزيزية توضع كعنوان أو تترك فى أول الكلام. وقد تقصر بعض الفصول، وهو الغالب أو تطول وهو الأقل لدرجة أن عدد الفصول فى مجموعة قد يفوق عدد صفحاتها أو يعادلها[1]. وقد تغيب هذه القسمة العفوية لأنها تصدر عن بنية، فيضيفها الناشر من عنده دون الإعلان عن ذلك أو وضعها بين معقوفتين. ومن الصعب تجميع مجموعة الفصول فى بنية أصولية واحدة نظرا لأنها قد تجمع موضوعات متفرقة، تتكرر باستمرار فى عدة مجموعات أخرى. وقد تتكون مجموعة من الفصول من فصل واحد[2]. وقد يتم الإعلان عن موضوع مثل العموم دون وضع فصوله فى مجموعة خاصة به[3]. وقد تتخلل الفصول مسألة أو شبهة[4].

المصطلحات قرآنية مثل القياس والاستنباط ولحن القول والبيان، موروث من الداخل وليست وافدة من الخارج مثل مصطلحات الفلاسفة[5]. ويتعرض للعقائد بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين مثل النظر والعلم والتوليد، والسمع والعقل، والحسن

---

(١) جـ١ (الرقم الأول للفصول والثانى للصفحات) (المقدمات التمهيدية) (٢٣-٣٩)، النظر والعقل والتكليف (٣١-٤٤)، الحدود والعقول والحروف (٢٩-١٩)، حروف المعانى (١٤٥-١١٣)، الناسخ والمنسوخ (٣-٣)، شروط النسخ (١٤-٧)، التعبد بالنسخ (٨-١١)، وجوه النسخ (٦٢-٥٣)، صناعة الجدل (٣٠-٣٢)، الحجة والشبهة (٢٢-٢٢)، العلة والمعلول (١٠-٢٩)، العقلية والشرعية (١٠-٨)، المعارضة (٤-١٤)، المعارضة كاشفة للمعنى (٢١-٣٢)، القياس (١٠-١٤)، الاستدلال (١٩-٣٦)، الانقطاع (١٢-٤٨)، الجدل (١٠-٢٢).

جـ٢ الأدلة الشرعية (٤٤-٦٤)، الأقيسة (٣٨-٥٨)، الاعتراضات بالكتاب (١-١١)، الاعتراضات بالسنة (٣١-٤٣)، الاعتراض على قول الواحد (١١-٢)، الاعتراضات على فحوى الخطاب (٥-١)، الاعتراضات على دليل الخطاب (٤-٤)، معنى الخطاب وهو القياس (٢٨-٢٧)، الممانعة (٢٧-٣٤)، النقص (١٤-١٩)، القلب (٧-٨)، فساد الاعتبار (٣-١٥)، المعارضة (١٨-١٦)، استصحاب الحال (١٥-٣٣)، الأسئلة الفاسدة (٦-٧)، التراجيح (٤-١٢)، الخطاب (٣٨-٩٠)، الأوامر (٦٦-١١٢)، نفى التكرار (١٢-١٢).

جـ٣ الشروط والصفات للأمر والنهى (٣٥-٥٤)، القضاء والإعادة والفوات (١٤١-١٧١)، المناهى (٢٩-٢٨)، فحوى الخطاب ودليله (٢٧-٥٥)، العموم والخصوص (١٠٣-١٤٧)، الاستثناء (٢٠-٤٠).

جـ٤ المجمل والمبين والمحكم والمتشابه والمجاز والاستعارة (٤٣-١٢١)، أفعال النبى (٢٧-٧١)، النسخ (١٤-٣٥)، شبه المخالف (٥٠-٩١)، الأخبار وما فيها من خلاف (٥٨-١١٢).

جـ٥ الراوى (١٠١-٩٢)، التراجيح (٩-٧)، الإجماع (٩٢-١٣٣)، التقليد (٢٥-٣٣)، القياس (٢٨-٨١)، الاجتهاد (١٠٠-١٥٤).

(٢) السابق جـ٢/١٢٧-١٣٧.

(٣) السابق جـ٣/٣١٣-٤٦٠.

(٤) السابق جـ٤/٤٢١-٤٢٢.

(٥) السابق جـ١/٣٢/٨٥.

والقبح العقليين[1].

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الأصولية الشافعية أو الحنفية. ففى الجزء الأول بعد البداية بنظرية العلم أسوة بعلم أصول الدين وأحكام التكليف أسوة بالغزالى فى "المستصفى" وذكر الأدلة الثلاثة الأولى فقط يعرض فى مجموعة الفصول الأولى قضية العقل والسمع من علم أصول الدين، وفى الثانية والثالثة لمبادئ اللغة أو لمباحث الألفاظ من علم أصول الفقه، وفى الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة النسخ، والثامنة والتاسعة الجدل والحجة والشبه، ومن العاشرة حتى السابعة عشرة لموضوعات القياس مثل العلة والمعلول، العقلية والشرعية، والمعارضة، والقياس والاستدلال والانقطاع والجدل، مما يدل على ارتباط العلمين معا، الجدل فى أصول الدين والقياس فى أصول الفقه[2].

والجزء الثانى كله مخصص للقياس بمجموعات فصوله الثمانية عشرة مستنبطا من فحوى الخطاب. فالقياس من مباحث اللغة، الصلة بين المعنى والشئ كما حدد الغزالى فى "المستصفى". والاعتراضات عليه بالممانعة والنقض والأسئلة الفاسدة، ومن الكتاب والسنة وفحوى الخطاب ودليله أكثر من الأدلة عليه[3].

والجزء الثالث يتعرض لمباحث الألفاظ، الأمر والنهى، والقضاء والإعادة والفوات، وفحوى الخطاب، والعموم والخصوص، والاستثناء[4]. والجزء الرابع يستكمل مباحث الألفاظ، المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز. ثم يتطرق لأفعال النبى، السنة الفعلية فى الدليل الثانى. ثم يعود النسخ من جديد بعد أن تم عرضه فى الجزء الأول. ثم تخصص المجموعة الرابعة من الفصول

---

(١) السابق جـ١/٢٦-٢٧/٧٦/٢٠٢-٢٠٤.

(٢) السابق جـ١ ١- العقل والسمع ٢- مبادئ اللغة ٣- حروف المعانى ٤- شروط الناسخ والمنسوخ ٥- ما ليس من شروطهما ٦- ما يثبت بالتعبد وما يزول بالنسخ ٧- وجوه النسخ ٨- صناعة الجدل ٩- الحجة والشبهة ١٠- العلة والمعلول ١١- العلة العقلية والعلة الشرعية ١٢- المعارضة ١٣- المعارضة الكاشفة للمعنى ١٤- القياس ١٥- الاستدلال ١٦- الانقطاع ١٧- الجدل.

(٣) ١- القياس ٢- الاعتراضات بالكتاب ٣- الاعتراضات بالسنة ٤- الاعتراضات بالصحابى ٥- الاعتراضات على فحوى الخطاب ٦- الاعتراضات على دليل الخطاب ٧- معنى الخطاب (القياس) ٨- الممانعة ٩- النقض ١٠- القلي ١١- فساد الاعتبار ١٢- المعارضة ١٣- استصحاب الحال ١٤- الأسئلة الفاسدة ١٥- التراجيح ١٦- الخطاب ١٧- الأوامر ١٨- نفى التكرار.

(٤) ١- معنى الشروط والصفات التى تتعلق بالأمر والنهى ٢- القضاء والإعادة والفوات ٣- المناهى ٤- فحوى الخطاب ودليله ٥- العموم والخصوص ٦- الاستثناء.

للرد على شبهات المخالفين والخامسة لما فى الأخبار من خلاف[١].

والجزء الخامس يعرض فى الفصول الأولى لشروط الراوى كى تقبل روايته، استكمالا للدليل الثانى فى خبر الواحد، ثم التراجيح ابتداء من السند والمتن، ثم الإجماع، ثم التقليد، ثم القياس ثم الاجتهاد، تكرارا لموضوعات الأجزاء السابقة. فلا تهم البنية بقدر ما تهم المراجعة وتصحيح المذاهب الأصولية[٢]. ومع ذلك للعقل الأولوية على النقل فى الأصول الحنبلية وعلى حساب الفعل أيضا والتحقق فى العالم.

وبطبيعة الحال يتم الاعتماد على الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[٣].ويستشهد بالشعر العربى من أجل إحكام منطق التفسير للآيات والأحاديث. بل أن النبى أيضا يقرض الشعر[٤]. ومن أسماء الأعلام يتصدر موسى الأنبياء ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم لغلبة التشريع عليهم[٥]. ومن الفقهاء يتصدر بطبيعة الحال ابن حنبل، فالمؤلف حنبلى، ثم الشافعى مؤسس العلم، ثم أبو حنيفة أول فقيه أصولى واضع لمذهب، ثم الكرخى ثم السرخسى من فقهاء الأحناف، ثم التميمى، ثم مالك ابن أنس[٦]. ومن المتكلمين يتقدم الباقلانى مفكر الأشاعرة، ثم الحسن البصرى مفكر المعتزلة، ثم الأشعرى والجبائى (أبو على) وداود الظاهرى، ثم النظام وأبو بكر الصيرفى وغيرهم حتى الجاحظ[٧].

ومن الصحابة يتقدم عمر ثم على ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم عائشة ثم عثمان ثم معاذ ثم

---

(١) ١- المجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والمجاز والاستعارة ٢- أفعال النبى ٣- النسخ ٤- شبهات المخالف ٥- الأخبار وما فيها من الخلاف.

(٢) ١- صفات الراوى ٢- التراجيح فى الإسناد والمتن ٣- الإجماع ٤- التقليد ٥- القياس ٦- الاجتهاد.

(٣) الآيات (٩٥٤)، الأحاديث (٦٤٧). فالأحاديث حوالى ثلثى الآيات، الشعر (٤٩)

(٤) جـ١/٣٠/٩١/٩٦-٩٨/١١٨/١٢١/١٢٦/٢٠٧، جـ٢/١٥٦/١٧٧/٣٨٩/٤١٥-٤١٦/٤٢٧/٤٣٩/٤٥٢/٤٥٣/٤٥٥-٤٥٦/٤٦٠/٤٦٣/٤٨٤/٥١٩، جـ٣/٢٤٤/٣٠٠/٣٠٢/٣١٠/٣١٥/٤١٠/٤٦٩/٤٧٤/٤٧٥/٤٨٤-٤٨٥، جـ٤/٣٨/٤٣/٥٨/١٠٦/١٩٩/٢٣٤/٣٠٨/٣٣٠/٣٤٨/٣٩٢، جـ٥/١٠٦.

(٥) موسى (٦٠)، عيسى (٣٩)، إبراهيم (٣٥)، آدم (٢٥)، نوح، هارون، لوط (٨)، اسحق، سليمان، إسماعيل، داود، والعدو فرعون (٦)، الخضر (٤)، يعقوب، زكريا، يوسف (٣).

(٦) ابن حنبل (١٣٤)، الشافعى (٣٥)، أبو حنيفة (٣٢)، الكرخى (٢٩)، السرخسى (٢٦)، التميمى (١٧)، مالك (١٦)، ابن سريج (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، أبو الحسين البصرى (٩)، النخعى (٧)، شريح (٦)، داود الظاهرى، المروزى (٥)، الشيبانى، الشعبى (٤)، ابن شجاع، إبن زفر، المزنى، أنس بن مالك (٣).

(٧) الباقلانى (٣٢)، الحسن البصرى (١٣)، الأشعرى، الجبائى (أبو على)، داود الظاهرى (١٠)، أبو بكر الصيرفى، النظام (٨)، الجبائى (أبو هاشم)، البلخى، الكعبى، أبو بكر الدقاق (٥)، بشر المريسى، أبو ثور، أبو سعيد الخدرى (٤)، الأصم (٣)، الجاحظ، ذو النون (٢).

ابن مسعود ثم أبو هريرة وكل من لهم صلة بالتشريع وفاطمة وأم سلمة لا فرق بين رجال ونساء، وقس بن ساعدة لا فرق بين مسلمين ونصارى[١]. ومن اللغويين الفراء والخليل والزجاج[٢]. ومن المؤرخين الطبرى، ومن المحدثين البخارى[٣].

ومن الفرق يتصدر أصحاب الشافعى فهم الذين وضعوا العلم ثم أصحاب أبى حنيفة أول من وضعوا العلم ثم أصحاب أبى حنيفة أول من وضعوا مذهبا فقهيا. وتتضح الحنبلية، العودة إلى الأصول فى الاعتماد على الصحابة وأصحاب الرسول والتابعين وأصحاب الحديث وأهل السنة. ويجادل الفقيه الحنبلى المعتزلة أنصار التأويل والأشاعرة والرافضة والشيعة وأهل الجدل وأهل الوقف والإمامية وأهل الطبع، وأهل الاعتزال والحنفية ويعتمد على أهل الظاهر والأنصار واهل المدينة وأنصار أحمد واهل اللغة وأهل مكة والمهاجرين، وأهل الحديث[٤]. ويذكر عديد من أقوال الصحابة ومآثرهم. وتتقدم أقوال عمر ثم على المشرعين ثم ابن عباس حبر الأمة ثم أبى بكر ثم عائشة مصدر العلم ثم ابن مسعود[٥].

ومن الفرق غير الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصارى ثم البراهمة، ثم المجوس ثم السوفسطائية وأصحاب سوفسطا[٦]. وتختلط الفرق بالأقوام. وبطبيعة الحال يتقدم العرب، لغة العرب، لسان العرب، وكلام العرب ثم الروم أى اليونان ثم قريش زبدة العرب ثم الترك والهند،

---

(١) عمر (١٠٧)، على (٨٣)، أبو بكر (٦٧)، ابن عباس (٥٣)، عائشة (٣٨)، عثمان (٢٧)، معاذ (٢٦)،= =ابن مسعود (٢٠)، أبو هريرة (١٩)، زيد بن ثابت (١٨)، عبد الله بن عمر (١٥)، عبد الرحمن بن عوف (٩)، ابن سيرين (٨)، فاطمة وأم سلمة (٧)، أبو بكره، قس بن ساعدة (٦)، أبو موسى الأشعرى، المغيرة بن شعبة (٥)، معاوية، عمر بن العاص؛ ابن الزيد العباسى (٤)، ابن حامد، بلال، طلحة، عمر بن عبد العزيز (٣)، عمار بن ياسر، كعب الأحبار (١).

(٢) الفراء (٩)، الخليل (٤)، الزجاج (٢).

(٣) الطبرى (٦)، البخارى (٣).

(٤) أصحاب الشافعى (٢٠٤)، أصحاب أبى حنيفة (١٣٧)، الصحابة (١٣٠)، المعتزلة (٧٤)، أصحاب رسول الله (٦٠)، التابعون (٣٠)، أصحاب الحديث (٢٣)، أهل السنة (٢٢)، الأشعرية (٢١)، أهل الظاهر (١٨)، الأشاعرة (١٤)، أصحاب مالك بن أنس (١٣)، الرافضة (١٢)، الأنصار (١١)، أهل الجدل، الشيعة (٩)، أهل الوقف (٨)، الإمامية، أهل الطبع، بنو تميم (٧)، القدرية (٦)، أهل الرأى، أهل المدينة (٥)، أصحاب أحمد، أهل اللغة، أهل مكة، المهاجرون (٤)، أهل الاعتزال، أهل بغداد (٣)، أهل الحديث، أهل الكهف، الحنفية (٢).

(٥) عمر (٦٠)، على (٥٢)، ابن عباس (٤٢)، أبو بكر (٢٦)، عائشة (١٥)، ابن مسعود (٩)، ابن عمر (٧)، أبو هريرة (٦)، عبد الرحمن بن عوف (٤)، يعلى بن أمية، شفيق بن سلمة، أبو موسى الأشعرى (٣)، ذو اليدين، معاذ بن جبل، عمار بن ياسر، البراء بن عازب (٢) وغيرهم.

(٦) اليهود (٢٠)، النصارى (١١)، البراهمة (٥)، المجوس (٤)، السوفسطائية (٣)، أصحاب سوفسطا (٢).

ثم الزنج ثم الزنوج والعجم[1]. وهى الأقوام التى دخلت الإسلام وشاركت فى حضارته. ولما ارتبط الفقه بالمناطق قدر ارتباطه بالديانات والملل فيتقدم بيت المقدس ثم الكعبة ثم مكة ثم اليمن بسبب معاذ ثم المدينة وقباء مسجد الرسول ثم البيت الحرام. وتختلط الأماكن المقدسة مثل بيت المقدس، والمسجد الحرام والكعبة وقباء بالمناطق مثل اليمن والعراق بالمدن، مكة، والمدينة، وبغداد والبصرة والكوفة[2].

٧- "سلم الوصول إلى علم الأصول" لعبد العليم ابن الشيخ محمد بن أبى حجاب الشافعى[3]. ويبدأ التأليف الأزهرى مكررا المادة القديمة دون أى رؤية خاصة أو دلالة جديدة. يختفى العد والإحصاء. فالمادة لا بنية لها إلا من ثمانية عشر عنوانا. الأول أشبه بالمقدمة فى التعريف بعلم الأصول[4]. والثانى والثالث والرابع فى أحكام الوضع وأحكام التكليف[5]. ثم تأتى أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال. وأكبرها الكتاب ثم القياس ثم السنة والاستدلال ثم الإجماع[6]. ويضم الكتاب الألفاظ[7]. وتضم السنة أفعال الرسول ومن تقبل روايته ومن لا تقبل مع عدة مسائل متفرقة[8]. والإجماع لا تفريع فيه[9]. ويضم القياس أركانه وشروطه، وأدلة العلة المعنون عنها بالمسالك، وقوادح العلة وخاتمة[10]. ويضم الاستدلال عدة مسائل وخاتمة مع التعادل والتراجيح والاجتهاد وأمثلة أخرى وخاتمة[11]. وهنا يبدو

---

(١) العرب (١٠٨)، الروم (٧)، قريش (٦)، الفرس، النبط (٥)، الهند، الترك (٣)، الزنج (٢)، الزنوج، العجم (١). لغة العرب جـ٢/١٢٨/٣٩٨/٤١٢/٤١٥/٤١٩/٤٢١/٤٣٧/٤٥٥/٤٦٢. جـ٣/٧٩/١٢٥-١٢٧/١٣٧/٢٧٢-٢٧٣/٢٨٩/٣٠٦/٣٢٨/٣٣٦/٣٥٣/٤٣١/٤٤٨/٤٦٨/٤٧١-٤٧٢/٤٧٥/٤٨٢. جـ٤/٣٤/٤٢/٥٠/٥٩/٦٠/٢٦٩. جـ٥/٣٦٠/٤٥٦/٤٨٢.

(٢) بيت المقدس (٢٣)، الكعبة (٢١)، مكة (١٣)، اليمن (١١)، المدينة، قباء (٩)، بغداد، عرفة (٤)، حراء، بدر، الحرم، المروة، غدير قم، العراق، الصفا (٣)، البصرة، الكوفة، المسجد الحرام (٢).

(٣) المفتقر إلى رحمة الكريم التواب عبد العليم ابن الشيخ محمد أبى حجاب الشافعى مذهبا، الحدادى بلدا ومولدا، أحد علماء الأزهر الشريف عفى الله عنه آمين: سلم الوصول إلى علم الأصول، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٨.

(٤) السابق، علم الأصول ص٢-٤.

(٥) مطلب الحكم، مطلب الأداء والقضاء والإعادة، مطلب العزيمة والرخصة، السابق ص٤-٨.

(٦) الكتاب (١٧)، القياس (١٠)، السنة، الاستدلال (٨)، الإجماع (٣).

(٧) الكتاب، النص وغيره من أقسام المدلول المنطوق وغيره من أقسام الدال، السابق ص٨-٢٥.

(٨) السنة، السابق ص٢٥-٣٣.

(٩) السابق ص٣٣-٣٦.

(١٠) السابق ص٣٦-٤٦.

(١١) السابق ص٤٦-٥٤.

التركيز على الأدلة الأربعة وحدها نظرا لتداخل الاستدلال مع القياس، دخـول مباحث الألفاظ مع الكتاب، وغياب النسخ. بعض الموضوعات بها مسائل والبعض بها خاتمة[1]. ومازال به أسلوب التأليف القديم فى إيراد الاعتراض من المسبق والرد عليه دون فقد وحدة الموضوع وإحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق[2]. ومازال تحريم الفلسفة قائما. إذ يشار إلى أهل الشرع دون الفلاسفة[3]. وهنا يكون للنقل الأولوية على العقل ويختفى الفعل كلية وهو السائد حتى الآن، أولوية النص على الواقع.

ومن الشواهد النقلية يتقدم القرآن على الحديث ويتوارى الشعر تقريبا[4]. ويتقدم الشافعى بعد أن استقر مذهبه مذهبا رسميا منذ القرن الخامس الهجرى على يد الغزالى ثم يتلوه أبو حنيفة. ثم يأتى مالك مع تقى الدين السبكى وابنه حصارا للواقع بين نصوص الشافعية والأشعرية والظاهرية. ثم يذكر الفخر دون الرازى تعظيما لأعلام الأشعرية الشافعية[5]. ثم يزداد الواقع حصارا بأعلام الحنابلة. ويحال إلى نصوصهم مثل "مناقب الشافعى" و"جمع الجوامع"[6]. ومن الفرق والمذاهب يتقدم الحنفية والحنفى على الشافعية والمعتزلة. ويشار إلى المحققين والأصوليين والأئمة الأربعة والشيعة[7].

وتظهر خصائص التأليف المتأخر فى السجع منذ العنوان، وتقريظ الكتاب شعرا فى البداية ونثرا فى النهاية من عديد من العلماء[8]. كما تبدأ الإلهامات والمواجيد الصوفية فى بداية الكتاب. ونظرا للطابع التعليمى فإنه يبدو مختصرا واضحا تقل فيه خلافات الفرق، ولكن تكثر

---

(١) السابق، الخاتمة ص٤٥/٤٩/٥٣، المسائل ص٣١/٤٧/٥٢.

(٢) السابق ص٩.

(٣) السابق ص١٥/٢٩.

(٤) الآيات (٥٨)، الحديث (٢٧)، الشعر (٢).

(٥) الشافعى (١٤)، أبو حنيفة (٧)، مالك، التقى السبكى، العلامة العطار (٣)، ابن السبكى، الباقلانى، داود الظاهرى (٢)، الفخر الرازى، ابن الحاجب، العضد، إمام الحرمين، ابن حجر، ابن قاسم، الزهرى، عبد الله بن سليمان، ابن أكثمة الليسى، الطبرى، ابن حزم، أبو بكر، عمر، شيخنا (١).

(٦) مناقب الشافعى للفخر، جمع الجوامع للتقى السبكى (٢)، حاشية العطار على جمع الجوامع (١).

(٧) الحنفية (٦)، الحنفى (٢)، الشافعية، المعتزلة، المحققون، الأصوليون، الأئمة الأربعة، الشيعة (١).

(٨) على صفحة العنوان الأولى يذكر هذا البيت من الشعر وينتهى بقصيدة أخرى من الشعر، السابق ص٥٦.

وما الكتاب إلا الضيوف وحقها ∴ بأن تتلقى بالقبول وتقرى

وفى النهاية تقريظ الشيخ محمد موسى البحيرى شيخ السادة الشافعية، والشيخ سالم عطا الله البولاقى الشافعى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى، والشيخ محمد أبو عليان، والشيخ سعيد مرجى الشافعى. وكلهم من كبار علماء الأزهر الشريف، السابق ص٥٤-٥٦.

فيه الشواهد النقلية نظرا لتوارى العقل أمام النقل فى التأليف المتأخر. كما تظهر اللازمة الشهيرة "والله أعلم" فى آخر بعض الأقسام[1].

وفى النهاية، وبالرغم من حجب البنية تظهر البنية الثلاثية على استحياء فى أصول البزدوى وأصول السرخسى فى البنية المتناثرة. فهى فى أصول البزدوى، علم المشروع بنفسه أى الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به، وهى مباحث الألفاظ ثم العمل به أى أحكام التكليف. وهى نفسها فى أصول السرخسى المشروعات أى الأدلة الأربعة، ومعانيها وهى مباحث الألفاظ، ثم العمل بها وهى المقاصد والأحكام[2]. وهذا يكشف عن أن بنية العلم الثلاثية حاضرة فى كشف البنية وفى حجبها على حد سواء. وهى التى تم تأويلها على أنها أبعاد الشعور الثلاثة: الشعور التاريخى (الأدلة الأربعة)، والشعور النظرى (مباحث الألفاظ)، والشعور العملى (المقاصد والأحكام).

---

(١) السابق ص٣٩/٤١.

(٢) أصول البزدوى جـ١/٤٧-٤٨، أصول السرخسى جـ١/١٠.

الفصل الثالث

اجتزاء البنيـــة

الفصل الثالث

اجتزاء البنية

أولا: المصنفات الجزئية.

ومن الصعب التفرقة بين اجتزاء البنية في موضوعات مستقلة كالإجماع والقياس وبين الموضوعات المستقلة الوافدة من القرآن والحديث التى دخلت على علم أصول الفقه وهو فى طور النشأة والتكوين مثل الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول المستمدة من علوم القرآن، والتواتر والآحاد المستمدة من علم مصطلح الحديث.

ولا يكفى فى "اجتزاء البنية" عرض الشكل فقط أى بنية الموضوع الجزئى بل يتم تحليل المضمون لمعرفة أوجه الخلاف حولها. ويتفاوت حجم تحليل المضمون. يكون تفصيليا إذا كان النص صغيرا ويكون مجملا إذا كان النص طويلا لأنه يستعمل أيضا مع المصنفات الكاملة لمزيد من التفصيل.

ولا تعنى المصنفات الجزئية اجتزاء فقرات أصولية من مصنفات غير أصولية كلامية أو فلسفية أو صوفية. فهذه الفقرات الأصولية تدخل ضمن وحدة العلوم التى تظهر فى المصنفات غير الأصولية، كما تظهر فقرات كلامية وفلسفية وصوفية داخل المصنفات الأصولية دون أن تكون مصنفات كلامية أو فلسفية أو صوفية[1]. فابن تيمية مثلا لم يدون مصنفا فى علم أصول الفقه. وربما استعمل فى مؤلفاته الكلامية والفلسفية المنهج الأصولى باعتباره منهجا إسلاميا من أجل نقد الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف، وربما لأن علم الأصول أقل العلوم عرضة للنقد فى حين أن النقد كله قد تم توجيهه إلى الكلام فى "منهاج السنة" والفلسفة والمنطق فى "الرد على المنطقيين" و"نقض المنطق". كما أن التجميع لفقرات فى الأصول فى أربعة قواعد، الأولى المصالح والمفاسد، وتدخل فى موضوع القياس، والثانى التفاضل والأفضلية وهو ليس موضوعا أصوليا خالصا بل هو موضوع كلامى فى المفضول والأفضل. والموضوع الأصولى هو التعارض والتراجيح كأحد ملحقات القياس. والثالثة، العقل والنقل وهو موضوع كلامى خالص عرضه ابن تيمية فى "درء تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول". والرابعة الأصول والفروع وهى مقدمة

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: فصول فى أصول الفقه، الجمع والترتيب والعناية لأبى الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

عامة فى تصنيف العلوم الفقهية. وهذه القواعد الأربعة أقرب إلى علم القواعد الفقهية منها إلى علم الأصول. وتجمع هذه الاقتباسات بين المتن والشرح، بين النص والدراسة، مما يجعل المحاولة كلها أقرب إلى الدراسة الثانوية فى علم الأصول عند ابن تيمية مستشهدة ببعض فقرات أصولية من خلال بعض مؤلفاته. كما أنها تهدف إلى تبجيل ابن تيمية باعتباره أحد مصادر التيار السلفى المعاصر، وأقرب إلى التقريظ والمدح منه إلى التحليل والوصف، ترويجا لابن تيمية من السلفيين المحدثين.

تعنى اجتزاء البنية إذن المصنفات الأصولية التى تناولت أحد الموضوعات الجزئية فى علم الأصول إما بالعرض والتعميق أو بالجدل والرفض والإبطال والتفنيد[1]. وقد كان الدافع على ذلك الاختلاف حولها. وقد كان الاختلاف حول شرعية القياس أولا ثم الإجماع ثم السنة خاصة خبر الواحد. ولم يقع الخلاف حول القرآن.

ويمكن عرضها بعدة طرق:

أ- الترتيب التاريخى لمعرفة متى تنشأ الحاجة إلى هذه الموضوعات الجزئية والجدال حولها فى عصرها.

ب- الترتيب الموضوعى من أجل معرفة الجدال حولها عبر العصور مثل الجدال حول مراتب الإجماع بين ابن حزم وابن تيمية.

---

(١) من النوع الأول:

أ- ابن فورك: الحدود فى الأصول (٤٠٦هـ).

ب- الباجى: الحدود فى الأصول (٤٧٤هـ).

ج- أبو الحسين البصرى: القياس فى الشرع الإسلامى (٤٣٦هـ).

د- الغزالى: شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل (٥٠٥هـ).

ه- القرافى: العقد المنظوم فى الخصوص والعموم (٦٨٤هـ).

و- الطوخى: المصالح المرسلة (٧١٦هـ).

ز- الشوكانى: القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد (١٢٥٥هـ).

ح- الطهطاوى: القول السديد فى الاجتهاد والتجديد (١٢٧٣م).

ومن النوع الثانى:

أ- الشافعى: إبطال الاستحسان (٢٠٤هـ).

ب- ابن حزم: ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل (٤٥٦هـ).

ج- ابن حزم: مراتب الإجماع (٤٥٦هـ).

د- ابن تيمية: نقد مراتب الإجماع (٧٢٨هـ).

ج- الترتيب الأصولى فى نسق الأدلة فى علم الأصول بداية بالمصطلحات الأصولية التى تدخل فى المقدمات ثم الأدلة الأربعة والخلاف حول الإجماع والقياس ثم مباحث الألفاظ، طرق الاستثمار مثل مباحث العموم والخصوص.

ثانيا: المؤلفات الاصطلاحية.

وهناك مجموعة من المؤلفات الأصولية خاصة بالمصطلحات وحدها. فكل علم يضع مصطلحاته. وضع الفلاسفة مصطلحاتهم مثل الكندى والرازى وابن سينا وابن حيان والخوارزمى والآمدى والجرجانى[1]. ووضع الصوفية مصطلحاتهم مثل القشيرى. بل وضعت مصطلحات خاصة ببعض الكتب الرئيسية مثل وضع الجرجانى لمصطلحات "الفتوحات المكية" لابن عربى ووضع ابن فورك "ملحق" فى شرح بعض المفردات والمصطلحات الشرعية المستخرجة من "تفسير القرآن" له.

١- "الحدود فى الأصول" أو "الحدود والمواصفات" لابن فورك (٤٠٦هـ)[2]. وتضم المصطلحات علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين أكثر. وهى حدود عقلية خالصة لا تعتمد على أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث. ولا تتضمن أسماء أعلام أو أصحاب فرق ومذاهب. بل تضم أحيانا بعض مصطلحات الفقه والحديث والتصوف.

ويسبق لفظ الحد قبل المحدود فى كل الحدود باستثناء حدين يسبقان بلفظ "معنى"، وحدين بلا لفظ "حد" أو "معنى"[3]. ولا تخضع لترتيب أبجدى فى حين تخضع مصطلحات "تفسير القرآن" لترتيب أبجدى. وقد ألف الكتاب بناء على سؤال وطلب، مما يدل على مدى الحاجة إلى معرفة المصطلحات التى يقوم عليها كل علم[4].

---

(١) من النقل إلى الإبداع، مجلد ١ النقل، جـ٢ النص، الفصل ٢ المصطلح الفلسفى ص١٨١-٢٥٠.

(٢) ابن فورك: الحدود فى الأصول، قرأه وقدم له وعلق عليه محمد السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٩، ص١٦٣-١٩٤.

(٣) يسبق لفظ حد المحدود فى ٢٠٠ حدا، ومعنى مرتان، وبلا حد أو معنى مرتان.

(٤) "سألتم أدام الله توفيقكم أن أملى عليكم حدد ومواصفات ومعانى عبارات دائرة بين العلماء بأصول الدين وفروعه مما ارتضاها شيوخنا رحمهم الله وقام الدليل عندى بصحتها وأوجزها ليقرب تناولها ويسهل حفظها فأجبتكم إلى ذلك رغبة فى الثواب، وجزيل الأجر عند المآب فأقول والله الهادى للصواب"، الحدود فى الأصول ص٧٥.

٢- "كتاب الحدود فى الأصول الفقه" للباجى الأندلسى (٤٧٤ هـ)[١]. وهو مقال سيال، بلا تقسيم لأبواب أو فصول ودون ترتيب أبجدى. كل الألفاظ المتقاربة حول موضوع واحد تجمع تباعا. وتضم علم أصول الفقه وعلم أصول الدين والفقه والحديث والمنطق. فهى مصطلحات مستعملة فى أكثر من علم. وعددها ليس كبيرا[٢]. وتذكر بعض الاختلافات فى الحدود مما يدل على تباين المذاهب والاتجاهات. ويقوم الباجى بذكر الحد ثم شرحه. فهو المشروح والشارح. وتختلف الحدود فيما بينها كما. أطولها الاستحسان لأنه حد مالكى مثل المؤلف[٣].

ويعتمد على عديد من الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[٤]. ويعتمد على لغة العرب وكلام العرب كمعيار لفهم النص الدينى[٥]. والمصدر الرئيسى له من المتكلمين هو أبو بكر الباقلانى. ومن الفقهاء مالك وأنصاره، ثم أبو حنيفة والشافعى. ولا يذكر أحمد بن حنبل[٦].

ثالثا: مباحث الألفاظ.

١- "العقد المنظوم فى الخصوص والعموم" للقرافى (٦٨٤هـ)[٧]. فقط فى أحد مباحث الألفاظ "الخصوص والعموم" كمبحث جامع لمباحث الشرط والشرط، والمستثنى منه والمستثنى، والمطلق والمقيد، دون الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبين. يتضمن خمسة وعشرين بابا. بعضها ينقسم إلى فصول فقط، والبعض الآخر إلى فصول وأقسام، وثالثة إلى فصول وأقسام ومسائل، ورابعة إلى فصول ومخصصات ومسائل، وخامسة إلى مسائل فقط[٨]. وأكبرها الرابع عشر "الدليل على أن هذه الصيغ للعموم"، وأصغرها الثانى "فى بيان أنهم

---

(١) الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى: كتاب الحدود فى الأصول، تحقيق د. نزيه حماد. مؤسسة الزعبى للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

(٢) الحدود (٧٣).

(٣) الحدود فى الأصول ص٦٥-٦٨.

(٤) الآيات (١٠)، الآحاديث (٢).

(٥) لغة العرب، كلام العرب (١).

(٦) الباقلانى (١١)، مالك (٣)، مالكى (٦)، مالكيون (١)، أبو حنيفة (٣)، الحنفى (٢)، محمد بن خويز منداد (٢)، الشافعى، ابن عبد الحكم، القاضى أبو محمد، أشهب (١).

(٧) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجى المصرى المعروف بالقرافى: العقد المنظوم فى الخصوص والعموم، تحقيق الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. (وهى طبعة تخلو من أى فهارس)

(٨) باب فقط (١٩)، باب وفصول فقط (١)، باب وفصول وأقسام (١)، باب وفصول وأقسام ومسائل (١)، باب وفصول ومخصصات ومسائل (١)، باب ومسائل فقط (٢).

يطلقون لفظ العام والأعم" والسابع "فى الفرق بين العموم اللفظى والعموم المعنوى"[1]. وتبدأ بعض الأبواب بلفظ "بيان" والبعض الآخر بلفظ "الفرق" وهو الأعم. بينما تبدأ بعض الأبواب بألفاظ أخرى مثل "حقيقة"، "حد"، "دليل"، "تقرير". فالغرض من الكتاب هو الإيضاح والتمييز والتحديد[2]. وخلال الأبواب والمسائل تظهر ألفاظ "تنبيه" و"فائدة" و"سؤال"[3].

وبالرغم من أن المؤلف مالكى المذهب إلا أنه عقلى لغوى منطقى الاتجاه يحلل فى العمق وليس على الاتساع. اختار اللغة كمدخل لعلم الأصول كما هو الحال فى المنطق القديم. فلا فرق بين مباحث الألفاظ فى علم الأصول وبين أول مبحثين فى المنطق القديم، المقولات والعبارة، قبل أن يتحول إلى منطق شكلى فى القياس والبرهان كى يعود من جديد إلى منطق المضمون فى الجدل والسفسطة والخطابة والشعر. لا يقطع بشئ بل يضع احتمالات عدة. لا يكفر ولا يستبعد، ولا يصدر أحكاما بالصواب والخطأ أو الصحة والفساد. وقد يكون المختار مذهب آخر[4]. والغاية من التأليف التوضيح والبيان والتمييز. فقد وقع خلط فى فهم العموم لفظا ومعنى فى اللغة والاصطلاح، بين العام والمطلق. واحتار الناس فى عدد صيغه ومخصصاته ودرجات العموم والكل والكلى. لذلك سمى الكتاب "العقد المنظوم" أى التوضيح والجلاء عن طريق إعادة التنظيم والترتيب والتمييز بين حبات العقد[5].

---

(١) الترتيب الكمى للأبواب (رقم الباب بين قوسين ثم عدد الصفحات) ١-(١٤) الدليل على أن هذه الصيغ للعموم (١٥٥). ٢-(٢٠) المخصصات المتصلة (١٠٨). ٣-(٢١) المخصصات المنفصلة (٤٤). ٤-(٩) الأسباب المقيدة للعموم (٤٢). ٥-(٥) حقيقة مسمى العلوم وحده (٣٩). ٦-(١٠) الفرق بين ثبوت الحكم فى الكلى وبين نفى الكلى والنهى عنه، (١٩) فى جواز التخصيص ومسائله (٣٨). ٧-(١٠) الفرق بين العام والمطلق (٢٨). ٨-(٢٣) ما ظن أنه من مخصصات العموم (٢٧). ٩-(٨) خواص العموم اللفظى (٢٣). ١٠-(١٧) الفرق بين المخصص والمؤكد (١٨). ١١-(١٦) حد التخصيص وتمييزه وقبول اللفظ العام (١٧)، (٢٢) بناء العام على الخاص (١١). ١٢-(١٣) صيغ العموم المستفادة من النقل العرفى (١١). ١٣-(٤) فى الفرق بين الكلى والكلية والكل، (٢٤) فى حمل المطلق الكلى على المقيد (١٠). ١٤-(١٥) تقرير الجمع بين أقوال العلماء (٨). ١٥-(٢٥) تحقيق الفرق بين حمل المطلق (٧). ١٦-(١١) الفرق بين نفى المشترك أو النهى عنه مطابقة وبين النفى أو النهى عنه التزاما، (١٢) سرد صيغ العموم (٥). ١٧-(١) إطلاقات العلماء العام والأعم، (٣) بيان أن العموم من عوارض الألفاظ والعانى (٤). ١٨-(١٨) ما يصير به العام مخصوصا (٣). ١٩-(٢) بيان أنهم يطلقون لفظ العام والأعم، (٧) الفرق بين العموم اللفظى والعموم المعنوى (٢).

(٢) الفرق (٥)، بيان (٢)، حقيقة، أسباب، سرد، حد، دليل، تقرير (١).

(٣) تنبيه (٢)، فائدة، سؤال (١)، العقد المنظوم ص٣٥-٣٦/١٠٦/٢١٧/٧٢٦/٧٢٩.

(٤) السابق ص٤٤-٥٠. "والمختار قول أبى الحسين البصرى"، ص٥٤٢.

(٥) "فقد رأيت كثيرا من الفقهاء النبلاء الذين يشتغلون بأصول الفقه، ويزعمون أنهم حازوا قصب السبق لا يحقق معنى العموم والخصوص فى موارده حيث وجده، ويلتبس عليه العام والمطلق إذا انتقده. ولم أجد فى كتب=

وبالرغم من هذه الدرجة العالية من التنظير إلا أن التحليل يعتمد على عديد من الشواهد النقلية من الآيات والأحاديث التى غالبا ما تتكرر فى عديد من الاستعمالات[1]. والآيات أكثر، نظرا لأنها تتعلق بالأصول أكثر من الفروع. كما يستشهد بالشعر العربى وتحديد بحوره، الطويل أو الرجز... الخ. وهو الذخيرة الأولى للمبادئ اللغوية والذى على أساسه يتم تفسير الآيات[2]. الشواهد من القرآن والشعر والمعقول، كما يتم الاستشهاد بلسان العرب وقول العرب ولغة العرب والقبائل العربية وباللغويين والنحاة اللغويين وأئمة اللغة والنحاة الأصوليين. لذلك كانت هناك صلة بين علم الأصول وعلم التفسير عن طريق مباحث الألفاظ[3]. ويستعمل المحاجة العقلية، ويرد على الاعتراضات، ويسرد الحجج والحجج المضادة حتى ينتهى إلى الاستدلال السليم والبرهان. جمع بين التنظير المغربى والوضوح المصرى[4]. يحصى الأفكار لدرجة ذكر مائتى وخمسين صيغة للعموم، مالكى يقول بالمصالح العامة ويدرك منطق الألفاظ[5].

ويتقدم فخر الدين الرازى كعلم من أعلام الأشاعرة الشافعية، ثم الرازى فى "المحصول" على وجه التحديد، الأصولى الأشعرى الشافعى أو الرازى بمفرده أو "المحصول" بمفرده. يتلوه

=الأصوليين وغيرها من صيغ العموم إلا نحو عشرين صيغة ومقتضى ذلك ألا يكون ما عداها صيغة فى لسان العرب، والعموم أكثر من ذلك يعضدها النقل والاستدلال... ووجدت مسمى العموم فى اللغة خفيا جدا على الفضلاء حتى أنى حاولت تحريره مع من تيسر لى الاجتماع به منهم فلم أجده يجد لتحر ذلك سبيلا بل يدور عنده اللفظ العام بين أن يكون موضوعا لقدر مشترك بين أفرده فيكون مطلقا لا عاما وبين أن يكون قد تعرض الواضع فيه لخصوصيات تلك المحال فيكون اللفظ مشتركا مع أن صيغ العموم ليست مشتركة على الصحيح من المذاهب ومجملا مع أنها غير مجملة عند مثبتيها وبين أن يكون اللفظ العام موضوعا لمجموع الأفراد من حيث هو مجموع فيتعذر الاستدلال به فى حالة النفى والنهى... والحق فى صيغ العموم وراء ذلك كله. ووجدتهم يعدون المخصصات المتصلة أربعة فى لغة العرب ووجدتها نحو العشرة. ووجدتهم يسوون بين استعمال العام والأعم، وبين النية المؤكدة والنية المخصصة وهو خطأ. ووجدتهم فى حمل المطلق على المقيد يسوون بين الكلى والكلى، والأمر والنهى، والنفى والثبوت، وهو لا يصح إلى غير ذلك من المباحث المتعلقة بالعموم والإطلاق مما يتعين تمييزه وتحريره. فأردت أن أجمع فى ذلك كتابا يقع التنبيه فيه على غوامض هذه المواضع واستنارة فوائدها وضبط فرائدها بحيث يصير للواقف على هذا الكتاب ملكة جديدة فى تحرير هذه القواعد وضبط هذه المعاقد... وسميته "العقد المنظوم فى الخصوص والعموم"، السابق ص١٩-٢٣.

(١) الآيات (٣٤٨)، الأحاديث (٧٧).

(٢) الشواهد الشعرية (٣٤).

(٣) العرب (١٥)، لسان العرب (١١)، قول العرب (٣)، القبائل العربية (٢)، لغة العرب (١)، اللغويون (٣)، النحاة اللغويون (٢)، جماهير النحويين، أئمة اللغة، النحاة الأصوليون (١)، العقد المنظوم ص٥٩٢.

(٤) يتحدث المؤلف عن حياته فى صنهاجه قبل قدومه إلى القاهرة، السابق ص٣١٩.

(٥) العقد المنظوم ص١١١-١١٣/٢٢١-٣١٦.

الحنفية وعظماؤهم. والقرافى مالكى، تعظيما وإجلالا للمذهبين الرائدين التاليين للمالكية، الحنفية والشافعية. يتلوه الشافعى أصوليا ومذهبا والشافعية، ثم الباقلانى، ثم الغزالى من الأشعرية الشافعية، ثم الغزالى فى "المستصفى" مثل الرازى فى "المحصول"، ثم أبو الحسين البصرى ثم على التخصيص فى "المعتمد"، ثم سيف الدين الأمدى ثم على التخصيص فى "الاحكام"، ثم ابن عصفور على التخصيص فى "المقرب"، وأحيانا "صاحب المقرب"، ثم الكرخى إمام الحنفية وصاحب الأصول وحججه، ثم مالك ومذهب مالك والمالكية التى ينتسب إليها القرافى. وينضم المفسرون كالزمخشرى ثم على التخصيص فى "الفصل". ثم ينضم اللغويون والنحاة مثل سيبويه وابن جنى فى "الخصائص". ويظهر أبو هاشم ثم الجبائى من المعتزلة كمنظرين لأصول الفقه الاعتزالى. ثم يتداخل الأصوليون من المذاهب الأربعة مما يدل على وحدة العلم، وعموم الأصل مثل الشريف المرتضى من الشيعة، وعيسى بن أبان والصيرفى من الحنفية، وأحمد رائد الحنابلة، ويحال إلى "الملخص" لعبد الوهاب المالكى[1]. ومن اللغويين والشعراء يظهر ابن دريد ومن النحاة يونس والخليل والمبرد[2].

ومن الفرق والطوائف والملل يظهر العلماء أولا على الإطلاق، ثم الأصوليون على التخصيص، ثم الفقهاء، ثم النحاة مما يدل على أن الأصوليين هم الصلة بين الفقهاء والنحاة[3]. وتقل الفرق الأخرى كالظاهرية والمعتزلة والدهرية. ثم تظهر مدارس الفقه والنحو والمنطق فى

---

(١) فخر الدين الرازى (٥٧)، الحنفية (٢٦)، الغزالى (٢٥)، الشافعى (٢٣)، أبو حنيفة (١٩)، الباقلانى (١٨)، الشافعية (١٤)، إمام الحرمين (١٢)، سيف الدين الآمدى (٩)، أبو الحسين البصرى، الكرخى، الزمخشرى، المازرى، المالكية (٨)، ابن عصفور، سيف الدين الإبيارى، أبو بكر الصيرفى (٧)، سيبويه، أبو هاشم (٦)، الجبائى (٥)، الشريف المرتضى (٤)، النقشوانى، ابن القاصرى، أحمد بن حنبل، ابن العربى، العز بن عبد السلام، ابن سريج، الحزفى، مذهب الحنفية (٣)، ابن جنى، مالك، مذهب مالك (٢)، عبد الوهاب المالكى، ابن السكيت، الكراع، أبو ثور، تاج الدين الأرموى، الجرجانى، القفال الشاشى، أبو على الفارسى، التبريزى، ابن عطية، ابن الزعبرى، عيسى ابن أبان، ابن برهان، عبد الملك بن الماجشون المالكى، الجرجانى، الأبهرى، القاضى عبد الجبار، أبو عبد الله البصرى، النفرى، ابن الشميل، الكسائى، الجوهرى، أبان بن عثمان، ابن يعيش، الشيرازى، التبريزى، التبريزى، قاضى القضاة صدر الدين، القاضى أبو ليلى، شرف الدين التلمسانى، شمس الدين الإبيارى، المدخل لابن طلحة الأندلسى، المحصول، أبو سعيد الأصطخرى، الشيرازى، ابن يونس الموصلى، ابن الفارض، مهب المرتضى من الشيعة (١).

(٢) ابن دريد، النابغة (٢)، يونس النحوى، صاحب الصحاح، الخليل، المبرد، لبيد، عثمان بن مظعون، البطليوسى، ابن الانبارى، أبو اسحق، المغنى (١).

(٣) العلماء (١٢)، الأصوليون (١١)، الفقهاء (٨)، النحاة (٥)، الرافضة (٢)، أهل الظاهر، الدهرية، المعتزلة، النحاة والأصوليون، أئمة اللغة، أهل طبرستان (١).

الكوفة والبصرة[1]. ويبرز المذهب الذى ينتمى إليه المؤلف فى "الفضلاء منا"، "أصحابنا"، "مذهب القاضى منا" فى مقابل مذهب الجمهور[2]. وتقل الإشارات على أن مذهبه هو المذهب الصحيح[3]. ومن الفرق غير الإسلامية يحال إلى اليهودية والنصرانية. ومن الأنبياء اسحق والمسيح[4].

ويحال إلى عديد من مؤلفات الأصول السابقة للمؤلف ولغيره مما يدل على بداية التراكم الفلسفى وعصر الشروح والملخصات. وأكثر المؤلفات ذكرا هى "المحصول" للرازى وشروحه المختلفة، ثم "المستصفى" للغزالى، ثم "المقرب" لابن عصفور، ثم "الاحكام" للآمدى، و"البرهان" للجوينى ثم مشاهير كتب النحاة[5]. ويذكر القرافى خمسة من مؤلفاته السابقة[6]. أما الناشر الحديث فإنه يسهب فى التعليقات والتخريجات مما يوحى بأن عصر الشروح والملخصات قد بدأ ولم ينته بعد[7].

رابعا: الإجماع.

١- "الإجماع" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ)[8]. وهو دفاع عن حجية

---

(١) الكوفيون، البصريون، المنطقيون، المفسرون، النحاة، الحنبلية (١).

(٢) الفضلاء منا، الأصحاب، أصحابنا (٣)، مذهب القاضى منا (١)، مذهب الجمهور (٢).

(٣) مثل "وقد بينا فساد هذا الطريق" السابق ص٣٦٥، "فالصواب فى هذه المسألة ما حددته بها" ص٥٥٥.

(٤) النصارى، اليهود (٢)، النصرانية، المجوس (١)، المسيح، اسحق (١).

(٥) المحصول للرازى (٢٤)، المستصفى للغزالى (١٠)، المقرب لابن عصفور (٧)، الاحكام لسيف الدين الأمدى، البرهان لإمام الحرمين (٥)، شرح البرهان للمازرى (٤)، الملخص لعبد الوهاب المالكى، إصلاح المنطق لابن السكيت، المنتخب للكراع، شرح الإيضاح للجرجانى، المعتمد لأبى الحسين البصرى، شرح المحصول للنغشوانى، الإقرار فى الفروع للخرفى (٣)، الفصل للزمخشرى (٢)، الخصائص والجامع لابن جنى، الأوسط لابن برهان، شرح المفصل لابن يعيش، اللمع للشيرازى، اختصار المحصول للتبريزى، العمدة للقاضى أبو يعلى، شرح المحصل لشرف الدين التلمسانى، شرح البرهان لشمس الدين الإبيارى، المدخل لابن طلحة الأندلسى، طبقات الأطباء للشيرازى، تعليق على المحصول لابن يونس الموصلى، إصلاح الخلل فى شرح الجمل للبطليوسى، النحو لابن الانبارى، المغنى، المعالم لفخر الدين الرازى، الشيرازيات لأبى على الفارسى، الأوسط لابن برهان، والمفتاح وأدب القضاء والمواقيت والتلخيص لابن القاضى (١).

(٦) وهى: شرح المحصول، التنقيح، شرح التنقيح، الاستغناء فى أحكام الاستثناء، السابق ص٤٧٦/٥٤٥/٦٠٦.

(٧) السابق ص٣٠-٣١/٥١-٧١/٧٤-٧٥/٩٧-٩٨/١٢٦-١٢٨/١٤٢-١٤٧/١٩٩-٢٠٠/٢٠٣-٢١٢/٢٢١-٢٢٢/٢٥٧-٢٧٨/٢٩٤-٣١٤/٣٨٣-٣٨٤/٣٩٢-٣٩٩/٤١٤-٤٢٠/٤٨٩-٤٩٧/٥٢٦-٥٣٤/٥٧٣-٥٧٧/٥٨٣-٥٨٤/٦٤١-٦٤٣/٦٨٨-٦٩١/٦٩٨-٧٠١/٧٢٠-٧٢٥.

(٨) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى: الإجماع، المقدمة فى الأصول لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ص٢٥٩-٢٨٧.

الإجماع، إجماع الصحابة، ضد منكريه من المعتزلة والرافضة. لذلك امتلأ بأسماء الفرق، وفى مقدمتهم الصحابة ثم المعتزلة والرافضة والشيعة واليهود والنصارى والكفار والروم والهند[1]. ويعتمد على الأحاديث أكثر مما يعتمد على الآيات[2]. ويحيل إلى "شرح كتاب اللمع" لأبى الفرج[3]. وبطبيعة الحال يذكر النظام نموذج منكرى الإجماع والشافعى وأبو بكر للمثبتين. كما يذكر صلب المسيح وشجاعة على وسخاء حاتم وحلم معاوية على حقائق معروفة بالإجماع. وهو كتاب سجالى حجاجى نظرا لطبيعة الموضوع. ويقوم على تخيل الاعتراض مسبقا والرد عليه. ويعتمد على جدل النفى والإثبات، أولا بإيراد حجج النفى وهى سبع والرد عليها. ثم إيراد حجج الإثبات وهى ثلاثة والرد على الاعتراضات عليها مسبقا. وقد يتم الجواب على الاعتراض، ثم الاعتراض على الجواب، ثم الجواب على الاعتراض عدة مرات فى حجج متداخلة ومتشابكة بحثا عن اتساق الفكر وسلامة المنطق.

ولا خلاف فى الصدر الأول وفقهاء الأمصار وأئمة العلم من سائر الأعصار على حجية الإجماع واتباع السلف الصالح لقدرتهم على التأويل والاستنباط حتى ولو اختلفوا فيما بينهم. إنما وقع الخلاف بين المعتزلة والرافضة والنظام فى أربعة طرق: الأول استحالة وقوعه ومنع وجوده أصلا. والثانى منع الشريعة الإجماع على حادثة نظرا لاختلاف الرؤى والتأويلات بين البشر وإن أمكن ذلك عقلا. والثالث جواز وقوعه ولكن ليس حجة لقدحه فى الصحابة ونسبة الشبه إليهم، وترك العمل بالصواب طلبا للرئاسة ومحبة للسيادة، وهو موقف النظام. والرابع استحالة نقله إن وقع. وحجج النفى سبع:

أ- استحالة القطع على أن الجماعة الكبيرة تتفق على اختيار الحق والصواب والعدول عن الباطل فى كل الأوقات، واستحالة الاتفاق على الصدق فى الاخبار عن الغيوب، واستحالة الصدق فى كل الأقوال والأفعال.

ب- إن جاز الخطأ على الواحد جاز على الجماعة، فالجماعة مجموع الآحاد. ويستحيل القول بأن الجماعة لا تخطئ مع خطأ الآحاد. كما يستحيل الإجماع بالأغلبية دون الأقلية ولو كان واحدا. فالحق كيف وليس كما.

جـ- تجرى العادة على استحالة اتفاق الجماعة على أمر واحد من أمور الدنيا، والأولى ألا

---

(١) الصحابة (٧)، أصحابنا (٣)، اليهود، النصارى، الكفار (٢)، الروم، الهند، المعتزلة، الرافضة، الشيعة، فقهاء الأمصار، أئمة العلم، أهل الاجتهاد، الفقهاء الأصوليون، أهل الردة، الأنبياء (١).

(٢) الآيات (٨)، الأحاديث (١٦).

(٣) الإجماع ص٢٨٦.

تتفق فى أمور الدين. فأمور الدنيا تحكمها المصالح فى حين أن أمور الدين يختلف فيها الناس على الشئ الواحد مصلحة أو مفسدة.

د- تعذر دخول أية جماعة تحت العد والحصر، واعتبار قولهم حجة مبنى على وجوده، ووجوده مشروط بالعلم به وهو أمر متعذر. ونظرا لتكاثر الأمة وزيادة آحادها فمن الصعب القول بأن هذا القول يمثل جميع الأمة فيجوز وجود آحاد من المجتهدين لم يدخل فى الحصر.

هـ- لم يكن إجماع الأمم السالفة حجة، فالظن واحد، فى الأمم السابقة وفى هذه الأمة.

و- لا يجوز أن يكون الإجماع تخمينا أو حدسا حجة. وإن كان الإجماع عن دليل أو أمارة فالحجية فيهما وليس فى الإجماع. وإن كان خبرا واحدا أو اجتهادا أو عموما قابلا للخصوص أو مجملا فى حاجة إلى بيان فالإجماع لا يصح.

ز- إجماع الأمة على أمور الدنيا ليس حجة على من بعدهم نظرا لتغير المصالح طبقا لتغير الزمان. والأولى أن يكون ذلك فى أمور الدين. والدليل على ذلك إجماع الأمة السابقة على القتال والجهاد والأمة الحالية على الهدنة والمصالحة[1].

أما حجج الإثبات فإنها حجج نقلية خمسة، ترد على الاعتراضات العقلية مسبقا مثل:

أ- ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾. إذ تتوعد الآية من يتبع غير سبيل المؤمنين ومن يشاقق الرسول، وبالتالى فإن اتباعهم وطاعته واجبة. واعتراضات النفاة على هذه الحجة كثيرة منها الآية تدل على المنع وليس على الفرض أى أنها حجة سلبية وليست حجة إيجابية، استدلال يقوم على برهان الخلف. ويمكن اتباع سبيلهم دون الموافقة على أحكامهم. والجواب أن قبول حكم من أحكامهم هو اتباع للسبيل. كما أن الاتباع يقتضى صفة الإيمان وهو شرط الموافقة. وإذا عُلق الوعيد على اتباع السبيل بشرط بيان الهدى فإن القرينة فى الدليل وليس فى الإجماع. والجواب أن الشرط عائد إلى مشاقة الرسول بعد رؤية المعجزة. كما أن الآية جملة مستقلة غير مشروطة. ولا يتطلب الاتباع معرفة صحة السبيل. فالإجماع لا يكون إلا عن صواب. وإذا كان الوعيد معلقا على مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فإنه يكون فى الأمرين معا ولا ينتج عن ذلك مفسدة. ولا يقال ولو كانت الآية تقتضى الاتباع لوجبت حين توفر شرط الإيمان لأن الإيمان لا يكون إلا بالدليل. ولا يقال إن الاتباع فى الصلاح بل فى كل شئ. ولا يقال إن الاتباع ندب لأن الاتباع فى الشكل وليس فى المضمون. والصيغة تدل على الاستغراق لجميع المؤمنين حتى يوم الدين وليس بعد انقراض الأمة وإلا كان

---

(١) السابق ص٢٦٠-٢٦٤.

متعذرا. والاتباع يكون لسبيل المؤمنين دون غيرهم، وعن يقين وليس عن ظن. ولا يخلو عصر من المؤمنين. والاتباع للجماعة وليس للآحاد، للاتفاق وليس للاختلاف[1].

ب- يدل الحديث المشهور "لا تجتمع أمتى على خطأ" وصياغاته المتعددة "لا تجتمع أمتى على ضلال" أو "ضلالة". على انه إذا انتفى الخطأ أو الضلال وقع الإجماع. ومع أنه خبر آحاد إلا أن الصحابة قبلوه. يوجب العمل وإن لم يوجب العلم. والإجماع على خبر آحاد بمثابة حجة للخبر، يتحول به من الظن اليقين. ولا يحتج بإجماع اليهود والنصارى على صلب المسيح وهو باطل. فلكل أمة طرق نقلها والتحقق من صدقه دون السؤال حوله بالرغم من تشكك علم النقد التاريخى للكتب المقدسة فيه، والسؤال حوله، وحجة الخبر مستمدة من حجة الآية. ولا مانع من قطع تواتر الخبر. يكفى إجماع الأمة على العمل به دون أن يقتضى ذلك تحويل تواتر خبر الآحاد إلى تواتر على العموم وعلى نحو إلزامى. وجواز الإجماع على رأى لم ينقل مع جواز نقل إجماع لم يتم ينافى إجماع الأمة على أخبار مثل "لا ميراث لقاتل عمد"[2]. كما لا يجوز على الأمة التواطؤ والكتمان، وقد أجمع الصحابة عليه. وكان إجماعهم بمثابة السنة المقطوعة ونص الكتاب. وهى أمة عظيمة كبيرة يستحيل عليها التواطؤ والكتمان. وقد وردت أحاديث أخرى بهذا الصدد[3]. وتجمع الأمة على شجاعة على وسخاء حاتم وحلم معاوية بأخبار متصلة أصلها خبر آحاد مع اتفاق معانيها. ولم يعترض أحد من الصحابة وإلا كان تم نقله بالرغم من توفر الدواعى على إظهار غيره. ولا يقال إن الإجماع فى الشكل ولكن فى المضمون. قد تكون هناك أشياء تنه عن الصواب والخطأ لأن الفعل قصد والقصد حكم. وليس المقصود بالضلالة السهو فحسب كما هو الحال فى باقى الأمم بل الخطأ العمد. وليس المقصود أيضا الكفر بل الخطأ فى الحكم. وليس نفى الخطأ فى حكم واحد بل كفعل ذاتى يتكرر فى الأحكام. والاحتجاج بالإجماع على أن الإجماع حجة ليس وقوعا فى الدور بل استدلالا بالخبر على أن الإجماع حجة. وإذا اجتمعت اليهود والنصارى على صلب المسيح فلا تجتمع الأمة الإسلامية على اتساع رقعتها وكثرتها على خطأ. وقد منعت عصمة الأنبياء وقولهم فى الخطأ مما لا يمنع أن تكون أمة الإسلام كذلك مثل الإجماع على إمامة أبى بكر وقتال أهل الردة. والجماعة تفارق الواحد وتصوبه لأنها ليست مجرد مجموعة أفراد.

---

(١) السابق ص٢٦٤-٢٧٠.

(٢) السابق ص٢٧١-٢٨٢.

(٣) مثل: "من سرته بحبوحة الجنة فليزم صلاة الجماعة"، "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"، "عليكم بالسواد الأعظم"، "من فارق الجماعة مات ميته جاهلية"، "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق" ... الخ.

جـ- ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. وهو دليل نقلى يدل على عدم اجتماعها على خطأ فى كل الأحكام وليس فى بعضها. فلا تخصيص فى الحكم. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شرط التفضيل، يمنع من الاجتماع على خطأ. ومدح الأمة ليس مجرد ثناء بل لسبب فعلى هو صواب الحكم. وليس مجرد وصف بالعدالة والفضيلة مع احتمال وقوعها فى السهو الغلط لأن ذلك يقدم فى العدالة[1].

د- ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾. وهو أيضا دليل نقلى ويعنى الوسط العدالة والخيرية والنزاهة مما يؤدى ذلك كله إلى الصواب فى الحكم. وهو خطاب عام يتجاوز عصر الصحابة طبقا لخصوص السبب وعموم الحكم. والشهادة على الناس فى ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ للجميع وليس للبعض[2].

هـ- ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾. وهو دليل نقلى ثالث يشير إلى الأمة الحالية حتى ولو كانت أمة الصحابة وليست الأمة الماضية، وبالرغم من وجود النبى فيها. والصيغة فى المضارع وليست فى الماضى.

ويحيل المؤلف إلى مزيد من الأدلة عن حجية الإجماع فى "شرح كتاب اللمع" لأبى الفرج[3].

٢- "مراتب الإجماع" لابن حزم (٤٥٦هـ)[4]. وفيه عرض الموقف الظاهرى من الإجماع، وهو الإجماع الخاص وليس الإجماع العام، إجماع الصحابة وليس إجماع كل عصر، مثل إجماع أهل "القرة"، إجماع آل البيت عند الشيعة. وهو مقال سيال مثل "الملخص" يقسم لكتب وأبواب دون ترقيم[5]. وهو أقرب إلى الفقه منه إلى الأصول. هو فقه تطبيقى. يعرض لموضوع الإجماع أولا ثم يبين الموضوعات التى تم فيها الاتفاق أو الاختلاف ثانيا بين المذاهب الفقهية والكلامية مما يدل على ارتباط العلمين، أصول الفقه وأصول الدين[6]. بل إن الباب الأخير فى الإجماع فى العقائد[7]. لذلك كانت موضوعات الكتب والأبواب موضوعات

---

(١) السابق ص٢٨٢-٢٨٤.

(٢) السابق ص٢٨٤.

(٣) السابق ص٢٨٤-٢٨٧.

(٤) ابن حزم: مراتب الإجماع، بعناية حسن أحمد اسبر، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) عدد الكتب (١٧)، الأبواب (٢).

(٦) يذكر من الفرق الكلامية القدرى والشيعى والاباضى والمرجئى، مراتب الإجماع ص٣٢.

(٧) ابن حزم: مراتب الإجماع، ص٢٦٧-٢٧٤.

فقهية خالصة[١].

ويكاد يخلو من الأدلة النقلية والعقلية باستثناء أربعة آيات، كما يخلو من المحاجة. إنما يرصد فقط موضوعات الاتفاق والاختلاف بين المذاهب الفقهية. ويسبق الاتفاق والاختلاف. فالاتفاق هو الأصل، والاختلاف هو الفرع[٢]. وصيغ الاتفاق هي: اتفقوا، أجمعوا. وصيغ الاختلاف: اختلفوا، لم يتفقوا، اختلف القائلون، اختلف الموجبون، لا إجماع. ليت الاتفاق أو الاختلاف كان على الأصول وليس على الفروع، على الكليات وليس على الجزئيات. كما يخلو من الشواهد الشعرية التى تفسر ألفاظ القرآن والحديث. والهدف من ذلك كله إبطال الإجماع بسبب الاختلاف حوله وكأن الاتفاق لا وجود له مع أنه أكثر من الاختلاف، وكأن الاختلاف يطعن فى مبدأ الإجماع وليس أحد نتائجه الطبيعية. بل إن الاختلاف حول فهم القرآن وحجية السنة خاصة خبر الواحد لم يطعن فيهما كدليلين شرعيين[٣].

٣- "نقد مراتب الإجماع" لابن تيمية (٧٢٨هـ)[٤]. وهو موضوع جزئى ردا على موضوع جزئى مما يدل على التراكم فى كل علم[٥]. وهو أيضا مقال سيال، يخلو من أى تقسيم أو ترقيم لأبواب أو فصول. ويكاد يخلو أيضا من الأدلة النقلية والعقلية باستثناء أربع آيات وحديثين. وتذكر أسماء بعض مؤسسى المذاهب والفرق. ويذكر اسم ابن حزم فى أول المقال[٦]. ويعتمد الرد على اقتباس النصوص للرد عليه كما فعل الغزالى فى "تهافت الفلاسفة"، وابن رشد فى "تهافت التهافت". وهو أصغر حجما من "مراتب الإجماع" بأقل من العشر[٧].

---

(١) أسماء الكتب: الصلاة، الطهارة، الجنائز، الزكاة، الصيام، الحج، الأقضية، التفليس، الحجر، القضب، الرهن، النكاح، الرضاع والنفقات والحضانة، البيوع، الفرائض، الوصايا والأوصياء، الحدود. والبابان باب الاعتكاف بين كتابى الصيام والحج وباب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع.

(٢) اتفقوا (٩٦٣)، أجمعوا (٣٢)، اختلفوا (٣٧٠)، لم يتفقوا (٦)، لا إجماع (٤)، اختلف القائلون، اختلف الموجبون (١).

(٣) "فهذه مسائل من الأحكام والعبادات، لا سبيل إلى وجود مسمى الإجماع لا فى جوامعها ولا فى أفرادها"، مراتب الإجماع ص٢٤.

(٤) الإمام الحافظ ابن تيمية حفظه الله تعال: نقد مراتب الإجماع، بعناية حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) مثل الرد على ابن الراوندى الملحد للخياط فى علم الكلام، ورد "تهافت التهافت" الشهير لابن رشد على "تهافت الفلاسفة" للغزالى.

(٦) ابن حزم (٣)، أبو حنيفة (٥)، الشافعى (٤)، أحمد بن حنبل (٣)، البخارى (٢)، مسلم، مالك، القدرية (١).

(٧) مراتب الإجماع (٢٥٢)، نقد مراتب الإجماع (٢٣).

٤- **"الانتصار لأهل المدينة" لابن الفخار (٤١٩هـ)**[1]. ومن "إجماع أهل المدينة" أو عمل أهل المدينة" يمكن اعتباره إحدى صور الإجماع، الإجماع الخاص المحدد بالمكان أو اعتباره من المصادر التى لم يجمع عليها المسلمون بعد القياس. ولما كان الشائع هو لفظ "إجماع" فإنه اعتبر إحدى صور الإجماع. وهو عمل أهل المدينة عند مالك والدفاع عنه[2]. وهو أيضا رد على ما صنفه "بعض المتعسفين والمتفيقهين" من الشافعية بانتقاصهم مالك وأهل المدينة وتجهيلهم، وجعل المدينة كسائر الأمصار، وأنهم يخالفون أحاديث الرسول، طعنا على أهل المدينة واتباعا لأهواء الناس، وحسدا لأئمة المسلمين. فالجهلاء أعداء العلماء. وكل ما نسب إلى أهل المدينة غير صحيح. مذهب أهل المدينة هو مذهب المالكية والشافعى الذى نصح يونس بتقسيم ما جاء من أهل المدينة قسمين. الأول ما نقل عنهم وقفا عن النبى، والثانى ما ينتشر فيهم من عمل. وهو حجة على كل الناس. فهى مدينة الرسول وحرمه ومهاجره. بها أحكمت الأحكام واستقرت، ومنها انتشرت الشرائع، ومنها أخت السنن. فتحت سلما. وبها عاش الصحابة المهاجرون والأنصار. وفيها خيار التابعين وأزواج الرسول. لم تضل بعد الهداية ولم تنشأ فيها غواية ولا ظهرت فيها بدعة. رأى فيها كل الناس أفعال الرسول وسمعوا أقواله. ونقل أهلها ذلك خلفا عن سلف. ألقى فيها عمر خطبه.

هذا هو مذهب مالك وصحبه. دون الإجماع عن طريق الاجتهاد والاستنباط والاستدلال، فليس لأهل المدينة على غيرهم من علماء الأمصار فضل فيه لأن الاستدلال لكل العلماء بالرغم من تفضيل بعضهم على بعض فى الفهم. أما الرواية عن الرسول فأهل المدينة حجة على غيرهم ومصدر للمسلمين فيها. وهو ليس مذهب مالك وحده بل أيضا مذهب أبى حنيفة. وقد رجع إليه صاحبه أبو يوسف بعد مناظرته لهارون. كما احتج مالك على مذهب أهل الكوفة بمذهب أهل المدينة فى الآذان والإقامة وزكاة الخضر وغير ذلك ما ثبت بالنقل. وما نقله غير أهل المدينة ليس نقلا متواترا باستثناء نقل الشاهد العدل. وفى قبول خبر الواحد العادل يتساوى أهل المدينة وأهل سائر الأمصار.

ويعتمد النص على عدد من الآيات دون الأحاديث[3]. وبطبيعة الحال يتقدم مالك، ومالك

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر الأندلسى المعروف بابن الفخار (٤١٩هـ): كتاب الانتصار لأهل المدينة، فى "المقدمة فى علم الأصول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦.

(٢) السابق ص٢١٩-٢٢٦.

(٣) الآيات (٩).

وأصحابه على أبى يوسف والشافعى وهارون وأبى حنيفة[1]. كما يتقدم أهل المدينة على أهل الكوفة وأهل مكة[2]. ومن الجماعات والفرق يتقدم الصحابة والتابعون على الأئمة والمجتهدين والخوارج[3].

٥- "إجماع أهل المدينة" للقاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى (٤٢٢هـ)[4]. وهو مقتبس من كتاب "الملخص" كما أن "إبطال الاستحسان" للشافعى ملحق لكتاب "الأم". فقد نشأ علم الأصول من رحم الفقه. وهو دفاع عن إجماع أهل المدينة عن طريق عرضه عرضا عقليا خالصا وعلى نحو استدلالى منطقى. وهو على ضربين: نقلى واستدلالى. والنقلى على ثلاثة أضرب. الأول نقل شرع من النبى قولا أو فعلا أو إقرارا. وهو حجة تجب الأخبار والمقاييس. والثانى إجماع عن طريق الاستدلال، وهو ليس بحجة عند ابن بكير وأبى يعقوب الرازى والقاضى أبى بكر وابن السمعانى والطيالسى وأبى الفرج والأبهرى لأنه ليس مذهب مالك. وهو ليس بحجة عند فريق آخر ولكن يرجح به أحد الاجتهادين. ورضى بذلك بعض الشافعية. وهو عند فريق ثالث حجة لا يحرم خلافه مثل أحمد بن المعدل وأبى مصعب والحسن بن أبى عمر من البغداديين وجماعة من المغاربة والمالكية. وهو مقدم على خبر الواحد والقياس. ويُعزى إلى مالك. وهو غير صحيح. وهى بنية ثنائية أو ثلاثية محكمة[5]. ولا يعتمد على أى دليل نقلى من قرآن أو حديث أو أثر. ومن الأعلام لا يذكر إلا ممثلوا القسمة. ومن الفرق يذكر البغداديون والمغاربة و"أصحابنا" أى المالكية.

---

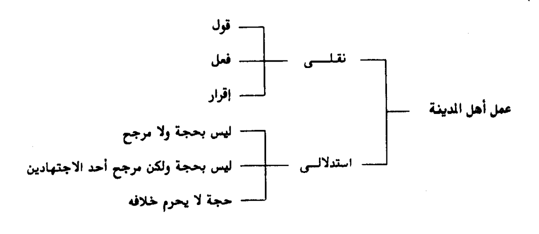
(١) مالك (٧)، مالك وأصحابه (٢)، أبو يوسف (٣)، الشافعى، هارون (٢)، أبو حنيفة، عمر، عبد الرحمن بن عوف (١).

(٢) أهل المدينة (١٢)، أهل مكة، أهل الكوفة (١).

(٣) الصحابة، التابعون (٣)، الأئمة، المجتهدون، الخوارج (١).

(٤) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى (٤٢٢هـ): إجماع أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ص٢٥٣-٢٥٥.

(٥)



٦- "إجماع أهل المدينة" للإمام على بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ)[1]. وقد ظل السجال حول حجية عمل أهل المدينة إلى عصر متأخر، القرن السابع وإثباته من المالكية ضد الشافعية. وهو ما فعله الإبيارى معلقا على قول إمام الحرمين فى "البرهان". والقول باتفاق أهل المدينة مشهور عن مالك وهو "إجماع أهل المدينة" وهو لا ينزل منزلة إجماع الأمة حتى يفسق المخالف. هو أقرب إلى القياس وخبر الواحد. وله خمس صور:

أ- نقل عمل مستفيض كابرا عن كابر مثل مسألة الأحباس التى أنكرها شريح وهو لم يقم فى المدينة. وأقرها الصحابة والتابعون وأصبحت سنة حية فى الممارسة اليومية التاريخية.

ب- سماع أخبارها ومخالفتها يسقط حجة الرواية. فالأولى بقاء عمل أهل المدينة ونسخه للأخبار المخالفة التى لم تعش فى الممارسة نقلت أم لم تنقل. وهو بمثابة خبر تم الاتفاق عليه.

جـ- نقل خبر يناقض حكما ولكن غلبة الظن تقضى بأن الخبر لا يخفى عن الجميع لنزول الوحى بالمدينة ومعرفة أهلها بالسنة. لذلك كان الناس إذا اختلفوا فى شئ احتكموا إلى أهل المدينة.

د- نقل خبر على خلاف القضاء والقياس على غير ذلك يوقع النفس فى التردد بين الخبر والقياس مثل القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم "يجرى فى النفوس من أحد الجانبين". فى حين لا يجرى القصاص بينهما فى الأطراف إذا وقعت فيها الجراح. فالنفس مقدمة على الأطراف، تقديم الكل على الجزء. وهو قول جمهور الفقهاء، الفقهاء السبعة، وإن كان القياس يقضى إلحاقها بالنفوس. ولمالك قول مشابه ولكن الأشهر الأول بناء على خبر. وقد أقر الشافعى بإقراره خبرا عن علىّ لأنه لا يفعل إلا عن توقيف. فما أنكر على مالك هو عين مذهب الشافعى وطريقته فى تغليب جهة الظن.

هـ- أن يصادف القضاء لا على خلاف خبر منقول أو قياس يدعو إلى التمسك بالخبر لأجل مخالفة القياس. والصواب عدم ترجيح العمل المنقول وترجيح النظر سواء كان موافقا أو مختلفا معه. وقول أحد الناظرين أنه أعلم من الغير جنوح إلى التقليد من غير دليل وهو مناقض للاجتهاد.

والمقال يخلو من الأدلة النقلية لأنه تنظير عقلى خالص أشبه بالإبداع الخالص فى علوم الحكمة، ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال مالك ثم الشافعى والجوينى وشريح

---

(١) الإمام على بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ): إجماع أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٣٠٩-٣١٤.

وعلى[1]. ومن الفرق والجماعات يتقدم بطبيعة الحال أهل المدينة ثم الصحابة والتابعون ثم الأصحاب والفقهاء[2]. ويحال إلى "البرهان" للجويني[3]. كما يحيل العمل إلى ذاته تأكيدا لوحدة الرؤية[4].

٧- "مسألة مرسومة فى إجماع أهل المدينة" للقاضى الربعى المالكى (٦٣٢هـ)[5].

وهو دفاع عن مالك. فقد نسب الغزالى وغيره من الشافعية إلى مالك أنه يقول بأنه لا حجة إلا فى إجماع أهل المدينة عن رأى واجتهاد. وطعنوا فى مقاله وازدروا مذهبه. وهو جهل ونقل غير صحيح عن مالك. يقصد مالك النقل الصحيح عن الرسول طبقا لما كان ساريا من عمل فى المدينة. وهو ما نقله أئمة المالكية مثل الأبهرى، والقاضى البغدادى، والقاضى عبد الوهاب، والطرطوشى. وهو ما أثبته أيضا إسماعيل بن أبى أويس حين سأل مالك واستفسر عما قاله فى "الموطأ". فإجماع أهل المدينة ليس إجماعا عن رأى واجتهاد وهو يفيد العلم الضرورى مثل التواتر. والنص خال من الأدلة النقلية أو العقلية بل مجرد تنبيه على عدم تشويه مذهب مالك فى عمل أهل المدينة[6].

٨- "عمل أهل المدينة" للإمام القرافى (٦٨٤هـ)[7]. ويسمى "إجماع أهل المدينة"

وأيضا "عمل أهل المدينة" وهو الأغلب. والهدف من هذه الرسالة تصحيح المفهوم لدى الرازى وهو من الشافعية لقوله "الأماكن لا تؤثر فى كون الأقوال حجة". وهو ما لم يقله مالك. إذ اختلف أصحابه فى تقرير مذهبه على قولين:

---

(١) السابق مالك (٧)، الشافعى (٣)، إمام الحرمين، شريح، على (٢).

(٢) أهل المدينة (٤)، الصحابة، التابعون (٢)، الأصحاب، الفقهاء (١).

(٣) البرهان (١).

(٤) السابق ص٣١٢-٣١٣.

(٥) القاضى أبو على الحسين ابن عتيق ابن رشيق الربعى المالكى (٦٣٢هـ): مسألة مرسومة فى إجماع أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٣١٥-٣١٩.

(٦) من أسماء الأعلام: مالك (٥)، القاضى عبد الوهاب (٢)، أبو حامد، الأبهرى، القاضى البغدادى، الطرطوشى، إسماعيل بن أويس. عائشة، حفصة (١). ومن الفرق والجماعات: أهل المدينة (٣)، الشافعية (١). ومن أسماء الكتب: الموطأ (٢).

(٧) الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجى المعروف بالقرافى (٦٨٤هـ): عمل أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار. قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٣٢١-٣٢٥.

أ- المقصود من تلك الأقوال أو الأفعال المنقولة عن الرسول من السلف إلى الخلف، ومن الآباء إلى الأبناء. وقد سأل مالك أبا يوسف الذى سأل أبناء الصحابة عن الآذان وأوقاف الصحابة فأقروها فرجع أبو يوسف عن مذهب أبى حنيفة. ومن ثم يخرج الحديث المنقول عن الواقعة عن الظن والتخمين إلى حيز العلم واليقين. وعلى أقل تقدير يرتقى عمل أهل المدينة إلى مستوى خبر الآحاد الذى يؤسس العمل اليقينى وإن بقى العلم ظنيا.

ب- المقصود أكثر من ذلك وهو الاتفاق على نقل سواء كان فعلا أم لا. ويقوم على الأحاديث التى قد تكون منسوخة، ويكون النقل المتفق عليه ناسخا. ولا عبرة بالمكان. ولو تغير المكان لظل النقل صحيحا. لا خصوصية إذن للمكان. ومع ذلك يرجح أهل الحديث الأحاديث الحجازية على الأحاديث العراقية حيث قال البعض "إذا تجاوز الحديث الحرّة انقطع نخاعه". فالمدينة مهبط الوحى، والضبط فيها أكثر. وإذا بعد المكان كان احتمال الخلط أكثر. ولو سكن هؤلاء الرواة بغير الحجاز لظلت روايتهم صادقة. ولا تستعمل أدلة نقلية بل الاعتماد على العقل وحده فى هذا العصر المتأخر. ومن الأعلام يتقدم مالك على أبى يوسف الذى يتقدم على أبى حنيفة[1]. ومن الفرق يذكر أهل الحديث والمحدّثون والعلماء وأبناء الصحابة وأوقافهم[2]. ومن الأماكن الحرّة والحجاز[3].

خامسا: القيـــاس.

١- **"إبطال الاستحسان" للشافعى (٢٠٤هـ)**[4]. وقد بدأ الجدال حول القياس الشافعى نظرا لموقفه من تثبيت الأدلة النقلية، الكتاب والسنة على حساب الأدلة العقلية مثل القياس خاصة إذا كان فى شكله الحر وهو الاستحسان فى قوله الشهير "من استحسن فقد شرع" وهو فى العادة ملحق لكتاب "الأم" فى الفقه. وهو كتاب صغير يضم عنوانين "كتاب إبطال الاستحسان" و"باب إبطال الاستحسان". وهو متقطع إلى فقرات يفصلها (قال الشافعى) وكأن شخصا آخر هو الذى روى عن الشافعى. فهو جزء من "الأم" وليس كتابا مستقلا، وكأن أصول الفقه قد تولد من رحم الفقه، ومجموعة من المبادئ الكلية لتنتظم الأفعال الجزئية. لذلك تظهر فيه بعض الأمثلة الفقهية. يقيم تعارضا بين القرآن وما دونه. ويجعل الاستحسان تعبيرا عن

---

(١) مالك (٣)، أبو يوسف (٢)، أبو حنيفة (١).

(٢) أهل الحديث، المحدّثون، العلماء، أبناء الصحابة، أوقاف الصحابة (١).

(٣) الحجاز، الحرّة، الأحاديث الحجازية، الأحاديث العراقية (١).

(٤) الشافعى: كتاب إبطال الاستحسان، كتاب الأم جـ٧ (طبعة الشعب)، ص٢٦٧-٢٧٧= (١٠) صفحات.

الأهواء البشرية اعتمادا على تفرقة القرآن بين "الحق" و"الهوى". وهو فى النهاية لفظ قرآنى يصعب شكلا وموضوعا، لفظا ومعنى، أصلا وفرعا. يعتمد على القيل والقال والرد مسبقا على الاعتراضات من أجل قدر ولو بسيط من الاتساق العقلى. ينقد المشرقيين من أهالى خراسان لأنهم يعتمدون على العقل أكثر من النقل ويقصد بهم الفقهاء الأحناف.

وهو مملوء بالآيات والأحاديث، والآيات أكثر[1]. يعتمد على النقل أكثر من العقل. وهو ضعيف نظريا، والحجج العقلية لصالح الحجج النقلية. فقط كتب فى عصر تدوين الحديث، وغلب الحرص عليه. لذلك يبدو خارج الموضوع وبعيدا عن العنوان. ومع ذلك يقوم على الاستبعاد والإقصاء، ضد أستاذه مالك الذى كان يقول بالاستحسان، "ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن". لم تذكر كلمة "الاستحسان" إلا نادرا. والقياس دونه مع أن الاستحسان فرع منه وأحد أشكاله الحرة. والقرآن خطاب من الله إلى النبى وليس إجابة على سؤال فى الواقع، وما الرسول إلا المبلغ والأداة.

ولا تذكر أسماء أعلام من الفقهاء أو المتكلمين باستثناء الرواة لإثبات صحة السند. فالحديث حجة قطعية مثل القرآن. وما دون النص وخارجه يبطل.

٢- "القياس الشرعى" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ)[2]. وهو ملحق للمعتمد فى أصول الفقه له أيضا. وهو كتاب صغير مستقل عن "المعتمد"، مع زياداته[3]. ويضم ستة فصول تشمل موضوعات القياس مثل: حد القياس، الحكم، العلة، صحة العلة، ما يخص العلة من الوجوه المفسدة لها، ترجيح علة الأصل على علة أخرى، وترجيح قياس على قياس، وضميمة فى القلب أى نقيض العلة. وأكبرها مباحث العلة، وتشمل ثلثى الكتاب[4]. وهو كتاب نظرى خالص. تغلب عليه الحجج العقلية أكثر من الحجج النقلية. تقل فيه الشواهد النقلية، ولا يظهر من أسماء الأعلام إلا الشافعى[5]. ويقوم على القسمة والعد والإحصاء خاصة لشروط صحة العلة ووجوه فسادها. هدفه نقل سجال الفقهاء ومناظراتهم إلى تحليل نظرى محكم يتجاوز الخلاف

---

(١) الآيات (٥٠)، الحديث (١٨).

(٢) أبو الحسن البصرى: كتاب المعتمد فى أصول الفقه، ويليه "زيادات المعتمد" و"القياس الشرعى"، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله، بتعاون أحمد بكير وحسن حنفى، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية جـ٢، دمشق ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٣) السابق جـ٢/١٠٣١-١٠٥٠= (١٠) صفحات.

(٤) مباحث العلة (١٦)، حد القياس، الحكم (٢).

(٥) القرآن،الحديث، الشافعى (١).

المذهبى إلى البنية النظرية، والمؤلف على وعى بها[1]. وتوضع التعريفات بين قوسين قبل شرحها. والأسلوب هادئ بلا استبعاد أو إقصاء أو تكفير.

٣- "ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" لابن حزم (٤٥٦هـ)[2]. ونظرا لأهمية إبطال القياس فى المذهب الظاهرى عند ابن حزم فإنه لخص باب "إبطال القياس" من "الاحكام" فى هذا الكتيب الجزئى الخاص. وهو فى الحقيقة موضوع واحد، هو الدليل الرابع فى علم الأصول الاجتهاد فى صيغة القياس الذى يقوم على التعليل عند الشافعية وكل أشكال الاجتهاد الأخرى مثل الرأى عند الحنفية والاستحسان عند المالكية.

والتلخيص هنا، وهو نوع أدبى، ابتدعه الفلاسفة أولا، وسار فيه المتكلمون والأصوليون والصوفية بعد ذلك. وهو ليس مجرد اختزال لباب "القياس" فى "الاحكام" كما فعل ابن سينا فى تلخيص "الشفاء" فى "النجاة" وانتقاء فقرات دون أخرى بل هو إعادة كتابة النص مع التركيز على الحجج دون إسهاب وتطويل.

ويتبع فيه ابن حزم نفس الأسلوب الحجاجى إذ تبدأ معظم الفقرات بأفعال القول مثل قال، قلنا، قالوا، قلت، نقول، قولهم. وقد تكون الأفعال مركبة مثل، قال: فإن قالوا. وتختفى فى الآثار المروية فى إبطال الرأى والقياس والتقليد[3]. ثم تأتى بعدها أفعال السؤال والذكر والدعوى[4].

ويختلف تبويب التلخيص عن العنوان. فبينما يبدأ العنوان بإبطال القياس وهو الدليل الرابع والموضوع الأصلى الذى يتفرع منه الرأى والاستحسان والتعليل يبدأ الكتاب بإبطال التعليل والعلة أصل القياس وركنه، الركن مع الأصل والفرع والحكم، ثم إبطال الاستحسان والتقليد والرأى، ثم ذكر الآثار فى القياس والتقليد مع قول جامع أخير. فالهم ليس فى بنية الدليل الرابع بل إبراز الموقف المذهبى. ويضاف فى البداية مقدمة عامة للتعريف بالمصطلحات الخمسة تبرز الموقف والمذهب أكثر مما تعرف وتحدد. وتختلف هذه الأقسام فيما بينها كما. أطولها

---

(١) "اعلم أن الغرض من هذه المسألة أن نورد الوجوه التى يتكلم بها فى القياس الشرعى على قسمة ملخصة، ونذكر ما يدور بين الفقهاء فى مناظرة الفقه دون ما يختص أصول الفقه نحو الدلالة على المنع من تخصيص العلة وما أشبه ذلك..."، القياس الشرعى جـ٢/١٠٣١.

(٢) ابن حزم: ملخص القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل، للإمام الحافظ ابن حزم الأندلسى، بتحقيق سعيد الأفغانى، ط٢ ومنقحة، دار الفكر، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

(٣) قالوا (٩)، قلنا (٥)، قولهم، قال (٤)، نقول (٣)، فإن قالوا (٢)، فإن قيل، قلت، يقال (١).

(٤) نسألهم، وذكروا، دعواهم (١).

المقدمة الأولى التى لا عنوان لها، ثم الآثار فى إبطال الرأى. ثم تتعادل تقريبا موضوعات إبطال التقليد وإبطال الاستحسان والآثار فى القياس والتقليد. وأصغرها القول الجامع فى النهاية الذى يعتبر القياس تكليف ما لا يطاق[1].

وهو أقرب إلى المقال السيال دون تقسيم أو ترقيم إعلانا عن موقف، ودفاعا عن مذهب، ورفضا للمذاهب الأخرى كما هو الحال فى الفرق الكلامية، فرقة واحدة ناجية والأخرى هالكة. وقد يتناقض المذهب بين إبطال الرأى والقياس والاستحسان والتعليل مع إبطال التقليد، تقليد المذاهب الفقهية لأن الظاهرية تقليد للنص وتبعية مطلقة له وتضحية بالعقل والمصلحة وهما بُعدا النص وركنا الوحى. وقد قاسى الرسول كما هو معروف فى "أقيسة المصطفى".

ويجمع "الملخص" بين الحجج النقلية والحجج العقلية. والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ضعفها تقريبا[2]. وهو منهج ضعيف يقوم على الانتقاء. ويمكن إعادة تأويله النقل بحيث يُرد على صاحبه. فهو سلاح مزدوج ضد الخصم وضد النفس. والحجج العقلية وحدها لا تكفى لأنها حجج صورية منطقية خالصة مقطوعة الصلة بالمصلحة. فالمنطق صورة ومضمون.

والأهم هو استعمال ابن حزم المنهج التاريخى فى مقدمة الملخص لبيان كيفية الانحراف عن النص الدينى فى الرأى والقياس فى اتجاه العقل أو فى الاستحسان والقياس فى اتجاه المصلحة أو فى التقليد فى اتجاه المذهب المغلق. فالتاريخ انحراف فى حاجة إلى تصحيح بالعودة من جديد إلى النص الخام. الظاهرية بهذا المعنى حركة سلفية. فالتاريخ سلب، والتقدم انحراف، والتطور اغتراب. كان النص سائدا فى القرن الأول ثم حدس القياس فى القرن الثانى، والاستحسان فى القرن الثالث، والتعليل والتقليد فى القرن الرابع. لم يقل أحد بالاستحسان قبل أبى حنيفة. ثم حدث التعليل عند أصحاب الشافعى ثم أصحاب أبى حنيفة. وحدث التقليد عند أصحاب الشافعى بالرغم من تضارب أقواله[3]. لذلك فإن أكثر الأسماء ذكرا هو الرسول ثم البخارى ثم أحمد بن حنبل وعمر بن الخطاب ثم الذهبى ثم الشعبى ثم أبو بكر الصديق ثم الدارمى ومالك بن أنس ثم أبو حنيفة والشافعى[4]. وحوالى ستون آخرون من أهل

(١) المقدمة الأولى (٤٤)، الآثار فى إبطال القياس (١٣)، إبطال التقليد، الآثار فى القياس (٣)، إبطال الاستحسان، الآثار فى التقليد (٢)، قول جامع (١).

(٢) الآيات (٥٤)، الأحاديث (٣٣).

(٣) الملخص ص٣-٤٦.

(٤) الرسول (٤٧)، البخارى، أحمد بن حنبل، عمر بن الخطاب (١٤)، الذهبى (١١)، الشعبى (١٠)، أبو بكر الصديق (٩)، الدارمى، مالك بن أنس (٨)، أبو حنيفة، الشافعى (٧)، ابن عباس، الزهرى، شعبة، عبد الله بن عمر (٦)، الأعمشى، سفيان الثورى، على بن أبى طالب (٥).

السلف[1]. وكانت أكثر المجموعات ذكرا هم الصحابة ثم العلماء ثم التابعون ثم الحنفيون والشافعيون ثم القياسيون ثم المالكيون ثم أصحاب أبى حنيفة وأصحاب الرأى، والفقهاء والعرب[2].

والنص رواية حتى وصلت إلى ابن عربى. فلا فرق بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل[3].

٤- "شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل" للغزالى (٥٠٥هـ)[4]. وهو مثل كتاب ابن حزم مع اختلاف المواقف، الأول يثبته والثانى ينفيه. ويقوم على بينة خماسية طبقا للتعريف التقليدى للقياس، تعدية الحكم من الأصل إلى الفرع لتشابه بينهما فى العلة، كل ركن لتحديد معنى لفظ من الألفاظ الخمسة الواردة فى التعريف[5]. الركن الأول "فى طريق معرفة كون الوصف الجامع علة لحكم الأصل حتى يترتب عليه وجودها الحكم فى الفرع". وهو معنى لفظ "التعدية". والثانى العلة، والثالث الحكم، الرابع الأصل، والخامس الفرع. أكبرها الأول وأصغرها الخامس. لذلك يتكون الركن الأول من خمسة مسالك، والمسلك الثانى من خمسة أنواع، والركن الثالث من أربعة مسائل. ويتخلل الأركان والمسالك والأنواع والمسائل "مقال وتنبيه". وهى ألفاظ ابن سينا فى "الإشارات والتنبيهات". والكتاب يستقصى "الشبه والمخيل" فى مسالك التعليل أى أوجه التعليل الفاسدة بسبب الشبه المخيل فى الذهن، وهو تحليل نفسى منطقى للمعرفة[6]. وهو ما يدل أيضا على جمال العنوان، لما فيها من ألفاظ السلوك عند الصوفية. كما

---

(١) مثل: أبو اسحق الشيبانى، حماد بن زيد، ابن سعد، سعيد بن المسيب، مجالد بن سعيد الهمدانى (٤)، حماد بن سلمة، الخزرجى، أبو داود، داود بن أبى هند، ابن سيرين، عبد الله بن أبى الزبير، عمر بن الحارث، الليث بن سعد، ابن ماجه (٣)، وحوالى أربعون علما (٢)، وحوالى مائة وستون علما (١).

(٢) الصحابة (٢٢)، العلماء (٨)، التابعون (٦)، الحنفيون، الشافعيون (٥)، المالكيون (٤)، القياسيون (٣)، أصحاب أبى حنيفة، أصحاب الرأى، العرب، الفقهاء (٢).

(٣) "رواية أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عنه كتابة. أنبانى به أبو محمد عبد الله بن هرون الطائى من تونس عن أبى القاسم أحمد بن زيد بن عبد الرحمن البقوى عن شريح اذنا، محى الدين بن عربى"، "علق من خط محى الدين بن عربى محمد بن الذهبى وردت عليه فى أماكن يسيرة"، السابق ص١.

(٤) الشيخ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى محمد بن محمد بن محمد الطوسى: شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. حمد الكبيسى، ديوان الأوقاف، بغداد ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

(٥) التعدية (٤٣٣)، العلة (٤٤)، الأصل (٣٨)، الحكم (٣٥)، الفرع (٨).

(٦) "خيال وتنبيه" (١٦). شفاء الغليل ص٦١/٩٧/١٠٠/١٠٢/١١٤/١١٨/١٢٦/٥٧٣/٥٧٧/٥٧٨/٥٨١/٥٨٥/٦٢٢/٦٦٦/٦٦٨/٦٧٦.

يتضح الأسلوب الصوفى فى المقدمة، فى الابتهالات والدعوات وأساليب البيان والبديع. ثم يتضح تأسيس العلم وشرط المعرفة مثل كمال آلة الإدراك واستكداد الفهم، والانفكاك عن داعية العناد اى التخلى عن الأحكام المسبقة[1]. والغالب على الأسلوب هو الإسهاب والاستطراد وكثرة الكلام كما هو الحال فى أصول الحنفية للجصاص والبزدوى والسرخسى بالرغم من الحرص على اصطلاحات الفقهاء. وقد كتب بعد "المنخول" الذى كتب بطريقة الجوينى ومن تعليقاته. واستعمل فيه الغزالى أسلوب الجدال والرد على الخصوم اعتمادا على مؤلفات الدبوسى. وهو على وعى بالكم. لا يريد التطويل والحشو بما لا فائدة فيه[2]. ويحال إلى كتاب "مآخذ الخلاف" ثم "تحصين المآخذ" و"المنخول" للغزالى، ثم إلى كتاب "البيوع القديم" و"الرسالة" للشافعى، وكتاب "التقويم" للدبوسى، وكتاب "التقريب"، ربما للقفال الشاشى أو لأبى لفتح سليم بن أيوب الرازى[3].

وبالإضافة إلى وحدة العمل والإحالة إلى أجزائه، والتذكير بالسابق، وعرض "التمفصلات" وبيان خطة الكتاب وسط عرض الموضوع إعدادا له يحال إلى وحدة المشروع الأصولى للغزالى ولغيره من الأصوليين الحنفية والشافعية[4].

وهو ذو طابع سجالى بين الشافعية والحنفية وكأن الشافعى وأبا حنيفة خصيمان[5]. ويظهر ذلك فى أسلوب "فإن قيل... قلنا". وقد يتجاوز الجدال إلى المذاهب الفقهية الأربعة كلها، الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، بالرغم من صدارة المذهبين الأولين على المذهبين الآخرين. لذلك يظهر لفظ الجدال والجدليين[6]. ونظرا للطابع الحجاجى تكثر الأدلة النقلية والعقلية. وتشمل الأدلة النقلية القرآن والحديث. ولأول مرة تزيد الأحاديث النبوية على الآيات القرآنية، ربما لدخول الغزالى فى الفروع والتفصيلات والجزيئات وطرق الاستدلال[7]. وتقل الأدلة النقلية تدريجيا حتى تختفى كلية فى نهاية الكتاب اعتمادا على العقل الخالص. كما تظهر بعد الشواهد الشعرية واللغوية[8].

---

(١) السابق ص٥-٨.

(٢) السابق ص٩/١٨.

(٣) مآخذ الخلاف (٤)، تحصين المآخذ، المنخول (٣)، البيوع القديم، الرسالة، التقويم، التقريب (١).

(٤) شفاء الغليل ص٩/١٦/٨٢/٢٧٧/٥٤٧.

(٥) السابق ص١١١-١١٤/١٢٢-١٢٦/٣١٧/٣٢٨/٣٣١/٣٦٢/٤١٧-٤١٩/٤٢٥-٤٣٤.

(٦) السابق ص٣٠٤/٣١١. جدل المتكلمين ص٤٨٣، للجدليين خلاف ص٥٠٥، طريقة المآخذ كافية فى الجدال ص٥٦٤.

(٧) الأحاديث (٩٤)، الآيات (٤٤).

(٨) الشعر، شفاء الغليل ص٧/٨/١٠، قول العرب ص١٩، كلام العرب ص٤٢.

ويتوحد الغزالى مع فرقة بعينها هى الأشعرية فى الكلام، الشافعية فى الأصول، ويتكلم عن أصحابنا[1]. وتظهر أمثلته الأثيرة وتشبيهاته المفضلة، السلطان[2].

ومن الفرق يتقدم الحشوية ثم المراوزة ثـم المعتزلـة والسوفسـطائية والطرديـة[3]. ومـن فقـهاء المناطق يظهر أهل بغداد وسمرقند والعراقيون، وصنعاء والعراق، ومكـة ونيسـابور، بـين الأمصـار والمدن[4]. كما تظهر مجموعات غير محددة مثل "آخرون"[5]. ومـن الفـرق غـير الإسـلامية يظـهر اليهود والنصارى[6]. والسؤال هو: إذا كانت الشافعية أشعرية، والحنفية اعتزالية فهل الحنبليـة حشوية، والمالكية مرجئة؟

ومن تحليل أسماء الأعلام يبدو سجال الشافعى ضد أبى حنيفـة وأبـى زيـد الدبوسـى ثـم مالك بن أنس. ومن الصحابة يتصدى عمر بن الخطاب ثم ماعز ثـم البـاقلانى متصـدرا المتكلمـين والفقهاء الأشاعرة مثل الأسفراينى والجوينى ثم ابن سريج. ومن المعتزلة أبو هاشم. ثـم يتداخـل المتكلمون والفقهاء والصحابة الصوفية على التوالى[7].

ويتضح من "شفاء الغليل" أن علم أصول الفقه قد نشأ ليس فقط لضبط أحكام القرآن كما هو الحال عند الشافعى والجصاص بل أيضـا مـن أجـل ضبـط الخلافـات الفقهيـة عنـد المجتـهدين وإيجاد منطق مشترك للفقهاء، منطق لغة مثل الشافعى أو منطق استدلال مثل الجصاص أو جمعا بينهما مثل الغزالى.

٥- "رسالة المصالح المرسلة" لنجم الدين الطوفى (٧١٦هـ)[8]. وتعرض موضوعا جزئيا

---

(١) السابق ص٥٦/٤٠٣/٥٠٦.

(٢) السابق ص٢٠١.

(٣) الحشوية (٣)، المراوزة (٢)، السوفسطائية، الطردية (١).

(٤) أهل بغداد، أهل سمرقند، العراقيون، المعتزلة، صنعاء، العراق، مكة، نيسابور (١).

(٥) شفاء الغليل ص٤٥٩.

(٦) السابق ص٢٢٢.

(٧) الشافعى (٨٩)، أبو حنيفة (٦١)، أبو زيد الدبوسى (٢٤)، مالك بن أنس (٢١)، عمر بن الخطاب (١٢)، الباقلانى (٦)، الأسفراينى، الجوينى، ماعز (٤)، ابن المسيب، معاذ (٣)، ابن سريج، بشر المريسى، سلمة ، أم سلمى، عائشة، عبادة، عثمان العتبى، أبو حنيفة العراقى (٢)، أبو بردة، أبو بكر الصديق، أبو بكرة، أبو بكر الفارسى، أبو سعيد الحذرى، أبو سفيان ، أبو قتادة، أبو هريرة، أبو يوسف، ابن عباس، ابن عمر، ابن الماجشون، أسامة بن زيد، بربرة، حمنة، الحنفى، خالد ، خزيمة، سالم، عروة، على، فاطمة بنت أبى حبيش، قاسم بن محمد، الكعبى، الشيبانى، المزنى، المغيرة، هند (١).

(٨) الشيخ نجم الدين الطوفى الحنبلى: رسالة فى المصالح المرسلة، ص٣٩-٦٩.

هو المصالح المرسلة وهى أحد أبواب القياس وأحد أشكال الاستدلال الحر. تكثر من الاعتماد على الشواهد النقلية دون العقلية وكأن النص والمصلحة شئ واحد النص بالاستنباط، والواقع بالاستقراء. ويتقدم القرآن الحديث. ويذكر حديث "لا ضرر ولا ضرار"[1]. ولا يذكر من الأصوليين والفقهاء أحد. ولا يذكر من الصحابة إلا عمر وأبو هريرة، ومن الفرق إلا الشيعة والفلاسفة[2]. وتتوارى الأدلة العقلية أمام الأدلة النقلية. ويتهم الفلاسفة بأنهم تعبدوا بالعقل الخالص دون الشريعة.

وتقسم الأدلة بالاستقراء إلى تسعة عشر: الكتاب والسنة وإجماع الأمة ويزاد عليه إجماع أهل المدينة وإجماع أهل الكوفة، وإجماع أهل العترة عند الشيعة، وإجماع الخلفاء الأربعة. ومن ثم يصبح المصدر الثالث وهو الإجماع خمسة مصادر. أما القياس فيشمل المصلحة المرسلة، والاستصحاب، والبراءة الأصلية، والعادات، والاستقرار وسد الذرائع، والاستدلال، والاستحسان، والأخذ بالأخف أى عشرة مصادر. ويضم إليه قول الصحابى عند السنة والعصمة عند الشيعة[3]. ومعظمها مستمد من المالكية. فالحنبلية تمثل النص، والمالكية تمثل المصالح المرسلة. وإن خالف النص الواقع المصلحى وجب تخصيص النص. تفرض المصلحة نفسها على النفس كما تفرض الرحمة نفسها على الله ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾.

٦- "القياس فى الشرع الإسلامى" لابن تيمية (٧٢٨هـ)[4]. وهى فتوى فقهية مثل فتوى ابن رشد عن النظر وحكمه الشرعى فى "فصل المقال" بناء على سؤال مشابه وهو حكم القياس فى الشرع الإسلامى بعد ترد قول الفقهاء "هذا خلاف القياس"، وهو ما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بالإجماع[5]. والأمثلة على ذلك كثيرة[6]. فهل يعارض القياس الصحيح النص

---

(١) القرآن (٢٢)، الحديث (٨).

(٢) عمر، أبو هريرة، الشيعة، الفلاسفة (١).

(٣) وهى: الكتاب، السنة، إجماع الأمة، إجماع أهل المدينة، القياس، قول الصحابى، المصلحة المرسلة، الاستصحاب، البراءة الأصلية، العادات، الاستقراء، سد الذرائع، الاستدلال، الاستحسان، الأخذ بالأخف، العصمة، إجماع أهل الكوفة، إجماع أهل العترة عند الشيعة، إجماع الخلفاء الأربعة.

(٤) ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية): القياس فى الشرع الإسلامى، وإثبات أنه لم يرد فى الإسلام نص يخالف القياس الصحيح، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٥هـ. وقد تم استبعاد نص ابن القيم لأنه مقتبس من "إعلام الموقعين".

(٥) "سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه عما يقع فى كلام كثير من الفقهاء عن قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكما مجمعا عليه"، السابق ص٦.

(٦) "فمن ذلك قولهم: تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس، بل وتطهير النجاسة خلاف القياس، والتوضؤ من لحوم الإبل على خلاف القياس، والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المفطر ناسيا والمعنى فى الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الأحكام"، السابق ص٦.

الصحيح؟ وهو نفس موقف ابن تيمية السابق فى "درأ تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول". فالقياس الصحيح لا يعارض النص الصحيح نظرا لتطابق النص والعقل أو الوحى والعقل وكما قال المعتزلة والشيعة من قبل فى الحسن والقبح العقليين[1].

الغرض من الفتوى إذن الدفاع عن اتفاق القياس مع النص، والنص مع القياس، وإزالة التعارض الظاهر بينهما، والاتفاق بين الحجة النقلية والحجة العقلية بالرغم من غلبة الحجة النقلية عليها من أجل إثبات الاتفاق بين النقل والعقل. وتغلب الآيات على الأحاديث[2]. ويغيب الشعر. ويتم الرد على الاعتراضات مسبقا بطريقة القيل والقال تأكيدا على الاتساق العقلى والبداهة النظرية. ويُستعمل أسلوب المتكلم التزاما بالقضية بطريقة الفقهاء وليس عرضا وتأسيسا لها كموضوع مستقل.

وجاءت الفتوى طبقا للمسائل الفقهية وليس طبقا للقياس وأركانه الأربعة. وتعددت المسائل دون عد أو إحصاء أو ترقيم أو ترتيب أو تبويب طبقا لأركان القياس الأربعة: الأصل والفرع والعلة والحكم[3]. وأكبرها الاجارة. وهى أقرب إلى الفقه التطبيقى باستثناء تصنيف ما عده المسلمون مخالفا للقياس فى نوعين[4]. ويتنوع الفقه وتتعدد أحكامه طبقا للأمصار. فهناك فقه العراق وفقه الحجاز وكما فعل الشافعى بين العراق ومصر[5]. ونظرا لارتباط القياس بمباحث الألفاظ فإنه تتم المقارنة بين الألفاظ الفارسية والرومية والعربية[6].

والقياس به خطأ وصواب بالرغم من وقوع ابن تيمية أحيانا فى التعليلات الأسطورية للظواهر الدينية الاجتماعية. فالوضوء يدرأ الغضب. ومن مس الذكر أو النساء لما فيه من الشهوة. فالغضب من الشيطان، والشيطان من النار[7]. وقد يكون هناك تفسير علمى بأثر البرودة على الحرارة كما هو الحال فى وضع الثلج على رأسى المصاب بالحمى أو فوق الورم.

---

(١) "فهل هذا القول صواب أم لا؟ وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا؟"، السابق ص٦.

(٢) الآيات (٣٢)، الأحاديث (٢٤).

(٣) بلغت ٢١ مسألة هى: ١- المضاربة والمساقة والمزارعة ٢- الحوالة ٣- القرض ٤- إزالة النجاسة، النكاح ٥- تطهير الماء ٦- التوضؤ من لحوم الإبل ٧- الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين ٨- الفطر من الحجاجة ٩- فصل فى التيمم ١٠- السلم ١١- مكاتبة الرقيق ١٢- الاجارة ١٣- العقل والدية ١٤- ما عدوه على خلاف القياس نوعان ١٥- إعادة المصلى وحده خلف الصف ١٦- نفقة الرهن المركوب والمحلوب ١٧- الحكم فيمن وقع على جارية امرأته ١٨- المضى فى الحج الفاسد ١٩- الأكل ناسيا ٢٠- أقوال الصحابة والقياس ٢١- الحكم فى امرأة المفقود.

(٤) القياس فى الشرع الإسلامى، ص٣٥-٣٧.

(٥) السابق ص١٣-١٤.

(٦) السابق ص٢٤.

(٧) السابق ص١٧.

ويحيل إلى المذاهب الأربعة على عكس الصورة الشائعة عن السلفية أو الحنبلية المعاصرة المتزمتة الحرفية النصية التى ترفض الحوار، وتقوم على الاستبعاد والإقصاء، وتعتبر نفسها الفرقة الناجية. صحيح أن أحمد هو أكثر الفقهاء إحالة له، مذهبا، وأصحابا، وأصولا ونصوصا، وظاهرا، وراويا وممثلا لأهل الحديث. يتلوه الشافعى قولا ومذهبا، ثم مالك مذهبا، ثم أبو حنيفة أصحابا، ومع أهل الظاهر مذهبا. ولأحمد أكثر من رواية، ولمذهبه أكثر من وجه، وله أكثر من قول فى الموضوع الواحد. وبطبيعة الحال تتم الإحالة إلى مشاهير الحنابلة مثل ابن عقيل والقاضى وأبو يعلى والزهرى[1]. ولما كان الحنابلة متمسكين بالسنة وأهل السلف تكثر الإحالة إلى الصحابة. وهو مذهب جمهور العلماء، وجمهور الأمة، وعامة الفقهاء[2]. ومن الصحابة عمر وأبو بكر وعثمان وابن مسعود وأبو سفيان. ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز[3]. ومن الرواة الشاليخى، ومن الشراح الجوزجانى وآخرون[4]. ومن الأنبياء داود وسليمان[5].

والحنابلة لا يمثلون فرقة ناجية أو مذهبا مغلقا بل يتفق معهم فى الآراء أبو حنيفة والشافعى وأحمد، ومالك والشافعى وأحمد، وأبو حنيفة ومالك، ومالك وأحمد، ومذهب أهل الحديث ومالك[6]. فالنص والمصلحة شئ واحد كما وضح فى رسالة "الطوفى" الحنبلى. فأحمد يدخل فى علاقات مع مالك والشافعى، وأبو حنيفة والشافعى، وأبى حنيفة ومالك. كما يدخل فى علاقة مع كل من الفقهاء الأربعة، مالك وأبو حنيفة والشافعى. كما يضم إلى أحمد الثورى أو أبو عبيد.

ومن مجموع الفرق والطوائف والجماعات يحال إلى الصحابة ومتأخريهم ثم الفقهاء، ثم الخلفاء الراشدون، ثم فقهاء الحديث وأهل العلم[7]. كما ينقد الفلاسفة والمتكلمون لقياساتهم الفاسدة فى الإلهيات والعقليات[8].

---

(١) مذهب أحمد (١٣)، أصحاب أحمد (٧)، رواية أحمد (٣)، أصول أحمد، نصوص أحمد (٢)، مذهب أهل الحديث وأحمد، رواة أحمد فى مسائل ابنه صالح، ظاهر مذهب أحمد (١). الشافعى (١٠)، أصحاب الشافعى (٣). مالك (٥)، أبو حنيفة (٣)، أبو حنيفة وأصحابه، أبو حنيفة وأهل الظاهر (١)، ابن عقيل، القاضى أبو يعلى (٧)، الزهرى (٣).

(٢) بعض الصحابة (٦)، مذهب جمهور العلماء (٤)، الجمهور (٢).

(٣) عمر (١٠)، أسيد بن حضير، أبو بكر (٢)، ابن مسعود، العباس، أبو سفيان، ابن عباس، ابن عمر، سعد، أبو هريرة، ابن الخطاب (١).

(٤) أبو الزنا، ربيعة، أبو عبد الله بن حامد، الخرفى (١)، ومن المحدثين البخارى والترمذى وأبو أحمد بن المنى.

(٥) داود، سليمان (٢).

(٦) مالك والشافعى وأحمد، أبو حنيفة والشافعى وأحمد، أحمد والثورى وأبو عبيد (١)، أبو حنيفة ومالك، مالك وأحمد (٥)، مذهب أهل الحديث ومالك، أبو حنيفة والشافعى، الشافعى وأحمد (٢).

(٧) الصحابة (٨)، الفقهاء (٧)، الخلفاء الراشدون (٣)، فقهاء الحديث، أهل العلم، الفلاسفة، المتكلمون (١).

(٨) القياس الشرعى ص٢٨.

٧- "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد" للشوكانى (١٢٥٥هـ)[١]. وهو من لواحق القياس، لنقد التقليد وإثبات الاجتهاد، مما يدل على أن الاجتهاد، الأصل الرابع، يمكن أن يكون مصدرا من مصادر الحركة الإصلاحية. وهو ما يتفق مع الحكم الشائع فى العصور المتأخرة بغلبة التقليد و"قفل باب" الاجتهاد. والشوكانى يمنى يكتب فى بيئة جعلت تقليد الإمام أحد مصادر التشريع بدلا من الدليل الرابع. ولما كان التقليد للمذاهب والأئمة فإنه تم الاحتماء بالنص ضد التقليد فشاعت السلفية وارتبط الإصلاح بالمدرسة السلفية كما عبر عنها ابن القيم، والتقليد آفة كل عصر، "وهكذا حال سائر الديار فى جميع الأمصار"[٢]. وتكثر الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث[٣].

ويقوم الكتاب على تفنيد حجج أنصار التقليد "على نمط علم المناظرة". لذلك غلبت صياغة السؤال والجواب، وصيغ القول. وطبقا لعلم الجدل فإن الكتاب يبدأ بتفنيد حجج الخصوم، أنصار التقليد، ثم يعطى حجج الاجتهاد، ثم يذكر حججا ضد التقليد، ويدافع عن الحجج ضد الاجتهاد فى جدل رباعى. ويوضع كل ذلك فى وحدة العمل ووحدة العلم[٤].

وتكثر الإحالة إلى الشافعى بعد أن أصبحت الشافعية المذهب المختار، ثم مالك وأحمد بن حنبل احتماء بالنص، ثم أبو حنيفة والأوزاعى كمصادر للحجج العقلية[٥]. ثم يذكر باقى الأصوليين والمتكلمين[٦]. كما يذكر أعلام المدرسة السلفية وكثرة من الصحابة والتابعين والرواة[٧]. ويحال إلى زيد بن على والزيدية والهادى يحيى بن الحسين من أئمة الزيدية فى اليمن[٨]. وقد أجمع أهل المذاهب على تقديم النص على آرائهم[٩]. ويتم الاعتماد على الشعر خاصة المتنبى. ويحال إلى "القواعد" لابن الوزير، و"تهذيب الآثار" للطبرى[١٠].

---

(١) إمام الأصوليين، وحافظ المحدثين، وقدوة المجتهدين محمد بن على الشوكانى صاحب "نيل الأوطار": القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد. وعليه تعليقات مفيدة لرئيس التصحيح الشيخ إبراهيم حسن الانبابى الشافعى، خادم العلم بالأزهر الشريف، البابى الحلبى، القاهرة (د.ت).

(٢) القول المفيد ص١٢/٢٠.

(٣) القرآن (٦٠)، الحديث (٣٩).

(٤) السابق ص٦/٢٩/٤٨.

(٥) الشافعى (١٤)، مالك (١١)، أحمد بن حنبل (٦)، أبو حنيفة، ابن القيم، الأوزاعى (٥).

(٦) ابن خويز منداد، أبو يوسف، ابن دقيق العيد، المزنى، الجوينى، الشعرانى، الثورى (١).

(٧) سحنون، الخطيب الذهبى، ابن الجوزى، أبو داود، ابن سيرين.

(٨) الهادى بن الحسين (٢)، الزيدية، زيد بن على (١).

(٩) القول المفيد ص٢٣.

(١٠) الشعر (٣)، المتنبى (١).

٨- "القول السديد فى الاجتهاد والتجديد" لرفاعة رافع الطهطاوى (١٨٧٣م)[١].

وهى رسالة فى موضوع جزئى هو الأصل الرابع المنوط به الاجتهاد والتجديد عكس التقليد مثل رسالة الشوكانى. تمتلئ بالشواهد الشعرية أكثر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وتكثر أسماء الأعلام من فقهاء ومتكلمين ومؤرخين وصوفية وصحابة وتابعين ما يقرب من المائتين كما هو الحال فى "البحر المحيط" للزركشى وكما يفعل ناظر المدرسة[٢]. كما تكثر الاقتباسات وعلامات الانتهاء. ويتقدم الشافعى الجميع، فهو نموذج المجدد المصلح وكأن علم الأصول يبدأ من جديد. ويتلوه باقى الفقهاء مثل السيوطى، ثم أبو حنيفة، ثم سفيان الثورى، ثم ابن حنبل، ثم الغزالى، ثم السبكى، ثم ابن دقيق العيد والمزنى وأبو يوسف ومحمد، ثم القفال، ثم إمام الحرمين، ثم الأوزاعى وابن حزم والكرخى والرازى والحنفى وآخرون[٣]. ومن الفرق يتقدم الأحناف، ثم الفقهاء، ثم المتكلمون والصوفية[٤]. ومنهم متقدمون ومتأخرون، محدثون وقدماء. وتحيل الرسالة إلى عديد من النصوص[٥]. والرسالة تاريخية تقليدية لا جديد فيها إلا العنوان.

---

(١) حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة وروضة المدارس: القول السديد فى الاجتهاد والتجديد، مطبعة وادى النيل، القاهرة ١٢٨٧هـ.

(٢) الشعر (١٧)، الحديث (٧)، القرآن (٥).

(٣) الشافعى (٣٦)، السيوطى (١٩)، أبو حنيفة (١٨)، مالك (١٤)، سفيان الثورى (١٢)، ابن حنبل (١٠)، الغزالى (٨)، تقى الدين السبكى، عمر بن عبد العزيز (٧)، تاج الدين السبكى، ابن دقيق العيد، الزملى، المزنى، أبو يوسف، محمد (٥)، القفال، الرافعى، النووى (٤)، محمد (الرسول)، ابن سريج، ابن حجر، زفر، عمر، عبد الله بن عباس، على، السراج البلقينى، إمام الحرمين، ابن الأثير (٣)، الطبرى، الحفيد، سفيان بن عنينة، الأوزاعى، ابن حزم، الكرخى، الرازى الحنفى، ابن كمال باشا، البويطى، ابن عمر، الباقلانى، زكريا الأنصارى، ابن سيرين، المقتدر (٢)، الشعرانى، الصفدى، ابن جريج، البكرى، ابن عبد السلام، البيهقى، أبو تمام، الشعبى، ابن علقمة، الليث بن سعد، ابن السبكى، الأشعرى، الحسن البصرى، ابن فورك وعشرات آخرون (١).

(٤) الحنفية (٧)، الفقهاء (٤)، الشافعية (٢).

(٥) تبلغ حوالى خمسة عشر نصا مثل: طبقات الشافعية (تاج الدين)، حسن المحاضرة، الرد على من أخلد إلى الأرض ويجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض (السيوطى، شرح الرملى (الشوبرى)، مختصر الكفاية (النقيب)، جمع الجوامع (السبكى)، الاقتصاد فى مراتب الاجتهاد (البكرى)، الهداية (المقدورى)، جامع الأصول (ابن كثير)، المناقب (البيهقى)، ونصوص أخرى مثل: الكنز، الفتوحات، الدار المختار... الخ.

الفصل الرابـع

تحريـك البنيـة

الفصل الرابع

تحريك البنية

أولا: السمات العامة لأصول الفقه الشيعي.

١- البداية المتأخرة والازدهار المتأخر. وضع السنة "علم الأصول" بفضل "الرسالة" للشافعي (٢٠٤هـ) واضع العلم بحق. وتأخر الشيعة في المساهمة في صياغة العلم. فأول مصنف شيعي كامل في علم الأصول هو "التذكرة بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، ثم "الذريعة إلى أصول الشريعة" للشريف المرتضى (٤٣٦هـ) أي في القرن الخامس الهجري والذي كاد أن يقترب فيه أصول الفقه السني من الذروة في "المستصفى" عند الغزالي (٥٠٥هـ) وبعد أن وضعت أصول الجصاص والكرخي والبزدوي من قبل.

وبعد أن انتهى أصول الفقه السني أو كاد في "الموافقات" للشاطبي، وبدأ عصر الشروح والملخصات ازدهر أصول الفقه الشيعي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حتى ليكاد يسمى القرن الرابع عشر الهجري بحق قرن أصول الفقه الشيعي. بدأ أصول الفقه السني مبكرا في القرن الثاني وانتهى مبكرا في القرن السابع في حين بدأ أصول الفقه الشيعي متأخرا في القرن الخامس ولم ينته بعد بل ازدهر في القرن الرابع عشر ومازال مزدهرا في القرن الخامس عشر[1].

وقد نشأت نفس الظاهرة في علوم الحكمة عندما توقفت عند ابن رشد (٥٩٥هـ) عند أهل السنة واستمرت عند الشيعة حتى صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ) على مدى أربعة قرون حيث ازدهرت العلوم الرياضية خاصة مثل الطوسي وغيره من أعلام العلوم الرياضية والمنطقية.

وكون أصول الفقه الشيعي قد تأخر في الظهور عن أصول الفقه السني بقرنين من الزمان لا يحتاج إلى دفاع لارتباط أصول الفقه السني بالسلطان وأصول الفقه الشيعي بالمعارضة، ولاستمرار أصول الفقه الشيعي وازدهاره في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في حين توقف أصول الفقه السني باستثناء بعض الشروح والملخصات والحواشي. والموضوعات الجزئية لا تكون علما خاصة وأن علم أصول الفقه اعتمد على علوم اللغة والحديث والقرآن. صحيح أن هناك "الألفاظ

---

(١) ويدل على ذلك عدد المصنفات الأصولية عند الشيعة وهي على النحو التالي: القرن الخامس (٣)، السادس (١)، السابع (٢)، الثامن (٥)، التاسع (لاشيء)، العاشر (٣)، الحادي عشر (١٢)، الثاني عشر (٤)، الثالث عشر (٤١)، الرابع عشر (١٢٠)، الخامس عشر (٧٤). مهدي مهريزي: أصول فقه شيعة، بائيز ١٣٧٣.

ومباحثها" لهشام بن الحكم، ولكنها أقرب إلى علم اللغة، و"اختلاف الحديث ومسائله" ليونس بن عبد الرحمن، ولكنها أقرب إلى علم الحديث. ولم يصعد علم الأصول ثم ينزل فى هذه الفترة المبكرة قبل الشيخ المفيد بجيلين، الشيخ الخليل حسن بن على بن أبى عقيل، وجعفر بن محمد بن قولويه صاحب كتاب "كامل الزيارات" و"المتمسك بحبل آل الرسول" وأحد مشايخ الشيخ المفيد. وصحيح أيضا وجود "تهذيب الشريعة لأحكام الشريعة" للإسكافى ولكن ذلك كله أقرب إلى الفقه منه إلى أصول الفقه. إنما البداية لعلم أصول الفقه الشيعى هو الشيخ المفيد الذى يعادل الشافعى عند أهل السنة، ثم السيد المرتضى ثم الطوسى[1].

ويمكن افتراض عدة أسباب وراء هذه الظاهرة العكسية فى تاريخ أصول الفقه السنى الذى بدأ مبكرا وانتهى مبكرا، وأصول الفقه الشيعى الذى بدأ متأخرا ولم ينته بعد فى الآتى:

١- إسراع أهل السنة فى التشريع من أجل تثبيت الأمر الواقع وتثبيت الفكر الأصولى لصالح السلطة القائمة، كما فعل الشافعى فى "الرسالة" بعد سقوط الأمويين وتدعيم الدولة، وتقنين الفكر، ووضع الأصول، وتثبيت القواعد فى حين انشغل الشيعة بمعارضة آل البيت للسلطة القائمة من أجل تغييرها. انشغل السنة بالتقنين وإيجاد شرعية للسلطة بينما انشغل الشيعة بالتغيير وزعزعة السلطة القائمة من أجل العودة إلى الشرعية المغتصبة.

٢- السلطة فى موقع الدولة تكون أحوج إلى وضع الشرائع والقوانين وتنظيم المجتمع فى حين أن السلطة فى المعارضة تحافظ على وجودها كأقلية سرية تعصى القانون وتعتبره ظالما. فالموقفان مختلفان بين القانون وعصيانه، بين فرض القانون والثورة عليه.

٣- انشغال الشيعة بتثوير العقائد أكثر من تثوير الشرائع خاصة الإمامة أى السلطة السياسية التى أصبحت فى قريش بيعة خاصة ثم عامة وليست نصا أو تعيينا بالاسم أو بالرسم، بالشخص أو بالوصف. ووضعوا عقائد الغيبة والعصمة والتقية. وغالت بعض الفرق بوضع عقائد الألوهية والحلولية فى الأئمة. وتثوير العقائد أولى من تثوير الشرائع. فالعقائد تصورات للعالم، والشرائع قواعد للسلوك.

٤- بروز "التأويل" فى مقابل "التنزيل"، والصعود إلى أعلى فى مقابل النزول إلى أسفل، والتوجه إلى الله كرد فعل على التكالب على العالم، والرغبة فى الشهادة ضد التمسك بالحياة، وعشق الآخرة ضد شبق الدنيا، وتكوين مجتمع مثالى "مدينة الله" يقوم على الأبدال والأقطاب بدلا من الدولة الظالمة "مدينة الأرض" التى تقوم على الجند والشرطة.

---

(١) الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الوصول، مقدمة محمد الفاضل النكرانى، جـ١/١٣-١٤.

٥- وربما ازدهر علم الأصول فى القرن الرابع عشر، قرن العلم نظرا لبداية تحرك المجتمع الإيرانى فى العصر الحديث ضد نظام التسلط والقهر الذى مثله الحكم الشاهنشاهى من أجل الثورة عليه. ثم ازدهر هذا العلم من جديد فى القرن الخامس عشر بعد نجاح الثورة والرغبة فى إعادة بناء العلم بحيث يكون مواكبا للثورة وبحيث لا يكون علم أصول الفقه أقل ارتباطا بالثورة من علم أصول الدين سواء فى البداية أو فى النهاية حتى بعد ظهور "ولاية الفقيه" التى هى جمع بين أصول الدين والفقه. ومع ذلك، مازال تثوير "أصول الفقه" بعيد المنال.

٢- **أصول الفقه الشيعى.** ولأول مرة يتم دراسة أصول الفقه الشيعى داخل علم الأصول، ليس بقصد الحجاج ولا حتى المقارنات بل من أجل إكمال المادة العلمية ورؤية الصورة الكلية، ومعرفة البدائل فى تأسيس العلم والخروج على النمطية المذهبية وأحادية النظرة، والاقتراب من باقى المذاهب والفرق استمرارا فى اتجاه التقريب الذى بدا فى الجيل السابق ومازال مستمرا فى هذا الجيل[١].

وأصول الفقه الشيعى هى الأصول الإمامية. فلم ترد مصنفات شيعية أخرى غير الإمامية. ولا تُعرف مصنفات فى أصول الفقه الإسماعيلى. والزيدية بين الإمامية والمعتزلة. ويصرح كل مصنف شيعى بأنه مصنف على مذهب الإمامية[٢].

وكما أن أصول الفقه قد يكون نقلا لقواعد العقائد فى علم أصول الدين، وهى طريقة الأصوليين المتكلمين فإنه يكون أيضا استقراء للكليات من الجزئيات وهى طريقة الأصوليين الفقهاء. وإذا كان السؤال حول الطريقة الأولى: هل هناك صلة بين أصول الفقه وقواعد العقائد عند كل من المذهبين، السنة والشيعة؟ فإن السؤال يتكرر: هل هناك صلة بين أصول الفقه والفقه السنى أو بين أصول الفقه الشيعى والفقه الشيعى؟ والحقيقة أن علم أصول الفقه فى الحالتين قد وصل إلى حد من التجريد المنطقى بحيث أصبحت الأمثلة الفقهية فيه قليلة للغاية. بل لقد حاول علم أصول الفقه الشيعى الانتقال إلى علم القواعد الفقهية أو إدخالها ضمن العلم مثل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" أو "نفى الضرر" أو "قاعدة الميسور" والتى سماها أهل السنة "عدم جواز

---

(١) وقد عيب علينا من علماء إيران خاصة علماء الحوزة العلمية فى قم نسيان علم العقائد الشيعى فى "من العقيدة إلى الثورة"، محاولتنا لإعادة بناء علم أصول الدين. ولم يشفع الرد من التقليل من قوة الاعتراض. كان الرد هو دراسة العقائد الموروثة فى الثقافة الشعبية وهو ما يكشف عن حب آل البيت والتشيع الطبيعى فى الممارسات الشعبية. وقد تلافينا هذا النسيان من قبل فى "من النقل إلى الإبداع"، محاولتنا لإعادة بناء علوم الحكمة لأن الفلسفة فى تكوينها الرئيسى شيعية خاصة عند إخوان الصفا والسجستانى وابن سينا.

(٢) الطوسى: العدة، جـ١/٨/١٧٢-١٨٢.

تكليف ما لا يطاق" أو قاعدة "الفراغ والتجاوز" ...الخ، ومع ذلك تظهر بعض الأمثلة الفقهية كما تبدو فى أصول الفقه السنى مثل الماء المضاف، والمتعة، ومعنى اللباس، وفقه الرضا، ومسألة الكر، والخلل الواقع فى الصلاة، ومنابع الفقه، والصلاة فى المكان المغصوب، وهو ما سماه أهل السنة الصلاة فى الدار المغصوبة.

وتظهر بعض عقائد الشيعة على استحياء فى علم الأصول الشيعى. وأحيانا يعلن صراحة عن "وجوب التمسك بمذهب الإمامية" وضرورة "اتباع الأئمة"، وأخذ "الأصول عن الأئمة"، و"صدور العبادة من النبى والأئمة"، وحجية فتوى الأئمة. كما يتم التركيز خاصة على دور الإمام المعصوم فى الأصول، وذكر "الآيات والأخبار على انحصار الأدلة فى السماع عن المعصوم"، كما يعتبر "عمل المعصوم" أحد مصادر التشريع. ويمكن استنباط الأحكام بطريقة "الحمل على التقية". كما يمكن "إخبار الأئمة فى زمن الغيبة"[1]. وقد خفت هذه العقائد فى تطور علم الأصول من البداية إلى النهاية. ولم تعد إلى الظهور إلا عند الإمام الخمينى[2]. ومع ذلك توجد مصنفات قليلة فى أصول الإمامية[3].

وتنقسم مصنفات الشيعة إلى نوعين: كلية وجزئية، والجزئية الأقل كما هو الحال فى مصنفات السنة. ويغلب التصنيف الجزئى فى الموضوعات التى تحركت نحوها البنية مثل الاستصحاب، والتسامح فى أدلة السنن، ومباحث الألفاظ، والأمر والنهى، والمشتق، وطرق الاستنباط والتعادل والتراجيح[4].

---

(١) ذكرى الشيعة، مكتبة يصبرتى، قم. "وجوب التمسك بالإمامية"، محمد محسن الفيض الكاشانى: الأصول الأصلية، "أخبار الأئمة فى زمن الغيبة"، الأصول من الأئمة، ص٥٠-٦٥. محمد رضا تغرشى: سفينة النجاة: الآيات والأخبار على انحصار الأدلة فى السماع عن المعصوم ص٣٦-٥٢. محمد بن الحسن المر العاملى: فصول مهمة ص٦٦-٦٨. يوسف البحرانى: الحدائق الناضرة، الحمل على التقية ص٤-١٤. السيد عبد الله الشبرم: الأصول الأصلية والقواعد الشرعية. التقية ص٣١٧.

(٢) الإمام روح الله الموسوى الخمينى: الرسائل جـ١ التقية ص١٧٤. الحسين الفريد الكلبايكانى: ملاحظات الفريد على فوائد التوحيد، عمل المعصوم ص١٩٥-٢٠٠. مهدى مهريزى: أصول فقه شيعة ص٧٩/٨٥/٨٦/٨٧/١٥٦/ ١٨٣.

(٣) حسين الإمامى الكاشانى: أصول الإمامية فى الأصول الفقهية، مطبعة الرباتى، أصفهان. حسين بن شهاب الدين الكركى العاملى: هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار، تصحيح رؤوف جمال الدين، بغداد ١٣٩٦ق.

(٤) كتب كل من: محمد شفيع البروجردى وعلم المهدى التبريزى ومحمد صالح المازندرانى الحائرى "رسالة فى الاستصحاب". وكتب كل من مرتضى الأنصارى ومحمد مهدى الحسينى آل حكيم وميرزا أبو القاسم "رسالة فى التسامح فى أدلة السنن". وكتب كل من محمد كاظم اليزدى النجفى ومحمد حسين النائينى وموسى زنجانى فى "جواز اجتماع الأمر والنهى". وألف كل من مرتضى الأنصارى وأبو القاسم الطهرانى والسيد محمد حسن الشيرازى "رسالة فى المشتق". ودون كل من محمد الموسوى الزنجانى ومحمد كاظم اليزدى النجفى ومحمد=

ومصنفات الشيعة مثل مصنفات السنة متون وشروح وحواشى والشروح والحواشى أقل[1]. وتعدد الأشكال الأدبية بين أشهرها مثل الشروح والحواشى وما يتميز به التأليف الشيعى مثل التحرير والتقرير. ويشترك السنة والشيعة فى "التعليق". وقد يجتمع نوعان أدبيان مثل التوضيح التعليق[2].

وكما أن التقليد هو السائد فى أصول الفقه السنى وأن الخلاف فى الأصول بين الأصوليين قليل كذلك فإن التقليد هو السائد فى أصول الفقه الشيعى. فالخلاف بين المصنفات فى أصول الفقه الشيعى قليلة. يكرر الكل بعضه بعضا. ويكون الفضل فى واضع العلم الأول الشافعى عند أهل السنة (٢٠٤هـ)، والشيخ المفيد عند الشيعة (٤١٣ق). وقد لا تكون لهذه الفروق الصغيرة أية دلالات أصولية عند الأصولى بل عند المؤرخ الذى يرصد بنية الأصول وتطورها من داخلها فى بنية العقل ذاته أو من خارجها بالعودة إلى مصادرها التاريخية وإطارها الاجتماعى والسياسى.

وقد كتبت معظم مصنفات أصول الفقه الشيعى بالعربية باستثناء بعض المصنفات فى القرن الخامس عشر التى كتبت بالفارسية بعد تأسيس الدولة الوطنية وظهور الفكر القومى. وإن كانت النسبة مازالت ضعيفة[3]. ومع ذلك ظلت مصطلحات العلم كلها عربية. وربما كان أحد الأسباب هو التأليف المدرسى لمقتضيات التعليم فى الحوزات العلمية حيث الفارسية هى اللغة الوطنية، لغة التأليف والتعليم.

وقد تميزت المصنفات الأصولية الشيعية بحسن التحقيق وإعداد الفهارس الكاملة للآيات والأحاديث والأقوال المأثورة والأشعار، وأسماء الأعلام والرواة والكتب المحال إليها فى المتن،

=صالح المازندرانى الحائرى "فى التعادل والتراجيح". وصنف السيد على نقى الحيدرى "أصول الاستنباط"، وكل من السيد القاسم الخوئى وضيائى بكدللى " مبانى الاستنباط"، والسيد حسين يوسف الملكى العاملى "قواعد استنباط الأحكام". ولكل من السيد على آقا البهبهانى والسيد على الفانى الأصفهانى آراء ومقالات "حول مباحث الألفاظ". ولشعبانى الكيلانى النجفى "أحكام القطع والظن" ولمحمد مهدى الحسينى آل حكيم "النهى فى العبادات"، ولمصطفى الحسينى الكاشانى "رسالة فى التجرى"، ولميرزا محمد حسن الاشتيانى "الأجزاء" و"قاعدة نفى العسر والحرج"، ولمحمود عرب الأراكى رسالة فى "العلم الإجمالى"، ولمحمد تقى الحكيم "السنة"، ولمحمد تقى الصديقين الأصفهانى "الأخبار والإجماع". وهى حوالى ٣٠ مصنفا من مجموع ٢٦٦ أى بنسبة ١١٪. ولم نشأ تحليلها فى فصل "اجتزاء البنية" اكتفاء بمؤلفات أهل السنة الجزئية ولأن الغاية من هذا الفصل هو بيان تحريك البنية الكلية وليس اجتزاء البنية.

(١) من حوالى ٢٦٦ مصنفا ٧٥ متون، والباقى شروح وحواشى أى بنسبة ٢٨٪. الشروح (١٨)، الحواشى (١٤)، التحرير (٨)، التعليق (٧)، التقرير (٣).

(٢) حبيب الله رفيعان نيشابورى: توضيحات وتعليقات على كتاب معالم الأصول.

(٣) من مجموع ٢٦٦ مصنفا شيعيا فى أصول الفقه هناك ٣٤ مصنفا فقط بالفارسية أى بنسبة ١٣٪. وكان أول مصنف "رسالة أصول فقه" لأبى الفتح شريف كركانى (٩٧٦ق).

وأسماء الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية، وأسماء البقاع والبلدان والأمصار، بالإضافة إلى مصادر البحث والتحقيق مما يساعد الباحث الحديث على تحليل المضمون. ومع ذلك لا تغنى هذه الفهارس عن قراءة النص نفسه لمعايشته ومعرفة أسلوبه وشكله الأدبى وطريقة عرضه وسجاله وترتيبه ومسار فكره ووحدة عمله داخل إطار وحدة مشروع المؤلف فى إطار وحدة العلم نفسه أولا ثم وحدة الحضارة ثانيا.

٣- **تحريك البنية إلى الداخل.** وتعنى "تحريك" البنية، هز البنية القديمة التى تم تثبيتها فى عصر الشروح والملخصات والتى استقرت وأصبحت هى بنية علم أصول الفقه ذاته. فقد توقف بعدها، وانتهى الإبداع فى العلوم فى المرحلة الأولى للحضارة الإسلامية فى القرون السبعة الأولى التى أرخ لها ابن خلدون ثم بدأ التقليد فى المرحلة الثانية، فى القرون السبعة الثانية والتى يحاول مشروع "التراث والتجديد" إنهاءها من أجل بداية المرحلة الثالثة فى قرون سبع قادمة نحو عصر ذهبى ثان يكون فى الأمام وليس فى الخلف، متجها نحو المستقبل وليس عائدا إلى الماضى.

وكانت هناك عدة مصطلحات مطروحة مثل "تبديل" البنية أو "البنية البديلة". والحقيقة أن بنية أصول الفقه الشيعى ليست بنية بديلة لأنها مازالت تقوم على البنية القديمة مع تحريك لها وإعادة تأسيسها طبقا لأولويات جديدة بناء على عقائد الشيعة. فالصلة بين علم أصول الدين وعلم أصول الفقه عند السنة والشيعة قائمة، وأن أصول التشريع إنما تستمد من قواعد العقائد. ولما كانت العقائد أيضا توظيفا سياسيا للدين، وكان للسنة والشيعة موقفان سياسيان مختلفان، موقع السلطة وموقع المعارضة أتت قواعد العقائد ومن ثم أصول التشريع تعبيرا عن الموقف السياسى لكل فريق. ومن ثم كان لفظ "تعديل" البنية أقرب إلى الواقع منه إلى "تبديل البنية".

وهو أفضل أيضا من لفظ "تجديد" البنية. فاللفظ ينطبق على "الموافقات" للشاطبى الذى أعاد بناء علم أصول الفقه بناء على مفهوم جديد، هو "المقاصد"، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. لم يجدد أصول الفقه الشيعى بنية العلم الذى وضعه السنة بل حاول فقط تعديلها أو تغييرها أو العمل فى إطارها، والتحرك فى ميدانها، وإعادة النظر فى أولوياتها.

أما ألفاظ الإثارة مثل "هز" أو "تغيير" أو "رفض" أو "تفكيك" البنية فإنها غير مطابقة لواقع أصول الفقه الشيعى التى تقدم مجرد تغيير نسبى فى نظام الأولويات لأصول الفقه السنى على عكس الفروق بين العقائد خاصة حول الإمامة.

أما "تمييع" البنية وطمس معالمها فإنه حكم قيمة وإن كان أيضا وصفا لواقع. فقد وضع

أهل السنة أصولا جامدة ممثلة فى الأدلة الشرعية الأربعة ومنطق محكم للألفاظ بالإضافة إلى تقنين خماسى محكم لأحكام التكليف. وأراد الشيعة التخفف من هذه الحدة والأحكام فى التشريع من أجل مرونة أكثر فى ترتيب الأدلة ومنطق اللغة، ومعايير السلوك.

وقد تم هذا "التحريك" إلى الداخل، إلى الأسس المعرفية للعلم بحيث تحول أصول الفقه الشيعى إلى فلسفة نظرية فى الأصول تبحث عن اليقين النظرى وليس عن التوجه العلمى كما هو الحال فى أصول الفقه السنى. لذلك كان الأدق هو "تحريك البنية إلى الداخل" أى "استبطان البنية" والبحث عن يقينها المعرفى الخالص. لذلك أيضا كانت مقولاتها الرئيسية القطع والظن والشك، والأدلة النظرية والأصول العملية بمعنى الأدلة أيضا.

والحقيقة أنه لا يوجد خلاف جوهرى بين أصول الفقه السنى وأصول الفقه الشيعى. فقد حاول كل فريق تأصيل الأصول بصرف النظر عن قواعد العقائد. فأهل السنة يتحدثون عن "الشارع" أو "واضع الشريعة" كى لا يدخلوا فى الإلهيات كما فعل الشاطبى. وكان الشيعة أيضا حريصين على ذلك بالرغم من تسرب بعض العقائد مثل العصمة للإمام والتقية وبعض مسائل التوحيد.

وتربط المعتزلة بين العلمين. فقد ساهم المعتزلة فى وضع أصول الفقه مثل "العمد" للقاضى عبد الجبار، و"المعتمد" لأبى الحسن البصرى، وأقاموا مباحث الأمر والنهى على أصل التحسين والتقبيح العقلى. وتستمد الشيعة بل والخوارج أصول التوحيد والعدل من المعتزلة، وتقيم أيضا مباحث الأمر والنهى على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين. فالأمر يقتضى المصلحة، والنهى يقتضى الفساد.

البنية فى العلمين واحدة، وإنما التغير فى أهمية الموضوع ونظام الأولويات، مباحث الألفاظ عند الشيعة والأدلة الأربعة عند السنة، الإجماع والاستصحاب عند الشيعة والكتاب والسنة عند السنة.

وبتحليل مضمون معظم مصنفات أصول الفقه الشيعى يمكن رصد تحريك البنية نحو مباحث الألفاظ بعيدا عن الأدلة الشرعية الأربعة أى نحو طرق الاستثمار وليس المثمر بمصطلحات "المستصفى". فلا يوجد خلاف كبير حول مصادر التشريع بل الخلاف فى تأويلها وكيفية استخدامها. ليس الخلاف فى الأدلة، أربعة أم ثلاثة، ولو أن أصول الفقه الشيعى أحيانا يعتبر الأدلة ثلاثة باعتبار أن دليل العقل أو الاستصحاب ليس دليلا بل هو أساس الاجتهاد الأول وكما فعل الغزالى من قبل فى "المستصفى".

أ- مباحث الألفاظ[١]. وتبدأ مباحث الألفاظ بوضع المفاهيم والمقدمات والكليات قبل الدخول فى التفصيلات مما يدل على أهمية التصورات أو الصياغات النظرية[٢]. ويأتى الأمر والنهى أولا من حيث الأولوية والأهمية. إذا يجتمع الأمر والنهى فى صيغ واحدة، "افعل" و"لا تفعل"، الإثبات والنفى[٣]. ثم يتلو الأمر النهى جمعا ومفردا، معناه ودوامه وأقسامه[٤].

ثم يتقدم النهى الأمر جمعا "النواهى" أكثر منه مفردا. ويتم إبراز دلالة النهى على الفساد أو اقتضاء النهى الفساد بناء على قاعدة الحسن والقبح العقليين عند المعتزلة مثل النهى عن إتباع الرأى والتى تذكر صراحة باعتبارها أساس الأمر والنهى[٥]. ويكون النهى فى العبادات وفى المعاملات، وفى العبادات أكثر. وهى فى النهاية ألفاظ وأحكام[٦].

وتبدأ مباحث الألفاظ بالعموم والخصوص ومشتقاتها مثل الصحيح والأعم وهو الأغلب، وتعارض العموم والخصوص والجمع بينهما[٧]. ومنهما يتولد المطلق والمقيد ومشتقاتهما كمفاهيم وعمليات مثل الإطلاق والتقييد[٨]. ومنهما يتولد المجمل والمبين، وتأخر البيان عن وقت الحاجة[٩]. ثم يأتى الظاهر والمؤول بمفهومى الظواهر، والظهور وحجية كل منهما. وهى ظواهر الكتاب أى القرآن فى مقابل التأويل والواقع. فالنص مشدود بين العقل والواقع، بين التأويل والتنزيل[١٠]. ثم يأتى مفهوما الحقيقة والمجاز كاستعمالين للنص ودورانه بينهما[١١]. ويكاد

---

(١) هذا التحليل للمضمون يقوم على تحليل ٢٦٦ مصنفا أصوليا شيعيا وصفها مهدى مهريزى فى "كتابشناى أصول فقه شيعة" والذى نشره الشيخ مرتضارى الأنصارر، بائيز ١٣٧٣.

(٢) المفاهيم (١١٥)، المقدمات (المقدمة) (٨٦)، الكليات (٣٦)، متمم المقولات العشر، التعريفات، المفهوم البسيط (١).

(٣) اجتماع الأمر والنهى (١٠٣)، الأمر والنهى (١٠)، امتناع الأمر والنهى، صنع الأمر والنهى (١).

(٤) الأوامر (٧٢)، الأمر (٣٦)، معنى الأمر، إدامة الأمر، أقسام الأمر ( ).

(٥) النواهى (٥٨)، النهى (٣٢)، اقتضاء النهى الفساد (٤٧)، دلالة النهى على الفساد (٤٦)، الفساد (١١)، النهى فى العبادات (٧)، النهى فى العبادات والمعاملات (٥)، النهى فى المعاملات، النهى فى العبادة، أحكام النهى (١).

(٦) الحسن والقبح العقلى (٨)، الحسن والقبح العقليان، الحسن والقبح (١).

(٧) الصحيح والأعم (٩٦)، العموم والخصوص (٤٠)، العموم (٦)، إفادة مطلق العموم، حمل المطلق على العموم، تعارض العام والخاص، إمكان الوضع الخاص والموضوع العام، العام (١).

(٨) المطلق والمقيد (١٠٧)، الإطلاق (٣)، المطلق (٢)، التقابل بين المطلق والمقيد (١).

(٩) المجمل والمبين (٦٥)، تأخير البيان (عن وقت الحاجة) (٣)، المجمل (١).

(١٠) الظواهر (٥٢)، الظهور (٧)، حجية الظواهر (٥)، حجية الظهور، ظواهر القرآن (٣)، ظواهر الكتاب، الظاهر، اتباع الظهور، الظاهر والمؤول، الحكم الواقعى والحكم الظاهرى (١).

(١١) الحقيقة والمجاز (٣٣)، استعمال حقيقى واستعمال مجازى (٣)، دوران الأمر بين الحقيقة والمجاز (١).

المحكم والمتشابه لا يذكران[1]. ثم يتحول المفهوم المزدوج إلى مفهوم مفرد مثل الاشتراك والاستثناء[2]. ويضاف إليهما المشتق والوضع[3]. ويضاف إليهما أيضا مفهوما الشرط والوصف[4].

وقد تم الوصول لهذه المفاهيم من تحليل خطاب الشارع[5]. والخطاب لغة وربما عدة لغات تتعارض أحوالها[6]. يحكمه منطق القول اللغوى أى قول أهل اللغة[7]. وقد استمد منهم الأصوليون نحوهم مثل أقسام الكلمة، الفعل، الجملة[8]. ويتكون الخطاب من ألفاظ[9]. وكل لفظ له حالات، معانى وسياقات. وقد تتعارض أحوال الألفاظ[10]. وهذه الأحوال تنتظمها أصول أى مبادئ عامة[11]. وكل لفظ له معنى كما أن لكل منطوق مفهوم[12]. ويستعمل اللفظ فى أكثر من معنى واحد. فالألفاظ للاستعمال. وتتحد معانيها بالاستعمال فى الأكثر[13]. ويتحدد الاستعمال بالعرف والعادة، بعرف المجتمع، وعرف الشارع أو اصطلاحه[14]. ولكل لفظ معنيان، معنى حرفى ومعنى دلالى مثل الواو[15]. العلم بمدلول الألفاظ وباقتناص الدلالة[16]. لذلك كانت الأدلة على أنواع: الدليل اللفظى، والدليل البرهانى، والدليل الاستقرائى والدليل المحرز. الأول دليل اللغة، والثانى دليل العقل، والثالث دليل الواقع، والرابع هو اجتماع الأدلة الثلاثة فى دليل لغوى وعقلى وواقعى أى هو الدليل النافع[17]. والدليل الاستقرائى هو الذى سماه الشاطبى فى

---

(١) المتشابه وحكمه (١).

(٢) الاشتراك (١٦)، المشترك (٣)، الاشتراك اللفظى، الاستثناء من الجمل (١).

(٣) المشتق (١٠٧)، الأوصاف والأسماء المشتقة، المصدر ومصدر الاشتقاق، الوضع (١٠٢).

(٤) مفهوم الشرط (٣)، شرائط الأصول، شرائط العمل بالأصول، تقدم الشرط على المشروط، كل شرط موضوع وبالعكس، الشرط المتأخر، أصالة عدم الجزئية والشرطية (١). مفهوم الوصف (١).

(٥) الخطاب الشارع، الخطاب (١).

(٦) اللغة (٥)، اللغات (٢)، تعارض أحوال اللغة (١).

(٧) قول اللغوى (١٩)، قول أهل اللغة (١).

(٨) نحو الأصوليين، أقسام الكلمة، الفعل، الجملة (١).

(٩) الألفاظ (٦)، اللفظ (٢).

(١٠) حالات اللفظ، تعارض أحوال اللفظ (١).

(١١) الأصول اللفظية (٧)، تعارض أصول اللفظ (١).

(١٢) المنطوق والمفهوم (٤)، اللفظ والمعنى (١).

(١٣) استعمال اللفظ فى أكثر من معنى (واحد) (٦١)، الاستعمال (٥٢)، الاستعمال فى الأكثر (١٠)، استعمال اللفظ فى الأكثر (٤).

(١٤) العرف والعادة (٣)، العرف (٢)، عرف الشارع (١).

(١٥) المعنى الحرفى (٢)، الحرف والمعنى الحرفى، الحروف، معانى بعض الحروف، المعانى الحرفية (١).

(١٦) الدلالة، العلم بمدلول الألفاظ (٢).

(١٧) الدليل اللفظى، الأدلة المحرزة (٢)، الدليل البرهانى، الدليل الاستقرائى (١). الاستقراء (٣).

الموافقات "الاستقراء المعنوى". وقد تم تفصيله ابتداء من نقد الاستقراء التجريبى السائج فى "الأسس المنطقية الاستقراء"[1]. وقد تتعرض الأدلة كما تتعارض الأحوال، وقد يدور الأمر بين المحذورين ولكن عدم الدليل لا يعنى دليل العدم[2]. وأخيرا يتم الانتقال من المبادئ اللغوية إلى المبادئ المنطقية إلى المبادئ الإحكامية أو الحكمية. ولما كان الحكم تصورا وتصديقا يتم وضع المبادئ التصورية الإحكامية والمبادئ التصديقية الإحكامية[3].

ب- **القطع والظن.** ويتأسس العلم على نمطين من أنماط الاعتقاد والقطع والظن. والقطع هو اليقين. والظن مثل الشك. القطع حجة حتى ولو كانت غير متعارف عليها. وهو على أنواع[4]. وفى مقابل القطع أو العلم الظن المطلق أو الظن. وهو خارج ميدان أصول الدين. إذ لا يجوز التعبد بالظن أو إمكانية التعبد به أو الإفتاء على أساسه مطلق الظن موجود. وهو حجة ودليل ولكن فى الأمور المعتبرة وليس فى القرآن. فالظن على أقسام[5]. والشك قرين الظن. ويكون فى القضايا الجزئية والشرطية وليس فى القضايا الكلية المطلقة ولا يكون فى التكليف بل فى المكلف به. وهو ليس فى النظر بل فى أوجه العمل[6]. ويقوم الشك على شبهات محصورة وغير محصورة. ويذهب الشك بالتمسك بالعام أو بالمصلحة، بالعقل أو بالواقع[7]. كما يضيع الشك بحجية الامارات وهى الأسباب أو المعرفات. وتقوم مقام القطع مثل الأصل، وتتأسس عليها الأمور العملية. لذلك يجوز التعبد بها[8]. وهذا هو

---

(١) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاستقراء، دراسة جديدة للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقى المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله. دار التعاون للمطبوعات، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م. وهو ما قام به لاشيلييه أيضا فى "أسس الاستقراء" Les Fondements de l'Induction .

(٢) تعارض الأدلة (١٦)، تعارض الأحوال (٥)، دوران الأمر بين المحذورين، عدم الدليل دليل العدم (١).

(٣) المبادئ اللغوية (٤)، المبادئ المنطقية (٢)، المبادئ الإحكامية، المبادئ الحكمية، المبادئ التصورية الإحكامية، المبادئ التصديقية الإحكامية (١).

(٤) القطع (٨٢)، الحجة القاطعة، حجية القطع، حجية قطع غير المتعارف، أقسام القطع (١).

(٥) الظن المطلق (٤٥)، الظن (١٢)، الظن فى أصول الدين (٨)، التعبد بالظن (٧)، إمكان التعبد بالظن (٢)، عدم حجية الظن فى العقائد والإفتاء، حرمة العمل بالظن، عدم جواز العمل بالظن الخاص، الظن بالأمور الاعتقادية، مطلق الظن، الظن والقرآن، الظنون المعتبرة، الأدلة الظنية، عدم حجية الظن المطلق، أقسام الظن، العلم والظن (١). حجية الظن (٤)

(٦) الشك (٢)، الشك فى الجزئية والشرطية، الشك فى المكلف به، الفرق بين الشك فى التكليف والشك فى المكلف به، كون الشك موضوعا فى الحكم الواقعى (١).

(٧) الشبهات المحصورة وغير المحصورة، الشبهات غير المحصورة، الشبهات المحصورة، المحصور وغير المحصور، تلاقى الشبهة، التمسك بالعام فى الشبهة المصداقية.

(٨) حجية الامارات (٤٩)، إمارات (٣)، إمكان التعبد بالامارات (٢)، الامارات أسباب أو معرفات، مجارى=

التجرى[1]. وهو مفهوم رئيسى فى طرق الاستنباط فى أصول الفقه الشيعى بالرغم من استعمال مفهوم تنقيح المناط[2]. وتتفرع هذه الطرق اعتمادا على الأصل فى الأفعال. فقد يتنافى الأصلان أو يتعارضان أو يتزاحمان[3]. وقد تتفرع إلى درجة التجريد وكأن أصول الفقه قد تحول إلى منطق صورى خالص[4]. كما يظهر مفهوم جديد آخر فى أصول الفقه الشيعى هو متمم الجعل. ويعنى ما يتم به إجراء الفعل[5]. كل ذلك هو العلم الإجمالى، إنجازاته وفروعه وحججه على العالم ووجوب العمل بالعلم. ومع ذلك يجوز التعبد بغيره[6].

جـ- الأدلة الشرعية. وفى الأدلة الشرعية الأربعة هناك أولوية مطلقة للاستصحاب وللإجماع على الكتاب والسنة[7]. فقد أصبح "الاستصحاب" عنوانا لأصول الفقه الشيعى وإن كان المصطلح قد ظهر من قبل فى "المستصفى" فى الأصل الرابع، دليل العقل أو الاستصحاب[8]. فهو قاعدة وأصل، قاعدة للاستدلال وأصل ودليل. هو استصحاب الكلى فى حالة غياب حكم للجزئى. لذلك يوصف بأصالة الاستصحاب أى أنه أصل مستقل وليس مجرد فرع. هو استصحاب للحال فى حالة النفى، استصحاب للعدم الأزلى. وهو لا يتعارض مع الدليل ولكنه يفى بغرضه فى حالة غيابه. وفى الاستصحاب يبقى الموضوع ولا يتم التضحية به. هو مصاحبة الأشياء وصحبتها، والإبقاء على وحدتها دون تجزئتها. وهو يقوم بدور القياس والبراءة الأصلية. وقد يتعارض الاستصحاب مع اليد أو مع الصحة. وللاستصحاب أشكال عدة: استصحاب

=الأصول والامارات، مجارى الأصول، تقدم الامارة على الأصل، قيام الامارات والأصول مقام القطع، قيام الطرق والامارات مقام القطع، الامارات والأصول العملية، القلبية (١).

(١) التجرى (٥٦).

(٢) طرق الاستنباط، تنقيح المناط.

(٣) الأصل، الأصل فى الأفعال، الأصلان المتنافيان، المتعارضان، المتزاحمان، التعارض والتزاحم (١).

(٤) وذلك مثل: التركيب الاتحادى الانضمامى، الأقل والأكثر الارتباطى، القاعدة الفعلية فى المقدمات المفوتة (١).

(٥) متمم الجعل.

(٦) العلم الإجمالى (٦٣)، منجزية العلم الإجمالى (٢)، العلم، فروع العلم الإجمالى، إطلاق الحجة على العالم، وجوب العمل بالعلم، التعبد بغير العلم (١).

(٧) ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة طبقا للأهمية فى أصول الفقه الشيعى.

(٨) الاستصحاب (١٥٠): استصحاب الكلى (٢)، قاعدة الاستصحاب، النافى والاستصحاب للحال، استصحاب الحال، أصالة الاستصحاب، استصحاب العدم الأزلى، عدم تعارض الاستصحاب مع الدليل، بقاء الموضوع فى الاستصحاب، وحدة الموضوع فى الاستصحاب، تعارض الاستصحاب، تعارض اليد والاستصحاب، تعارض الاستصحاب وأهل الصحة، أقسام الاستصحاب، الاستصحاب فى الفرد المبرود، البراءة والاستصحاب والقياس، الاستصحاب التعليقى (١).

تعليقى بعد تعليق الحكم واستصحاب فى الفرد المبرود أى مصاحبة الموضوع بعد انتفاء الحكم، وأقسام الاستصحاب. وأحيانا يستبدل بالاستصحاب دليل العقل أو الدليل العقلى، فردا أو جمعا أو الملازمات العقلية[١].

وقد تم تقنين المصحف بالإجماع، وجمع السنة بالإجماع، والاتفاق على الشهرة بالإجماع. فالإجماع هو المصدر الأول وراء المصدرين الأولين، الكتاب والسنة. ثم تصبح القضية إجماع من؟ الإجماع العام أم الإجماع الخاص؟ إجماع الأمة أم إجماع أهل العترة؟ إجماع أهل الحل والعقد أم الإجماع الذى يشارك فيه المعصوم؟[٢].

ثم يظهر الاجتهاد والتقليد، وتصالح من يكون الترجيح، وشرائط الاجتهاد وتاريخه والفرق بينه وبين الإفتاء، وتقليد الحى وجواز تقليد الميت بالرغم من تغير العصر، وجواز التقليد فى العبادات دون المعاملات نظرا لتغير المصالح[٣]، والتعادل والتراجيح والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ومذهب الصحابى وشرع من قبلنا، وكل ما يتعلق بالمصدر الرابع. فالقضية ليست فى الأدلة بل فى تعارض الأدلة مما يستلزم الترجيح بينها[٤].

وقد حدث الإجماع والاجتهاد ويتحد والحوادث وتغير الأزمان وفضل آخرون التمسك بالنصوص وعدم تجاوزها إلى غيرها[٥]. ومع ذلك فقد ذم بعض القدماء الاجتهاد اعتمادا على الآيات والأخبار وعلى أقوال إخوان الصفا وعلى خطورة نتائجه[٦].

ثم تأتى بعد ذلك فى الأهمية صور الاجتهاد المختلفة مثل القياس وأشكاله الحرة مثل الاستحسان والمصالح المرسلة أو أشكال التقليد مثل مذهب الصحابى وشرع من قبلنا[٧]. وقد يضم

---

(١) العقل (١٨)، الأدلة العقلية (١٥)، الدليل العقلى، الملازمات العقلية (١٠)، دليل العقل (٥).

(٢) الإجماع (١٣٢)، الإجماع والشهرة (٢)، الكتب الأربعة (١).

(٣) الاجتهاد والتقليد (٩٠): (٥٣)، الاجتهاد (٢١)، التقليد (١٣)، شرائط الاجتهاد، تاريخ الاجتهاد، الاجتهاد والإفتاء (١). تقليد الحى (٢)، البقاء على تقليد الميت، البقاء على الميت، التقليد فى موضوع العبادات (١).

(٤) التعادل والتراجيح (٧٥): (٦٨)، الترجيح، المرجحات (٢)، الترجيحات، التعارض والتعادل والتراجيح، رسالة فى التعارض والتراجيح، الترجيح بلا مرجح (١).

(٥) سبب حدوث الإجماع والاجتهاد، أجوبة شبهات القائلين بالإجماع والاجتهاد (١).

(٦) كلام القدماء فى ذم الاجتهاد، الآيات والأخبار فى ذم الاجتهاد، كلام صاحب كتاب إخوان الصفا، ما يترتب على الاجتهاد (١).

(٧) القياس (٤٥)، الاستحسان (١٠)، المصالح المرسلة (٣)، شرع من قبلنا، الاستحسان والمصالح المرسلة، الرأى والقياس، القياس والرأى، الاستقراء والقياس، القياس والاستحسان، قياس الأولوية، القياس المشكوك فيه، شريعة السلف (١).

أكثر من شكل حر للقياس مثل الاستحسان والمصالح المرسلة، الرأى والقياس، الاستقراء والقياس، القياس والاستحسان. وتتفرع أنواع القياس إلى قياس الأولوية، والقياس المشكوك فيه. وأحيانا يكون الجمع بين شكلين مع اختلاف الأولوية مثل الرأى والقياس أو القياس والرأى. وقد يأخذ شكلا واحدا تعبيرين، شرع من قبلنا أو شريعة السلف، المصالح المرسلة أو فتح الذرائع وليس سدها[1].

ثم يأتى الدليل الثانى فى صورة خبر الواحد نظرا للخلاف حول حجيته عندما تتعارض الأدلة عند السنة والشيعة على حد سواء. فهو عند أهل السنة ظنى فى النظر، يقينى فى العمل. وهو عند الشيعة ظنى فى النظر والعمل على حد سواء[2]. أما التواتر فلا إشكال فيه بين السنة والشيعة، يعطى اليقين فى النظر والعمل معا. لذلك كان التالى فى الأهمية[3]. وكلاهما يدخلان تحت نظرية عامة فى الأخبار أى فى الرواية والمعارف السمعية، فى التبليغ وخبر الثقة وصحة الأخبار وحجية الخبر وتعارض الأخبار أو صحتها جميعا والجمع بينها، والفرق بين الخبر والإنشاء، والرواية عن فعل والرواية عن خيال، والصلة بين الخبر والإجماع وكيف أن صدق أحدهما مرهون بصدق الآخر. فقد عرف الخبر بالإجماع، وعرف الإجماع بالخبر. كما يرتبط الخبر بالسنة، فقد عرف الخبر بالسنة وعرفت السنة بالخبر[4]. فالخبر فى النهاية هو نظرية فى اليقين السمعى وصدق الرواية أى المعرفة التاريخية فى مقابل المعرفة العقلية، الرواية فى مقابل الدراية، والعدل والثقة بالرواة وتزكيتهم والحاجة إلى علم الرجال[5]. ويتم تناول الخلاف بين الإخباريين والمجتهدين فى أصول الفقه الشيعى المعاصر[6].

والأفعال تالية فى الأهمية للأخبار[7]. وربما كانت أهم الأخبار فى خبر الواحد الذى يعتمد عليه أهل السنة لإثبات "الإمامة فى قريش"، ويعتمد عليه الشيعة لإثبات النص على على فى خلافة الرسول. فخبر الواحد سلاح ذو حدين عند الفريقين المتنازعين فى الإمامة.

---

(١) سد الذرائع تعبير فى البرجماتية المعاصرة.

(٢) خبر الواحد (٩٦): (٩١)، حجية خبر الواحد (٣)، إبطال العمل بأخبار الآحاد، المنع من العمل بأخبار الآحاد (١).

(٣) الخبر المتواتر (٤): (٣)، المتواتر (١).

(٤) الأخبار (٤٢): (١٧)، الخبر (٧)، أخبار من بلغ (٤)، خبر الثقة (٣)، الخبر والإجماع (٢)، تصحيح الأخبار، الأخبار النبوية، حجية الخبر، العلم بصحة صدور الأخبار، إثبات الصدور، الإنشاء والاخبار، الإنشاء، تعارض الأخبار، التعارض بين الخبرين، الجمع بين الأخبار، الجمع بين الأحاديث، صحة جميع الأخبار (١).

(٥) علم الدراية، قول العدل، مرجع الروايات، تزكية الرواة، الحاجة إلى علم الرجال (١).

(٦) الفرق بين الإخبارى والمجتهد، المحاكمة بين الإخباريين والمجتهدين (١).

(٧) الأفعال (٦)، التأسى بالأفعال، دلالة الفعل (١).

ويتقدم الكتاب السنة، والنسخ الكتاب، والكتاب القرآن. ويرتبط القرآن بالإجماع. فقد عرف القرآن بالإجماع، وعرف الإجماع بالقرآن[1]. والكتاب والسنة قرينان. فالتمسك بالكتاب والسنة، والعلم بالكتاب والسنة. وأحيانا تنحصر الأدلة فى القرآن والحديث وحدهما. فقد كمل الدين قبل قبضة النبى[2]. فالأدلة نصية، الكتاب والسنة. ثم حدثت ظروف استدعت الإجماع والاجتهاد[3].

ثم تأتى السنة، خاصة "التسامح فى أدلة السنن" و"التسامح" هو اللفظ الشائع عن "التساهل". وأحيانا يستعمل اللفظ جمعا "السنن" أى مجموع الأقوال والأفعال. وترتبط السنة بالإجماع لأن الإجماع على السنة، والسنة عليها إجماع[4]. ويضم إليهما أيضا السكوت والتقرير وهو ما سماه أهل السنة الإقرار[5]. ويتم إبراز حديث الرفع[6].

د- الأحكام الشرعية. وفى نهاية المطاف تأتى الأحكام الشرعية التى سماها المستصفى "الثمرة" وجعلها فى بداية العلم. وتدخل تحت مقولة "الحقيقة الشرعية" بل و"الحقيقة" على الإطلاق، وعلاماتها وعلائمها. وتأتى جمعا ومفردا. وأهم شرط لها "مناسبة الحكم للموضوع" أى الحكم للفعل. وهى أحكام منصوصة عليها. ومع ذلك ترتبط بالمصالح الشرعية. وحكم الله فى كل واقعة مما يقلل من أهمية القياس وأشكال الاجتهاد الحر. ولا يجوز أن تقوم المنامات مقامها كما يدعى بعض الصوفية[7]. وهى تجمع بين الشرع والعقل. فهى أحكام شرعية وعقلية فى آن واحد نظرا للملازمة بين أحكام الشرع وأحكام العقل. فالحكمان متلازمان بالرغم من المستقلات العقلية اعتمادا على الأدلة العقلية[8]. فى حين ترتبط الأدلة الشرعية باللغة وبالقول اللغوى. والحكم

---

(١) النسخ (٤١)، الناسخ والمنسوخ (٣). الكتاب (٢٥)، القرآن (٤)، حجية الكتاب، الكتاب المجيد، القرآن والإجماع (١).

(٢) التمسك بالكتاب والسنة، العلم بالكتاب والسنة، انحصار الأدلة فى القرآن والحديث، إكمال الدين قبل قبضة النبى (١).

(٣) سبب حدوث الاجتماع والجهاد.

(٤) السنة (٥٧): (٢٨)، التسامح فى أدلة السنن (٢٧)، التساهل فى أدلة السنن، السنن، السنة والإجماع (١).

(٥) الفعل (٢)، السكوت والتقرير، الفعل والتقرير، التقرير (١).

(٦) حديث الرفع (١).

(٧) الحقيقة الشرعية (٩٩)، الحقيقة، علائم الحقيقة، علامات الحقيقة (١)، الأحكام الشرعية، الحكم الشرعى (٣)، تقسيم الحكم، أقسام الحكم (٢)، الحكم، موضوعات الأحكام، مناسبات الحكم للموضوع، تعلم الأحكام، الأحكام المنصوصة، مصالح الأحكام الشرعية، حكم الله فى كل واقعة، عدم جواز العمل بالمنامات فى الأحكام (١).

(٨) الملازمة بين حكم العقل والشرع، الملازمة بين العقل والشرع، التلازم بين الحكمين، الملازمة، الملازمات (١). المستقلات العقلية (٤).

والحكومة شيء واحد، وكذلك الطاعة والورود[1]. والفعل مبادرة وانصراف[2].

والأحكام الشرعية أصول عملية. والحكم الشرعى أصل عملى[3]. يفترض حرية الاختيار دون الخبر، بحيث يتبع القضاء الأداء[4]. لذلك تقوم التكاليف على الإقناع والتوسط والتخيير وتوافر النية. ولا يجوز فيها السهو والنسيان[5]. وتتعلق بالأسباب الإرادية والقدرة الشرعية[6]. وتعدد الأسباب والمسببات. ولكل أصلها[7]. وتتضمن أصالة التعبد التخطئة والتصويب من أجل أصالة الصحة، صحة الفعل أو فساده[8]. فإذا ما حدث "انسداد"، انسداد فى العلم يمنع من الفعل أى "الاشتغال" يقع التخيير، التخيير العقلى أو التخيير الشرعى مما يدل على أصالة التخيير[9]. وبالرغم من عدم جواز التعدى على متون النصوص إلا أنه وضعت القواعد الشرعية من أجل الحفاظ على الحياة مثل قاعدة نفى الضرر بصياغاتها المتعددة، وقاعدة الميسور ومشتقاتها مثل رفع العسر والحرج وعدم جواز تكليف ما لا يطاق ، وقاعدة المقتضى والمانع، المقتضى الذى يؤدى إلى الفعل والمانع الذى يمنع من الفعل[10]. وهناك قواعد أخرى تميز بها علم الأصول الشيعى مثل قاعدة الفراغ والتجاوز والتى قد تجمع قواعد اللاضرر وأصالة الحل والصحة، وقاعدة اليد، وقاعدة القرعة، وقاعدة الترتيب، وقاعدة الصحة[11]. ومجموع هذه المفاهيم تعادل أحكام الوضع فى أصول الفقه عند السنة: السبب، والشرط والمانع، والعزيمة والرخصة، والصحة والبطلان. والصحة قد تكون للنفس أو الغير .

---

(١) الحكومة أو الورود، الحكومة (١).

(٢) التبادر، الانصراف (١).

(٣) الأصول العملية (١٣)، الأصل العملى (١).

(٤) الجبر والاختيار، بحث تهية القضاء للأداء (١).

(٥) النية (٢)، خطاب الناسى (١).

(٦) القناعة فى التكاليف، التوسط فى التكليف أو التخيير، تعلق التكليف بالسبب الإرادى، القدرة الشرعية فى التكاليف (١).

(٧) تعدد الأسباب والمسببات، أصل السبب والمسبب، الفرق بين الحيثية التعليلية والحيثية التقليدية (١).

(٨) أصالة التعبد، التخطئة والتصويب، أصالة الصحة، أصل الصحة، صحة المعاملة وفسادها (١).

(٩) الاشتغال (٥١)، أصالة الاشتغال (١). التخيير (٤١)، أصالة التخيير (٢)، التخيير العقلى، التخيير الشرعى، الانسداد (٧)، انسداد باب العلم، تنبيهات دليل الانسداد (١).

(١٠) عدم جواز التعدى على متون النصوص (١)، القواعد الشرعية (٢)، قاعدة لا ضرر (اللاضرر) (٢٦)، قاعدة نفى الضرر (٦)، قاعدة لا ضرر ولا ضرار (١)، قاعدة الميسور (١٥)، قاعدة لا حرج، العسر والحرج، التكليف بما لا يطاق، قاعدة المقتضى والمانع (١).

(١١) قاعدة الفراغ والتجاوز (١٨)، قواعد التجاوز والفراغ واللاضرر وأصالة الحل والصحة، قاعدة اليد (٧)، قاعدة القرعة (٣)، القرعة (٢)، قاعدة الترتيب (٢)، الترتيب (١)، قاعدة الصحة، تصحيح الغير (١).

ثم يأتى ما يعادل أحكام التكليف الخمسة عند أهل السنة، الفرض والمحرم والمندوب والمكروه والمباح. وهى مقدمة الواجب أو الوجوب، وعدم إجزاء النفل عن الفرض، وأقسام الواجب، الواجب تجاه النفس والواجب تجاه الغير[1]. وعكسه الحرام مع العزم على المعصية بالرغم من حق الطاعة. وهو أقل ذكرا من الواجب[2]. ثم يأتى المندوب باتحاد الطلب والإرادة وهو أقل ذكرا من المكروه[3]. ثم يأتى المكروه فى العبادات والمعاملات، فى التعبدى والتوصلى[4]. والأحكام الأربعة السابقة يصدق عليها المح والذم فى الأفعال[5]. وهنا يبرز مفهوم أصولى جديد عند الشيعة وهو مفهوم الاحتياط فى العبادات والمعاملات، رجحانه، والعمل به، أصالته وأصله، وأنواعه، الاحتياط العقلى والاحتياط الشرعى[6]. ثم يأتى المفهوم الخامس وهو الإباحة، أصالتها ومقابلتها بالحظر[7]. ومعه يأتى مفهوم البراءة الأصلية كنوع من حسم الاحتياط. إذ تعنى البراءة نفى الحكم أصلا، العالم قبل الأحكام. فالبراءة هى أصالة النفى. وهى براءة أصلية تنفى أى حكم مسبق. وهى تدفع إلى العمل والاشتغال. وتنقسم إلى براءة عقلية وبراءة شرعية مما يدل على اتحاد حكم العقل وحكم الشرع[8]. وتتضح من مقاصد الشارع، وضع الشريعة للامتثال، بتعبير "الموافقات" للشاطبى، إذ يتصرف الشارع فى دائرة الامتثال ومراحله[9].

وفى المصنفات المتأخرة عندما بدأ علم أصول الفقه الشيعى كتابة تاريخه، وتحويل الأصول نفسه إلى مؤرخ وعارض، يعرف الأصول وعلم الأصول، ويكتب تاريخ الأصول وتاريخ علم الأصول، والفرق بين طريقة القدماء والمتأخرين[10]. ويتم التعريف أيضا بالفقه ووجوب التفقه،

---

(١) مقدمة الواجب (١٢٠)، الوجوب، عدم إجزاء النفل عن الفرض، أقسام الواجب، الواجب النفسى والواجب الغيرى (١).

(٢) مقدمة الحرام، العزم على المعصية، حق الطاعة (١).

(٣) المندوب، اتحاد الطلب والإرادة، الطلب والإرادة، الإرادة (١).

(٤) الكراهة فى باب العبادات (١).

(٥) المدح والذم فى الأفعال (١).

(٦) الاحتياط (١٨)، الاحتياط، العمل بالاحتياط، التوصلى والتعبدى، رجحان الاحتياط، أصالة الاحتياط، أصل الاحتياط، الاحتياط العقلى، الاحتياط الشرعى (١).

(٧) أصالة الإباحة، الحظر والإباحة (١).

(٨) البراءة (٦٧)، أصالة البراءة (١٤)، البراءة والاشتغال (٦)، أصل البراءة وأصالة النفى (٢)، أصل البراءة والإباحة، البراءة والاحتياط، البراءة الأصلية، البراءة العقلية، البراءة الشرعية (١).

(٩) تصرف الشارع فى دائرة الامتثال، مراحل الامتثال (١).

(١٠) تاريخ الأصول (٤)، تاريخ علم الأصول، تعريف علم الأصول (٣)، التعريف (٢)، تعريف الأصول، تاريخ=

وشرط الفقيه، ورعاية الأهم فالمهم فيما يعرف باسم فقه الأولويات[1]. ثم يتم تحديد موضوعات العلم وبيان فضيلته ووجوب تعلم أحكامه، وتأصيله فى علم الدراية. كما يتم الحديث عن حياة المصنفين فى السيرة، والسيرة التاريخية، وسيرة المتشرعة، ومشيخة الصدوق، تحولا من الموضوع إلى الشخص، ومن العلم إلى العالم، ومن المرام إلى الأعلام[2]. كما يعبر عن الأشكال الأدبية مثل مسائل متفرقة، والحواشى على الأصول، وحواشى المؤلف، والمباحث الرجالى[3]. كما يحال إلى بعض المصادر التى استقى منها المؤلف مادته، له أو لغيره[4].

ثانيا: البنية الرباعية.

وتغلب على المصنفات الشيعية قبل الثورة الإسلامية البنية الرباعية من البداية إلى النهاية.

١- "اختلاف أصول المذاهب" للقاضى النعمان بن محمد (ت٣٥١هـ)[5]. تتخلق البنية الرباعية وسط أجزاء ثمانية فى إطار جدل أصول الفرق، أصول الشيعة فى جدلها مع أصول السنة. إذ ينقسم الكتاب إلى ثمانية أجزاء. وينقسم كل من الجزأين الأول والثانى فقط إلى ثلاثة أبواب. الجزء الأول بأبوابه الثلاثة عن علة الاختلاف وأقوال المختلفين والرد عليهم، وهو ما يعادل التعارض والتراجيح فى آخر باب الاجتهاد فى بنية الأصول بعد "المستصفى". والجزء الثانى بأبوابه الثلاثة عن مذهب أهل الحق، والرد على أصحاب التقليد، والفرق بين التقليد والرد إلى أولى الأمر. فحل التعارض فى تصويب مذهب، وتخطئة المذاهب الأخرى. والثالث والرابع عن أصحاب الإجماع ووجه الحجة فيه. والخامس حتى الثامن عن القائلين بالنظر والرد عليهم، والرد على أصحاب القياس والقائلين بالاستحسان والاستدلال والاجتهاد والرأى. تتضمن الأجزاء الثمانية إذن موضوعات أربعة الاختلاف بين الفرق، والحق لدى الفرقة الناجية، والإجماع، والقياس. وكأن الاختلاف بين الفرق يعادل القرآن المصدر الأول، والتقليد يعادل المصدر الثانى، السنة. ومن حيث الكم القياس أولها، ثم الإجماع، ثم الحق والتقليد، ثم

=الفقه والأصول، مدخل إلى علم الأصول، بحدث فى علم الأصول، مجارى الأصول، مفردات الأصول (١).

(١) تعريف الفقه (٢)، وجوب التفقه، لزوم التفقه فى الدين، شرط الفقيه، رعاية الأهم فالمهم (١).

(٢) السيرة (٧)، السيرة التاريخية، سيرة المتشرعة: كلام الأعلام لتحقيق المرام، مشيخة الصدوق (١).

(٣) مسائل متفرقة، الحواشى على الأصول، حواشى المؤلف على الجزء الأول، مباحث رجالى، خاتمة المطاف (١).

(٤) مثل: رسالة الشديد، رسالة البينة، رسالة فى الطهارة، مراسلات ابن أبى عمير (١).

(٥) القاضى النعمان بن محمد: اختلاف أصول المذاهب، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣.

الاختلاف[1]. وتغيب مباحث الألفاظ لب طرق الاستثمار نظرا لغياب الرأى والقياس. كما تغيب أحكام التكليف نظرا لأن طاعة الإمام تجب الأوامر والنواهي. فالبنية تدور حول النص في التاريخ من أجل تحريره من استئثار فرقة السلطان به، والعودة بالنص من الخارج إلى الداخل كما هو الحال فى التصوف.

وهو كتاب حجاجى مثل "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى، و"الاحكام فى أصول الأحكام" وملخص "النبذ" و"ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" لابن حزم. يعبر عن موقف ولا يؤصل القواعد، يحمل دعوة ولا يؤسس نظرا. يذكر الخلاف حول الأصول دون تنظير لها، بالرغم من أنه يعلن أنه يريد الجمع بين الفرق كما أراد الشاطبى بعد ذلك فى "الموافقات". يغلب عليه الرفض، رفض الإجماع والقياس وتقليد أهل السنة فى الرواية مما يميز فكر المضطهدين ونبرته العالية. يعتمد على الأدلة النقلية لدرجة غياب الأدلة العقلية. ومعظمها من القرآن على التوالى أكثر من الحديث خشية من رواته الذين ربما كانوا من أصحاب الأهواء. وتدل كثرة الشواهد النقلية على أنه سلفى شيعى كما تفعل المدرسة السلفية منذ أحمد بن حنبل مرورا بابن تيمية وابن القيم حتى محمد بن عبد الوهاب. وهى أدلة انتقائية، كل فرقة تختار ما يناسبها لتدعيم موقفها، وتؤولها وتخرج مناطها لتنطبق عليها.

والعجيب أن أصول الشيعة لا تختلف عن أصول أهل الظاهر فى البنية والاتجاه. فكلاهما يرفض القياس والنظر والتعليل والرأى والاستحسان، الشيعة باسم تقليد الإمام المعصوم، وأهل الظاهر باسم النص، وخوفا من فقهاء السلطان، وإيجاد نظر فى مقابل نظر واجتهاد فى مواجهة اجتهاد، وإجماع خاص على نقيض إجماع عام. فالعقل وسيلة إخراج النقل من سوء تأويله فى التاريخ لدى فرقة السلطان.

٢- "العدة فى أصول الفقه" لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت٤٦٠هـ)[2].

ويعتبر أول متن أصولى عند الشيعة يعادل "الرسالة" للشافعى عند السنة ومتأخر عنه بحوالى قرنين ونصف من الزمان، وإن كان سبقه "التذكره بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، و"الذريعة إلى أصول الشريعة" للشريف المرتضى (٤٣٦ق)[3]. ويتميز النص بالوضوح والترتيب

(١) النظر والقياس والاستحسان والاجتهاد والرأى (٩٢)، الإجماع (٥٦)، الحق والتقليد (٣٤)، الاختلاف بين الفرق (١٤).

(٢) شيخ الطائفة الإمام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠هـ)، تحقيق محمد رضا الأنصارى القمى (جزءان). ستاره، قم ١١١٧هـ ق – ٣٧٦ هـ ش.

(٣) السابق ص٣-٤.

المنطقى والبداية بالتعريفات[1]. والمؤلف على وعى بالترتيب المقصود وإن لم يكن على وعى كامل بالبنية[2]. ويدل على نضج عقلى ووضوح نظرى. وتذكر الأقوال دون نسبتها إلى أصحابها بل بصيغة المبنى للمجهول حتى قل ذكر أسماء الأعلام والفرق. كما يهدف إلى الاقتصار والقول المفيد دون إسهاب أو تطويل.

ويستعمل النص أسلوب القيل والقال، والرد على الاعتراضات مسبقا دون الوقوع فى السجال المذهبى العقائدى أو الفقهى. يكفى الحجاج الداخلى النظرى العام من أجل اتساق المذهب وإحكام البرهان. ولا تصدر أحكام قطعية بالصواب أو الخطأ، تصويب النفس وتخطئة الغير بل تصدر أحكام احتمالية بعد مناقشة كل الآراء واختيار أفضلها ثم يقال "وهذا هو الأقوى"[3]. ويقوم الخطاب على القسمة العقلية وعد الحجج وإحصائها الأدلة. فالأدلة هى وحدات الخطاب الأولى. ويتم الرد على الشبهات وذكر الأجوبة عليها. وكثيرا ما يستعمل برهان الخلف، إثبات خطأ الآخر إيجابا من أجل إثبات رأى النفس سلبا. ونادرا ما تصدر أحكام بالتخطئة. وأقصى ما يقال "وهذا غير صحيح"[4]. وكثيرا ما يترك الموضوع تساؤلا دون إصدار حكم فيه[5].

ومع ذلك يخلو النص من السجال والاستبعاد، وتفنيد المذاهب المخالفة الفقهية أو الأصولية أو الكلامية. وإذا كان أهل السنة يقومون بتفنيد أصول الشيعة الكلامية والفقهية كما يفندون المذاهب السنية مثل الظاهرية والحنفية فإن الشيعة لا يقومون بتفنيد الأصول السنية، والأولى عدم وصول الأمر إلى حد الاستبعاد والإقصاء والتكفير.

ونظرا لارتباط العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه تظهر العقائد الكلامية ضمن التحليلات الأصولية حتى ولو كانت على استحياء وبقدر محسوب ومحصورة فى الإمام المعصوم ودوره فى الرواية حتى تصح، وفى الإجماع حتى يصدق، وفى الاجتهاد حتى يصيب. اختفى الغلاة الذين يجعلون للإمام المعصوم دورا فى تلقى الوحى، وبقى دوره فى الرواية من أجل ضمان صحتها مثل التواتر[6]. ودوره فى الإجماع واضح حتى يصح سواء كان الإجماع العام أو الإجماع

---

(١) تتكرر لازمات "وهذا واضح" كثيرا مثلا، السابق جـ١/٣٨١.

(٢) "وأقدم فى أول الكتاب فصلا يتضمن ماهية أصول الفقه وانقسامها وكيفية ترتيب أبوابها، وتعلق بعضها ببعض حتى أن الناظر إذا نظر فيه وقف على الغرض المقصود بالكتاب، وتبين من أوله إلى آخره"، السابق جـ١/٤.

(٣) السابق جـ١/١٢٦/١٤٢/٣٦٤.

(٤) السابق جـ٢/٦٣١.

(٥) السابق جـ٢/٤٨١.

(٦) السابق جـ١/١٥٠-١٥١.

الخاص لأهل العترة. لذلك تبدأ كل فقرة ببيان الرأى فى الموضوع عند الفقهاء والمتكلمين أى عند الأصوليين، علماء أصول الفقه وعلما أصول الدين. ويعترف المصنف أنه يكتب فى علم الأصول "على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجبه أصولنا"[1]. ويتضح ارتباط العلمين فى تخصيص الفصل الخامس فى المقدمة الأولى "فى ذكر ما يجب معرفته من صفات الله وصفات النبى وصفات الأئمة حتى يصح معرفة مرادهم"[2].

ولا تفترق أصول الفقه السنى عن أصول الفقه الشيعى إلا فى موضوعات صغيرة لا تؤثر فى بنية العلم. فالأصول واحدة وإن تعددت الأولويات. فالأصل عقلى، ولا خلاف بين المذاهب فى العقل خاصة وقد ربط الاعتزال بين المذهبين، السنة والشيعة. وبالرغم من ذكر التقية والغيبة إلا أنهما لا يؤثران كثيرا فى علم الأصول، بالرغم من التعارض الظاهر بين الوظيفة التاريخية والمعرفية للإمام المعصوم وبين تقيته التى قد تصل إلى حد عدم الصدق والتمويه وغيبته التى لا نفع منها إذا ما دعت الحاجة إلى ظهور الإمام.

ويعى المؤلف البنية باعتبارها ترتيبا منطقيا متسقا، يخرج اللاحق من السابق على نحو طبيعى. فالوحى خطاب أى قول لغوى، كلام ذو معنى. وليس كل قول خطابا وإن كان كل خطاب قولا. ويعبر الخطاب عن إرادة المخاطب إذ أن الخطاب اقتضاء أمر. ويتجلى فى الكتاب والسنة. وهو على خمسة أنواع: الأوامر والنواهى، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ مما يدل على أولوية مباحث الألفاظ بالرغم من أن الناسخ والمنسوخ لا يتعلقان بصيغة الخطاب بل بزمن الخطاب. والأخبار طريق الوصول إليها. ولما كان الخطاب اقتضاء فعل جاءت الأفعال. أما الإجماع والقياس والاجتهاد وصفة المفتى والمستفتى والحظر والإباحة فهى خارجة عن بنية العلم عند الإمامية لأن صحة الإجماع تأتى من المعصوم الذى لا يجوز عليه الخطأ ولا يخلو الزمان منه. ومعرفته بالعقل وليس بالسمع. والقياس والاجتهاد ليسا بدليلين بل يحظر استعمالهما. الأدلة إذن اثنان، الكتاب والسنة وليس الإجماع والقياس. أما الحظر والإباحة وهما القطبان السالب والموجب فى أحكام التكليف ويعرفان بالفعل. وتقدم الأخبار على الخطاب حتى تثبت صحة الخطاب تاريخيا أولا وكأن الوعى التاريخى سابق على الوعى التأملى. أما المقدمة فهى تمهيد لمعرفة معنى العلم والنظر، واليقين والظن. فنظرية العلم تسبق تأسيس العلم. وتدخل الحقيقة والمجاز فى المقدمة وليس فى مباحث الألفاظ، ثم يدخل أصول الفقه الشيعى المخاطب أى نظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال وهى ما يعتبره أصول

---

(١) السابق جـ١/٣.

(٢) السابق جـ١/٤٢-٤٧.

الفقه عند السنة أدخل فى علم أصول الدين منه إلى علم أصول الفقه للتمايز بين العلمين، أصول النظر وأصول العمل[1].

ولا ينقسم النص إلى أبواب أو مقاصد أو مطالب أو مباحث كلية بل إلى إحدى عشر كلاما بالإضافة إلى المقدمة. وهى: الأخبار، والأوامر، والنهى، والعموم والخصوص، والبيان والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والأفعال، والإجماع، والقياس، والاجتهاد، والخطر والإباحة. أكبرها العموم والخصوص، وأصغرها الاجتهاد[2]. وبإعادة تركيب هذا "الكلام" يمكن اكتشاف تعديل البنية بحيث تتقدم مباحث الألفاظ على كل من الأدلة الشرعية الأربعة بدءا من السنة ثم القياس ثم الكتاب (الناسخ والمنسوخ) ثم الإجماع. وتأتى أحكام التكليف (الحظر والإباحة) فى آخر المطاف[3]. وتغيب أحكام الوضع تماما. ويدل ذلك على أولية العقل على النقل من أجل تحرير النقل من تأويل السلطان ويظل ذلك على حساب الفعل فى العالم والتحقق فى الواقع.

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، كما تكثر الأدلة العقلية، الشبهات والأجوبة عليها[4]. ومن أسماء الأعلام، يتقدم الرسول بطبيعة الحال. يتلوه أبو هاشم الجبائى مما يدل على اعتماد أصول الفقه الإمامى على الاعتزال، ثم أبو على، وأبو عبد الله البصرى، وعبد الجبار. ويتلو أبو هاشم الشافعى والكرخى مما يدل على الاحترام الكامل للفقه السنى. يتلوه أبو حنيفة ومالك دون ذكر ابن حنبل. ومن الصحابة يأتى على فى المقدمة. يتلوه عمر، ثم عبد الله بن عباس، ثم أبو بكر وعبد الله بن مسعود، ثم معاذ، ثم أبو هريرة. وفى مقدمة فقهاء الشيعة يأتى المرتضى، ثم الشيخ المفيد، ثم الإمام الصادق، أقلية شيعية وسط أغلبية سنية. ثم يتداخل الفقهاء والأصوليين والصحابة بلا تمييز بين المذاهب والفرق مثل داود الظاهرى وعيسى بن أبان وأبو القاسم البلخى وأبو موسى الأشعرى. ثم يذكر عشرات منهم مما يدل على وحدة المادة الأصولية عند المذهبين[5].

---

(١) السابق جـ١/٧-١١.

(٢) الترتيب الكمى على النحو الآتى: العموم والخصوص (١٣٠)، الأوامر (٩٦)، الأخبار (٩٦)، البيان والمجمل (٨٢)، القياس (٧٦)، الناسخ والمنسوخ (٦٨)، المقدمة (٥٦)، الإجماع (٤٦)، الأفعال (٣٨)، الحظر والإباحة (٢٥)، النهى (١٨)، الاجتهاد (١٦).

(٣) مباحث الألفاظ (٣٢٦)، السنة (١٣٤)، القياس (٩٢)، الناسخ والمنسوخ (٦٨)، الإجماع (٤٦)، الحظر والإباحة (٢٥).

(٤) الآيات (دون التكرار) (٢٢١)، الأحاديث (٩٦)، الآثار وأقوال الصحابة (٥١)، الأشعار (٣).

(٥) الرسول (١٣٦)، أبو هاشم الجبائى (٢٧)، الشافعى (٢٥)، على، المرتضى (٢٤)، الكرخى (٢٣)، الجبائى، أبو عبد الله البصرى (٢٢)، عمر (٢١)، عبد الله بن عباس (١٦)، الشيخ المفيد (١٤)، أبو بكر، عبد الله=

ومن الفرق يتقدم الفقهاء والمتكلمون أى الأصوليون وأهل الكلام نظرا لارتباط العلمين. ثم يأتى الصحابة باحترام كامل دون ما يشاع بالطعن عليهم، ثم أصحاب الشافعى بعد أن استقرت الشافعية كمذهب رسمى عند أهل السنة، ثم أهل اللغة والأئمة والعلماء قبل "أصحابنا" مما يدل على اتجاه لامذهبى وموقف لاطائفى فى علم الأصول الشيعى. ثم يأتى المعتزلة الذين يمدون أصول الفقه الشيعى بأساسها النظرى، فكلاهما مع الخوارج من المعارضة على تنوع أشكالها وطرقها. ثم تظهر الطائفة الحقة دون تعيين لها. ثم يظهر أهل العلم والعقلاء قبل الإمامية مع أهل الظاهر والواقفة والمجبرة. ويأتى أصحاب الحديث مع النصارى، والبصريون مع اليهود مما يدل على انفتاح على الفرق غير الإسلامية. ثم يأتى الشيعة مع أصحاب الأشعرى وأصحاب الظاهر وأصحاب مالك ومجموع الأصوليين والبغداديين والتابعين والمفسرين والنحويين ...الخ. ويظهر آل البيت مع أصحاب الجمل والأعجمية والأنصار وأهل الرأى وأهل العراق وأهل القبلة وأهل القدر والتناسخية والجهمية والروم والزنادقة والملحدة والقرامطة والمجوس والعجم والعرب دون تفضيل لأحدهم فى الأولوية على الآخر مما يعطى صورة لأصول الفقه الشيعى واعتداله مخالفة لصورة أصول الدين[1].

ويحيل الطوسى إلى الكتب المقدسة وعديد من المتون الأصولية. وبطبيعة الحال يأتى القرآن فى المقدمة، ثم "العمد" لأصول الفقه للقاضى عبد الجبار مما يدل على اعتماد أصول الفقه الشيعى على أصول الفقه الاعتزالى قبل الثورة، والكتاب "الرسالة" للشافعى. ولا تذكر مصنفات

=بن مسعود، موسى (النبى) (٩)، أبو حنيفة (٨)، معاذ (٧)، شريح، عبد الجبار، إبراهيم (النبى)، عائشة، عبد الله بن عمر (٥)، مالك، أبو هريرة، الإمام الصادق (٤)، زيد بن حارثة، ابن سريج، مسروق بن الأجدع (٣)، داود الظاهرى، زيد، عثمان بن عفان، عيسى بن أبان، أبو القاسم البلخى، أبو موسى الأشعرى (٢)، الأشعرى، الأصم، بشر المريسى، ابن سيرين، الفراء، أبو يوسف القاضى ...الخ (١).

(١) الفقهاء (٧٣)، المتكلمون (٤٧)، الصحابة (٣٣)، أصحاب الشافعى (٢٨)، أهل اللغة (٢٥)، الأئمة (٢٠)، العلماء (١٩)، الطائفة (١٥)، أصحابنا (١٢)، المعتزلة (٩)، الطائفة المحقة، الفرقة المحقة، المسلمون (٨)، أهل العلم، العقلاء (٧)، الإمامية، أهل الظاهر، الواقفة، المجبرة (٦)، الكفار (٥)، أصحاب الحديث، الفطحية، النصارى (٤)، البصريون، اليهود (٣)، أصحاب الأشعرى، أصحاب الظاهر، أصحاب مالك، الأصوليون، الأمة، البغداديون، بنو سماعة، بنو فضال، التابعون، الشيعة، المفسرون، المقلدة، المكلفون، الملائكة، الناووسية، النحويون (٢)، أصحاب الإباحة، أصحاب الجمل، أصحاب العنود، الأعجمية، الأنصار، أهل البيت، أهل الرأى، أهل العراق، أهل القبلة، أهل القدر، التناسخية، الجهمية، الخلفاء، الخوارج، الروم، الزنادقة، الزيدية، السمنية، السوفسطائية، الشعراء، العجم، العرب، القرامطة، قريش، المتفقهة، المجوس، المرجئة، المشبهة، المشركون، الملحدة، الملحدون، النبطية، النجارية ...الخ. (١)

أصول الفقه الشيعى إلا بعد ذلك، مثل أمالى المرتضى والتذكرة للمفيد وغيرها ومع الإنجيل[1]. ويدل ذلك على وحدة العمل الفكرى للمؤلف أو وحدة المشروع الحضارى كله. ومن الأماكن والبقاع، يأتى بيت المقدس فى المقدمة وليس غدير قم، ثم قباء والكعبة، ثم القبلة وبغداد واليمن، ثم بدر والبصر والسقيفة وعرفات والشام والصين والهند ومكة مع خراسان[2].

٣- "تهذيب الوصول إلى علم الأصول" للعلامة الحلى (ت٧٢٦هـ)[3]. وهو مثل "العدة" للطوسى، أقرب إلى التعريفات المنطقية الواضحة وتأصيل الأصول. ويتم الرد على الحجج بعد إحصائها وعدها دون سجال أو استبعاد بل مع احترام كامل للآراء المخالفة للمذهب الإمامى الذى لا يظهر إلا فى الإمام المعصوم وإجماع أهل العترة[4].

وينقسم إلى اثنى عشر مقصدا، وهو تعبير الأيجى فى "المواقف"[5]. وينقسم كل مقصد إلى فصول متفاوتة. أكبرها الأمر والنهى وأصغرها التعادل والتراجيح[6]. وبتجميع بعض الأبواب فى أصول عامة تصبح الأولوية لمباحث الألفاظ ثم للدليل الرابع وملحقاته القياس والتعادل والتراجيح والاجتهاد دون ذكر للاستصحاب إلا فى بحث من فصل من المقصد الثانى عشر عن الاجتهاد بعنوان "فى حجية استصحاب الحال"[7]. ثم ما يعادل الدليل الثانى الأخبار والأفعال، ثم ما يعادل الدليل الأول وهو النسخ وأخيرا الإجماع مع المقدمة[8]. وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع على حد سواء. ويدل ذلك أيضا على أولوية العقل أى التأويل على النقل من أجل تحرير

---

(١) القرآن (٥٣)، العمد (٥)، التوراة، الرسالة، الكتاب (٣)، تلخيص الشافى (٢)، الاستبصار، أمالى المرتضى، المفصح فى الإمامة، الإنجيل، التذكرة بأصول الفقه، تهذيب الأحكام، الذخيرة، كتب السيد المرتضى، كتاب عمرو بن حزم (١).

(٢) بيت المقدس (٥)، قباء، الكعبة (٣)، القبلة، بغداد، اليمن (٢)، بدر، البصرة، خراسان، السقيفة، الشام، الصين، عرفات، المدينة، مكة، الميقات، الهند (١).

(٣) العلامة الحلى (جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر): تهذيب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق السيد محمد حسين الرضوى الكشميرى، مؤسسة آل البيت، قم، (د.ت).

(٤) السابق ص٢٠٥/٢٠٩-٢١١.

(٥) وهى: ١- المقدمات، ٢- اللغات، ٣- الأمر والنهى، ٤- العام والخاص، ٥- المجمل والمبين، ٦- الأفعال، ٧- النسخ، ٨- الإجماع، ٩- الأخبار، ١٠- القياس، ١١- التعادل والتراجيح، ١٢- الاجتهاد.

(٦) وطبقا للترتيب الكمى: الأمر والنهى (٣٤)، اللغات، العام والخاص، القياس (٣٢)، الأخبار (٢٦)، النسخ (٢٠)، الاجتهاد (١٩)، الإجماع (١٦)، المقدمات، المجمل والمبين (١٤)، الأفعال (١٠)، التعادل والتراجيح (٦).

(٧) تهذيب الوصول ص٢٩٣-٢٩٤.

(٨) الآيات (١٣٣)، الأحاديث (الأقوال والأفعال والإقرارات) (٨٠)، الشعر (١).

النقل من تأويل السلطان. ويظل الفعل محاصرا بين العالم الخارجى والعالم الداخلى.

ويعتمد النص على عديد من الحجج النقلية، القرآن والحديث ويندر الشعر العربى. ومن الأعلام يتقدم الشريف المرتضى بطبيعة الحال عالم الشيعة المرموق ثم أبو الحسن البصرى المعتزلى مما يدل على ارتباط التشيع بالاعتزال، وكلاهما حركتا معارضة. ثم يظهر أبو حنيفة باعتباره المذهب السنى العقلى ثم الشافعى المذهب السنى الرسمى ثم الأشعرى الذى أعطى الأساس العقائدى للشافعية فيما بعد، ثم أبو علـى الفارسى. ثم يتوالى المعتزلة والأشاعرة، والأحناف والشافعية على التبادل. فمن الأصوليين الأحناف يتصدر الجصاص ثم الكرخى ثم ابن أبان وابن شريح. ومن المعتزلة يتصدر أبو عبد الله البصرى وأبو الهذيل وعبد الجبار ثم أبو على وأبو هاشم الجبائى والجاحظ وأبو الحسن البصرى والخياط وعباد بن سليمان وعمرو بن عبيد. ومن الأصوليين الأشاعرة والشافعيين يتصدر الباقلانى ثم الإسفرائينى والغزالى وابن فورك. ومن النحويين يأتى ابن جنى والفراء. ومن الشيعة لا يظهر إلا الطوسى مع باقى فقهاء أهل السنة مثل مالك وأحمد[1].

ومن الفرق والطوائف يتقدم الحنفية ثم الأشاعرة وليس الشيعة أو الإمامية. كما يتقدم الفقهاء والجبائيان وليس أئمة الشيعة وعلماؤهم. ثم تأتى الإمامية فى المرتبة الثانية مع المعتزلة، فى البصرة وبغداد. وأخيرا يأتى الحنابلة والظاهرية أو الظاهريون والحشوية والسمنية وأهل اللغة والنحويون والبصريون والشيعة[2].

٤- "معالم الأصول (معالم الدين وملاذ المجتهدين)" للشيخ حسن بن زين الدين شهيدتانى (ت١٠١١هـ)[3]. وهو متن يجمع بين الأسلوب الفلسفى المجرد والأسلوب الصوفى المعروف فى الفلسفة الإلهية. يعدد الحجج والأدلة والردود والأجوبة عليها. وفى نفس الوقت

---

(١) المرتضى (١٥)، أبو الحسين البصرى (١١)، أبو حنيفة (١٠)، الشافعى (٦)، الأشعرى (٥)، أبو على (الفارسى) (٤)، أبو بكر الرازى (الجصاص)، أبو عبد الله البصرى، الباقلانى، الكرخى (٣)، ابن أبان، ابن شريج، الأسفرائينى، أبو الهذيل، عبد الجبار، الغزالى (٢)، ابن جنى، ابن الراوندى، ابن سيرين، ابن فورك، أبو ثور، أبو جعفر الطوسى، أبو على الجبائى، أبو مسلم الأصفهانى، أبو هاشم الجبائى، احمد بن حنبل، بشر المريسى، الجاحظ، الجوينى، الحسن البصرى، الخياط، الطبرى، عباد بن سليمان، عمرو بن عبيد، العنبرى، الفراء، قتادة، الكعبى، المازنى، مالك بن أنس (١).

(٢) الحنفية (٨)، الأشاعرة (٦)، الفقهاء، الجبائيان (٣)، الإمامية، المعتزلة (٢)، الحنابلة، الشيعة، الظاهرية، الظاهريون، الحشوية، السمنية، أهل اللغة، النحويون، البصريون (١).

(٣) الشيخ حسن بن زين الدين شهيدتانى: معالم الدين وملاذ المجتهدين (معالم الأصول) (د.ت).

يعتمد على كثير من الروايات والعنعنات عن الأئمة الأعلام، جمعا بين العقل والذوق والنقل. وقد بدأت ألقاب التعظيم للمؤلفين عند الشيعة كما عند السنة وتزايدت عبر العصور. وتظهر عقيدة المعصوم كالعادة فى الإجماع مما يجعل الإجماع زائدا عن الحاجة لأن صحته فى وجود المعصوم وهو يستغنى عن الإجماع[1]. وهو كل شئ، راو ومجمع ومجتهد وعند بعض الغلاة ينزل عليه الوحى. وهو رد فعل على الإمام الظالم المدلس فى الرواية، المزور للإجماع، الناكر للوحى. ولدى المؤلف إحساس قوى بالانتماء إلى المذهب. ومع ذلك لا يصدر أحكاما قاطعة بالصواب أو بالخطأ. ولا يستبعد أو يقصى أو يكفر أحدا كما يفعل أهل السنة مع بعضهم البعض ومع غيرهم. فالتكفير سلاح السلطة وليس المعارضة. بل يقال "وهذا الكلام جيد"، "والتحقيق عندى"، "وكلام المحقق هو الأقوى، ووجه واضح، ولا يحتاج إلى البيان"[2]. ويتم الربط بين المقاصد والمطالب بلازمات الإيمان مثل "الله أعلم" و"إن شاء الله"[3]. ويتضح فى الفقرة الأخيرة هذا الانتماء المذهبى إشارة إلى التقية من أحوال الأئمة، والدعوة إلى النبى وآله الطيبين المعصومين المطهرين المكرمين[4].

وتميل البنية كالعادة فى أصول الفقه الشيعى نحو مباحث الألفاظ والتى لها الأولوية على الأخبار (السنة) والاستصحاب (القياس) والإجماع والنسخ (الكتاب)[5]. إذ ينقسم الكتاب إلى مقصدين غير متساويين، الأول "فى بيان فضيلة العلم" والثانى "فى تحقيق مهمات المباحث الأصولية" لصالح الثانى[6]. فالقسمة ثنائية على ما تبدو، نظرية العلم وموضوع العلم. الأولى كيف أعلم؟ والثانى ماذا أعلم؟ ثم ينقسم المطلب الثانى إلى تسعة مطالب[7]. أكبرها الأوامر والنواهى ثم العموم والخصوص ثم المطلق والمقيد والمجمل والمبين[8]. وهذا يبين أولوية التأويل على النص حتى ولو كان على حساب الفعل فى العالم والتحقق فى الواقع.

---

(١) السابق ص٢٠٠-٢٠١/٢٤٨/٢٨٧.

(٢) السابق ص٢٦٧/٢٦٩/٢٧٧.

(٣) السابق ص١٦٦/٢٠٢/٢٢٨.

(٤) السابق ص٢٨٧.

(٥) مباحث الألفاظ (١٦٦)، الاستصحاب وملحقاته (٣٤)، الإجماع (١١)، النسخ (٧).

(٦) المقصد الثانى (٢٥٨)، المقصد الأول (٢٧).

(٧) هذه المطالب التسعة هى: ١- مباحث الألفاظ، ٢- الأوامر والنواهى، ٣- العموم والخصوص، ٤- المطلق والمقيد والمجمل والمبين، ٥- الإجماع، ٦- الأخبار، ٧- النسخ، ٨- القياس والاستصحاب ٩- الاجتهاد والتقليد، خاتمة فى التعادل والتراجيح.

(٨) الترتيب الكمى كالآتى: الأوامر والنواهى (٦٨)، العموم والخصوص (٥٧)، الأخبار (٤٠)، المطلق والمقيد والمجمل والمبين (٢٦)، الاجتهاد والتقليد (١٢)، الإجماع، القياس، الاستصحاب، التعادل والتراجيح (١١)، النسخ (٧).

ويعتمد النص على عديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث[1]. ويضم إليها أقوال الأئمة. وأكثرهم اقتباسا أبو عبد الله ثم على ثم الرسول ثم على بن الحسين ثم أبو جعفر ثم أبو الحسن موسى[2]. ومن الأعلام يذكر أولا الشريف المرتضى ثم ابن سعيد ثم العلامة الحلى ثم الطوسى ثم الشيخ المفيد، ثم سيبويه من النحاة. وأخيرا يذكر أبو حنيفة والشافعى وآخرون من الصحابة والتابعين[3]. ومن الفرق والطوائف يأتى بطبيعة الحال أولا "الأصحاب"، "أصحابنا"، "أصحابنا الكلامية"، "جمع من الأصحاب"، "أصحابنا معاشر الإمامية"، "قديم الأصحاب وحديثهم"، "قدماء الأصحاب" لبيان الانتماء المذهبى علما بأن المذهب قد تطور من القدماء إلى المحدثين. ثم تأتى العامة، جميعها أو بعضها، قوم أو شرذمة، ثم أهل الخلاف والأئمة والأئمة المعصومون، ثم الإمامية وقدماؤها، والمحققون أكثرهم وجمعهم وجمهورهم وبعضهم، ثم الفقهاء أكثرهم وفقهاء الأمصار و"فقهائنا" انتماء إلى المذهب، ثم المتأخرون جمهورهم بعضهم وجماعة منهم ومحققوهم، ثم الأصوليون أو بعضهم، ثم جمهور وعلماء الإسلام أو العلماء أو علماء الشيعة الإمامية أو المتقدمين مما يدل على تطور المذهب، ثم الطائفة أو الطائفة المحقة انتسابا إلى الحق واختيارا للفرقة الناجية، ثم الأمة والتابعون والمتقدمون أكثرهم أو بعضهم، ثم أهل البيت وأهل العصر وأهل اللغة والصحابة والمتكلمون وأوائلهم ومحققوا المتأخرين والنصارى واليهود من الفرق غير الإسلامية. وأخيرا يأتى أصحاب الحديث والسلف والأنبياء والصحابة والتابعون والرواة أو بعض الفرق مثل الشيعة والناووسية أو النحاة أو إصدار الأحكام على فاسدى المذاهب والمعصومين[4].

---

(١) الآيات (٥٤)، الأحاديث (١٢).

(٢) أبو عبد الله (٢١)، على (٧)، الرسول (٤)، على بن الحسين، أبو جعفر (٣)، أبو الحسن موسى (٢).

(٣) المرتضى (٥٦)، المحقق (أبو القاسم بن سعيد) (٤٩)، العلامة (الحلى) (٤٧)، الطوسى (٣٦)، الرسول، النبى (نبينا) (١١)، الإمام المعصوم (٧)، الوالد (والدى) (٦)، ابن زهرة، المعصوم (٥)، المفيد (٤)، إبراهيم (النبى)، سيبويه، الشهيد (٣)، آدم (النبى)، إبليس، ابن البراج، ابن قبة، الأعرابى، نجم الأئمة، محمد بن حليم، موسى (٢)، ابان بن عثمان، ابن أبى عمير، ابن ادريس، ابن سيرين، أبو حنيفة، أبو عبد الله أمير المؤمنين (على)، جمال الدين بن طاوس، الجواهرى، الخليل، ابن طاوس، الحمصى، الشافعى، الصادق، عبد الله بن بكير، ابن عيسى، على بن أبى حمزة، عيسى، الفاضلان، فخر المحققين، فضيل بن يسار، الفراء، الكسائى، الكشتى، الكعبى، ابن عمير، ابن خالد، نعيم بن مسعود، ابن أبى فراس، هارون، يزيد بن معاوية (١).

(٤) الأصحاب والمشتقات (٢٨)، العامة والمشتقات (٢٢)، أهل الخلاف، الأئمة المعصومون (١٣)، الإمامية وقدماؤها، المحققون الأكثر والبعض والجمهور (١١)، الفقهاء والمشتقات، المتأخرون والمشتقات (٧)، الأصوليون أو بعضهم (٦)، العلماء أو المتقدمون منهم وعلماء الشيعة الإمامية وجمهور علماء الإسلام (٥)، الطائفة أو الطائفة المحقة (٤)، الأمة، التابعون، المتقدمون أكثرهم أو بعضهم (٣)، أهل البيت، أهل العصر، أهل اللغة، الصحابة،=

ونظرا لأهمية الرواة فإن لكل فرقة رواتهم الثقاة خاصة فيما يتعلق بخبر الواحد الذى يؤيد عقائد كل فرقة. لذلك أفرد بعض محققو متون الشيعة فهرسا لرواتهم[1]. وكل فرقة تدعى انها تطبق الجرح والتعديل وعلم ميزان الرجال. والرسول ضمن الرواة راويا. وهم معصومون. لذلك تصح روايتهم.

ويحيل النص إلى عدد من المتون الأصولية السابقة مثل "النهاية" و"التهذيب" و"الذكرى" و"جواب المسائل التبانيات" والقرآن (الكتاب) والشافى وغيرها من المتون الأصولية الشيعية[2].

٥- "كفاية الأصول" لمحمد كاظم الخراسانى (ت١٣٢٩هـ)[3]. هو متن أقرب إلى المتون الأولى لأهل السنة والشيعة. يمتاز بالتركيز والاقتصار، والوضوح والترتيب. كما يستعمل أسلوب القيل والقال والرد على الاعتراضات مسبقا من أجل الاتساق العقلى والبرهان المنطقى مع حصر الأدلة والحجج. لذلك تكثر ألفاظ الوضوح والتجلى والتأمل والتدبر والتعرف والتفطن والنظر والمراجعة والتنبيه وعدم الغفلة والتذكر ...الخ[4]. ويكون ذلك عادة فى نهاية الفقرة، وأحيانا فى

=المتكلمون أو أوائلهم، محققوا المتأخرين، النصارى، اليهود (٢)، أصحاب الحديث، الأشاعرة، الأنبياء، البلغاء، بنو فضال، تابعو التابعين، الخاصة، الرواة، رواة الأخبار، السوفسطائية، السلف، الشيعة، الطاطريون، فاسدوا المذاهب، فقهاء حلب، الفطحية، القدماء، القوم، المسلمون أو جمهورهم، مصنفوا الأصول، المصوبة، المعصومون، الناووسية، النحاة (١).

(١) أبو عبد الله (عليه السلام) (١٦)، محمد بن يعقوب (١١)، على بن إبراهيم (١٠)، على بن أبى طالب (أمير المؤمنين عليه السلام) (٨)، محمد بن يحيى (٧)، أحمد بن محمد، محمد بن محمد بن النعمان (٦)، أحمد بن محمد بن الخالد البرقى، الرسول (٥)، أبو جعفر (عليه السلام)، أحمد بن محمد بن عيسى (٤)، ابن أبى عمير، أحمد بن محمد بن سليمان الرازى، سهيل بن زياد، على بن الحسين (عليهما السلام)، على بن محمد، عدة من أصحابنا، فضل بن شاذان، محمد بن إسماعيل (٣)، أبان بن أبى عياش، ابن محجوب، جعفر بن محمد الأشعرى ، حسن بن على الوشاء، حسين بن محمد، حفص بن غياث، حماد بن عثمان، ربعى بن عبد الله، سليم بن قيس، عبيد الله بن عبد الله الدهقان، على بن أبى حمزة، على بن الحسين السعدأبادى، عمرو بن أذينة، قاسم بن محمد، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (الشيخ الصدوق)، محمد بن عيسى، معاوية بن وهب، معلى بن محمد، المنقرى (٢)، وما يزيد على المائة من رواة يذكر كل منهم مرة واحدة.

(٢) النهاية (١٩)، التهذيب (١٤)، القرآن (الكتاب) (٤)، الذكرى، جواب المسائل التبانيات (٣)، الشافى (٢)، البهجة لثمرة المهجة، المجهرة، الخلاصة، الدروس، الرعاية، فوائد على الخلاصة، القاموس، كتب الاستدلال، كتب أصحابنا الكلامية، كتب الفن، المعتبر (١).

(٣) الأستاذ الأعظم المحقق الكبير الأخوند الشيخ محمد كاظم الخراسانى (قدس الله سره): كفاية الأصول. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤١٧ق هـ.

(٤) كما لا يخفى (١٣٥)، فافهم (١٠١)، فتأمل جيدا (٣٧)، فتدبر جيدا (٢٣)، فتأمل، فلا تغفل (١٤)، فتدبر (٩)، فافهم وتأمل جيدا، فتفطن (٦)، فافهم وتأمل، تأمل تعرف، فافهم واغتنم (٣)، فتذكر، فراجع،=

أولها[1]. فكل مراجعة لدليل الهدف منها التوضيح وبيان الأشكال ثم حله[2]. وكما يكـون الحكـم بالوضوح يكون الحكم أيضـا بالفسـاد والقبح والمعارضـة للعقـل والنقـل[3]. ومسـار الفكـر منطقـى استدلالى طبيعى[4]. ويطالب المؤلف بمشاركة القارئ فى التأمل والتدبر، فالفكر تجربة مشتركة[5].

وفى نفس الوقت يقوم النص على التجميع والاقتباس، وذكر لفظ "انتهى" أو عبارة "انتهى موضع الحاجة من كلامه"، "انتهى كلامه رفع مقامه" للدلالـة علـى نهايـة الاقتبـاس. لذلـك لا يستبعد أحدا، ولا يصدر أحكاما بالإدانة أو التخطئة أو الكفر الصراح على عادة أهل السـنة فـى استعمال سلاح التكفير. ويحمل عددا من ألقاب التعظيم والتفخيم مثل الأسـتاذ الأعظـم والمحقـق الكبير. الأخوند الشيخ، قدس سره. وهو مثل كل عالم آخـر فريـد عصـره وأوحـد زمانـه. ونظـرا لتلخيصه الشديد فإنه كان موضع عديد من الشروح والحواشى والترجمات والتعليقات[6].

ويقوم الوعى علـى بنيـة ثلاثيـة محكمـة، المقدمـة والمقـاصد والخاتمـة. فقـد أدخلـت كـل موضوعات علم الأصول فى المقاصد. وهى ثمانية: الأوامر، النواهـى، المفـاهيم، العـام والخـاص، المطلق والمقيد، الامارات، الأصول العملية، تعـارض الأدلـة والامـارات. أكبرهـا الأصـول العمليـة

=فراجع وتأمل، فافهم وتدبر جيدا، فلاحظ وتدبر، فانتظر، تحقـق ولا تغفـل، فـلا تغفـل وتـأمل (٢)، وهنـاك عبارات أخرى مثل: كما هو أوضح من أن يخفى، كما هـو واضـح (٥)، علـى مـا عرفـت (٤)، فقـد اتضـح مما حققناه، فتلخص مما حققناه، ولا يخفى ما فيه، حسبما حققناه، كمـا يظـهر وجهـه بالتـأمل، وهـذا واضـح لا يحتاج إلى مزيد بيان أو إقامة برهان، فافهم فإنه دقيق، وعليك بالتأمل التام، فافهم فإنه لا يخلو من دقة، كمـا لا يخفى فافهم، كما لا يخفى فتدبر جيدا ...(١). فلا يخفى على المتأمل، لا يخلو من دقة.

(١) ويكون ذلك بألفاظ: كما ترى، تنبيه، فانقدح بذلك، تبصرة لا تخلو من تذكرة، فاعلم، لا يخفى، فافـهم وتـأمل فإنه دقيق جدا، وانظر لذلك تتمة توضيح. .

(٢) مثل: إن محل الإشكال والتأمل، ويأتى تحقيق الكلام فيه فى غير المقام، كما يظـهر بعـد النظـر والتـأمل، فإنـه دقيق وبالتأمل ضيق، ولا مانع منه عقلا ولا نقلا، وليس بمتشابه ولا مجمل.

(٣) قد عرفت أنه بمكان من الفساد، وهو فاسد، لا يخلو من تكلف بل تعسف، فإنه بعيد جـدا، وتـأمل فـى نقضـه وإبرامه، فليس مما ذكر إلا شبهة فى مقابل البديهة، لا يخلو من قصور، فهو المرجع فيه بلا بينـة ولا برهـان، وهما قبيحان بشهادة الوجدان، وهم وإزاحة، كما توهم (١).

(٤) كما أفاده، كما تقدم، كما أشرنا، كما مر، كما مر تحقيقه، كما مر آنفا، كما أشرنا إليه آنفـا، كمـا هـو معلـوم، كما سيظهر، كما هو الظاهر.

(٥) وهو كما ترى.

(٦) مثل: الهداية فى شرح الكفاية عبد الحسين بن أسـد الله، الوجـيزة للسـيد محمـد الموسـوى الكـازرونى، نهايـة النهاية فى شرح الكفاية لميرزا على ايروانى نجفى، حاشية الكفاية لميرزا أبى الحسن مشكينى أردبيلى، حاشية الكفاية لسيد محمد نجف أبادى أصفهانى، الحاشية على الكفاية لمحمد على على قمـى، تعليقـة وجـيزة علـى الكفاية لسيد حسن يزدى اشكندرى. مهدى مهريزى: أصول فقه شيعة ص١١٣.

وأصغرها المطلق والمقيد[1]. وكل مقصد به فصول. ويمكن ضم هذه المقاصد الثلاثة فى ثلاثة: مباحث الألفاظ التى تضم الأوامر والنواهى والمفاهيم والعام والخاص والمطلق والمقيد، والأدلة التى تضم الامارات وتعارض الأدلة والامارات، والتكليف أى الأصول العملية. وكالعادة فى أصول الفقه الشيعى تتقدم مباحث الألفاظ على الأدلة، والأدلة على أحكام التكليف[2]. وذلك يعنى أولوية التأويل على النص وأولوية النص على الواقع سواء فى أصول الفقه السنى أو الشيعى.

ويستعمل المتن عددا قليلا من الشواهد النقلية، الآيات، والأحاديث والأشعار لطغيان التأمل العقلى والرغبة فى الإيضاح الفكرى. والأحاديث أى الروايات أكثر من الآيات[3]. ومن أسماء الأعلام يتقدم المرتضى على الرسول، وعشرات آخرين من أئمة الشيعة باستثناء بعض السنة[4]. ويحال إلى عديد من المتون الأصولية، فى مقدمتها الأصول. ويندر أن يكون من بينها متن أصولى سنى مثل "الفصول" و"فواتح الرحموت" و"المستصفى"[5].

---

(١) الأصول العملية (١٠٠)، الأوامر (٨٨)، الامارات (٨٠)، تعارض الأدلة (٤٦)، النواهى (٤٤)، العام والخاص (٢٦)، المفاهيم (٢٢)، المطلق والمقيد (١٤)، المقدمة (٥٤).

(٢) مباحث الألفاظ (١٩٦)، الأدلة (١٢٦)، التكليف (٨٠).

(٣) الروايات (٦٦)، الآيات (٣٦)، الأشعار (٣).

(٤) مرتضى (٨٥)، محمد حسين بن محمد رحيم الطهرانى الحائرى (٢٤)، محمد (الرسول) (١٥)، أبو القاسم الجيلانى القمى (١٤)، حسن بن زين العابدين العاملى الجبعى (٩)، على بن الحسين الموسوى (٨)، الأئمة الأطهار، النعمان بن ثابت الكوفى (٦)، حبيب الله الرشتى، الحسن بن يوسف الحلى، زرارة، عبد الرحمن العضدى، عثمان بن عمرو المالكى الحاجى، القائم بحمل الله فرجه، محمد بن الحسين الجبعى العاملى، محمد تقى الأصفهانى (٥)، أبو القاسم الكلانترى، أحمد بن محمد الكاشانى النراقى، محمد بن أحمد الحلى، محمد بن الحسن الطوسى، محمد شريف المازندرانى الحائرى، يوسف بن أبى بكر الخوارزمى السكاكى (٤)، أحمد بن محمد الأردبيلى النجفى، الحسين بن عبد الله بن سينا البخارى، حسين بن محمد الخوانسارى، زين الدين (شهيدتانى)، السيد الصدر (صدر الدين)، عبد الله محمد التونى، المحقق البهبهانى، محمد بن محمد الطوسى (٣)، وما يزيد على مائة أخرى من الأعلام معظمهم من الشيعة باستثناء أقلية من السنة مثل عيسى بن أبان والغزالى والفارابى وعمر بن أبى بكر المالكى وعبد الجبار والسكاكى والسبكى، ومن الصحابة عثمان، ومن الأصوليين والفقهاء البيضاوى والبصيرى والباقلانى والأشعرى وأحمد بن حنبل وأبو هاشم وأبو موسى الأشعرى وأبو حنيفة وابن الحاجب والنخعى والآمدى.

(٥) حوالى ١٦٠ متنا أهمها: فرائد الأصول (٧٤)، الفصول (٧٠)، مطارح الأنظار (٥١)، الكافى (٣٠)، التهذيب (٢٩)، قوانين الأصول (٢١)، وسائل الشيعة (٢٥)، بدائع الأفكار، من لا يحضره الفقيه (١٤)، معالم الدين فى الأصول، شرح العضدى على مختصر الأصول (١٣)، عوالى اللآلى، حاشية المصنف على فرائد الأصول، الكنى والألقاب (٩)، هداية المسترشدين (٨)، الخصال، زبدة الأصول (٥)، عدة الأصول (٤)، الاستبصار، الإيضاح، حقائق الأصول، دعائم الإسلام، الذريعة إلى أصول الشريعة، روضات الجنان، السرائر، شرح الوافية، الفوائد، الفوائد المدنية، مسالك الأفهام، معارج الأصول، المكاسب (٣)، الإبهاج فى شرح المنهاج، أجوبة السيد على مسائل التبانيات، الاحتجاج، أعلام الزركلى، أعيان الشيعة، أمل الآمل، التبيان، توحيد الصدوق،=

وتنتهى بعض الفقرات باللازمات الدينية مثل "إن شاء الله تعالى"، "الحمد لله على كل حال"[1].

٦- **"فرائد الأصول" للشيخ مرتضى الأنصارى (ت١٣٨١هـ ق)**[2]. وهو متن مسهب يبدأ سلسلة من المتون المطولة المكونة من عدة أجزاء، حتى ليشمل كل موضوع جزءا أشبه بمتن "البحر المحيط" للزركشى عند أهل السنة، كدائرة معارف أصولية. ويصل إلى حد ثمانية أجزاء فى "تحريرات فى الأصول" للشهيد مصطفى الخمينى. يتميز بالإسهاب والتطويل، بل إن الموضوع الجزئى قد يشمل عدة أجزاء. وهو الذى يستدعى فيها بعض التلخيص والتركيز .

وقد انعكس ذلك على الأسلوب، أسلوب القيل والقال، والرد على الحجج العارضة داخل أصول الفقه الشيعى وليس مع أصول الفقه السنى. كما يقوم على التأمل الذاتى من أجل البحث عن الاتساق الداخلى دون تعريفات منطقية واضحة. فالأسلوب السيال شىء، والمسار المنطقى شىء آخر.

لذلك سادته التأملات النظرية إلى درجة الاتساع دون العمق، وكلما اتسع النظر ضاق العمل. وكلما أوغل فى التأملات النظرية اختفى الواقع العملى بالرغم من ظهور مفهوم الواقع، ولكنه واقع نظرى وليس واقعا عمليا[3]. وليست المسائل العملية نظرية إلى هذا الحد بالرغم من التخيير والتجرى والاستصحاب والبراءة الأصلية. والإغراق فى التحليل النظرى فى النهاية ابتعاد عن الواقع العملى. لذلك قال الشاطبى فى "الموافقات" "إن كل مسألة نظرية لا ينتج عنها أثر عملى فوضعها فى أصول الفقه "عارى" أى زائد لا لزوم له.

وهو إسهاب خال من الإبداع يقوم على التجميع والنقل عن الآخرين والاقتباس من المتون السابقة بعلامة "انتهى" لبيان نهاية الاقتباس[4]. وهذا أحد أسباب تضخم العمل فى مجلدات أربعة.

=جامع أحاديث الشيعة، الجوامع الفقهية، الخلاف، الذريعة، الواحد للسيد المرتضى، رسالة قاعدة نفى الضرر، شرح الإرشاد للأردبيلى، طبقات أعلام الشيعة، الغنية، فواتح الرحموت، كشف الغطاء، مجمع البيان، مجمع الفائدة والبرهان، مستدرك الوسائل، المستصفى، مشارق الشموس، معانى الأخبار، ملاحظات الفريد على فوائد التوحيد، منتهى الدراية، وفيات الأعيان (١).

(١) إن شاء الله تعالى (٤)، الحمد لله على كل حال (١).

(٢) الشيخ الأعظم أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصارى: فرائد الأصول، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم (أربعة أجزاء)، قم، الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى ١٢١٤-١٢٨١ ق.

(٣) السابق جـ١/١٢٦.

(٤) السابق جـ١/١٠٢/١٨٦/١٩٤/١٩٥/٢٠٦-٢٠٧/٢٠٩/٢١٧/٤٣٥ ...الخ . جـ٣/٢٣/٩١.

ويقترب أحيانا من الأسلوب الشفاهى، الأمالى التى تعود عليها علماء الشيعة فى الحوازات العلمية، وجمعها الطلاب. وهو ليس عيبا فى ذاته فى ثقافة شفاهية سابقة علـى التدويـن حتـى إلى وقت متأخر[1]. لذلك تظهر بعض التعبيرات الشفاهية مثـل "وينبغـى التنبيـه علـى أمـور" أو "الكلام فى أمور"[2]. وتبدأ بعض الفقرات بلفظ "اعلم". فالأسلوب الشفاهى فى حاجـة إلى متكلم ومخاطب[3].

ويتوجه مسار الفكر إلى الداخل وليس إلى الخـارج، والـرد علـى الاعتراضـات مـن الداخـل وليس من الخارج. فالحوار مع النفس وليس مع الآخر.

وقد اتسم المتن بالنمنمات الجزئية دون الرؤية الشاملة للموضوع، والتوهـان فـى الجزئيـات دون تركيز على الكليات بالرغم من التذكير بمسار الفكر أحيانا فى آواخر الفصول[4].

ويغرق المتن فى الروايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أكثر مـن الأحـاديث المتواتـرة عند أهل السنة. ويستوى الشيعة والسنة فـى كـثرة ألقـاب التعظيـم والتمجيـد والتقديـس، ويتـم التحول من "رحمه الله" إلى "قدس الله روحه" أو "قدس سره"، ومن "رضى الله عنه" إلى "عليـه السلام". ويدل تعظيم الأئمة فى كلتا الحالتين على تقدير العلم والعلمـاء. والإمـام المعصـوم قطـب الرحى فى الرواية والإجماع. وما يتصف به من تقيـة وغيبـة ورجعـة رد فعـل علـى المدلـس فـى الرواية والمزور فى الإجماع.

وتنتهى كثير من الفصول والفقرات باللازمات الدينيـة المعـهودة مثـل "إن شـاء الله تعـالى" و"الله العالم"[5].

وتظـهر بعـض المفـاهيم الأصوليـة عنـد الشـيعة مثـل القطـع والظـن والشـك والاسـتصحاب والتجـرى ومنجزيـة العلـم، والفتوائيـة وأصالـة الـبراءة، والاشـتغال، والاحتيـاط والتخيـير، والاحتياط، والانسداد، والامـارات، والحجيـة، والحكومـة، والرجاليـة، والصـدور، والأجـزاء،

---

(١) بل إن معظم مؤلفات هيجل التطبيقية لمنهجه الجدلى النظرى فى "ظاهريـات الـروح" و"علـم المنطـق" محـاضرات مثـل "دروس فـى تـاريخ الفلسـفة"، "دروس فـى فلسـفة التـاريخ"، "دروس فـى فلسـفة الديـن"، "دروس فـى علـم الجمال".

(٢) فرائد الأصول جـ١/٣٧/٤٣٧ ، جـ٢/٩٣/١٢٧/١٤٩/٣٠١/٣٦١/٤٣٣، جـ٣/١٣/١٩١.

(٣) السابق جـ١/٢٥/٣٢/٦٧/١٦٦.

(٤) مثل "ولنذكر أولا ما يمكن أن يحتج به القائلون بالمنع ثم نعقبه بأدلة الجواز"، السابق جـ١/٢٤١، "لمـا سـيجىء من الأدلة"، السابق جـ١/٢٥١، جـ٣/٢٥٣.

(٥) السابق جـ١/٢٩٥، جـ٣/٣٨٦.

والشهرة، والتسامح، والمحصورة وغير المحصورة، والمانعية، والقاطعية، والظنية، والركنية، وقاعدة الفراغ والتجاوز، وقاعدة اليد ...الخ. بالرغم مما قد يبدو من تعارض بين بعضها البعض مثل التجرى والبراءة الأصلية. وأيضا مثل الفقهانى، والانحصار، ومجارى الأصول، والاستحباب، والتوليدية، وهناك بعض المشاكل الخاصة بأصول الفقه الشيعى مثل الخلاف بين الإخباريين والاجتهاديين. وهو ما يعادل عند أهل السنة التقابل بين النقل والعقل، وبين المأثور والمعقول، وبين الأثر والرأى، وبين الرواية والدراية كأحد آليات الإصلاح فى العصر الحديث.

ويحاور النص المعاصرين أكثر مما يحاور القدماء فى التراث الأصولى الشيعى. ويعتمد على المصادر الشيعية أكثر مما يعتمد على المصادر السنية. ويغوص فى أصول الفقه الشيعى، مفاهيمه وأصوله وقواعده أكثر من اللحاق بالأصول الأولى للشافعى والجصاص والكرخى والبزدوى عند السنة، وأصول الطوسى والمفيد والمرتضى عند الشيعة، حيث يبدو علم الأصول فى المذهبين من حيث القواعد علما واحدا قبل أن ينشغل علم الأصولى الشيعى بالانفراد من أجل تصحيح مسار التاريخ وليس التشريع، تحريك الأمر الواقع وليس تثبيته، العودة إلى الاحتمالات ضد التقنين، والدخول فى الذاتية ضد الموضوعية، والتأويل فى مقابل التنزيل.

ولأول مرة يعاد بناء العلم كله على أسس معرفية نظرية فى حين أن علم أصول الفقه هو تأسيس العمل وليس تأسيس النظر. إذ يقوم العلم على ثلاثة مقاصد: القطع، والظن، والشك بالإضافة إلى مقدمة عن الأصول العملية وخاتمة عن التعارض والتراجيح. بل إن الاستصحاب نفسه وهو ما يرتكز عليه أصول الفقه الشيعى إنما يدخل فى هذه البنية الثلاثية المعرفية. فالمكلف إذا ما التفت إلى الحكم الشرعى يحدث له الشك أو القطع أو الظن، طرفان ووسط. والمرجع فى الشك إلى القواعد الشرعية وهى الأصول العملية. وهى منحصرة فى أربعة احتمالات. الاستصحاب فى حالة ملاحظة الشك، والثانى البراءة إذا كان الشك فى التكليف، والثالث الاحتياط إن لم يكن الشك فى التكليف، والرابع التخيير[1]. والأولية للظن على الشك، وللشك

(١) "أعلم أن المكلف إذا التفت إلى حكم شرعى فإما أن يحصل له الشك فيه أو القطع أو الظن. فإن حصل له الشك فالمرجع فيه هى القواعد الشرعية الثابتة للشاك فى مقام العمل. وتسمى بالأصول العملية. وهى منحصرة فى أربعة لأن الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أم لا. وعلى الثانى فإما أن يمكن الاحتياط أم لا. وعلى الأول فإما أن يكون الشك فى التكليف أو فى المكلف به. فالأول مجرى الاستصحاب، والثانى مجرى التخيير، والثالث مجرى أصالة البراءة، والرابع مجرى قاعدة الاحتياط. وبعبارة أخرى، الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أو لا. فالأول مجرى الاستصحاب. والثانى إما أن يكون الشك فيه فى التكليف أولا. فالأول مجرى أصالة البراءة. والثانى إما أن يمكن الاحتياط فيه أو لا. فالأول مجرى قاعدة الاختيار، والثانى مجرى قاعدة التخيير. وما ذكرنا هو المختار فى مجارى الأصول الأربعة. وقد وقع الخلاف فيها. وتمام الكلام فى كل واحد=

على القطع من أجل القضاء على قطع السلطان والشك فيه وإيجاد البدائل. فالكل ظنون وليس ظن السلطان الذى حوله إلى قطع بأولى من ظنون معارضى السلطان.

ويكون التأسيس على المعرفة الشعورية الخالصة وأنماط الاعتقاد، القطع والظن والشك. والظن أكبرها ثم الشك، والقطع أقلها لأنه صعب المنال[1]. وفى مقاصد الشك يتم الإعلان عن البراءة والاشتغال دون تناولهما. ويتم عرض باقى موضوعات علم أصول الفقه من خلال هذه البنية الثلاثية المعرفية مثل مباحث الألفاظ والأدلة الشرعية الأربعة. والقطع لا ينقسم إلى موضوعات بل يضم مجرد مباحث عن التجرى والقطع الحاصل من المقدمات العقلية وقطع القطاع والعلم الإجمالى. فى حين أن الظن ينقسم إلى مقامين: إمكان التعبد بالظن ووقوع التعبد بالظن. كما يتضمن الأدلة الثلاثة الأولى، الكتاب والسنة والإجماع ممثلة فى حجية ظواهر الكتاب وقوله اللغوى، والإجماع المنقول وحجية الشهرة الفتوائية وجر الواحد ومطلق الظن ودليل الانسداد، وكون الظن جابرا أو موهنا أو مرجحا. ويتضمن الشك الشك فى نفس التكليف، والشك فى المكلف به. ويضم الأول الشبهة التحريمية، والشبهة التحريمية الموضوعية، والشبهة الوجودية، والتمييز بين أدلة البراءة وأدلة الاحتياط. ويتضمن الثانى الشبهة المحصورة وغير المحصورة، ودوران الأمر بين المتباينين، وبين الأمر والأكثر، وبين المحذورين فى الشك الأول. وتضم الخاتمة، العمل بالأصل وقاعدة لا ضرر ولا ضرار. والمقام الثانى فى الشك هو الاستصحاب دون أن يكون أصلا مستقلا، أخباره، والأقوال فى حجيته، وشرائط العمل به، والتنبيه عليه، والتعارض بين الاستصحابين أو بينه وبين سائر الامارات والأصول، بالإضافة إلى قاعدة الفراغ والتجاوز، وأصالة الصحة فى فعل الغير. وتضم الخاتمة "فى التعادل والتراجيح" قاعدة "الجمع مهما أمكن أولى من الطرح"، والتمييز فى الأدلة بين المتكافئين والراجح والمرجوح، والأخبار العلاجية التى يتم بواسطتها الجمع، والمرجحات المنصوص عليها، وأنواع المرجحات الداخلية والخارجية والدلالية، ثم الترجيح بموافقة الأصل.

ونظرا لهذا التأمل الداخلى تقل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر[2]. ويعتمد النص على روايات الشيعة التى تسمى "الروايات الموصوفة" والتى تعادل الإصحاحات الخمسة عن أهل السنة وهى الصحيحة، وفى مقدمتها روايات زرارة، والحسنة وفى مقدمتها رواية حسنة بن المغيرة، والموثقة مثل موثقة ابن أبى يعفور وعمار، والمقبولة وهى التى تضم

=موكول إلى محله. فالكلام يقع فى مقاصد ثلاثة: الأول فى القطع، والثانى فى الظن، والثالث فى الشك"، السابق جـ١/٢٥-٢٦.

(١) الظن (٥١٦)، الشك (٤٦٨)، القطع (٧٤).

(٢) الأحاديث (٤٧٠)، الآيات (١٢٨).

روايات مقبولة عمر بن حنظلة، والمكاتبة مثل القاسانى، والمرسلة مثل مرسلة الفقيه، والمرفوعة مثل زرارة، والروايات مثل النبوى وعبد الأعلى مولى آل سام وأبان بن تغلب وأبى بصير وحفص بن عياث[1]. ومن الأنبياء والأئمة المعصومين، الإمام على ثم النبى ثم الأئمة ثم أبو عبد الله ثم رسول الله ثم الإمام الصادق. وقد يأخذ الرسول أكثر من لقب. فهو النبى والرسول ونبينا ونبيه ومحمد. كما يأخذ على أكثر من لقب. فهو الإمام وأمير المؤمنين والوصى. ويأخذ آل النبى أكثر من لقب، آل محمد، وأهل العترة، وأهل البيت، وأهل الذكر، والحجج الصومون، والأئمة، وأهل بيت الوصى، والأوصياء، مع الدعوة لبعض الأئمة بأن يعجل الله فرجها[2]. فقد أسرها الظالمون وهو يقاوم الظلم.

ويذكر عدد آخر من الرواة فى مقدمتهم زرارة ثم محمد بن مسلم ثم ابن أبى يعفور ومئات من الرواة التقات لا يروى عنهم أهل السنة[3].

ومن أسماء الأعلام يتقدم الطوسى ثم الحلى المؤسسان مع المفيد لعلم أصول الفقه الشيعى، ثم المرتضى، ثم الشهيد الأول. ثم يتوالى باقى الأصوليين مثل الخوانسارى والقمى والسبزاورى والطبطبائى وغيرهم. ويظهر الغزالى وأبو حنيفة وسط أعلام الشيعة كجزء من علم الأصول الجامع

---

(١) مجموع الرواة التقاة عند الشيعة (٦٨).

(٢) مجموع المعصومين (٥٧): الإمام (١٤٣)، (٦٧)، الأئمة (٥١)، أبو عبد الله (٤٨)، رسول الله (٣٧)، الإمام الصادق (٢٤)، محمد (٢٠)، المعصوم (١٩)، أمير المؤمنين (١٧)، أبو جعفر (١٦)، نبينا (١١)، الإمام على (١٠)، عيسى بن مريم (٩)، الإمام الرضا (٨)، آل محمد (٧)، أهل البيت، أهل الذكر، أبو الحسن الرضا، أبو الحسن (٦)، الوصى (على)، جعفر بن محمد، العسكرى (٥)، نبيه، الحجة (الإمام)، الأنبياء، موسى بن عمران (٤)، أئمتهم، الإمام الباقر (٣)، الحجج المعصومون، الحسين بن على، العبد الصالح، العالم (الإمام الرضا)، الإمام عجل الله فرجه (٢)، أحمد، بعضهم، الأوصياء، أهل بيت الرسول، أهل بيت الوصى، أمناء النبى، أوصياء النبى، العشرة الطاهرة، المعصومون، الصادقون، ولى الله، فاطمة، الإمام الحسن، على بن الحسين، محمد بن على، الإمام الجواد، أبو الحسن الثالث، أبو محمد (العسكرى)، الصاحب عجل الله فرجه، ذو الكفل، شعيب، يحيى، يوسف، جبريل (١).

(٣) الرواة (١٢٩): زرارة (٣٩)، محمد بن مسلم (١٢)، ابن أبى يعفور، عبد الله مولى آل سام (٧)، أبان بن تغلب، أبو بصير، عمار الساباطى، عمر بن حنظلة (٦)، عبد الرحمن بن الحجاج (٥)، يونس بن عبد الرحمن، ابن المغيرة، جميل بن دراج، حفص بن غياث، على بن جعفر، ابن حنظلة (٤)، ابن بكير، أبو اسحق الارجائى، إسماعيل بن جابر، الجعفى، سماعة بن مهران، العمرى، الفيض بن مختار، الكناسى، مسعدة بن صدقة، هشام بن الحكم (٣)، ابن مسلم، ابن يعقوب، أبو القاسم الحسين بن روح، أبو محمد، أحمد بن اسحق، أحمد بن محمد، البزنطى، حمزة بن الطيار، داود بن الحصين، الزهرى، سليم بن قيس، عبد الله بن سنان، على بن إبراهيم، القاسانى، القمى، محمد بن عبد الله، محمد بن على، السمعى، النعمان بن بشير (٢)، ومئات آخرون (٩٨).

للفرق. ويسمى العلم باسم مؤلفه مثل: صاحب الفصول، صاحب القوانين، صاحب الذخيرة، صاحب المسالك، شارح المختصر، وصاحب الزبدة، وصاحب الوافية ...الخ. ويختلط الاسم باللقب مثل الفاضلان، المشايخ الثلاثة، الشهيد الأول، الشهيد الثانى، الصدوق، الأستاذ، أمين الإسلام، فخر الدين ...الخ[1].

ومن الجماعات يتقدم العلماء ثم جماعة من العلماء تقديرا للعلم والعلماء، ثم الأصحاب ثم العقلاء مما يدل على إمكانية الجمع بين المذاهب باسم العقل، ثم الإخباريون التقليديون فى صراعهم مع الاجتهاديين. لذلك كان الحوار قائما بين القدماء والمحدثين، بين المتقدمين والمتأخرين. ويظل الحديث متأرجحا بين مذهبنا، أصحابنا، علمائنا، مشايخنا، فقهائنا وبين الصحاب والعلماء والمشايخ والفقهاء والأصوليين والعقلاء والمتأخرين والمتقدمين والمعاصرين وأهل اللغة وأهل اللسان وعلماء الإسلام وأصحاب الجملة وأهل الشرائع وأصحاب الحديث والأنصار وأهل الخبرة وأهل العرف وأهل النار والمحققون والمتكلفين الذين لا ينتسبون إلى مذهب معين والذى يدل على إمكانية تجاوز المذاهب[2].

---

(١) الطوسى (١١٧)، المحقق الأول (الفاضلان) (٧٣)، العلامة الحلى (٧١)، المرتضى (٦٠)، الشهيد الأول (٣٦)، الخوانسارى (٢٧)، القمى (أبو القاسم) (٢٥)، الشيخ حسن (نجل الشهيد الثانى) (٢٢)، السيد الصدر (٢٠)، المرتضى (١٨)، الحلى (١٧)، المفيد (١٦)، الصدوق، المحقق الثانى (١٥)، الشهيد الثانى، الشهيدان (١٤)، البهائى، صاحب المدارك، الفاضل التونى (١٣)، العضدى، الفاضلان (١٢)، الاسترابادى، الغزالى (١١)، السبزاورى، شارح الوافية، صاحب الحدائق (١٠)، البحرانى، صاحب الفصول، الطبطبائى (٨)، صاحب الوافية، المجلسى (٧)، ابن زهرة، ابن قبه، صاحب القوانين (٦)، أبو حنيفة، أبو المكارم، إسماعيل بن أبى عبد الله، البهبهائى، الحاجبى، السيدان (المرتضى وابن زهرة)، شارح الدروس، شارح المختصر، الطبرسى، الطوسى، العاملى (٥)، ابن الوليد، الأردبيلى، التفتازانى، سمرة، صاحب الزبدة، فخر الدين، الكشى، الكلينى (٤)، الاحسائى، الأستاذ، سعد بن عبد الله، صاحب الرسالة، صاحب الرياض، على بن بابويه، كاشف غطاء (٣)، ابن ادريس، ابن طاوس، أبو بكر، امين الإسلام، الجزائرى، صاحب الذخيرة، صاحب المسالك، علم الهدى، قطب الدين، كاشف اللثام، الكاظمى، المشايخ الثلاثة (الكلينى، الصدوق، الطوسى)، المغيرة بن سعد، المفيد الثانى، النجاشى (١).

(٢) العلماء (١٠٧)، جماعة من العلماء (٨٣)، الأصحاب (٦١)، العقلاء (٥٥)، الإخباريون (٥٢)، بعض العلماء (٤٣)، أصحابنا، بعض المعاصرين (٢٤)، بعض العلماء (٣٢)، المتأخرون (١٨)، الفقهاء (١٧)، القدماء (١٦)، أصحاب الأئمة (١٤)، أهل اللسان (١٣)، الأصوليون (٨)، أهل العلم (٧)، أهل الكتاب، بعض الأصحاب، بعض مشايخنا، المحققون، المعاصرون (٦)، بعض الأساطين، بعض أصحابنا، علماء الإسلام، علماؤنا، المجتهدون، جماعة من متأخرى المتأخرين، القميون (٥)، أصحاب الجملة، بعض المتأخرين، بعض من عاصرنا، جماعة من الأصحاب، بعض المحدثين، الصحابة، علماء الشيعة، العوام، اللغويون، متأخرو المتأخرين، من تأخر عن الشيخ (٤)، أهل الشرائع، بعض سادة مشايخنا المعاصرين، بعض متأخرى المتأخرين (٣)، الأشعريون، أصحاب الحديث، الأنصار، أهل الخبرة، أهل العرف، أهل النار، بعض غفلة=

ومن ضمن الجماعات المذكورة مرة واحدة جماعات العلم واللغة واللسان والعلم والدين تعظيما للعلماء بصرف النظر عن المذهب وتقديرا لعلماء مذهب بعينه هو مذهب الإمامية. وهم علماء الاجتهاد والاستدلال والنظر والفتيا الذين جمعوا بين المعقول والمنقول. وهم أهل الحق، متفرقون في الأمصار والأعصار. منهم المتقدمون والمتأخرون، القدماء والمعاصرون. وقد تكون المعاصرة مع علم من الأعلام، الفارق في التاريخ، من يأتي قبله أو بعده، من يلحق به أو يفوته[1].

ومن البلدان يتقدم العراق دون خصومة أو ضغينة. ولا تتجاوز خراسان باقي مدن العراق، بغداد والبصرة والنجف، والحجاز، ومكة والمدينة، واليمن[2]. كما يرتبط علم الأصول بالبيئة الحيوانية العربية، الكلب، والغنم إيجابا، والخنزير سلبا[3].

=أصحاب الحديث، بعض المحققين من المعاصرين، جماعة من الأصوليين، الخراسانيون، علماء جميع الأعصار، علماؤهم، فقهاء أهل البيت، فقهاؤنا، المتكلمون، المحدثون، مشايخنا.

(١) أرباب العلوم، أصحاب الكتب المشهورة، أهل العلم، من العقلاء، من العلماء، (بعض الفضلاء السادة، بعض الفقهاء، أمة محمد، أخوة يوسف، الأنصار، عوام امتنا، المؤمنون، بعض الأمة، بعض أهل الكتاب، بعض السادة الفحول، بعض السادة الاجلة، بعض الفضلاء، الصلحاء، الصحابة)، أرباب اللسان، من أهل اللغة، الأصوليون، علماء الأصول، فحول الأصوليين، الأطباء، فحول العلماء، أهل الاستدلال، أهل عصر الاجتهاد، أهل الفتاوى، أهل الفتاوى المأثورة، أهل الفتوى، أهل الفن، أهل المعقول والمنقول، أهل النظر، من المجتهدين، من المحققين، أهل الأسواق، بعض القدماء، بعض متأخرى المتأخرين، بعض متأخرى المتأخرين من المعاصرين، بعض المتأخرين، بعض المحدثين، بعض المعاصرين من الأصوليين، بعض معاصريه، بعض من تأخر عن العلامة، عن كاشف الغطاء، عن السيد أبى المكارم، بعض من قارب عصرنا، من الفحول، جماعة ممن تأخر عن العلامة، ممن تأخر عنه، ممن تقدم عليه، من القدماء، من القدماء المتأخرين، من متأخرى المتأخرين، من المعاصرين، من قارب عصرنا، علماء الأعصار، قدماؤنا، متأخرو الإخباريين، متأخرو الإمامية، المتقدمون، مشايخنا المعاصرون، المعاصرون، من تأخر عن الشيخ، أصحاب أبى الخطاب، أصحاب أبى جعفر، أصحاب الصناعات، أصحاب الصادقين، أصحابنا، أصحابه، أفاضل علمائنا، بعض فقهائنا، بعض من وافقنا، من الإمامية، رواة أصحابنا، رؤساء المذاهب، العصابة، علماء المذهب، علماء الميزان، علماؤنا، فقهاء الشيعة، فقهاء العامة، فقهاء المسلمين، فقهاؤهم، المستسلمون من سبقونا، المستضعفون، بعض شراح الوافية، بعض شراح الوسائل، بعض محشى الروضة، أهل الحق، أهل الجنة، أهل الشرائع، بعض المدققين، بعض المشايخ، جماعة أهل العدل، من أجلاء الرواة، من الإخباريين، النقلة الأفاضل، أهل الباطل، أهل الظنون الخاصة، أهل الوسوسة، بعض من لا خبرة له، بعض من لا تحصيل له، أهل البصرة، أهل خراسان، أهل الشام، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مصر، أهل مكة، الخراسانيون، علماء المدينة.

(٢) العراق (٤)، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة، المدينة، اليمن، النجف، الشام، خراسان (١).

(٣) الكلب (٦)، الغنم، البهائم، الخنزير (٥)، الحمار، الذباب، الفأر، الحيوانات (٣)، الدابة، دود القز، الطير، الطيور (٢)، البق، الحشار، الحشرات، الحيوان غير المأكول، الديدان، السبع، الشاة، الطائر، العصفور، الغراب، الفرس (١).

ومن المذاهب والفرق والطوائف تتقدم العامة مما يدل على دور العامة فى تكوين المادة الأصولية قبل الشرع والشريعة والإسلام والمسلمين بل وقبل المذهب كالإمامية والشيعة وقبل تنظير الخاصة فى مذاهب وقبل المؤمنين والكافرين، اليهود والنصارى وأهل الكتاب، وقبل الأشاعرة والشافعية من أهل السنة، والغلاة من الشيعة، وقبل انقسام الأمة شيعا وطوائف خوارج ومرجئة وحشوية ...الخ[1].

ويحال إلى عديد من المتون الأصولية السابقة كبداية للتراكم التاريخى[2]. ويأتى فى المقدمة بطبيعة الحال الكتاب وكتاب الله والقرآن باعتباره المصدر الرئيسى للعلم، ثم "العدة"، ثم "معارج الأصول"، ثم "معالم الدين فى الأصول" و"تذكرة الفقهاء" و"نهاية الوصول" وعشرات أخرى من المتون فى الفقه والتوحيد[3].

٧- "أصول الفقه" للشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٩٥هـ ق)[4]. وهو كتاب تعليمى مدرسى يخلو من أى موقف، ولا يحاجج أى مذهب أو اتجاه، تجريدى نظرى خالص، هادئ وواثق، لا ينفعل بشىء، ويكتفى بالعرض النظرى الفلسفى الخالص. بل يخلو من الأمثلة الفقهية

---

(١) العامة (٧٥)، الشرع (٦٦)، المسلمون (٣٦)، الشريعة (٣٤)، الإسلام (٢٩)، الإمامية (٢٦)، الشيعة (٢١)، الخاصة (١٩)، المؤمنون، اليهود (٧)، الطائفة، الكفار، بنو فضال (٦)، أهل الكتاب (٥)، مذهب العامة، الفريقان (العامة والخاصة)، الشافعية، المقلدة (٣)، المذهب، الأشاعرة، الغلاة، الفطحية، المجبرة، الواقفية، النصارى، قريش (٢)، دين الإسلام، شريعة سيد المرسلين، الحنيفية، النصرانية، الإمامية، مذهب أهل الحق، مذهب الخاصة، مذهب المخطئة، الأمة، أمة النبى، الطائفة المحقة، الحشوية، الحقية، الحنفية، الخوارج، الكافرون، المشركون، العرب، بنو أمية، بنو سماعة (١).

(٢) الكتاب، كتاب الله (١٣٥)، القرآن (٣٣)، العدة (٥٢)، معارج الأصول (١٩)، معالم الدين فى الاصول، تذكرة الفقهاء (١٨)، نهاية الوصول (١٧)، مسالك الأفهام (١١)، الغنية (١٠)، المعتبر (٩)، الكافى، ذكرى الشيعة (١٣)، تحرير الأحكام (٨)، عوالى اللآلى، السرائر، الاحتجاج (٧)، الحدائق، الخلاف للطوسى، الوسائل (٦)، الاستبصار، بحار الأنوار، شرح الوافية للسيد الصدر، محاسن البرقى، شرح الوافية، مشارق الشموس (٥)، الباب الحادى عشر، جامع المقاصد، التذكرة بأصول الفقه، تفسير العياشى، الخصال، الذريعة لأصول الشريعة، قوانين الأصول، مجمع البيان، نوار الحكمة، الوافى فى شرح الوافية، الوافية (٤)، تمهيد القواعد، حاشية الشرائع، الدروس، ذخيرة الحصاد، الغيبة، مدارك الأحكام، منتهى الطلب (٣)، الأربعون حديثا للبهائى، أمالى المفيد الثانى، بصائر الدرجات، البيان، التوحيد، حاشية شرح المختصر، الحبل المتين، الدرر النجفية، الرحمة، رياض المسائل، زبدة الأصول، شرائع الإسلام، شرح التهذيب، الصحاح، عيون أخبار الرضا، الفوائد المدنية، قواعد الأحكام، القواعد والفوائد، الكتب الأربعة، المبسوط، مجمع الفائدة والبرهان، من لا يحضره الفقيه.

(٣) حوالى سبعين متنا أصوليا.

(٤) المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر: أصول الفقه، منشورات الفيروزبادى، قم (د.ت).

أو الواقع المعاصر، وهو ابن الثورة الإسلامية. وكان بالإمكان التحول إلى أصول فقه الثورة خاصة بعد الحديث عن المغصوب فى الفقه القديم[1]. ومع ذلك يبدو منطق الاستدلال من تحليل بعض الألفاظ المميزة مثل: استدلال، نتيجة، إبطال، توليد، زيادة إيضاح، دفع وهم ، تنبيه، وباقى ألفاظ الشعور.

ونظرا لهذه السمة البارزة فى أصول الفقه الشيعى فى مقابل أصول الفقه السنى، تقابل بين الداخل والخارج، بين القطع والشك، بين القياس والاستصحاب، بين الاحتمال واليقين، بين العقل والشعور، بين الوضوح والغموض، بين الألفة والغرابة فى المصطلحات، بين التركيز والإسهاب، بين الأدلة الشرعية الأربعة ومباحث الألفاظ. وهو تقابل له ظروفه التاريخية ودوافعه النظرية. فأصول الفقه السنى فقه الدولة متجه إلى الخارج، قاطع، يقوم على القياس والاحتمال نظرا لأن اليقين فى السلطة. وهى أصول عقلية، فالعقل للتشريع، واضحة لسهولة الحكم، أليفة اللغة حتى يفهمها الناس، مركزة، تقوم على الأصول الشرعية الأربعة المعطاة سلفا. فى حين أن أصول الفقه الشيعى، أصول معارضة تتجه إلى الداخل وعالم الشعور، ميدان الحرية. تشك وتظن فيما ظنه أهل السنة قطعا ويقينا. تتجه إلى الشعور حيث التأويل والاشتباه دون حسم العقل وتشريعه. وتوحى بالغموض لأنه مدعاة إلى التساؤل. وتوهم بالغربة اللغوية من أجل الدهشة والاستغراب. وتسهب حتى يسهل زحزحة التركيز. وترفض السجن داخل المصادر الشرعية الأربعة وتنطلق فى رحاب اللغة والأصول العملية.

والبنية رباعية تدور حول أربعة مقاصد: الأول مباحث الألفاظ، والثانى الملازمات العقلية، والثالث مباحث الحجة، والرابع الأصول العملية. وأكبرها الثالث مباحث الحجة[2]. وتشمل مباحث الألفاظ: المشتق، والأوامر، والنواهى، والمفاهيم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، وأكبرها الأوامر ثم العام والخاص وأصغرها النواهى[3]. والملازمات العقلية تنقسم إلى قسمين، المستقلات العقلية، وغير المستقلات العقلية، والثانية أكبر[4]. ومباحث الحجة تتضمن ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عند أهل السنة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس بالإضافة إلى بعض فروعها مثل الدليل العقلى والشهرة والسيرة والتعادل والتراجيح وهو

---

(١) السابق ص٢٦٥.

(٢) مباحث الحجة (١٩٦)، الملازمات العقلية (١٣٤)، مباحث الألفاظ (١١٦)، الأصول العملية (٥٢).

(٣) الأوامر (٣١)، العام والخاص (٢٤)، المفاهيم (٢٣)، المطلق والمقيد (١٨)، المجمل والمبين (٩)، المشتق (٥)، النواهى (٤).

(٤) غير المستقلات العقلية (٩٥)، المستقلات العقلية (٢٤).

أكبرها[1]. فالتأويل هنا هـو ركـيزة البنيـة. ولـه الأولويـة علـى النـص والواقـع. ابتلعـت الذاتيـة الموضوعية. واختفى الوجود فى المعرفة.

وفى الشواهد النقلية تغلب عليه الآيات أكثر من الأحاديث، ويأتى الشعر على استحياء إذ أن التجربة الشعرية تجربة انسانية عامة مثل الوحى[2]. وهى تجربة شعرية عربية لا فـرق بـين عرب وعجم.

وبتحليل الأسلوب ومسار الفكر يتضح التركيز على النتيجة ثم تتسـاوى الألفـاظ، الإيضـاح وانتفاء السر، ودفع الوهم، وبيان المقصود، ونهاية الاستغراب. وبعـد التنبيـه والتحقيـق وتبديـد الوهم يظهر المختار فى المسألة. وتتم مخاطبة القارئ للاحتفاظ به. وأثناء مسار الفكـر يتـم البيـان والإيضاح والشرح والتعبير بعدة عبارات. والتنبيه على مواطـن الزلـل[3]. ومـع ذلـك تظـهر علـى اسـتحياء بعـض المصطلحـات الأصوليـة الشـيعية الخاصـة مثـل الدليـل الفقـهائى، والجــهتى، والمقدمية، والطريقية ...الخ[4].

ويتم إبراز مراحل الفكر وتطوره المنطقى وتمفصلاته، وإحالة السابق إلى اللاحـق، واللاحـق إلى السابق[5].

وأسمـاء الأعـلام كثـيرة تـتراوح بـين أصوليـى الشـيعة ورواتـهم. فمــن الأصوليــين يتقــدم الأنصارى، ثم النائينى، ثم الطوسى، ثم الآخوند، ثم الشريف المرتضى، ثم القمى والكاظمى، ثم صاحب الكفاية وصاحب الفصول نسبة إلى مؤلفاتهم، وعشرات آخرين من علماء الأصول[6]. ومـن روائهم وتقاتهم وعلمائهم أصحاب الإصحاحات والموثوقات يتقدم زرارة، ثـم ابـن عبـد الله وابـن

---

(١) التعادل والتراجيح (٤٦)، السـنة (٢٨)، الإجمـاع (٢٦)، القيـاس (٢٠)، حجيـة الظواهـر (١٨)، السـيرة (٦)، الكتاب ، الدليل العقلى، الشهرة (٥).

(٢) الآيات (٧٥)، الأحاديث (٣٣)، الشعر (٣).

(٣) الحاصل (٦)، الخلاصة (٥)، السر فى ذلك، وتوضيح ذلك (٤)، النتيجة (٣)، زيادة إيضاح، هم ودفع، تنبيـه وتحقيق، وتمهيد وتنبيه، وبعبارة أوضح، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، والسـر واضـح، توضيـح التوهـم، والجواب الصحيح ...الخ (١).

(٤) الدليل الفقهائى، أصول الفقه ص٦، الجهتى ص٤٦٧، المقدمية ص٢٣٣، الطريقية ص٣٠٨.

(٥) التمفصلات (١٢)، إحالة السابق إلى اللاحق والعكس (١٠).

(٦) الشيخ الأنصـارى (١٦)، شـيخنا المحقـق الكبـير النـائينى (٩)، الشـيخ (١٠)، الطوسـى (٨)، شـيخ أسـاتذتنا الآخوند (٧)، السيد الشريف المرتضى (٦)، القمى، الكاظمى (٣)، الكلينى، صاحب الكفاية، صاحب الفصول، شيخنا المحقـق الأصفـهانى (٢)، الخوانسـارى، القاسـانى، الطبطبـائى، صـاحب المعـالم، صـاحب الجواهـر، القوشجى، صاحب عوالى اللآلى، الفاضل النراقى، القطب ...الخ (١).

إدريس والطبرسى، وعشرون آخرون مثل محمد بن مسلم والصادق وإسماعيل الصدر، والحلى، والمجلسى، والكراكجى، وابن طاوس، وابن زهرة، والقاضى، وعبد الله الصادق، وأبان. فالروايات عن أئمة الشيعة مثل الرواية عن الرسول، والأقوال عن الأئمة مثل الأقوال عن الرسول، الأوائل عليهم السلام والثانى عليه الصلاة والسلام[1]. ومن آل البيت يتقدم المعصوم فعلا وقولا والحسين[2]. ومن أهل السنة يحال إلى ابن حزم فى "إبطال القياس" و"الأحكام"، والغزالى فى "المستصفى" وأبى حنيفة[3].

ومن الطوائف والفرق يحال إلى الأشاعرة، والعدلية (المعتزلة)، والإمامية، والإخباريين، والفقهاء، وعلماء اللغة والمعتزلة والشيعة الإمامية وفقهاء الشيعة، ومن الفلاسفة الشيخ الرئيس[4]. ومن كل فرقة وطائفة هناك المتقدمون والمتأخرون، القدماء والمحدثون مما يدل على الإحساس بالتاريخ والتقدم وتوالى الأجيال[5]. فالأئمة فى العصر، والعصر عصر الأئمة[6].

ويحال إلى بعض المتون الأصولية القديمة المشهورة والأقل شهرة. وتتم مراجعتها والحكم عليها "وهذا الكلام صحيح"[7]. كما يحال إلى بعض المتون المعاصرة مثل "مدخل إلى الفقه المقارن" لتقى الدين الحكيم[8].

وتتأكد وحدة العمل والصلة بين الأصول والمنطق طبقا للتراث الأصولى التقليدى والذى أبرزه محمد باقر الصدر. كما يحال إلى باقى الكتب المنطقية[9].

---

(١) زرارة (٦)، ابن عبد الله، الشيخ ابن ادريس (٣)، الطبرسى، الباقر (٢)، الإمام الصادق، إسماعيل الصدر، الحلى، المجلسى، الكراكجى، ابن طاوس، ابن زهرة، القاضى، ابن بزيع، عبد الله الصادق، أبان، الحسن بن جهم، الرضا، الحارث بن مغيرة، أبو الحسين، عمرو بن حنظلة، الحميرى ...الخ (١).

(٢) آل البيت، المعصوم، الحسين (٢)، الأئمة عليهم السلام، الأئمة الأطهار، الإمام، فاطمة، ...الخ (١).

(٣) ابن حزم (٣)، الغزالى (٢)، أبو حنيفة (١)، الراوندى، الشهيد الأول، محمد تقى الأصفهانى، صاحب الحاشية على المعالم.

(٤) الأشاعرة (٨)، العدلية (٥)، الإمامية (٤)، الإخباريون، الفقهاء (٢)، علماء اللغة، المعتزلة، الشيخ الرئيس، الشيعة الإمامية، فقهاء الشيعة (١).

(٥) المتقدمون (٤)، المتأخرون (٣)، العصور المتأخرة ...الخ (١).

(٦) عصر أئمتنا، أصول الفقه ص٣٠٠.

(٧) العدة (٣)، جواهر الكلام، جامع السعادات، شرح التجريد، سلطان العلماء، المحقق فى المعتبر، كتاب البيع للشيخ الأعظم، المعالم، المحصول، رسائل الشيخ، كتاب القضاء، أصول الفقه ص٣٠٢.

(٨) أصول الفقه ص٤٣٠.

(٩) السابق ص١٧٣/٣٢٨.

٨-"منتهى الأصول" للبجنوردى (١٣٩٦هـ ق)[١]. وهو مؤلف جامعي مدرسي مثل المتن السابق، لا اتجاه له ولا يمثل مدرسة، من نوع الموسوعات التى تضيق وتتسع طبقا لحجم المادة المنقولة. لذلك يتسم بالرزانة والهدوء، وغياب السجال مع المذاهب والفرق داخل الشيعة وخارجها. ويظهر الاعتزال على استحياء فى شكر المنعم[٢]. كما يظهر المستوى الشعورى للتحليل فى وصف الكلام النفسى.

والبنية ثنائية طبقا للجزأين. فالأول يتضمن مقاصد ستة: الأوامر والنواهى، والمفاهيم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. وهى مباحث الألفاظ. أكبرها الأوامر ثم النواهى ثم العام والخاص مع المفاهيم ثم المطلق والمقيد، وأصغرها المجمل والمبين، فقرة واحدة[٣]. والثانى ثلاثية القطع والظن والأصول العملية بديلا عن الشك. وأكبرها الأصول العملية، وتشمل أصالة البراءة وأصالة الاشتغال والاستصحاب. وينتهى الجزء بخاتمة فى التعادل والتراجيح، وفى الاجتهاد والتقليد[٤]. وهناك وعى بالبنية الثلاثية، القطع والظن والشك[٥]. وليس الغرض من مباحث الألفاظ استنباط حكم بل تأسيسها على اليقين أو الظن أو الشك. وهو أقرب التعريفات المنطقية والأسلوب التعليمى منه إلى التجديد والتطوير لأصول الفقه الشيعى. وأحيانا يجعل المؤلف البنية ثلاثية: المقدمة والمقاصد والخاتمة. ويدمج الجزأين معا فى قسم واحد هى المقاصد الست بالإضافة إلى القطع والظن والأصول العملية[٦].

وهناك تشابه واختلاف بين البنية الثلاثية فى أصول الفقه عند السنة وعند الشيعة. فعند السنة، يبدأ الوعى التاريخى فى الأدلة الشرعية الأربعة، حوامل الوحى، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ثم يأتى الوعى النظرى الذى ينجلى فى مباحث الألفاظ. وأخيرا يتحقق الوعى العملى فى المقاصد والأحكام. أما عند الشيعة فتبدأ مباحث الألفاظ أى الوعى النظرى لأولوية النظر على العمل، والمعرفة على السلوك. ثم تأتى أنماط الاعتقاد والقطع والظن والشك كبديل عن الوعى التاريخى. فليس المهم هو الأدلة الأربعة بل صحتها ويقينها وقطعها خارج

---

(١) آية الله العظمى السيد ميرزا حسن البجنوردى: منتهى الأصول (جزءان)، مطبعة مؤسسة العروج، قم ١٤٢١هـ.

(٢) السابق جـ١/١٨٠/٢٨٠.

(٣) الأوامر (٣٦٨)، النواهى (٦٦)، المفاهيم، العام والخاص (٣٢)، المطلق والمقيد (٣٠)، المجمل والمبين (١).

(٤) الأصول العملية (٤٩٤)، الظن (١٢٤)، التعادل والتراجيح (٨٤)، القطع (٧٦)، الاجتهاد والتقليد (٤٠).

(٥) "وجه تثليث مقاصد البحث. وبعد فاعلم أن المكلف القادر على استنتاج المسائل الفقهية عن أدلتها التفصيلية إذا التفت إلى حكم شرعى لا يخلو من حالات ثلاث: إما أن يقطع به أو يظن به أو يشك فيه. واحتمال الوهم مندرج فى هذه الثلاثة باعتبار أن الوهم بأحد الطرفين به ظن بالطرف الآخر"، السابق جـ٢/٧.

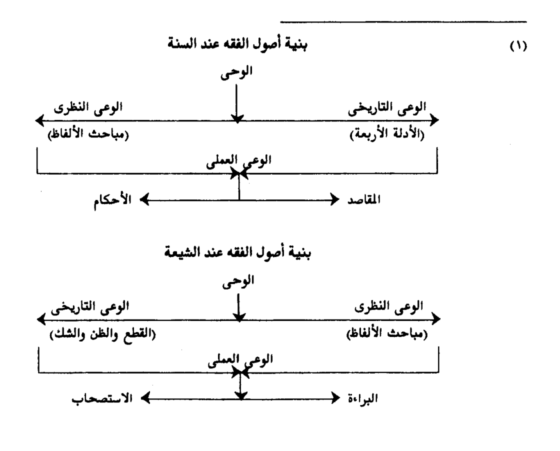
(٦) "وسميته بـ"منتهى الأصول" ورتبته على مقدمة ومقاصد وخاتمة"، السابق جـ١/١١.

الظن والشك. ثم تأتي الأصول العملية البراءة والاستصحاب كبديلين عن المقاصد والأحكام[١]. وعن طريقهما يتم التحول من النظر إلى العمل. فاللغة لها الأولوية على التاريخ عند الشيعة فى حين أن التاريخ له أولوية على اللغة عند السنة. فالسنة أصحاب سلطة. ومن يملك التاريخ يتحكم فى اللغة. والشيعة أهل معارضة، ومن يملك اللغة يحرك التاريخ.

مباحث الألفاظ مشتركة بين السنة والشيعة تغنى عن الأحكام، أحكام التكليف خاصة، عند الشيعة، ولا تغنى عنها عند السنة. وهى مشتركة بين الفرقتين. ولما كانت الأحكام من وضع الحاكم الجائر عند الشيعة وخاضعة للغة توجد مطوية داخل مباحث الألفاظ. والأدلة الأربعة أيضا خاضعة لمباحث الألفاظ، خاصة الكتاب والسنة، ورواية الإمام المعصوم وضرورة وجوده فى الخبر، وفى الإجماع، ويغنى عن القياس الشكلى والصورى عند أهل السنة. لذلك تعطى الأصول العملية حرية أكثر فى السلوك عند الشيعة أكثر مما تعطيه أحكام التكليف الخمسة عند السنة، بعدما طور الشيعة المباح إلى البراءة، والمندوب والمكروه إلى الاستصحاب.

وبتحليل الأسلوب يتضح أولوية "وبعبارة أخرى" مما يدل على الإسهاب والتطويل والشرح بأكثر من صياغة. كما يظهر بوضوح أسلوب القيل والقال، والرد على الاعتراضات مسبقا من أجل اتساق الفكر. ثم يظهر خطاب الجمهور والدعوة إلى المشاركة فى الفكر والمساهمة فى المعرفة. ويكشف المؤلف عن السر، ويبين ما خفى، ويحل الإشكال، وينبه على الغامض ويدفع

(١)



التوهمات، ويزيل الشكوك، ويبين الصحيح، وينصف فى الحكم، ويعطى الأدلة، ويوجز الكلام. ويعبر عن المراد والمقصود. ويحيل السابق إلى اللاحق تأكيدا على وحدة العمل وترابط الأجزاء، وشمولية النظرة[1]. ومعظم اللازمات فى أول الفقرات وليس فى آخرها.

ويعتمد النص على عديد من الآيات والأحاديث، والآيات أكثر[2]. ويغيب الشعر العربى كلية بالرغم من التقارب بين التجربتين الشعريتين العربية والفارسية. وتكثر أقوال الأئمة المعصومين، وقد تفوق الأحاديث النبوية. كما يستعمل أسلوب القيل والقال والرد على الاعتراضات مسبقا[3].

وتكثر الأعلام بأسمائها أو ألقابها، والألقاب أكثر. ونظرا لتكرار بعضها مثل شيخنا، أستاذنا، العلامة، المحقق، الفقيه فإنه يتم التداخل بين أصحابها. وقد يأخذ نفس الشخص أكثر من لقب كالمحقق والعلامة والفقيه والشيخ والأستاذ. ويتقدم أساتذة المؤلف مثل "شيخنا الأستاذ"، أستاذنا المحقق، شيخنا الأعظم (النصارى) ثم المؤلفون بمؤلفاتهم وليس بأسمائهم مثل صاحب الكفاية، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب المعالم، ثم صاحب الحاشية، ثم صاحب المدارك وصاحب الجواهر ...الخ. كما يظهر المؤلفون بألقابهم وأسمائهم مثل المحقق الطوسى، الفقيه (المحقق) الهمذانى، المحقق النائينى، المحقق الشريف ...الخ[4]. كما تتم الإحالة إلى

---

(١) بعبارة أخرى (٢٢٥)، القيل والقال (٢٢٠)، أنت خبير (١٣٨)، الحاصل (١٠١)، ومما ذكرنا ظهر (٨٦)، وإذا عرفت (٦٥)، والتحقيق أن (والحقيقة) (٦٠)، بيان ذلك (٤٧)، السر فى ذلك (٤٦)، الإشكال (حل) (٣٨)، تنبيه (تنبيهات) (٣٠)، توهم (٢٦)، الإنصاف (٢٣)، صحيح (ليس بصحيح) (١٨)، لا شك ، على كل حال (١٦)، لا يخفى (١٥)، اعلم.(معلوم) (١٤)، الدليل (يدل)، خلاصة الكلام (١٢)، من الواضح (يتضح) (١١)، ويتلخص، النقلات، إن شاء الله (٧)، وبعبارة أوضح، إحالة اللاحق إلى السابق (٦)، ولذلك نرى، والشاهد، مدفوع، الضابط، العجيب (٥)، وأنت تدرى، أفاد، المراد، المقصود، تتميم (٣)، فساد، واضح الفساد، ليس كما ينبغى (٢)، وهذا خلف، بعيد جدا، اعترض، يؤيد ما ذكرنا، بناء على ما ذكرنا، النتيجة، على كل حال، المختار، الصواب، ولعمرى هذا واضح جدا، لا شبهة، دعوى، تتأمل (١).

(٢) الآيات (٧٣)، الأحاديث (٣٤).

(٣) القيل والقال (٢٢٥).

(٤) شيخنا الأستاذ (١٦٠)، أستاذنا المحقق (٨٠)، شيخنا الأعظم (النصارى) (٥٤)، الإمام (٤٥)، صاحب الكفاية (٣٥)، صاحب الفصول (١٧)، المحقق القمى (١٠)، صاحب المعالم (٦)، صاحب الحاشية الشيخ (٤)، صاحب المدارك، صاحب الجواهر، المحقق الطوسى، الفقيه (المحقق) الهمذانى، الأردبيلى، البهبائى، بعض المحققين، المعصوم (٣)، المحقق النائينى، المحقق الشريف، الشيخ الأعظم، المحقق الثانى العلامة، المحقق (٢)، الشيخ البهائى، المحقق الرشتى، الشيخ الكبير، المحقق الخورانسارى، ابن قبة، الطبرسى، علم الهدى، الأستاذ، السيد، السيد المجاهد، المفيد الثانى، الأستاذ العراقى، السيد الصدر، المحقق السبزوارى (١).

محدثى الشيعة ورواتهم وأئمتهم المعصومين مثل زرارة، وأبـو عبـد الله، وأبـو جعفـر وغـيرهم[1]. ويضاف إليهم النبى. ويظهر بعض علماء السنة وفرقهم مثل أبو حنيفة، وأبـو هاشـم، والفـارابى من أصحاب الاتجاه العقلى[2].

ومن الطوائف والفرق يتقدم الإخبـاريون ثـم الأئمـة والمعتزلـة لقرابـة الشـيعة بـالاعتزال ثـم الأشاعرة[3].

ويحال إلى عديد من المؤلفـات فـى معظمـها شـيعى مثـل الكفايـة للخراسـانى والعديـد مـن الحواشى عليه، وعوالى اللآلى للاحسائى، والعدة للطوسى وغيرها من المتون[4].

وتظر بعض مصطلحات الأصول الخاصة بالشيعة فى صيغة المصدر الصريح مثل الهوهويـة، والتمامية، والتلبسية، والداعوية، والمانعية، واللاحرجية، والقهريـة، والفتوائيـة، والمنجزيـة أو فى صيغة النسبة مثل الأعمى المولدى (الأمر)، المقدمى[5].

ثالثا: تجديد علم الأصول.

١- "المعـالم الجديـدة للأصـول" لمحمـد بـاقر الصدر (ت١٤٠٠ق/١٣٥٩ش)[6]. ثـم جاءت نهضة ثانية لعلم الأصول الشيعى بعد النهضة الأولى. فى القرنين الثـالث والرابـع عشـر، يمثلها محمد باقر الصدر الذى أخذ كبداية للإصلاح مع غيره مـن البدايـات فـى علـم التفسـير،

---

(١) زرارة، أبـو عبـد الله، أبـو جعفـر (٥)، أبـو جـهور الاحسـائى، الحسـين (٣)، زكريـا بـن آدم، أمـير المؤمنـين الصادق (٢)، محمد بن الحسن، الصادق، أبو الحسن، كميل، مقام بن سالم، صفوان، ابـن ادريـس، الحلبـى، اسحق بن عمار، حسن بن جهم، أبان بن تغلب، ابن أبى يعفور، العقرقوقى، أبـو بصـير، علـى بـن المسيب، يونس بن عبد الرحمن، ابن ادريس النبى، الفاضل التونى، محمد القاشانى، سـيدنا الأسـتاذ، المحقـق العلامـة النراقى، الشيخ محمد تقى، صـاحب الفرائد، مشـايخ أسـاتذينا، الشـارح المقدسـى، المحقـق المحشـى، فخـر المحققين، صاحب الحجة (١).

(٢) أبو حنيفة، أبو هاشم المعتزلى، الشيبانى، الباقلانى، الشيخان الفارابى وابن سينا.

(٣) الإخباريون (٥)، الأئمة، المعتزلة، الإمامية (٤)، الأشاعرة، بعض المتحققين (٢)، المنطقيون، المنطقـى، الفقـهاء المجتهدون، جمع من المحققين، مشايخ أستاذينا (١).

(٤) الكفاية (٧)، حاشية على الكفاية، العوالى اللآلى (٣)، العدة، التقريـرات (٢)، المسـالك، المعـالم، حاشـية علـى المعالم، البرهان، الخصال، حاشية على فرائد الشيخ الأعظم (١).

(٥) منتهى الأصول جـ١/٨٦/٩٩/١١٢/٥٠٠/٥٢٤/٥٩٧، جـ٢/١٠٢/١٢٧-١٢٨/٣٤٣/٤٣١/٧٨٥.

(٦) السيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة للأصول (دروس تمهيدية فى علم الأصول)، دار التعـارف للمطبوعـات، ط٣ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، وكتب سنة ١٣٨٥هـ فى النجف الأشرف.

التفسير الموضوعى للقرآن، وفى علم التاريخ، السنن التاريخية فى القرآن، بل وفى المنطق فى الأسس المنطقية للاستقراء. ويبدو الإحساس بالجدة فى عنوان كتابه "المعالم الجديدة للأصول". والهدف إعادة بناء علم الأصول ككل وليس مجرد تجديد أحد جوانبه الجزئية مثل مشروع "التراث والتجديد" الذى يحاول إعادة بناء العلوم الإسلامية القديمة كلها طبقا لظروف العصر. وهو مركز للغاية. يحمل الدعوة للتجديد، ويعطى النموذج. ويدل العنوان الفرعى "دراسة تمهيدية فى علم الأصول" أنه كتاب للمبتدئين بالإضافة إلى تقديم معلومات عامة للهواة[1]. وكانت النية تقديمه على ثلاث حلقات ثم اكتفى بالحلقة الأولى[2]. ويعتمد على الاقتباس فى صلب الصفحة كما هو الحال فى التأليف المدرسى[3].

وتتمثل الحدة فى نقد المدرسة الإخبارية التى تعادل أهل الأثر وأنصار النقل عند أهل السنة من أجل الدفاع عن المدرسة العقلية والتى تعادل أهل الرأى وأنصار العقل عند أهل السنة. وهو الصراع بين المحافظين والإصلاحيين. وبالرغم من هذا النقد إلا أن الكتاب لم يشأ الخوض فى المناقشات والاحتجاج، وتجاوز المنهج الجدلى إلى المنهج البرهانى[4]. والتاريخ للعلم قبل بنيته دلالة على التحول من مرحلة إلى مرحلة، نهاية الإخباريين وبداية الإصلاحيين كما حدث فى الفلسفة اليونانية لدى أرسطو مؤرخا، وفى الفلسفة الإسلامية لدى ابن رشد مؤرخا، وكما حدث فى علم الكلام عند محمد عبده مؤرخا لنشأة الفرق فى مقدمة "رسالة التوحيد". كان العقل عند أهل السنة رد فعل على النقل الشيعى. وكان النقل عند الشيعة رد فعل على العقل السنى[5]. ويعتمد أصول الفقه الشيعى على بعض الأصول الاعتزالية مثل الحسن والقبح العقليين[6].

ويجمع الكتاب بين الدراسة والتجاوز، بين التاريخ والبنية، بين وصف الحالة الراهنة لعلم الأصول ثم الدعوة إلى تجديده. فالدراسة أشبه بالدراسات التاريخية الثانوية المعاصرة التى يكتبها الأساتذة والمتخصصون فى علم الأصول. والتجاوز هى الدعوة الجديدة لتجاوز الإخباريين

(١) لذلك يعطى نماذج الأسئلة التى يجيب عليها علم الأصول، السابق ص٢١، ثم أعيد نشر الحلقة الأولى مع الثانية والثالثة بعنوان "دروس فى علم الأصول"، دار المنتظر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) السابق ص٦-٧.

(٣) السابق ص٣٧/٤٩/٨٦-٨٧.

(٤) السابق ص٦.

(٥) السابق ص٤٢-٤٤.

(٦) السابق ص١٤٩-١٦٠.

إلى التجديديين. فهى دراسة تاريخية ونص إبداعى من دارس مجدد. لذلك انقسم إلى قسمين متساويين تقريبا. الأول المدخل إلى علم الأصول، والثانى بحوث علم الأصول[1]. ويضم القسم الأول تعريف العلم، وجواز عملية الاستنباط، والوسائل الرئيسية للإثبات فى علم الاصول، وتاريخ علم الأصول، ومصادر الإلهام للفكر الأصولى، وعطاء الفكر الأصولى وإبداعه، وأخيرا الحكم الشرعى وتقسيمه. وأكبرها تاريخ علم الأصول الذى يستغرق نصف المدخل[2]. أما القسم الثانى "بحوث علم الأصول" فتنقسم إلى نوعين: الأول، العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الدليل. والثانى العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الأصل العملى. وهو التقابل بين النظر والعمل. والأول أكبر من الثانى بمقدار ثلاثة أضعاف[3]. والأدلة ثلاثة: الدليل اللفظى، والدليل البرهانى، والدليل الاستقرائى. وقد تتعارض الأدلة. وأهمها اللفظى ثم البرهانى ثم الاستقرائى. وهو التقابل بين اللفظ والمعنى والشىء[4]. والأصول العملية أربعة: العقل، وأصالة البراءة، ومنجزية العلم الإجمالى، والاستصحاب. وأهمها منجزية العلم الإجمالى ثم الاستصحاب[5]. وكما تتعارض الأدلة النظرية تتعارض أيضا الأصول العملية. ومن ثم غابت البنية الأصولية عند السنة،.مصادر الشرع الأربعة، والأحكام والمقاصد، والمفتى والمستفتى.

وقد تطور علم أصول الفقه فى التاريخ. وشتان ما بين الزمن الأول وهذا الزمن[6]. فقد ولد علم الأصول فى أحضان علم الفقه. وكان هشام بن الحكم تلميذ الإمام الصادق فى "رسالة الألفاظ" هو المؤسس للعلم قبل الشافعى! وظل علم الأصول متذبذبا بين علم الفقه وعلم أصول الدين. كانت الحاجة إلى علم الأصول حاجة تاريخية خالصة. ثم سبق السنة الشيعة فى وضع أصول العلم. ثم توقف بعد الشاطبى. ثم استأنف الشيعة العلم فى القرنين الماضيين قبل أن يحاول علال الفاسى محاولة تجديد مقاصد الشريعة. لقد أسس الطوسى العلم ثم توقف بعده وساد التقليد. ثم استأنف ابن إدريس. ثم سار من صاحب السرائر إلى صاحب المعالم. ثم منى العلم بصدمة جديدة من الإخباريين ورائدهم الاسترابادى معتمدين على أهل الظاهر فى نفى القياس. ويبدأ التجديد

---

(١) المدخل إلى علم الأصول (١٠٠)، بحوث علم الأصول (٩٠).

(٢) ١- تاريخ علم الأصول (٤٤) ٢- تعريف علم الأصول (١٧) ٣- الوسائل الرئيسية للإثبات فى علم الأصول (١٦) ٤- مصادر الإلهام للفكر الأصولى (٩) ٥- جواز عملية الاستنباط (٨) ٦- عطاء الفكر الأصولى وإبداعه (٥) ٧- الحكم الشرعى وتقسيمه (٣).

(٣) ١- العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الدليل (٦٧) ٢- العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الأصل العملى (١٨).

(٤) ١- الدليل اللفظى (٣٤) ٢- الدليل البرهانى (١٥) ٣- الدليل الاستقرائى (١١) ٤- التعارض بين الأدلة (٥).

(٥) ١- منجزية العلم الإجمالى (٦) ٢- الاستصحاب (٤) ٣- العقل (٣) ٤- أصالة البراءة "تعارض الأدلة" (٣).

(٦) المعالم الجديدة ص٦/٤٦-٨٩/٩٣-٩٥.

الحديث بتغيير الجذور المزعومة للحركة الإخبارية حتى ينتصر العلم وتظهر المدرسة الإصلاحية الجديدة. وبالتالى مر علم الأصول الشيعة بثلاثة عصور. الأول العصر التمهيدى ووضع البذور الأساسية بفضل ابن عقيل وابن الجنيد وينتهى بظهور الطوسى. والثانى عصر العلم، عصر الطوسى وابن إدريس والحلى والعلامة والشهيد الأول. والثالث عصر الكمال بفضل الوحيد البهبهائى[1].

ونظرا لتاريخ علم الأصول كثرت أسماء الأعلام وأسماء المصادر القديمة والحديثة. ويتقدم الأعلام الشيخ الطوسى أو الشيخ أو الشيخ الرائد فقط مؤسس علم الأصول الشيعى، فالنهاية أو البداية الجديدة تحيل إلى البداية الأولى، ثم السيد المرتضى وهو المؤسس الثانى للعلم، ثم المحقق الحلى، والوحيد البهبهائى أو الأستاذ الوحيد، ثم الشيخ المفيد المؤسس الثالث للعلم ثم الاسترابادى مؤسس المدرسة الإخبارية التى يتم نقدها، ثم الخونسارى والقمى والكلينى والمجلسى والنراقى والخراسانى وعشرات غيرهم من المحطات الرئيسية فى تطور علم أصول الفقه الشيعى. ويذكر أعلام السنة نظرا للتقريب بين المذهب كأحد التيارات الإصلاحية المعاصرة مثل أبى حنيفة والشافعى والغزالى[2]. وأحيانا يكتفى بالمؤلف ونسبته لكتابه مثل صاحب السرائر وصاحب المعالم سواء المؤلف أو ابنه[3]. وتتجمع الأعلام فى القسم الأول التاريخى فى حين يكاد يخلو القسم الثانى البنيوى منها.

ومن أعلام الشيعة ورواتهم وأئمتهم يتقدم ابن إدريس، ثم ابن الحفيد، ثم المعصوم، ثم

---

(١) وقد تعاقبت ثلاثة أجيال فى العصر الثالث. الأول تلامذة الوحيد مثل بحر العلوم (ت١٢١٢)، جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٧)، القمى (ت١٢٢٧)، الطبطبائى (ت١٢٢١)، التسترى (ت١٢٣٤). والثانى محمد تقى بن عبد الرحيم (ت١٣٤٨)، محمد شريف بن حسن بن على (ت١٢٤٥)، الأعرجى (ت١٢٢٧)، النراقى (ت١٢٤٥)، النجفى (ت١٢٦٦). والثالث مرتضى الأنصارى (ت١٢٨١) الذى عاصر نشأة المدرسة الجديدة.

(٢) (الشيخ) الطوسى (٧٣)، السيد المرتضى (١٦)، المحقق الحلى، الوحيد البهبهائى (الأستاذ الوحيد) (٩)، الشيخ المفيد، أبو حنيفة، ابن زهرة الحلبى (٧)، الاسترابادى (٦)، ابن عقيل (٥)، الشافعى، البحرانى، صدر الدين، الأنصارى، الشيخ الرائد (٣)، الخونسارى، القمى، الغزالى، محمد تقى الدين عبد الرحيم، الكلينى، ابن بابويه القمى (٢)، ابن المطهر، ابن زين العابدين، البهائى، الأعرجى، العافى، الاسكافى، المجلسى، القاسانى، النراقى، النجفى، الخراسانى، التونى، الشيروانى، محمد شريف، جمال الدين، بحر العلوم، كاشف الغطاء، المرزا، القمى، الطبطبائى، التسترى، الزبيرى، الهمدانى، المدنى، النوبختى، النجاشى، الطرابلسى، الكراكجى، الشيخ منتجب الدين، المظفر، الصهرشتى، الشعبى، ابن سيرين، الأصفهانى، الأشعرى، الجزائرى، البحرانى، الأعرجى، الحمصى، الحسن القمى، الاسكافى، الشيبانى، الديلمى (١).

(٣) صاحب المعالم (٢)، صاحب السرائر، صاحب الرياض، ابن صاحب الحاشية على المعالم (١).

الإمام الصادق، ثم النبى والحسن، ثم زرارة والإمام وعشرات غيرهم[1].

ونظـرا لأن مـن بواعـث التجديـد الثاقفـة الغربيـة الحديثـة يشـار لأول مـرة إلى أعلامها مثل رسـل ثـم بيكـون ولـوك وهيـوم وكلـهم مـن المذهـب التجريبـى الاسـتقرائى. لذلك كتـب المؤلـف أيضـا "الأسـس المنطقيـة للاسـتقراء" لتفنيـد الاسـتقراء السـاذج، أن التجربـة تصنـع فكـرا، وأن الإحصـاء ينتـج قانونـا[2]. فالتجربـة والبداهـة أساسـا التحديـث فـى علـم الأصول[3]. كما يستعمل بعض الأسئلة اللغوية كمـا هـو الحـال فـى علـم اللغـة الحديـث. ويـبرز الأساس النفسى للغة، ويميز بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية[4].

ومن المجموعات، الطوائـف والفـرق والمذاهـب، يتقدم الأئمـة والفقـه الإمـامى والإمـاميون والأئمة وأصحاب الأئمة بطبيعة الحال، ثم يأتى الإخباريون والإخبارية وهى المدرسـة التقليديـة التى تعتمد على النقل دون العقل والتى يتـم نقدهـا لإفسـاح المجـال للاجتـهاد الجديـد مـع آل البيت أهل الاستقامة، وعلماء الشيعة، ثم الأصوليون على الإطلاق وأصحابنـا علـى التقييـد، ثـم الفقهاء والمحدثون إحالة إلى القدماء والمحدثين وغيرهم. ويحال إلى أهل السنة وبعض فرقهم مثل الأشاعرة، ومذاهبهم مثل الحنفى[5].

ومن المصادر القديمة والحديثة المحال إليها تأتى الأمهات التأسيسـية الأولى لعلـم الأصـول مثل "المبسوط" و"العدة" للطوسى، ثم "الذريعة" للسـيد المرتضـى و"السـرائر" لابـن إدريـس، ثـم "الغنيمة" لابن زهرة الحلبى و"الدرر النجفية" للبحرانى، ثم "الانتصار" و"التـهذيب" و"المعـالم"

---

(١) ابن إدريس (٢٦)، ابن الحفيد (١٠)، المعصوم (٩)، الإمام الصادق (٦)، النبى، الحسن (٣)، زرارة، الشيخان، الفاضلان، الشهيدان، الإمام (٢)، محمد بن مسلم، على بن مهزبار، هشام بن الحكم، أبو جعفر الموسوى، ابـن الحسن، موسى بن جعفر، محمد بن الحسن، الصدوق، أبو عبد الله، حسن بن زين العـابدين، أمـير المؤمنـين، محمد بن أبى عمير، يونس،...(١).

(٢) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاسـتقراء، دراسـة جديـدة للاسـتقراء تسـتهدف اكتشـاف الأسـاس المنطقـى المشترك للعلوم الطبيعية والإيمان بالله، دار التعارف للمطبوعـات، ط ٤، بـيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهـو نفـس موقف لاشيلييه فى كتابه الشهير "أسس الاستقراء" Lachelier: Les Fondement de l'Induction.

(٣) المعالم الجديدة ص٣٠/٣٣/٤٤-٤٥.

(٤) السابق ص١٢٢-١٢٦.

(٥) الإمامية، الفقه الإمامى (١٥)، الإماميون (٨)، الأئمة (٥)، أصحاب الأئمة (١)، الإخباريون، أهل البيـت (٩)، الإخبارية، علماء الشـيعة (٧)، الأصوليـون، أصحابنـا (٤)، الفقـهاء، المحدثـون (٢)، فقـهاء العامـة، الـرواة، الصادقون، المعصومون (١)، السنة (٣)، الأشاعرة، الحنفى، المحمدية (١).

و"الوسائل" و"الكافى"، وبعض الكتابات السجالية من المدرسة الإخبارية للرد على أنصار القياس[1].

ومع ذلك، تربط "المعالم الجديدة" بين شقى الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين، الأول لأصول النظر، والثانى لأصول العمل[2]. ونظرا للطابع المعرفى النظرى الخالص لأصول الفقه الشيعى تداخل العلمان[3]. كما يتداخل علم أصول الفقه مع علم الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين. ومازالت عصمة الأئمة تلعب دورا منطقيا معرفيا فى علم الأصول. وهى مقولة خارج نسق العقل والمنطق[4]. وبالرغم من نوايا التقريب إلا أنه مازال ينقد أهل السنة وفقهاء العامة. ورفض تصويب الجميع احتراما لآل البيت. ويتعاطف مع الأشعرية أكثر مما يتعاطف مع الاعتزال. ومازالت بعض المصطلحات المميزة لأصول الشيعة عن طريق المصدر الصريح مثل "حجية" و"منجزية"[5]. ويعتبر القياس خطوة من الاستقراء بالرغم من التمييز بينهما[6].

ومازالت تظهر فى محاولة التجديد بعض المصطلحات القديمة المكونة من المصدر الصريح مثل حجية[7].

٢- "دروس فى علم الأصول" لمحمد باقر الصدر[8]. ويشمل الحلقات الثلاث التى

---

(١) المبسوط (١٥)، العدة (١١)، الذريعة، السرائر (٧)، الغنيمة، الدرر النجفية، الانتصار، التهذيب (٢)، تهذيب الوصول إلى علم الأصول، مبادئ الأصول، المعالم، زبدة الأصول، البحار، الوافى، الحدائق، البرهان، الوافية فى الأصول، مشارق الشموس، الفوائد الحائرية، نهج الأصول إلى معرفة الأصول، رسالة فى الألفاظ، النهاية، من لا يحضره الفقيه، كتاب المعارج، الوسائل، للتقريب فى أصول الفقه، المختصر، مقابس الأنوار، الكافى، الفوائد، وسائل الشيعة، شرائع الإسلام، الاستفادة فى الطعون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس (الزيدى)، الرد على من رد آثار الرسول واعتمد على نتائج العقول (الدنى)، الرد على عيسى بن أبان فى الاجتهاد (النوبختى)، الرد على ابن الجنيد فى الاجتهاد والرأى (الشيخ المفيد) ...الخ (١)، السابق ص٢٤-٢٥.

(٢) لذلك يربط العلم بالإيمان بالله فى البداية وبالتمييز بين العالم التكوينى والعالم التشريعى فى النهاية، المعالم الجديدة ص٥/١٤٧.

(٣) السابق ص٥-٨.

(٤) السابق ص٣٢/٣٧/٤٠/١٦٧-١٧٥.

(٥) السابق ص١٣٩-١٤٤/١٨٠-١٨٧.

(٦) السابق ص١٦٤.

(٧) السابق ص١٠.

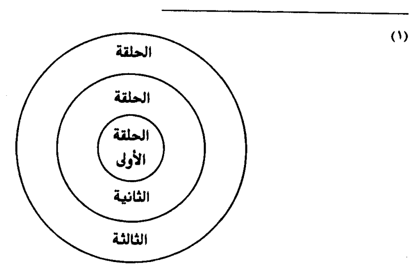
(٨) السيد محمد باقر الصدر: دروس فى علم الأصول، المجلد الأول، الحلقة الأولى والثانية، المجلد الثانى، الحلقة الثالثة، دار المنتظر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أعلن عنها من قبل. وهى مادة مكررة فى الحلقات الثلاث إنما تضيق وتتسع من الحلقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة كدوائر متداخلة(1). والغاية منها تدريس مادة علم أصول الفقه على ثلاث سنوات متتالية أو على ثلاث مراحل متعاقبة(2). وهو ما يصرح به فى العنوان الفرعى تحت الحلقة الأولى "كتاب دراسى فى علم أصول الفقه أعد للمبتدئين فى دراسة هذا العلم". لذلك تكثر الكتب وتتضخم بسبب تكرار المادة العلمية خاصة وأنها منقولة عن السابقين، والإبداع فيها قليل. ولم يحدث التراكم التاريخى الكمى ليحدث اختراقا نوعيا جديدا. الإعلان ضخم فى البداية عن ضرورة التجديد ثم تأتى الدروس فى النهاية مدرسية تقليدية كما فعل ابن سينا فى "منطق المشرقيين"، الإعلان عن إبداع منطق للمشرقيين غير المنطق اليونانى ثم أتى فى النهاية منطقا صوريا أرسطيا خالصا(3). وقد كتبت الحلقات الثلاث فى مدة شهرين!(4). والعلم عائلى من الجد إلى الأب إلى الحفيد كما اتضح ذلك فى فى علاقة مصطفى الخمينى بأبيه جد أولاده. كذلك تهدى الدروس إلى ولد المؤلف البار العزيز السيد عبد الغنى الاردبيلى الذى قضى نحبه قبل الانتهاء من كتابة الحلقات.

ويعلن فى المقدمة عن الرغبة فى التطوير والتجديد عن طريق الكتب الدرسية وتحسينها. وهناك عدة مبررات لاستبدال كتب التدريس الشائعة فى الحوزة العلمية ووضع كتب أخرى(5). الأول أن الكتب القديمة تعبر عن مراحل مختلفة للفكر الأصولى ومن ثم الحاجة إلى وضع كتاب

---

(1)



(2) مثل مرحلة الليسانس ثم الماجستير ثم الدكتوراه وهما حلقتان فى الحوزة العملية مرحلة تمهيدية، مرحلة السطح والثانية مرحلة عالية، مرحلة الخارج. وتعنى الحلقة هنا كلمة Cycle.

(3) من النقل إلى الإبداع.

(4) دروس فى علم الأصول جـ1/5.

(5) جرى العرف فى الحوزه العلمية على اختيار المعالم والقوانين والرسائل والكفاية، السابق جـ1/9-10.

جديد يعبر عن المرحلة الحالية. والثانى أن الكتب السابقة تعبر عـن آراء مؤلفيـها وليسـت كتبـا مدرسية "محايدة" وكأن التأليف الأصولى لا يكون إلا مدرسيا. والثالث كتابة المؤلفين لأمثالهم بما فى ذلك الاستطرادات وليس لطلابهم أو للثقافة العامة وكأن التأليف الأصولى لا يكون للأصوليـين بل للطلاب وللعامة. والرابع أن مضمون العلم الأصولى القديم ومصطلحاته لم تعد تعبر عن الواقـع الحالى وشتان ما بين زمان الوحيد البهبانى واليوم. والحقيقة أن النتيجة الجديدة لم تختلف فى مضمونها ومصطلحاتها عن النتائج القديمة[1].

وقد صدرت عدة محاولات لتجديد العلم الأصولى المدرسى مثل "مختصر الفصول" بـدلا مـن "القوانين"، و"الرسائل" الجديدة" اختصارا لـ "الرسائل" القديمة، و"أصول الفقـه" كوسيط بـين المعالم من ناحية والرسائل والكفاية من ناحية أخرى ولكنها لا تفى بكل مقتضيات التجديد لعدة أسباب. أولا، الاقتصار على السطح دون الدخول فى العمق. ثانيا، التغير فى البنيـة إلى رباعيـة بدلا من الثنائية كان مجرد تقسيم شكلى. ثالثا، عدم تعبير الكتـب الجديـدة عـن فحـوى واحـد متقارب كما وكيفا[2].

لذلك تم تقسيم الدروس إلى ثلاث حلقات للتدرج فى العلم مع وحدة المنـهج مـع اختـلاف المستويات ودون الدخول فى كل التفصيلات والأدلة، مع الإبقاء على بعض التواصـل مـع البنيـة الثنائية القديمة، مباحث الألفاظ والأدلة العقلية، مع تغيير التسمية إلى مباحث الأدلـة والأصـول العلمية، ثم قسمة الأدلة إلى شرعية وعقليـة، ثـم قسـمة الدليـل الشـرعى إلى بحـث فـى الدلالـة وبحث فى السند والبحث فى حجية الظهور. وتمتاز هذه البنية علـى البنيـة الثنائيـة التقليديـة وعلى البنية الرباعية للمحقق الأصفهانى. كما ابتـدأت الـدروس مـن البسـيط إلى المركـب. ومـيزة الحلقات الثلاث هو التفكير فى تخلق البنية من الأصـول إلى الفـرع مـع الحـرص علـى التواصـل والانقطاع بينها، تواصل الأصول، وانقطاع الفروع. ومـع ذلـك تم الإبقـاء علـى العبـارة الأصوليـة التقليدية حتى لا يقع الانقطاع مع التراث الأصولى القديم، يعرفها العربـى والفارسـى ولا تخـص لغة قوم بعينـهم. وأخـيرا توخـت الـدروس الجديـدة الوضـوح وسـلامة العـرض دون الوقـوع فـى الاختيارات المذهبية حتى لا يتأثر الطلاب بها[3]. وبالنسبة للطلاب، القادر علـى معرفـة القديـم مثل "الكفاية" و"المعالم" قادر على معرفة الجديد. فالجديد لا يغنى عن القديم، والقديم لا يغنـى عن الجديد. والقادر على قراءة الحلقة الأولى قادر علـى الثانيـة والثالثـة. وفـى "المعـالم الجديـدة

(١) السابق ص١٠-١٩.

(٢) السابق ص١٩-٢١.

(٣) السابق ص٢١-٢٨.

للأصول" خلاصة للدروس. وكلاهما لا يغنى عن الأستاذ[1].

والبنية تقليدية. الحلقة الأولى هى البنية الثنائيـة فـى "المعـالم الجديـدة للأصـول" المقدمـة والبحوث، والبحوث أكبر[2]. فى المدخل التاريخ، وفى البحوث البنيـة. وهـى نفـس البنيـة فـى الحلقة الثانية أيضا مع مزيد من التفصيل فى الدليل الشرعى، اللفظـى وغـير اللفظـى، والدليـل العقلى ثم الأصول العملية. والدليل اللفظى أكبر. والأصول العمليـة هـى نفسـها الأصـول الأربعـة السابقة، العقل وأصالة البراءة ومنجزية العلم الإجمالى والاستصحاب[3]. والحلقة الثانية لها نفس البنية السابقة للحلقتين الأولى والثانية مع مزيد من التفصيل والمصطلحات الجديدة مثـل "الأدلـة المحرزة" و"حجية القطع"، والشك. ويوازى الدليل الشرعى الأصـول العمليـة مـن حيـث الكـم. والأقل الدليل العقلى[4]. ويتم تفصيل الدليل اللفظى إلى مباحث الألفاظ الشهيرة عند أهل السنة، الأمـر والنـهى، والإطـلاق (دون التقييـد)، والعمـوم (دون الخصـوص)، والمفـاهيم مثـل الشـرط والوصف[5]. وتدخل مباحث الأخبار، التواتر والآحاد فى وسائل الإثبات الوجدانـى[6]. والحلقـة الثالثة تكرار لحكم الشرعى وأقسامه والدليـل الشـرعى والدليـل العقلى (الجـزء الأول)، وتكـرار للأصول العملية الأربعة فى حالة الشك. ونظرا لأهمية الاستصحاب فإنه يدخـل فـى الأدلـة مـع الدليل الشرعى والدليل العقلى كما يدخل فى الأصول العملية مع الشك والتعـارض فـى النوعـين من الأدلة الشرعية والعملية.

وقد يكون الجديد هـو نقـل العلـم مـن المسـتوى الصـورى الخـالص إلى المسـتوى الوجدانـى والمعرفة الوجدانية والإثبات الوجدانى[7].

والشواهد النقلية قليلة. والآيات أكثر من الأحاديث[8]. والشرح العقلى واضح للتلاميـذ. ولا يشار إلى الأعلام إلا فى المقدمة التعليمية التاريخية. أمـا البحـوث فتعتمـد علـى العـرض العقلـى النظرى الخالص. وتغيب الشواهد الشعرية. فالشـعر العربـى ليـس رصيـدا رئيسـيا فـى الوجـدان الفارسى.

---

(١) السابق ص٢٨-٣٠.

(٢) البحوث (٨٢)، المقدمة (٤٨)، السابق جـ٢/٢٩.

(٣) الدليل اللفظى (٣٦)، الأصول العملية (٢٢)، الدليل العقلى (١٥).

(٤) الدليل اللفظى (٩٨)، الأصول العملية (٩٥)، الدليل العقلى (٥٦).

(٥) دروس فى علم الأصول جـ٢/٦٦-١٠٤.

(٦) السابق ص١٠٨-١٣٠.

(٧) الإثبات الوجدانى، السابق جـ١/١٠٨-١١٨، جـ٢/١١٩-١٢١.

(٨) الآيات (٢٨)، الأحاديث (٢).

كما أن أسماء الأعلام قليلة. وهما نوعان: الأول أعلام الأصول سواء بأسمائهم أو بنسبتهم إلى مؤلفاتهم مثل المحقق النائينى ثم صاحب الكفاية والمحقق العراقى، ثم الشيخ الأنصارى، ثم المحقق الأصفهانى، ثم المحقق الخراسانى، ثم صاحب الفصول وغيرهم[1]. والثانى رواة الشيعة وأعلامهم وأئمتهم وفى مقدمتهم بطبيعة الحال زرارة ثم أبو عبد الله ثم عبد الله بن سنان ثم الإمام والصادق، ثم أبو جعفر والحسن والباقر وحنظلة والحجة والحميرى وغيرهم[2]. ومن الطوائف الأصوليون والاعلام ثم المحققون[3].

٣- مباحث الدليل اللفظى "مباحث الحجج والأصول العملية" لمحمد باقر الصدر[4].(١٣٥٩ش)

"مباحث الدليل اللفظى" مع "مباحث الحجج والأصول العلمية" يكونان معا القسمة الثنائية لعلم أصول الفقه الشيعى التى تضم ما يعادل مباحث الألفاظ ومصادر الشرع دون الأحكام والمقاصد المعروفة عند أهل السنة. وهو كتاب واحد من سبعة أجزاء، ثلاثة للدليل اللفظ وأربعة للحجج والأصول العملية بالرغم من تمايز العنوانين. وهى تقريرات من تأليف السيد محمود الهاشمى وليست من تدوين محمد باقر الصدر. كتبت لطلاب الدراسات العليا لتطوير برامج الدراسة[5]. لذلك ارتبط بتاريخ التأليف الدرسى فى الحوزات العلمية مقارنة بتأليف القدماء. وقد وضع أسس هذه المدرسة الجديدة محمد باقر الصدر وولده الصادق تطويرا للكتب القديمة مثل "أصول آل الرسول"، "الأصول الأصلية" بعد الرواد الأوائل مثل الشيخ المفيد والإرهاصات الأولى قبله عند هشام بن الحكم فى "مباحث الألفاظ"، ويونس عبد الرحمن فى "اختلاف الحديث"، والشافعى فى "الرسالة"[6]. ويتسم الكتاب بالشمول والموسوعية، والاستيعاب والإحاطة، والإبداع والتجديد، والمنهجية والتنسيق، والنزعة المنطقية والوجدانية، والذوق الفنى والإحساس العقلانى وبالقيمة الحضارية المقارنة[7]. ونظرا لضخامة العمل يحيل

---

(١) المحقق النائينى (١٢)، صاحب الكفاية، المحقق العراقى (٧)، السيد الأستاذ (٥)، الشيخ الأنصارى (٤)، المحقق الأصفهانى (٣)، المحقق الخراسانى، المحقق الثانى، صاحب الفصول، الميرزا (١).

(٢) زرارة (٦)، أبو عبد الله (٤)، عبد الله بن سنان (٣)، الإمام، الصادق (٢)، أبو سعيد الزهرى، أبو جعفر، الحسن، جميل، الباقر، حنظلة، عبد الرحمن بن أبى عبد الله، الحجة، الحميرى، على بن مهزيار (١).

(٣) الأصوليون، الأعلام (٢)، المحققون (١).

(٤) السيد محمد باقر الصدر: مباحث الدليل اللفظى (٣ أجزاء)، تقريرات الشهيد السعيد الأستاذ آية الله العظمى، تأليف السيد محمود الهاشمى، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامى، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٥) السابق جـ١/١٥.

(٦) السابق ص٥-٦.

(٧) السابق ص٧.

السابق إلى اللاحق، واللاحق إلى السابق[1].

وكالعادة تبدأ مراجعة التاريخ والمقارنة بين القدماء والمحدثين وبإعادة تحديد علاقة العلم بالفقه واللغة والفلسفة[2]. ومع ذلك تظهر المصطلحات الشيعية الخالصة المكونة من النسبة أو من المصدر الصريح[3].

ويغلب على الأصول الطابع المعرفى اللغوى المنطقى على مستوى الشعور. لذلك يغيب الواقع كله، الواقع العريض والواقع الثورى بالرغم من الإشارة إليها كإطار خارجى للعصر[4]. ومع ذلك يحال إلى موضوع الصلاة فى المكان المغصوب الذى يمكن أن يؤدى إلى لاهوت الأرض

---

(١) السابق جـ٤/١٨٢.

(٢) السابق جـ١/١٩-٢٨٣/٣٥، جـ٤/٢٣٣.

(٣) النسبة مثل: المولوى جـ٢/٢٣٠، جـ٤/٢٨-١٥٢/٣٠-١٥٣، جـ٥/٣٨٥/١٧٩، جـ٦/٢٩٩، جـ٧/٩٦، التزاحم الملاكى جـ٣/٦٦/٦٤، جـ٤/٢٠٨/١٥١، تنجيزى جـ٤/١٥٢/١٦٦-١٦٧، التزاحم اللحظى جـ٤/٢٠٨/١٥١، التزاحم الامتثالى جـ٤/١٥١، القهقرائى جـ٦/١٤، الفوقائى جـ٧/٣٢٣، الجهتى جـ٧/٤٠٩، الولائى جـ٧/٥٥. المصدر الصريح مثل: الكبروية جـ١/٦٠/٢٦، جـ٢/١٣٥، جـ٣/٣٣٤/٩١/٣٩، جـ٤/٢٥١/١٦١، جـ٥/٧١، جـ٦/١١٠، الصفروية جـ١/٦٠/٢٦، جـ٢/٢٨٨/٨٩، جـ٣/٣٣٤/٩١/٣٩، جـ٤/٢٥١، جـ٥/١٤٠، الإيجادية جـ١/٢٩٢-٢٩٣، المحبوبية جـ٢/٨٧-١٣٩/٨٨-١٤٠، المبغوضية جـ٢/٨٧-١٣٩/٨٨-١٤٠، جـ٣/٧١/٣٠/ ١٢١/٩٥/٨٠، المقدمية جـ٢/٢٨٦/٢٣٩، جـ٣/٩١، الفوقية والتحتية جـ٣/٤٣، الكاشفية جـ٤/٧٠-١٢٤/٨٤/٧١، جـ٦/٣١١، جـ٧/٤١٧، لحاظ المنجزية جـ٤/٧٨، الطريقية جـ٤/٨٤، جـ٧/٤١٧، الأعلمية جـ٤/١٩، المانعية جـ٤/١١٤-١٩٨/١١٥، جـ٥/١٦٤، الحجية جـ٤/٢١٩، جـ٧/٢٤٦/٤٢، المعلولية جـ٤/١٢١، المنجزية والمعذرية جـ٤/١٩٣/١٤٠، جـ٥/١٨٩، المنجزية جـ٤/١٦٧/١٦٤/١٦٢/١٤٩، جـ٧/٢٨٢، الترخيصية جـ٤/١٥١، التمامية جـ٤/١٦٦، جـ٦/٣٢١، جـ٧/٣٣٠، العقلانية جـ٤/١٩٢-٢٣٤/١٩٣، جـ٥/١٨١، جـ٦/١٧، المتشرعية جـ٤/٢٣٦، فتوائية جـ٤/٣٢٤، الامارية جـ٦/١٩/١٠، الحكائية جـ٦/٣٦، القرينية جـ٧/١٦٥، العلامية جـ٧/٤٢، الأحدثية جـ٧/٤١٧.

(٤) "فى مثل هذه الظروف العصيبة التى ألمت بعالمنا الإسلامى بعد قيام الثورة الإسلامية المباركة فى إيران الإسلام بقيادة إمام الأئمة أية الله العظمى السيد الخمينى (مد ظله). هذه الظروف التى جاءت نتيجة تكالب قوى الكفر والاستكبار العالمى وتحالفها فى التصدى والمواجهة للمد الإسلامى الظافر الذى كان لسيدنا الشهيد الدور الأساسى فى ترسيخ دعائمه وإرساء قواعده على الصعيدين الفكرى والعملى فى العالم الإسلامى أجمع وفى العراق على وجه الخصوص.." جـ١/٧.

"وقد قدر الله سبحانه وتعالى أن تخرج هذه الندوة إلى النشر بعد استشهاد ذلك الرجل الربانى الصالح وفى ظروف الهجرة إلى بلاد إيران الإسلام فى ظل الحكومة الإسلامية المباركة وبقيادة قائد الأمة وأمل المستضعفين فى العالم الإمام الخمينى، متع الله الإسلام والمسلمين بطول عمره الشريف... ما سلبته يد الخيانة والطغيان البعثى الفاشى حينما أقدمت على الجنابة التاريخية العظمى فى هذا العصر فاعتقلت أستاذنا إلى محراب شهادته وصادرت مكتبته..." جـ٦/٥-٦.

ولاهوت التحرير[1]. يدخل فى المسائل النظرية مثل المسائل الكلامية والحديث عن الجبر والاختيار ويحاجج الفرق الإسلامية، المعتزلة والأشاعرة والشيعة[2]. ونظرا لتعظيم كاتب التقرير للمحاضر تكثر الألقاب مما يمنع من أخذ موقف نقدى وسيادة جانب التبجيل والاحترام. فإذا ساد أصول الفقه السنى الطابع العملى فإن الطابع النظرى الخالص هو السائد على أصول الفقه الشيعى بالرغم من عنوان "الأصول العملية"، ويغيب مقياس الحكم ومعايير الصدق فى المسائل النظرية الخالصة. كما تغيب المصالح العامة وهى مقياس الصدق عن أهل السنة. الواقع الموضوعى خارج النفس، والتحليلات الشيعية داخل النفس. فهى أقرب إلى فلسفة الأصول منها إلى علم الأصول. كان يمكن للاستصحاب، مصاحبة الحال، أن يخرج علم الأصول من هذا العالم المعرفى المغلق والإطار النظرى الخالص للدلالة على براءة الأشياء. ومع ذلك ظل أيضا عالما معرفيا مغلقا. تحضر الأمثلة الفقهية الجزئية دون الرؤية الكلية لدلالة الاستصحاب.

ويغلب أسلوب التقرير وما عرف عنه من لازمات فى أول العبارات تدل على مسار الفكر، مقدماته ونتائجه، ملاحظاته واستنتاجاته. توضع الحقائق بلا براهين ودون السجال فيها، بحيث أصبح العلم عالما مغلقا يغيب عنه الواقع والأمثلة. هناك محاولة للتخليص والاستنتاج والوصول إلى نتائج جزئية فى موضوع جزئى وليست رؤية كلية فى موضوع كلى[3]. وتغيب أسماء الأماكن باستثناء النجف الأشرف ومكة والمدينة وعرفة[4].

والبنية ثنائية: الدليل اللفظى، والأصول العلمية. والأصول العملية أكبر[5]. والدليل اللفظى أيضا ثنائى البنية، البحوث اللفظية التحليلية والبحوث اللفظية اللغوية، واللغوية أكبر[6]. والتحليلية ثنائية البنية أيضا بين الحروف والهيئات، والهيئات أكبر[7]. والبحوث اللغوية رباعية البنية، المشتق، والأوامر، والنواهى، والمفاهيم، والأوامر أكبر[8].وتشمل المفاهيم باقى مباحث الألفاظ العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. أما مباحث الحجج والأصول العملية فهى رباعية البنية، الحجج والإمارات، والأصالة وتشمل أصالة البراءة وأصالة التخيير

---

(١) السابق جـ٣/٨٨-٩٦، جـ٤/١٤٠.

(٢) السابق جـ٢/٢٧-٣٩.

(٣) السابق جـ٤/٤٢١-٤٢٣.

(٤) السابق جـ٧/٣٤/١٣٧/٢٣٠/٣٨٦.

(٥) الدليل اللفظى ثلاث مجلدات تقع فى ١٢٦٥ص. والأصول العملية أربعة مجلدات تقع فى ١٧٥١ص.

(٦) التحليلية ١٣٩ص، اللغوية ص.

(٧) الهيئات (٩٧)، الحروف (٣٢).

(٨) الأوامر (٤٢٨)، النواهى (١٢٨)، المفاهيم (٨٢)، المشتق (٢٧).

والاحتياط، ثم الاستصحاب، وأخيرا تعارض الأدلة الشرعية. وأكبرها ثلاثية أصالة البراءة وأصالة التخيير والاحتياط، وأصغرها الاستصحاب[1]. وفى الحجج والإمارات الظن أكبر من القطع[2]. والاحتياط أكبر من أصالة البراءة، وأصغرها أصالة التخيير[3]. والاستصحاب خماسى البنية، أكبرها الحجية، وأصغرها نسبة الإمارات والأصول العلمية[4]. وتعارض الأدلة الشرعية ثلاثية البنية. أكبرها التعارض المستقر ثم غير المستقر، وأصغرها تعريفه[5]. والتعارض المستقر ينقسم إلى الأخبار والحجية، والأخبار أكبر[6]. وتغيب المصادر الشرعية الأربعة المعروفة عند أهل السنة، الكتاب، والسنة والإجماع والقياس لصالح الأصول العملية. مباحث الدليل اللفظى تعادل مباحث الألفاظ عند أهل السنة، ومباحث الحجج والأصول العملية تعادل المصادر الشرعية الأربعة وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع كما تغيب مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. وهنا يغلب التأويل على النص، ويغلب كلاهما على الفعل فى العالم والتحقق فى الواقع.

والشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث[7]. كما تقل المحاجة العقلية. ويغيب القيل والقال نسبيا.

ويظهر الأسلوب النمطى للتقرير ابتداء من الملاحظة والاستنتاج والتحقيق ووضع الدعاوى والردود على الاعتراضات حتى يتضح الصحيح[8].

---

(١) أصالة البراءة، أصالة التخيير، الاحتياط (٥١٥)، الحجج والإمارات (٤٤٩)، تعارض الأدلة الشرعية (٤١٨)، الاستصحاب (٣٦٢).

(٢) الظن (٢٦٧)، القطع (١٥٨).

(٣) الاحتياط (١٥٦)، أصالة البراءة (١٣٠)، أصالة التخيير (١٥).

(٤) الحجية (١٠٨)، مقدار ما يثبت به (٤٤)، الأقوال (٤٠)، تطبيقات (٣٠)، النسبة بين الإمارات والأصول العملية (٢٤).

(٥) التعارض غير المستقر (٢١٢)، التعارض المستقر (٧٤)، التعريف (١٣).

(٦) الأخبار (٩٦)، الحجية (٨١).

(٧) الآيات (٧٤)، الأحاديث (٢٤).

(٨) ويتضح ذلك خاصة فى الجزء السادس، الاستصحاب. والسابع، تعارض الأدلة الشرعية دون ما حاجة إلى تحليل كامل لأسلوب التقرير. ومع ذلك يمكن رصد الأسلوب النمطى فى الجزء السادس كالآتى: يلاحظ (٢٧)، الصحيح (١٦)، الجواب (١٣)، التحقيق (١٢)، توضيح ذلك (٨)، الحاصل (٦)، دعوى، مدفوعة (٥)، قلنا، يرد عليه (٣)، أقول، ويرد على البيان (٢)، ويرد على الجواب، ويرد على ما ذكره، والملاحظة (١). وفى الجزء السابع على النحو الآتى: الصحيح (٣١)، التحقيق (٢٢)، وهكذا يتضح، القيل والقال (٢٠)، الجواب، ويرد على البيانين، الجواب على الاعتراض (٤)، ويتلخص، الاعتراض (٣)، بعبارة أخرى (٢)، ظهر، تحصل، عرفنا فيما سبق، وهكذا يتبرهن، تلخيص واستنتاج، دعوى (١).

ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم النائيني ثم العراقي ثم السيد الأستاذ مما يدل على انتساب السيد الأستاذ وهو محمد باقر الصدر إلى مدرسة النائيني والعراقي. إذ يحيل إليهما باعتبارهما مدرسة وليسا شخصين مع نقد بعض المواقف المتطرفة[1]. ثم يأتي الأصفهاني، ثم صاحب الكفاية والخراساني ثم الشيخ الأعظم ثم الميرزا ثم الأنصاري. ثم يأتي الطوسي من الرواد الأوائل والاسترابادي مؤسس المدرسة الإخبارية التي أحدثت رد فعل عليها في الحركات الإصلاحية الحديثة. ثم يتوالى المؤسسون مثل المفيد. ويظهر ابن سينا مع الأصوليين لما كانت أصول الفقه الشيعي أقرب إلى المعرفة الإشرافية، مع عشرات أخرى من أعلام الشيعة[2]. لذلك يكثر الحديث عن الكاشفية الوجدانية، واليقين الوجداني، "الوجدان المعرفي"، "العلم الوجداني"[3].

ومن رواة الشيعة وأعلامهم ومحدثيهم يتقدم أبو عبد الله، ثم زرارة، ثم إسماعيل الجعفي والكليني، ثم النجاشي، ثم أبو جعفر، ثم عمرو بن حنظلة، ثم يونس عبد الرحمن وعشرات آخرين من رواة الشيعة من أجل التحقق من صحة سند الروايات[4]. وتتم الإحالات إلى إصحاحات أهل السنة سنن ابن ماجه وأبي داود والبخاري وأحمد ورواة الأحاديث مثل أنس وشراح ابن مالك[5].

ومن المصادر يتقدم الكفاية، ثم الوسائل، ثم المعتبر وغيرها من أمهات الكتب الأصولية[6].

---

(١) السابق جـ٤/١٥٨/١٦٥-١٦٦.

(٢) النائيني (٣٦٢)، العراقي (٢٣٥)، السيد الأستاذ (١٧٥)، الأصفهاني (١٤٩)، صاحب الكفاية (١٣٥)، الخراساني (١٢٨)، الشيخ الأعظم (١٠٤)، الميرزا (٨٠)، الأنصاري (٢٥)، الطوسي (٢٢)، الشيخ الصدوق (١٠)، الاسترابادي (٧)، صاحب الوسائل، السيد المرتضى (٦)، صاحب الفصول (٥)، السبزواري، الشيرازي الكبير، الوحيد البهبائي، النزاقي، الشيخ (٤)، الخوانساري، المفيد، المحقق (٣)، الدواني، صاحب الحدائق، صاحب الجواهر، الشيرازي،، ابن زهرة، بحر العلوم (٢)، ابن سينا، صاحب العروة، صاحب القوانين، المحقق القمي، السكاكي، البروجردي، الشهيد الثاني، الميرزائي، الآخوندي، الشهيد، العلامة، صاحب المعالم، الفاضل التوني، سيدى الموالد، الكاظمي، صاحب مدارك الأحكام، الحائري، الشيخ الحر (١).

(٣) السابق جـ٤/٤٠٠-٤٠٧، جـ٦/٣٢، جـ٧/١٨٨/٢٥١.

(٤) أبو عبد الله (٥٧)، الراوندي، زرارة (٢٠)، إسماعيل الجعفي، الكليني (١٦)، النجاشي (١٥)، ابن أشهر آشوب، ابن علي بن عبد الصمد (١٤)، أبو جعفر (٨)، سمرة بن جندب، محمد بن عيسى الرضا (٧)، أبو البركات، عمرو بن حنظلة، يونس عبد الرحمن، أبو عمر الكنائي (٦)، النيسابوري (٥)، الطبرسي، منتجب الدين، الحميري، أحمد بن اسحق، أبو عمرو بن سعيد (٤)، الباقي، العسكري، محمد بن مسلم، محمد بن يحيى، الحلبي، الحسن بن روح، الحسين بن جهم، أبو الحسن الرضا (٣)، النوبختي، ابن طاوس (٢)أبو الحسن، جابر الحميري ...الخ (١).

(٥) ابن ماجه، أبو داود، البخاري، أحمد بن حنبل، شرح بن مالك (١).

(٦) الكفاية (٧)، الوسائل (٤)، المعتبر، رياض العلماء، أمل الأمل، الرسالة، التهذيب، الخصال والتوحيد، الفهرست، كتاب الإيمان، كتاب البرهان، كتاب الحدائق، عوالي اللآلي، الكافي.

ومن أئمة آل البيت يتقدم الإمام، ثم الأئمة، ثم النبى، ثم المعصوم، ثم المعصومون، ثم الصادق، ثم الصدوق، ثم رسول الله، ثم أمير المؤمنين ثم أصحاب الأئمة وكل ما يتعلق بالإمامة والإمامية والشيعة وآل البيت[١]. ومن أهل السنة يتقدم الأشعرية والأشاعرة والأشعرى، ثم المعتزلية والمعتزلة والمعتزلى. ومن باقى الفرق يتقدم الفلاسفة[٢]. ومن مجموع العلماء يتقدم المحققون والأصوليون والفقهاء والمشايخ والأعلام والشيوخ والعلماء والإخباريون. ومنهم المتقدمون والمتأخرون، الأقدمون والمحدثون. ومنهم متأخرو المتأخرين[٣]. وقد تكون الطائفة على الإطلاق بلا متقدمين أو متأخرين مثل شيوخ القميين، المسلمون، علماء الطائفة، الإخباريون، المسلمون، الأصحاب...الخ[٤]. كما يحال إلى اللغة العربية وقواعد العربية واللغة العربية.

ونظرا لارتباط الحركات التحديثية الأصولية بالتراث الغربى يحال إلى الفيلسوف المادى رسل وأرسطو والمنطق الأرسطى[٥]. كما تتم الإحالة إلى الغرب بين الحين والآخر وعلى استحياء فى نقد المنطق الصورى واكتشاف "الأسس المنطقية للاستقراء" نظرا لارتباط الأصول بالاستقراء وهو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى"، حوار حضارات بين المثالية والواقعية، بين الثقافتين الغربية والإسلامية. بل إن الاستقراء يعم، ويتجاوز التعليل إلى أن يصبح أساسا للتواتر والتحقق من صحة السند[٦].

٤- "الأصول العامة للفقه المقارن" لمحمد تقى الدين الحكيم (١٩٢٤-   )[٧].

---

(١) الإمام (١٥١)، الأئمة (٥٥)، النبى (٤٧)، المعصوم (٤٦)، المعصومون، الصادق (١٩)، رسول الله (١٧)، الصدوق (١٦)، أمير المؤمنين (٩)، أصحاب الأئمة (٧)، الرسول، نبينا محمد، الإمامية (٦)، الإمام الصادق (٤)، الإمامى، الشيعة (٣)، أهل البيت، الباقر، الأصحاب، أصحابنا (٢)، الصادقون، العسكريون، آل محمد، بيت العصمة (١).

(٢) الأشعرية (٤)، الأشعرى (٣)، الأشاعرة (٢)، المعتزلية (٣)، المعتزلة (٢)، المعتزلى (١)، الفلاسفة (٥)، المتصوفون (١).

(٣) المحققون (٢٤)، المحققون المتأخرون (١)، الأصوليون (٤)، علماء الأصول، الأصوليون المتأخرون (٢)، الأقدمون من علماء الأصول، مشهور المحققين المتأخرين من علماء الأصول، متأخرو المتأخرين (١)، الفقهاء (٢)، الفقهاء المعاصرون، الفقهاء الأقدمون (١)، الأئمة الأقدمون، الأقدمون، مشايخنا المتقدمون، الأعلام المتأخرون (١).

(٤) شيوخ القميين، الحكماء (٢)، العلماء، الإخباريون، علماء الطائفة، المسلمون، الأصحاب، نصرانى، يهودى (١).

(٥) الفيلسوف المادى رسل جـ٤/٢٧٩/٣٣١، أرسطو جـ٤/٣٢٢، المنطق الأرسطى جـ٤/٣٥٥.

(٦) السابق جـ٤/١٢٥/١٣٠-١٣٢/٣٢٨. مثال ذلك آية النبأ وآية النفر وآية الكتمان وآية الذكر، جـ٤/٣٥١-٣٦٣/٣٧٤-٣٩٥، جـ٥/٥٨-٦٧.

(٧) العلامة السيد محمد تقى الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن، مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، تحقيق المجمع العالمى لأهل البيت، ط٢ قم ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

وفى الاتجاهات التحديثية الحالية تظهر الدراسات المقارنة بين أصول الفقه السنى والشيعى بدعوى التقريب من ناحية وبين أصول الفقه الإسلامى والغربى من ناحية أخرى. والأول هو الأكثر شيوعا نظرا لأهمية التقريب بين المذاهب بعد دعوة القمى وشلتوت وإنشاء مؤسسة بأكملها ومجلة باسم "التقريب" على رأسها علماء فضلاء من إيران يعملون للقضية. لذلك أصبح علم أصول الفقه عند الفريقين، السنة والشيعة، متقاربين للغاية فى النهاية كما بدءا متقاربين فى البداية فى "العدة" عند الطوسى، وفى "التذكرة" للشيخ المفيد، وفى "الذريعة" للشريف المرتضى. ويرصد المؤلف فوائد الفقه المقارن: البلوغ إلى واقع الفقه الإسلامى، تطوير الدراسات الأصولية، اتساع روح البحث العلمى، تقريب شقة الخلاف بين المسلمين. كانت المقارنة مع الداخل أكثر من المقارنة مع الخارج، مع أهل السنة أكثر من المقارنة مع الغرب الحديث. فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الغير. وهو تطوير لعلم الخلاف القديم ليس بمنهج الرصد كما هو الحال فى تاريخ الفرق أو بمنهج السجال كما هو الحال عند المتكلمين بل بهدف وحدة العلم، وتجاوز الخلاف القديم فى الأصول والفروع، والتأكيد على وحدة العلم. وتتم المقارنة بين القدماء والمحدثين على حد سواء. ونظرا لأن النهج المقارن منهج تحديثى، والمؤلف على وعى به تماما، جاءت المقارنة أيضا مع المدارس التحديثية فى علم أصول الفقه فى النجف استئنافا لتيار المصلحين كما حدث عند أهل السنة عند علال الفاسى فى "مكارم الشريعة ومقاصدها" تطويرا للشاطبى[1]. ويشار إلى بعض المسائل القديمة الحديث مثل شبهة التحريف فى القرآن[2]. كما يبرز أن الشيعة تفتح باب الاجتهاد[3]. ويناقش كتبها دون تطويل[4]. ولا يذكر العصومون إلا نادرا[5].

والمقارنة مع الخارج، الغرب، أقل بكثير من المقارنة مع الداخل، القدماء والمحدثين. إذ يعرف الخارج من الداخل، من الفقه المقارن الذى قام بين علماء مصر مثل السنهورى، وأحمد حشمت، وأبو زهرة والخفيف وخلاف والدواليبى[6]. فتحديث العلوم ومقارنة الأنا بالآخر جزء من تجربة التحديث فى مصر. ولا يذكر الفقه الغربى إلا فى أقل الحدود، عمداء كليات الحقوق

(١) السابق ص١٠/٥١.

(٢) السابق ص١٠١-١١١.

(٣) السابق ص٥٨٤.

(٤) السابق ص ٢٥٦.

(٥) السابق ص٣٦٨.

(٦) السابق ص٤٣-٤٤.

فى باريس بلوندو وجينى ونقلا عن المصريين[1]. جاءت المقارنات إذن قليلة مع الداخل والخارج، مع المذاهب الفقهية فى تراثنا القديم من أجل حوار جديد حول أصول الفقه عند السنة والشيعة أو مع القانون الغربى بكل مدارسه وفلسفاته خاصة القانون الطبيعى الذى يعادل الفطرة فى تراثنا القديم. بل يذكر "نقد العقل النظرى" و"نقد العقل العملى" دون الإشارة إلى كانط بل مجرد العنوانين ودون ذكر سواهما من عمد فلسفة القانون فى الغرب[2]. ومع ذلك فالكتاب على وعى بموضوعه ومنهجه وجدته. يتحدث عنه صاحبه فى المقدمة كعمل موضوعى منفصل عنه دون التوحد معه كما هو الحال فى المتون الذهبية[3]. لذلك تقل عقائد الشيعة ومناهجها وتصوراتها باستثناء بعض الروايات النمطية لأحقية على بن أبى طالب وصالحه[4]. ويحيل النص إلى بعض المستشرقين مثل جولدتسيهر وسخاو[5].

وبالرغم من النية الصادقة فى المقارنة والتحديث إلا أنه جاء كتابا تعليميا، أقرب إلى الكتب الجامعية المقررة للتدريس للطلاب. فقد كانت محاضرات الحوزة العلمية بالنجف للسنين الثالثة والرابعة. لذلك جاء واضحا مرتبا سهل الاستذكار، وخلا من النوايا الأولى المعلنة. فهو كتاب للطلاب أكثر منه لتطوير العمل كما فعل الشاطبى فى "الموافقات". يعتمد على المنهج الحديث فى التأليف، الاقتباسات بين معقوفتين، والإحالة إلى المصادر والمراجع فى الهوامش مع أرقام الصفحات. وتضاف خلاصة بعد كل باب وقسم[6]. كما يضاف تمهيد لكل باب ورصد لعناصره. ويتم الحديث عن المصادر فى آخر الكتاب كما هو الحال فى الرسائل العلمية الحديثة[7]. ومن طرق التعليم تحديد مصطلحات العلم فى البداية[8]. كما يتم الإعلان عن ضرورة الاختصار دون الإطالة ليسهل الاستذكار[9]. ويغيب أسلوب "التقرير" الشيعى ولازماته. والأقسام الفرعية قصيرة مما يساعد على الاستذكار والتفصيلات الكثيرة كلها تدخل فى موضوع هو الاشتباه الذى حاول أصول الفقه الشيعى ضبطه معرفيا ببنيته الثلاثية: القطع، والظن، والشك.

---

(١) السابق ص٤٤-٤٥.

(٢) السابق ص٢٦٩.

(٣) السابق ص٧٧-٨٨/١٤١/٦٥١-٦٥٤.

(٤) السابق ص١٦٨-١٨١.

(٥) السابق ص٣٣٥-٣٣٦.

(٦) "تلخيص وتعقيب"، السابق ص٣٨٨/٤٤٠. "خلاصة البحث" ص٣٤٢/٤٦٠/٤٨٥/٤٩٢/٥٢٧/٥٣٨، "الخلاصة" ص٤٢٠-٤٢١، و"خلاصة الجواب" ص٦٣، "ملاحظة" ص٤٢١.

(٧) السابق ص٦٥١-٦٥٤.

(٨) السابق ص٨٤-٨٥.

(٩) السابق ص٢٦٢.

والبنية خماسية: الأدلة، والاستصحاب، والبراءة والاحتياط والتخيير الشرعى، والبراءة والاحتياط والتخيير العقلى، وأخيرا القرعة. وأكبرها الأدلة، وأصغرها القرعة. وفى البداية مقدمة وفى النهاية خاتمة[1]. وتشمل الأدلة الأربعة ليس فقط الكتاب والسنة والإجماع والقياس بل أيضا سبع أدلة أخرى: العقل، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وفتح الذرائع وسدها، والعرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابى. كما أن البراءة والاحتياط والتخيير هى نفس القسمة مرة شرعا ومرة عقلا مما يبين أثر المعتزلة، والصلة بين العقل والنقل، والحسن والقبح العقليين على الفكر الشيعى الأصولى، فى الدين وفى الفقه. أما "القرعة" فهو لفظ جديد فى اختيار الأفعال طبقا للمصادفة وهو ما ينافى القصد والنية. أما الخاتمة فتشمل الاجتهاد والتقليد. وتدخل الأحكام فى البحوث التمهيدية الأولى وليست فى صلب العلم. والمؤلف على وعى بالبنية ويسميها "هيكل" الكتاب[2]. ويعد بوضع جزء ثان من الكتاب فى "القواعد الفقهية"[3]. وتظل الأولوية للمعرفة على الفعل، وللتأويل على النص، وللوعى النظرى على الوعى العملى، وللداخل على الخارج، وللوعى على التاريخ.

ويعتمد النص على عديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والآيات أكثر. والشعر أقل[4]. وتتأكد وحدة المشروع بإحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق[5].

ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال النبى ثم الغزالى ثم الرسول الذى يتكرر بعد ذلك فى النبى ومحمد. ومن القدماء يتقدم الشافعى السائد عند أهل السنة، وخلاف وأبو زهرة والدواليبى والمراغى من المحدثين المجددين المصريين فى الفقه وأصوله. ويتداخل الصحابة مثل عمر وعلى مع الأصوليين السنة مثل الآمدى، والشيعة مثل النائينى. ثم يحال إلى مؤسسى المذاهب مثل أحمد ومالك وأبو حنيفة مع باقى الصحابة مثل أبى بكر والمحدثين مثل البخارى. ويذكر أعلام الأصوليين السنة مثل ابن حزم والشاطبى وابن القيم وابن تيمية والطوفى والشوكانى قبل أعلام الأصوليين الشيعة مثل الخوئى. ويحال إلى بعض المتكلمين مثل النظام والجبائى، وإلى الفلاسفة مثل ابن رشد، وإلى الفقهاء مثل ابن الصلاح. ثم يتداخل الكل مع الكل لتثبيت وحدة

---

(١) الأدلة (٣٣٨)، الخاتمة (١١٦)، البحوث التمهيدية (٨٤)، البراءة والاحتياط والتخيير الشرعى (٣٤)، البراءة والاحتياط والتخيير العقلى (٣٤)، الاستصحاب (٣٢)، القرعة (١٠).

(٢) الفقه المقارن ص٧٩-٨٨.

(٣) السابق ص٦٥١.

(٤) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٧٣)، الشعر (٤). (ويغيب من التحقيق فهارس تفصيلية للآيات، والأحاديث، والأشعار والأمثال، والفرق والطوائف، والأماكن).

(٥) الفقه المقارن ص٣١.

الحضارة الإسلامية، سنة وشيعة، فقهاء ومتكلمين وأصوليين وصوفية وفلاسفة ومحدثين ومفسرين وكتاب سيرة، ومستشرقين، قدماء ومحدثين، ناقلين ومجددين[1].

ومن الطوائف يذكر الأحناف والمتكلمون والأصوليون والأشاعرة والفلاسفة والمعتزلة والماتريدية. ومن الشيعة يذكر الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثر عند السنة[2]. كما يحال إلى بعض المصادر والمراجع القديمة والحديثة، سنة وشيعة[3].

رابعا: هل تغيرت البنية بعد الثورة؟

وقد تعددت مؤلفات أصول الفقه الشيعي عند قائد الثورة الإسلامية فى إيران وثوارها الذين فجروها. والسؤال هو: هل كان أصول الفقه الشيعي بمفاهيمه عن الاستصحاب والتجرى، والبراءة والاحتياط، والتخيير، والشك والقطع والظن أحد عوامل تفجير الثورة الإسلامية فى

---

(١) مجموع الأعلام (٣١١)، منهم (٢١٥) مرة واحدة. النبى (٦٢)، الغزالى (٤١)، الرسول (٣٠)، الشافعى، عبد الوهاب خلاف (٢١)، الآمدى، عمر (١٩)، النائينى (١٧)، علىّ (١٦)، أبو زهرة، أحمد بن حنبل (١٥)، الطوفى (١٣)، مالك (١٢)، أبو بكر، أبو حنيفة، البخارى (١٠)، ابن حزم، الخضرى، الشاطبى، معاذ (٩)، ابن عباس، ابن القيم، الشوكانى، الطوسى (٨)، الخوئى، محمد (الرسول) (٧)، ابن مسعود، أبو عبد الله (الإمام الصادق)، أبو موسى الأشعرى، أم سلمة، الكلينى، مسلم (٦)، ابن حجر، الحسن (الإمام)، الحسن بن يوسف (٥)، ابن الصلاح، أبو داود، الحاكم، الدواليبى، الطبرائى، عثمان، عكرمة، فاطمة، المراغى، النظام (٤)، ابن تيمية، ابن همام، أبو سعيد الخدرى، الترمذى، العسكرى، الرازى، زرارة، زيد، السرخسى، سلام، شرف الدين (السيد عبد الحسين)، عائشة، العباس، ابن مسعود، القاضى، الكرخى، محمد يوسف موسى، المرتضى، المقدسى، ابن الحاجب، الهادى (٣)، ومن (٣٤) علما ذكر كل منهم مرتين: أبان، ابن رشد، أبو بكر القاضى، أبو هريرة، الاسترابادى، إمام الحرمين، أنس، الجبائى، الجصاص، جعفر بن مبشر، جولدتسيهر، حذيفة بن النعمان، الخفيف، الرشتى، زيد بن أرقم، زيد بن ثابت، السيوطى، جعفر الصادق، النسائى...الخ (٢)، وأهم الأعلام الذين ذكروا مرة واحدة: ابن برهان، ابن جرير، ابن حنظلة، ابن خلدون، ابن عابدين، ابن العربى، ابن عقيل، ابن ماجة، ابن هشام، الباقلانى، أبو بكر الرازى، القرافى، أبو الحسين البصرى، أبو ذر، أبو سفيان، الماتريدى، الطبرسى، الأسفرايينى، الأصم، امرؤ القيس، البزدوى، البطليموسى، البيهقى، الجرجانى، جعفر بن حرب، الجوينى، المحاسبى، الكرابيسى، الخازن، الخليل، داود الظاهرى، الراغب الأصفهانى، السجستانى، السنهورى، الشهرستانى، الشهيد الثانى، الصيرفى، الخفيف، الصعيدى، القاشاتى، القرافى، القفال، اللخمى، المازرى، الماوردى، أبو زهرة، مسروق، مصطفى الزرقا، مصطفى عبد الرازق، الدواليبى، النسفى، النيسابورى، الواحدى... الخ (١).

(٢) الإخباريون (٦)، المتكلمون، المعتزلة (٣)، الأحناف (٢)، الأصوليون، الفقهاء، الماتريدية، الفلاسفة، الأشاعرة (١).

(٣) وذلك مثل "نيل الأوطار" للشوكانى، "القياس فى الشرع الإسلامى" لابن تيمية وابن القيم. "الميزان" للشعرانى، "المنهاج" للشيرازى.

إيران؟ ولماذا ازدهر أصول الفقه الشيعي بعد اندلاع الثورة؟ وهل هناك علاقة بين التشيع والثـورة فى علم أصول الفقه أم أن العلاقة بينهما هى العلاقة بـين الأصـول النظريـة التقليديـة والمارسـة الثورية المعاصرة كما هو الحال عند الإمام الخمينى؟ وإن كان الجواب بالنفى فكيف يقود الثـورة محافظ نظرى وثورى عملى؟ هذا هو الخلف بين النظريـة والمارسـة، بـين النظـر والعمـل، بـين الرؤية والتطبيق[1]. هل تغيرت البنية الرباعية بعد الثورة؟ فإن كان الرد بالإيجاب فما هى البنية الثورية الجديدة؟

لقد كتبت المؤلفات الأصولية للإمام الخمينى قبل الثورة عندما كان أستاذا بقـم أولا أو بعـد نفيه إلى النجف الأشرف ثانيا. لذلك تغيب الأصول الثورية التى تهدف إلى "تثوير" علم الأصـول ونقله من المستوى النظرى إلى المستوى العملى، ومن مباحث الألفاظ إلى التكاليف، وتغيير ترتيب الأدلة الأربعة من الترتيب التنازلى إلى الترتيب التصاعدى. كما يغيـب الواقـع الثـورى والتحليـل الإحصائى، وتطبيق مسالك العلة فى الواقع الإيرانى خاصة والإسلامى عامـة حتـى يمحـى هـذا الانفصال بين الخطاب الأصولى والخطاب السياسى.

وربما غابت الثورية من الأعمال الأصولية للإمـام الخمينـى لأنـها مـن مسـتلزمات الوظيفـة والدرجة العلمية أو من مقتضيات المهنة سواء كان كتب قبل الثورة أو بعدها، وفى الأغلـب قبـل الثورة عندما كان الخمينى أستاذا فى الحوزة العلمية فى قم أو فـى النجـف الأشـرف. فـالأصول مهنة، والثورة رسالة. العلم صنعة، والثورة قضية. التدريس حرفة، والثورة دعوة. الحوزة نظام، والثورة انقلاب.ومع ذلك يتطور الفكر ويتغير الفكـر تبعـا لأحـداث الزمـان وإن لم ينعكـس ذلـك بوضوح على موضوع الفكر وبنية الأصول[2].

ليس المهم آثار الثورة فى الشباب المقاتل والتحول من الترف إلى الجدية والدفاع عن الثـورة ضد خصمها فهذه هى الثورة على المستوى العملى وليس على المسـتوى النظـرى. وليسـت أهميـة اشتهار عقائد الشيعة فى العالم فهذا مكسب طائفى أو ارتباط التشيع بالثورة على الحاكم الظالم. فهذا ما يعرفه القاصى والدانى[3].

وتتراءى المقاصد الثورية عند الإمام الخمينى فى عبارات قصيرة وأمثلة نادرة. ففـى خاتمـة "مناهج الوصول" يضيف الإمام إلى البسملة التقليدية "بسم الله الرحمـن الرحيـم، الحمـد لله رب

(١) لذلك يقوم "من النص إلى الواقع" بتثوير علم الأصول بحيث يمحى هذا الخلف بين النظر والعمل.

(٢) تنقيح الفصول جـ٤/٤٠.

(٣) الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الأصول، مقدمة محمد الفاضل اللنكرانى جـ١/١١ (د.ت).

العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين"، "ولعنة الله على أعدائهم"(١). كما يضرب المثل بزيد الفاسق(٢). وكان يمكن استمرار تحديث أمثلة الفسق المعاصر من الحكام الظالمين.

ونادرا ما تظهر مصطلحات الثورة مثل "المستسلمون من مشايخنا"، "المستضعفون"(٣). كان من المكن تحليل ظاهرة استسلام الأئمة خوفا من الحاكم الظالم وإيثار السلامة، وعزل الدين عن الحياة اكتفاء بإيمان العجائز.

وتضرب الأمثلة الخاصة بالعسكر وسوقهم لفتح الأمصار. فالغرض لا يتعلق بواحد واحد بل بمجموع العسكر الموجب لإرعاب الأهل(٤). كان يمكن تطوير هذا المثال إلى ما كان يفعل رجال "السافاك" عسكر الشاه لإرعاب المثقفين واصطياد المناضلين فى الداخل والخارج حتى تتجدد مادة الأصول فلربما أثر ذلك على تجديد بنية الأصول. فالعمل يفرض نفسه على النظر، والواقع يفرض نفسه على الفكر.

وكان يمكن تثوير علم الأصول عن طريق ما سماه الفقه الحنفى "الصلاة فى الدار المغصوبة" وعدم جوازها لاستحالة الجمع بين الحسن والقبيح فى نفس الوقت، حسن الصلاة وقبح الاحتلال. وهى ممكنة عند الشيعة بالرغم من الدفاع عن الحسن والقبح العقليين اعتمادا على المعتزلة وضد الأشاعرة(٥). والأمثلة واضحة فى الواقع المعاصر. ففلسطين وكشمير وسبته ومليليه دور مغصوبة. ومال الأغنياء مال مغصوب من عمل الفقراء، وعائدات النفط مغصوبة من ثروات الأمم.

ومن مقدمات الثورة التمييز بين القديم والجديد، بين القدماء والمحدثين، بين المتقدمين والمتأخرين، إحساسا بالتطور والزمن. والثورة علامة فارقة تحول التطور الكمى إلى تغير كيفى وإلا انتهى مسار التطور إلى مجرد الإصلاح.

ويظهر لفظ "الواقع" عند الإمام الخمينى وإن لم يظهر مضمونه مثل "إجزاء الظاهرى عن الواقع" أو "إجزاء الاضطرارى عن الواقع". وهو الواقع الفردى عندما تكون له الأولوية على

---

(١) الخمينى: مناهج الأصول جـ١/٣٣.

(٢) الخمينى: معتمد الأصول ص٣٣١.

(٣) الشيخ مرتضى الأنصارى: فرائد الأصول جـ١/٣٠٤/٥٦٤.

(٤) مناهج الأصول جـ١/٣٣٣.

(٥) السابق جـ٢/١١٩-١١٢/١٤٢-١٤٧، معتمد الأصول ص٢٠٣/٢٠٧، تنقيح الأصول جـ٢/٢١٨/٢٢٨/٢٣٨، منتهى الأصول جـ١/٥٥٨-٥٦٠.

الفعل الشرعى الظاهر. فالضرورات تبيح المحظورات[١]. لم يتم استثمار اللفظ، وتغيير أولويات الأصول كلها ابتداء من الواقع كما هو الحال فى "من النص إلى الواقع".

لذلك غلب على أصول الفقه الشيعى الجانب النظرى المعرفى الداخلى التأملى أكثر من الجانب العملى الوجودى الخارجى. وهو أقرب إلى فكر الجماعات السرية التى تنشأ تحت الأرض وليس إلى فرقة السلطان التى تتحكم فى الأرض. وهو نفس الطابع فى الكلام والفلسفة والتصوف. أصول الفقه السنى يبغى السيطرة على العالم من خلال الأوامر والنواهى والتكاليف الشرعية المستقطبة بين الحلال والحرام فى حين أن أصول الفقه الشيعى يبغى التحرر من قبضة العالم الخارجى عن طريق المعرفة. فالتكاليف فهم، والأوامر والنواهى مباحث لفظية، والتكاليف براءة واصطحاب وقواعد أصولية عامة. ويظهر البعد الشعورى فى علم أصول الفقه الشيعى بالإحالة المستمرة إلى الوجدان، الرؤية الوجدانية والمعرفة الوجدانية[٢].

ويكثر علم الأصول الشيعى من استعمال المصدر الصريح بطريقة تبدو اصطلاحية وهى فى الحقيقة غربة لغوية لم تتعود عليها الأذن العربية وليست جزءا من مصطلحات العلم مثل: الفورية، الكاشفية، التصرفية، الاخطارية، الايجادية، الهوهوية، القيدية، المقدمية، التمامية، الطولية، الاستعجالية، المحكومية، أصولية المسألة، كبروية النزاع[٣]. وتستعمل النسبة بشكل غير مألوف مثل: الرابطى، الآلى والاستدلالى، المقامى، الصحيحى، الأعمى، الاقتضائى، التعليقى، التهيؤى[٤]. بل ويؤخذ اسم الإشارة نسبة مثل الكذائى[٥]. ويثنى الاسم بطريقة غير مفهومة مثل اللحاظان[٦]. ويستعمل الجمع أيضا بنفس الطريقة مثل اللبيات[٧].

وأحيانا تكون الغربة فى المصطلح ذاته مثل "الامكان المزبور" والخمينى على وعى بهذا الاسم المصدرى وكثرة استعماله[٨]. وأحيانا تدل بعض الألفاظ على معانى حرفية وليست عرفية

---

(١) تنقيح الأصول جـ١/٢٩٣/٢٩٨.

(٢) "فنحن نرى بالوجدان"، الإمام الخمينى: معتمد الأصول ص٤١٨.

(٣) السابق جـ١/٩٢/١١٨/٢١٩/٢٢٩/٢٩١/٣٤٢/٣٩١/٣٩٢، جـ٢/١٠/٢٣/٨٢/١١١/١١٥/٢٤١/٢٦٠-٢٦٢/٢٦٨/٢٧٠.

(٤) السابق جـ١/٧٨/١٠٨/١٣٧/١٤١/١٤٦-١٤٨/١٥٨/١٦٢/١٦٤/١٦٧/١٦١.

(٥) السابق جـ١/٣، جـ٢/٢٩٨.

(٦) السابق جـ١/١٨١.

(٧) السابق جـ٢/٢٥٥، إخطارية، إيجادية جـ١/٧٣، اللحاظ الآلى والاستدلالى جـ١/١٠٨، الهوهوية التصديقية جـ١/١١٨/٢١٩/٢٢٩، الصحيحى جـ١/١٤٦/١٦١-١٦٢/١٦٤، الاقتضائى أو التعليقى جـ١/١٤٧، الصحيحى والأعمى جـ١/١٤٨-١٩٧، اللحظان التابعيان الآليتان جـ١/١٨١، البنتية جـ١/١٩٥، التهيئى جـ١/٢٠٢، التصرفية جـ١/٣٤٢، الكاشفية جـ١/٣٩١.

(٨) الإمام الخمينى: معتمد الأصول ص٤١٣.

مثل المجتمع الذى يعنى الاجتماع وليس جماعة من الناس(١).

وهناك نوعان من مؤلفات أصول الفقه عند الإمام الخمينى: الأول متون كتبها بنفسه سواء نشرها فى حياته أم حققها أحد تلاميذه أو أعوانه بعد وفاته. وهى نوعان كلية مثل "مناهج الأصول" و"أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية" أو جزئية مثل "الاجتهاد والتقليد" و"الاستصحاب" و"التعادل والتراجيح". والثانى تقارير كتبها أى ألفها تلاميذه وخلفائه عن دروس فى الحوزة العلمية سواء كاملة أو ناقصة مثل "معتمد الأصول" و"جواهر الأصول" و"تنقيح الأصول". تعطى الأولوية فى عرضها إلى مؤلفات الخمينى التى كتبها بنفسه الكلية أولا مثل "مناهج الأصول" والجزئية ثانيا مثل "الاجتهاد والتقليد"، والتعليقات على الآخرين ثالثا مثل "أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية"، ثم التقارير رابعا طبقا لسنوات نشرها ابتداء من "جواهر الأصول" إلى "تنقيح الأصول" حتى "معتمد الأصول". ولما كان مصطفى الخمينى كثير الإحالة إلى مؤلفات الوالد، جد أولادى، وإعلان الانتساب إليه فقد أضيف ضمن المدرسة الخمينية.

وهى طريقة تأليف يتميز بها أصول الفقه الشيعى، الأفكار من إمام عالم والتحرير من أحد طلابه وخلصائه كما هو الحال فى علاقة الأفغانى بمحمد عبده فى "العروة الوثقى"، أفكار الأفغانى وتحرير محمد عبده. "معتمد الأصول" دروس الخمينى وتحرير النكرانى. يصف المحرر فكر المحاضر ويعرض آراءه. وهذا التأليف المزدوج، واحد للمعنى والثانى للعبارة. يضع تساؤلات عدة مثل: هل كان المحاضر يتكلم بالعربية أم بالفارسية؟ هل كان المحرر يدون أثناء سماع الدروس أم أن كان يسترجعها بعد السماع؟ هل كان المحاضر يلقى الدروس شفاها أم أنه كان يقرأ من مذكرات جمعها المحرر؟ هل كان المحاضر يتكلم ببطء ويملى حتى يعطى للمستمع الفرصة للتدوين أم أن المدون مجرد ملخص للدروس كما حفظتها الذاكرة. هل كان المحرر يدون أثناء السماع أو بعد ذلك آخر النهار أو آخر الأسبوع، قصرت المدة أم طالت؟ إلى أى حد يكون المعنى من المحاضر والأسلوب من المحرر أم أن المحرر حافظ قدر الإمكان على أسلوب المحاضر

---

(١) الصحيحى، تنقيح الأصول جـ١/١٠٤/١١١/١١٤/١٢٣/١٢٨-١٢٩. الجامع المقولى، السابق جـ١/١٠٨. الأعمى، السابق جـ١/١١٦/١٢٨-١٢٩/١٧٤. الأخصى، السابق جـ١/١٧٢. المحبوبية، المبغوضية جـ٢/٢٢٩. المفهومية، المواطئية، المجهولية، المجموعى، الكبروياه، السفروياه، السابق جـ٣/١٥/١٨٣/٤٠٩/٤٣٢-٤٣٤/٥٦٩/٦٣٥. العهدية، الأعدلية، الصدقية، الأفقهية، الأشهرية، المرجحية، الفتوائية، السابق جـ٤/٣٢١/٥٥٢/٥٦٤/٥٧٤/ ٦٢٨. الأمر الارتكازى، الاجتهاد والتقليد ص١١٣. التخيير اليدوى ص١٢/١٥١. المحاورات العرفية ص٩. تنقيح الفصول جـ٢/٢١٠: "المقدمية" معتمد الأصول ص١١٢-١١٣. "المحبوبية"، "المبغوضية" ص١٩٥-١٩٦. الطريقية، المعلومية، المعللية، الكاشفية، الأدلة اللبية، الهوهوية، المحبوبية، المبغوضية، الطريقية، أنوار الهداية جـ١/٣٧/٦٦/٧١/١١٥/١٧١/١٧٧/٢١١/٢١٨، جـ٢/١٦٧.

وألفاظه وطريقة إلقائه؟ هل أسلوب التحرير يرجع إلى المحاضر أم أنـه أسلوب نمطى فـى هـذا النوع من التأليف يستعمله كل المقررين مثل النائينى فـى تقريـره عـن "الخراسـانى" فـى "فوائـد الأصول"؟ هل هو تلخيص يتجاوز الأسلوب الشفاهى، ويحوله إلى أسلوب التدوين، ويعتمد علـى الاقتباس بين الحين والآخر بدليل وجود لفظ "انتهى"؟ هل التقرير شـرح فقـرات مـن المحـاضر والربط بينها؟ وهل الإحالة إلى المصـادر مـن المحـاضر أو مـن المقرر؟ وهـل النقـد والمراجعـة مـن المحاضر أو من المقرر؟ هل وظيفة المقرر مجرد النقل والتدوين مثل الراوى أم أنه أيضـا لـه موقفـه ورأيه ونقده لما يسمع؟ هل مراجعة الأدبيات ونقدها من المحاضر أو المقرر؟[1].

ويكون الإشكال عندما يتم التحدث بالشخص الأول. مـن المتحـدث، المحـاضر أم المقـرر، المتكلم أم السامع؟ وأحيانا يتم التحدث بالشخص الثالث فمن هو المشار إليه؟ هـل يصبـح المقـرر هو المؤلف والمحاضر هو الآخر؟

وليس التقرير مجرد عرض أو تأييد بل هو أيضـا نقد وتفنيد سواء من المحاضر أو من المقرر. يكشف عن أغلاط المقدمات، وأخطاء الاستدلال، وتناقض النتائج[2].

وفى كلتا الحالتين تتم الإحالة إلى المصادر فى الهوامش كالدراسات الحديثة، لا فـرق بـين المصدر والمرجع. كما يتم شـرح النفس والاعتمـاد علـى المصـادر للمؤلـف أو للمقـرر بالإضـافـة إلى الإحالة إلى مصادر الآخرين[3].

١- "مناهج الوصول إلى علم الأصـول" للإمـام الخمينـى (ت ١٤٠٩ق-١٣٦٨ش)[4].

وهو تكرار لنفس المادة الأصولية الموجودة فى باقى المؤلفات الأصولية للإمام أو فى التقـارير التـى ألفها المريدون. وهو مكتوب بمنهج جامعى حوزى هـادئ رصـين يكشـف عـن شـخصية الإمـام. يتكلم من عل، وينظر إلى الموضوع من أعلى. يدل على معرفة صاحبه بأصول الصنعـة ومقتضيـات الحرفة. وأقل استعمالا للأسلوب النمطى للتقارير خاصة فى لازمات العبارة فى الأوائل والأواخر. ومع ذلك يظهر أسلوب القيل والقال، والسؤال والجواب، والشبه والردود، والتوهمات والدفـوع، والإشكالات والحلول، والإيقاظات والتنبيهات. ولا يتنازل عن منهج الإيضاح بتحليـل العبـارات

---

(١) مثل "ونقدم فساد ما فى الكفاية"، الخمينى: معتمد الأصول ص٢٦٦، "ومما ذكرنا ظهر فساد ما فـى الكفايـة"، السابق ص١٧٠. نقد صاحب الكفاية من الخمينى أم من التكرانى، السابق ص٣٨٣.

(٢) "أقول هذه المقدمات مغالطة وقع فيها"، تنقيح الأصول، جـ٢/١٠٨.

(٣) الإمام الخمينى: تنقيح الفصول جـ١/٢٦.

(٤) الإمام الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الأصول (جزءان)، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمـام الخمينـى، قم ١٤١٤هـ (د.ت).

وضرب الأمثلة[1]. وفى نفس الوقت يغلب على التحليل اللغوى التحليل الفلسفى الصوفى الخالص أى الرؤية الإشراقية للعلم. فالإمام إشراقى النزعة، تلميذ صدر المتألهين حتى ولو كان منطقيا أصوليا[2]. ومع ذلك، يعتمد على العقل أكثر من النقل، وأقل استعمالا لتراث السابقين. ويضيفه إلى آخر الكتاب مرة واحدة كنوع من مراجعة الأدبيات[3]. وهو مازال مرتبطا بالفقه وبالأمثلة الفقهية[4].

ويقوم "مناهج الأصول" على قسمة خماسية للعلم كلها فى مباحث الألفاظ: الأوامر، النواهى، المفاهيم، العام والخاص، المطلق والمقيد. أكبرها الأوامر وأصغرها المطلق والمقيد[5]. ويضاف إليها مقدمة وافية من عدة أوامر لتحديد موضوع العلم والوضع وبعض مباحث الألفاظ مثل المجاز والاشتراك ومعانى الألفاظ[6]. فالتأويل كل شىء للنص وللفعل. والتأويل قادر على تحريك كل شىء.

ويعتمد الأسلوب فى أول الجملة أو الفقرة على القيل والقال والسؤال والجواب، والشبهة والدفع والبحث والتحقيق، والتنبيه والإيقاظ. وذلك من أجل توضيح السر وبيان الغامض، وحل الإشكال ودفع الوهم ودحض دعوى، فلا يخفى شىء، وبيان وجه الدفع. ويتم ذلك بإيراد الأدلة والتحقق من صدقها فى مضمونها، وإيراد العمدة فى الموضوع. ويتم الاستنتاج من المقدمات إلى النتائج. فإذا عرفت المقدمات عرفت النتائج، فتحصل النتيجة، ويظهر من القول. ويتم وصف الخطوات بأنها بحث وتحقيق، نقل وتنقيح ونقل كلام، نقل وتحصيل. وتأتى النتائج بالجملة فى رؤية كلية وخاتمة نهائية. ثم يضاف تكميل أو تتميم، تذكرة أو تتمة أو تذبذب. وتتم مشاركة القارئ بدعوته إلى التأمل والتدبر والتذكر والمراجعة والفهم وعدم الغفلة، وعادة ما يكون فى آخر الكلام. والقارئ خبير بالموضوع. ثم يصدر الحكم فى النهاية بالصحة أو الفساد، بالإمكان أو الامتناع. وهو حكم يقوم على الإنصاف. ويتم الإعلان عن الخطوة القادمة فى مسار الفكر. ويتم التعبير عن النتيجة بعدة صياغات حتى تتضح الأمور دون تطويل كما يتم اقتباس أقوال بنصها أو بمعانيها والإعلان عن نهايتها، من المتقدمين والمتأخرين نظرا لتطور العلم. ثم يعلن عن الحمد والمشيئة الإلهية، فكل شىء بيده. وأهم خطوة فى مسار الفكر هو التحقق من

(١) وهو المنهج السائد فى فلسفة اللغة المعاصرة فى الغرب.

(٢) مناهج الأصول جـ١/١٥١، جـ٢/١٥٠/٢٢٦.

(٣) السابق جـ١/٣٨٨-٤١٩.

(٤) السابق جـ٢/١٩٤.

(٥) الأوامر (٢٧٤)، العام والخاص (٨٤)، النواهى (٧٢)، المفاهيم (٥٤)، المطلق والمقيد (٢٩).

(٦) المقدمة (٢٢٨) مكونة من أربعة عشر أمرا.

صدق الأدلة والنتيجة العامة والإعلان عن نهاية الاقتباس من أقوال الآخرين مع أهمية عمليات الإيضاح والبيان ومشاركة القارئ[1].

ويعتمد "مناهج الأصول"، وأصول الفقه الشيعي عامة على شواهد نقلية أقل، وعلى حجج عقلية أكثر. فقد احتكر السلطان النقل واعتمدت المعارضة على العقل. ويعتمد على الآيات أقل من الاعتماد على الأحاديث، فالآيات محكمة يصعب تأويلها في حين أن الحديث يمكن التلاعب بصحته خاصة وأن لكل فرقة إصحاحاتها، الإصحاحات الخمسة عند السنة، وإصحاحات زرارة وحنظلة وغيرها عند الشيعة. كما يستعمل القليل من الشعر نظرا لخصوصية التجربة الشعرية[2]. ويوضع الأئمة مع الأنبياء، ويأتي على بطبيعة الحال بعد النبي، ويأتي جعفر الباقر، ثم أبو عبد الله الصادق، ثم سيد الشهداء والإمام الحجة ولى العصر "عجل الله فرجه"، ثم الإمام الرضا والإمامان الصادقان قبل الأنبياء مثل إبراهيم وموسى ويحيى ويوسف ومعهم باقي أئمة الشيعة مثل: السجاد، والكاظم، والجواد، والهادي، والعسكري[3]. وأحيانا يتم الإشارة إلى الشيخ الأعظم أو شيخنا العلامة وإلى بعض المحققين أو الأعاظم على العموم[4].

ومن أسماء الأعلام يأتي الخراساني أولا، ثم الأنصاري، ثم الحائري، ثم الحائري صاحب الفصول، ثم الهمداني والطبطبائي، ثم الشيرازي، ثم يدخل الفلاسفة مثل ابن سينا نظرا للطابع الفلسفي المنطقي لأصول الفقه الشيعي والجبائي (أبو هاشم) من المعتزلة نظرا لاعتماده أيضا على أصول الاعتزال في التوحيد والعدل وخاصة الحسن والقبح العقليين مع الأصوليين مثل العراقي

---

(١) والتحقيق (٤١)، وبالجملة (٣٢)، الحاصل (٢٢)، انتهى (٢٠)، التوهم والدفع (١٧)، الإيضاح، وبعبارة أخرى (١٢)، الظهور (١١)، التنبيه (١٠).

مشاركة القارئ (١٩): فتدبر (٦)، فراجع (٥)، فلا تغفل، فتأمل (٢). فافهم واغتنم، فافهم واستقم، فتذكر، فانتظر (١).

كشف السر (٢): والسر فيما ذكرنا، والسر فيه (١).

وبعده لا يخفى على أحد: كما لا يخفى (٢)، ولا يخفى وهو واضح (٢)، ويراه القارئ. وهو كما ترى (٤)، والوضوح لا يحتاج إلى تطويل، وتقريره (١)، العمدة (٣)، وإذا عرفت ذلك فاعلم، وإذا عرفت ما تقدم فالتحقيق (٣)، إن شاء الله (١)

(٢) الأحاديث (٣٧)، الآيات (٣٥)، الشعر (٥).

(٣) النبي (٩)، أمير المؤمنين (علي) (٨)، الباقر، عبد الله الصادق (٤)، سيد الشهداء، الإمام الحجة (٣)، الرضا، الإمامان الصادقان (٢)، السجاد، الكاظم، الجواد، الهادي، العسكري، الكاظمان، العسكريان (١)، إبراهيم، موسى، يحيى، يوسف (١).

(٤) بعض الأعاظم، بعض المحققين (٦). أعاظم العصر، محققي العصر، بعض المحققين (١)، جمع من المحققين (١)، شيخنا الأعظم (٥)، شيخنا العلامة (١).

والأصفهانى والكمبانى محقق المحشى، والمرتضى، وبعض علماء اللغة السنة مثل السكاكى. ثم يأتى الشيخ الطوسى صاحب "العدة"، والبهائى، والقمى (الشيخ الصدوق) والشيخ المفيد، والنائينى، والطهرانى (المحقق)، والأصفهانى (شيخ الشريعة) وصاحب المعالم ومعهم أبو حنيفة النعمان فقيه أهل السنة والزركلى صاحب الأعلام الحديث[1]. ثم يتوالى باقى الأصوليين الشيعة مثل الحلى (العلامة)، والمحقق الرشتى، والمحقق الهمذانى، والاسترابادى، والحلى (فخر المحققين)، وكاشف الغطاء، والبهبهانى. ومعهم بعض متكلمى السنة معتزلة وأشاعرة مثل الأشعرى والبصرى والباقلانى[2]. ثم يتوالى باقى الأعلام من الأصوليين الشيعة مثل إبراهيم النخعى وأسعد الدوانى والميرزا باقر والأعرجى والخوئى والخوانسارى والبروجوردى والنيسابورى والسبزوارى والأراكى والأعرجى والداماد والشهيد الأول. ومن الفلاسفة الكرمانى. ومن المحدثين زرارة، مع أصوليى أهل السنة مثل القاضى عبد الجبار ومالك ومحمد بن حسن الشيبانى وأبو الحسن البصرى وأبو الحسن الأشعرى وأبو موسى الأشعرى والتفتازانى والرازى والغزالى مع بعض الشعراء مثل امرؤ القيس، والصوفية مثل الحلاج. ومن فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو[3].

كما يلجأ الخمينى إلى التجربة البشرية التاريخية كأساس لعلم الأصول مثل بساطة الحياة الأولى حين الحديث عن "الواضع وكيفية الوضع" فى أو العلم وهو ما يعادل نظرية التوقيف والإصلاح فى اللغة فى أصول الفقه السنى[4].

ومن الطوائف والفرق تأتى الشيعة أولا بطبيعة الحال ثم الفرس والإمامية والأشاعرة ثم العرب ثم قريش ثم المذاهب الفقهية مثل الشافعية ومذهب أبى حنيفة ومذهب مالك، والحنابلة، وفرق المعتزلة مثل البهشمية والجبائية، والخوارج، وأهل المدينة، وبنو أمية، والقميون[5].

ومن الأماكن يأتى النجف الأشرف لوفرة علمائها. ثم تتداخل مدن البصرة والكوفة وبغداد

---

(١) الخراسانى (٦٤)، الأنصارى (٢٩)، الحائرى (٢٥)، الحائرى صاحب الفصول (٩)، الهمدانى، الطبطبائى (٦)، الشيرازى (٥)، ابن سينا، الجبائى (أبو هاشم)، العراقى، الأصفهانى، الكمبانى، المرتضى، السكاكى (٤)، الطوسى، البهائى، القمى، المفيد، الطهرانى، الأصفهانى، صاحب المعالم، أبو حنيفة، الزركلى (٣).

(٢) الشيخ جعفر الكبير النجفى، العلامة الحلى، المحقق الرشتى، المحقق الهمذانى، الحاجى، الأهوازى الدروقى، الحلى (فخر المحققين)، الاسترابادى، كاشف الغطاء، البهبهانى (٢)، الأشعرى، البصرى، الباقلانى (٢).

(٣) ومجموعهم حوالى (٩٣) علما.

(٤) "لا شبهة فى أن البشر فى الأزمنة القديمة جدا كان فى غاية سذاجة الحياة وبساطة المعيشة وبحسبها كان احتياجه إلى الألفاظ محصورا محدودا فوضعها على حسب احتياجه المحدود..."، مناهج الأصول جـ١/٥٥.

(٥) الشيعة (٥)، الإمامية، الفرس، الأشاعرة (٤)، العرب (٣)، قريش (٢)، الشافعية، مذهب أبى حنيفة، مذهب مالك، الحنابلة، المعتزلة، البهشمية، الجبائية، الخوارج، أهل المدينة، بنو أمية، القميون، بنو مرجانة (١).

وسامراء وكربلاء من العراق مع مدن أصفهان وقم من إيران، والصحن المطهر (قبر علي) مع شيراز، ودمشق ومكة مع أراك وهمدان وإيران كيف[1]. ثم تتداخل المدن العربية مع الإيرانية مع قلة من مدن اليونان[2].

وقد أحيل إلى مئات من النصوص الأصولية القديمة يأتي في مقدمتها كفاية الأصول للخراساني ثم فوائد الأصول. وتجمع بين الأصول والتاريخ مثل وسائل الشيعة والعقائد مثل معالم الدين، وبين المتون والشروح والحواشي مثل "حاشية البرجوردي على كفاية الأصول". وتضم المعاجم مثل "لسان العرب" والقواميس وكتب الأعلام مثل ابن خلكان والزركلي، القدماء والمحدثين. كما يحيل الإمام الخميني إلى بعض رسائله مثل الاجتهاد والتقليد، ورسالة الاستصحاب، ورسالة التعادل والتراجيح، ورسالة الطلب والإرادة، والى بعض كتب الفقه الشيعي مثل كتاب الصلاة للحائري والأنصاري. كما تضم بعض كتب التاريخ مثل تاريخ بغداد وأعيان الشيعة. كما يحيل إلى بعض النصوص الفلسفية مثل الشفاء والإشارات والنجاة والقانون في الطب لابن سينا، والى بعض متون المنطق مثل "البصائر النصيرية"، وكتب التاريخ مثل البداية والنهاية لابن كثير، وكتب التفسير مثل "البرهان في تفسير القرآن"[3].

---

(١) النجف الأشرف (١٣)، البصرة (٨)، الكوفة (٧)، بغداد، أصفهان (٦)، قم (٥)، إيران، سامراء، العراق، كربلاء (٤)، الصحن المطهر، شيراز (٣)، أراك، إيران كيف، دمشق، مكة، همدان (٢).

(٢) حوالي (٤٧) مكانا منها مدن إيرانية (٣٠)، وعربية (١٥)، ويونانية (٢).

(٣) أحيل إلى ١٩٢ نصا موزعة كالآتي: الكفاية (١٤٥)، فوائد الأصول (١١٢)، مطارح الأسفار (٥٨)، الفصول الفردية (٥٣)، نهاية الدراية (٥٢)، نهاية الأفكار (٥٠)، بدائع الأفكار (٤٣)، درر الفوائد (٤٢)، أجود التقريرات (٣٦)، مقالات الأصول (٣٢)، قوانين الأصول (٢٩)، وسائل الشيعة (٢٥)، نهاية الأصول (٢٤)، الإسناد، هدية المسترشدين (١٩)، معالم الدين (١٤)، الحاشية على كفاية الأصول (البرجوردي)، روضات الجنات (١٢)، الكنى والألقاب (١١)، أعيان الشيعة، التهذيب (الطوسي)، الكافي (٩)، لسان العرب، معارف الرجال، وفيات الأعيان (٧)، تنقيح المثال، الشواهد الربوبية، معجم رجال الحديث، من لا يحضره الفقيه، نقباء تنقيح المثال والبشر (٦)، الرسائل (الإمام)، شرح الشمية، شرح المنظومة، فرائد الأصول، مفاتيح الأصول (٥)، تاريخ بغداد، حاشية الشكيني على الكفاية، شذرات الذهب، شرح الكفاية، الفوائد الرضوية، مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام (٤)، الأعلام (الزركلي)، إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، حاشية ملا عبد الله، رجال النجاشي، رسالة في الاستصحاب (ضمن رسائل الإمام)، السرائر، الشفاء (ابن سينا)، الكرام البررة، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، مصباح الفقيه (الهمداني)، المطول، مفتاح العلوم (السكاكي)، وقاية الأذهان (٣)، أمل الآمل، البصائر النصيرية، البهجة المرضية، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، تشريح الأصول، ثواب الأعمال، جواهر الكلام، حاشية المحقق الدواني على شرح التجريد، دعائم الإسلام، الذريعة إلى أصول الشريعة، رجال العلامة، رياض العلماء، زبدة الأصول، سلافة العصر، شرح ابن عقيل، شرح التجريد (القوشجي)، شروح التلخيص، طبقات أعلام الشيعة، عوالي اللآلي، مجمع البحرين، مجمع البيان، محاضرات=

كما يحيل إلى عديد من المصادر السنية مثل المذاهب الفقهية الأربعة، وكتب الإصحاحات الخمسة، ومسند أحمد بن حنبل وإلى بعض متون أصول الفقه عند أهل السنة مثل المنخول للغزالى، وإلى بعض المؤلفات الفقهية والأصولية للمعتزلة مثل الشامل فى الفقه وتذكرة العالم لأبى هاشم الجبائى. ومن الكتب الكلامية الملل والنحل للشهرستانى واللوامع الإلهية فى المباحث الكلامية وبعض دواوين الشعر العربى مثل ديوان امرئ القيس. ويحيل إلى بعض متون اللغة مثل ألفية ابن مالك، كما يحيل إلى بعض متون التصوف مثل "توليفات على نصوص الحكم"، و"حلية الأولياء"، ومفاتيح الغيب، وشواهد الربوبية للاصدرا. كما يحيل إلى بعض دوائر المعارف العربية مثل دائرة المعارف للبستانى، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى، والموسوعة الفلسفية. فعلم أصول الفقه جزء من منظومة العلوم الإسلامية كلها عند الشيعة والسنة.

٢- "الاجتهاد والتقليد" للإمام الخمينى[1]. وهو موضوع جزئى مثل رسالة الاستصحاب، ورسالة التعارض والتراجيح. وتدل كثرة الألقاب المعطاه له مثل "فخر المجتهدين"، "ملجأ المؤمنين"، "زعيم المسلمين"، "آية الله العظمى"، "السيد"، "روح الله"، "الإمام" ...الخ على تعظيم المؤلف على حساب العمل. يتبع فيه أسلوب القيل والقال، والرد على السؤال، والإجابة عن الشبهة. يقدم فكرا إشكاليا يقوم على السجال والحجاج. ومع ذلك يتكلم الإمام من عل، باسم سلطة خفية باطنية، يضع الحقائق أكثر مما يبرهن عليها.

ويغلب عليه الأسلوب النمطى عند الشيعة الذى يبدأ بوضع الإشكالات، ودفع التوهم والتنبيه والإيقاظ والتوضيح وعدم الإخفاء والتحقق من الأدلة، والعمل بالجمل، وتحصيل النتائج وظهورها، وتبديد الأسرار، ومشاركة القارئ، والاعتماد على خبرته من أجل إصدار الحكم المنصف[2].

=فى أصول الفقه، محجة العلماء (المحقق الطهرانى)، المعتبر، منتهى الأصول، نقد الرجال، الوافى بالوفيات، مستدرك الوسائل (٢)، بالإضافة إلى عدد من الأعمال (١١٧) يذكر منها كل واحد مرة واحدة مثل رسالة الاجتهاد والتقليد، ورسالة الطلب والإرادة، ورسالة التعادل والتراجيح للإمام، وإصحاحات أهل السنة لابن ماجه وداود والنسائى ومسلم، والشامل فى الفقه، والعمدة فى الأصول للجبائى، وقواعد الأحكام للحلى، والقانون فى الطب والشفاء والنجاه لابن سينا، وكتاب القضاء للعراقى، وكشف الغطاء، والمنخول للغزالى ...الخ.

(١) فخر المجتهدين، وملجأ المؤمنين، وزعيم المسلمين، آية الله العظمى، السيد روح الله الموسوى، الإمام الخمينى: الاجتهاد والتقليد، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، مطبعة مؤسسة البروج، قم ١٤١٨هـ.

(٢) وبالجملة، الحاصل (٩)، الإنصاف (٦)، التوضيح وعدم الخفاء والعلم (٧)، ظهور السر، والتوهم والدعوى والامتناع والإشكال (٥)، وأنت خبير (٢)، والملخص، والشهادة، وبعبارة أخرى (٣).

وهو فى مادة الاجتهاد وليس فى شكله، فى موضوعه وليس فى بنيته. يتراءى فيه موضوع المفضول والأفضل من علم أصول الدين. كما تظهر بعض عقائد الشيعة خاصة الغيبة التى تبرر الاجتهاد، غيبة ولى العصر، وزمان الغيبة[١]. ومع ذلك يشير إلى العلوم العربية وعلوم العرب[٢].

ويظهر البعد السياسى فى استعمال ألفاظ الحكم والحكومة والحاكمية والسلطان الجائر أى السلطة وذكر الأحاديث عنه مع أهل الجور والأمراء والسلاطين[٣].

والبنية خماسية: تدور حول شئون الفقيه أى شروطه، وشرط الحياة، وتبدل الاجتهاد، والتخيير واختلاف الحى والميت فى مسألة البقاء[٤]. ولما كان الحى والميت يتكرران فترد البنية الخماسية إلى رباعية: الشروط، والحياة والمحك، وتبدل الاجتهاد والتخيير. أكبرها الأول وأصغرها الرابع[٥]. وفيها تكون الأولوية للتأويل والنظر والاجتهاد دون قطع أو حرفية أو ثبات لنص أو لفعل.

ومن الأنبياء والأئمة يتقدم أئمة آل البيت، ثم الإمام الصادق، ثم الرسول، ثم الرضا، ثم أمير المؤمنين، ثم الباقر والهادى والعسكرى وداود[٦]. ومن الأعلام يتقدم أبو خديجة، ثم زرارة[٧]. ومن الكتب يحال إلى الفهرست، ثم إلى تفسير العسكرى وعيون أخبار الرضا ومعانى الأخبار وغيرها[٨].

---

(١) السابق ص١٤/٢٠/٢٣/٣٨/٧٤.

(٢) زمان الأئمة (٧)، علوم العرب، العلوم العربية (١).

(٣) السابق ص٣٣-٣٨/٤٠/٤٥.

(٤) ١- ذكر شئون الفقيه ٢- فى أنه هل تشترط الحياة فى المفتى أم لا؟ ٣- فى تبدل الاجتهاد ٤- هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ ٥- فى اختلاف الحى والميت فى مسألة البقاء.

(٥) ذكر شئون الفقيه (١١٤)، فى أنه هل تشترط الحياة فى المفتى أم لا؟، فى تبدل الاجتهاد (١٦)، فى اختلاف الحى والميت فى مسألة البقاء (١٢)، هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ (٦).

(٦) أئمة آل البيت (٢١)، الإمام الصادق أبو عبد الله (١٧)، الرسول (١٠)، الإمام الرضا (٧)، أمير المؤمنين (٢)، الباقر، الهادى، العسكرى، داود (١).

(٧) يذكر ٥٤ علما فى مقدمتهم أبو خديجة (سالم بن مكرم الجمال) (٧)، زرارة (٦)، الثقفى (محمد بن مسلم)، زكريا بن آدم، الحائرى، الصدوق (٥)، ابن أبى ليلى، الحلى، على بن المسيب (٤)، الأسدى، أحمد بن هاشم، الحسين بن سعيد، الطوسى، الكنى (٣)، أبان بن تغلب، ابن عيسى، ابن مهران، شريم، المرتضى الأنصارى، النجاشى، هشام بن سالم، أبو الجهم، أحمد بن عائد، داود بن فرقد، سليمان بن خالد (٢)، وحوالى ٣٠ علما مفردا مثل قتادة وقثيم بن عباس والحلى والقداح.

(٨) نذكر عشرة كتب هى: الفهرست (٤)، تفسير الإمام العسكرى، عيون أخبار الرضا، معانى الأخبار (٢)، تذكرة الفقهاء، جواهر الكلام، السرائر، الغيبة، قواعد الأحكام، نهج البلاغة (١).

ويعتمد على عدد من الآيات والأحاديث[1]. ويقطع الحديث عبارة عبارة لشرحه على نحو جزئى للاستدلال به[2]. ويتحقق من صدق الرواة. لذلك يكثر ذكرهم. ويعتمد على السابقين بألقابهم حتى لقد تختلط الأسماء نظرا لتكرار الألقاب مثل العلامة (للحلى وللحائرى)، والمحقق (للخراسانى وللنائينى). ومع ذلك يقل تردد الأسماء[3]. كما يقل ذكر المذاهب والفرق باستثناء الإخباريين والصدوقين. كما تذكر بعض إصحاحات الشيعة مثل مقبولة حنظلة وصحيحة زرارة، وكتب الأعاظم وكتب ابن فضال، وعيون الأخبار (العيون) وكتاب أبى نصر والفهرست[4]. وتذكر المؤسسات مثل الشيخة مع التفرقة بين المتقدمين والمتأخرين. كما يعتمد على بعض الخبرات والخاصة والروايات الشفاهية من أعاظم العلماء[5].

٣- "أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية" للإمام الخمينى[6]. وهو ليس متنا أو تقريرا بل تعليقا على "الكفاية" للخراسانى وهو نفس النوع الأدبى فى أصول الفقه السنى يبدأ بأول المتن دون عبارة كاملة منفصلة عن التعليق. ثم يبدأ التعليق كما هو الحال فى تفسير القرآن بورود آية كاملة أو الشرح الكبير لابن رشد بالفصل بين المتن والشرح كما هو الحال فى "تفسير ما بعد الطبيعة". وأحيانا يكون جزءاً من المتن داخل التعليق استنادا إليه. وهو لا يشرح العبارة لفظا لفظا لغويا، مضيفا إليه معلومات من النحو أو الفقه وباقى العلوم النقلية بل يدخل فى موضوع المتن ويعيد دراسته أشبه بـ "الجوامع" عند ابن رشد. وينقد المتن الأول، ويقارن بينه وبين متون أخرى، فالتعليق أقرب إلى الاستقلال عن المتن الأول منه إلى التبعية على عكس شروح وحواشى وتعليقات أهل السنة. ويرد على التساؤلات، ويدفع الشبهات، ويبدد الأوهام، ويحل

---

(١) الأحاديث (٣٨)، الآيات (١٦).

(٢) الاجتهاد والتقليد ص٥.

(٣) أبو عبد الله جعفر بن محمد (٨)، الرضا (٥)، شيخنا العلامة (٤)، محمد بن عيسى (٣)، أبو محمد الحسين بن على، أحمد بن عائد، زكريا بن آدم، محمد بن مسلم الثقفى، شريم (٢)، شيخ الطائفة، داود بن فرقد، المحقق الخراسانى، العلامة الحائرى (١).

(٤) أبو خديجة وصحيحه (سالم بن مكرم) (٤)، أبو الجهم (بكير بن أيمن)، مقبولة عمر بن حنظلة (٢)، صحيحة سليمان بن خالد، اسحق بن عمار، القداح، أبو البحترى محمد بن على بن محبوب، الحسين بن سعيد، الجسين، المعلى بن خفيس، الصادق، الصدوق، ابن أبى عمير، أحمد بن محمد بن خالد، يعقوب بن سعيد، الحسين بن سعيد، الشيخ الأعظم، على بن أسباط، الحسين بن رواح، أبو جعفر، أبان بن تغلب، زرارة، الصادق الأسدى، النجاشى (١).

(٥) "سمع من أبى وكان عنده وجيها"، الاجتهاد والتقليد ص١٠٢.

(٦) الإمام الخمينى: أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية (جزءان)، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤١٥هـ.

الإشكالات بأسلوب القيل والقال والردود المسبقة على الاعتراضات المفترضة. ويقوم التعليق أحيانا بتلخيص المتن دون اقتباس مباشر منه.

والعنوان إشراقى خالص "أنوار الهداية" بالإضافة إلى الإحالة إلى صدر المتألهين وأستاذه الداماد مما يجعل الخمينى حفيدا للتلميذ والأستاذ معا. ويغرق فى الفلسفة الإلهية، ويتحدث عن عالم الملكوت، وباطن النفس، والمادية الهيولانية والهيولى[1]. لا تظهر عقائد الشيعة ومصطلحاتهم إلا نادرا مثل المعصوم[2].

ويتسم الأسلوب بنفس خصائص أسلوب أصول الفقه الشيعى المتون أو التقارير. إذ يدل تحليل الألفاظ فى أول العبارات والفقرات وأواخرها على أن أهم شيء هو النتيجة الكلية والرؤية العامة التى تحصل بعد انتهاء تحليل الموضوع واقتباس الفقرات بعلامة "انتهى". فيتضح الأمر وضوحا تاما فلا يخفى على أحد ويراه القارئ أو المستمع. ويظهر السر بعد المعرفة والعلم. فيظهر الخفى، وينكشف السر بعد التحقق من الأمر.ويتم التعبير عنه بطرق عديدة وعبارات مختلفة بعد الاستدلال والإقناع وتحاشى الدور. ويصدر الحكم بالإنصاف والاختيار بعد السؤال والجواب والاعتراض والرد فى الكلام الدقيق جدا مع حذر من التطويل ورغبة فى الاختصار. وتتم إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق، وختاما بألفاظ المشيئة والإرادة الإلهية[3]. وفى آخر الفقرات تدل ألفاظ أخرى على مشاركة القارئ مثل: فتدبر، فتأمل وراجع، فانتظر وغيرها[4].

ولا ينقسم التعليق إلى أبواب أو فصول مرقمة أو غير مرقمة. بل يقوم على بنية ثلاثية تقليدية هى بنية علم أصول الفقه الشيعى التى تعادل بنية أصول الفقه السنى: مباحث القطع، ومباحث الظن، ومباحث الشك. وأكبرها مباحث الشك ثم مباحث الظن[5]. تشمل مباحث القطع التجرى والإرادة، ومباحث الظن على الظاهر والمؤول، ومباحث الشك على الأدلة الأربعة وبعض مباحث الألفاظ. مباحث القطع تعادل أحكام التكليف عند أهل السنة، ومباحث الظن تشمل

---

(١) السابق جـ٢/٦٨/٨٥/٨٩.

(٢) المعصوم، السابق جـ٢/٨٧.

(٣) وبالجملة (١١٠)، فتحصل، حاصل محصل (٦٢)، انتهى (٤١)، واضح (جدا)، توضيح، نقل كلام وتوضيح مرام، اتضح، كما ترى (٣٦)، ما لا يخفى (٢١)، ظهر، السر (١٠)، إذا عرفت، اعلم (٢٣)، والتحقيق والحق (٢٢)، وبعبارة أخرى (٢٠)، فظهر، الظاهر (١٤)، الرد، الجواب، الكلام الدقيق جدا (١١)، الدليل، الاستدلال، الشاهد، الدعوى، لزوم الدور، اقتناع (٩)، الإنصاف، الاختيار (٧)، حذف الطويل (٦)، ألفاظ السابق واللاحق، سيأتى، أشرنا كما مر (٤)، ألفاظ المشيئة والإرادة (٢)، ليت شعرى، اللهم إلا أن يقال (١).

(٤) فتدبر (جدا) (٧)، فتأمل، فراجع (٥)، فانتظر (٢)، فاستقم، فلا تغفل، وأنت خبير، فلتكن على ذكر (١).

(٥) مباحث الشك (٤٣٦)، مباحث الظن (٢٠٠)، مباحث القطع (١٥٦).

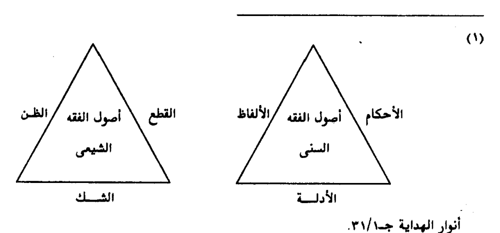
مباحث الألفاظ، ومباحث الشك تشمل الأدلة الأربعة[1]. والثلاثة تقع تحت عنوان الإمارات المعتبرة عقلا أو شرعا. فكل أبعاد الشعور الثلاثة إمارات أى علامات لا فرق بين أحكام وأدلة وألفاظ. فالبنية الثلاثية فى الأصول الشيعية بنية معرفية خالصة تبتلع النص والفعل.

ويعتمد التعليق على الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر[2]. ويغيب الشعر الذى يتناقص مع تجربة التعليق وليس إبداع النص الجديد. ويتقدم النبى على الأئمة كما يتقدم أبو عبد الله الصادق على الباقر والكاظم والحسين وعلى[3]. ثم يتقدم أعلام الشيعة مثل الكاظمى، ثم الأنصارى، ثم الحائرى، ثم الخراسانى، ثم الصدوق، ثم السيد الإمام، ثم الطوسى وغيرهم، بالإضافة إلى عديد من الصحابة والفلاسفة والنحاة، سنة وشيعة على حد سواء[4]. ويحال من الفرق إلى المتأخرين والإخباريين[5].

ومن المؤلفات يحال إلى "فوائد الأصول" ثم "الكفاية" ثم "فرائد الأصول" ثم "الوسائل" ثم

---

(١)



أنوار الهداية جـ١/٣١.

(٢) الأحاديث (١٣٠)، الآيات (٤٧).

(٣) النبى (٢٨)، أبو عبد الله الصادق (٢٤)، الأئمة من آل البيت (٢١)، أبو جعفر الباقر (١١)، أبو الحسن الكاظم، أمير المؤمنين على (٦)، أبو عبد الله الحسين (٥)، الرضا، صاحب الزمان، فاطمة، الحسن، الصادقان، الجوادان، العسكرى، المهدى (١).

(٤) يذكر ٢٣٨ علما: المحقق الكاظمى (٦٣)، الشيخ العلامة الأنصارى (٦٠)، المحقق الخراسانى (٤٥)، المحقق الحائرى (٢٦)، الشيخ الطوسى (٢٠)، الصدوق (١٩)، الشيخ المفيد (٨)، الحسن بن موسى، السيد الإمام (٧)، النجاشى (٦)، البزنطى، ابن زهرة، النجفى، بكير بن أعين، جابر الأنصارى، النجفى (جعفر)، حمران بن اعين، الهمدانى، سماعة بن مهران، عبد الله بن سليمان، الفاضل المهدى، المحقق القمى، الكلينى، زرارة، صاحب الفصول، الأصفهانى، النائينى (٤) بحر العلوم، زرارة بن أعين، البرقى، الخمينى، الصفار، الأسدى (٣)، البهبهانى (٢)، وحوالى سبعين علما مثل أبى بكر وأبى هريرة وأبى ذر وعثمان وابن عباس والحسن من الصحابة، وأحمد بن حنبل من الفقهاء، والبخارى من المحدثين، وشهيد ثانى والحلى والشيرازى والطوسى والمرتضى والمفيد من الشيعة، وابن سينا والرازى من الفلاسفة، وسيبويه من النحاة، والزركلى من المحدثين ...الخ.

(٥) المتأخرون، الإخباريون (١).

"الكافى" ثم "درر الفوائد" ثم "نهاية الأفكار" ثم "التهذيب" إلى آخر أمهات أصول الشيعة بالإضافة إلى بعض التفاسير وبعض الموضوعات الجزئية، التسامح فى أدلة السنن، وبعض أصول السنة للرازى والسرخسى، مع بعض الشروح والتفاسير وعلم ميزان الرجال[1].

ويضاف إليهم بعض كتب الصوفية مثل "شواهد الربوبية" لصدر الدين الشيرازى و"القبسات" والقواميس مثل "لسان العرب"، وكتب أصول الفقه السنى مثل "المحصول". كما يحال إلى كتب إبطال القياس عند الظاهرية والشيعة وإلى كتب أصول أهل السنة مثل "الأحكام" لابن حزم و"المحصول" للرازى، وإلى عشرات الحواشى على الكفاية، وأصول الفقه للشيخ المفيد والمعالم الجديدة للأصول لباقر الصدر، وإلى كتب الفرق مثل الردود على الديانات المنحرفة وكتاب الغيبة، وإلى كتب الفلسفة مثل الإشارات والشفاء لابن سينا خاصة الطبيعيات، وإلى إصحاحات أهل السنة كالبخارى، وإلى كتب التصوف مثل "إحياء علوم الدين" للغزالى و"حلية الأولياء". ومن كتب النحو "القاموس المحيط"، ومن كتب المصطلحات القديمة "التعريفات" للجرجانى، ومن كتب التاريخ، "تاريخ الطبرى"، ومن كتب القواميس المحدثة "أعلام الزركلى".

٤- "جواهر الأصول" للإمام الخمينى[2]. وهو من نوع التقارير التى ألفها الخلصاء من

---

(١) يحال إلى ٣٥١ مؤلفا: فوائد الأصول (٢١٣)، الكفاية (١١١)، فرائد الأصول (٨٨)، الوسائل (٨١)، الكافى (٦٩)، درر الفوائد (٥٣)، نهاية الأفكار (٤٨)، التهذيب (٣٥)، التهذيب (٢٧)، الفقيه (٢٤)، حاشية على فرائد الأصول (١٨)، نهاية الدراية فى شرح الكفاية (٢٠)، الأسفار (١٥)، توحيد الصدوق (١٢)، مستدرك الوسائل (١١)، الاستبصار، القوانين، مطارح الانتظار، معالم رجال الحديث (١٠)، أعيان الشيعة، الكنى والألقاب (٩)، رجال النجاشى، روضات الجنات، عوالى اللآلى، (٨)، الخصال، الرسائل (للخمينى)، رسالة فى الاستصحاب (للخمينى)، معارف الزجال (٧)، مناهج الوصول، غنية النزوع (٦)، أمالى الشيخ الطوسى، أوثق الوسائل فى شرح الوسائل، الفوائد (للخراسانى)، فهرس الطوسى، الكرام البررة، مقالات الأصول، منابس الأنوار (٥)، التبيان فى تفسير القرآن، مجمع البيان، وفيات الأعيان، هداية المسترشدين، نقباء البشر (٤)، أجود التقريرات، الاختصاص، بصائر الدرجات، أمل الآمل، تفسير نور التقليد، تقريب التهذيب، ثواب الأعمال، الذريعة إلى أصول الشريعة، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، رجال الكشى، رياض المسائل، علل الشرائع، كشف المراد، المبسوط، مجمع الفائدة والبرهان، المحاسن (للبرقى)، مدارك الأحكام، مستدرك الوسائل، معالم الدين، الوافى (٣). كما يحال إلى حوالى ٤٢ مؤلفا منهم مرتين مثل إرشاد الطالبين، وأسد الغابة، وتاريخ بغداد، وبعض الحواشى وغيرها، ثم يحال إلى ١٧٣ مؤلفا كل منها مرة واحدة.

(٢) الإمام الخمينى: جواهر الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم آية الله العظمى السيد روح الله الموسوى، تأليف آية الله السيد محمد حسن المرتضوى اللنكرودى (جزءان)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤١٨هـ.

دروس الإمام الخمينى. وهو غير كامل. يتضمن فقط المقدمة (أربعة عشر أمرا) والمقصد الأول فقط "فى الأوامر". لذلك لا يمكن الحكم على بنيته إلا قياسا على باقى الأعمال الأخرى، متونا أو تقاريرا. يتسم بنفس الأسلوب سواء كان الأسلوب الشفاهى للخمينى أو المدون للمحرر. يعتمد على القيل والقال، والحوار الداخلى. كما يتسم بالطابع التأملى، والانكشاف نحو الذات والعثور على بناء معرفى داخلى وليس وضع نظرية فى الفعل فى العالم الخارجى. والتأليف حديث، يحيل إلى الدراسات الحديثة، المصادر والمراجع فى الهوامش.

لذلك يحال إلى الفلسفة والمنطق والتصوف، الشيخ الرئيسى ابن سينا وملاصدرا. ولما كان لكل علم مصطلحاته، تعرض الفكرة مرة باصطلاح المنطق ومرة أخرى باصطلاح الفلسفة. ويتم الإحالة إلى "إيساغوجى" فى الشفاء لابن سينا. وينقد الفكر باستعمال الدور المنطقى. بل إنه يتم التطرق إلى موضوع الله والعالم كما هو الحال فى الفلسفة أو التصوف مقام الثبوت والفرق بينه وبين مقام الإثبات. بل يتم ذكر العرفانية وهو التيار الأثير عند الإمام الخمينى والذى ينتسب إليه[1].

وتستمر المصادر الصريحة على غير العادة فى المصطلحات الفلسفية العربية ومما يكشف عن بعض التكلف اللغوى[2]. وقد يكون الاشتقاق عن طريق النسبة[3].

ويظهر نفس الأسلوب الذى يكشف عن مسار الفكر والذى يهدف إلى الرؤية الشاملة والحصيلة النهائية "بالجملة" بعد التوضيح، توضيح النظر والعبارة وإظهار الخفى ورؤيته والمعرفة والعلم من أجل "الحصول" على النتائج بعد انقداح النظر وترتيب المقدمات. والعلم شعورى فى حاجة إلى إيقاظ وبيان وتنبيه على الوهم، ودفعه أو إزاحته، وكشف السر، والظهور الجلى، والتحقق من صدق الرؤية، ودفع الإشكال والإجابة عليه، والانتهاء إلى الحكم بالصحة أو الفساد، بالإمكان أو الامتناع. وبعده ذكر وتعقيب أو تذنيب أو نقل وتعقيب. ونظرا للاعتماد على الاقتباسات يظهر لفظ "انتهى" ملخصا أو محررا. ويعاد التعبير عن الموضوع بعدة عبارات. وتطلب مشاركة القارئ الخبير والتدبر والمراجعة والملاحظة والفهم والتأمل والترقب ويصدر الحكم بالإنصاف. ويعلن عن اللاحق بالإضافة إلى عبارات النقل من موضوع إلى آخر، والتعبير عن المشيئة الإلهية، وطلب الاستعانة والتوفيق[4].

---

(١) السابق جـ١/٢٧/١٤٦/٣٩/٤٦/١١٣/١٩٧/٢٠٠/٣٣٥، جـ٢/٢٧/٧٠/٧٥.

(٢) مثل: الهوهوية، جامعية، إيجادية، العرضية، الطولية، المحدودية، السابق ص٥٩/١٢٢/١٥٥/٢٨٥/٣٠٠.

(٣) مثل: الصحيحى، الوجود الكذائى، الاقتضائى، الأعمى، السابق ص٢٩٨/٣١٥-٣١٦/٣٢١/٣٢٤/٣٢٥/٣٣١.

(٤) مشاركة القارئ (١٥٠)، وبالجملة (١٣٨)، ألفاظ التوضيح (٨٧)، ألفاظ الظهور (٧٧)، التعقيب (٤٤)،=

ويتم التطرق إلى بعض الموضوعات الحديثة مما توحى بوجود الواقع الحى والعالم الخارجي، والتأسف على ما نشاهد فى عصرنا، ونقد الاتجاه التقليدى فى التأليف، والخلط بين العقل والأصول، وعدم الخبرة[1]. ولا تتطور هذه الجزيئات إلى نظرة كلية ثورية كاملة بالرغم من وجود بعض عناصرها.

ويتم الاستشهاد بالآيات والأحاديث، والآيات أكثر[2]. ويستشهد بالشعر العربى ومرة واحد بالشعر الفارسى[3]. فالشعر تجربة وجدانية، والتحليل الوجدانى أحد مستويات التحليل فى علم الأصول، تحليل الشعور. إذ يتحدث الإمام عن الأثر الوجدانى والأمر الوجدانى[4].

ومن أسماء الأعلام يتقدم العراقى، ثم الخراسانى، ثم النائينى، ثم الحائرى، ثم الأنصارى والأصفهانى، ثم الخمينى، ثم صدر المتألهين، ثم الطوسى وعشرات آخرين من الأصوليين[5]. وقد يكتفى باللقب لشهرته أو بأنه مؤلف أو صاحب هذا الكتاب أو ذاك، فردا أو جماعة مثل "صاحب الفصول"[6]. كما يذكر رواة الشيعة مثل عبد الله وزرارة، ثم ابن إدريس وغيرهم[7]. ويذكر أئمة آل البيت، ثم الإمام والمعصوم والإمام الصادق والأئمة المعصومون وأمير المؤمنين والمتشرعة والإمامية[8]. ويحال إلى عديد من المصادر مثل "المقالات" و"وقاية الأذهان" و"الفصول" و"الكفاية" وغيرها من التعليقات والحواشى[9].

=الحصول (٤٤)، التنبيه واليقظة (٤٠)، علامات الانتهاء (٣٨)، العلم والمعرفة (٢٣)، دفع الإشكال، التحقيق (١٨)، إصدار الحكم الصحيح (١٠)، الإعلان عن اللاحق والسابق (٧)، المشيئة والاستعانة (٥).

(١) السابق ص١٤-٣٤/٢٥/١٧/١٥.

(٢) الآيات (٩١)، الحديث (٤.٥)، الشعر (٦)، كلام العرب، العرب (١).

(٣) بالإضافة إلى ذكر كلمة بالفارسية "برستش" مرتين.

(٤) جواهر الأصول جـ١/٢٨٦/١٢١.

(٥) العراقى (٩٠)، الخراسانى (٦٨)، النائينى (٢٧)، الحائرى (٢٢)، الأنصارى، الأصفهانى (١٦)، الإمام سماحة الأستاذ، صدر المتألهين (٥)، الطوسى (٤)، القوجانى (تعليق على كفاية الأصول)، المحقق الرشتى، السكاكى (٣)، المرتضى، السجاد، على بن أبى طالب (٢)، السبزوارى، عباد بن سليمان، الهمدانى، ابن طباطبا، سيد مشايخنا المحقق الفشاركى، الكاظمى (١).

(٦) صاحب الفصول (١٣)، الشيخ، المحقق (٣)، الشيخ الشهيد، الشيخ الأعظم، بعض الأعاظم، المحقق الشريف، بعض الأكابر (٢)، بعض المحققين، فخر المحققين، أصحابنا الأصوليون، القدماء، العلامة، الصادقون، الأدباء المحققون، بعض المتأخرين، صاحب الجواهر، المحقق صاحب الحاشية، صاحب المعالم، صاحب القوانين (١).

(٧) عبد الله (٨)، زرارة (٣)، ابن إدريس، ابن مالك، العلمان (١).

(٨) أئمة آل البيت (٥)، الإمام، المعصوم، الإمام الصادق، أمير المؤمنين، الأئمة المعصومون، المتشرعة، الإمامية (١).

(٩) المقالات، الفصول (٢)، وقاية الأذهان، الكفاية (١).

٥- "تنقيح الأصول" للإمام الخمينى تأليف الاشتهاردى[١]. وهو تقرير ضخم مكون من أربعة أجزاء، للمؤلف عن دروس الإمام كما هى العادة. يعتمد على الأسلوب المعروف لكتابة التقارير، القيل والقال. ويتم الردود على الاعتراضات، والاعتراض يسمى توهم، والرد يسمى دفع[٢]. وبالرغم من أصول الفقه الشيعى فإن الخمينى يرد على غلاة الشيعة فى العقائد وفى الأصول على حد سواء[٣]. ويتم ذلك باحترام كامل. والصحيح لديه هو المختار[٤]. وبالرغم من الحديث عن التأثير بين العلوم تظهر بعض مصطلحات الصوفية مثل مقام الثبوت[٥]. لذلك يظهر العلم الوجدانى أى تحليل العلم على مستوى الشعور.

وتظهر بعض مصطلحات علم أصول الفقه عند أهل السنة خاصة الشاطبى مثل "المناط" و"الأحكام الوضعية"[٦]. كما تظهر مصطلحات المعتزلة مثل الحسن والقبح، واللطف بعد أن يتحول إلى قاعدة[٧].

وينقسم الكتاب إلى مطالب وليس إلى مقاصد، ستة مطالب الأوامر، والنواهى، والمنطوق والمفهوم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والامارات المعتبرة عقلا وشرعا، وتشمل القطع والظن والبراءة مع الاشتغال، ويضاف إليها الاستصحاب، والتعارض واختلاف الأدلة، وخاتمة فى الاجتهاد والتقليد. وأكبرها الاستصحاب ثم البراءة والاشتغال وأصغرها المطلق والمقيد[٨]. فواضح أن الامارات العقلية والشرعية هى ما يعادل الأدلة الأربعة عند أهل السنة، وأن أهم ما فيها هى القطع والظن والشك أى الأساس المعرفى مع حل التعارض بين الأدلة، والاجتهاد والتقليد. وما دون ذلك هى مباحث الألفاظ وهى الأصغر حجما تصل إلى ما يقرب الثلث[٩].وألفاظ القطع والظن

---

(١) الإمام الخمينى: تنقيح الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأعظم العلامة الأفخم آية الله العظمى السيد روح الله الموسوى، تأليف آية الله الشيخ حسين التقوى الاشتهاردى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤١٨هـ (أربعة أجزاء).

(٢) السابق جـ٤/٥٥٠.

(٣) السابق جـ٣/١٣١.

(٤) السابق جـ٢/٢٤، جـ٣/١٣/١٠٩.

(٥) السابق جـ٣/٤٠٣.

(٦) السابق جـ٢/٢١١/٣٦٠/٤٤٦، جـ٣/٢١/٥٧٣، جـ٤/٧٣/٢٥٣/٢٦٨-٢٦٩/٢٧٠/٢٨٤.

(٧) السابق جـ٣/١٣/١٤٠/١٤٢.

(٨) الاستصحاب (٤٤٦)، البراءة والاشتغال (٤٣٩)، الأوامر (٢٠٢)، المقدمة (١٨٤)، التعارض واختلاف الأدلة (١٣٢)، الظن (١٢٠)، الخاتمة، الاجتهاد والتقليد (١١٨)، العام والخاص (٨٨)، النواهى (٧٦)، القطع (٦٦)، المنطوق والمفهوم (٥٤)، المطلق والمقيد (٣٦) .

(٩) الامارات العقلية والشرعية (١٣٢١)، مباحث الألفاظ (٤٥٦).

والشك وهى البنية الثلاثية المعرفية فى أصول الفقه عند الشيعة، ألفاظ قرآنية مثل الأصول والفروع والكتاب والسنة والإجماع والقياس عند السنة. فالبنية كلها تقوم على التأويل لتحريك النص والتاريخ والفعل.

وهناك وعى بالبنية[1]. وتقوم الامارات على الأصول جوهر الأصول عند الشيعة[2]. وتظهر عبارات "التمفصلات"، الإعلان عن اللاحق والتذكير بالسابق مع بعض اللازمات الدينية والدعوة بالتوفيق على ما تم إنجازه والاستعانة على ما يتم إنجازه بعد[3].

ويحال إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والآيات تتجاوز الأحاديث عدة أضعاف[4]. فالقرآن كدليل مدعاة للثقة أكثر من الحديث. فصحة القرآن أعلى درجة من صحة الحديث. ويقل الشعر للغاية، فالشعر ديوان العرب ومخزون ثقافى للعرب العاربة قبل العرب المستعربة مع أن العروبة هى اللسان.

ومن الأعلام يتقدم النائينى، ثم العراقى، ثم الحائرى، ثم الكلينى، ثم الخراسانى. ويظهر بعض أعلام السنة مثل أبى الحسن البصرى والغزالى والرازى والسيوطى. بل يظهر أكابر فقهائهم مثل أبى حنيفة والشيبانى. ومن أعلام السيرة ابن هشام، ومن الأنبياء إبراهيم[5]. ويقل عدد الأنبياء فى الأصول بالرغم من كثرتهم فى العقائد وتحويل مراحل النبوة إلى فلسفة فى التاريخ[6].

وقد يتحول الاسم إلى لقب. ونظرا لشهرته يكتفى باللقب دون الاسم. ولما شاع لقب المحقق والعلامة والشهيد الأول والثانى تداخلت الألقاب فاختلطت الأسماء أفرادا وجماعات. ويأتى فى

---

(١) السابق جـ٣/٥-٧/٢٠٠.

(٢) السابق جـ٣/٢٠١.

(٣) السابق جـ٤/٢٤٨/٥٨١.

(٤) الآيات (٢٦٣)، الأحاديث (٣٥)، الشعر (٤).

(٥) النائينى (١٥٦)، العراقى (١١٢)، الحائرى (٤٩)، الكلينى (٢٣)، الخراسانى (٣١)، الهمدانى (١٣)، الفراقى (٦)، الطبرسى، المحقق القمى (٥)، السكاكى، الأصبهانى، المجلسى، حسين الأصفهانى (٤)، مرزا الأصفهانى، البهائى، الشيخ المفيد، القاشانى، الآخوند، الطبطبائى، الفشاركى، السبزوارى (٣)، أبو حنيفة (٢)، البهبهائى، المشاركى، الشيرازى، أبو الحسن البصرى، الميرزا حسن الشيرازى، الحذاء، الحلى، الأنصارى، سيد على القاشانى، الحاجى، البهائى، الغزالى، الرازى، الكاشافى، السيوطى، الشيبانى، الهمدانى، الأصبهانى، القمى، ابن هشام، إبراهيم النبى (١).

(٦) من النقل إلى الإبداع. مجـ٣، جـ٣، فصـ٣.

مقدمتها الشيخ الأعظم[1].

وتذكر أسماء الأعلام بأكبر قدر من الاحترام والتبجيل دون طعن أو تكفير لأحد كما يبدو ذلك أحيانا فى مؤلفات بعض أهل السنة خاصة ابن حزم وابن تيمية. وتلحق بعد اسم كل علم عبارات مثل "قدس سره"، "رحمه الله". وأحيانا يكون اسم العلم عنوانا لفقرة لما يمثله من اتجاه.

ويحال إلى مؤلفات أسماء الأعلام بأشخاصهم أو بألقابهم. يتقدمها "الكفاية" ثم "الدرر" ثم "دعائم الإسلام" ثم "الفصول" وغيرها من أمهات المتون الأصولية. وتغيب متون أهل السنة[2].

ومن الفرق يتقدم الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثر فى مقابل أهل الرأى أو أهل النقل فى مقابل أهل العقل أو أهل التقليد فى مقابل أهل التجديد عند أهل السنة، ثم المتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التاريخ من المتقدمين إلى المتأخرين ومتأخرى المتأخرين وهم المعاصرون. كما تظهر فرق الفلاسفة (الحكماء) والمتكلمون، أشاعرة ومعتزلة. ويسموا أيضا العدلية أى أنصار العدل والإمامية. بل تظهر الشافعية كمذهب فقهى[3].

ويأخذ آل البيت ومحدثوا الشيعة مكانة بارزة. ويتقدم الإمام على العموم، ثم المعصوم وهى أول صفة له، ثم الصدوق وهى أيضا إحدى صفاته وألقاب الأئمة على الإطلاق أو على التعيين. والأئمة فى الزمان ولهم أعصارهم وأزمانهم. وصاحب الزمان هو ما ظهر فى الصلة بين النبوة والتاريخ فى علم العقائد[4]. وبطبيعة الحال يظهر على بلقبه أمير المؤمنين أو باسمه على. ثم يتوالى باقى الأئمة مثل الرضا والحسن والصادق والباقر دون تقابل بين الترتيب الزمانى والترتيب الكمى الكيفى. ويوصف أئمة آل البيت بالطاهرين والمعصومين، وتخصص فاطمة الزهراء. ومن أهل السنة يتقدم أبو بكر ثم خديجة. فالصديق لا يقل عن الصادق والصدوق. وخديجة التى نزل

---

(١) الشيخ الأعظم (٨٥)، الشيخ (٨٢)، بعض الأعاظم (١٧)، صاحب الكفاية (١٠)، صاحب الفصول،= =صاحب المعالم، أبو بكر (٨)، المحقق (٧)، بعض المحققين (٦)، الطائفة، صاحب الحاشية، المحققون، العلامة (٢)، فخر المحققين، شيخنا العلامة، أعاظم أهل النظر، الموثقة، محققوهم، صاحب الجواهر، صاحب الدرر، شيخ الشريعة، الشيخ الرئيس، بعض الفقهاء، بعض المحشين، بعض المحققين من المحشين، الشهيد (١).

(٢) الكفاية (١٠٨)، الدرر (١٧)، دعائم الإسلام (١٣)، الفصول (٨)، الحاشية (٧)، كتاب الطهارة، القوانين، الهداية (٦)، المقالات، الفرائد (٢)، المحاسن، الوسيلة، المبسوط، الفقيه، المستدرك، الخلاف، التذكرة، النهاية (١).

(٣) الإخباريون (٦)، الفلاسفة (٤)، المتأخرون (٣)، الأشاعرة، المعتزلة (العدلية)، المتكلمون، القدماء (٢)، الإمامية، الشافعية، الحكماء، الأكثرون، محققوا المتأخرين، محققوا متأخرى المتأخرين (١).

(٤) الإمام (٤٨)، المعصوم (١٦)، الصدوق (١٣)، الأئمة، أعصار الأئمة (١٠)، أمير المؤمنين (٩)، فقه الرضا، أبو بكر (٨)، الحسن، الصادق (٤)، الأئمة الطاهرون، على، الحسن، الرضا، إسماعيل الصدر، جعفر الباقر، أهل البيت، الصادقون، فاطمة الزهراء (٢)، الحسين، الإمام الصادق، المقنع، الصديقة، خديجة (١).

فى منزلها الوحى لا تقل عن فاطمة الزهراء[1].

وللشيعة محدثوهم ورواتهم الثقاة، وصحيحهاتهم مثل زرارة وحنظلة المتباينة عن رواة أهل السنة ومحدثيهم وإصحاحاتهم الخمسة المعروفة مثل البخارى ومسلم. ويتقدمهم أبو عبد الله ثم محمد بن الحسن ثم أبو جعفر ثم زرارة ثم أحمد بن سعيد وغيرهم مما لا يذكرهم أهل السنة. كما لا يذكر الشيعة رواة أهل السنة مثل أبى هريرة وغيره[2]. فصحة المتن فى صحة السند. ويكثران فى الجزأين الثالث والرابع الخاصين بالقطع والظن والشك والاستصحاب، وهى أركان أصول الفقه الشيعى بالأصالة.

وبتحليل عناصر الأسلوب، ألفاظ أوائل الجمل يتقدم لفظ "وبالجملة" من أجل إعطاء الرؤية الكلية للموضوع، وبيان نهاية التلخيص أو الاقتباس فى التقرير. ولما كان التقرير يتابع استدلال الفكر فإنه ينتهى إلى الحاصل أى النتيجة من المقدمات سواء الظاهرة أو الخفية. وقد يكون الاقتباس ملخصا أو "محرارا" وليس نصا. ويتم الاستدلال والانتهاء إلى النتيجة بعد التحقق من صدقها، وحل الإشكال بعديد من العبارات مع التنبيه ودفع التوهمات، واشتراط المشاركة فى المعرفة بالرغم من قلة الدعوة إلى ذلك فى آخر الفقرات. ثم يصدر الحكم بالإنصاف بعد الكشف عن الفاسد والمخدوش والعويص وغير المقبول والممنوع والمغالطة والدور والخلط والبطلان والتناقض. وعلى هذا النحو تتحقق الفائدة القائمة على دقة النظر. ونادرا ما يطلب مشاركة القارئ ومطالبته بالمراجعة[3]. كما تظهر بعض العبارات الإنشائية مثل "ليت شعرى"، "لعمرى" وبعض اللازمات الإيمانية[4].

---

(١) السابق جـ٤/٦٢٥/٦٣٩.

(٢) أبو عبد الله (٥٢)، أبو جعفر (٤٢)، محمد بن الحسن (٣٤)، زرارة (٢٦)، أحمد بن محمد (١٠)، الحسن بن سعيد (٥)، عمر بن حنظلة (٤)، اسحق بن عمار، ابن أبى يعفور، يونس، محمد بن حكيم (٣)، الطيار، حفص بن غياث، الحسن بن الجهم، ابن داود (٢)، الصفار، أبو المكارم بن زهرة، جميل بن دراج، هشام بن الحكم، النجاشى، محمد بن على، ومئات أخرى من الرواة مثل: القمى، أبو الحسن الثالث، الحميرى، على بن الحسين ...الخ.

(٣) وبالجملة (١٨٣)، انتهى (١١٧)، الحاصل (٨٦)، الظاهر (٨٥)، ملخصا (٨٤)، فالحق (٧٥)، التحقيق (٦٣)، الإيضاح (٥٩)، فالإشكال (٤٨)، وبعبارة أخرى (٣٣)، التنبيه (٢٥)، الدفع (٢٢)، المعرفة (٢١)، الاستدلال، الانقداح فى النفس (١٧)، التوهم (١٥)، الإنصاف (١٤)، ما لا يخفى (١٣)، الجواب (١١)، الرد (٦)، العلم، الحل، فاسد (٥)، الشبهة، المختار، الخاتمة (٢)، الشاهد، البرهان، الدعوى، الفائدة، دقة النظر، راجع، تكملة، نكته، تذنيب (١).

(٤) ليت شعرى، لعمرى، اللهم، الله تعالى، إن شاء الله (١).

٦- "معتمد الأصول"، تقرير وأبحاث الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم آية الله العظمى السيد روح الله الموسوى الإمام الخمينى تأليف آية الله الحجة الشيخ محمد الفاضل اللنكرانى[١]. وتدل أيضا كثرة الألقاب على مدى تعظيم المؤلف على حساب العمل مما يجعل نقد العمل وتطويره أمرا صعبا نظرا لعظمة المؤلف كما تبدو من ألقاب صاحب الفكر وصاحب القلم، مبدع الأفكار وكاتب التقريرات. ويتسم بالاختصار، جزءا واحدا بالرغم من اعتماده على الأدبيات السابقة. ومع ذلك يستعمل أسلوب القيل والقال للحجاج النفسى الداخلى ويبقى الاختصار وعدم إطالة العرض. ويتم التلخيص، ويعلن عن اللاحق ويذكر بالسابق فيما يسميه المغاربة "التمفصلات"[٢].

وهو حجاجى سجالى. يتسم بنفس السمات الأسلوبية للتقارير مثل تقرير "فرائد الأصول" للنائينى عن "كفاية الأصول" للخراسانى. ولا يوجد ذكر لأصول الفقه السنى ولا مراجعة له. إنما الخلافات داخل أصول الفقه الشيعى فى دقيقات وليس فى بنيته الكلية.

ومن ثم بدا فلسفيا، تأمليا، حوارا مع الداخل، أقرب إلى "المونولوج" منه إلى "الديالوج"، إلى الحديث مع النفس أكثر من الحديث مع الآخر. فأصول الفقه الشيعى تهدف إلى معرفة الحقيقة النظرية قبل التوجه العملى. لذلك تقدمت مباحث الألفاظ على بنية علم الأصول على الأدلة الأربعة وعلى التكاليف بعد أن أصبحا هما أيضا من الأمور النظرية. كما أن معظم المفاهيم الأصولية الشيعية الجديدة مثل التجرى والاستصحاب والبراءة إنما هى قواعد معرفية أكثر منها قواعد عملية. وأصبح علم الأصول كله دراسة لأنماط الاعتقاد القطع والظن والشك. وتكون الأولوية المطلقة للمعرفة على النص والفعل.

وتظهر بين الحين والآخر تعريفات لغوية منطقية تأكيدا لهذا الطابع النظرى العرفى للأصول، خاصة وأن المؤلف أستاذ للمنطق والفلسفة. ويعتمد على فساد الدور المنطقى فى الحجاج "وهو دور صحيح"[٣]. كما يتم البحث فى اللغة بحثا نظريا خالصا، ووصف الكلام من حيث هو كلام أشبه باللسانيات المعاصرة فى الغرب[٤].

---

(١) الإمام الخمينى: معتمد الأصول، تقرير وأبحاث تأليف آية الله الحجة الشيخ محمد الفاضل اللنكرانى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤٢٠هـ .

(٢) السابق ص١/١٠٩/١٢٠/١٤١/١٦٩/١٨١/٢٣٠/٢١٣/٢٧٢/٣٦٦/٣٦٩/٤١٠/٤١٤.

(٣) السابق ص٣٦٥.

(٤) السابق ص٤٤٢.

وتكشف لازمات العبارات والفقرات، فى البداية والنهاية عن الطابع العرفى الخالص لعلم أصول الفقه الشيعى. فاللازمات عن الوضوح مثل: كما هو واضح، وهذا واضح جدا، وهذا واضح، ولعمرى أن هذا واضح جدا، والوجه فيه واضح تأتى فى المقدمة. وبعدها لازمات كشف السر وعدم الخفاء مثل: كما لا يخفى، أظهر من أن يخفى، كما هو واضح لا يخفى، جمعا بين الوضوح وعدم الخفاء. ثم تأتى لازمات الحق والتحقيق ثم الظهور مثل الظاهر ويظهر وظهر[1]. ثم يأتى الانقداح فى الظهور والبيان والتنبيه، والوهم والدفع والشك. ونظرا للاعتماد على الاقتباس فإن لفظ "انتهى" يتكرر كثيرا، وكذلك الألفاظ التى تدل على الوصول إلى النتيجة مثل: الحاصل، ويتحصل، والجملة، والتفصيل. ويتم ذلك بشرط المعرفة وشروطها مثل "إذا عرفت"، "كما عرفت". ثم يصدر الحكم فى النهاية بالإنصاف مع بيان فساد الأحكام الأخرى وامتناعها[2]. بالإضافة إلى التذنيب والتعبير بعبارات أخرى[3].

ويشترك الآخر مع المؤلف فى المراجعة والاستدلال والحكم مثل "وأنت خبير"، والدعوة إلى التأمل والنظر واليقظة[4]. هذا بالإضافة إلى العبارات التى تفيد "التمفصلات" والربط بين السابق واللاحق[5].

والبنية ثمانية. يتقدمها الأوامر ثم النواهى ثم المفاهيم ثم العام والخاص، ثم المطلق والمقيد، ثم أحكام القطع ثم أحكام الظن ثم مبحث البراءة. وأكبرها النواهى ثم الأوامر وأصغرها البراءة[6]. فالأولوية لمباحث الألفاظ كما هى العادة فى أصول الفقه الشيعى. وتدخل الأدلة الأربعة فى أحكام الظن كما تدخل أحكام التكاليف فى الأوامر. ومن ثم يكون للتأويل الأولوية المطلقة على النص والفعل.

ويعتمد على عدد قليل من الحجج النقلية، الآيات والأحاديث[7]. ويغيب الشعر العربى

---

(١) لازمات السر وعدم الخفاء (١٢٣)، لازمات الوضوح (١٠٣)، الواضح الذى لا يخفى (٢٥)، لازمات الحق والتحقيق (٢٨)، لازمات الظهور (٢٢)، لازمات الانقداح (١١)، والتنبيه (٦)، والوهم والدفع والشك (١١).

(٢) انتهى (٥٦)، وبالجملة (١٦)، الحاصل (٨)، المعرفة (٥٠)، الإنصاف (٤)، الفساد، الامتناع (٣)، الخدش (١).

(٣) وبعبارة أخرى (٣)، تذنيب (٢).

(٤) فراجع (١٣)، فتأمل جيدا (١٠)، فتدبر (٧)، فانتظر (٣)، فانظر، فتدبر جيدا، فتأمل، وأنت خبير (٢)، فتأمل فإنه دقيق حتى لا يختلط عليك الأمر (١).

(٥) معتمد الأصول ص١٠٩/١٢٦.

(٦) النواهى (١٦٨)، الأوامر (١٥٠)، العام والخاص، أحكام الظن (٧٦)، أحكام القطع (٤٠)، المفاهيم (٣٠)، المطلق والمقيد (٢٧)، البراءة (٢٤).

(٧) الآيات (٢٣)، الأحاديث (١٥).

كلية لأنه يعبر عن التجربة الإنسانية العامة كما صاغها العرب خاصة. كما يعتمد على كثير من الأدبيات الأصولية الشيعة فى معظمها، والسنة فى أقلها. ومن الأصوليين الأعلام يأتى النائينى ثم العراقى ثم الخراسانى، ثم صاحب الفصول اكتفاء به كمؤلف وليس كعلم، ثم الأنصارى وآخرون[1]. ومعهم من الفلاسفة ابن سينا. ومن السنة الغزالى والرازى وأبو حنيفة والشيبانى وعدد من الرواة[2]. وتأتى الألقاب بدلا من الأسماء جمعا أم مفردا مثل بعض الأعاظم، بعض المحققين فى الحاشية على الكفاية[3]. وفيهم المتقدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التاريخ[4].

ويحال إلى مؤلفات الأصول على العموم مثل حاشية على الكفاية أو على الخصوص مثل "الدرر"[5]. ولا تظهر عقائد الشيعة إلا على استحياء فى ألفاظ مثل الأئمة، الإمام المعصوم، قائمهم، صاحب الأمر، زمانهم[6].

٧- "تحريرات فى الأصول" لمصطفى الخمينى (ت١٣٩٧ق/١٣٥٦هـ.ش)[7]. وهو عمل ضخم مكون من ثمانية أجزاء ولم يكتمل بعد، تفصيلى تجميعى تقليدى[8]. يخلو من الفهارس العامة مما يجعل تحليل مكوناته صعبا للغاية اعتمادا على الجهد الفردى. يقوم على

---

(١) المحقق النائينى (١٩)، المحقق العراقى (١٠)، المحقق الخراسانى، صاحب الفصول (٦)، أبو جعفر (٤)، الشيخ الأنصارى (٣)، التوجانى (٢)، الحسين، البهبائى، الحائرى، الأصفهانى، البهائى، ابن زهرة، الطبرسى، ابن إدريس، الكافى أبو جعفر، الحكم بن عيينة، إبراهيم النخعى، منصور بن حازم، أبو عبد الله، المحقق الهمذانى (المصباح)، الشيخ الرئيس، أبو الحسن (١).

(٢) من الرواة: ابن قبة، الكلينى، الحميرى، محمد بن يحيى، عبد الله بن جعفر، أحمد بن اسحق، أبو محمد (١).

(٣) بعض الأعاظم (٧)، بعض المحققين فى الحاشية على الكفاية (٤).

(٤) الشيخ (٤)، بعض الأعاظم من المعاصرين، ومن المحققين المعاصرين (٢)، الأعاظم من الفلاسفة، بعض المحققين، الأفاضل المتصدرين، المحققون من الأصوليين، المحقق المحشى، محشى الكفاية، صاحب الحاشية، العلامة، الشيخ الأعظم، السيد، القاضى، الشيخ، المفيد، الصدوق، الصفاء، العسكرى (١).

(٥) الدرر (٤)، الفصول (٢)، حاشية على الكفاية، كتاب القضاء من الوسائل، الرسالة (١).

(٦) الإمام، الأئمة (٩)، المعصوم (٣)، صاحب الأمر، زمانهم، قائمهم (١).

(٧) العلامة المحقق آية الله المجاهد الشهيد السعيد السيد مصطفى الخمينى: تحريرات فى الأصول (٨ أجزاء)، تراث الشهيد الخمينى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، طهران ١٤١٨هـ. وبالرغم من انه استشهد قبل والده إلا أن الإبن ينسب إلى الوالد جد أولاده. لذلك أتى عرض مؤلفه بعد مؤلفات الوالد، وله كتب أصولية أخرى مفقودة مثل "المختصر النافع فى علم الأصول"، "رسالة فى قاعدة لا ضرر ولا ضرار"، "كتاب الاجتهاد والتقليد"، تحريرات جـ١/٥-٦.

(٨) السابق جـ٨/٥٥٥.

الاقتباسات من السابقين بين معقوفتين أسوة بالتأليف الحديث مع الإحالة إلى المصادر فى الهوامش وأرقام الصفحات[1]. هو أقرب إلى التأليف التقليدى، نقل العلم دون تطويره أو الإبداع فيه. يصعب فيه تحليل كامل للمضمون لضخامته. تكفى الدلالات الكيفية دون تحليل كمى كامل خاصة لقلة الدلالات سواء من حيث الأسلوب أو المكونات. تظهر فيه اللازمات الشائعة فى مصنفات الشيعة. وتدور كلها فى إطار معرفى واحد. يعتمد على القيل والقال أكثر من التحليل المباشر للموضوع. ويحيل اللاحق منها إلى السابق، والسابق إلى اللاحق. كما يتم الإعلان عن النقلات والتمفصلات إبرازا لبنية الوضوع[2]. ويبدو بعض التحذلق فى الأسلوب مثل "بعد اللتيا واللتى" مشهوريا أو متصرمة[3].

وتقل الشواهد النقلية بالرغم من تكرار الآيات والأحاديث وتقطيعها للاستدلال بها فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو حتى لفظا لفظا[4]. وتفوق الآيات الأحاديث نظرا لأن الشيعة لهم إصحاحاتهم الخاصة مثل حنظلة وزرارة وغيرهم بالإضافة إلى إصحاحات أهل السنة. كما يتم الاستشهاد بالشعر العربى خاصة الشعر التعليمى[5]. ويتم الاعتماد على تحليل اللغة العربية اعتمادا على سيبويه والمقارنة بينها وبين الفارسية[6]. وأهم ما فى الأسلوب هو القدرة على نحت المصطلحات الجديدة مثل المصادر الصريحة والإكثار منها كما يفعل المستشرقون أحيانا أو صيغ مثل الهوهوية والمفهومية[7]. والنسبة مثل

---

(١) وأحيانا يذكر لفظ انتهى جـ٨/٢٨٤.

(٢) السابق جـ١/١٣-١٩.

(٣) السابق جـ٣/٤٦٩، جـ٤/٢١٢، جـ٥/٥٧/٤٢٩، جـ٧/٤٣/٧٦/٣٧٧، جـ٨/٩٣، المتصرمات جـ٨/٥٠٨/٥١٨/٥٢٥، الأمور المتصرمة بما هى متصرمة جـ٨/٥١٦.

(٤) القرآن (٤١١)، الحديث (٦٣)، الشعر (١٠)، ويذكر الفرزدق (١)، وسيبويه جـ٨/٢٦٥.

(٥) السابق جـ١/١٣٧، الشعر الفارسى (المثنوى)، جـ٧/٦١.

(٦) منظومة السبزوارى جـ٨/٤٢٥/٤٨١.

(٧) التمامية جـ١/١٠، اللمية جـ٤/٦٨، الهوهوية جـ١/٥٩، جـ٢/٣٣٨، الخروجية جـ٤/٢١٨، المفهومية جـ١/٣١٠، اتقائية جـ٤/٢٦٨، السنخية جـ١/٤٠، المحبوبية جـ٤/١٧٤/٢١٧، التوصلية جـ٢/١١٦، المبغوضية جـ٤/١٧٤/٢١٧. الكلبيية جـ٤/٦٨، العقودية جـ٤/٢٧٨، الركوبية جـ٤/٢٧٨، القيامية جـ٤/٢٧٨، الجحودية جـ٤/٢٧٨، المجهولية جـ٤/٢١٧، المعلومية جـ٤/٣٢٧، الكاشفية جـ٦/٢٢/١٠٠، الطريقية جـ٦/٢٢/١٠٠/١٢٧/٣٠٠، المنجزية جـ٦/٢٥، الإمارية جـ٦/٣٠٠، الفتوائية جـ٦/٦٧٧/٣٩٩، الجابرية جـ٦/٣٩٥. الكاسرية جـ٦/٣٩٥، المعزوغية القطعية جـ٧/٣٥٥، موهوبية جـ٧/٤٣١، الفتهائية جـ٨/١٤٣، المانعية جـ٨/١٦٠، القاطعية جـ٨/١٦٠، الظهرية جـ٨/٢٤١، العصرية جـ٨/٢٤١، المعذرية جـ٨/٤٤٤، المنجزية جـ٨/٤٤٤، المطهرية الناقضية جـ٨/٤٣٣.

اللحاظى والكذائى والأعمى[١]. كما تبدو بعض المصطلحات غريبة على الأذن مثل "المزبور"[٢]. وأيضا: المنجز، المعلق، التحرى، الجعل، الاشتغال، المولوى ...الخ .

وهى مجموعة من الحوائط الفكرية سابقة التجهيز، تخلو من الوقائع السياسية والاجتماعية بالرغم من جهاد الإمام الشهيد ودوره فى الثورة الإسلامية واستشهاده[٣]. فهى نموذج انفصال العلم عن العمل، والأصول عن الواقع بالرغم من ظهور لفظ الواقع، والمصالح والمفاسد، والتقابل بين القدماء والمحدثين، والمتقدمين والمتأخرين، إحساسا بالزمان والتطور وبضرورة التجديد[٤]. كما تكثر الإحالة إلى موضوع "الصلاة فى الدار المغصوبة" الذى كان يمكن أن يكون النواة الأولى لأصول فقه تحرير الأراضى المحتلة. وتظهر الثورة فقط فى البسملة

---

(١) اللحاظى جـ١/٣٩، المجموعى جـ٧/٢٠٩-٢١١، الأعمى جـ١/٢٢٤، المباشرى جـ٧/٢٧٢، الكنائى جـ١/٥٩، التعليقى جـ٨/٤٠٨، التنجيزى جـ٨/٤٠٨، الكذائى جـ١/٣٠٣-٣٠٤، جـ٢/٢٩١، جـ٤/٣٦٨، الكذائية= =جـ٥/٤٣/٢٢٩/٢٩٢/٣٤٨، صفروى جـ٢/١١٠/١٨٨، جـ٤/١١٣/١٦٨/٣٠٣؛ صفروية جـ٨/٢١٧، كبروى جـ٤/١١٣، العقلائى جـ٦/١٤/٦٢/٣١٣/٣٢٠/٤١٢، جـ٨/١٤٩/٢٣٩، العقلائية جـ٧/١٢٨/١٣٧/١٤٣/١٤٤.

(٢) الوجوه المزبورة جـ٤/٣٦٦، العلامة المزبورة جـ٤/٣٤٤، المثال المزبور جـ٢/١٣٩، جـ٤/١٩، الوهم (التوهم) المزبور جـ٢/١٤١، جـ٥/٣٢٥، الإجماع المزبور جـ٢/٣٠٩، جـ٥/٢٨٢، الانقلاب المزبور جـ٤/٢٤٨، الشوق المزبور جـ٢/٥٥، المحشى المزبور جـ٢/١٢٦، القيود المزبورة جـ٤/٣٤، العنوان المزبور جـ٤/١١٤/٣٥٧، التصرف المزبور جـ٥/٦٨، السيد المزبور جـ٥/٢١٦، البحث المزبور جـ٥/٢٨٠، الشبهة المزبورة جـ٥/١٠٨، الأصل المزبور جـ٥/٢٣٦/٤٣٨، الأسلوب المزبور جـ٥/١٧٣، الزمان المزبور جـ٥/٤٨٠، الاطلاق المزبور جـ٥/٤٩٣، التقسيم المزبور جـ٥/٤٠٧، القول المزبور جـ٥/٤٤٧، الاعتقاد المزبور جـ٥/٣٢٦، العناوين المزبورة جـ٥/٣٢٣، المشكلة المزبورة جـ٥/٣٠٩، المسألة المزبورة جـ٦/٨، التعريف المزبور جـ٦/٨، المعنى المزبور جـ٦/٢١، الإيجاب المزبور جـ٦/٣٨، الدليل المزبور جـ٦/١٠٥، الإتقان المزبور جـ٦/٢١٧، البعد المزبور جـ٦/٢٢٤، الوجه المزبور جـ٦/٣١١، القسمة المزبورة جـ٦/٣٦٨، العلم المزبور جـ٦/٤٣١، المقصد المزبور جـ٦/٤٤١، البيان المزبور جـ٦/٦٧، الظن المزبور جـ٦/٣٤٤، التعرف المزبور جـ٧/٣٥١، التفضيل المزبور جـ٨/٤٢٠.

(٣) السابق جـ١/٩-١٣.

(٤) لذلك يصعب الحكم الذى أصدرته مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى فرع قم المقدسة أن الكتاب "أرخ للحوادث السياسية والاجتماعية والشخصية الواقعة أثناء تسجيله لبحوثه فى الفقه والأصول وغيرها وأكثر ما يؤرخ للأحداث السياسية التى تحل فى أمته. فكثيرا ما نعى وشنع على الشاه العميل جرائمه بحق شعبه ودينه وعلماء الدين المجاهدين وبالأخص فى حق والده الإمام الثائر- طاب ثراه- وما نال من ظلم الشاه وتطلعه البائد... وأرخ ضمن كتابه هذا أيضا لجريمة النظام الحاكم فى تسفير وتهجير الكثير من أبناء الشيعة من العراق خصوصا طلبة العلوم الإيرانيين مما أدى إلى اضمحلال الحوزة العلمية فى النجف الأشرف حتى أوشكت على الزوال، وحذر من مغبة هذه الأعمال الإجرامية والعدوانية التى قام بها طاغوت العراق المتفرعن لأغراض سياسية خبيثة خدمة للكفر والاستكبار العالميين، السابق جـ١/٥١٤.

والحمدلة الأولى[1]. وإذا كانت الصحة والفساد من الأمور الواقعية فقد كان يمكن الخروج من النظر إلى العمل، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان[2]. وتطول الأبحاث النظرية فى الضرر مع أن الأمر العملى واضح[3].

وقد دخلت كثير من العلوم النظرية الكلامية والفلسفية والتى لا ينتج عنها أى أثر عملى فى علم أصول الفقه. فالعلم عند الشيعة نظرى معرفى خالص متوجه إلى الداخل، ربما تحت أثر الباطنية والمقاومة من الداخل لسيطرة الخارج، فى حين أنه عند الشيعة متوجه إلى الخارج ربما تحت تأثير الدولة والسلطة القائمة والرغبة فى السيطرة على العالم. فمثلا توجد مباحث نظرية طويلة فى الإرادة، "سيكولوجية" الإرادة وليس فعل الإرادة، إلى الداخل وليس إلى الخارج، نوعا من الباطنية.

وبالرغم من عدم اكتمال الكتاب إلا أن البنية واضحة تجمع بين غلبة مباحث الألفاظ عند السنة، والقطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب عند الشيعة. تشمل مباحث الألفاظ ستة مقاصد بعد التعريف بموضوع العلم وبمباحث الألفاظ وهى: الأوامر، والنواهى، والمفاهيم (التعليل والوصف والغاية والحصر، واللقب والعود، والموافقة)، والعام والخاص، والمطلق والمقيد. وتشمل أصول الفقه الشيعى خمسة مقاصد: القطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب ودون الشك. ولمباحث الألفاظ الأولوية من حيث الكم على الأصول المعرفية[4]. وأكبر مباحث الألفاظ الأوامر ثم التعريف ثم المبادئ العامة للألفاظ ثم النواهى ثم العام والخاص ثم المفاهيم ثم المطلق والمقيد[5]. وأكبر مباحث الأصول المعرفية التى اشتهر بها الشيعة الاشتغال ثم الظن ثم البراءة ثم الاستصحاب ثم القطع[6]. وهى مقولات مستمدة من القرآن. فالأولوية هنا أيضا للتأويل على النص والفعل.

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيدا على وحدته لتجاوز ضخامته. كما يحيل إلى باقى

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم والمعاندين أجمعين إلى قيام يوم الدين جـ١/١، والأرض المغصوبة جـ٣/٢١٣، الماء المغصوب جـ٤/١٧٣، الصلاة فى الدار المغصوب جـ٦/١٥٣، مصالح الدنيا ومفاسدها جـ٧/٤٧٠.

(٢) التحريرات جـ٤/٣١٨.

(٣) جـ٨/٢٤٩-٣٠٩.

(٤) مجموع مباحث الألفاظ ٢١٦٧ص، والأصول المعرفية ١٦٤٢ص.

(٥) الأوامر (٩٤٠)، المبادئ العامة (٣٩٠)، النواهى (٣٣٠)، العام والخاص (١٩٥)، المفاهيم (١٩٤)، المطلق والمقيد (١١٨).

(٦) الاشتغال (٥٢٤)، الظن (٣٣٤)، البراءة (٣٠٠)، الاستصحاب (٢٤٤)، القطع (٢١٠).

أعمال المؤلف تأكيدا على وحدة الرؤية[1]. كما يبدو التحليل الشعورى المعرفى فى تكرار الحديث عن الكلام النفسى[2]. وبالرغم من ضخامة الكتاب إلا أنه كان حريصا على الاقتصار دون التطويل! [3].

وفى أسماء الأعلام يتقدم الوالد أستاذ المؤلف ومعلمه وملهمه ومرشده وقائد الثورة، وكأن العلم وراثة من حفيد عن أب عن جد، وطلب العلم عند الشيعة مثل طلب الطاعة عند السنة. وله ألقاب عديدة، الوالد، السيد الوالد، السيد، السيد الأستاذ، المحقق الوالد، الوالد المحقق، المحقق الفحل، سيدنا الوالد المحقق الأستاذ، السيد الوالد المحقق الوالد الخمينى، الوالد المؤسس، الوالد المعظم الجليل مد ظله تعالى ...الخ. وأحيانا يحال إليه كجد الأولاد مثل: جد أولادى، شيخ مشايخنا جد أولادى، السيد جد أولادى الكوة كمرى ...الخ[4]. ثم يأتى النائينى بألقابه المتعددة، العلامة، الميرزا، ثم الأراكى، ثم البروجردى وألقابه المتعددة: السيد، الأستاذ، أستاذنا، سيدنا الأستاذ، الفقيه الكبير، ثم الأصفهانى مع ألقابه المتعددة مثل: العلامة المحقق، الشيخ، شيخ الشريعة، العلامة المحشى، الوصية المحشى، ثم العلامة المحقق الخراسانى، ثم الشيخ العظم الأنصارى مع لقب العلامة شيخنا، مع جدى العلامة وجدى الأعلى ثم الكاظمى والعراقى والنراقى ثم الفشاركى الأستاذ السيد، ثم الحائرى والكلينى، ثم صدر المتألهين وألقابه المتعددة، الحكيم المتأله، والسبزوارى والفاضل القمى مع لقب المحقق، والفاضل الايروانى مع لقب العلامة، ثم الميرزا الشيرازى وألقابه مثل العلامة والسيد المجد والتقى النقى والوحيد والبهبهائى والفاضل التونى. ثم تتوالى أسماء الأعلام بالعشرات مثل البهائى، والهمدانى، والحلى، والمفيد، وكاشف الغطاء، والسيد المرتضى، والمجلسى، والطبطبائى، والطوسى، والخونسارى، والطبرسى والكاشانى.

---

(١) الإحالة إلى القواعد الحكمية للمؤلف جـ٣/١٣، جـ٥/٤٠١، جـ٦/١٤٣/٢٧٢.

(٢) تحريرات الكلام النفسى جـ٢/٧/٣٠/٣٣-٣٤/٣٦-٤٩، الأمر النفسى ص١٨٨-١٩٢/١٩٥، الواجب النفسى ص١٠١، الوضوح الوجدانى ص١٤٢، طلب نفسانى جـ٣/٤، فى النفسى والغيرى جـ٣/١٢٩-١٨١، الوجوب النفسى جـ٤/٢٠٦، الأفعال النفسانية جـ٦/٦٨، التكليف النفسى جـ٧/٣١١.

(٣) التحريرات جـ٣/٤٧١، الإحالة إلى كتاب الطهارة جـ٧/٤٦٠.

(٤) الوالد ومشتقاته (١٣٠)، النائينى (١١٥)، الأراكى (٩٦)، البروجردى (٣٨)، الأصفهانى (٣٥)، الخراسانى (٣٣)، الأنصارى، جدى العلامة (٣١)، النراقى، الكاظمى، العراقى (١١)، الفشاركى (١٠)، الحائرى، الكلينى (٩)، صدر المتألهين، السبزوارى، الفاضل القمى، الفاضل الايروانى (٧)، الميرزاى الشيرازى، البهبهائى، الفاضل التونى (٦)، البهائى، الفقيه الهمدانى، اليزدى (٤)، الحامى، الحلى، الفخر، على بن إبراهيم، المفيد (٣)، الأردبيلى، الكعبى، كاشف الغطاء، الكركى، السيد المرتضى، النهاوندى، المجلسى، الحلبى، العطار (٢).

ويذكر العديد من أعلام أهل السنة مثل الباقلانى والأشعرى والهروى، ومن النحاة السكاكى، ومن المتكلمين الدوانى، وأبو الحسين البصرى، ومن المؤرخين البلخى وابن الأثير، ومن الفقهاء، الأوزاعى، وأبو حنيفة، وابن مالك، ومن الفلاسفة، ابن سينا، وابن حيان، ومن الصوفية، الغزالى، ومحمد الداماد، ومن فلاسفة اليونان، المعلم الأول[1]. ومن الشعراء، عبادة بن الصامت.

ويكثر ذكر رواة الشيعة وأعلامهم مثل: أبو عبد الله ثم زرارة ثم أبو جعفر، ثم أبو الحسن ومحمد بن يحيى، ثم سمرة ثم حنظلة وغيرهم من أعلام الشيعة الذين لا يعرفهم إلا الشيعة[2]. ومن الصحابة المبجلين الحسين والحسن[3]. ومن الأنبياء موسى وآدم وإسماعيل[4].

وأحيانا يختفى اسم العلم لصالح اللقب طبقا لدرجة التعظيم والتبجيل. ويتقدم لقب الشيخ الذى يمكن أن يطلق على أى اسم علم دون تعيين[5]. ويخصص الرسول. وتكثر عند الشيعة ألقاب التعظيم والتبجيل كما هو الحال فى المجتمعات التقليدية مما يمنع أحيانا من النقد والتطوير ويدعو إلى النقل والتقليد[6]. كما تكثر الأدعية لهم مثل "قدس سره"، "مد ظله" ...الخ.

وأحيانا يذكر المؤلف منسوبا إلى عمله نظرا لشهرته، ولأهمية العمل على الشخص مثل: صاحب الكفاية، ثم صاحب المقالات، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب الحاشية، ثم صاحب الحجة وصاحب الدردير، ثم صاحب الحدائق، ثم صاحب المعالم ومحشى القوانين وصاحب التقريرات ومعلق الفصول. ويظهر النوع الأدبى فى العنوان مثل الحاشية والتقرير والتعليق. ولهذه

---

(١) المعلم الأول (٣).

(٢) أبو عبد الله (٣١)، زرارة (١٨)، أبو جعفر (١٧)، أبو الحسن، محمد بن يحيى، على بن أدهم (٧)، عبد الله بن محمد (٦)، سمرة بن جندب (٥)، عمر بن حنظلة (٤)، على بن إبراهيم، الصدوق، أبو اسحق، أحمد بن فضال، منصور بن حازم (٣)، محمد بن سنان، السجاد، محمد بن عبد الله، ابن محجوب، أبو جميل، أبان بن تغلب، أحمد بن اسحق، الهادى، معتبر الطيار، عبد الله بن سنان، محمد بن الحسن، جعفر بن محمد، جابر بن يزيد، محمد بن مسلم، سعد بن صدفة، على بن محمد، على بن مسكان، الحسين بن سعيد (٢)، وعشرات آخرون ذكر كل منهم مرة واحدة مثل هشام بن سالم، على بن عبد الحكم، العياشى، الكراكجى، على بن جعفر، عمرو بن شمر، هارون بن حمزة، ذيبان التقة، عبد الأعلى بن أعين، الباقر، أحمد بن محمد ...الخ.

(٣) مقتل الحسين (٧)، الحسن (١).

(٤) موسى (٢)، آدم، إسماعيل (١).

(٥) الشيخ (٧٢)، العلامة المحشى (١٩)، الشيخ الأعظم (١٥)، السيد (٩)، المحشى المدقق (٨)، شيخ مشايخنا (٧)، السيد الأستاذ (٥)، سلطان العلماء (٤)، المحقق المحشى (٢)، الشيخ العلامة، الشريف، تلميذه المحشى، المحشى المزبور، الأستاذ، الشهيد، السيد الشهيد، السيد المزبور، العلامة الأعظم، الشيخان، المحقق الثانى، الشيخ الثانى، العلامة، العلامة المزبور، العلامة الأستاذ.

(٦) الرسول (١٠)، الإمام (١٩)، النبى، المعصوم، أمير المؤمنين (٩)، الصادق (٦)، النبى الأكرم (٤)، الرسول الأعظم (٣).

الإحالات دلالات خاصة عند أصحاب الثقافة الشيعية كمن يقول عند السنة صاحب الرسالة (الشافعي)، وصاحب المستصفى (الغزالي)، وصاحب الموافقات (الشاطبي)[1].

ومن المصادر يحال في معظمها إلى المصادر الشيعية مثل الكفاية ثم الدرر ثم تهذيب الأصول ثم الكافي ثم الأصول ثم الرسائل ثم التقريرات ثم المعالم ثم التهذيب والوسائل ثم المستدرك ...الخ. ومنها نصوص ومنها حواشي وتفاسير. ومن كتب السنة سنن ابن ماجه، ومسند ابن حنبل، وسنن النسائي، وكتاب أبي الحسين البصري. ومن مؤلفات أهل السنة الأصولية "الرسالة"، وفي التفسير "التفسير الكبير". ومن مؤلفات أهل السنة اللغوية، "تاج العروس"، "القاموس". ومن المصادر اليونانية "الإيساغوجي". ومن الكتب المقدسة يذكر التوراة والإنجيل[2].

ومن المجموعات مثل الفرق والطوائف والجماعات يأتي الأصحاب أي الشيعة كطائفة ثم وجودها في الزمان بين المتقدمين والمتأخرين، بين الأوائل والأواخر، ثم اختيار بعض الأعلام منهم وبعض الأفاضل أو الفضلاء ثم الأئمة باعتبارهم أهل الهدى، والسادة من أساتذينا، والفقهاء والأصوليون والنحاة واللغويون. ويذكر الإخباريون الذين يعادلون أهل النقل أو الأثر عند السنة، والمتكلمون، ويخصص الشيعة بآل البيت والإمامية والأئمة المعصومون وأبناء التحقيق أو جماعة من المحققين وصحابة النبي والصادقون وأهل العقول والأساطين. ويذكر فرق السنة الأشاعرة والمعتزلة وأهل السنة على الإطلاق[3].

---

(١) صاحب الكفاية (١٦)، صاحب المقالات (١٠)، صاحب الفصول (٦)، صاحب الحاشية (٥)، صاحب المحجة، صاحب الدردير (٣)، صاحب الحدائق (٢)، صاحب المعالم، محشي القوانين، صاحب التقريرات، معلق الفصول (١).

(٢) الكفاية (١٣٦)، الدرر (٦٨)، تهذيب الأصول (٤٧)، الكافي (٢٢)، الأصول (١٩)، الرسائل (١٣)، التقريرات، المعالم (٨)، التهذيب، الوسائل (٦)، المستدرك (٥)، العوائد، مقالات، جامع الأحاديث، أمالي الشيخ الطوسي (٤)، التهذيبان، الايساغوجي، الذكرى، تاج العروس، القاموس (٣)، نهاية الوصول، النافع في الأصول، العدة، العوالي اللآلي، الفقيه، نهج البلاغة، الدعائم (٢)، وعشرات أخرى من المصادر يذكر كل منها مرة واحدة مثل: الكافية، الوقاية، القوانين، الصافي، المعتبر، جامع الأحاديث، الحكمة المتعالية، المطارح، الاحتجاج، مصباح الفقيه، النوادر، دعائم الإسلام، فقه الرضا، الغايات، المحصل، المحاسن، العلل، المجمع، الإيضاح، مجمع البحرين، جامع الرواة، أقرب الموارد، تنقيح المقال، الفوائد، كتاب ابن خالد، موثقة معدة ...الخ.
ومن الحواشي: حاشية الايرواني، حواشي الأسفار، الحاشية، تفسير العياشي.

(٣) الأصحاب (٣٦)، المتأخرون (٢٤)، بعض الأعلام (١٤)، الأئمة (٩)، الأشاعرة (٦)، المعصومون (٥)، المعتزلة، السادة من أساتذينا (٤)، الفقهاء (أهل الفقه)، الأصوليون، النحاة، اللغويون، القدماء، أصحابنا، أهل البيت، الإمامية، بعض الأفاضل، الفضلاء (٣)، الإخباريون، المتكلمون، الأقدمون، الأئمة المعصومون، المتأخرون، المحققون (٢)، أهل اللغة، أهل الفقه، أبناء التحقيق، متأخروا الأصحاب، أصحابنا الأصوليون، جماعة من الأقدمين، الأصحاب الأقدمون، جماعة من المحققين، طريق المعصومين، صحابة النبي، الأفاضل المتأخرون، جماعة من الأفاضل، الصادقون، العسكريون، بعض المعاصرين، بعض السادة من أساتذينا، أهل العقول، الأساطين، أهل السنة (١).

خامسا: نهاية التجديد والعود إلى التقليد.

١- "الرافد في علم الأصول" للسيستانى (تأليف ١٤١٤هـ)[1]. وهو نوع من التقرير لمحاضرات للسيستانى كتبها القطيفى. وهى الحلقة الأولى لتدريس علم أصول الفقه وربما أقرب للمبتدئين. يعرض لتاريخ العلم مما ينذر بنهاية إبداعه وازدهاره فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين كما كان أرسطو مؤرخا منذرا بنهاية الفلسفة اليونانية وكما كان ابن رشد مؤرخا منذرا بنهاية الفلسفة الإسلامية. ويناقش الكتاب دعاوى السابقين ويتحقق من صدقها. فمهمة النهاية مراجعة البداية، والتحقق من صدق المسار التاريخى. ويبدأ تجديد آخر مستقى من التراث الغربى والانبهار بالعلوم الطبيعية وأخذ أمثلة أصولية منها[2]. وبعد مراجعة التاريخ يضع الحقائق كما هو الحال فى التأليف المدرسى. وتبدأ كل فقرة بحرف "إن" للتوكيد. والقيل والقال قليل.

وهو كتاب نظرى خالص مثل باقى الكتب بعد الثورة الإسلامية. يبتعد عن العمل ولا يقترب من المصالح العامة. تتحول فيه أصول الفقه إلى نظرية فى المعرفة. يتجه إلى الداخل أكثر مما يتجه إلى الخارج، مثل الفلسفات الإشراقية السينوية. بل إن الحوادث العملية مثل استشهاد الحسين تتحول إلى تحليلات نظرية عن الزمان. يغيب مقياس الصدق حتى يمكن مراجعة الفكر والحكم عليه. وقد يصل الإغراق فى التحليلات النظرية إلى حد تصبح فيه النماذج غير مفهومة[3]. وكان من المأمول بعد الثورة الإسلامية التحول من التقليد إلى التجديد، ومن النقل إلى الإبداع، وتأسيس أصول فقه ثورى كما هو الحال فى هذه المحاولة "من النص إلى الواقع".

ويعلن المحرر عن البنية العشرية منذ البداية بعد البسملة ثم لا يلتزم بها فى صلب الكتاب. نصفها فى وصف العلم من الخارج، تطوره وبنيته وأهميته فى المدرسة الإمامية وعلاقته بباقى العلوم مثل الفقه والأدب والفلسفة ومنهج التأليف فيه وترتيبه وموضوعه. والباقى موضوعات أربعة، الإسناد الحقيقى والمجازى، وميزان الأصول وحقيقة الوضع، واللفظ والمعنى والمشتق[4]. وفى التنفيذ الفعلى زادت الموضوعات العشرة إلى أحد عشر موضوعا. بقى الموضوعان

---

(١) آية الله العظمى السيد على الحسينى السيستانى دام ظله: الرافد فى علم الأصول (محاضرات)، بقلم السيد منير السيد عدنان القطيفى (الحلقة الأولى)، قم ١٤١٤هـ.

(٢) السابق ص٨١.

(٣) السابق ص٢٢٣.

(٤) هذه الموضوعات العشرة هى: ١-أهمية علم الأصول فى المدرسة الإمامية، ٢-الأدوار التطورية التى قطعها أثناء

الأولان، ثم انقسم الثالث، العلاقة بالفقه والأدب والفلسفة إلى ثلاثة موضوعات الرابع والخامس والسادس، ثم أصبح الموضوع الرابع عن المنهج هو الثالث، والخامس فى الإسناد هو السابع، والسادس فى موضوع العلم هو الثامن والعاشر، والسابع ميزان الأصول هو الحادى عشر، والثامن حقيقة الوضع، والتاسع اللفظ والمعنى، والعاشر المشتق اختفت وأصبحت موضوعات فرعية. وزاد موضوع تاسع وهو تمايز العلوم[1]. وتختلف الموضوعات فيما بينها من حيث الكم لدرجة الخلل. فبينما يستحوذ الموضوع الحادى عشر ميزان المسألة الأصولية على ما يقرب من ثلثى الكتاب تقع الموضوعات العشر الأخرى فى ثلثه. والموضوع الحادى عشر هو مضمون علم الأصول فى حين أن الموضوعات العشرة الأولى مجرد مقدمات[2]. البنية كلها نظرية. الأولوية فيها للتأويل على النص والفعل.

الشواهد النقلية قليلة نظرا للطابع النظرى العام، والآيات أكثر من الأحاديث[3]. ويتكرر نفس الشاهد الشعرى دون تجربة شعرية.

ومن حيث أعلام الشيعة يتقدم الأستاذ الخوئى ثم المحقق النائينى ثم الشيخ الطوسى، ثم الشيخ المفيد والمحقق الأصفهانى، والسيد المرتضى وصاحب الكفاية، ثم المحقق العراقى، ثم العلامة الأنصارى، ثم العلامة الحلى وغيرهم من أعلام الشيعة. ومن الفلاسفة يذكر الشيخ الرئيس ابن سينا. ومن أعلام أهل السنة يذكر الشافعى وأبو حنيفة والمذهب المالكى وابن تيمية، ثم التفتازانى فى شرح المقاصد، والمذهب الحنبلى والشيخ أبو زهرة وفريد وجدى وغيرهم جمعا بين القدماء والمحدثين من أجل التقريب. ومن فلاسفة اليونان يذكر أرسطو[4].

= مسيرته الصاعدة، ٣-علاقته بعلم الفقه والأدب والفلسفة، ٤-المنهج المختار فى طريقة تنظيمه وترتيبه ٥-ألوان الإسناد الحقيقى والمجازى، ٦-موضوع علم الأصول، ٧-ميزان المسألة الأصولية، ٨-حقيقة الوضع، ٩-مسألة استعمال اللفظ فى عدة معانى، ١٠-المشتق، السابق ص٧-٨.

(١) هذه الموضوعات الأحد عشر هى: ١-علم الأصول عند المدرسة الإمامية، ٢-أدوار الفكر الأصولى، ٣-منهج علم الأصول، ٤-الارتباط بين الفكر الأصولى والفلسفى، ٥-فى علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية، ٦-علاقة علم الأصول بعلم الفقه، ٧-فى الإسناد، ٨-موضوع العلم، ٩-تمايز العلوم، ١٠-موضوع علم الأصول، ١١-ميزان المسألة الأصولية.

(٢) ترتيب الموضوعات من حيث الكم: ١-ميزان المسألة الأصولية (٢٠٣) ٢-منهج علم الأصول (٢٧)، ، ٣-أدوار الفكر الأصولى (١٦)، ٤-موضوع العلم (١٥)، ٥-فى الإسناد (١٤)، ٦-تمايز العلوم (١٢)، ٧-موضوع علم الأصول (١٢)، ٨-علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية (٨)، ٩-علاقة علم الأصول بعلم الفقه (٨)، ١٠-علم الأصول عند المدرسة الإمامية (٦)، ١١-الارتباط بين الفكر الأصولى والفلسفى (٦).

(٣) الآيات (١٩)، الأحاديث، الشعر (٤).

(٤) الخوئى (١٥)، الشيخ الطوسى (٩)، المحقق النائينى (٨)، الشيخ المفيد، المحقق الأصفهانى، المرتضى صاحب =

ومن رواة الشيعة وأئمتهم يذكر ابن الجنيد ويونس عبد الرحمن، ثم الفضل بن شاذان والصادق، ثم زرارة ثم الصدوق ثم الأئمة، العسكرى والهادى والباقر والرضا وعلى والحسين وغيرهم[1].

ومن المصادر القديمة والحديثة يتقدم الإشارات لابن سينا بعد أن أصبح فيلسوف الإشراق المعتمد قبل مللا صدار فى إيران والأساس النظرى الفلسفى لعلم أصول الفقه العرفى الشيعى ثم الكافى، والأسفار، والذريعة، ثم الانتصار، والعدة وغيرها من أمهات الأصول الشيعية[2]. ونظرا للتقريب فيحال إلى أمهات أصول الفقه السنى كالرسالة للشافعى[3].

أما من حيث المجموعات والطوائف والفرق والمذاهب فيتقدم الشيعة بطبيعة الحال، ثم التشيع، ثم الإمامية، ثم بعض الأعاظم، ثم علماء الشيعة والإخبارية وآل البيت، ثم أهل بيت العصمة وأهل بيت العلم[4]. ومن الفرق الأخرى سنة وشيعة الأصوليون، ثم الحشوية، ثم الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون، المتقدمين منهم والمتأخرين، القدماء والمحدثون، والفقهاء والمحدثون[5]. ومن النسبة إلى الطائفة أو القوم اليونانى ثم الفارسى ثم العربى

= الكفاية (٦)، المحقق العراقى (٥)، العلامة الأنصارى (٤)، العلامة الحلى (٣)، النهاوندى، البروجردى، الكلينى، الشيخ الأعظم، الشهيد الثانى (٢)، السيد الأستاذ، النوبختى، المحقق، السيد الشاهرودى، الشيخ، المحقق القمى، الوحيد البهبهائى، السر العاملى، الفيض الكاشانى، الاسترابادى، المجلسان، المحقق العلامة، الشهيد الأول، صاحب الوسائل، صاحب الحدائق، السبزوارى، المحقق الطهرانى (١). ومن الفلاسفة الشيخ الرئيس ابن سينا (٤)، ومن المؤرخين ابن خلدون (٣)، ومن أهل السنة الشافعى، أبو حنيفة، المذهب المالكى، ابن تيمية (٢)، التفتازانى فى شرح المقاصد، المذهب الحنبلى، أبو زهرة، فريد وجدى، الشيخ داود، ابن الحاجب، القطب الرازى (١)، ومن الصحابة معاوية (٣)، عمر (٢)، أبو ذر الغفارى، الفقيه الشامى، ابن عباس (١). ومن فلاسفة اليونان أرسطو (١).

(١) ابن الجنيد، يونس عبد الرحمن (٦)، الفضل بن شاذان، الصادق (٤)، زرارة (٣)، جميل براغين، على بن راشد (٢)، الصدوق، العسكرى، الإمام الهادى، الإمام على، الإمام الحسين، الإمام الباقر، الإمام الرضا، محمد بن مسلم، حمدان الفلاحى، عمر العبدى، أيوب بن نوح، المللا إسماعيل، ابن أبى عمير (١).

(٢) الإشارات (٥)، الكافى، الأسفار، الذريعة (٣)، الانتصار، العدة، رسالة الإعلام فى الفقه الخلافى (٢)، رسالة فى بطلان العلل، منتهى الوصول إلى علم الكلام والأصول، الفهرست، مصابيح الأنوار فى الرد على أهل الأخبار، أوائل المقالات، الفصول، حاشية الشفاء، كشف القناع، المعارج، تهذيب الوصول، التذكرة، كشف الظنون، تمهيد القواعد، القضاء، المختصر، وقاية الأذهان، الأصول، شرح المطالع، حاشية الشوارف، تشريح الأصول (١).

(٣) الرسالة للشافعى (٣)، دائرة معارف القرن العشرين (٢).

(٤) الشيعة (١٤)، التشيع (٥)، الإمامية (٤)، بعض الأعاظم (٣)، علماء الشيعة، الإخبارية، الفقه الشيعى، أهل البيت (٢)، أهل بيت العصمة، أهل بيت العلم (١).

(٥) الأصوليون (٣)، الحشوية (٢)، بنو نوبخت، الديالمة، الفلاسفة، المتكلمون، علماء الحديث المتأخرون، =

والإمامى[1].

٢- "محاضرات فى أصول الفقه" للخوئى[2]. وهو تقرير كتبه محمد اسحق الفياض عن محاضرات الخوئى مدون من أحمد المستمعين إليه والمريدين له. كتبت بطريقة الاسترسال والإفاضة والمحاضرة الشفاهية دون وعى بالبنية أو انتباه إليها. تخلو من الأقسام، الأبواب أو الفصول. ويبدو أنها غير كاملة لأنها لا تعرض بعد القدمة الأولى عن موضوع العلم وغايته وتاريخه إلا الأوامر والنواهى. هى إفاضة واحدة، تيار جارف لا "تمفصلات" فيه ولا أرقام حتى الفهرس الذى وضعه المقرر[3]. بل إن العناوين الرئيسية فى النص تبدو تائهة فى الفهرس وانتقائية، مثل غيرها من العناوين الفرعية. والترقيم المتبع غير دقيق وكامل فى النص تحت عنوان "الأمر". ويتبع أسلوب الإحالة إلى الهوامش كما هو فى المؤلفات الحديثة من أجل مزيد من المعلومات التفصيلية[4].

وكما هى العادة فى مصنفات الشيعة يغلب الطابع النظرى الخالص وتظهر الموضوعات الكلامية والفلسفية خاصة فى المقدمات الأولى. ويسود المنهج التأملى الصرف والاعتماد على العقل الصريح[5]. ومادة العلم منقولة من الماضى عن طريق استدعاء الذاكرة. ويحال إلى التجارب النفسية والاجتماعية بل وإلى التجارب التاريخية من قصص الأنبياء منذ عصر آدم[6]. ومن ثم يغيب الواقع بالرغم من ظهور موضوع الدار المغصوبة وكل ألوان الغصب للمياه والماء والأشياء وليس فقط للديار وللأرض[7]. ومع ذلك يظهر العلم الوجدانى[8]، ويقترن بذلك أيضا موضوع الإفراج عن

= المحدثون، السنة، الفقهاء المحدثون، الفقهاء الأصوليون، الفقهاء المتأخرون، قدماء الفلاسفة، علماء العرب، التتار، الصفوية، السلاجقة (١).

(١) اليونانى (٤)، الفارسى (٣)، العربى، الإمامى (١).

(٢) السيد أبو القاسم الموسوى الخوئى: محاضرات فى أصول الفقه (خمسة أجزاء)، تقرير البحث آية الله العظمى، كتبه محمد اسحق الفياض، طـ٤ قم ١٩٩٦م/١٤١٧هـ/١٣٧٥ش.

(٣) هذا على عكس محاضرات هيجل التى نشرت بعد وفاته المرقمة ذات البنية الدقيقة مثل "محاضرات فى فلسفة الدين"، "محاضرات فى فلسفة التاريخ"، "محاضرات فى تاريخ الفلسفة"، "محاضرات فى علم الجمال".

(٤) السابق جـ١/٢٢-٢٣/١٠٥-١٠٨/١٦٣-١٦٥/٢١٩-٢٢٧/٢٦٢-٢٦٣، نص الروايات جـ٢/٨٣-٨٦/١١٢-١١٣، جـ٣/٢٤٦-٢٤٨، جـ٤/٣٣٦-٣٣٨، جـ٥/٩٤-٩٥/٣٤٠-٣٤١.

(٥) السابق جـ٢/١٨-١٢١.

(٦) عصر آدم جـ١/٣٦-٣٧.

(٧) السابق جـ٤/٢١٧/٢٩٥.

(٨) العلم الوجدانى، السابق جـ١/٦، الوجدان والبرهان جـ٢/٧٧، الوجدان جـ٣/١٠٢.

الإمام الحبيس[1].

ومع ذلك يعلن عن بينة واضحة فى بداية الجزء الأول. وهى نية رباعية تدور حول أربعة أقسام. الأول معرفة الحكم الشرعى بعلم وجدانى. وتضم ما يعادل عند أهل السنة مباحث الألفاظ خاصة الأمر والنهى. والثانى ما يوصل إلى الحكم الشرعى التكليفى أو الوضعى بعلم تعبدى، وهى مباحث الحجج والامارات بتعبير الشيعة. وهو استمرار لباقى مباحث الألفاظ، وما يسميه أهل السنة الأحكام، أحكام الوضع وأحكام التكليف. ويفصل هذا القسم الثانى فى موضوع القطع والظن والشك، وظواهر الكتاب وحجيتها كما تضم حجج خبر الواحد والإجماع والكتاب. وهو ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عند أهل السنة. والثالث ما يسمى الأصول العملية الشرعية مثل الاستصحاب والبراءة والاشتغال. والرابع الأصول العملية العقلية مثل البراءة والاحتياط واليقين، وهى الوظيفة العملية العقلية فى مرحلة الامتثال فى حالة فقدان الوظيفة الشرعية[2]. وهى البنية المنقولة المحفوظة والخطة العامة للعلم التى وراء "المحاضرات". ويغلب عليها التأويل للنص وللفعل.

وتظهر نفس الجعبة من المصطلحات المميزة لأصول الفقه الشيعى المكونة من المصادر الصريحة عن طريق النسبة مثل الحجية والطريقية والكاشفية والمحبوبية والمبغوضية أو عن طريق النسبة دون مصدر مثل الصحيحى والأعمى[3]. كما تبدو بعض الغربة اللغوية فى استعمال لفظ "المزبور". وهناك إحساس بالتمايز اللغوى بين الصيغ العربية والفارسية والسريانية[4]. وما أسهل من العود إلى بساطة المصطلحات مثل فرض الكفاية بدلا من الواجب الكفائى، والمندوب بدلا من الواجب التخييرى. كما تبدو بعض الغربة فى صياغة مثنى لحاظان[5].

ولا يعنى التقرير مجرد تقريظ وتعظيم وتبجيل للمحاضر بل لأول مرة يظهر الاتجاه النقدى من التلميذ إلى الأستاذ إلى درجة المغالاة. ويزداد النقد تباعا كلما تقدمت المحاضرات من الجزء الأول إلى الجزء الخامس. ويبدأ النقد بعرض الإشكال والمناقشة ثم النقد ثم إصدار الحكم بالصحة

---

(١) السابق جـ٥/٣٢٢.

(٢) السابق جـ١/٦-٧.

(٣) الحجية جـ١/٦، الطريقية والكاشفية جـ١/٢٥٣/٢٥٨، جـ٥/٢١٩٤، المحبوبية والمبغوضية جـ٤/٣١١/٣٩٩، جـ٥/٣٩. الصحيحى والأعمى جـ١/١٤١/١٧٨/١٨٠، الفرضان المزبوران جـ٤/٣٩، الأقسام المزبورة جـ٥/٥٣، الصفات المزبورة جـ٥/١٤٢، البرهان المزبور جـ١/١٦، القاعدة المزبورة جـ١/١٧، الأمران المزبوران جـ٢/١٤٦، التفسير المزبور جـ٢/٢٥٨، النقطة المزبورة جـ٢/١١٢، العنوان المزبور جـ٤/١١.

(٤) السابق جـ٢/٩٤.

(٥) اللحاظان جـ١/٢٧.

أو البطلان[1]. وقد تكون المحاجة أكثر تفصيلا تبدأ بالنظر ثم المناقشة ثم الدفع ثم التحقيق ثم الحكم بالصحيح. واللفظ الأكثر شيوعا هو "النقد" ثم الحكم بالصحيح ثم المناقشة ثم التوهم ثم البطلان، ثم النظر والحكم بالفساد، ثم التحقيق والإنكار، ثم إصدار أحكام مخففة بعدم التمامية وغياب المانع. فلأول مرة لا توضع حقائق ولا تعرض أمور بل تتم المحاجة مع السابقين ومع المحاضر نفسه وهو الأستاذ. وكاتب التقرير ليس مجرد مدون لما سمع بل هو صاحب مذهب متميز، أستاذ يدون لأستاذ. لذلك يستعمل لفظ "مذهبنا" وهي عادة نادرة عند علماء الأصول الشيعة[2].

وبالرغم من قلة الشواهد النقلية نسبيا، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر، إلا أن البداية باستمرار من التراث الأصولي الشيعي[3]. ويخلو الجزء الثالث من الشواهد النقلية اعتمادا على العقل الخالص. ومن المصادر الأولى يتقدم "الكفاية" ثم "الفصول" و"شرح المواقف"[4]. كما تغيب الشواهد الشعرية العربية.

وأسماء الأعلام قليلة. ومع ذلك يتقدمها شيخنا الأستاذ أي الخوئي، ثم صاحب الكفاية، ثم العلامة الأنصاري، ثم المحقق النائيني، ثم العود إلى شيخنا المحقق، ثم صاحب الفصول مع الطبطبائي. ويشير صاحب التقرير إلى نفسه نظرا لدوره الفاعل في النظر والمناقشة والنقد ودفع الوهم وإصدار الحكم بالصحة والبطلان. ثم يأتي صاحب المعالم، ثم الفخر الرازي، ثم صدر المتألهين باعتباره الأساس النظري المعرفي ليس فقط لعلم الأصول بل لكل العلوم العقلية النقلية. ثم يأتي المحقق الأصفهاني، ثم الشيخ البهائي والكعبي والجدال معه باعتباره من أئمة المعتزلة. ثم يأتي السكاكي والجدال معه لإنكاره المجاز وكاشف الغطاء، ثم العود إلى شيخنا الأعظم بعد أن تعددت ألقابه. ثم يأتي في النهاية صاحب العروة والسبزواري والقمي. وأحيانا يأتي العلم نسبة إلى مؤلفه لشهرته، ولأولوية المؤلف على الشخص، وأحيانا نسبة إلى شخصه نظرا لسمعته وشهرته[5]. ومن فقهاء أهل السنة يذكر أبو حنيفة والشافعي والشيباني. ومن متكلميهم أبو

---

(١) النقد (١٢٠)، الصحيح (غير الصحيح) (١٢)، المناقشة (١١)، التوهم (٧)، البطلان (٦)، النظر، الفساد (٤)، التحقيق، الإنكار (٢)، عدم التمامية، عدم المانع (١).

(٢) السابق جـ١/٤٨.

(٣) الآيات (٧١)، الأحاديث (٦).

(٤) الكفاية (٢)، الفصول، شرح المواقف (١).

(٥) شيخنا الأستاذ (٢٢٠)، صاحب الكفاية (١٢٧)، العلامة الأنصاري (٢٢)، المحقق النائيني (١٩)، شيخنا المحقق (١٦)، صاحب الفصول. الطبطبائي (٩)، صاحب التقرير (٧)، صاحب المعالم (٦)، الفخر الرازي (٤)،=

الحسن الأشعرى والحسن البصرى[1].

ويحال إلى كثير من رواة الشيعة ومحدثيهم وأعلامهم ونقله علومهم فى إصحاحات وموثقات مثل إصحاحات أهل السنة. يتقدمهم كالعادة أبو عبد الله ثم أبو جعفر ثم زرارة ثم هشام بن سالم ثم محمد بن مسلم وأبو الحسين والعياشى، وعشرات آخرين من أصحاب الموثقات مثل ابن بكير وسماعة[2]. ومن الأنبياء والأئمة وآل البيت يتقدم الإمام والأئمة الأطهار، ثم الإمامية، ثم أمير المؤمنين، ثم النبى الأكرم وألقابه المتعددة، ثم المعصوم والرضا، ثم الصدوق وآل البيت وأولاد الحسين والمعصومون[3]. ومن الأنبياء موسى وعيسى مما يجعل علم الأصول أقرب إلى تاريخ الأديان المقارن. ومن باقى الفرق والطوائف الأشاعرة، ثم الفلاسفة، ثم المعتزلة نظرا لأهمية الفلاسفة فى موضوع الوجود، والمتكلمين فى الحسن والقبح والجبر والاختيار[4].

والسؤال هو: إلى أين أصول الفقه الشيعى، من البنية الرباعية التقليدية منذ "العدة" للطوسى إلى محاولات التجديد عند محمد باقر الصدر وتقى الدين الحكيم إلى محاولات التثوير عند الإمام الخمينى وابنه مصطفى إلى العود إلى التقليد عند الأنصارى والخوئى؟ كيف تعود إليه الثورة فتهز بنيته وتعيد تأسيسه بناء على روح العصر، أولوية الواقع على النص، والمصالح العامة على الحرف؟

* صدر المتألهين (٣)، المحقق الأصفهانى. الشيخ البهائى، الكعبى (٢)، السكاكى، كاشف الغطاء، صاحب الكفارة، شيخنا الأعظم، صاحب العروة، السبزوارى، المحقق القمى (١).

(١) أبو حنيفة، الأشعرى (٣)، الشافعى، الحسن البصرى، الشيبانى (١).

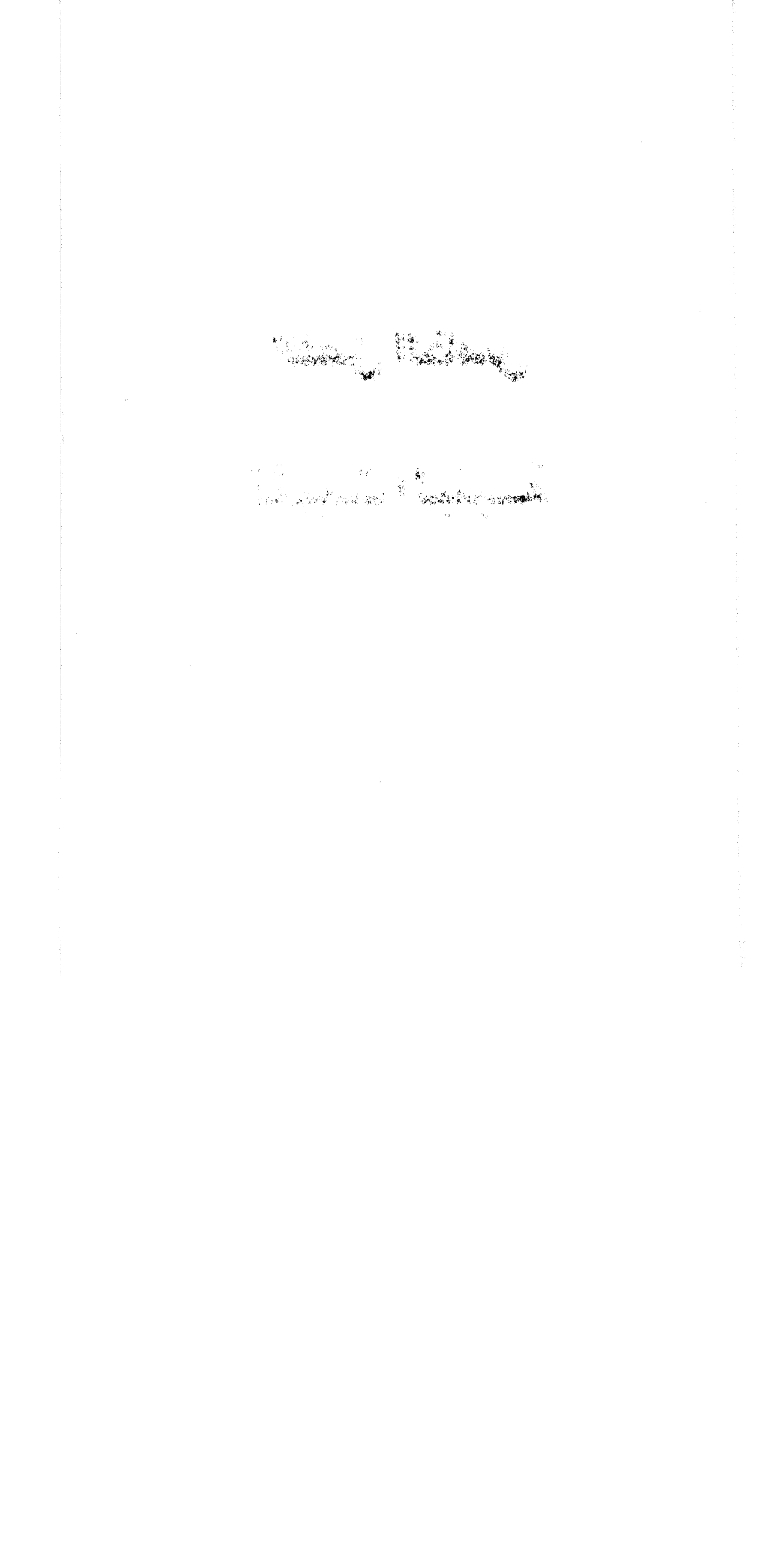
(٢) أبو عبد الله (١٢)، أبو جعفر (٩)، زرارة (٦)، هشام بن سالم، محمد بن مسلم، أبو الحسين، العياشى (٢)، صفوان بن يحيى، حفص بن البخترى، اسحق بن عمار، محمد بن إسماعيل، أبو الحسن، ابن أبى عمير، ابن مسكان، على بن جفر، إسماعيل بن سعد، محمد عبد الجبار، ابن أبى يعفور، إسماعيل الجعفى، على بن الحسين، ابن سنان، عمار بن موسى، ابن بكير، سماعة (١).

(٣) الأئمة الأطهار، الإمام (٧)، الإمامية (٥)، أمير المؤمنين (٤)، النبى الأكرم، النبى (٣)، نبينا الأعظم، نبينا محمد، نبينا، رسول الله (١)، المعصوم، الأئمة، الرضا (٢)، الصدوق، المروزى (١)، آل البيت، أولاد الحسين، المعصومون، الشيعة (١)، ومن الأنبياء: موسى، عيسى (٢).

(٤) الأشاعرة (١٥)، الفلاسفة (١١)، المعتزلة (١٠)، بعض الأعاظم (٥)، العلماء (٢)، الفقهاء، المجبرة، جماعة من المحققين، مشايخنا المحققون (١).

الفصل الخامس

تثبيت البنيـة



الفصل الخامس

تثبيت البنية

أولا: البنية والتاريخ.

١- ماذا يعني تثبيت البنية؟ يعنى تثبيت البنية إزاحتها جانبا وتغطيتها بطبقات من الشروح والحواشى والتقارير والتخريجات حتى يكاد يختفى النص الأصلى مع بنيته. لا تتغير البنية ذاتها بل تظل قائمة. فهى عصب المادة وهيكلها العظمى. فالشارح أو صاحب الحاشية أو التقرير أو التخريج ليس له رؤية خاصة أو إبداع خاص، بل طاحونة حواء، وساقية بلا ماء. لا تتحرك البنية كشفا عن أبعاد الشعور الثلاثة، تشعيبا وتفريعا. بل تتحجر البنية لأنه لم يعد فى الوعى الأصولى التاريخى ربما بعد "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ) أى إمكانية لتشكل بنية أخرى أو لرسم هندسى آخر لبناء أصولى جديد. تُنقل الفرق من التاريخ، وتوضع فى البنية، فالتاريخ محل البنية، والبنية تتكشف فى التاريخ[١]. وقد تتكون البنية من طرفان ووسط. ويستطيع الشارح أن يدرك الوسط بعد ذكر الطرفين.

ولا يعلن عن تثبيت البنية دائما إلا فى أوائل بعض الأبواب أو الفصول بإعادة ذكر ترتيبها ومنطقها الداخلى كنوع من الشرح وليس للتحقق منها أو لمراجعتها وإقرارها[٢]. وقد يكون ذلك عن طريق وضع الفصل داخل الباب، والباب داخل القسم إدخالا للجزء فى الكل. ويكون الشرح فى هذه الحالة إبرازا للبنية الكلية للموضوع[٣].

فإذا كان النص المشروح مقالا سيالا بلا أبواب أو فصول دون تمفصلات قام الشارح بذلك لإبراز الهيكل العام للكتاب وأقسامه المختلفة. وإذا كان النص مركزا قام الشرح بالتفصيل والإسهاب. وهو ما يعادل كتب "قواعد العقائد" فى علم الكلام المتأخر[٤].

---

(١) الجزرى: معراج المنهاج، جـ٢/١٣٣/٢٤٣/٢٧٥.

(٢) الكافى: جـ٢/٦٥٩/٦٩٩/٨٣٨، جـ٣/١١٥٣/١١٨٩/١٢١٠/١٢٤٠/١٢٥٤/١٣٢٩/١٤٢٢/١٤٤١/١٥٥٠، جـ٤/١٥٨١/١٧٣٨/١٧٦١/١٨٠٢/١٨٣٦/١٨٦٨/١٩٤١/١٩٨٦، جـ٥/٢١٢٣.

(٣) "اعلم أن المصنف... جعل الكلام فى اللغات مقدما على سائر أبواب أصول الفقه. وقد بينا وجهه. ثم جعل الكلام فى اللغات مرتبا على تسعة أبواب..."، الكاشف جـ١/٤٠٧.

(٤) ابن النجيم: فتح الغفار بشرح المنار، مشكاة الأنوار فى أصول المنار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الشرح إبقاء على البنية والهيكل مع زيادة فى المادة، إبقاء على العظم مع زيادة فى اللحم، إبقاء على الأساس مع زيادة فى أدوار البناء. وتضم عناصر البنية كل احتمالات الموضوع. لذلك قد يبدأ الشرح ببيان خطة الموضوع وأقسامه، الهيكل قبل المادة، والرؤية قبل التحقيق. كما يبدأ بترتيب المسائل، من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات[1]. والشرح بالنسبة إلى النص مثل اللحم بالنسبة للعظم، والإنسان بالنسبة إلى الهيكل العظمى، والمنزل بالنسبة إلى الأسمنت المسلح أو البناء بالنسبة إلى الرسم الهندسى[2].

الشرح تجميع لمادة قديمة قديمة تالية على النص وتعليقها عليه. فالنص مشجب، والشرح ما يُعلق عليه. لذلك يبدو الشرح إسهابا والنص تركيزا. الشرح إذابة النص كقطعة من السكر فى كوب ماء حتى يبدو كبيرا وهو فى حقيقته صغيرا وحتى يبدو إضافة وهو فى حقيقته إذابة. الشرح حركة تريد المزيد ولكن مقيدة بالنص، تريد الحركة ولكن مكبلة بالقيد. الشرح إبداع فى زنزانة، وسير فى المكان، وحركة دائرية وطاقة تدور حول المركز. الشرح حوار مع الداخل إذا ما انغلق الخارج، وتوجه نحو الذات إذا ما استعصى اللحاق بالموضوع. الشرح زوبعة فى فنجان، حركة فى المكان، دوران متكرر حول مركز واحد مثل دوران العجلة حول محورها. النص هو الجذر، والشروح الأوراق والثمار. النص مجرد الإشارة الخضراء التى تسمح بمرور المركبات. هو الرصاصة الأولى التى تندفع بعدها الجنود. النص هو الخيط الرفيع الذى ينتظمه حبات العقد[3].

وقد يبدأ الشرح بدراسة جديدة للموضوع بمجرد ذكره فى العنوان. الشرح فى هذه الحالة دراسة للمسألة صورة ومضمونا[4].

كان يمكن لبعض الموضوعات القديمة مثل الصلاة فى الأرض المغصوبة أن تكون بداية جديدة بعد ان توالت الغارات على العالم الإسلامى، ولكنها ظلت فى إطار التحليل العقلى الصورى القديم دون الانتقال إلى أيديولوجيا فى تحرير الأرض المحتلة[5].

---

(١) "فاعلم أن التقسيم رباعى وبيانه أن تقول"، الكاشف جـ١/٢٨٢، جـ٢/٣٣٥/٤٩٤. "رتب المصنف الكلام فى الأوامر والنواهى على مقدمة وثلاثة أقسام"، جـ٣/٦. "إن هذه المسألة تتفرع على المسألة الأولى"، جـ٣/٣٠٦. "اختلف فيه العلماء على ثلاثة مذاهب..."، جـ٥/٤٤٠.

(٢) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ/٢٥٨٣-٥٩٤، مناهج العقول، إكمال المعلومات (٣٠).

(٣) السابق جـ٤/٢١٣. نهاية السؤل جـ١/٢٥٨، جـ٢/١٠. ابن الفركاح: شرح الورقات، ص١٠٦/١٠٨/١٢٧/ ١٢٩/١٨١. الجزرى: معراج المنهاج، جـ١ (٢٦)، جـ٢ (١٣). الأصفهانى: شرح المنهاج، جـ١/٤٤-٤٥/٦٣/ ٦٦/٦٩/٧٦/ ٨١/١٢٥/١٨٣/٢٢٥/٢٤٥، جـ٢/٥٣٦/٥٨٤.

(٤) شرح المنار ص٢٩٤، الإبهاج فى شرح المنهاج، البنية (١٤).

(٥) الكاشف، جـ٤/١٥٢-١٥٥/١٦٢-١٦٧/١٩٣-١٩٧.

٢- البنية كقسمة. ويبدأ الشرح ببيان القسمة فى النص المشروح أو من عقل الشارح. فلا وجود للجزء إلا فى الكل. والقسمة أحد أنواع التعريف. والإحصاء الشامل هو الموضوع الكامل من كل أوجهه[١]. يبدأ الشرح بالتقسيم الأعم لإدخال الجزء فيه. كما يبدأ بحصر الأدلة من أجل إعادة عرضها والرد على ما ورد فيها. وقد يكون التقسيم كما جرت العادة فى علم الأصول . تبدأ البنية بالقسمة، والتقسيم عقلى ونصى، يقوم على بنية العقل وبنية الموضوع فى آن واحد[٢]. وقد ينبه الشرح أحيانا على أن الحصر غير ثابت أو كامل دون أن يكمله. فقد توقف الإبداع وبدأ التقليد. ولم يعد العقل قادر على الاجتهاد ثانية كما اجتهد أولا[٣].

---

(١) السابق جـ١/١٧٥/٢٠٥-٢١٠، جـ٢/١٣٤. فهذه أمور ستة، جـ٣/٨٤. "وإذا عرفت ذلك علمت أن اختيار المصنف ههنا اختيار لأحد الأقوال الثلاثة وهو أنه حقيقة فى اللفظ مجاز فى المعنى" جـ٣/٨٥. "إن النهى الوارد عقيب الوجوب للعلماء فيه مذهبان" جـ٣/٢٨٦. "وإذ قد أتينا على نقل المذاهب المنقولة فى هذه المسألة مع تعيين القائلين بها. فلنتكلم الآن فى شرح الدلائل الدالة على المختار من هذه المذاهب" جـ٣/٣٢٧-٣٢٨. "هذه الوجوه الثلاثة التى عول عليها المصنف" جـ٣/٤٣٨. "إنه جعل مباحث هذا القسم محصورة فى أنظار أربعة" جـ٣/٤٧٥. "إن عادة كثير من المصنفين فى أصول الفقه جعل المقصود بما ضمنه المصنف فى هذا التقسيم فى مسألتين" جـ٣/٤٨٣. "إنه لابد من نقل كلمات الأئمة الدالة على مذاهب العلماء فى هذه المسألة، وليعلم الناقل الكتاب المنقول عنه لتحصل الإحاطة بالقدر الذى اشتركوا فى نقله وبما انفرد به بعضهم من نقل المذاهب فى هذه المسألة" جـ٣/٥١٠. "إن العلماء اختلفوا فى الواجب المطلق هل يستلزم إيجابه ما لا يتم ذلك الواجب إلا به على أقوال" جـ٣/٥٣٦. "إنا نرى أن نذكر أولا أقوال الأئمة فى هذه المسألة ثم نشرح كلام المصنف فإن شرحه موقوف على فهم مذاهب المخالفين فى المسألة وذلك لا يتأتى إلا بنقل أقوالهم" جـ٣/٥٦٠. "إنه لابد من نقل ما اختاره الغزالى فى هذه المسألة مع نقل مذاهب الناس فيها" جـ٣/٥٨٨. "إن الخلاف فى هذه المسألة على طائفتين" جـ٣/٥٩٧. "إن هذه المسألة مسألة عظيمة الشعب فيجب على المحصل الاعتناء بتحقيقها وتحصيلها فلنجر على عادتنا فى نقل مذاهب العلماء فيها ثم نشرع فى شرح الدليل وتقريره وإيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها" جـ٤/٣. "هذا هو الكلام فى نقل مذاهب العلماء العقلاء فى هذه المسألة" جـ٤/٧. "إنا ننقل مذهب العلماء فى هذه المسألة ثم ننعطف بعد ذلك على شرح المتن" جـ٤/٥١. "أن ننقل أولا مذاهب الناس واختيار أئمة الأصول فنقول" جـ٤/١٣٥. "إنا ننقل مختار أئمة الأصول فى هذه المسألة" جـ٤/١٤٤. "إننا ننقل الكلام فى نقل أقاويل العلماء فى هذه المسألة" جـ٤/١٥٠. "إننا ننقل كلام الأئمة ومختارهم فى هذه المسألة" جـ٤/١٥١. "إنا نتكلم فى منقول أئمة الأصول ومختار كل واحد منهم أولا ثم ننعطف على شرح المتن" جـ٤/١٦٨. "إن هذه المسألة تتضمن بيان أقسام الألفاظ العامة سواء كان العموم بدليا أو استغراقيا" جـ٤/٢٢٩. "وإذ قد أتينا على نقل أقاويل العلماء واختياراتهم فى العموم ومسائله فلنتكلم الآن فى شرح المتن" جـ٤/٢٦٣.

(٢) نهاية السؤل جـ١/١٩٨/٣٠٧/٣٤٦، جـ٢/٢٦/٢٨/٦٢/٧٠/٨٢/١١٠/١١٤/١٤٣/١٤٥/١٤٧-١٤٨/١٦١/١٨١/١٨٥/١٩٢/٢١٩/٢٦٣/٤٠٧/٤٣٧/٤٥٠. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٨٦/١٨٣/١٨٦، جـ٢/٦٦٨/٨٣٦. "فى تحرير المفهوم وأقسامه" القرافى نفائس الأصول جـ٣/١٣٩٠ وأيضا جـ٥/٢١٣٧.

(٣) "يورد عليه أن الحصر غير ثابت" جـ٤/٤٩٣.

وقد يكون الشرح تذكيرا بالعد والإحصاء. فالقياس تابعها ورابعها[1]. وقد يتم تعليل التقديم والتأخير فى الموضوعات مثل مباحث الألفاظ.

٣- وضع الجزء فى الكل. ويضع الشرح الجزء فى إطار الكل، والموقف فى إطار التاريخ، والحالة الخاصة داخل البنية العامة. يعرض النص الشارح للمذاهب كلها أولا فى الموضوع ثم يتحقق من صدقها مع رأى النص المشروح. يعرض النص الشارح الاختلافات كلها حول الموضوع ثم يوضع النص المشروح داخلها لتصبح جزءا من كل. فالشرح تجاوز لتضارب علم الخلافيات إلى وحدة الرؤية واكتمال الموضوع. وكل الآراء جوانب متعددة للموضوع. كل منها يأخذ منظورا. وكل التفصيلات تدخل فى مجملات، والجزئيات فى كليات[2]. كما يتم رد الفروع إلى الأصول، وحل

---

(١) الكافى جـ١/٢٠٠/٢٠٣/٢١٧/٢٢٤/٢٥٤، جـ٢/٦٠٩/٦٩٩/٨٣٨/٨٨٥، جـ٣/١٣٠٠/١٣٥٨. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٤٣/٧٥. جـ٢/٤٥/١٢٣/١٢٧/١٢٩/١٥٤/١٥٦/١٧٢/١٧٣. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٣١٦/٣٤٣. شرح المنار، القسمة (١٦) (عدد مرات القسمة). شرح مختصر المنار ص٧-١٢/٩. الإبهاج فى شرح المنهاج، العد والإحصاء (٢)، القسمة (٣٣). مناهج العقول، العد والإحصاء (١١٠). "التقرير والتحبير" (٩). فتح الودود على مراقى الصعود ص٥٥. نشر البنود على مراقى السعود: العد والإحصاء (٨). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (٤). فواتح الرحموت جـ١/٢٥٤.

(٢) الإبهاج فى شرح المنهاج، الجزء فى إطار الكل، والخاص داخل العام (٢٤). "ووجه المذهبين ظاهر لأن أحدهما ينظر إلى الحال، والآخر إلى المآل. فإن نظرنا إلى الحال فقد ضاق الوقت، وإن نظرنا إلى المآل فقد زالت غلبة الظن. والكشف خلاف ذلك، فيبقى الأمر على التوسيع"، الكشف جـ١/٢٨٨. "إن عبارات المصنفين فى علم الأصول وما يختار كل واحد منهم مختلفة فى هذه المسألة وغيرها وكذلك اختياراتهم فلننقل ما قاله المصنفون فى علم الأصول" جـ٤/٦٨. "ونشأ من ذلك الخلاف فى هذه المسألة التى تشرحها"، الكاشف جـ٣/١٠٢. "إن هذه المسألة ذكرها المصنف ولم يقل فيها خلافا بين العلماء، والفرع الذى فرع عليه مختلف فيه بين الشافعى وأبى حنيفة" جـ٤/٨٥. "إن الناس اختلفوا فى أن المكره على الفعل هل يكلف بفعل ما أكره عليه، وهل يكلف بترك ما أكره عليه؟ فلنشرح مذاهب الناس فى المسألة..." جـ٤/١١٩-١٢٠. "إننا ننقل أولا ما اختاره كل واحد من أئمة الأصول فى هذه المسألة من المذاهب فيها وما اختاره كل واحد منهم ثم نشرح ما قاله المصنف" جـ٤/١٢١-١٢٢. "هذا هو الكلام فى منقول أئمة الأصول فى هذه المسألة، وإذ تأمل المتأمل لا يخفى عنه القدر المشترك بين منقول الكل وما انفرد به بعضهم" جـ٤/١٢٦. "إننا نجرى على عادتنا أولا ثم ننعطف منه إلى شرح المتن" جـ٤/٣١٥. "إن هذه المسألة نشأت من مسألة جزئية من الفروع" جـ٤/٣٧٢. "الكلام فيما يرجع إلى حكم المسألة من أقاويل علماء الأصول" جـ٤/٣٩٨. "إننا ننقل أولا أقاويل علماء الأصول فى هذه المسألة ثم نذكر شرح المتن" جـ٤/٤٠٣. "إن الناس اختلفوا فى كون العقل مخصصا" جـ٤/٤٩٨. "هذه الأقوال المنقولة فى هذه المسألة" جـ٤/٥٤٨. "اعلم أن المصنف نقل جملة من أقوال العلماء، فى هذا الموضع غير أننا ننقل ما قاله غيره جريا على عادتنا" جـ٥/١٣٠. "إن هذه المسألة تتفرع على أن..." جـ٥/٤٦٩. "إن وجه تفريع صدق خبر الله على قاعدتين: إحداهما قاعدة الحسن والقبح العقليين والأخرى قاعدة المخلوق" جـ٦/٢١.

المسائل الفرعية بالاتجاه نحو قواعدها الكلية[1]. وتعرض المسألة طبقا للأصل والفرع لذلك كثرت ألفاظ: قاعدة، تفريع، فرع، فروع، تكميل، وبالجملة ويسمى أحيانا التأسيس[2].

ويعنى الشرح أيضا وضع الجزء فى إطار الكل ليس على مستوى العبارات بل على مستوى المعانى والموضوعات، فحق النبى شىء وحق الأمة شىء آخر، وبيان العام والخاص، والمطلق والمقيد فى المتن. فمباحث الألفاظ أحد طرق الشرح. إذا كان المتن خاصا جاء الشرح عاما، وإذا كان المتن عاما أصبح الشرح خاصا. وإذا كان المتن مطلقا قيده الشرح. وإذا كان المتن مقيدا أطلقه الشرح. فأشهر الحج من هذا العام، والتعارض للحال، والباب الأول أى السنة والقسم أى الخبر المتواتر. وتوضع التفصيلات فى إطار العموميات، والخاص فى إطار العام. فإذا عرض النص العموميات فإن الشرح يأتى بالتفصيلات، وإذا عرض النص الكليات فإن الشرح يأتى بالجزئيات[3]. لذلك يتسع الحكم فى الشرح أو يضيق، يعم أو يخص، يتضمن أو يقصى، يضم أو يستبعد طبقا لمنطق أصولى لغوى فى مباحث الألفاظ، المطلق والمقيد، العام والخاص[4].

٤- ذاكرة التاريخ. والغرض من اللجوء إلى السابقين هو تحرير العبارة، ومعرفة أوجه الاختلافات ومحل النزاع فيها[5]. الشرح دراسة للسابقين على النص وللاحقين عليه أى وضع

---

(١) "إن الوجوه التى ذكرناها فى هذا الباب ذكرها المصنف فى قاعدة التحسين والتقبيح العقليين. وذكرها أيضا فى تكليف ما لا يطاق" جـ٦/٣٧٧. "إن العلماء اتفقوا على جواز تعليل الحكم بالوصف الوجودى مع بيان المقتضى فى أصل المسألة واختلفوا فى جوازه من غير بيان المقتضى" جـ٦/٥٧٤. "ويمكن الجواب عن أصل الإشكال" جـ٤/٩٥.

(٢) نفائس الأصول: تفريع، فرع، فروع (١٥)، قاعدة (٩)، تكميل، وبالجملة (١). "الأصل والفرع"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٤١، الجزرى: معراج المنهاج جـ٢/٣٤/٦٥/٢٠٦/٢١٠-٢١٤/٢٩٥/٢٥٦. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/١٠٦/٣٢٧، جـ٢/٥٠٨. شرح المنار: الأصل والفرع (٧). الإبهاج فى شرح المنهاج: الأصل والفرع (١٣).

(٣) الكافى جـ١/٢٣٨-٢٣٩/٣٣٩. جـ٢/٥٧٤/٥٨١/٥٨٥/٦٦٤/٦٨٣/٦٨٦-٦٨٧/٧٦٦/٧٨٩/٨٠١/٨٢٠/٨٧٠، جـ٣/١٠٧٣/١١٣٣/١٢٤٠-١٢٤١. الأسنوى: نهاية السؤل جـ١/٤٨. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٢٢/١٤١. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/١٠٠/١٠٣/١٠٥/١٢٢/٢٤١. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٢٠٠/٢٨٢/٣٥٢/٣٦٣/٣٨٣/٤٠٦/٤٠٨/٤١١/٤٤٠/٤٦٤/٤٧٥، جـ٢/٥١٠/٥٣١/٥٥٤/٥٦٥/٦٩٣/٦٩٧/٧٠٢/٧٠٥-٧٠٦/٧٠٨.

(٤) شرح المنار: اتساع الحكم وضيقه (١٢)، الضم والاستبعاد (٤).

(٥) "إن عبارة أئمة الأصول فى هذه المسألة مختلفة فلننقلها ليتأملها الناظر. وبها تتلخص صورة المسألة ومحل النزاع" جـ٤/٤١٩. "وإذ قد أحطت علما بأدلة أئمة الأصول فى المسألة فاعلم أن هذه المسألة لها صورتان" جـ٤/٤٢٢. "تقل فى هذا الموضع عن العلماء تعريفات ثلاثة للخبر" جـ٥/٥٦١. "إن العلماء ذكروا فى تعريف القياس رسوما كثيرة مختلفة فى القوة والركاكة أشدها تلخيصا وجهان" جـ٦/١٣٤. "ونتكلم الآن فى نقل مذاهب العلماء فى هذه المسألة" جـ٦/١٨٢. "ولننقل ما قاله الأصوليون فى هذا الموضع ثم ننعطف إلى شرح المتن"=

للنص فى إطاره الزمانى الكلى أى فى مساره التاريخى. مهمة الشرح تحرير وضع المشكلة فى النص، والتحقق من صدق المنقول والمعقول ووضعها فى سياقها التاريخى واختلاف المذاهب واتفاقها[1].

وقد يفضل الشرح اختيارات ومواقف شروح سابقة على النص المشروح. فالشرح مراجعة تاريخية كاملة منذ النص حتى الشرح. وفى الشروح السابقة هناك متقدمون ومتأخرون. فالشرح وعى مزدوج بالتاريخ، بتاريخ التاريخ. وقد تتغير المصطلحات من المتقدمين إلى المتأخرين[2]. وهو مفيد لطلبة العلم. فبالرغم من وضوح المتن إلا أن الشرح يعطى مادة وافرة لطلبة العلم لمعرفة باقى المواقف السابقة والتالية على المتن[3]. وقد يكون من مميزات الشروح تجميع مواد لم تعد تذكر. فهى نوع من الذاكرة أو الحافظة أو السجلات لكثير من المواد الفقهية والأصولية واللغوية مثل الطريقة البرغوتية[4]. ميزته أيضا جمع المادة الأولى التى ربما تكون قد ضاعت متونها أو التى لم تنشر وأخذ اقتباسات منها فى الشروح المتأخرة.

ونادرا ما يكون الشرح قراءة، قراءة النص الشارح للنص المشروح طبقا لأصول علم القراءة، التحليل ثم التركيب طبقا لظروف العصر، التفكيك ثم إعادة البناء من منظور جديد. فالشرح بهذا المعنى خطوة إيجابية، نوع من الإبداع، التنويع على لحن قديم. وهو ما سماه الشارح "تحرير الكلام على نحو آخر"[5].

=جـ٦/٣٠٢. "معنى الإمارة فيه ثلاثة أقوال" جـ٦/٥٥٤. "قد سبق بيان مذاهب الناس فى المسألة السابقة وقد نقلنا كلام صاحب المعتمد فى ذلك" جـ٦/٦٠٩، "فى تحرير محل الخلاف"، القرافى: نفائس الاصول، جـ٣/٣٨٨.

(١) "المسألة من مشكلات المواضع وفيها اضطراب فى المنقول وغور فى المعقول. ونحن نذكر مقالات الناس والتنبيه على جهة الاختلاف ثم نعمد إلى الرأى الأسد فنناضل عنه فنقول"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ١/١٦٥. "فانظر إلى هذه المواضع وتأملها ونزل كلام العلماء عليها ولا يظنن الظان مخالفة ما ذكرناه لعبارات الأصوليين لأنهم إنما قالوا التكاليف بالفروع فلا يرد خطاب الوضع عليهم"، السابق ص١٨١.

(٢) "واعلم أن هذا الكلام (لصاحب الصحاح وصاحب الاحكام) أسد مما ذكره المصنف"، الكاشف جـ١/١٣٤. "وذكر إمام الحرمين فى كتاب "البرهان" أنه عبارة عن العلم بأحكام التكليف وقريب من هذا ما ذكره صاحب المستصفى، وهما ضعيفان"، السابق جـ١/١٤٤. "إن هذه القاعدة اعتنى بها المتقدمون والمتأخرون واختلفت طرائقهم فى الدلالة على انها تفيد العلية. ونحن نرى نقل طرق المتقدمين والمتأخرين، وتصحيح ما يمكن تقريره بما تصل إليه القدرة.."، جـ٦/٤٠١. "إن اصطلاح الأئمة النظر من المتأخرين.."، جـ٦/٥٢٧.

(٣) "هذه جملة الشبه التى ذكرها المصنف وهى واضحة من المتن إلا أنا قصدنا بسطها بالتماس بعض طلبة العلم". جـ٤/٣٠٣.

(٤) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، جـ٤/١١٨١.

(٥) "ولنا أن نحرر هذا الكلام على وجه آخر". الكاشف جـ٣/٥٢٥.

الشرح سلب لأنه فى حاجة إلى "عكاز" يستند إليه وهو النص، فى حاجة إلى بؤرة يلتف حولها كالشرنقة، فى حاجة إلى نقطة بداية ينطلق منها، وإلى سلم يصعد عليه، وإلى روح يتخلق فيها الجسد. فلم تعد الذات الحضارية واثقة بنفسها على إبداع النصوص ذاتها، على إبداع أول، خلق من لا شىء، بل على إبداع ثان، خلق شىء من شىء. وفى نفس الوقت الشرح إيجاب. فهو تواصل مع القديم واستئناف له، وتراكم تاريخى، وجمع القديم والجديد فى موسوعات ضخمة تغنى عن النصوص الضائعة. تكشف عن الحالة الراهنة للعلم وعن بعض مظاهر الإبداع الجزئية التى تبدو بين السطور. الشرح على وعى بتطور الزمان وبتغير التعريفات حتى للقرآن بتغير الأزمان[1]. وربما يبرز الشرح نقاط إبداعه وإضافته بوضع عناوين جانبية لها مثل "فائدة، فرع، مفردا أو جمعا، تذنيب، تنبيه، خاتمة"[2].

الشرح موقف نفسى من النص، التعامل معه، والبناء عليه بصرف النظر عن توضيح الغامض، وتركيز المسهب، وإسهاب المركز. إذ يعترف الشارح بوضوح النص ومع ذلك يقوم بشرحه لأنه لابد أن يقول شيئا بصرف النظر عن هدف القول. فهو شرح لا جديد فيه[3].

الشرح عود إلى الماضى بعد أن تأزم الحاضر، وبحث عن القديم بعد أن عز الجديد، ورجوع إلى الوراء بعد أن صعب التوجه إلى الأمام. لم يكن الشرح حركة إبداعية تعيد بناء النص القديم طبقا لظروف العصر الجديد بل كانت مجرد قراءة شارحة كما هو الحال فى علوم التفسير التاريخية. لم يهدف الشرح إلى شىء، تغيير بنية أو إضافة علم أو نقد مجتمع كما فعل ابن رشد فى الشرح الكبير مثل "تفسير ما بعد الطبيعة".

وتدل الشروح والملخصات على مرحلة تاريخية معينة توقف فيها الإبداع بعد انتهاء المرحلة التاريخية الأولى التى أرخ لها ابن خلدون. فقد توقف الإبداع فى الداخل بعد أن نشأت العلوم الإسلامية وتطورت وبلغت الذروة فى القرنين الرابع والخامس، وبدأ التجميع فى القرنين

---

(١) "هذا التعريف للقرآن الذى هو حجة فى زماننا لا المطلق للقرآن"، الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار جـ١/١١٦. "فأما رواية مثل هذا المجهول فى زماننا فلا تقبل ما لم يتأيد بقبول العدول لغلبة الفسق على أهل الزمان"، السابق جـ٣/٦٨٥-٦٨٦.

(٢) الأسنوى: نهاية السؤل جـ١/١٠١، جـ٢/٤٥/١٢٣/١٩١/١٩٣/٢٩٢/٣٥٨/٣٩٣-٣٩٤/٤٩٤/٥٠٦/٥٤٠/٥٤٢. الإبهاج فى شرح المنهاج: تنبيه (٨)، تذنيب (١)، فائدة (١٠)، خاتمة (٢).

(٣) "اعلم أن كلامه هذا لا يحتاج إلى بيان" شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى: معراج المنهاج، شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضى البيضاوى (جزءان) مقدمة وقدم له د. شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، جـ١/٤٥.

السادس والسابع. وقد أدت الغزوات على العالم الإسلامى من الغرب والشرق إلى حصاره وانكفائه على ذاته، وتكوره حول نفسه. وتجميع إبداعاته السابقة حول منظومات نصية فى حزم حتى لا تتناثر[1].

٥- وحدة العلوم. وقد يكون الشرح جمعا للعلوم كلها فى رؤية واحدة، سواء كانت العلوم العقلية النقلية أم العلوم النقلية الخالصة[2]. فالموضوع قد يكون له معنى عند النحويين وعند الفقهاء بالرغم من التمايز بين العلوم أو تكاملها. ويختلف شرح عن شرح فى مقدار اعتماده على العلوم الإسلامية كمادة للشرح بين الإكثار والإقلال[3].

وقد تأتى المادة من علم الأصول من أجل استكمال الموضوع. فالشرح بهذا المعنى تأليف غير مباشر فى حاجة إلى نقطة بداية من النص ليرتكز عليها، ويدور حولها كدعامة لتدفق الدماء فى شرايين القلب مثل الإفاضة فى شرح النسخ. إذ يبين الشارح أن المؤلف "سكت عن نسخ الكتاب بالسنة"[4]. ويحال إلى مصنفات الأصول عند الشيعة مثل الشريف المرتضى ويتناولها بالنقد والتمحيص. لذلك تظهر بعض مصطلحات الشيعة مثل الجعل والجعلية[5]. وقد يوصى الشرع بأن أصول الفقه هى فروع لأصول الدين بالرغم من التمايز بين العلمين.

وقد تأتى المادة من علم الكلام. تظهر المادة الكلامية بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين[6]. وكثيرا ما يرد علم أصول الفقه إلى علم أصول الدين قبل رد الفروع إلى الأصول مثل الحسن والقبح، والواجبات العقلية، وحكم الأشياء قبل الشرع. بل إن هناك فصول بأكملها فى النص والشرح فى موضوعات كلامية خالصة. فالقواعد كلامية خالصة ترد إليها مبادئ الأصول[7]. ويحال إلى علم الكلام لمزيد من الإطلاع وإلى مناهج الجدل فيه مثل

---

(١) الكافى للسنغاقى، المقدمة ص١٣٧-١٤٢.

(٢) الكافى جـ٢/٧٣٦/٩١٦، نهاية السؤل جـ١/٢٦٠/٢٦٣.

(٣) نقل العلوم الإسلامية فى "معارج المنهاج" للجزرى.

(٤) شرح الورقات لابن الفركاح ص١٤-١٥. مادة أصولية ص١١٣/١٣١/٣٠٨. فواتح الرحموت. شرح أصولى فقهى مطول جـ١/٩٩/١٠١/١٠٤/١١٩/١١٢/١٤٢/١٦٧/٢٣٥/٢٥١/٢٦٦/٢٨٧/٣٠٠/٣١٠-٣١١/٣١٨/ ٣٧٩/٣٨٥.

(٥) "سواء كان ذلك الشيء علة حقيقية أو جعلية" جـ٦/٥٤٩.

(٦) "الجواب المذكور مبنى على قاعدة كلامية وهى ..". الكاشف جـ١/٤٣٥. "ولكن الاستقصاء بذلك يليق بالكتب الكلامية". جـ٣/٦٤. "ومن أراد استحضارها فليراجع الكتب الكلامية". "وإنما تكلمنا على هذه الشبهة فى هذا الفن لأن بعض المصنفين أورد هذه الشبهة ههنا. فلهذا تكلمنا عليها فى هذا الموضع". الكاشف جـ٢/٨٨. "الترجيح الثانى للقدرة والإرادة المذكور فى علم الكلام". جـ٣/٩٤.

(٧) الحسن والقبح. الكاشف جـ١/٢٩٩-٣٥٣. الواجبات العقلية جـ١/٣٥٤-٣٦٧. حكم الأشياء قبل الشرع جـ١/٣٦٨-٣٦٩/٣٨١. الكلام فى المقدمات. الفصل الثامن. فى أن شكر المنعم غير واجب عقلا. الكاشف=

قياس الغائب على الشاهد[1]. ويتم الإسهاب فى علم الكلام باستعارة نظرية العلم منه، وإدخالها فى تحديد علم أصول الدين. فالعلم واحد، أصول الدين وأصول الفقه[2]. ويطغى علم الكلام على علم الأصول، وهو علم قواعد العقائد فى المقدمة فى نظرية العلم، وفى الخاتمة بدلا من الاجتهاد والإفتاء. وقواعد العقائد مغلقة لا خلاف عليها. وفى نفس الوقت عدم تكفير أحد[3]. وبالرغم من ارتباط علم الأصول بباقى العلوم إلا أنه متمايز ومستقل عنها. فموضوع الكلام النفسى موضوع أصولى ولكن يتم استيفاؤه فى علم آخر[4]. وهناك شروح أصولية فقهية أو أصولية فقهية فلسفية[5]. تصب الشروح المتأخرة فى علم أصول الدين. ولصاحب المتن منظومة فى علم العقائد[6]. وتظهر فى الشروح الفرق غير الإسلامية مثل اليهود فى النسخ والنصارى فى الرواية والمانوية والزرادشتية وعبدة الأوثان والبراهمة والسوفسطائية وكما هو الحال فى علم الكلام[7].

وتأتى مادة الشرح من الفلسفة والمنطق فى تعريف التصور لكن فى أقل الحدود وليس بقدر علم الكلام. وكان يمكن للفلسفة أن تتطور بتطور علم الأصول وأن يتطور علم الأصول من خلالها. فالذاتية مثلا مازالت فى علم الأصول بالمعنى المنطقى، الذاتى فى مقابل العرضى. فى حين أن الذاتية عند إقبال وفى المثالية الترنسندنتالية فى الغرب الحديث لها معنى الذات الإنسانية الباطنية[8]. وتأتى مادة الشرح من علم المنطق. ولا يستطرد فيه بل

=جـ١/٣٥٤-٣٦٧. الفصل التاسع فى حكم الأشياء قبل الشرع، جـ١/٣٦٨-٣٨١. وفى "شرح المنار" نادرا ما تظهر الموضوعات الكلامية (مرتان فقط).

(١) "إن قياس الشاهد على الغائب هو اختيار أكثر المتكلمين"، جـ٦/٥٨٦، مناهج العقول. الشرح الكلامى (١٠).

(٢) "وأما تحقيق الحق فى ذلك ففى أصول صناعة أخرى هى أجل من هذه الصناعة وهى علم الكلام. وفى هذه المسألة تدقيقات حكمية وكلامية تركناها طلبا للإيجاز"، الكاشف جـ٢/٨٩. "كل ذلك يتبين فى علم الكلام"، جـ٢/٢٨٠. "والمحقق فى علم الكلام يعلم مآخذ هذا الكلام"، جـ٣/٧٠. "وجوابه إبطال قاعدة التناسخ فى علم الكلام"، جـ٣/٧٣.

(٣) "فقد اختلف اصطلاح المتكلمين والفقهاء"، الكاشف جـ١/٢٧٧. ابن الفركاح: شرح الورقات، مادة كلامية ص٢٢٠/٣٤٧. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٦٣. تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشى جـ٢/٣٢٧-٣٥٣/٣٩١. فواتح الرحموت جـ١/١١/٣٤١. شرح مطول عن تاريخ النبوة جـ١/٤٩.

(٤) "والحق أن هذه المسألة مشكلة، وإثباتها بناء على إثبات كلام النفس صعب فى الشاهد. وفى الغالب أصعب، وبناء الشاهد على الغائب ضعيف. ولا يحتمل أصول الفقه تحقيق ذلك فإنه خروج من الفن إلى فن آخر"، الكاشف جـ٣/٧٩.

(٥) فواتح الرحموت، جـ١/٨٣/٨٤/١١٥/١٢٥.

(٦) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، جـ١/١٦٤.

(٧) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى. جـ٣/٦٣٩/٦٤٠-٦٤٤/٧٣٦.

(٨) للسبكى شرح المحلى على جمع الجوامع، جـ٢/٣٧٤. فواتح الرحموت: شرح فلسفى مطول، جـ١/٦٠.

يحال إليه[1]. كما تكثر في بعض الشرح كثرة التعريفات بالمترادفات[2]. وتغيب المسائل الميتافيزيقية المجردة[3]. ومع ذلك قد يكون الاستطراد نظريا معرفيا خالصا. وقد يكون استطرادا نظريا فلسفيا كلاميا[4]. وقد يقع الخلاف بين المتكلمين والفلاسفة في موضوع الواحد والكثير[5]. كما تأتي مادة الشرح من علوم الحكمة، من ابن سينا وأبي البركات خاصة المنطق في تعريف الحدود[6]. وقد ترتبط اللغة بالمنطق كما هو الحال في مقدمة "المستصفى". والصلة بين المنطق والفلسفة مثل الصلة بين أصول الفقه والفقه. فالمنطق آلة الفلسفة وأصول العفة آلة الفقه[7].

كما تصب الشروح في علوم التصوف أي العقيدة والحقيقة وتتخلى عن الشريعة والحكمة[8]. وفي الشروح المتأخرة مثل "مناهج العقول" للبدخشي يظهر الشرح الصوفي المحدود. فالشارح صوفي قام بشرح المنهاج للبيضاوي أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين وتعلق البال باقتباس معارف الصوفية المتألهين مع التزام مجاورة الطلاب بطريقة الشيخ والمريد[9]. ويشير إلى "رسالة توحيد الصوفية المتألهة" التي ألفها. كما يحيل إلى ابن عربي والفتوحات وإلى أرباب المكاشفات والمشاهدات. يخبرون الظاهرية بما انكشف لهم في النفس في مجال القدس ومجالس الأنس مع نقد العلوم الصورية عند الظاهر بل واتهام المعتزلة بأنهم أصحاب العلوم الصورية التي تعتمد على مجرد العقول والمحسوسات. كذلك يختتم "شرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي" شرحه بالإيغال في التصوف "خاتمة في التصوف" مثل المتن. وكلها في

---

(١) "وتحقيق الحق في ذلك في علم المنطق فليطلب منه"، الكاشف جـ٢/١٢٧. "وقد مر بيانه في المنطق وفي مواضع أخرى"، جـ٦/٥٢٩.. الجزري: معراج المنهاج جـ١/٤٥/٢٧٥.

(٢) مثال ذلك السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج.

(٣) وذلك كثير في شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح.

(٤) فواتح الرحموت، جـ١/١٨١/٢٠٠.

(٥) "المصنف نقل هذا الكلام من مسألة مشهورة بالخلاف بين المتكلمين والفلاسفة.."، جـ٦/٥٢٠.

(٦) الكاشف جـ٣/٤١.

(٧) فواتح الرحموت جـ١/١٠.

(٨) شرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي، جـ٢/٤٠١-٤٣٠.

(٩) مناهج العقول جـ١/٢٢٤ "كما أن أرباب الكشوف والمشاهدات يخبرون الظاهرية بما انكشف لهم في مجال القدس، ومجالس الأنس، وفضاء الملكوت، وساحات الجبروت، وحضرات اللاهوت، من العلوم اللدنية والأسرار الربانية والظهورات الصورية والنورية والمعنوية والذوقية والمشاهدات الصفائية الجمالية والجلالية والتجليات الذاتية الإلهية. والظاهريون خصوصا المعتزلة لجمود نظرهم وخمود طبيعتهم واحتباسهم في عالم الشهادة وقصر نظرهم في مضيق عالم الحواس على المحسوسات وإغرارهم بانكارهم الملطخة بالكدورات وعقولهم المدنسة بالشهوات، ينكرون ما أخبر به هؤلاء الربانيون الإلهيون. وإذا لم يهتدوا فسيقولون هذا إفك عظيم"، السابق جـ٢/٥٥٤-٥٥٥.

الموضوعات السمعية التى تجمع بين الكلام والتصوف مثل عذاب القبر ومشاهد القيامة جمعا بين الأشعرية والتصوف، العقائد والغيبيات، وكلاهما الفرقة الناجية. كما تتم الإحالة إلى استشهاد الحلاج[1]. كما تغلب الروح الصوفية على "تشنيف السامع بجمع الجوامع" شرح الزركشى على السبكى. إذ يغلب الإيمان فى الطبيعيات والميتافيزيقا الخالصة بعد غلبة الأمور الميتافيزيقا على الأمور العلمية والإيمان على الاستدلال[2]. والفرقة الناجية ليست فقط الأشعرية بل الصوفية أيضا[3]. والجهاد فى النفس، وهو موقف الصوفية، هو الجهاد الأكبر[4].

وتاتى مادة الشرح من علوم اللغة، فاللغة ركيزة الثقافة العربية الإسلامية. تقل أو تكثر طبقا للشارح، وقد تغلب على بعض الشروح، الشروح اللغوية مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى. وتكثر الشواهد اللغوية إما بأمثلة من القرآن والحديث أو بأمثلة مؤلفة من عبارات عادية كما هو الحال فى التحليل اللغوى فى الغرب المعاصر[5]. وقد تكشف عن بعض الكلمات المعربة مثل "بنج" والتى نظنها أنها غربية مع أنها فارسية الأصل[6].

وقد تكون المادة فقهية نظرا لارتباط الفقه بالأصول ارتباط المادة بالصورة، والفرع بالأصل. فتذكر المذاهب الأربعة بلا استثناء[7].

وقد يعود علم الأصول إلى مصدره فى علم الحديث خاصة فى موضوع الأخبار. ويحل المحدثون والرواة محل الأصوليين والفقهاء. بل إن أبا حنيفة والشافعى يظهران كرواة كظهورهم كأصحاب مذاهب، وكذلك أبو يوسف ومحمد. ويظهر الصحابة والتابعون أيضا كمصادر للشرع[8]. وقد تأتى مادة الشرح من التاريخ، تاريخ السير والرجال أثناء التحقق من الروايات وبيان أسبقية المروى عنه عن الراوى منه فى الزمان حتى تصح الرواية. وقد تأتى المادة من علم

---

(١) خاتمة فيما يذكر من مبادئ التصوف المصفى للقلوب، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى جـ١/٤٣٠-٤٣٩.

(٢) تشنيف السامع بجمع الجوامع جـ٢/٢٣٧-٣٩١.

(٣) السابق جـ٢/٣٥٥-٣٥٧.

(٤) السابق جـ٢/٤١.

(٥) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٥/١٢٥٩.

(٦) تقل المادة اللغوية فى معراج المنهاج للجزرى. وتكثر فى "مناهج العقول" للبدخشى. وأيضا شرح المحلى على جمع الجوامع للسيكى (٧٧١هـ). فواتح الرحموت، استطراط لغوى جـ١/٢٥٧/٣٣٤/٣٦٠.

(٧) الكاشف جـ٣/٧/١٢. نهاية السؤل جـ١/١٢٠/١٥٩-١٦٠. فواتح الرحموت جـ١/٧٠/٧٢/٧٩/٩٠/٩٣/١٧١/١٧٣/٢١٣/٢١٩/٢٢٨/٢٤٥/٣٦٦.

(٨) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٣/٧٠٥، يتضح ذلك أيضا فى "التقرير والتخبير" جـ٢/٢٤٣/٢٧١، جـ٣/٨-٩.

التفسير أيضا أى من مجموع العلوم النقلية[١]. وتكثر بعض الأحاديث عن القتل مثل "من بدل دينه فاقتلوه" دون مراجعة للمتن وليس فقط للسند خاصة وأن الحياة أو النفس أول مقصد من مقاصد الشريعة[٢].

كما تعود بعض الشرح فى مصدرها فى علوم القرآن خاصة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٣]. كما يعود البعض إلى علوم التفسير[٤].

وفى الشروح قد يعود علم أصول الفقه إلى أحد مصادره وهو الفقه[٥]. وهناك أمثلة أخرى كثيرة من فقه النساء القديم عن الحيض والنفاس والطلاق وعدد مراته والميراث والشهادة دون محاولات لتجديد مادة العلم القديمة بمادة جديدة من ظروف دولة الخلافة، ومخاطرها الداخلية من ضعف وتسلط وتأخر، ومخاطرها الخارجية من أطماع القوى الخارجية فى أراضيها وثرواتها وشعوبها. وإذا كان أصول الفقه غير الفقه فى البداية فقد يغلب الفقه على أصول الفقه فى النهاية فى "الأحكام"[٦]. ويعود علم الأصول إلى علم الفقه بعد أن صدر منه من أجل تنظير قواعد الاستدلال. وبعد ضعف التنظير العقلى عاد علم الأصول إلى الرحم الذى خرج منه انتظارا لشافعى جديد يعيد التنظير فى عصر جديد وفى مرحلة تاريخية أخرى.

ومازالت بعض الأمثلة تعطى من الفقه القديم مثل "العبيد" مما يدل على ان الشارح لم يعد مجددا يتحمل مسئولية تجديد العلم فى بنيته أو فى تاريخيته، فى صورته أو فى مادته[٧]. وكثير من الأمثلة فى العصور المتأخرة من موضوعات فقهية لم تعد قائمة وتجاوزها العصر بل لم تعد "نازلة" مثل الرق والغنائم. ومازال مثال " العبد الأبق" يضرب به المثل بالرغم من انتهاء عصر العبودية[٨]. ومازالت بعض الأمثلة التى تقوم على الخرافة مثل الآثار غير المنظورة للآيات والسور. فسورة "الملك" تحرر، والقرآن يشفع[٩].

---

(١) التقرير والتحبير جـ١/١٥٨، جـ٢/٣١٦، جـ٣/١٥/٦٢/١٧٣. تيسير التحرير جـ١/٦/١٥٤. فواتح الرحموت جـ١/١٠/١٠٩/١١٧/٢٠٢/٢٣٠/٣٧٤.

(٢) فتح الودود على مراقى الصعود ص٩٤. نشر البنود على مراقى السعود جـ١/١٩٣. فواتح الرحموت جـ١/٢٦٣/٢٨٠/٢٨٤/ ٣٦١/٤٠٨/٤١٨/٤٢٠/٤٢٢/٤٣٠.

(٣) تيسير التحرير جـ١/٣٦٧.

(٤) السابق جـ١/٣٨٢/٣٨٤.

(٥) مثل الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٥٦.

(٦) وذلك مثل شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ٢/٣٩٢-٣٢٧. وكذلك شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (جزءان).

(٧) وذلك مثل "شرح المنار".

(٨) تيسير التحرير جـ١/٣٤١.

(٩) فواتح الرحموت جـ١/٤٠٢.

ويظهر موضوع "الصلاة فى الدار المغصوبة" فى الشروح أيضا دون تطويره والانطلاق منه خاصة فى الأوقات الصعبة، هجمات الصليبيين من الغرب أو التتار والمغول من الشرق والاستعمار الغربى الحديث من الشمال[1]. وقد كتبت بعض الشروح المتأخرة فى موريتانيا أثناء الاحتلال الفرنسى، ولم تظهر قراءة جديدة لعدم جواز الصلاة فى الدار المغصوبة. والشروح فى معظمها نظرية أكثر منها عملية لا تعبر عن الواقع الاجتماعى. وما كان أسهل من الانتقال من مثل الماء المغصوب والغرس المغصوب والمال المغصوب إلى الأرض المغصوبة.

ثانيا: الشـــروح.

١- الأنواع الأدبية. "الشرح" لفظ تقليدى، مستعمل فى النصوص الفلسفية القديمة. هو نوع صاغه ابن رشد بعد المترجمين مثل الفارابى فى الشرح الأكبر أى التفسير، والشرح الأوسط وهو التلخيص، والشرح الأصغر وهو الجوامع. الشرح مع المختصر نوعان أدبيان فى علوم الحكمة، الشرح والتلخيص. بل وظهر نوع ثالث لم يظهر فى علم الأصول هو الجوامع. فالشرح يبدأ من اللفظ والعبارة، لفظا بلفظ، وعبارة بعبارة. والتلخيص يبدأ بالمعنى. ينطلق من العبارة من أجل الوصول إلى المعنى، ويعبر عن أكبر قدر ممكن من المعانى فى أقل قدر ممكن من الألفاظ. هذا بالإضافة إلى نوع ثالث هو "الجوامع" الذى يبدأ من الشىء ذاته ويعبر عنه فى صياغة جديدة لفظا ومعنى رؤية للشىء وليس شرحا لعبارة أو فهما لمعنى[2]. وكما زادت علوم الحكمة الجوامع زاد علم الأصول الحواشى وهو شرح الشرح بل والتقرير وهو تأويل شرح الشرح وإضافة أجزاء عليه، مادام فى الحضارة بقايا من حركة ورغبة فى المزيد حول نفس البؤرة الأولى، النص الإبداعى الأول بعد أن يتحول إلى شرنقة الشروح والملخصات والحواشى والتقارير.

ويستعمل لفظ "ترجمة" بمعنى شرح وتفصيل. فإذا قال النص "الذى يدخل فى الأمر والنهى وما لا يدخل" حكم الشرح بأن "هذه ترجمة"[3]. كما يستعمل لفظ الترجمة بمعنى بيان المسألة.

---

(١) القرافى: نفائس الأصول جـ٤/١٥٧/١٧٤٢-١٧٨٧. الإبهاج فى شرح المنهاج جـ١/١٣١، جـ٢/٦٩، مناهج العقول جـ١/٦٠، جـ٢/٣٥٣. الصلاة فى المكان المغصوب، ابن قاوان: التحقيقات فى شرح الورقات ص٢١٩. التقرير والتحبير جـ٢/١٨٧-١٨٩. تيسير التحرير جـ٢/٣٧١-٣٧٣. فتح الودود على مراقى الصعود ص٦٨. فواتح الرحموت جـ١/٤٠٤/٨٦/١٠٥-١٠٦/١٠٩.

(٢) من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول، النقل جـ٣ الشرح.

(٣) السابق ص١٠.

ومع لفظ ترجمة قد يضاف لفظ النسخ لإفادة نفس المعنى وهو الشرح. وأحيانا تعنى "نسخة" المعنى الشائع وهو النص المكتوب بخط آخر. وقد يعنى اللفظ المعبر عنه فى العنوان[١].

كما يستعمل أيضا لفظ "التقرير" بمعنى العبارة الشارحة والتحرير أى التوضيح والبيان[٢]. والتقرير غير الجواب. ويأتى بمعنى الشرح والبيان. وغالبا ما يكون اسما "وتقريره" أكثر منه فعلا "تقرر". وهو اللفظ الجامع للشرح فى أول الفقرة تأتى بعده ألفاظ فرعية للشرح مثل "سؤال"، "فائدة"..الخ. وهو اللفظ الأثير عند الشيعة بمعنى تقرير التلميذ عن الدروس الشفاهية للأستاذ[٣].

واستعمل أخيرا لفظ "مذكرة" التى تقوم بوظيفة الشرح والمختصر والحاشية فى آن واحد. وتعنى اختصار نص قديم بطريقة الشرح وفصل "المتن" عن الشرح، وهو جزء من المتن وليس المتن كله[٤]. وهو شرح تقليدى يقوم على الاقتباسات دون تأليف نص واحد. يفصل بين المتن والشرح. يسبق المتن "قال المؤلف رحمه الله تعالى"، ويسبق الشرح "قال مقيده عفا الله عنه"، مجرد إثبات للنفس، والعودة إلى الماضى، وأداء وظيفة مدرسية جامعية، ومذكرات فصل دراسى مقسم بين السنوات الأربع[٥].

والعناوين دالة على مضمون النصوص، المتون أو الشروح. يعلن عنها فى المقدمات مما يدل على وعى كامل بالأنواع الأدبية ومصطلحاتها وفروقها بالرغم من أن اللفظ العام هو "الشرح"[٦].

---

(١) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٤/١١١٤. القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ٣/١٣٦٧/١٤٠٠/١٤٣٢/١٤٣٥/١٤٧٥/١٥٠٥، جـ٤/١٨٦٢. "وهذه الدعوى محررة"، القرافى: نفائس الأصول جـ٦/٢٥٤٩. "مترجما إياه بمناهج العقول فى شرح منهاج الأصول"، مناهج العقول جـ١/٥.

(٢) "اعلم أن ترجمة المسألة"، الكافى جـ٤/٤٥٨. "الشرح: تقريره أن"، الكافى جـ٦/٢٢٧. "وتحريره أن"، جـ٦/٣٠٠. "فقد شرحنا كلام المصنف وقررناه على وجه لا يرد عليه ما ذكره هذا القائل" جـ٦/٥٤٦. "وتقريره أن"، نهاية السؤل جـ٢/١٣.

(٣) نفائس الأصول: "تقرير" (٤٣٣)، تقدير (٤)، تحرير (١)، وتحقيقه (١). ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٤٧-١٤٨/٢٥٧. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/١٤٧/٣٩٧/٤٣٣. الأصفهانى: شرح المنهاج، التقرير جـ١/٢٧١/٣٣٧، التحرير جـ١/٤٢٧، التقرير جـ٢/٦٤٧. التقرير نسخة بالمعنى الشائع (٩). شرح المنار ص٨٣.

(٤) الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطى: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمه الله ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٥) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمة الله للشنقيطى. مقرر السنة الأولى ص٣-٩٣، مقرر السنة الثانية ص٩٣-١٦٨، مقرر السنة الثالثة ص١٦٩-٢٤١، مقرر السنة الرابعة ص٢٤٢-٣٥٩.

(٦) "ولعله إذا فتح الله تعالى بإتمامه، ومن بالفراغ من إتقانه واختتامه أن يكون مسمى "التقرير والتحبير فى شرح كتاب التحرير"، التقرير والتحبير جـ١/٥.

٢- **المتن والشرح.** ويتم الفصل بين النص والشرح كما هو الحال فى علم التفسير، مع توضيح الفرق بينهما. يسبق النص عبارة "قال المصنف"، ويسبق الشرح لفظ "الشرح". وهى نفس الطريقة التى اتبعها الفارابى فى "شرح العبارة"، وابن رشد فى "تفسير ما بعد الطبيعة"[١]. وأحيانا يذكر الشارح اسمه مثل "قال القرافى" للتمييز بين النص المشروح والنص الشارح. وإذا ما استشهد الشارح بنص فإنه يذكره مع "انتهى كلامه" التى تعادل علامة التنصيص الآن أو "ما نصه"[٢]. وقد تستعمل حروف رمزية للفصل بين النص المشروح والنص الشارح، "ص" للمشروح و"ش" للشارح[٣]. وأحيانا "قال المصنف" سواء للشرح أو للنص مما يدل على وعى الشارح بالنوع الأدبى.

وقد تكون عبارات المتن قصيرة وعبارات الشرح مسهبة. وقصر تعريفات المتن وتركيزها هو الذى استدعى الشرح المستفيض[٤]. يجمع الشرح بين سيولة "المنار" وتجميع "البحر المحيط" للشارح أيضا.

وقد يذكر المتن المشروح كله فقرة أو عبارة. وقد يذكر أول العبارة فقط ويضاف "إلى آخره"[٥]. لا يذكر المتن كله بل بداية العبارة فقط. ويتم الفصل بين المتن والشرح إما بلفظ "قوله" أو بأساليب الطباعة الحديثة، المتن "بولد" والشرح عادى، أو الفصل بينهما بعدة نجوم، المتن فى أعلى الصفحة متصلا، والشرح بعد ربعها الأول. وقد تتكرر بعض ألفاظ المتن داخل الشرح للدلالة على أهميتها. ويتم الشرح حينئذ لفظا بلفظ[٦]. يسبق النص فعل "قال" ثم يتم تقطيعه عدة مرات حتى يسهل مضغه قطعة قطعة باسم "قوله". وقد يذكر الشارح أو الناسخ اسم الشارح فى بداية الشرح قبل تقطيع النص المشروح فى فقرات أو عبارات أقصر حتى يتم مضغ النص جزءا جزءا، وقبل كل فقرة "قوله"[٧].

---

(١) من النقل إلى الإبداع مجـ١، النقل جـ٢ الشرح.

(٢) القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول، الكاشف جـ٤/٣٨٩/٤٣٥، جـ٦/١٧٠. نهاية السول جـ١/٣٨٨، جـ٢/١٥٦/١٨٩/٢٢٢/٢٩٤/٣٠٥/٤٧٩.

(٣) وذلك مثل الأصفهانى: شرح المنهاج للبيضاوى جـ١/٢٧٢/٣٧٧. وفى "شرح المنار" لا يرد "قال المصنف" إلا أربع مرات. وفى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى، قال المصنف جـ١ (٤٢)، ش (شرح) جـ٣ (٥١).

(٤) تشنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكى) للزركشى (جزءان)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للمارينى الشافعى.

(٥) الكافى جـ٤/١٥٩٦. شرح السؤال جـ١/٥/٢٩.

(٦) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى. نموذج المتن المجزأ أجزاء قصيرة "تيسير التحرير" لأميربادشاه باستثناء بعض الفقرات الطويلة مثل جـ١/١٨٣/١٨٥.

(٧) نفائس الأصول: "بحث آخر" (١). شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ٢/١٢٢/١٢٨/١٣٤.

وغالبا ما يكون الشرح بعد المتن كما هو الحال فى علوم التفسير وشروح الفلاسفة. وأحيانا أخرى وهو الأقل يأتى المتن بعد الشرح وكأن الشرح هو المتن، والمتن هو الشرح[1].

وقد يكون اللفظ الدال بعد المتن أو قبله، والغالب بعده. وليس بالضرورة أن يكون ملاصقا له، والملاصق هو الأغلب. وهو الذى يكشف عن منطق الشرح كما تكشف ألفاظ الرواية عن درجة صحتها. وإذا ابتعد اللفظ الرابط بين المتن والشرح فإن الشرح يكون للمضمون كله وليس فقط للفظ أو للعبارة. يكون دراسة شاملة للموضوع نفسه. وقد يكون المتن كله عبارة واحدة يتم شرحها مرة واحدة أو قد تقطع العبارة فى مجموعة من الألفاظ يتم شرحها لفظا لفظا[2].

يقصر الشرح أو يطول. يقصر عندما يكون الشرح حرفا بحرف أو لفظا بلفظ أو عبارة بعبارة. ويطول عندما يدخل الشارح مؤلفا ويذكر كل ما حول النص من علاقات، ويعطى كل المعلومات المتاحة عنه كما هو الحال فى التفسير التاريخى. يطول عندما يُستعمل النص الأول كمجرد مشجب يتم عليه تعليق كل شىء معروف حتى يتجمع العلم ولا يضيع. ويقصر عندما يكتفى الشرح بتوضيح الواضح أو إكمال الناقص على مستوى الخبر. وقد يصبح الشرح أطول من النص الأصلى، تضخما فارغا، بالون هواء أو كيسا دهنيا بلغة الأطباء. الشرح الطويل طموح صبى أو شيخ يجمع كل شىء، والشرح القصير تواضع معاق يعرف حدود حركته بالالتفاف فى المكان[3]. وإذا كان الشرح طويلا فإنه يكون دراسة كاملة، والمتن مجرد مناسبة. الشرح فى هذه الحالة دراسة لموضوع وليس فقط موضوعا لدراسة. لذلك يأتى أحيانا أكبر من النص عشرات المرات ويمكن ترك النص المتقطع والإبقاء على الشرح متصلا ويكون تأليفا كاملا ثم ينتهى الاستطراد بالتنبيه عليه "فلنرجع إلى شرح كلام المصنف"[4]. ويتفاوت الطول والقصر من الطويل إلى المتوسط إلى القصير. وينبه الشارح على الاستطراد فى النص أو الشرح[5].

---

(١) الكافى جـ٢/٦٩١/٨٥٢/٨٥٩.

(٢) السابق جـ٣/١٣٨٣.

(٣) ويظهر ذلك فى الكافى أيضا مثلا جـ١/١٥١-١٥٤. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٣١-٢٣٩/٢٤٠-٢٥٦/٢٥٧-٢٦٧/٢٧٩-٢٨٨/٢٩٤-٣٠٣/٣١١-٣٢٥/٣٢٥-٣٣٥/٣٣٦-٣٤٧.

(٤) وقد استمر هذا النوع من التأليف حتى فى عصر النهضة العربى الحديث كما فعل الطهطاوى فى "تخليص الإبريز" وفى "مناهج الألباب" وكما فعل على مبارك فى "علم الدين" عندما يتخذ الواقعة أو الحادثة مناسبة لاجترار كل ما هو معروف حولها من تاريخ أو جغرافيا أو علوم طبيعية أو إنسانية.

(٥) نهاية السؤل جـ١/٧-٨. وفى "شرح المنهاج" للبيضاوى، الشرح أطول نسبيا من النص خاصة جـ٢/٦٣٨-٦٤٠. "وهو إطناب أو تطويل لا يليق بإيجاز المصنف"، السابق جـ١/٦١٠. "إذ لا حاجة إلى التطويلات"، السابق جـ٣/٦٨١. "مجتنبا عن التطويل الممل والإيجاز المخل مراعيا شريطة الاقتصاد ومتجافيا عن التعسف والعناد".=

يتم تقطيع النص إما قطعا طويلة قد تصل إلى مسائل كاملة أو فقرات أو عبارات قصيرة. فى الحالة الأولى يكون النص مسهبا والشرح مركزا. وفى الحالة الثانية يكون النص مركزا والشرح مسهبا. ثم يتم تقطيع النص من جديد مرات ومرات عبارة عبارة، وربما لفظا لفظا حتى يسهل مضغه وهضمه قطعة قطعة. وتطول الفقرات تباعا بتوالى الأجزاء. تقصر فى البداية وتطول فى النهاية. فالشرح أيضا دافع حيوى يقوى فى البداية ويضعف فى النهاية. فى الأجزاء الأخيرة تظهر وحدة الشرح، الموضوع وليس النص .

والغاية من تقطيع النص هو التدرج فى عرض مسار الفكر على مراحل من أجل كشف المسار الكلى. وتكون اللازمة "وإذ قد عرفت ذلك فاعلم..." [1]. الشرح كالسير خطوة فيكون قصيرا أو خطوات فيكون طويلا.

وأحيانا يكون الشرح إضافة فعلية على النص وأقوى منه. وأحيانا أخرى يكون النص أظهر من الشرح وأقوى منه. فالشرح ليس بالضرورة إضافة فعلية على النص بل قد تكون خصما منه.

ويقل الشرح فى نهاية الكتاب ويزيد النص. ربما لأن الشرح كقوة دافعة قد خف ولم يعد قادرا على احتواء النص وبعد استنفاذ كل أغراضه. وربما كان الموضوع هو السبب فى قلة الشرح مثل الإجماع. وقد يبدأ قسم وينتهى بلا شرح. وهناك مسائل وفقرات وموضوعات ليس لها شرح[2].

والشرح على علم بطول أجزاء النص وقصرها طبقا لأهمية الموضوع أو تكراره. فالأوامر أطول من النواهى لأن النواهى هى الأوامر سلبا. فالموضوعات واحدة مرة إيجابا ومرة سلبا. فإذا تم

=مناهج العقول جـ١/٥، جـ٣/٧١٣. الطويل أكثر من ثلاث صفحات مثل الكافى جـ١. "نموذج الفقرة الطويلة" شرح المحلى على جمع الجوامع جـ١/٤٩-٥٣. الكافى جـ٢/٥٣٥-٥٣٨/٦١١-٦١٤، جـ٣/١٣٧١-١٣٧٦/١٤٠٣-١٤٠٧. والمتوسط صفحتان جـ٢ (١٠)، جـ٣ (٨). والقصير صفحة واحدة ١٥٠٧-١٠٥٨/١٥٣٥-١٥٣٩. "وفى فى هذه بحث طويل أعرضت عنه خشية التطويل"، الجزرى معراج المنهاج جـ١/١٣٤، جـ٢ (٤٢)، جـ٣ (٣٤). "والجواب على وجه الاختصار"، الكافى جـ٢/٦٨٩. "إذا علمت هذه المقدمة فلنرجع إلى الحد" نهاية السؤل جـ٢/٣١٥. "وقد أطلنا فى هذا لأننا لم نجد من حققه هكذا"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ١/٣٠. "وقد أطلنا فى ذلك فلنرجع إلى غرضنا"، السابق جـ٢/٧٩. "ولا ينبغى أن يحل التطويل فى هذه المسألة ففيه من الفوائد ما لا يوجد فى سواه"، السابق ص٨٠.

(١) الكاشف جـ١/١٦٠ والباب الثانى كله غير مشروح فيما عدا التواتر، ومن الطرق الدالة على كون الخبر صدقا، والقول فى الطرق الصحيحة، الكاشف جـ٥/٦١٥-٦٢٧. نموذج النص الطويل، الكاشف جـ١ (١)، جـ٢ (٦)، جـ٤ (٧)، جـ٥ (٣٢)، جـ٦ (٣٣).

(٢) الكاشف جـ٥/٥٤٣-٥٤٤/٥٥١-٥٥٥

عرض الأوامر بالتفصيل فإنه يتم عرض النواهى فى عمومياتها منعا للتكرار[1].

وتكون النصوص المشروحة طويلة فى الموضوعات الكلامية التى لا تحتاج إلى تفصيل لأنها أقرب إلى علم أصول الدين منها إلى علم أصول الفقه مثل حسن الأشياء وقبحها، شكر المنعم غير واجب عقلا، فى حكم الأشياء قبل الشرع أو فى موضوعات أصولية تمهيدية مثل ضبط أبواب علم أصول الفقه، وفى البحث عن المواضع[2].

وعندما يكون التقطيع صغيرا، عبارة عبارة وأحيانا كلمة كلمة بل وأحيانا حرفا حرفا يضيع المعنى. ويصبح الشرح لغويا خالصا، إعرابا واشتقاقا، وتصبح قراءته بلا فائدة. ويغيب السجال مع الفرق والردود على الاعتراضات. كما تغيب الإشكالات والأسئلة والأجوبة، مما يجعل الجهد فى تحليل آليات الشرح عديم الفائدة، كم بلا كيف، جهد بلا نتيجة. ولتعويض ذلك النقص يعم السجع، وتكثر المحسنات البديعية. فإيقاع الشعر وجرس اللفظ فيهما غنى عن خواء الفكر وفراغ العقل. فى ثقافة الشعر مازال جوهرها كما هو الحال فى الشعر التعليمى نظمت معظم العلوم الإسلامية شعرا بعد توقفها فى عصر الشروح والملخصات مع العواطف الإيمانية والبسملات والدعوات والابتهالات جمعا بين الشعر والتصوف. وقد يصل حد التقطيع إلى قدر اللفظ، لفظا بلفظ[3]. وأحيانا يكون النص قصيرا والشرح قصيرا أيضا[4]. وإذا كان المتن شعرا فإنه يقطع لفظا لفظا ويحول الشعر إلى نثر. وهو شعر تعليمى على أى حال خال من أى تجربة شعرية[5].

والشروح المستفيضة دراسات مستقلة عن موضوعات النص وليست شروحا له. هى أشبه بالمتون ولكنها فى حاجة إلى نقطة ارتكاز، نقطة بداية، عكاز وسند. لذلك قد لا يتجاوز المتن

---

(١) إن مسائل النهى جاءت فى قسم النواهى أقل منها فى قسم الأوامر والسبب أن أكثر أحكام الأمر تثبت مقابلاتها فى النهى فلا حاجة للتكرار والإعادة"، جـ٤/١٤٠.

(٢) نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ١ (٥)، جـ٢ (٨)، جـ٣ (٢٠)، جـ٤ (٧)، جـ٥ (٦)، جـ٦ (١٥)، جـ٧ (١٨)، جـ٨ (٤)، جـ٩ (١١).

(٣) وذلك مثل "شرح المنار" للعالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره وفريد عصره عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن الملك، دار سعادت، مطبعة عثمانية ١٣١٥هـ، ص٢-٩. وأيضا نماذج من القطع الصغيرة فى "مناهج العقول". وأيضا "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد. وأيضا "شرح الكوكب المنير" لابن النجار.

(٤) وذلك مثل شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى: معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوى، حققه وقد م له د. شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٥) وذلك مثل فتح الودود على مراقى الصعود للولاقى (١٣٣٠هـ) نموذج التقطيع الصغير أيضا فى مذكرة فى أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة للشنقيطى.

سطرا أو جملة أو لفظا ثم يسهب الشرح بحيث يكون المتن مجرد رأس موضوع. وقد يبدأ الفصل بالشرح وليس بالمتن نظرا لأهمية الشرح باعتباره دراسة مستقلة[1]. تبدو وكأنها قطع خرسانية سابقة التجهيز أو مقالات دوائر معارف شاملة. والشروح الطويلة تجمع مادة أصولية قديمة، وتعلق أكبر قدر ممكن من المعلومات على شماعة المتن[2]. ويكون المتن طويلا فى غير حاجة إلى تقطيع حفاظا على وحدة الموضوع[3]. ومع ذلك يكون هناك وعى بالطول والإطناب ويحاول تجنبه[4].

وقد يتحول الشرح إلى دراسة كاملة للموضوع من أوله إلى آخره اعتمادا على لفظ أو عبارة. هنا يتحدث الشارح باعتباره مؤلفا وليس باعتباره شارحا. إنما المتن هو الذى أعطاه المناسبة، "العكاز" الذى يستند عليه[5]. وذلك مثل الدراسة على الإطلاق والتقييد للمعانى والاستعارة أو حول التعارض. وقد يكون الشرح طويلا متصلا غير منقطع[6]. ومن ثم يكون السؤال: هل الشروح المطولة تأليف فتكون إبداعا أم اقتباس فتكون نقلا؟ وإن كانت نقلا فلما إذا لم تقوس بلفظ "انتهى" أو بحرفى "أ هـ" مثل باقى الاقتباسات؟

ومن عيوب الشرح الضخامة. فالشرح فى عدة أجزاء أقلها ستة مما يبعث فى النفس الضيق والملل[7]. لذلك كانت قراءة النص أفضل من قراءة الشرح. وكانت قراءة الشرح ليس لمعرفة العلم،

---

(١) وذلك مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى الوالد والابن (ثلاثة أجزاء). نماذج من الشرح المطول فى مناهج العقول جـ١/٥٢/١٤٦-١٤٧/١٦٢-١٦٣/٢٣٤-٢٣٥. ومعظم الفقرات الشارحة لابن النجيم فى "فتح الغفار" أيضا من الشروح الطويلة.

(٢) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ١ (١٦)، جـ٢ (٣١).

(٣) السابق جـ٢/٢٠-٢١.

(٤) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ٢/٢١٠. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر فى أصول الفقه لابن النجار (أربعة أجزاء). "ومهما كان لفظ "المحصول" غنيا عن البيان تركته إلا أن يكون عليه سؤال، ومتى كان محتاجا إلى بيان وهو يحصل من أثناء الأسئلة عليه تركت بيانه لحصوله من الأسئلة طلبا لتقليل الحجم وترك التطويل". القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول. جـ١/٩٦-٩٧. "وقد توسع المصنف فيها توسعا كبيرا..". جـ٣/١٣٨٦. "إنما ذكر الفرع على سبيل الاستطراد" ابن الفركاح: شرح الورقات ص١. "وقد رسم الواجب فى المطولات بأشياء كلها مدخولة" السابق ص٩٣. فواتح الرحموت: الإحساس بالاستطراد جـ١/٢٤٦/٢٩٠/٤١٣.

(٥) الكافى جـ٢/٧٣٢-٧٣٥/٧٧٧، جـ٣/١٣٧٠-١٣٧٧، جـ٤/١٤١-٤١٥.

(٦) التقرير والتحبير جـ٣/٣١٣-٣١٤. فواتح الرحموت، شروح مطولة جـ١/١٣/٢٨/٣١-٣٢/٣٦-٣٨/٤٠/٤٥/٤٧/٥١-٥٣/٥٦/٦٣-٦٥/٦٩/٧٧. المقدمة المستقلة للشرح جـ١/٣/٦.

(٧) شرح الأصفهانى "الكاشف" على "المحصول" للرازى ستة أجزاء، وكذلك شرح السنغاقى على "أصول البزدوى" خمسة أجزاء.

علم أصول الفقه، بل لمعرفة كيف حدث التراكم التاريخى فى العلم، وما هى النصوص التكوينية التى مازالت حاضرة منذ زمن النص حتى زمن الشرح. ميزته التفصيل وجمع المعلومات والرؤية الكلية/ وعيبه التسطيح والتعدد و"الفلطحة". ومع ذلك يكشف الشرح عن علم أكثر من النص بطبيعة الفترة الزمانية بينهما وتراكم المعلومات فيها لدى الشارح دون المشروح.

ومع ذلك قد يكون الشرح تلخيصا أى إجمالا أو تركيزا كما يبدو أحيانا[1]. وقد تعقد خاتمة لإجمال الشرح، وقد يقع الشرح فيتم الالتفات إليه والتنبيه عليه[2]. ولا يتكرر الشرح ولا يُعاد تكرار المادة[3]. وكلما تدخلت الدوائر، شرح النص ثم تلخيص الشرح ثم شرح التلخيص ثم الحواشى اختلطت الأمور، ولم يعد يعرف الدارس من يشرح من، ومن يلخص من، كالشرنقة التى تدور حول الخلية الأولى أو النسيج الحى الذى يتكون حوله الخلية – النواة. فقد دار الفكر حول نفسه، وفقد مسار التقدم، وأصبح خارج الزمن.

٣- شرح الغير وشرح النفس. وقد يكون الشارح شارحا لغيره أو شارحا لنفسه. فإذا كان شارحا لغيره فالحضارة تبدع من ذاتها، وتعيش على ما أنتجته، وتهضم ما أكلته من قبل. وإن كان شارحا لنفسه فإن الحضارة تجتر ذاتها ويأكل المؤلف برأسه ذيله. والنتيجة واحدة فى كلتا الحالتين، وهو عدم القدرة على تجاوز الإبداع القديم إلا بالنسج على منواله، والدور فى فلكه، والسباحة فى بحره، والإقتتات على مائدته. شرح الآخر فيه شجاعة أكثر فى الخروج على الذات والعودة إلى النصوص الأولى لاستجماع القوى واستنهاض الهمم، فهو سير فى غرفة واحدة ذهابا وإيابا. أما شرح الذات فهو سير فى المكان، ودوران حول النفس ومحاولة الكشف عن الجديد من خلال القديم. يحتاج الإبداع الجديد حتى ولو كان شرحا أو مختصرا إلى "عكاز" من القديم يستند عليه، ويتجوهر حوله، ويقوم عليه. والسبب فى شرح النفس هو أهمية علم الأصول. فلا يكفى للمؤلف أن يكتب متنا بل يضيف عليه شرحا، فالشرح سمة العصر وأحد وسائل الإبداع فيها عن طريق الشرنقة حول المتن الأول[4].

---

(١) فنلخص مما ذكره المصنف جـ٣/٥٣٤، تلخيص جـ٦/٣٤٤، خاتمة جـ٤/٢١٢/٤٨٦، جـ٥/٧٦، جـ٦/٣٤٧/٣٨٣/٤٤٤/٥٣٤/٦٢٤.

(٢) "فلنرجع إلى شرح ما قاله المصنف" جـ٤/٧٧.

(٣) "هذا الوجه قد سبق تقريره وبيانه فلا نعيده" جـ٤/٣٢٧.

(٤) كتب الإمام القاضى صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى "تنقيح الأصول" ثم شرحه بنفسه فى "التوضيح فى حل غوامض التنقيح" قبل أن يشرح الشرح الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى فى "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه". دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) (جزءان).

ومن نماذج شرح النفس "شرح غاية السول إلى علم الأصول" لابن المبرد الحنبلي[١]. ويمكن اعتباره كمتن أو كشرح في آن واحد لأنه لنفس المؤلف. كان المتن صغيرا مركزا فاحتاج إلى شرح. فهو اختصار وشرح في آن واحد[٢]. تم جمع مادته من على كتب أصحاب المذهب الحنبلي مثل ابن مفلح وابن اللحام قدر الاستطاعة مع بعض التنظير اعتمادا على المتقدمين والمتأخرين[٣]. وكانت الغاية توضيح الأسلوب من أجل سهولة الحفظ[٤].

وقد يكون الشرح تعليقا على اختصار مثل "شرح الكوكب المنير" والمسمى "مختصر التحرير" لابن النجار، بعد أن اختصره من كتاب "تحرير النقول وتهذيب الأصول" للمرداوي (ت٨٨٥هـ). ويسمى أيضا "المختبر المبتكر شرح المختصر"[٥].

وقد يكون الشرح عملا جماعيا بين الأب والابن مثل "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكيين، تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ) وولده تاج الدين (٧٧١هـ). وقد يكون شرح الابن مجرد تعقيب على بعض شروح الوالد وليس على المتن كله. ويتم ذلك بناء على إعجاب الابن بالأب مبتدءا بعبارة "قال والدي"[٦].

وشرح النفس متن جديد مع تقطيع المتن الأول وإعادة كتابته لدرجة صعوبة التمييز بين النصين، المتن وشرحه. وقد يتم الحديث عن النفس بضمير الغائب وكأن الشارح غير صاحب المتن. وأحيانا أخرى يكون الشرح بضمير المتكلم الجمع "قولنا"[٧]. وأحيانا تطول الدراسة وكأنها

---

(١) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الشهير بابن المبرد: شرح غاية السول إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقي العنزي، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) "إشارة إلى المختصر الذي وضعناه وسميناه "بغاية السول".

(٣) "اختصرته من عدة كتب من أصحابنا الأصولية. عمدتي فيه على أصول ابن مفلح وابن اللحام حسب الإمكان، طاقتي وما أمكنني"، السابق ص٨٠. "لم أفرط في اختصاره، ولم أهمل التحرير بل بذلت المجهود فيه ليسهل الحفظ له باختصاره على الطالب الذي أراد حفظه إذا كان مطولا"، السابق ص٧٩.

(٤) "لما سهل، ويقرب فهمه إذ اللفظ القليل أقرب تناولا للراغب من التطويل لأن التطويل ربما سئم الإنسان منه ومل، واللفظ اليسير لا يمل ولا يضجر منه"، السابق ص٨٠.

(٥) شرح الكوكب المنير جـ١/٢١-٢٢.

(٦) "وهذا آخر ما كتبه الشيخ الإمام العلامة المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين بقية المجتهدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي رحمه الله ورحم أموات المسلمين. وتممه ولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب، فسح الله في مدته، ونفع به، آمين"، الإبهاج في شرح المنهاج جـ١/١٠٤-١٠٥. "قال والدي"، السابق جـ١/١٧٩/١٨١/٣٤٠/٣٤١/٣٨٢.

(٧) "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخاري الحنفي (٧٤٧هـ)، جـ١/٤٠/٤٢/٨٥.

دراسة جديدة[1]. وأحيانا يكون المتن طويلا نسبيا[2].

ومن آليات الشرح الحصر والتقسيم الصريح، وكثرة "أى" لأن الشارح يشرح نفسه. وتتكرر نفس الشواهد النقلية فى المتن والشرح. ويحكم بالصحة[3]. وتقل أسماء الأعلام. وتظهر الماتريدية والحنفية فى خراسان. والغالب الاتفاق بين العلماء. ويكثر الشعر نقلا، ويقل إبداعا.

وتتشابه آليات الشرح بالمقارنة بين الشرح الأول والشرح الثانى يتقدمها "أى" أى الترادف اللفظى أو المعنوى ثم الإحالة إلى الشىء باسم الإشارة...الخ[4]. ولا يخلو من النقد والحكم بالتطويل[5].

وقد يعتمد شارح على شارح غيره. وفى هذه الحالة يكون الشرح الثانى أقرب إلى الحاشية ولكن فى صورة شرح. ويكثر ظهور لفظ "الشارح" الأول[6].

ولا تختلف آليات الشرح عن آليات شرح الشرح من حيث الشرح اللغوى والكلامى، والشرح بتعريف اللفظ أو بالعبارات الشارحة، والتعيين فى الخارج، والعد والإحصاء[7]. وقد تقل الخلافات المذهبية، ففى الشرح الأول الكفاية. وقد تقل الشواهد الشعرية. فشرح الشرح ليس تجربة شعرية أصيلة بل تمارين عقلية لشد المتن ومطه درجة أكثر[8]. وقد تقل فيه أسماء الأعلام نظرا لاحتواء الشرح الأول على ما يكفى منها.

وكلما ازدوج الشرح، شرح النفس أو شرح الغير ظهر السجع وامتلأ الأسلوب بالمحسنات البديعية الغالبة على العصور المتأخرة. كما تكثر عبارات التفخيم والتعظيم والتبجيل والاحترام والانبهار بالقدماء. ويتم ذلك فى جو من الإيمانيات والدعوات الإلهية والابتهالات الدينية والمناجات الصوفية. وتكثر العبارات الإيمانية فى آخر الفقرات مثل "الله أعلم".

---

(١) السابق جـ١/٤٠-٤٥.

(٢) السابق جـ١/٦٢-٦٣/٣٢٨-٣٥١.

(٣) السابق جـ١/١٥١.

(٤) أى (٨٠٠)، اسم الإشارة (١٠٢)، التعليل (٨٨)، الإعراب (٦٦)، اعلم (٥٤)، الجواب والسؤال (٢٨)، الشرط، ضرب المثل (٢٢)، القصيدة (٢٠)، المعنى أو الدلالة (١٨)، القاعدة (١٦)، فاء التعقيب للنتيجة، الشرح (١٤)، تعيين الوجه، القسمة (١٠)، المذاهب، التفصيل (٨)، الجواب على الإشكال، التقابل، مسار الفكر (٦)، التقرير، الإطلاق والتقييد، إذا، المصادر، اللفظ، الأصل والفرع، البيان (٤)، الاشتقاق، الإدخال والإخراج، الموضوع، الاستدراك، والله أعلم، الفهم، اللغة، الحجاج، الغائية، السياق، وجوزا ظاهر، تعيين الموضوع (٢).

(٥) "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى جـ٢/٥٨/٧٨.

(٦) مثل اعتماد أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" على شرح "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج.

(٧) وذلك مثل "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى (جزءان).

(٨) الآيات (٢٣٢)، الأحاديث (٥٥)، الشعر (٢).

ونظرا لما فى شرح النفس وشرح الغير من إطالة ذكر المتن، ثم شرحه ثم شرح الشرح فقد تحول إلى تجارة بين المحقق والناشر نظرا لضخامة الشروح وتعدد أجزائها دون إضافة الجديد، وربما لنيل درجة علمية من إحدى الجامعات الدينية. وتكون البلية أعظم عندما تطبع الشروح على أنها تأليف من المحقق المعاصر[1].

٤- وحدة المذاهب. وقد تمت شروح على كل المصنفات المذهبية الأربعة. وغالبا ما يكون الشارح من نفس مذهب المتن المشروح، إحياء للمذهب وتعظيما له. وأحيانا يكون من مذهب آخر مما يدل على وحدة الأصول بصرف النظر عن تعدد المذاهب. فبين الماتريدية والحنفية قرابة، كما بين الأشعرية والشافعية صلة. وبطبيعة الحال يثنى الشارح على مؤسس مذهبه، الحنفى على أبى حنيفة، والشافعى على الشافعى، والحنبلى على أحمد، والمالكى على مالك[2].

قد يشرح شافعى مثل سعد الدين التفتازانى حنفيا مثل صدر الشريعة البخارى الحنفى مما يدل على وحدة علم الأصول بصرف النظر عن المذاهب الفقهية[3]. وقد يكون الهدف من الشرح، الجمع بين المذاهب من أجل التقريب بينها وإيجاد وحدة علم الأصول بصرف النظر عن الاختلافات بين المذاهب خاصة وأن الاختلاف مذموم وإن كان الخلاف محموداً. فشرح "التقرير والتحبير" يجمع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية، والإعلان عن ذلك فى العنوان. وقد يكون الهدف فى المتن أيضا كما أعلن ذلك الشاطبى فى "الموافقات" وأيضا ابن أمير الحاج فى "التقرير والتحبير"[4]. وبين المذاهب كلها مياه جوفية تجعلها تتداخل فيما بينها وتتبادل المواقف والمصطلحات. فيظهر فى شروح أهل السنة بعض المصطلحات الأثيرة عند الشيعة مثل "التنجيزى"[5].

ومن ثم يمكن تصنيف الشروح طبقا لإمكانيات تعدد المذاهب. فهناك أربعة احتمالات لكل شارح مذهبى يشرح مذهبه: المالكى لمالكى، والحنفى لحنفى، والشافعى لشافعى أو الحنبلى

---

(١) مثل الإمام القاضى صدر الشريعة المتوفى سنة (٧٤٧هـ): "التلقيح شرح التنقيح"، تأليف نجم الدين محمد الدركانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. وكذلك "التحقيقات فى شرح الورقات" ص٨١-٨٣.

(٢) أبو حنيفة "أول من دون الفقه ورتب كتبه وأبوابه"، التقرير والتحبير جـ١/٨٨.

(٣) الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى (٧٩٢هـ): "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه". والتنقيح مع شرحه المسمى "التوضيح" للإمام القاضى صدر الشريف عبيد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى (٧٤٧هـ). دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) (جزءان). الكاكى حنفى يشرح فى "جامع الأسرار فى شرح المنار" للنسفى وهو شافعى.

(٤) "مع جمعه بين اصطلاحى الحنفية والشافعية"، التقرير والتحبير جـ١/٤.

(٥) التقرير والتحبير جـ٢/١٠٤/١٣٤.

لحنبلي. وقد يشرح مذهبا مخالفا. وهناك ستة احتمالات لكل شارح لمذهب مخالف: مالكى لحنفى، ومالكى لشافعى، ومالكى لحنبلى أو العكس. ثم حنفى لشافعى، وحنفى لحنبلى أو العكس. ثم شافعى لحنبلى أو العكس.

وتقصر الفترة الزمنية أو تطول بين المتن والشرح أو التلخيص. قد يكون فى نفس العصر وقد تتباعد الفترة الزمنية بينهما إلى ثلاثة أو أربعة قرون[1]. فإذا كان المتن والشرح من نفس العصر غلبت عليهما نفس الروح. وكلما تباعد زمن المتن عن زمن الشرح اختلف العصران وبالتالى الروحان[2].

وقد تمت مراعاة الترتيب الزمانى فلربما يكون هناك تطور فى آليات الشرح والتلخيص. وهو أكثر خصوبو ودلالة من تجميع الشروح من مختلف الأزمنة حول متن واحد مثل "المحصول" للرازى أو "المنهاج" للبيضاوى أو "المنار" للنسفى.

وتكثر الشروح والملخصات فى القرون المتأخرة ابتداء من القرن السادس عندما توقفت الحضارة عن الإبداع وعاشت على نفسها تجتر ما أبدعته من قبل. فأول شرح هو "الكاشف على المحصول" للأصفهانى (٦٥٣هـ) وآخرها ما تم فى القرن الماضى من علماء الأزهر أو الجامعات والمعاهد الدينية المشابهة مثل "فتح الودود على مراقى السعود" للولاتى (١٣٣٠هـ).

٥- كيفية عرض الشروح. ويمكن عرض الشروح بطريقتين: الأولى، شرحا شرحا، ومختصرا مختصرا، وحاشية حاشية كما هو الحال فى كشف البنية، وحجب البنية، واجتزاء البنية، وتجديد البنية. وفى هذه الحالة تتكرر الأحكام والأمثلة ويغيب منطق الشرح. بالإضافة إلى أن الشرح ليس متنا جديدا له بنيته الخاصة بل هو تكرار للبنية القديمة. الشرح مجرد تجميع يخضع لنطق آخر هو منطق الإسهاب والإكمال والتفصيل والتعيين والذى يمكن معرفته بدراسة العلاقة بين المتن والشرح وتجميعها فى آليات واحدة من أمثلة عديدة من مجموع الشروح.

والثانية، تجميع هذه الشروح فى آليات تحدد العلاقة بين المتن والشرح طبقا لشرح اللفظ أو العبارة، وطبقا لمنطق اللغة الثلاثى: اللفظ والمعنى والشىء المحال إليه فى العالم الخارجى.

---

(١) مثلا الكافى فى شرح البزدوى (٤٨٢هـ) للسغناقى (٧١٤هـ) بين المتن والشرح ٢٣٢ عاما.

(٢) فى "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه" لسعد الدين التفتازانى (٧٩٢هـ) والتنقيح وشرحه للبخارى الحنفى (٧٤٧هـ) المسافة بينهما لا تتجاوز نصف قرن.

وهو فى نفس الوقت منطق الإبداع الصورى، الحركة فى المكان. وميزة هذه الطريقة تفادى التكرار ورصد الجزئيات دون الكليات. وعلم الأصول هو رد الفروع إلى الأصول.

الطريقة الأولى عرض شرح شرح طبقا للترتيب الزمانى لمعرفة منطق كل شرح وآلياته حرصا على وحدة العمل وخصوصيته. فربما اختلف شرح عن آخر، وتفرد شرح بميزات خاصة. وعيب هذه الطريقة الوقوع فى التكرار إذا كان منطق الشرح واحدا وآلياته واحدة. والثانية عرض منطق الشرح وآلياته عبر الشروح مخترقة إياها زمانيا أيضا وجمعا بين البنية والتاريخ. وميزتها عدم الوقوع فى التكرار واكتشاف وحدة المنطق والآليات التى تتحكم فى الشرح.

ونظرا لثقل منهج تحليل المضمون فى العد والإحصاء وكثرة الأمثلة التى تتجاوز آلاف الصفحات فإنه تم الإحالة أحيانا إلى أمثلة مختارة كنماذج مكررة حتى لا يتحول منهج تحليل المضمون إلى غاية فى ذاته، ويزداد التراكم الكمى دون أن يتحول إلى دلالة كيفية، وحتى لا يتم التضحية بالدلالة فى سبيل حواملها، ولا بالكيف من أجل الكم. ليس المطلوب هو إحصاء شامل للألفاظ وإلا لخرج البحث العلمى عن غايته، وتحول الخطاب إلى غاية فى ذاته كما هو الحال فى بعض مناهج تحليل الخطاب فى اللسانيات المعاصرة. والنتائج الإحصائية نسبية. إذ قد يزيد العدد أو يقل ولكن تظل فى مجموعها مؤشرات كلية على اتجاهات عامة. كما قد يزيد تكرار أسماء الأعلام أو يقل نسبيا ولكن يظل التردد فى مجموعه صحيحا. وقد تبدو أعلام غير معروفة طواها النسيان عبر التاريخ بعد أن كانت معروفة فى عصرها.

ليس المقصود فى الشرح والتلخيص إعطاء إحصاء كامل. فالأمثلة كثيرة. ولا يمكن وضع الشروح والمختصرات كلها فى الهوامش وإلا تضخمت كما يفعل بعض الشراح الألمان المعاصرين، خاصة من مؤلف معروف بالإسهاب. يكفى تجميع الأمثلة فى عدة نماذج على غير عادة الإحصاء الكامل. بل إنه يصعب الإحالة المستمرة للهوامش وإلا تحولت إلى الآلاف من أرقام الصفحات. يكفى الفكرة العامة التى تجد أمثلتها فى صفحات الكتب الصغيرة والمطولة. وأغلب الشروح مطولة، ويمكن التحقق من صدقها بالعودة إلى الشروح والملخصات ذاتها.

ومع ذلك يفيد الإحصاء الشامل على الأقل لأمهات الشروح فى بيان وجوه المنطق الغالبة على الشرح مثل البيان والإيضاح أو التعليل أو التجربة المشتركة بين الكاتب والقارئ أو المصادر المحال إليها. وبالرغم من إرهاق هذا الإحصاء الشامل يتم الوقوع فى الاجتزاء والعينات الممثلة والعشوائية.

وتصعب الإحالات إلى الفقرات الشارحة لكثرتها ولصغر النص ولخلوها من أى جديد

لدرجة السماح للنفس بالتوقف عن تحليل المضمون الكامل فى آليات الشرح منذ الشروح على "جمع الجوامع" للسبكى (ت٧٧١هـ) وهى حوالى عشرة شروح[1].

المهم الدلالة وليس الدال، المعنى وليس الحامل، سواء كان فى شرح واحد أو فى مائة شرح. ويتوقف تحليل الدوال والحوامل عندما لا تأتى دلالة جديدة. وهو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى" أى التوقف عن حصر الجزئيات إذا ما ظهرت الكليات. وهو ما يسمى أيضا فى المنطق الغربى الحديث "الاستقراء الناقص". إذ ليس من الضرورى إحصاء كل الجزئيات من الحديد لمعرفة أن يتمدد بالحرارة بناء على مبدأ الاطراد فى الطبيعة. وإلا تحول تحليل المضمون إلى غاية فى ذاته، وجداوله إحصائية كمية دون دلالات كيفية. وكأن الخطاب عالم مستقل بذاته، حرفة يتقنها الحرفى، وصنعة يحسنها الصانع. وكان من الطبيعى أن يتوقف تحليل المضمون فى وقت يتم فيه التشبع بالدلالات وحين تتوقف الدوال عن إعطاء دلالات جديدة، ومن ثم يبدأ التحول الطبيعى من القراءة إلى الكتابة، ومن التحليل إلى التركيب، ومن الأخذ إلى العطاء، ومن المعلومات إلى العلم، ومن النقل إلى الإبداع. وتبدأ هذه المرحلة بصعوبة تحليل المضمون بشكله الكامل أو الجزئى، وثقله على النفس، وبطئه فى الإنجاز مثل بطء الحضارة ذاتها إذ لا فرق بين الوعى الفردى والوعى الجماعى.

وبالإضافة إلى غياب الدلالة، قد يتضخم الجسد لغياب الروح كما هو الحال فى الشروح التى تضخمت كما على حساب الكيف. فكثير من الشروح تتكون من عدة أجزاء. وإذا كان القدماء مؤلفين وشراح قد أحسوا بقصر العمر فإن المحدثين أيضا يشعرون بنفس الشىء، التبعات لامحدودة والأجل محدود.

ما غاب فى تحليل المضمون فى الشروح العشرة الأخيرة هو المقارنة بين المتن والشرح لمعرفة

---

(1) وهى : ١- شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٨٦٤هـ).
٢- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات للماردينى الشافعى (ت٨٧١هـ).
٣- التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (ت٨٧٩هـ).
٤- شرح غاية السول إلى علم الأصول لابن المبرد (ت٩٠٩هـ).
٥- تيسير التحرير لأميرباد شاه (ت٩٥١هـ).
٦- شرح الكوكب المنير لابن النجار (ت٩٧٢هـ).
٧- فتح الغفار بشرح المنار (مشكاة الأنوار فى أصول المنار لابن نجيم الحنفى (ت٩٧٠هـ).
٨- نشر الورود على مراقى السعود للشنقيطى (تأليفه ١٢١٤هـ).
٩- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطى.
١٠- فتح الودود على مراقى السعود للولاتى (ت١٣٣٠هـ).

آليات التضخم واتجاهات الامتداد وكما هو الحال فى مناهج النقد التاريخى للكتب المقدسة فى مقارنات الروايات لمعرفة منطق الزيادة والنقصان وأوجه الاختلاف بينها وهى لا تخرج عما تم التوصل إليه من قبل فى عشرات الشروح الأخرى.

ومع ذلك تم التوصل إلى حل وسط فى تحليل المضمون للشروح المسهبة فى عدة أجزاء، وهو تحليل مضمون نصف المادة العلمية حتى تتضح اتجاهات الشرح ثم ضربها فى اثنين، انتقالا من الجزء إلى الكل ثم من الكل إلى الجزء كما هو الحال فى الاستقراء العلمى. وفى كلتا الحالتين بقى من "تحليل المضمون" الدوافع التى يعلنها الشارح فى أول الشرح لمعرفة توجهات الوعى الحضارى الإسلامى فى العصور المتأخرة. كما بقت أسماء الأعلام والفرق والطوائف لمعرفة على أى وجه استقر الوعى التاريخى، وما هى المذاهب التى تكلست فيه حتى يمكن تفكيكها وتحرير علم الأصول منها كى أن يبدع من جديد فى ظروف مغايرة.

كما استمر تحليل الأدلة النقلية والعقلية لمعرفة درجة استقلال الوعى الأصولى بين النقل والعقل ومن أجل الاطمئنان إلى النتيجة البدئية من تحليل الشروح الأولى وهى زيادة الحجج النقلية على حساب الحجج العقلية طبقا لما هو سائد فى الأشعرية وتجلياتها فى الشافعية، وأن النص هو الذى يتحكم فى الواقع.

ونسبة الخطأ فى الإحصائيات واردة ولكنها لا تتجاوز ١٠٪ زيادة أو نقصانا. وهى نسبة لا تغير فى صدق الدلالة ذاتها. ومهما كانت الدقة فى الإحصائيات اليدوية أو الآلية إلا أن نسبة الخطأ البشرى تظل واردة دون أن تكون مؤثرة كما هو الحال فى الحسابات المصرفية.

ثالثا: دوافع الشرح.

١- أهمية علم الأصول. ويحدد كل شرح فى المقدمة أسباب الشرح العامة والخاصة. فالسبب العام أهمية علم أصول الفقه، وعظم قدره، وعلو شأنه، وعظيم فائدته لأنه أساس الفتاوى التى بها صلاح الأمة[١].

ويتم اختيار النص المشروح بناء على أهمية النص ومدى تأثيره وحضوره فى تكوين النص مثل "المستصفى" أو "شفاء الغليل" للغزالى أو بناء على أهمية مؤلف النص كالغزالى[٢]. ويتأسى

---

(١) نهاية السول جـ١/٢.

(٢) "فإنى شارع فى تحرير مؤلف فى الأصول يتضمن شرح كتاب العلامة فخر الملة والدين، وحجة الإسلام والمسلمين، جامع أشتات الفضائل أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى"، أبو عبد الله محمد =

الشارح بالشروح السابقة[1]. ويحال إليهم رمزا بـ "صاحب التلخيص"، "صاحب التحصيل"، "صاحب التنقيح"، "صاحب التنقيحات" نظرا لشهرة النص[2]. بل يكون الاقتباس منها بالنص وليس بالمعنى حتى يصح الاقتباس لأن الاقتباس بالمعنى تحريف له[3]. وميزة "الفصول" للرازى انه نص محبوك مثل "المستصفى"، ومركز للغاية يسمح بالشرح والتفصيل والاستطراد والإسهاب، فالنص قابل للشرح. وليس كل نص كذلك. لذلك قد يبدأ من الشرح وحده دون اللجوء إلى الكل[4]. وأهم محطتين فى الشروح الأولى فى القرنين السادس والسابع "البرهان" للرازى و"الفصول" للرازى، وبعدهما "المنهاج" للبيضاوى و"المنار" للنسفى فى القرون من الثامن حتى العاشر.

والعجيب أن "الموافقات" وهو نص عمدة، ونص تكوينى فى تاريخ النص الأصولى لم يشرحه أحد مع أنه فى قلب عصر الشروح والملخصات. ربما لأنه نص واضح لا غموض فيه، نص مفتوح لا استغلاق فيه، نص عملى لا تنظير وتقعير فيه. وهو مثل نص "المستصفى" للغزالى الذى بلغ قمة التنظير[5]. وهما أهم نصان تكوينيان فى علم الأصول.

وتعدد الشروح والملخصات للمتن الواحد طبقا لأهميته ودسامته. وأكثرها شروحا وتلخيصا "المحصول" للرازى وقبل "كشف الأسرار" للبزدوى[6]. فيصف السنقافى بأن مؤلفه من مهرة هذه

=بن محمود بن عباد العجلى الأصفهانى (٦٥٣هـ): "الكاشف عن المحصول فى الأصول". تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض. قدم له الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن مندور (٦ أجزاء)، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هت/١٩٩٨م، جـ١/١٢٥.

(١) "وأقصد فيه تحرير "الحاصل" منه وتقرير "المنخول"، السابق ص١٢٥.

(٢) "وقد تكلم على هذا الكتاب الفاضل نجم الدين النقشوانى فى مؤلف لـه يسمى بـ"التلخيص"، والفاضل سراج الدين الأرموى فى مؤلفه المسمى بـ"التحصيل"، والفاضل أمين الدين التبريزى فى مؤلف له يسمى بـ"التنقيح". فإذا قلت فى كتابى هذا: قال صاحب "التلخيص" فافهم منه الفاضل نجم الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التحصيل" فافهم منه الفاضل سراج الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التنقيح" فافهم منه الفاضل أمين الدين التبريزى، وإذا قلت: قال صاحب "التنقيحات" فافهم منه السهروردى فإنى أضيف كل شخص إلى مصنفه المشهور"، السابق ص١٢٦.

(٣) "وأجتهد كل الاجتهاد ألا أنقل عن أحد منهم شيئا بالمعنى بل بعبارته فإن فى النقل بالمعنى فسادا عظيما". السابق ص١٢٧.

(٤) الكاشف جـ٥/٣٣٩، الجزرى: معراج المنهاج جـ١/١٤٧.

(٥) لخصه ابن رشد فى "الضرورى فى أصول الفقه". ولم نشأ إدخاله فى المختصرات لأنه أقرب إلى النوع الأدبى الفلسفى الذى تمت دراسته من قبل فى "من النقل إلى الإبداع"، مجـ١– النقل، جـ٢– التلخيص.

(٦) يبين القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول" أهمية المحصول للرازى "وأن يشتغل بأفضل الكتب فى تلخيصه ومعانيه. ورأيت كتاب المحصول (للرازى) جمع قواعد الأوائل ومستحسنات الأواخر بأحسن العبارات=

الصنعة، وان فوائده عظيمة، وانه من طبيعة منتجة وقريحة مبهجة، كلما وقع فى ضيق خرج منه. وهو مختصر مفيد لا بالطويل الممل ولا بالمختصر المخل. كلامه مستقيم تقبله الأصول وترتضيه العقول[1].

وقد يكون السبب خارجيا محضا، طلبا من حاكم أو أمر من أمير. وقد يكون الطلب من صديق أو مجموعة من الأصدقاء والمريدين[2].

وقد يكون السؤال مشفوعا بطلب خاص هو حجم الشرح، ان يكون متوسطا، مع التوضيح بالأمثال تجاوزا للتجريد النظرى، واستبعاد الإشكالات أى الخلافات والألفاظ الغربية على الفهم أو الموضوعات الغامضة حتى يفهم المبتدئ علم الأصول. فالسائل لا يحدد المتن بل أيضا منهج الشرح. ويستجيب الشارح حياء من الصديق، وأملا فى الجزاء يوم الدين[3].

ويعبر كل شارح عن هموم قصر العمر، وضعف الجسد، ووهن العظم[4]. ومع ذلك حرصا

=وألطف الإشارات. وقد عظم نفع الناس به وبمختصراته وحصل لهم بسببه من الأهلية والاستعداد ما لم يحصل لمن اشتغل بغيره"، القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، قرظه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو ستة (٩ مجلدات)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١) الكافى جـ١/١٣٧–١٣٨.

(٢) "فإنه توجهت إلى إشارة كريمة، أمرها حكم، وطاعتها غنم، بتعليق على كتاب "الورقات" فى أصول الفقه المنسوب إلى العلامة إمام الحرمين أبى المعالى... فبادرت إلى الامتثال على حين فتور من الهمة وقصور من الحظ، مستعينا بالله تعالى، وراجيا من يمن المشير على بذلك وسعد جده أن أوفق لما يقع منه بمحل الرضى ومقتضى القصد"، الإمام الفقيه الأصولى تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى المعروف بابن الفركاح الشافعى: شرح الورقات، دراسة وتحقيق ساره شافى الهاجرى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٧٥.

(٣) "فقد سألنى بعض الإخوان، حفظه الله تعالى، أن أشرح له "الورقات" التى للإمام العالم العلامة إمام الحرمين أبى المعالى: عبد الله بن الشيخ محمد ضياء الدين شرحا متوسط واضحا بالأمثال والأدلة من غير إشكال وألفاظ غريبة، ولا لغات عن الإفهام بعيدة، ولا إيرادات غامضة. فإن هذه الأشياء مما تشكل على المبتدئ، ويسبق عما به يهتدى. وإنما قصدت به التذكرة للمنتهى وإيضاحا للمبتدئ، وإن اضطررت إلى إيراد آتى به واضحا. فأجبته، حياء لكثرة سؤله، راغبا من الله الإجابة لدعائه"، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى ص٦٥–٦٦. "فلا جرم أن صدقت رغبة فضلاء العصر فى الوقوف على شرح يقرر تحقيقاته، وينبه على دقيقاته، ويحل مشكلاته، ويزيح إبهاماته، ويظهر ضمائره، ويبدى سرائره"، التقرير والتحبير جـ١/٤.

(٤) "فقلت لهم إنى، وهن العظم منى، ووهنت الطبيعة والقوى، وفاحت القطيعة والجوى، ولحبت ولازبنى عدة العلل، ووجبت وقاربنى علدة الأجل، مع انكدار أوانى بفقد مال وخول، وانتشار جنانى من نائبات وحول، والعلم حال حاله إلى الفحول وبطل، والجهل جال جاهه إلى الفحول ونطل، فإن الصفاء هيهات إيقاع الأمل"، شرح المنار ص٨. "مع أن الخواطر كليلة، والهموم كثيرة، والاستعدادات قليل"، الأنجم الزاهرات على حل=

على إتمام الفائدة يتم الشرح. وبالإضافة إلى هموم قصر العمر هناك هموم الوطن. فالشرح مثل المتن أحيانا، سجل لأحوال العصر، وحصار الأمة بين قوة أعدائها وضعف أبنائها. ومن ذلك نشأت تعبيرات "مصر المحروسة"، و"حيدرأباد الدكن حفظها الله من النتن". يبدو الشرح فى النهاية أنه تجربة معاشة فى وجدان الشارح بالرغم من آليات الشرح الصورية، ونقص الإبداع الحضارى[1].

٢- توضيح الغامض. وقد يكون سبب الشرح هو توضيح المتن. وبالرغم من أن سبب اختيار المتن هو دقة المسالك، ورقة المدارك، والاشتمال على النقول الغريبة والمسائل العجيبة والحدود المنيعة والموضوعات البديعة وكثرة العلم ووجازة النظم حتى لم يترك الأوائل للأواخر شيئا إلا أن الشراح أرادوا حل معاقده، وبيان مقاصده، والوقوف على كنوزه، ومعرفة رموزه. وأراد الشارح أيضا إضافة تعليق نافع "يفتح قفله، ويوضح مشكله، ويشهر غرائبه، ويظهر عجائبه دون إقلال مخل أو إطناب ممل"[2].

فليس كل متن قابل للشرح إلا إذا توافرت فيها مميزات الشروح التى لا تقل عن مميزات الشارح مثل البساطة والإحاطة والدراية والعدالة والإنصاف[3]. لذلك لزم الشرح لفك الإيجاز والألغاز وتسليك الأمور الوعرة مع عدم كفاية الشروح السابقة له. ومن هنا أتت دلالة العنوان "تيسير التحرير"[4].

=ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للمارديني ص٦٦. "وقد كان يدور فى خلدى مع قلة بضاعتى ووهن جلدى.. وإلمام بعض عوائق بدنية فى الوقت بعد الوقت، وقصور أسباب تقعد عن إدراك ما هو المأمول من الجد والبخت.."، التقرير والتحبير جـ١/٤.

(١) "بحلب المحروسة لازالت رباعها بالبركات والفضائل مأنوسة، ورايات الأعداء عنها منكوسة"، التقرير والتحبير جـ٢/٤١٦، فواتح الرحموت جـ١/٤.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكى) للزركشى جـ١/١٥. يبين ابن أمير الحاج مزايا نص ابن الهمام قائلا: "فإنه قد حرر فيه مقاصد هذا العلم ما لم يحرره كثير.. مع ترصيع مبانيه بجواهر الفرائد وتوشيح معانيه بمطارف الفوائد، وترسيخ صنائعه بالتحقيق الظاهر، وتطريف بدائعه بالتدقيق الباهر. وكم مودع فى دلالاته من كنوز لا يطلع عليها إلا الأفاضل المتقنون، ومبدع فى إشاراته من رموز لا يعقلها إلا الكبراء العالمون"، التقرير والتحبير جـ١/٤.

(٣) "إلى أن ظفرت بمتن بسيط، وبحر محيط بما فى الكتب المزبورة، وغيرها من المؤلفات المشهورة مع تحقيقات خص بها عن غيره، ظله در مصنفه وكثرة خيره.. من سلك معه مسلك الإنصاف، وتجنب عن التعصب والاعتساف.. يدور مع الحق أينما دار، ويسير مع الصواب حينما سار، غير انه أفرط فيه من الإيجاز فكاد ان يجاوز التعمية ويلحق بالألغاز.." تيسير التحرير جـ١/٤.

(٤) وحيث يسر بهذا الشرح ذلك المتن العسير دعتنى هذه المناسبة أن أسميه "تيسير التحرير"، السابق جـ١/٥.

والسبب الخاص هو أهمية النص المشروح "المنهاج" للبيضاوى لصغر حجمه، وكثرة علمه، وعذوبة لفظه. فهو نص عمدة فى مسار العلم فى التاريخ. ومن هنا جاءت أهمية الشرح لتحقيق عدة أهداف مثل: توضيح المعانى أى دلالات الألفاظ والعبارات، الإفصاح عن المبانى أى بنية العلم، تحرير الأدلة أى إعادة صياغة البراهين، تقرير الأصول أى إبراز الأصول دون الفروع، كشف الأستار أى قراءة ما بين السطور، بحث الأسرار أى الذهاب إلى بواطن الأمور[1].

وقد يكون سبب شرح النفس تقرير قواعد الفن، وتحرير معاقده، وتفسير مقاصد الكتاب، وتكثير فوائده، وتنقيح بسط الكلام، وتوضيح الاقتصار على ضبط المرام حتى تعى الآذان والأذهان، وينشط الوجدان، مع التحقق من الروايات والدرايات مما يدركه علماء الفريقين (الشافعية والحنفية) البارعون فى المذهبين، مع بعض التوجيه والتعديل وإحاطة بقوانين الكسب والتحصيل[2].

وقد تخلو بعض الشروح من دوافعها كلية وكأن الشرح وظيفة علمية كما هو الحال فى التأليف الفلسفى المعاصر للكتب الدرسية والمقررات الجامعية[3]. وقد تخلو بعض الشروح من المقدمات المبررة للشرح. فالشرح حركة تاريخية عامة، تأيف مجهض بصرف النظر عن الدوافع الخاصة للشارح[4].

وآليات الشرح هى "تحرير القواعد" أى اكتشاف البنية، و"تحرير المعاقد" أى حل الإشكالات فيها، و"تفصيل مجملاته" والتحول من المجمل إلى المبين طبقا لمباحث الألفاظ، و"توضيح مكنوناته" أى إبراز المضمور، وإظهار المستور، و"فتح أبواب كنوزه" أى توليد نتائج جديدة من البنية القديمة، و"يزلل صعاب رموزه" أى إيجاد المعانى والدلالات للرموز والعلامات، وشرح الألفاظ وتوضيح المعانى مع التركيز والتلخيص بالرغم من أن الشرح يعنى الإفاضة والاسترسال[5].

---

(١) "وهذا من محاسن الكتاب التى غفل عن مثلها الشارحون"، نهاية السؤل جـ١/٢-١٠٧/٣.

(٢) التلويح على التوضيح لمتن التنقيح للبخارى الحنفى (٧٤٧هـ) جـ١/٦ "ولكنه (المتن) طويل ممل يعجز عن مطالعته المبتدئ المقل. فأردت أن أختصره مع الإيضاح والتفسير لعبارته بعبارة ذات بيان وتحرير ليسهل الإقرار به ومطالعته على المبتدئين وتتضح معانيه ومقاصده للعلماء المنتهين.."، فتح الورود على مراقى الصعود ص٥.

(٣) مثل مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشنقيطى.

(٤) مثال ذلك "شرح المنهاج للبيضاوى فى علم الأصول" للأصفهانى (شمس الدين محمود بن عبد الرحمن)، قدم له وحققه وعلق عليه د. عبد الكريم بن على بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٠هـ. وتغيب دوافع الشرح أيضا فى "فواتح الرحموت" للأنصارى.

(٥) "شرحا يحتوى على تقرير قواعده، وتحرير معاقده، وتفصيل مجملاته، وتوضيح مكنوناته، ويفتح أبواب كنوزه، وزلل صعاب رموزه، ويحل ألفاظه ومعانيه، ويلخص مقاصده ومبانيه،..."، مناهج العقول جـ١/٤.

وقد تتعدد الأسباب الخاصة يذكرها الشارح بالتفصيل وهى: ذكر الأسئلة التى لا جواب عليها أو التى لها جواب ضعيف، التنبيه على أغلاط النقل من الرواة للأمانة التاريخية، بيان مذهب الشافعى المختار من مظانه الأولى ليعرفه الشافعية مع شروحها ومختصراتها وأماليها منقولة لفظا (النقل المباشر) مع الإشارة إلى مواضعها أو منقولة عن رواتها (النقل غير المباشر)، ذكر الفائدة من فروع المذهب، التنبيه على المواضع التى خالف فيها الشارح (الأسنوى) المؤلف (الرازى) أو من المؤلفين الآخرين (الآمدى، ابن الحاجب) العمدة فى التصحيح، ذكر الإضافات السابقة على النص والتى لم يذكرها من أجل الرؤية الموسوعية، التنبيه على أخطاء الشارحين السابقين فى تقريراتهم غير المطابقة والاقتصار على أهمها لكثرتها، التنبيه على بعض الفوائد من النقول الغريبة والأبحاث النافعة والقواعد المهمة[1]. كما تتم مراجعة الشارح لأحكام النص المشروح لتصحيح الضرورى منها[2].

وتتكرر دوافع الشرح فى كل شرح مثل أهمية علم الأصول ونتائجه وفائدته فى معرفة مصالح العباد، سبب الفوز بسعادة الدارين، والتمكن من الرسوخ فى العلمين، علم العقل والشرع، والأصول والفروع. وأهم نص هو "الورقات" لإمام الدنيا والدين وناصر الإسلام والمسلمين إمام الحرمين الذى درس العلمين واقتدى الناس به. وكان الشرح منقحا بعيدا عن الحشو والتطويل المل والاقتصار عن المقصود والنقص المخل، توسطا بين الإفراط والتفريط وجمعا للتحقيقات الخالية عن الضعف والتخليط. ومع ذلك جاء الشرح أقرب إلى الطول والإسهاب. ويبين الشرح مصادره، عضد الدين الايجى، وسعد الدين التفتازانى. كما يبين نماذجه، منهاج "التحرير" (ابن الهمام)، و"التلويح" (البخارى الحنفى). أما الأسلوب فإنه التلميح أو التحديد أى الأسلوب غير المباشر أو المباشر، وربط النحل، والتنبيه على الاعتراض بالتصريح والتعريض، ومبينا ما تفرد به المتن من سمات بارزة. لذلك سمى "التحقيقات"[3]. وفى الغالب الشروح واضحة سهلة الفهم[4].

٣- **بيان المجمل.** واحد أسباب الشرح إطالة المركز وإسهاب المقل. وهو السبب الرئيسى لوضع الجزرى شرح "معراج المنهاج" لمنهاج البيضاوى بعد أن اختصره الشيرازى فى "المنهاج"

---

(١) شرح السول جـ١/٣-١٦/٤.

(٢) "وفى هذا الرسم نظر"، ابن الفركاح : شرح الورقات ص١٢١.

(٣) التحقيقات فى شرح الورقات لابن قاوان (٨٨٩هـ ت) ص٨٣-٨٥.

(٤) وذلك مثل "فتح الغفار بشرح المنار" المعروف بـ"مشكاة الأنوار فى أصول المنار" لابن نجيم الحنفى (٩٧٠هـ ت).

بالرغم من سهولة العبارة وإحكام المعنى، وبالرغم من هموم قصر العمر[1]. ويكون الشرح على عدة مستويات أهمها: حل الألفاظ، بيان المقاصد، إظهار ما خفى من الفوائد، عدم الاعتراض إلا فيما كان ضروريا لتوضيح المعنى، الالتزام بعبارات النص الأصلى وهو نفس سبب وضع الكاكى شرحه "جامع الأسرار فى شرح المنار". فقد اختصر النسفى وأوجز مما دعا إلى الكشف والتوضيح بناء على طلب الخلان بالرغم من حسن ترتيب المتن ودقة التحليل[2].

وقد يكون الشرح استكمالا وإضافة على الشروح السابقة بغية تجاوز عيوبها وفى مقدمته الملل من الإسهاب والتطويل. ويطلب السائل أن يكون الشرح على طريقة الحل من أجل اختصار المتن وعدم الدخول فى الإشكالات، وعرض المسائل وإيراد الأدلة. المطلوب شرح عملى يريد الحلول دون المسائل، والنتائج بلا مقدمات، والغايات دون الوسائل، والإضافة والإكمال استدعاء لمعانى من الذاكرة التاريخية فى عصر التدوين الثانى، عصر الشروح والملخصات وحفظ التراث فى موسوعات ضخمة خوفا عليها من الضياع بعد هجمات التتار والمغول من الشرق، والصليبيين والاستعمار الحديث من الغرب[3].

وقد يكون النص واضحا قصيرا وجيزا حاويا لب الأصول، متين البنية، شاملا لأفكار المتقدمين والمتأخرين كالمحكم من الآيات إلا أنه فى حاجة إلى شرح للكشف عن رموزه وخفاياه وحل عقده العويصة[4]. وبالرغم من أن الشرح تطويل وإسهاب إلا أن الشارح على وعى بأهمية

---

(١) "فحملنى ما اشتمل عليه هذا المختصر من قلة ألفاظه وكثرة معانيه وسهولة عباراته وإحكام مبانيه... على أن آخذ فى حل ألفاظه وبيان مقاصده وإظهار ما خفى من فوائده معرضا عن الاعتراض إلا فيما لابد منه حيث توقف على ذلك فهم ما لا يستغنى عنه. ولتعلم أننى حيث أجد عبارات الإمام موفية بهذا المقصد لا أعدل عنها إلى غيرها لأنها شرح وشهادة، وليكن مبدأ المختصر منها وبالشرح إليها إلا عادة"، الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٣٢-٣٣.

(٢) "فالكتاب "منار الأصوليين" مشتملا على أبحاث دقيقة ونكات لطيفة مع حسن الترتيب والتهذيب ولطف الإيجاز والتركيب غير أنه اختصر فيه على الأصول كل الاقتصار روما للتخفيف والاختصار. كان مفتقرا إلى الكشف والتوضيح. فالتمس منى طائفة من الخلان أن أكتب له شرحا جامعا للمسائل، موضحا للدلائل، فشرعت فيه راغبا للإيجاز، ساعيا للإنجاز"، الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، جـ١/١٠٨-١٠٩. "فهذا شرح ألفته على المنار فى أصول الفقه.. يحل ألفاظه ويبين معانيه.."، فتح الغفار ص٨.

(٣) "وكان له شروح رفال طوال، ينال من طالعها ملال كلال. نسألك أن تشرحه شرحا على طريقة أهل الحل، مختصرا مقاصد المتن حل، حاويا على عوائدها البديعة، خاويا عن زوائدها البشيعة"، شرح المنار ص٧-٨.

(٤) "إن كتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول"... مع صغر حجمه ووجازة نظمه كتاب حاو لمنتخب كل مديد وبسيط، جامع لخلاصة كل وجيز ووسيط، واف بتمهيد أركان الأصول الشرعية، كاف فى تشييد مبانى القواعد الفرعية، مشتمل على زبدة مطالب هى نتاج أنظار المتقدمين، محتويا على نخب مباحث درر أبكار أفكار=

التركيز وعدم الإطناب دون الإخلال تجنبا للتطويل الممل والتقصير المخل[1]. والشرح حريص على الالتزام بالأصول دون الفروع، وعدم الاستطراد والخروج على الموضوع[2].

٤- التواصل التاريخي. وقد يتم الشرح تقليدا على عادة المتقدمين. فالتقليد في الشرح مثل التقليد في المتن، تقليد المتأخرين للمتقدمين[3]. وقد يصل التقليد إلى حد التعظيم والتبجيل والتفخيم[4]. ومن مظاهر التكريم الانتساب إلى الشارح في استعمال تعبيرات مثل "شيخنا"، "أستاذنا" أو الترحم عليه[5]. وتتكاثر الألقاب في الشروح المتأخرة. وفي مقابل ذلك يتم تقليل شأن الشارح الذى لم يبلغ عظمة أساتذته وأصحاب المتون، تواضعا ينسب إلى أدب العلماء أو شعورا تاريخيا بان الشروح مهما بلغ من عظمة فإن المتن أعظم منه. ومن ثم يعطى الشارح لنفسه لقب "العبد الضعيف غفر الله تعالى له"[6].

=المتأخرين فهو بحر محيط يفرز الدقائق وكنز مغن أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه معادن جواهر، المطالب الشريفة وحروفه أكمام أزاهير النكات اللطيفة. ففي كل لفظ منه روض من المعنى، وفي كل سطر منه عقد من الدر. فلولا تقوى الله لنظم في سلك المعجزات، ولقيل منه آيات محكمات وأخر متشابهات. إلا انه لاحتوائه على مطويات الرموز والأسرار وعلى خفايا لم تكشف عن وجوهها الأستار، وكان محتاجا إلى شرح يحل عقد عويصاته الأبية ويفتح مغاليق كنوزه الخفية"، البدخشي: مناهج العقول، جـ١/٣-٤.

(١) "مجتنبا عن التطويل الممل والإيجاز المخل مراعيا شريطة الاقتصاد ومتجافيا عن التعسف والعناد"، مناهج العقول جـ١/٥. "فحينئذا استخرت الله تعالى ثانيا في شرح هذا الكتاب لكن لا على السنن الأولى من الإطناب بل على سبيل الاقتصاد بين الاختصار والإسهاب.."، التقرير والتحبير جـ١/٥. "طوينا عن ذكرها مخافة التطويل.."، السابق ص١٣٦. "الإفصاح والاختصار ولا يخفى على من أتقن هذا المختصر الجامع لما في المختصرات والمطولات مع كمال التدقيق والتحقيق.."، تيسير التحرير جـ١/١. "معرضا فيه عن التطويل والإسهاب.."، ابن النجيم: فتح الغفار ص٨.

(٢) التقرير والتحبير جـ١/٢٧٧، جـ٣/٢٩٦/٣٣٠.

(٣) "ولكنا أفردناها بالكلام على عادة المتقدمين"، الإبهاج في شرح المنهاج جـ١/١٤٢.

(٤) "يقول العبد الضعيف محمد بن أحمد الجندى – ستر الله عيوبه في الدارين: هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علامة الورى، جامع الأصول والفروع شيخنا وأستاذنا وملاذنا مولانا علاء الملة والدين ضياء الإسلام والمسلمين عبد العزيز بن احمد البخارى رحمة الله عليه ورضي عن أسلافه الكرام. ومن فوائد الإمام المحقق والحبر المدقق والأستاذ الكبير (العالم) التحرير مولانا حافظ الدين النسفي صاحب المنار، والكنز الوافي، ونور الله مرقده، مع أبحاث غريبة تذكرة للمستفيدين وإجابة للمختلفين"، الكاكي: جامع الأسرار في شرح المنار للنسفي جـ٥/١٤٤٨.

(٥) التقرير والتحبير جـ١/١٩٨. "الإمام المدقق والعلامة المحقق ذى الرأى الثاقب... العلامة المحقق والتحرير المدقق، عضد الملة والدين... أستاذ المحصلين وخلاصة المتأخرين... الإمام المحقق والبحر المدقق... فإنه غني عن المديح"، تيسير التحرير جـ١/٤.

(٦) التقرير والتحبير، عدد المرات (١٠).

ويعتمد الشرح على سلطة القدماء ومشايخ الشارح ويقتبس منهم "قال شيخى"، "قال أستاذى"، "قال الأستاذ الكبير". وقد يتحول ذلك إلى تجربة شخصية وسيرة ذاتية للشارح[1].

ويطلق على صاحب المتن لقب "المصنف" وإن كان شرحا يطلق على صاحبه "الشارح". وقد يستعمل لفظ الشيخ أو "شيخنا" إن كان الشارح من أتباع صاحب المتن أو مذهبه. ولمزيد من التعظيم يترحم عليه[2].

ومن آليات الشرح تكملة الاسم بالإضافة إلى اللقب، فإذا قيل القاضى يضيف الشارح "الباقلانى" أو العكس[3]. وخطورة ألقاب التعظيم تدعيمها للتقليد واحترام سلطة القدماء. فمن يجرؤ على معارضة الشيخ الرئيس أو حجة الإسلام أو إمام الحرمين أو قاضى القضاة أو فخر الإسلام أو شمس الأئمة؟ ويتعدى التعظيم الأساتذة والأئمة والأعلام إلى آل البيت وسيدة النساء[4]. وقد يكون الشرح تعظيما للأشخاص، وإجلالا لهم، وترحما عليهم مثل أبو حنيفة "رحمه الله" ومثل الأستاذ الكبير شمس الدين الكردرى، وعمر رضى الله عنه[5]. وفى "شرح الشرح" يزداد التعظيم المستمر بالألقاب والترحم والدعوات[6]. لا فرق بين مذهب وآخر. فالجوينى إمام الحرمين، والغزالى حجة الإسلام، والرازى الإمام، والبزدوى فخر الإسلام، والدبوسى شمس الأئمة. أما أبو بكر الرازى (الجصاص) فإنه ليس إماما لأنه حنفى وليس من الفرقة الناجية، الأشعرية والشافعية. لذلك كان من آليات الشرح أن يضاف اللقب إذا ذكر الاسم أو أن يضاف الاسم إذا ذكر اللقب. وقد يكون الشرح تعظيما وتبجيلا للشخص مثل "محمد" أفضل الخلق خلقا. ويحدد الشارح أسلوب المتن ويصفه بأنه للمبالغة[7]. ويحتوى الشرح على عبارات التعظيم مثل صلى الله عليه وسلم إذا ما ذكر الرسول[8]. والصحابة رضى الله عنهم.

ويعتمد الشروح على الشروح السابقة، المتقدمين والمتأخرين بالرغم من عيوبها[9]. ويذكر

---

(١) الكافى جـ١/١٤٢/١٧٢/٢٢٦-٢٢٧/٢٣٧/٢٤٠/٢٤٤/٤٠٤، جـ٢/٥٣٤، جـ٣/١٢٤١.

(٢) التقرير والتحبير: المصنف (١٠٠)، شيخنا رحمة الله تعالى.

(٣) السابق جـ٣/٣٢١.

(٤) فواتح الرحموت جـ١/٢٦٧.

(٥) الكافى جـ١/٣٥٧، جـ٢/٧١٤/٨٠٧/٩١٣-٩١٤، جـ٣/١٤٢٦/١٥٢١/١٥٦٩. شرح مختصر المنار ص١٧.

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ١/٨٣، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ) جـ٢/٦/٤٠٨.

(٧) الكافى جـ١/٢٢٣، شرح مختصر المنار ص٤.

(٨) السابق ص١٤/١٩.

(٩) "وأودعته فوائد ملتقطة من كتب العلماء المتقدمين، فوائد مقتبسة من تصنيف الفضلاء المتأخرين"، مناهج العقول جـ١/٤. "يحيل أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" إلى شرح ابن الحاجب وحاشية التفتازانى والتنقيح وشرحه=

الشرح مصادره المتتالية وتحديد تسلسلها وخروج بعضها من البعض الآخر[1]. يتتبع الشرح مصادر النص وما فيه من نقل حرفى، ويراجع النقل مثل الدراسات العلمية الجامعية الحديثة طلبا للصواب فى المنقول والمعقول وفق قصد قائله. ولا فرق بين شرح ومختصر. فكلاهما مفيد فى جمع المادة وإن كان الشرح أكثر[2]. ويُرجع كل قول إلى مصدره طبقا للأمانة العلمية والصدق فى النقل، والتمييز بين النقل من القدماء والإضافة من المعاصرين[3]. فالنقل من الغير والإضافة من

=التوضيح وحاشيته التلويح لصدر الشريعة"، تيسير التحرير جـ١/٤. شرح المنار: الشراح (٧). شرح متن "التحرير" لابن الهمام له على الأقل شرحان: "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج و"تيسير التحرير" لأميرباد شاه.

(١) يذكر الأسنوى أنه تتبع فى "نهاية السؤل" وهو شرح "المحصول" للرازى مصادره فى "الحاصل" للفاضل تاج الدين الأرموى الذى اعتمد على "المحصول" للرازى الذى اعتمد بدوره على "المستصفى" للغزالى و"المعتمد" لأبى الحسين البصرى، ومنها ينقل الرازى صفحات لفظا لأنه كان يحفظهما، نهاية السول ص٤ جـ١/٨. كما يذكر القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول" مصادره: المحصول للرازى: "بسبب أن ألفه من أحسن كتب السنة، وأفضل كتب المعتزلة، "البرهان"، و"المستصفى" للسنة و"المعتمد" و"شرح العمد" للمعتزلة. فهذه الأربعة هى أصله، مصانا بحسن تصرف الإمام وجودة ترتيبه وتنقيحه وفصاحة عبارته وما زاد فيه من فوائد فكره وتصرفه وحسن تزتيبه وإيراده وتهذيبه... وجمعت له نحو ثلاثين تصنيفا فى أصول الفقه للمتقدمين والمتأخرين من أهل السنة والمعتزلة وأرباب المذاهب الأربعة منها: "البرهان" و"المستصفى" و"الأحكام" لسيف الدين الأمدى، وكتاب "الترجيحات" له و"منتهى السول" له، و"المعتمد" لأبى الحسين، و"شرح العمد" له، و"القياس الكبير" له، و"القياس الصغير" له، و"شرح البرهان" للابيارى، و"شرح البرهان" للمازرى، و"الإفادة" للقاضى عبد الوهاب فى مجلدين، و"الملخص" له، و"الفصول" للباجى فى مجلدين، و"الإشارة" له، و"اللمع" للشيخ أبى اسحق و"شرحه" له، و"المعالم" وشرحها للتلمسانى، و"المحصول" لابن العربى، و"العمدة" لأبى يعلى (مجلدان)، و"الواضح" لأبى عبيد (مجلدان)، و"التمهيد" لأبى الخطاب (مجلدان)، و"التنقيحات" للسهروردى، و"الأوسط" لابن برهان (مجلدان)، و"الوافى" لابن حمدان الحرانى (مجلدان)، و"تعليق على المحصول" لابن يونس الموصلى، و"شرح النقشوانى للمحصول"، و"كتاب ابن القاضى" و"كتاب الاحكام" لابن حزم، و"كتاب الروضة" للشيخ موفق الدين، و"شفاء الغليل" للغزالى، و"تعاليق" لجماعة من العلماء المعتبرين فى أصول الفقه لا أطول بذكرهم"، القرافى: نفائس الأصول جـ١/٩١–٩٥. "والتزمت من مختصراته بـ"المنتخب" و"الحاصل" لضياء الدين حسين، و"الحاصل" لتاج الدين، و"التحصيل" لسراج الدين، و"التنقيح" للتبريزى"، السابق ص٩٦.

(٢) "والتزمت أن أعزو كل قول لقائله، وكل سؤال لمورده، وكل جواب لمفيده ليكون المطالع لهذا الشرح ينقل عن تلك الكتب العديدة الجليلة الغريبة فيكون ذلك أجمل من النقل عن كتاب واحد فى التدريس والإفادة، وعند المناظرات، وليكون إذا وقع خلل فيما نقلته وقد أعزيته إلى موضع يستدرك من المواضع الذى أعزيته إليه، ويمكن استدراكه من أصله فيكون ذلك أيسر لتحقيق الصواب ورفع الخطأ"، السابق ص٩٦.

(٣) "وما فتح الله تعالى به من المباحث والأسئلة والأجوبة والقواعد والتنبيهات أسرده سردا من غير إعزاء، ولعلى أكون قد صادفت خاطر غيرى فى ذلك ولم أعلم به غير أن الله تعالى أعلم بمواهبه فى صدور عباده غير أنى أذكر ما وقع لى من ذلك بفضل الله تعالى وفتحه رجاء النفع به إن شاء الله تعالى. وقد يتفق لى بعد ذلك أن أجده لغيرى فلا أعيد ذكره خشية الإطالة. وقد يقع الخاطر على الخاطر فى القصائد المنظومة فكيف بموارد العقول فإنه أقرب لأنه كالمرائى إذا استوت فى الجلاء تتجلى فى جميعها الصدر الواحدة"، السابق ص٩٦.

الشارح. وقد تتفق مع إضافة من شارح آخر نظرا لتوارد الخواطر واتفاق العقول. ويعود الجزرى فى "معراج المنهاج" لشرح "منهاج الأصول" للبيضاوى إلى أصول النص فى "المحصول" للرازى[١].

ويتركب النص الشارح من عدة نصوص أخرى سابقة متداخلة وهو ما يعرف فى علم النص باسم "التناص". يذكر النص المشروح أولا مع شروحه ومختصراته السابقة لمعرفة الزيادة والاختصار بين النصين ثم تُذكر أقوال الشراح السابقين الزائدة على النص مع إسقاط المكرر منها. هذا هو الشرح فى مستوياته الثلاثة[٢]. فليس الشرح إبداعا خالصا من حيث المادة بل هو تجميع لها من مصادر سابقة[٣]. ويبرز النص إذا ما انتهى بلفظ "انتهى" الذى يعادل المعقوفتين. فالشرح مثل الحاشية والتقرير يعتمد ولو بدرجة أقل على الاقتباسات مع بيان نهايتها بالحرفين "أ هـ"[٤]. وتوجد العلامة ليس فقط فى آخر الفقرة أو فى وسطها[٥]. وتكثر علامة "انتهى" حتى تصل بالآلاف عندما يتحول الشرح إلى مجرد تجميع.

وكتابة الشرح ليست أسهل من النص بل ربما أصعب منه لأنها تتطلب جهدا زائدا فى مراجعة مصادر النص والتحقق من صدق رواياته وبراهينه، يوضح المعانى، ويسهل على القارئ ولا يتعذر على فهم المبتدئ، ولا يعصى إدراكه على المنتهى ويبرر تسمية الشرح "نهاية السول فى شرح منهاج الأصول"[٦]. واسم الشرح له دلالته على منهجه وموضوعه مثل "نفائس الأصول فى شرح المحصول" للقرافى[٧].

---

(١) الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٣٥٤/٤٣١، جـ٢/٥٥.

(٢) "وأبدأ بـ"المحصول" فإذا تلخص كلامه وما عليه تثبت بمختصراته. فإن زاد بعضها لفظا أو غيّر وضعا فاذكر ما يتعلق بذلك التغيير أو بتلك الزيادة من إيراد وتحرير وغير ذلك. ثم أثلث بتصانيف الناس المتقدم ذكرها فأنقل ما فيها جميعها فى كل مسألة تكون فيها من زيادة فائدة إن وجدتها، والمتكرر أسقطه. ويصير هذا الكتاب شرحا للمحصول ولمختصراته من "المنتخب" و"الحاصل" وغيره، فيعظم نفعه، ويحل فى الوضع وقعه"، نفائس المحصول فى شرح الأصول جـ١/٩٧.

(٣) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٨٢/٢٧٤/٤٤٩/٤٥٥، الإبهاج فى شرح المنهاج، الاقتباس بعلامة "انتهى" (٣).

(٤) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى جـ١/٣٦٠، جـ٢/٢١٧. التقرير والتحبير: "أ هـ" (٣٤)، "انتهى" (٢٥). أ هـ مختصرا جـ١/٢٠١، جـ٣/١٤١. تيسير التحرير: "انتهى" جـ١/٢٤٠/٢٦٤/٣٩٠/٤٠٠.

(٥) مثل فتح الودود على مراقى الصعود للولاتى (ت١٣٣٠هـ) ويتكرر فعل "انتهى" أكثر من ١١٠٠ مرة. نشر البنود على مراقى السعود: أ هـ (١٩)، هـ (١٥)، انتهى (٢). "مقتصرا فيه غالبا على كلام جماعة من محققى المتأخرين من أصحابنا كصدر الشريعة وسعد الدين التفتازانى وابن الهمام والأكمل مبينا الأصح المعتمد مفصحا عما هو التحقيق والأوجه"، فتح الغفار ص٨.

(٦) نهاية السؤل جـ١/٤، الإبهاج فى شرح المنهاج، المصادر (٣).

(٧) القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ١/٩٧.

والهدف من الشرح مراجعة الشروح السابقة التى حامت حول النص دون الغوص فيه. فبعض الشروح اكتفت بآليات اللفظ والمعنى دون الوصول إلى الأشياء ذاتها والبنيات. والبعض الآخر حاول الوصول إلى الأشياء والحقائق والبنيات ولكن حاد عن الصواب[١].

وبالرغم من أن الشرح لا جديد فيه إلا التجميع على بنية المتن إلا أن الشارح يشعر بأنه مبدع بإعمال النظر وكشف الأسرار بقوة الفكر. بل يصل الإبداع إلى حد الإبداع المطلق الذى هو على غير منوال ولم يسبق إليه أحد[٢]. والغالب أن معظم الشروح لا جديد فيها، مجرد تجميع لمادة، اجترار لما هو معروف، معلومات دون علم[٣].

وفى بعض الشروح الأخرى تضعف الذاكرة التاريخية. وتقل أسماء الأعلام والمصادر والمذاهب والفرق، وتعويض ذلك بالاقتباسات التى تصل بالآلاف دون ذكر مصادرها غالبا، وبالآيات القرآنية[٤].

٥- وحدة النص. ويؤكد الشرح على وحدة النص المشروح محيلا إلى أجزائه السابقة واللاحقة. كا يؤكد على وحدة النص الشارح مؤكدا أيضا على وحدته من البداية إلى النهاية[٥].

---

(١) "فإنه مع كثرة شارحيه وتزاحم مترجميه كأنه درة ما ثقبوها ومهرة لم يركبوها إذ عامة شارحيه وإن بذلوا جهدهم ما حاموا حول سرادق أسراره وجمهور متعاطيه وإن بالغوا فى استبصاره ما لاحظوا ما هو معظم أنواره. فبعضهم اكتفوا بمجرد حل ألفاظه وبيان ظاهر معانيه ولم يسلكوا مناهج حقائق خفاياه ودقائق مبانيه. وبعضهم عدوا سلوك طرائق حقائقه أمرا يسيرا فضلوا عن سواء السبيل وأضلوا كثيرا. وبعضهم اشتغلوا بتطويل الواضحات، وأعرضوا عن حل عقد المعضلات. فوجوه أبكار أسراره بعد فى القناع. وهم لعمرى ما تيسر لهم الاقتراح... فصدعت بصريح الحق حيث مجمع فيه الشارحون، وأصلحت مواقع طعن فيها الجارحون، وأشرت إلى ما وقع للمصنف من السهو والتساهل، وما عرض للشارحين من الخطأ للغفلة أو التغافل"، مناهج العقول جـ١/٤.

(٢) "ولطائف أبحاث سمح بها جواد نظرى وغرائب أسرار أبدعها قوة فكرى من محذرات حقائق هى بدائع الزمان وأبكار أفكار لم يمسها إنس قبلى ولا جان"، مناهج العقول جـ١/٤-٥.

(٣) شرح المحلى (القرن التاسع) على جمع الجوامع للسبكى (ت٧٧١هـ) (جزءان)، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة (د.ت).

(٤) وذلك فى "فتح الودود على فى مراقى الصعود" للولاتى.

(٥) الكاشف جـ١/١٣٥، جـ٢/٣٤٦/٣١٣/١٧٦/١٦٩/١٥٣. "فلنذكر كلامه هنا على ما هو مذكور فى أول الفصل"، جـ٣/٩٠/٢١، جـ٤/٣٥، جـ٦/٦٢٤/٤٦٥/٣٨١/٣٤٨/٢٩٣/٢٠٨/١٢٥. يحيل الأصفهانى إلى كتاب الأوامر والنواهى، السابق جـ١/٢٣٦، العموم والخصوص جـ٢/١٥٢/١٢٩، جـ٣/٤٧٤. "سيأتى فى باب الإجماع". جـ٢/٤٢٩. "وقد تقدم فى باب الأوامر"، جـ٥/٤١٩/١٦٠. "واعلم أن للمصنف طريقة أخرى فى هذه المسألة ذكرها فى المعالم"، الكاشف جـ١/٣٠٢.

إذ يحيل الشارح إلى باقى أجزاء النص والشرح. يحيل الشرح إلى نفسه بدلا من التكرار خاصة إذا ما تكرر المتن[1]. ووحدة العمل نفسها جزء من وحدة المشروع الكلى للشارح، جزء من كل، عمل ضمن أعمال أخرى كما هو واضح فى "الإبهاج فى شرح المنهاج".

كما يؤكد الشرح على وحدة العمل الفكرى لصاحب النص وصاحب الشرح واضعا النص المشروح فى إطار مجموع نصوص المصنف، ومحيلا إلى باقى مصنفات الشارح. فالشرح جزء من كل[2]. فإذا شعر الشارح بانقطاع فى الكلام نبه عليه[3].

ويبين الشرح وحدة العمل المشروح ويحيل إلى اللاحق والسابق إلى ما سيأتى أو إلى ما أتى من قبل[4]. فوحدة العمل فى المتن المشروح وفى النص الشارح على حد سواء[5]. كما تظهر وحدة المشروع كله، مشروع صاحب المتن ومشروع صاحب الشرح. إذ يحيل المتن إلى باقى المتون كما يحيل الشرح إلى باقى الشروح[6]. كما يبين الشارح وحدة العمل فى المتن[7]. وقد تضاف فقرات

---

(١) الكافى جـ٣/١٣٣٣. "وما كان كذلك كان منشأ للمفسرة على ما سيأتى بيانه مفصلا فى باب أن الأصل عدم الاشتراك"، الكاشف جـ٢/١٣٧. "على ما سنبينه بعد ذلك"، جـ٣/٥١٥. ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٤٨/٢٠٦. الإبهاج فى شرح المنهاج (١٨)، وحدة العلوم، وحدة المشروع (١). مناهج العقول، وحدة الشرح (١٠). "كما بينا" الكاكى: جامع الأسرار شرح المنار للنسفى جـ١/٢٨٧، جـ٤/٩٧٩.

(٢) "على ما صرح به المصنف هاهنا وفى كتاب المصنف فى "التناسخ"، الكاشف جـ٣/٧٣. "وقال المصنف فى "المحصل" وفى "الأربعين"، جـ٤/١٦٠. "وله شبه أخرى ركيكة مذكورة فى كتاب "المعتمد"، من أراد الاستقصاء فليطالعه"، جـ٤/٣٥٥. "وكل هذه المغلطة قد ذكرت فى كتابنا المسمى "القواعد"، جـ٥/٥٥٧. "قال المصنف فى كتابه الموضوع فى القياس وهو المسمى بـ"الرسالة البهائية فى المباحث القياسية"، جـ٦/١٣٩/١٥٢/١٧١/٥٥١/٥٨٧.

(٣) "ولم يتوقف أو الكلام على آخره لعدم الاتصال"، فتح الغفار ص١٨٦.

(٤) السابق ص٦/١٠-١٢/١٥-١٦/٢٢-٢٣، نهاية السول جـ١ (١٨)، إحالة جـ٢ (٣١). القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ٣/١٢٠٠. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٨٩/٣٩٣، جـ٢/١٠٥. شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (جزءان): كما سيأتى (٣٦)، وقد تقدم (٣)، ما سبق (١)، آخر الكتاب الثانى (١). الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى ص١٠٥/١٧٤.

(٥) التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (عدد المرات) (٢٧).

(٦) يحيل ابن أمير الحاج فى "التقرير والتحبير" إلى "رسالة المسايرة" لصاحب المتن ابن الهمام جـ١/١٢٣. تيسير التحرير: وحدة الشرح (٦)، وحدة المتن (٢). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: وحدة العمل (٢). نشر البنود على مراقى السعود: وحدة الشرح (٣). فواتح الرحموت جـ١/٩١/٢٠٧.

(٧) التقرير والتحبير جـ١/٢١٧، جـ٢/١٠٢. الإحالات إلى اللاحق والسابق (٢٧).

كاملة للربط بين أجزاء الشرح لبيان وحدة العمل والمنظور[١].

ويقوم الشارح بوضع النص المشروح ضمن باقى النصوص الأخرى التى كتبها المصنف الأول شرحا للجزء بالكل. الشرح هنا دراسة للموضوع عبر الأعمال دراسة مقطعية وليست مجرد دراسة طولية عبر العمل نفسه[٢]. فلا يفهم نص "المحصول" للرازى إلا بالإحالة إلى "المعالم" و"المحصل" وباقى مؤلفاته فى علم الأصول، أصول الفقه أو أصول الدين.

وقد يتضمن الشرح الإحالة إلى مؤلفات الشارح لمزيد من المعرفة كما يحيل شارح مختصر المنار إلى كتابه المسمى "هدى الناظرين". وقد يكتفى باسم الكتاب دون ذكر مؤلفه لشهرته مثل "صاحب الهداية" و"هدى الناظرين"[٣]. ويقوم الشارح باستعمال باقى مؤلفات المؤلف كمادة للشرح كما يفعل السنغاقى بالاعتماد على مؤلف البزدوى الآخر "شرح الجامع الصغير" أو "مختصر الحاكم" أو "المبسوط". ويستعمل الشارح مؤلفات باقى الحنفية مثل أبى يوسف وأبى محمد كمادة للشرح[٤].

ويعتمد الشارح على أكثر من مخطوط أى على أكثر من نسخة من المتن المشروح اطمئنانا إلى صحة المتن. لذلك كثيرا ما ينبه "وفى نسخة أخرى" كما يفعل ابن رشد فى الشرح الكبير، "تفسير ما بعد الطبيعة"[٥].

رابعا: الخلاف والحكم.

١- الاختلافات بين المذاهب. وقد يزيد الشرح أسماء الأعلام والفرق والمذاهب وضعا للنص فى السياق. فبعد الوجوب يذكر الإمام الشافعى عليه رحمة الله تعالى أنه بعد الحظر الإباحة. وعادة ما يكون الشرح من المذهب الذى ينتمى إليه الشارح مثل الأشاعرة الأساس

---

(١) "وهذا آخر الكلام فى المقدمة"، التقرير والتحبير جـ١/٩٠. "وهذا آخر ما تيسر من الكلام فى شرح ما تضمنته المقالة الأولى...واشتملت هذه المقالة (الثانية) بسبب هذا الإدخال فى الأحكام"، "وفى أدلة الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع والقياس" جـ٢/١٠٢.

(٢) هكذا يفعل القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول".

(٣) الكافى جـ١ (٥)، جـ٢ (٥٠)، جـ٣ (٥٤)، جـ٤ (٢).

(٤) شرح مختصر المنار (٣). يحيل الشنقيطى فى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" إلى رسالته المسماة "منع جواز المجاز"، ص٥٦/٥٨.

(٥) الكافى جـ٣/١٣٢٩/١٣٩٩/١٤٨٣. القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ٣/١٣٨٦. شرح المنهاج: نسخة (٩).

العقائدى للشافعية. وصاحب الرأى هو أبو يوسف رحمه الله تعالى، أو القاضى أبـو يزيـد شمـس الأئمة فخر الإسلام ومن تبعهم من الأئمة المتأخرين. ويكفى اللقب دون الاسم. بـالرغم مـن كـثرة القضاة والشموس. ويفرق الشرح بين المتقدمين والمتأخرين فى كل مذهب لرصـد الخـلاف بينـهم. فالمذهب يتطور ويتغير بتغير العصور والأزمان. بـل قـد يذكـر أصحـاب المذاهـب كلـهم الشـافعى وأحمد ومالك أو المذاهب نفسها كالشافعية والحنابلة أو الفقهاء مثل أبى بكر الدقـاق. كمـا يذكـر الرواة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن مسعود وغيره. وتذكـر القدريـة وأهـل الاعـتزال وأهـل الحديث، العلماء والأصوليون والفرق وأصحاب المقالات[1].

ويذكر الاتفاق كما يذكر الاختلاف ولكن على نحو أقل لأن الاتفـاق لا يسـمح بالشـرح فـى حين أن الخلاف يعطى فرصة لذكر الاختلاف وبيان أوجهــه وطـرق حلـه. ويكـون الاتفـاق بـين المذاهب الفقهية الأربعة[2].ويعين الشرح المذاهب كلها. كما يعيّن الفرقة أو المذهب الواحـد[3]. ثـم تتم المقارنة بين المذاهب لبيان أوجه اتفاقها واختلافها[4].

وقد يدخل الشرح فى القضايا الخلافية بعد أن صمت النص عنها. فالقرآن لفظ ومعنــى ثـم يضيف الشرح "خلافا لمن زعم أن القرآن هو المعنى فقط" لأن كلام قديم واللفـظ حـادث[5]. ومثـل الدخول فى قضية الحسن والقبح العقليين باستفاضة. وهى بعـض المسـائل الخاصـة بعلـم أصـول الدين مثل هل الجنة والنار يفنيان؟ كما يدخل الشرح فى المسـائل الخلافيـة المذهبيـة الفقهيـة، الحنفية والشافعية غالبا، وأحيانا مـع المالكيـة. كمـا يختـار صـاحب الكـافى المذهـب الحنفى. ويدعمه برأى أصحاب المذهب السابقين، الجصاص وعيسى بن أبان والكرخى. ويعود إلى الأصول الأولى عند أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف والشيبانى وزفر. وبالرغم مـن أن الموقـف الفقهيـة لا تبدو كثيرا من الشارح إلا أنه يقارن بين الأحكام الفقهية نفيا وإثباتا بين الفقـهاء. وتتـم المقارنـة

---

(١) الكافى جـ١ (١)، جـ٢ (١٠)، جـ٣ (٩)، جـ٤ (١). الأصفهانى: شرح المنهاج: جـ١ (١١)، جـ٢ (٦). شـرح المنار (١٩)، شرح مختصر المنار (٧). الإبهاج فى شرح المنهاج: المذاهب (٢٦).

(٢) "إن الأئمة الأربعة ذهبوا إلى جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد.." جـ٤/٥١٩. "إن تقريـر الإجمـاع أن يقـال: أجمعت الصحابة على المنع من تخصيص الكتاب بخبر الواحد، وإجماعهم حجة"، جـ٤/٥٢٤. "إن الفـرق بـين هذه المسألة والتى قبلها إن تلك مسألة واحدة وكذلك جميع ما ذكرنا من الأمثلة.." جـ٥/٤٥٦. "وبالجملة ليست صورة المسألة الثالثة ما لم يستقر الخلاف على ما توهمه بعضـهم بـل صورتـها مفروضـة عنـد اسـتقرار الخـلاف" جـ٥/٤٦٠ ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٠٤/١٥٠/٢١٤. الجزرى: معراج المنـهاج جـ١/٣٧٥/٤٤٧، جـ٢/٢٨٧ الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٣١٤/٤٦٧/٤٩٠، جـ٢/٥٣٤. الإبهاج فى شرح المنهاج، الاتفاق (٤).

(٣) شرح مختصر المنار ص٢٠/٨. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/١٤١/١٤٥-١٤٦/١٦١-١٦٢/٢٢١/٣٩١.

(٤) السابق جـ١ (٢٣)، جـ٢ (٢١).

(٥) الكافى جـ١/١٦٠/١٦٦.

بـين المذاهـب الفقهيـة[١]. وبـالرغم مـن عـدم المقارنـة المـستمرة مـع المذاهـب الشـيعية إماميـة أو إسماعيلية إلا أن الشروح المتأخرة فى أواسط آسيا الحنفية والماتريدية منها يبدو فى مصطلحاتـها أثر أسلوب أصول الفقه الشيعى مثل "الكبروية" أو العلوميـة، "التنجـيزى" أو عبـارات التعظيـم مثل "قدس الله سره" أو القـاب مثـل "الشـريف"[٢]. وتنقـد الشـروح السـابقة لـما وقـع فيـها مـن أغلاط[٣].

والسؤال هـو: هـل أحـدث هـذا الـتراكم التـاريخى الإبـداع الضـرورى والاخـتراق النوعـى والتجاوز والنقلة الحضارية؟

٢- الاحتمال أو التوسط أو التوقف عن الحكم. والغالب أن يكـون مذهـب الشـارح هـو نفسه مذهب صاحب النص المشروح، أشعرى شـافعى يشـرح أشـعريا شـافعيا. ومـع ذلـك يظـهر الخلاف بينهما لأن الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية ليست دوائر مغلقة وكتل صماء بل تتخللـها فروع واتجاهات وآراء متباينة تتقاطع فيما بينها عبر حدود الفرق والمذاهب. لذلك تتعدد المذاهب ويتم اختيار أحدهـا هـو فـى الغـالب المذهـب الأشـعرى، مذهـب الفرقـة الناجيـة. وهـو مذهـب "أصحابنا" أو "الأصحاب"[٤]. بل إن الشارح ينبه على سهو المصنف ويعـذره ولا يدينـه[٥]. ومـن أهم المهمات تلخيص محـل الـنزاع ومعرفـة مواطـن الإشـكال. إذ لا يؤخـذ النـص كتصديـق بـل كإشكال[٦].

وقد يكون الحكم توفيقا بين مذهبين دون استبعاد أحدهما. فكلاهما رأيان. لكل منـهما مـا يؤيده. ولا سبيل إلا الاختيار بينـهما بنـاء علـى المرجحـات[٧]. وقـد يكـون الحكـم توسـطا بـين موقفين. ويكون هو الأصح.

---

(١) الكافى جـ٢/٩٢٩. نهاية السؤل جـ١/٢٥٦/٣٣٦.

(٢) فواتح الرحموت جـ١/٩/٥٩/٧١/١٦٣/٢٥١.

(٣) "وقد وقع فى كثير من الشروح هنا مخالفة لما قررته فاجتنبته"، نهاية السول جـ٢/١٢١.

(٤) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/١٤١. و"المسألة فيها خلاف فى مذهبنا والمختار أن"، نهايـة السـؤل جـ٢/١٨٣. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٥٣/٧٢، جـ٢/١٢١. "إنه قد اتضح ما نقلناه من كلام الأئمة أن مذهب الأشـعرى، أن الأمر موجـود بذاتـه وصفتـه فـى الأزل، ولا مـأمور فـى الأزل"، جـ٤/٩١. "والمختـار مذهـب الشـافعى.."، جـ٥/٤٨٦. "الحكم بالتجوز"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٠٤.

(٥) "قول المصنف قد سبقت هذه المسألة فى علم الكلام من هذا الكتاب سهو من المصنف"، الكاشف جـ٥/١٤٣.

(٦) "إن هذا الكلام يستشكل" جـ٤/٥٥٨. "إن أهم المهمات تلخيص محل النزاع"، جـ٥/٢٢١، جـ٦/٥٩١. "إن هـذا الكلام فيه إيهام أن يكون الخلاف واقعا فى السنة لوقوعه فى الجزء والشرط وليس الأمر كذلك"، جـ٥/٣٣٩.

(٧) "فلا تناقض بين الكلامين"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ١/١٥٥.

وقد يكون الشرح احتمالات ضمن احتمالات عدة دون الوقوع فى القطع والجزم[1]. فللآية تأويلان فى صيغة "فإن قيل.. قلنا... أو نقول". ويأتى الاحتمال من الاحتمالين من الاعتراض، ولكل احتمال رد. وقد تأتى صيغة الاحتمال صراحة فى شرح معنى الحديث[2].

وأحيانا يكون الشرح بلا موقف، مجرد شرح وإظهار علم وإعطاء معلومات[3]. وفى هذه الحالة يغلب على الشرح الهدوء والتمرينات الصورية. والمذهب الصحيح هو المذهب المختار[4]. وبالرغم من أن الشرح محايد لا يأخذ موقفا ولا يصدر حكما إلا ما كان فى المتن من قبل إلا أنه أحيانا ومن أجل إظهار المواقف فى شرح لا موقف له يصدر الحكم بالكفر والضلال مثل حكم السغناقى على الفلاسفة وغيرهم ممن اكتفى بالرأى كما اكتفى بظاهر الحديث[5]. من أجل استبعاد الطرفين والعودة إلى أصل الموضوع الذى يتحمل آراء عدة.

٣- القطع بالصواب أو الخطأ. وليس الشرح مجرد بيان وتفصيل وتوضيح وإحكام للنص بل قد يكون نقدا وتغييرا ومناقضة له ورفضا للموقف الذى يعبر عنه[6]. لذلك تكثر عبارات النقد مثل "لا يصح أن يقال"، "وهذا فاسد"، "وهذا ضعيف"، ثم اختيار الصحيح منها. وهو أشبه بالسبر والتقسيم فى مسالك العلة. ومن أسباب الخطأ إطلاق الأحكام، ورد الجزء على الكل أو الكل إلى الجزء[7]. وفى هذه الحالة يقوم الشرح على منطق الاستبعاد. وهو منطق قطعى يزيح

---

(١) "وقد وقع فى كثير من الشروح هنا مخالفة لما قررته فاجتنبته"، نهاية السؤل جـ٢/١٢١.

(٢) الكافى جـ١ (٢٠)، جـ٢ (٨)، جـ٣ (١٩)، جـ٤ (١٢)، جـ٥ (٧).

(٣) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة عند ابن الفركاح فى "شرح الورقات".

(٤) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ٢/٩٦.

(٥) "ألا ترى أن الضلال الذين ضلوا بسبب الاكتفاء بالرأى من الفلاسفة وغيرهم أكثر من الذين اكتفوا بمجرد ظاهر الحديث"، الكافى جـ١/١٨٨-١٨٩. نهاية السؤل جـ١/٣٥. "هذا مذهب مردود عليه"، الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٨٨.

(٦) "وأما الحد الذى اختاره المصنف فلنشرحه أولا ثم ننظر فى صحته"، الكاشف جـ٣/٣٢. "فاندفع بحمد الله جميع ما أورده على هذا الكلام"، جـ٣/٩٤. "نقل المذاهب المنقولة فى المسألة على سبيل الاستيعاب ثم نبين ما هو المختار من المذاهب ثم إقامة الدليل عليه"، جـ٣/٣٢٣. "إنا ننقل مذاهب العلماء فى هذه المسألة ثم نذكر الدليل على ما يختاره المصنف فننظر فى صحة تلك الأدلة وفسادها"، جـ٣/٤٢٦.

(٧) "وهذا فاسد"، جـ١/١٨٦/٢٢٨-٢٢٩. "وهذا الجواب فاسد"، جـ٢/١٥٠. "ويتبين مما ذكرناه فساد ما ذكره"، جـ٢/٢٦٥. "قد بينا فساد هذا الكلام"، جـ٢/٥٠٢. "وهو باطل"، الكاشف جـ٢/١٢٤. "فلنذكرها مع بيان فسادها" جـ٣/٧٧. "قلنا هذا مندفع لأننا بينا فساد هذا المذهب"، جـ٣/٢٠٣. "والذى يوضح فساد ما ذكره"، جـ٣/٣٥٠. "وهذا كله خبط وخروج عن القواعد واختيار لمذهب باطل من غير دليل ولا برهان"، الكاشف جـ١/٢٧٥ "وبقى كلامه ساقط جدا فليتأمل فإنه يظهر بأدنى نظر" جـ٢/٥٤. "وهذا مذهب باطل باتفاق"،=

المخالف وليس منطق احتماليا يقوم على الحوار مع المخالف ﴿وإنـا أو إيـاكم لعلـى هـدى أو فـى ضلال مبين﴾ [1]. ولا يتم ذلك إلا بعد المراجعة. فلا حكم إلا بعد المداولة[2]. ويصل الأمـر إلى حـد اللعن والسخرية[3].

والأغلب تضمن الشرح أحكاما بالصحة والفسـاد، بـالصواب والخطـأ، بـالضعف والقـوة[4]. وبعد إصدار الحكم بالفساد والخطأ يتم التصحيح وإصـدار الحكـم بـالصواب. وقـد يكـون الحكـم تقريبيا احتماليا، أقرب إلى الصحة منه إلى البطلان أو أقرب إلى البطلان منه إلى الصحـة[5]. وقـد

=جـ٣/٤٩٩. "هذا مـا قالـه المعترض وهـو فاسـد"، جــ٥/١٠٦. "وأمـا مـا ذكـره مـن دفـع التسلسـل ففاسـد"، جـ٦/٤١٧. "وأما على الإطلاق فممنوع، والعجب منه دعوى الضرورة"، جـ٢/١٠٦. "وأما الوجه الثانى فضعيـف جدا"، جـ٢/١٠٦، "وهذا ضعيف"، جـ٢/٢٠٤، "واعلم أن ما ذكره ضعيف"، جـ٢/٤٥١. "إن المصنـف أجـاب عن الأثر بأنه قول صحابى وهو ضعيف أى ليس بحجة"، جـ٤/٥٥٥. "وهذا الوجه ضعيف"، جـ٤/٥٦٠. "وهذا ما يشعر به ظاهر كلامه وهو ضعيف"، جـ٥/٦٨. "فهذا شرح هذا الوجه وهو ضعيف"، جـ٥/٢٢٦/٣٢٣/٤٦٣، جـ٦/٤٠٧/٤٠٩/٤٣٢. "كل واحد من هذين الدليلين ضعيف"، جـ٥/٥٦٥. "إذا أريد بالإسعاد الأمر العادى سقط هذا الكلام"، جـ٢/٢٦٨. "هذا كلام ساقط جدا"، جـ٣/٢٦٠. "وهذا غلط"، نهاية السول جـ٢/٢٦٢. "هذا كـلام ركيك"، الكاشف جـ١/٢٨٩. "وهذه الأقاويل غير صحيحة"، جـ٤/٢٢٢. "فقد تبين أن المعترض على الفقهاء هو الذى غلط"، جـ٥/١٢٣. "واعلم أن هذا وهم"، جـ٤/٢٤٠. "ولعسر هذا الفرق صار إلى هذا المثال تحريف محصـن وهذيان صرف"، جـ٤/٢٤٦. "وهذا فى غاية السقوط"، فتح الودود على مراقى الصعود"، ص٣٠. "فهذا هو شرح هذا التعريف وهو باطل"، جـ٤/٤٨٠. "ودعوى ذلـك فـى غايـة البعـد"، جــ٤/٥٥٩. "إنـه غلـط"، فتح الغفار ص١٩١. "إن أصلهما هنا غير صحيح"، ص٢٢٠. "غير صحيح"، ص٢٣٤، نشـر البنـود علـى مراقـى السـعود. وهو محال (١). "وهو ساقط" جــ٦/٢٧٢. "وهذا كلام ضعيف" نهاية السول جـ٢/١٧٨. "إن مثل هذا الكلام غـير معدود من صنيع العلماء وإنما هو استرواح بما لا يعصم"، الإبهاج فى شرح المنهاج، جـ٢/١٢٧.

(١) فواتح الرحموت، جـ١/٦٤/٤١٨.

(٢) السابق جـ١/١٩٦/٢١٣/٢١٨/٣٢٣.

(٣) فواتح الرحموت: لعن (متصل)، الطوسى جـ١/٣٥١، السخرية جـ١/٣٧٩.

(٤) الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٣٥٥، جـ٢/١٤٨. شرح المنار: الحكم بالصواب والخطأ (٨).

(٥) "ولا غرض لنا الآن فى تصحيح هذا المطلوب ولا فى إبطاله. فقد تبين مما ذكرناه أن ما ذكـره المصنـف فـى هـذا الفصل حائد عن الصواب وطريقه"، جـ٦/٤٩٥. "إن الحكم قد يكون بالصحـة وقـد يكـون بـالبطلان"، الكاشـف جـ١/٢٧٦. "اعلم أنه يقرب من الصحة"، السابق جـ١/٢٨٣. "والصحيح عندى" جـ٥/٢٣٤. "وما ذكره المصنـف صحيح لا يتم الدليل بدون الجواب عنه"، جـ٥/٢٣٨. "إن صوابه أن تقول"، الكاشف جـ١/٢٧١. "فالصواب أن يقال"، جـ٢/٣. "والصحيح من الجواب"، جـ٣/٣٤٣. "المصنف احتـج علـى صحـة مذهبـه بوجـوه"، جــ٤/٧. "والجواب الصحيح الأصولى"، جـ٤/١٨٠"، "والجواب الصحيح"، جـ٤/١٨١. "والدليل على صحة ما ذهب إليه الجمهور"، جـ٤/١٩٨. "وهذا كلام صحيح يتوجه من المعتقد لبطلان الأصل"، جـ٤/٥٠٠. "والصـواب أن يقـال" جـ٦/١٠٧. "والحق فى هذه المسألة"، جـ٥/١٨٥. "وهذا خلف"، فواتح الرحموت، جـ١/١٩٩. "هذه مكـابرة". جـ١/٣٩١.

يكون الموقف هو "المختار" أى المفضل دون حكم بالصواب وتخطئة المواقف الأخرى[(١)]. وقد يصل الأمر إلى حد السب واللعن ووصف المعارضين بالجهلة[(٢)].

وقد يصدر فى الشرح حكم قطعى بالصحة، "هذا حد صحيح جامع مانع" أو هذا فاسد. وهناك غلط فى الأصل. وقد يكون مخالفا "وعندنا لا يسقط من الألف شىء". وقد يكون الشرح تحديدا لصيغ القول الأمر أو النهى أو مدى إلزامها[(٣)].

بل يحيل الشرح إلى متون شيعية لنقد تعريفاتها مثل نقد التعريفات الركيكة للشريف المرتضى فى "الذريعة"[(٤)]. ومع ذلك هناك بعض الإشراقات فى الشروح تبين أن روح الحضارة وهى الاستمرار فى التجاوز مازالت حاضرة[(٥)]. ففى "التقرير والتحبير" يعلن ابن أمير الحاج "أنا لا أقلد أحدا فى المعقولات"[(٦)].

٤- الاحتمال العلمى أم الإيمان الدينى؟ وتمتلئ الشروح والمتون أيضا بعدة "لازمات" وبنية تفوض الأمر إلى الله باعتباره "أعلم العلماء". ويمكن أن تؤول بطريقتين. الأولى أنه يكشف عن الاحتمال العلمى ضد القطع بالحكم أى نسبية المعرفة أو يكشف عن إيمان عميق بالحقيقة وبالتالى مع القطع وضد النسبية. وقد يكون الحكم بالاتفاق أو بالأغلبية. وقد يكون الحكم قطعيا أو ظنيا طبقا لأنماط الاعتقاد. أو لأحكام العقل الثلاثة[(٧)]. وقد يكتفى ببيان الحكم بعد مراجعته.

---

(١) "والمختار"، الكاشف جـ٥/١٥٣/١٦٤. "إن هذا القسم يتضمن الكلام فى المسائل المختلف فيها فى أنها من باب الناسخ فقال قوم إنه ناسخ وقال آخرون ليس بناسخ والمختار أنه ليس بناسخ"، جـ٥/٣٢١. "إن هذه المسألة تصريح بأن الحكم الثابت بالقياس قد يكون مظنونا وهو اختيارنا ومناقض لقول من يقول أن الأحكام الشرعية بأسرها معلومة"، جـ٦/١٧١. الإبهاج فى شرح المنهاج: المذهب المختار (١)، إصدار الحكم (١٦). تشنيف السامع بجمع الجوامع: المختار (٢٠). تيسير التحرير جـ١/٣٣١. التقرير والتحبير، "المختار" مثلا جـ١/٨٣، جـ٢/١٨١، جـ٣/٤٦٢. "وهكذا هو الصحيح" جـ٢/٣٣٤.

(٢) فواتح الرحموت جـ١/٤٠.

(٣) الكاكى جـ١ (٢)، جـ٢ (٦)، جـ٣ (١١). نهاية السول جـ١/١٦٧، جـ٢/١٤١/١٤٩/٢٠٧. "وما قاله المصنف هو الصواب"، نهاية السؤل جـ٢/٣٤٤. "الحكم بالصحة"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٢٤/١٧٩. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٨٨/٢٩٦. "وقد أبطلنا قولهم فيما سبق"، شرح المنار ص٥٤٩. "صحة المذهب". "صحة مذهبنا"، الكاكى: جامع الأسرار شرح المنار للنسفى جـ١/٢٤٨/٢٨٤. "والصحيح مذهب مالك"، فتح الودود على مراقى الصعود ص٤٠. نشر البنود على مراقى السعود: الأصح، الصحيح (٢). "والصواب عندى"، جـ١/٧٣.

(٤) الكاشف جـ٦/١٤٢.

(٥) "سنذكره بعد شرحنا لهذا الحد"، الكاشف جـ١/٤١٣.

(٦) التقرير والتحبير جـ١/٣.

(٧) شرح المنار: أنماط الاعتقاد (٢)، أحكام العقل الثلاثة (٦).

ومع ذلك تتكرر لازمة "الله أعلم بـالصواب" منعـا للقطـع وتـأكيدا علـى احتمـال الأحكـام البشرية. فالترجيح أفضل من القطع، وكذلك الإعلان عن غرابة موقـف دون الحسم ببطلانـه[1]. بعد كل هذه الشروح المطولة الله أعلم أو "والله أعلم بالصواب". وأحيانـا يضـاف "وإليـه المرجـع والمآب". وأحيانا تكون نفس اللازمة فى المتن نفسه ولا تكون فى الشرح. وفى الغالب تكـون فـى المتن والشرح معا. تدور كل الشروح فى إطار إيمانى عميق يتجلى فى كثرة العبارات الإيمانية فى آخر الفقرات والفصول والأبـواب مثـل "الله أعلـم"، "إن شـاء الله"، "الله الموفـق". وتكـثر "الله أعلم"[2]. وقد تظهر التعبيرات وسط الفقرات وليس فقط فى آخرها[3]. بل يتم شرح هذه العبـارات الإيمانية فى البداية مثل البسملات والحمـدلات، والنهايـة وهـى ليسـت فـى حاجـة إلى شـرح. الشرح من أجل الشرح. الشرح قطار يسير بصرف النظر عــن محطـات الوقـوف. وتكـثر فـى أول الكتاب وآخره. وتتحول المقدمات والخواتيم إلى خطب منبرية تخرج عن حـدود البحـث العلمـى الرصين[4]. وفى الشروح المتأخرة تظهر المحسـنات البديعيـة بوضـوح فـى الأسـلوب خاصـة فـى المقدمات الإيمانية. فالإيمان كمضمون والبيان والبديع كوسائل فى التعبير صنوان[5].

وقد يكون الشرح أسلوبيا خالصا. فإذا بدأ النص بالبسملة ثم بالموضوع مباشرة أضاف الشرح بينهما فيما بعد. فإذا كان فى النص اسم إشارة يتم توضيحه ببيان المشار إليه بلفظ أى. وإذا كان الستر لموضوع يتم شرحه بداية باسم الصلة. وإذا كان ضميرا تم إخراجه مـن المسـتتر إلى الصريح أى من ضمير الملكية إلى الموضوع ذاته[6]. يكون الشرح إذن للأسلوب وطرق الصياغة[7].

---

(١) الكاشف جـ٢/١١٣/٣٨٠/٤٠٩، جـ٣/٤٧٤، جـ٤/٥٠/١٣٨/٢٠٦، جـ٥/٤٧/١٩٨، جـ٦/٢٨٣. "فلنشـرع نحـن فى ذكر الترجيح فنقول"، جـ٤/١٨٩. "ونقل عن بعضهم عن كتاب لابن طلحة قولين فى بطلانه. وهو غريب إن صح"، جـ٤/٤٤٦. الإبهاج فى شرح المنهاج: الله أعلم (٦)، الدعاء بالتوفيق (٤). "والله أعلم بالصواب"، تيسير التحرير جـ١/٢٥١. "والله أعلم"، جـ١/٣٠٨/٣٤٨. "والله سبحانه هو الموفق"، جـ١/٣٢٤.

(٢) هى التعبير الشائع فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" للماردينى الشافعى.

(٣) التقرير والتحبير جـ١/٧، جـ٣/٤٧٣-٤٧٥. "والله سـبحانه (وتعـالى) أعلـم" (٦٨)، "إن شـاء الله تعـالى" (٧)، "والله الموفق" (٣)، "والله سبحانه الموفق لمحاسن الآداب والهادى إلى سبيل الصواب" جـ٣/٣٨٠.

(٤) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: إن شاء الله (٣)، والله تعالى أعلم (٤). نشر البنـود علـى مراقـى السـعود: "والله تعالى أعلم" (١). لازمات فواتح الرحموت: "إن شاء الله تعالى" جـ١/٢٠٣/٢٢٤/٢٢٦/٣٨١/٣٩٠، "وبـالله التوفيق" جـ١/٩٤، "والله اعلم بحقيقة الحال" جـ١/٢٦١، "الله أعلم" (٤)، "والله أعلم بالصواب" (١).

(٥) تيسير التحرير جـ١/٤. فواتح الرحموت جـ١/٢-٣.

(٦) الإمام جلال الدين المحلى: شرح الورقات، دار إحياء الكتب العربية، عيسـى البـابى الحلبـى وشـركاه (د.ت) ص٢/٣/٦/١٩.

(٧) ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٦٣.

خامسا: آليـات الشـرح.

تظهر آليات الشرح خاصة فى أوائل العبارات فى بداية الشرح أو فى أواخرهـا فـى نهايـة الشرح. تكشف عن القصد من الشرح وتبين هدفه. وأحيانا يخلو الشرح من أى عبارات دالة تبين القصد منه. وهو الشرح المحايد الأقرب إلى العبارة الشارحة. والعبارة الأولى قبل الشـرح أهـم مـن العبارة الأخيرة بعده. فالأولى تبين القصد والثانية تعلن عن تحققه[١]. وتظهر هذه الآليات بوضوح سواء طال النص أو قصر وذلك بتحليل أوائل العبارات للشروح[٢]. ويقتصر تحليل آليـات الشـرح فى الغالب على أوائل الفقرات الشارحة دون مقاطعها الصغرى داخل الشرح.

وغالبا لم تتطور آليات الشرح من الشروح المتقدمة حتى الشروح المتأخرة، فـى حـين تطـور النص المشروح. فالآليات واحدة واتجاهات الشرح مختلفة. وقد تغلب بعض الآليات على الأخرى فى الشروح. فد تغلب العبارة الشارحة على الضبط والإعراب والشروح اللغويـة[٣]. والشـارح علـى وعى بالأنواع الأدبية[٤]. ويحدد الشارح آليات الشرح بنفسه: ضرب الأمثلة، الإشارة إلى الأدلة، إيضاح الشكل، تقييد المهمل والمغفل[٥].

ولا تختلف آليات "شرح الشرح" عن آليات شرح المتن. فقد يكـون شـرح الشـرح قصـيرا أو طويلا. ويسبق الشرح "قوله" وهو ليس دراسة لموضوع نظرا لاعتماده المطلق علـى الشـرح السـابق. فقد بعدت المدة بينه وبين المتن الأول، وانتهى الدافع الحيوى. فإذا كان المتن سريع الإيقاع فـإن الشرح متوسط السرعة، وشرح الشرح بطئ الحركة[٦].

١- **إعـراب اللفـظ**. يبـدأ الشـرح لغويـا بـإعراب الألفـاظ[٧]. فالفقـه يفسـر لغويـا والمعنـى

---

(١) "هذا هو شرح ما اختاره المصنف من التقسيم المذكور فى المتن"، الكافى جـ٤/٤٥٩.

(٢) "اكتفينا فى الغالب بآليات النص الطويل قبل تقطيعه داخل الشرح. كما اكتفينا بذكر التردد الكمى لهذه الآيـات فى حالة كثرتها دون الإشارة إلى أرقام الصفحات إلا فى حالة قلتها.

(٣) مثل "شرح المنهاج" للأصفهانى.

(٤) وذلك مثل "مناهج العقول" للبدخشى.

(٥) "يكون مبسوطا بضرب الأمثلة، والإشارة إلى الأدلة، وإيضاح المشكل، وتقييد المهمل والمغفل"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٧٥.

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، الشرح لسعد الدين التفتازانى (٧٩٢هـ)، والتنقيح وشرحه لصدر الشريعة البخارى الحنفى (٧٤٧هـ). الشرح الطويل جـ١/٣٥-٤٥/٧٥-٧٨/٣٣٠-٣٦٠. المتن الطويل جـ١/١٢٠-١٣٧.

(٧) "إن هذا البحث عن الموضوع وبيان تعيين اللفظ للوضع والدلالة بـه علـى المعـانى دون الأفعـال أو الإشـارات.."، الكاشف جـ١/٤٥٢. "هذا هو البحث العقلى. وأما البحث اللغوى"، جـ٣/٨٥.

الاشتقاقى أول معانى الألفاظ بالإضافة إلى العرفى وأخيرا الاصطلاحى كما هو الحال فى منطق اللغة فى علم الأصول.

وقد يكون الخلاف لفظيا. ولا مشاحة فى الاصطلاح[1]. فالشرح تحرير لمحل الخلاف اللفظى، بين الحقيقة والمجاز. ولكل علم مصطلحاته طبقا للغته وإلا كان نقل مصطلح من علم إلى آخر أو من لغة إلى أخرى مغشوشا. وقد يكون الخلاف ظاهريا يقتضى الذهاب من مستوى اللفظ إلى مستوى المعنى[2]. وقد يكون الخلاف لفظيا فى حين أن الاتفاق فى المضمون. ويصل الأمر بشرح الألفاظ إلى بيان وضع الهمزة مثل الاخبار بكسرها[3].

وقد يكون الشرح لغويا وإعطاء اشتقاق الكلمة مثل "آله" أى أهله. واشتقاق لفظ رأى. والمؤول مفعول "أول" ومنصته بفتح الميم، والاستنباط من النبط وهى الركية أى البئر التى أخرجها الحافر بجهد عظيم، والواو للعطف، والنقل بفتح الميم. والعمرة فى اللغة الزيادة، والواو ليست للترتيب، والفاء للتعقيب، والمبتدأ والخبر. والفاء فى الأمر تكون للتعليل واسم الفعل واسم الفاعل، والحال، والإعراب والإعجام، وللفعل مع الفاعل عشرة أوجه. وإن "ل" حرف موضوع للشرط، والباء للإلصاق. والثاء فى العدد عندما يكون المعدود مذكرا مثل التأويل. بل إنه يتم تشكيل اللفظ فى الشرح حتى تحسن قراءته مثل الآخر بكسر الخاء، والردعى بالدال المهملة[4].

---

(١) الكاشف جـ١/١٣٤. "نرى تقديم تفسير ألفاظ ثلاثة مذكورة فى الآية ثم نتكلم فى شرح الدليل المذكور وتقريره بقدر الإمكان" جـ٣/١٣٧. "هذا لفظه ومعناه ما لخصناه" جـ٣/٤٨٧. "إن هذه فروق بين النسخ والتخصيص فى الجملة وليست لفظية كما قال المصنف. لا مناقشة فى الاصطلاحات" جـ/٤٠٩، جـ٤/٣٩٤. "واعلم أن هذا الاصطلاح مخالف للمذكور فى "المحصول" من بعض الوجوه ولا مشاحة فى الاصطلاح"، الكاشف جـ١/٢٩٨، جـ٢/٩٠. "ومن المعلوم أن الاصطلاحات لا مناقشة فيها. ولا يلزم من الاصطلاح المنطقى أن يكون موفقا للأوضاع اللغوية العربية إلا إذا ادعى صاحب الاصطلاح الموافقة. وأبو على لا يدعى ذلك، ولا غيره من المنطقيين. فهذا النقل مغشوش"، جـ٢/٩١.

(٢) "إن هذا الكلام على ظاهره"، الكاشف جـ١/٣٢٥. "وذلك تناقض فى الظاهر"، جـ٢/٨٠. "وهذا ظاهر"، جـ٢/١٢٤.

(٣) "اعلم أن العبادة توصف بالأداء والقضاء والإعادة فلنتكلم عليها كلاما مفيدا لتصوراتها شارحا لمفهوماتها". الكاشف جـ١/٢٨٦. "لابد من شرح مفردات الألفاظ المستعملة فى التقسيم المذكور فى الأصل"، جـ٤/٤٥٨. الإبهاج فى شرح المنهاج: اللغة (١٤)، اللفظ (٤). "اعلم أن فى هذا الكلام نظرا لأن اسم المصدر مثل "سبحان" اسم للتسبيح، والبيان مصدر لا اسم مصدر وأيضا البيان والتبيين مصدران وليس أحدهما مشتقا من الآخر فالمصار جوامد"، جـ٥/٤١. شرح لفظ الظاهر جـ٥/٤٥، التأويل جـ٥/٤٧. الكاشف جـ٦/١٠٥.

(٤) الكافى جـ١ (٧)، جـ٢ (٢٤)، جـ٤ (٢). نهاية السول جـ٢/١٠٥/١٣١/٢٢٦. ابن الفركاح: شرح الورقات. اللغة والنحو ص٧٦/٧٨/١٣٥/١٦٤/١٦٨/١٨٧. الاشتقاق ص٣٢/٩٣/٩٦/٩٨/١٠٠-١٠٣/١١٠/١١٢/١١٩/١٢٦/=

وقد يكون الشرح إعرابيا خالصا من أجل إضافة معلومات نحوية. فالنص يشير إلى المفرد والشرح يقارن بينه وبين المثنى والجمع. ويكون ذلك لتفسير الآيات وشرح بأى بأنها إما تكون استفهامية أو شرطية أو موصولة[1]. ويظهر البعد الجغرافى فى الإعراب مثل "نفل" فإنه فى المغرب بفتحتين[2]. وقد تبدو بعض الألفاظ الآن عامية مثل "ايش"[3]. وقد تدخل عناصر من الثقافة الوافدة مثل العلل الأربعة كمادة للأصول ولكنها لم تعد وافدة بل أصبحت جزءا من الثقافة العامة[4].

وقلما تظهر الكلمات المعربة نظرا لأن علم الأصول علم داخلى خالص نابع من الموروث ولا علاقة له بالوافد وإن ظهرت بعض الألفاظ اليونانية المعربة فلضرب الأمثلة وبعد أن أصبحت ألفاظا شائعة ومتداولة فى الثقافة العامة وحتى الآن مثل السقمونيات وهى المجربات. ويضرب المثل بلغة اليونانيين لمعرفة زمان الكلمة[5]. وتستعمل فى الشرح بعض الألفاظ اليونانية المعربة خاصة فى الطب مثل السقمونيا والسوفسطائية[6]. وأحيانا يتم الشرح بلغة أخرى غير العربية مثل الفارسية القديمة.

اللغة هى اللغة العربية، وقواعدها مبادئ لتفسير القواعد الاصولية[7]. كما يفسر اللفظ

=١٦٢/١٩٠/٢١٢/٢٣١/٢٤٠/٢٩٤/٣٠٣/٣٨١/٣٥٦/٣٧١. الجزرى: معراج المنهاج، اللغة جـ١/٢١٧/٢٢٦/٢٤٥، جـ٢/٢٣/٧٣/٢٨٣، النحو جـ١/٢٩٩/٢٦٣-٢٦٨. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٤٧/٢٧٣/٤٦٠. شرح المنار، الإعراب والاشتقاق والشرح اللغوى (١٤٦). الإبهاج فى شرح المنهاج: الاشتقاق (٤). شرح مختصر المنار ص٤. نشر البنود على مراقى السعود: الإعراب (٦)، اللغة (٣)، الضبط (١). فواتح الرحموت: اشتقاق الأفعال والأسماء جـ١/٦، الإعراب جـ١/٦، الترادف ص٦-٧، تحرير محل النزاع جـ١/٢٧٦. الخلاف اللفظى جـ١/١٥٦/٣٠٠/٣٩٣.

(١) نهاية السؤل جـ١/١٣/٤٦-٤٧، جـ٢/٨٦/١١٢/٤٠٧/٤٣٢. القرافى: نفائس الأصول فى شرح الأصول جـ٣/١٢٨٢، جـ٥/٢١٤١/٢٢٧١.

(٢) شرح المنار ص٣١٩. الإبهاج فى شرح المنهاج، الإعراب (١١). مناهج العقول، الإعراب (١٢٠). وأيضا "التقرير والتحبير" مثلا جـ١/٧/١٣. فتح الودود على مراقى الصعود ص٥-٦/٣٩.

(٣) "ايش وجه دعوى الضرورة...؟"، الكاشف جـ١/٤٨٨.

(٤) السابق جـ٢/٢٧٤.

(٥) السابق جـ١/٣٦/١٧٠.

(٦) الكافى جـ١/١٥١/١٧١/١٧٤-١٧٥/١٧٩/١٨٩/٢٥٧/٣٠٣/٣٣٥، جـ٢/٧٦٣/٩٢١/١٠٢٦، جـ٣/١٠٩٦/١٣٣٩. نهاية السول جـ٢/١١٠/١١٢. مناهج العقول جـ٣/٧٢٤. التلويح على التوضيح لمتن التنقيح لصدر الشريعة البخارى الحنفى جـ١/٢٨٩.

(٧) الألفاظ المترادفة فى اللغة العربية جـ٢/١٢٠، لغة العرب جـ٢/١٢٠، ومن تتبع كلام العرب جـ٢/٢٨٠، العرب جـ٢/٣٠٤، أئمة العربية جـ٢/٤١٨-٤١٩. "ويوضح ذلك غاية الإيضاح من أئمة اللغة العربية.." جـ٣/١١٧. "إن هذا الوجه ينبنى على النقل عن أئمة اللغة" جـ٣/٢٩٢. الإبهاج فى شرح المنهاج: الترادف (٣).

كمفهوم وتصور الذى يحتاج إلى تعريف. فتفسير الألفاظ هو تحديد للمفاهيم والتصورات وشرح الألفاظ هو وضع للتعريفات[1].

٢- تعريف المصطلح. وتحليل الألفاظ لغويا مقدمة ضرورية لتحليل الألفاظ اصطلاحيا وقبل تحليل المعانى[2]. والشرح للألفاظ عن طريق التعريف، لفظا لفظا، إعطاء المبتدأ خبرا، والموضوع محمولا، مثل شرح ألفاظ الحمد، والله، والساريات هى السائرات، والقطع الحزم، والبيان التفسير، ووضع اللفظ فى الجملة وإعرابه وعلامة الفضل، والجهاد إعلاء لكلمة الله، والأمر الثقل. لذلك يكثر استعمال لفظ "أى" للمترادفات فى كل الشروح[3].

وقد قامت شروح بأكملها على شرح اللفظ باللفظ أى تعريف الكلمة بالمرادف[4]. والغاية مزيد من الدقة، وتوضيح الغامض على مستوى الألفاظ. فالمدخل إلى الشرح هو اللغة. واللغة هى شجاعة تجميع المادة. لذلك بدا الشرح منطقيا لغويا، يتسم بقدر كبير من الدقة والوضوح. يكون الشرح إذن بإيجاد المترادفات مثل "الحسن" أى البهاء و"كهف الورء" أى ملجأ الحق لذلك تكثر ألفاظ الربط مثل "أى"، "يعنى"، والقدوة بمعنى الاقتداء، والتعكل إظهار العجز. والقصد من الترادف التأكيد. وقد يكون بلفظ "بيان" وهو لفظ أصولى من الشافعى يدل على مباحث الألفاظ. والقذور اسم امرأة تتقرز من الأقذار، والمحكم هو الذى له معنى واحدا والتهوك التحير. والغرض من ذلك الإيضاح "ثم ها هنا ثلاث كلمات للإيضاح"[5]. وقد يعنى اللفظ معنى وقد لا يعنى معنى

---

(١) "إنه لابد من تفسير الحركة والسكون"، جـ٤/١٥٩. "إن هذا التعريف عليه إشكالات ولابد من شرحه أولا ثم نورد عليه الإشكالات ثم ننفصل عن الذى يتأتى الانفصال عنه"، جـ٤/٢١٤. "إن هذا التعريف مشتمل على قيود وفائدة القيود وقد بينها المصنف. فهو واضح إذن. ويزيده إيضاحا إيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها فنقول هذا التعريف فيه نظر"، جـ٤/٢١٧.

(٢) "وقد جرت عادة الأصوليين أن يقدموا بيان المفهومات اللغوية على بيان المفهومات الاصطلاحية فى جميع أبواب أصول الفقه ليعلم بذلك أن أحد المفهومين هل هو عين المفهوم الآخر أو غيره. وإذا كان غيره فهل بينهما خصوص وعموم أم هما من المعانى المتباينة"، جـ٥/٢٠٠. "ومن التعريفات الركيكة ما نقله المصنف عن الشريف المرتضى أورده فى كتاب الذريعة"، جـ٦/١٤٢. "اختلفت عبارات الأصوليين فى تعريف الشبه اختلافا عظيما، وبحسب ذلك الاختلاف اختلفت معانيه فلنذكر أقاويل الأصوليين فى التعريف أولا.."، جـ٦/٣٩١.

(٣) مثل شرح الحمد بأنه الوصف الجميل على وجه التبجيل، شرح مختصر المنار ص٣/٥/١٠. شرح المنار: شرح اللفظ باللفظ (٢). الإبهاج فى شرح المنهاج، التعريف (٣). منهاج العقول: يعنى (١٠)، بيان (١٠). تعريف (١٠). نشر البنود على مراقى السعود: الحد والتعريف (١). فواتح الرحموت: اللغة والتحديد اللفظى جـ١/٩٣/١٨٣/٣٣٨.

(٤) مثل "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد الحنبلى.

(٥) فى "شرح المنار" حرف "أى" أكثر آليات الشرح استعمالا (٤٥٠). الكافى جـ١ (٤٣)، جـ٢ (١٧٨)، جـ٣ (١٠٥)، جـ٤ (١٩).

آخر. فالإيضاح إيجاب أو سلب. والغائط هو المطمئن من الأرض، والاتساق الانتظام، والتدليس الكتمان، والمزاح المزح، والملاعنة البهدلة، والنكاح القيد الحسى، وعزم اعتمد. وقد يستعمل لفظ "وتفسير ذلك" الذى يدل على وعى بهذا النوع الأدبى. وكذلك يستعمل لفظ "تأويل". وقد يتم استبدال لفظ بلفظ بين المتن والشرح مثل المجاز والمبتدأ. وتظهر باقى مباحث الألفاظ فى شرح الصيغ اللغوية للمتن[1].

ويتحدد مستوى التعريف لغة أم شرعا أى اصطلاحا مثل تعريف النسخ[2]. وتعقد المقارنات بين اللغويين والفقهاء فى معنى الحادثة[3]. ويمكن تحديد معنى اللفظ عن طريق الاستعمال مثل لفظ "فقه"، ولفظ "قضاء"، ولفظ "أداء". وتستعمل عدة ألفاظ للدلالة على الطلاق مثل المشيئة والإرادة والمحبة والرضى والأمر والحكم والأذن والقضاء والقدرة والعلم[4]. وقد يكون للفظ استعمالان عند الخاصة وعند العامة. وقد يتحول اللفظ إلى اصطلاح، من اللغة العامة إلى اللغة الخاصة[5]. وقد تظهر فى الشرح بعض النظريات الحديثة فى اللغة باعتبارها عالما من الأشباح. فاللفظ شبح[6]. وقد يكون التعريف طبقا للمشهور عند العلماء[7].

وقد يكون التعريف تاريخيا طبقا لمراحل التاريخ. فالتعريف يتغير من مرحلة إلى مرحلة. فالشرح فى الزمان كما هو الحال فى التعريف القديم للخبر[8]. والمعنى العرفى هو أحد معانى اللفظ فى الاستعمال الحاضر الذى يتحول إلى تاريخ بمرور الزمن.

وقد يكون تحديد اللفظ بنفى العكس، فالوجوب ليس الندب ولا الإباحة، والعام ليس الخاص، والمحدود ليس غير المحدود، والزنا ليس اللواط، والعزيمة غير الرخصة. وقد يكون التحديد يالتمييز بين لفظين مثل الفرق بين العموم والتكرار، وبين الموجب والمحتمل. وقد تكون المقارنة بالنقيض والضد طبقا لمنطق الاختلاف مثل مصالح الدين ومصالح الدنيا. ونكاح الولى خلاف نكاح الأختين[9]. قد يكون الشرح بمنطق الهوية أو الترادف بين لفظين أو بمنطق التغاير

---

(١) نهاية السول جـ١/٢٣٥، جـ٢/٢٤-٢٥. شرح المنهاج جـ١/٢٥٧. شرح المنار (١٤). شرح مختصر المنار ص٥.

(٢) شرح الورقات ص١٤.

(٣) السابق ص١٨.

(٤) الكافى جـ١/١٧٧/٣٨٤/٣٨٨/٩٩٣.

(٥) شرح الورقات ص١٠٤/٢٠٣-٢٠٤/٢١٢. الجزرى: معراج المنهاج، المصطلح جـ١/٤٢٥.

(٦) فواتح الرحموت جـ١/١٨٠. وهى نظرية فتجنشتين.

(٧) ابن الفركاح. شرح الورقات ص٣٧٤. "وهذا الرسم قريب لإفهام الفقهاء"، السابق ص٩٣.

(٨) ابن الفركاح، شرح الورقات ص٢٧٧. الإبهاج فى شرح المنهاج، السياق التاريخى (١).

(٩) الكافى جـ١/٢٠٨/٣٦١، جـ٢/٥٩٤/٧٨٨/٨٠٣/٨٧٤/٩٢٧، جـ٣/١٠٦٣/١١٤٨/١١٨٥/١١٩٥/١٢٠٥/١٣١٦/١٤١٥/١٤٥٣، جـ٤/١٥٩١/١٦٠٥.

أو الاختلاف سواء فى اللفظ أو فى العبارة، فى الكلمة أو فى القول، ما يجوز للصحابى وما لا يجوز لغير الصحابى، العلم لهم والجهل لغيرهم. فإذا كان النص عن شروط الإجماع يكون الشرح ما ليس من شروط الإجماع[1].

ويتم الشرح عن طريق القلب، قلب الإيجاب سلبا، والسلب إيجابا، والإثبات نفيا والنفى إثباتا عن طريق اللغة. وهو نفس الشىء، ولكنه تحدد عن طريق الأسلوب. فإذا تحدث النص عن الوضع فإن الشرح يبين فى حالة عدم الوضع[2]. وقد يتجاوز الأمر التقابل اللغوى إلى التقابل الموضوعى. فإذا ذكر النص الآحاد أضاف الشرح فى مقابل التواتر[3].

وقد يتحدد اللفظ بمعناه الخاص أو العام. فالشرع "بالمعنى الأعم" ومن ثم يطبق الشارح على المتن القواعد اللغوية المستمدة من مباحث الألفاظ فى علم الأصول مع باقى مباحث الألفاظ، الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمجمل والمبين. وظيفة التعريف هنا الإدخال والإخراج، توسيع المضمون أو تضييقه[4].

فإذا أعطى الشرح المفاهيم النظرية مثل أحكام التكليف الخمسة يقوم الشرح بالتعريفات فيتغير اسم الفاعل مثل "الواجب" إلى اسم المفعول مثل "الوجوب"، والصفة بالموصوف، وتعريف العنعنة فى النص بأنها نقل فلان عن فلان. وقد يكون الشرح إكمالا للصورة. فإذا تحدث النص عن "قراءة الشيخ" أضاف الشرح "والمريد يسمعه"[5].

ولأول مرة يتم شرح المتن باعتباره ألفاظا كما هو الحال فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه" للماردينى الشافعى[6]. وكلاهما شافعيان، الماردينى والجوينى.

---

(١) الجزرى: معراج المنهاج جـ٢/٩٧. شرح مختصر المنار ص١٠.

(٢) السابق ص٨.

(٣) شرح الورقات ص١٩. شرح المنار (١). منهاج العقول: القلب (١٠). و"فواتح الرحموت" مملوء بالتعريف عن طريق القلب.

(٤) الكافى جـ١/٢٢٨. ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٢٣/١٥٦/٢٤٠-٢٤١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الإدخال والإخراج (٤). مناهج العقول: الإدخال والإخراج (٩٠). شرح مختصر المنار ص٨.

(٥) شرح الورقات ص٤/٢٠. الجزرى: معراج المنهاج، التعريفات جـ١/٥٨/٤٠٥. شرح المنار: التعريف (٥). مناهج العقول: التعريف (١٠).

(٦) شمس الدين محمد بن عثمان بن على الماردينى الشافعى: الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه، قدم له وحققه وعلق عليه الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن على بن محمد النملة. الأستاذ بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الرشيد، الرياض طـ٣ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وهى رؤية جديدة للشرح قائمة على أن الغموض فى اللفظ وليس فى المعنى. فتوضيح اللفظ مقدمة لتوضيح المعنى. بل إن الشرح اللفظى أصبح له مفهوم جديد هو لفظ "حل". وقد اختار الشارح أصغر النصوص وأوضحها بل ومن أوئلها بعد "الرسالة" للشافعي. فقد تقدم الأحناف على الشافعية فى تحرير الأصول وإن كان الشافعية هم الذين حملوا عبء التدوين بعد ذلك حتى القرن السابع مع الحنابلة. ثم توازى الكل أثناء الدولة العثمانية التى كانت حنفية المذهب خاصة فى خراسان. وقد يكون السبب فى التركيز على الشرح اللغوى وتعريف المصطلحات أنه لا يوجد تراكم داخلى كاف بالرغم من طول الفترة الزمنية بين متن الجوينى (٤٧٨هـ) وشرح المارديني (ت٨٧١) أى حوالى أربعة قرون. وكلاهما شافعيان، شافعى يشرح شافعيا.

٣- توضيح المعنى. إذا كان الشرح أقرب إلى الدراسة المستقلة منه إلى الشرح اللفظى أو بالعبارة الشارحة يظهر المعنى[١]. ويكثر استعمال فعل "يعنى" أو اسم "معنى" أو مضافا إلى ضمير "معناه"[٢]. يبين الشارح نقل النص الموضوع من مستوى إلى مستوى آخر، من مستوى اللفظ إلى مستوى المعنى[٣]. الشرح للمعانى وليس للألفاظ، بيان للمعانى وتوضيحا لها. وإذا كان المعنى واضحا فإن الشرح يكون لزيادة بيان[٤]. ويستعمل لفظ البيان فى صيغة "وبيانه أن"[٥]. وهى معانى مستقلة متمايزة[٦]. فالوضوح والتميز شرطا التعريف، الواضح بذاته والمتميز عن غيره[٧].

---

(١) وهذا هو الحال فى "الإبهاج فى شرح المنهاج" أو عدة عبارات شارحة تغطى الموضوع كله مثل "مناهج العقول" للبدخشى.

(٢) "معناه"، جـ٦/٥٧٩/٣٨٣. نفائس الأصول: معنى، يعنى، معناه (٣٠). بيان، دليل (٢)، برهان (١)، مفهومه (١). المعنى، يعنى، ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٣٩/١٧٤/١٧٧-١٧٨/١٨٢/١٩٩/٢٠٥/٢٦٧. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٥٨/٢٠٢/٤١١، جـ٢/٢٧٩. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٢١١. شرح المنار: يعنى (٩٠). مناهج العقول: الشرح (٢٠).

(٣) "إن المصنف جعل هذه المسألة من المسائل المعنوية"، جـ٤/٧٣.

(٤) "إن هذا النظر هو الباحث عن المعانى بحثا كليا وذلك بعد أن بحث عن الموضوع وهو اللفظ أيضا بحثا كليا"، الكاشف جـ١/٤٥٤. "تمسك المصنف بدليل لفظى.. يرجع سنده إلى المباحث اللفظية"، جـ٣/٥١٨. "وهذا التوجه أقرب إلى لفظ المصنف"، جـ٣/٥٢٠. الكاشف جـ١/١٨١. "وهذه قضية بنية"، السابق جـ١/١٢٨. "هذا معنى كلام المصنف"، جـ١/١٣٠. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/١٧١/٤٠٧، جـ٢/١٣٣/١٣٥.

(٥) الكاشف جـ١/١٧٣-١٧٤. "زيادة بيان"، السابق جـ١/١٨١، البيان، مناهج العقول (١٠). "وبيانه". السابق جـ١ (٤)، جـ٢ (٦)، جـ٣ (١)، جـ٤ (٤)، جـ٥ (١)، جـ٦ (٤). "وبيان ذلك"، السابق جـ١/٣٩٥، جـ٢/٨٨، جـ٣/٢٦٤، جـ٦/٥٧٩. شرح المنار: البيان (١٢).

(٦) "وهذه حقائق معقولة متميزة بعضها عن بعض"، الكاشف جـ٥/٢٠٩.

(٧) "اعلم أن هذه الأسئلة واضحة ولكن لابد من التنبيه على ما يحتاج فى الكشف عنها"، الكاشف جـ١/٢١٧.=

بل يتحدث البعض عن علم مستقل للمعانى[1]. الشرح يحل إشكال النص ويوضحه، ويزيل لبسه وغموضه، سواء إشكال النص أو الإشكال الذى يعالجه النص[2]. وأحيانا يكون النص واضحا لا يحتاج إلى توضيح، ولكن الشرح يوضحه أيضا لأن الشرح نوع أدبى مستقل عن ضبط آلياته[3]. واتفاق العقلاء من مقاييس الصدق والوضوح[4]. وقد يكون الإيضاح تدريجيا، خطوة خطوة. إذا اتضحت خطوة أتت الخطوة التالية. وقد يكون مرة واحدة، جملة واحدة فى خطوة واحدة[5].

والشرح أيضا تنبيه بعد البيان، مفردا أو جمعا، تنبيها أو تنبيهات[6]. وتتوالى التنبيهات، التنبيه الأول ثم التنبيه الثانى. ولذلك تستعمل ألفاظ أخرى مثل التذنيب والتتميم والتتمة والدقيقة وفائدة[7].

="اعلم أن هذا الكلام واضح فى نفسه غير أنا نزيده إيضاحا"، جـ١/٤٣٨. "وهذه القضية ظاهرة غاية الظهور"، جـ٢/٨٨. "وباقى الكلام ظاهر"، جـ٤/٨٣. "إن هذه الأمور ظاهرة غنية عن الشرح. وقد تكرر ذكرها فيما سبق من المباحث، فلا حاجة إلى الإعادة"، جـ٤/١٤٩. "فالظاهر غنى عن الشرح"، جـ٤/٢٠٣. "وهذا الكلام صريح"، الكاشف جـ٢/٩٩. "اعلم أن هذه المسألة واضحة بنفسها غنية عن الشرح ولا إشكال فيها أصلا"، جـ٢/١٨٤. "إن هذه المسألة واضحة غنية عن الشرح"، جـ٥/٣٠. "هذه المسالة غنية عن الشرح إلا أننا نذكر ما يزيدها إيضاحا فنقول"، جـ٦/٢٨٠. "إن هذا الكلام واضح غير أنا نبسطه بعض البسط"، جـ٣/٣٨٥. "وباقى الكلام ظاهر غنى عن الشرح"، جـ٣/٥٠٨. "فقد ظهر من شرحنا لكلام المصنف ما يدفع هذا الكلام ونزيده إيضاحا"، جـ٤/٢٧. "اعلم أن هذه المسألة واضحة بينة غير أنا نؤثر زيادة إيضاح لمن لا دربة له بالمعانى المناسبة"، جـ٦/٣٢٥.

(١) فواتح الرحموت جـ١/٢٦١.

(٢) "أورد المصنف هذا الكلام جوابا عن إشكاله الأول"، الكاشف جـ١/٤٦٩. "أن المصنف أجاب عن الإشكال الثانى"، جـ١/٤٧١. "والتقسيم على هذا الوجه ما عليه إشكال"، جـ٢/٥٦. "اعلم أن المسألة واضحة وفيها إشكالات"، جـ٦/٢٨١. "إن هذه المسألة تعد من المسائل الغامضة فليدقق الناظر فيها ويمعن النظر"، جـ٦/٤٤٨. إشكالات النص، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٩٤. وأيضا هذا ما يتميز به "فتح الغفار بشرح المنار" لابن نجيم الحنفى (ت٩٧٠هـ).

(٣) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة لابن الفركاح فى "شرح الورقات" للجوينى. الإبهاج فى شرح المنهاج: الإيضاح (٢). فواتح الرحموت جـ١/٥٥. التوضيح بزيادة فعل جـ١/٦.

(٤) الكاشف جـ٢/٩٧.

(٥) "وإذا اتضح ذلك..."، الكاشف جـ٢/٣. "وإذا عرفت ذلك فنقول"، جـ٢/١٠٠، جـ٤/١٥٣/١٧٦/٢٦٤، جـ٥/١١/١٠٩، جـ٦/٢٦٨/٣٧٩/٥٤٥. "وإذا تقرر هذا فقد صار المراد من قوله"، جـ٣/١٣٧. "وإذ قد تبين ذلك"، جـ٤/٤٥٨. "وبالجملة"، جـ٤/١٥٣/١٥٨/٣٥٧.

(٦) التقرير والتحبير: تنبيه (١٥)، تتميم (٢)، تتمة، تذنيب (١).

(٧) "التنبيه"، الكاشف جـ١ (١٢)، جـ٢ (١١)، جـ٣ (٩)، جـ٤ (٨)، جـ٥ (١٦)، جـ٦ (١٦). "تنبيهات"، السابق جـ١/١٧١، جـ٢/٣٤/٤٥/٥١، جـ٣/٥٠٦، جـ٤/٢١٠/٣٤٣/٣٦٩/٤٧٨، جـ٥/٤٢. "تنبيهان"،=

وقد يكون الشرح تخصيصا، فإذا تحدث النص عن الفقه خصص الشرح بالمعنى الشرعي. وعقد مقارنة مع العلم. فكل فقه علم وليس كل علم فقها. فإذا تحدث النص عن الصحابة خصص الشرح بأنه عصر الصحابة. وإذا تحدث عن الإسناد يبين الشرح أنه تم إسقاط بعد الروايات. فالتخصيص تعيين. السنة هي السنة المتواترة، والأمة المطلقة أمة هداية. وقد يكون التخصيص بالزمان وبالمكان، فحكم الأشياء في النص ويضيف الشرح بعد البعثة. والتفصيل هو الطريق إلى الحكم الصحيح[1].

والشرح تفصيل للمجملات، مثل الحمد لله "على منواله" وشرح "على منواله" وتفصيل نعم الله على الخلق وتفضيله للنوع الإنساني، والتنبيه على أن البيض هي السيوف، وأن الرماح هي السمر، وأن السود هي البنادق، وأن الشرر متطايرة، وأن الجاريات هي المنشآت في البحر كالأعلام. ويستخدم الشرح صورا قرآنية للتقريب إلى الإفهام. فالنص مجرد مناسبة للتجميع، وعرض الموضوع كله، والمقارنة مع باقي العلوم، وضم العلمين معا، أصول الدين وأصول الفقه. وقد تكون التفصيلات بحكايات وأمثلة. ويعطى سياق الموضوع كله بمعلومات إضافية. فإذا كان المتن العلم نوعان تم تفصيل النوعين في مسموع ومطبوع. تضاف التفصيلات لإكمال الموضوع[2]. وقد يكون في ذلك بعض التعالم. فناقل العلم ليس بعالم، والعالم هو الحافظ[3]. والشرح إفاضة في المعاني مثل "صلى" أي إنزال الرحمة، والفرق بين الصحيح والأصح. فمن ضمن آليات تحديد الألفاظ التمييز بين لفظين مثل الشراء والملك[4]. واجتماع لفظ ولفظ يكون عبارة. والشرح النمطي هي العبارة الشارحة[5].

=الكاشف جـ٢/١٩٨، جـ٣/٢١٧، جـ٥/٥٧٢/٣٠٨/١٦١، جـ٦/٤٨٣/٣٢٧/٢٥٦/١٥٤. "تنبيهات"، جـ٥/١٩٣/١٩٥/ ٥٠٧/٣٢٩/٢١٢/٢٠٦، جـ٦/٥٥. "وأما المسألة السادسة فواضحة ولننبه على أمرين"، جـ٤/٤٥٥. نفائس الأصول: تنبيه، تنبيهات (٣٢٦). الإبهاج في شرح المنهاج: التنبيه (٨). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشنقيطي: تنبيه (٣). نشر البنود على مراقي السعود: تنبيه (١٨)، تنبيهان (٣)، تنبيهات (١)، فائدة (١). "دقيقة"، الكاشف جـ٥/٤٥.

(١) شرح الورقات ص٥/١٨-٢١/١٩. الكافي جـ٤/١٥٨٩/١٦٠١/١٦١٥.

(٢) الكافي جـ١/١٥٠-١٥١/١٥٤/١٦٢/١٨٠/١٨٥/١٩٧/٢٦٣، جـ٢/٦٧١/٦٨٢/٧٧٢، جـ٣/١١٠٢-١١٠٣/١١٥٨/ ١٢٧٨، جـ٤/١٦٠١. شرح المنار: الإضافة وإكمال الموضوع (٣٦)، شرح مختصر المنار ص٣/٥. فواتح الرحموت جـ١/٦/١٠.

(٣) الكافي جـ١/٢١٥.

(٤) السابق جـ١/١٩٥، جـ٢/٧٩٥. شرح مختصر المنار ص٤.

(٥) "إن النص قد يكون كلمة مفردة وقد يكون من كلمتين، وقد يكون مركبا من كلمتين فصاعدا ويصير المجموع نصا"، جـ٥/٤٣. شرح المنار: العبارة الشارحة (٣١). فواتح الرحموت: العبارة الشارحة جـ١/٦.

٤- **سياق العبارة.** ويكون الشرح لفظا بعبارة شارحة يسبقها "أى" التى هى منظم المياه كى لا يغشى المطيعين موج من النكبات[١]. قد يكون الشرح بيان لوجه المتن، وجه الورود. كما يتم شرح الأفعال الحسية والأفعال الشرعية بعبارات شارحة. فالأولى ما تقوم على الحس والثانية ما تقوم على الشرع، فالصوم طاعة لأنه لا فساد فيه وعدم الصوم معصية لأنه رد لضيافة الله. ويذكر الشارح صراحة "وجه الإيراد". والدرهم أربعة عشر قيراطا، والكذب غير المشروع هو الحنث فى اليمين، وأحكام القرآن اسم كتاب للجصاص، والحال يتصل بالمحل، والسفيه أى الذى يشتغل بما ليس له عاقبة حميدة، والحاشية أى صغار الناس، والإجازة أن يقول أخبرنى فلان بن فلان عن فلان، وكذلك المناولة، وتعريف التعارض بأنه التعرض لحكم الدليل بالإبطال. والوجه مثل الحال، والإلهام علم بشر يقع فى القلب يدعو صاحبه إلى العمل به من غير استدلال ولا نظر فى حجة.

ويتم شرح المصطلح مثل "دلالة النص" بعبارات شارحة عديدة حتى يتضح إذابة للسكر فى الماء. وكذلك الأمر فى "دلالة العبارة" والتدقيق التعليم من جهة المعلم. وقد يتغير الأسلوب، ويعاد صياغة العبارة بأخرى أكثر وضوحا حتى يتضح حكمها[٢].

وقد تكون الترادفات لعبارات بأكملها عبارات تعظيم وتبجيل مثل "الغازى جازاه "عونا" أى ونصرا ووضع له قدرا وذكرا". لذلك يقتبس الشارح عبارة أو فقرة من المتن بين قوسين، ثم يقوم بشرحها كما هو الحال فى شرح آيات القرآن وبعد غلبة العلوم النقلية ومناهجها على العلوم العقلية. وأحيانا يكون الاقتباس من أوله ثم يقال إلى آخره دون ذكر المتن كله[٣].

ويكون الشرح لتركيب الجملة وعطف ألفاظها بعضها على بعض والدخول فى حركة المتن، ومنطقه الداخلى، بداياته ونهاياته، بواعثه ومقاصده، أسئلته وأجوبته من أجل البحث عن وحدة الموضوع سواء ما وقع أو لم يقع، عن قصد أو عن غير قصد. كما أن الشرح يكشف إشكال المتن وكيفية الإجابة عليه. ويتم الرجوع إلى السياق العام. ويظل الشرح فى تركيب الجملة وبنية العبارة بعد الإعراب[٤].

---

(١) الكافى جـ١ (٤)، جـ٢ (١٠)، جـ٣ (٢٠)، جـ٤/ (٣). العبارة الشارحة، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٠٧/١١٤. العبارة الشارحة فى الجزرى "معراج المنهاج" جـ١ (٦٦)، جـ٢ (٥٠). الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١ (٦٢)، جـ٢ (٦٩). الإبهاج فى شرح المنهاج: العبارة الشارحة (٩٢). مناهج العقول "أى" (٨٠٠) وهى أكثر آليات الشرح استعمالا. شرح مختصر المنار ص٥-٦.

(٢) الكافى جـ٧٩٨/٧٥٦/٢، جـ١٠٧٧/٣. شرح مختصر المنار ص٣٠.

(٣) الكافى جـ١٥٢/١. شرح مختصر المنار ص٥.

(٤) الكافى جـ١ (١٣)، جـ٢ (٢٠).

يتم الشرح إذن بالسياق، سياق الكلام، ووضع العبارة الصغيرة فى سياق الكلام الأعم[1]. رد صدر الكلام على الأحوال. فالمتن "راجع إلى المذكور قبله". وقد يكون السياق العمل كله، السابق واللاحق تأكيدا على وحدة الرؤية. وقد يكون السياق نصيا، وضع النص فى إطار النصوص الأخرى. وقد يكون تاريخيا، وضع النص فى إطار تاريخه السابق واللاحق[2].

ويحيل الشرح إلى المتن نفسه، شرح النص بالنص كما هو الحال فى علوم التفسير، شرح القرآن بالقرآن. مهمة الشرح حينئذ تجاوز شرح اللفظ باللفظ، واللفظ بالعبارة الشارحة، والعبارة بمزيد من المعلومات التفصيلية بل أيضا بالموضوع نفسه فى نصوص أخرى عودا على بدء[3]. فالسياق هنا سياق الموضوع كله من خلال النصوص المجمعة[4]. وقد يكون السياق خارج النص فى الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التى دون فيها النص وهو السياق بالمعنى الشائع[5]. ويبدو ذلك فى وصف والمذاهب تاريخيا بعد أن ذكرها المتن فكريا.

٥- اتساق الفكر. ويقوم الشرح بمراجعة فكر النص، مقدماته واستدلاله ونتائجه. فهو دراسة شاملة للنص لوضعه فى إطار أعم ولتصحيح أحكامه. لذلك ترد لازمة "وفيه نظر"[6]. وقد تكون المقدمات مجرد شبه يلزم توضيحها. يبين الشرح مقدمات النص، وهى الأسس التى يقوم عليها الفكر ويبدأ منها الاستدلال. فإذا وضحت المقدمات استقام الاستدلال، ووضحت النتائج. وقد تكون المقدمات من الشارح تمهيدا للشرح وتأسيسا له. وتتسلسل المقدمات، واحدة تلو

---

(١) السابق جـ٢ (٣)، جـ٣ (١٠). شرح المنار: السياق (٣).

(٢) الإبهاج فى شرح المنهاج: السياق النصى (٥).

(٣) الكافى جـ١/٢٣٥/٢٤٠/٢٩٤، جـ٣/١٢٤٦، جـ٣/١٥٩٢/١٦٠٦.

(٤) فواتح الرحموت جـ١/٣٥٠.

(٥) السابق جـ١/٣١٦/٣٥٦.

(٦) الكاشف جـ١/١٣٢. "لما فرغ من ذكر الدليل على ما ادعاه، شرع فى الاعتراض فمنع المقدمة القائلة أنه إذا صدق عليه انه ليس بضارب فى الحال يصدق عليه أنه ليس بضارب"، جـ٢/٩٦. "وإذا ثبتت هذه المقدمة نقول"، جـ٢/١٠٩. "ولنقدم على تحقيق ما اختاره المصنف مقدمات لابد منها"، جـ٢/٣٠٠. بيان المقدمة الأولى جـ٢/٤٩٥. "إن هذا الدليل مبنى على أن الفعل يتوقف على داعية. وقد سبق تقديم الداعية وبيان التوقف"، جـ٤/٣٦. "إن هذا الدليل مبنى على قاعدة كلامية"، جـ٤/٣٨/٤٠. "إن هذا الدليل بناه المصنف على المذهبين جـ٤/٤٣. "إن القائلين بالتكرار شبها"، جـ٣/٢٩٦. شرح المنار: مسار الفكر (١٥)، الإبهاج فى شرح المنهاج: مسار الفكر (١٩). "إن المصنف رتب الكلام فى صيغ العموم وبيان كونها دالة على الاستغراق بالتفسير المذكور على فصول أربعة"، جـ٤/٢٤٨. "إن ترتيب الكلام المستفاد من علم النظر.."، جـ٤/٢٩٩. نهاية السول جـ١ (٣)، جـ٢ (١٢). ابن الفركاح: شرح الورقات ص١١٦/١٣٢-١٣٤. الجزرى: معراج المنهاج جـ١ (٣١)، جـ٢ (١٥)، الأصفهانى: شرح المنهاج، مسار الفكر جـ١ (٢٩)، جـ٢ (٢٦).

الأخرى بعد إيضاح كل مقدمة. وقد تكون مشتركة بين المستدل والمعارض. قد لا تكفى المقدمات وتكون فى حاجة إلى مقدمات أخرى(١). وقد تستبدل بالمقدمات مقدمات أخرى أكثر وضوحا وقدرة على الاستنتاج منها والاستدلال بها(٢).

وقد يقوم الشرح بوصف مسار الفكر، مقدماته ونتائجه، بداياته ونهاياته، منطلقاته وغاياته(٣). وقد يكون ذلك فى فقرة كاملة قبل بداية الشرح. وفى هذا الحال يكون الشرح للبنية التى لم تمس، وأخذت على أنها حقيقة مسلم بها، دون التساؤل حولها أو إمكانية إعادة بنائها أو تغييرها. وقد يكون المسار للعصر كله أى الفكر من خلال الزمان والتاريخ والإشارة إلى أهل كل زمان ومدى استعمالهم لهذا الأصل أو ذاك من أصول الفقه(٤). وينتهى الشرح إلى نتائج مستقاة من المقدمات بعد إحكام منطق الاستدلال وكما هو الحال فى المنهج الرياضى. ومن ثم يستحيل التناقض والاستحالة. وتندفع الإشكالات بأسرها(٥).

---

(١) "فإذا اتضحت هذه المقدمة فنقول"، الكاشف جـ١/٢٨٤. "إن دليل الخصم له مقدمات"، السابق جـ١/٢٣١. "وهذه المقدمة ضرورية.:."، السابق جـ/٣٣٣. "وبيانه هو أن دليل المعجزة له مقدمتان"، جـ١/٣٣٨. "وإذا صحت هذه المقدمة"، جـ٢/٢١٢. "فهذه مقدمات ثلاث لابد منها"، جـ٣/١٨٨. "من جملة مقدمات هذا الدليل"، جـ٣/٢٣٠. "فلنقدم عليه مقدمة كاشفة عن حقيقة المفهوم"، جـ٣/٣٥٢. "بقى الكلام فى شرح المتن فلنقدم عليه مقدمات"، جـ٤/١٥٣. "ولنقدم على هذا الكلام مقدمة فنقول.."، الكاشف جـ٢/١٠. "وإذا اتضحت هذه المقدمة"، جـ٢/١٠. "وإذا اتضحت فائدة المقدمة التى قدمها"، جـ٢/٥٧. "ومن المعلوم أن هذه المقدمة وحدها لا تفيد المطلوب فقد بان سقوط السؤال"، جـ٣/١٣١. "لابد من تقديم مقدمات على الخوض فى العموم"، جـ٤/٢٠٧. "فهذه المقدمة مشتركة بين المعلل والمعترض"، الكاشف جـ٢/٩٩. "فيه تفصيل" جـ٤/٨٢. شرح المنار: الاستنتاج (٣٤). مناهج العقول: النتائج (١٠).

(٢) "إن هذا منع للمقدمة القائلة بأن فعل الشىء مشروط بالعلم به وتوجيهه"، جـ٤/١٠٧. "ما ذكره المصنف من مغالطة شبيهة بالبراهين. وحل المغالطة ليس بالنقص بل ببيان فساد مقدمة من مقدماتها كما فعلنا"، جـ٤/١٥٨. "لابد من تقديم مقدمة على شرح المتن فنقول"، جـ٤/٢٩٢. "إن التحقيق أن نبين فساد مقدمة من مقدمات الدليل، والمعارضة هى الدليل الدال على نقيض ما ذكره المستدل أو ضده. والنقض أن توجه على مقدمة من مقدمات الدليل. فهو معارضة فى المقدمة وإن توجه بعد تمام مقدمات الدليل وسلامتها عن المنع والمعارضة. فهو معارضة فى الحكم"، جـ٤/٣١١-٣١٢. "إن فيما ذكره المصنف منع لمقدمة من مقدمات الفرق فلا يتجه منعه أصلا لما ذكرنا أن المنع لا يستقيم"، جـ٤/٤٧٧. "بيان هذه المقدمات ظاهر"، جـ٥/١٠٠.

(٣) الكافى جـ٢/٦٣١، جـ٣/١١٥٣/١١٩٤/١٣٩١/١٤٤٨.

(٤) "لما كان أهل الزمان يستعملون القياس"، الأصفهانى: شرح المنهاج جـ٢/٧٤٧.

(٥) "وقد اتضح مما ذكرناه أن وجوب القضاء إنما يعتمد انعقاد سبب وجوب الأداء، لا وجوب الأداء، وذلك هو المطلوب، وبه يفسد قول من قال: وجوب القضاء يعتمد على وجوب الأداء"، الكاشف جـ١/٢٩٠. "وذلك محال"، الكاشف جـ٢/٨٨. "وذلك هو المطلوب"، جـ٢/١٤٤، جـ٣/٤٣٢. "فالحاصل أن أحد الأمرين لازم"، جـ٢/٥٤٤، "والحاصل"، جـ٦/٢٦٩. "إن هذه الوجوه معارضة فى حكم المسألة"، جـ٤/١٠٩. "أما المعارضة=

يكـون الشـرح إذن بيانـا لمسـار الفكـر، وتوضيحـا لمنطـق الاسـتدلال فـى النـص المشــروح. لذلـك يكـثر اسـتعمال لفـظ "البرهـان" و"الدليـل"[1]. ويمكـن قــراءة الدليـل علــى نحــو آخــر وتوضيحه وبيان وجه الاستدلال فيه فيما يتعلق بأنماط السلوك. كما يتم توضيح المقدمـات التـى يستند إليها الدليل. وقد يكون الدليل واضحا ولكـن الشـرح يعطيـه مزيـدا مـن الإيضـاح. ويسـير مع الأدلة المثبتـة والنافيـة، المؤيـدة والمعارضـة ومـا لا دليـل عليـه يجـب نفيـه[2].ويتـم تفصيـل الدليل وبيان مكوناته ومراجعة كل منها حتى يصبح أكثر إحكاما[3]. ويتـم بيـان وجـوه الدليـل، وأوجـه الاسـتدلال[4]. يبـين الشـرح مسـار الفكـر وطـرق الاسـتدلال فــى النــص ويــبرز أوجــه الاسـتنباط ومقدمـات القيـاس ونتائجـه[5]. لذلـك يذكـر لفـظ الدليـل والأدلـة والاسـتدلال وفعــل

=الثالثة والرابعة فظاهرة غنية عن الشرح"، جـ٤/١١٠. "وذلك ممنوع فاندفعت الإشكالات بأسرها"، جـ٤/٢٤٨. "وإذا ثبت ذلك فلا يمكن أن ينطق التحريم والتحليل بالأعيان فخـرج اللفـظ عـن ظـاهره وبـاقى الكـلام ظـاهر"، جـ٥/٥٦.

(١) لو كان كذلك لما افتقر إلى إثباته إلى البرهان"، جـ٤/٤٤٩. "إن ما تمسك به المخالف لا دلالة له على محل النزاع أصلا"، جـ٥/٥١٣. "فإنه ليس فى كلام المصنف عن الأدلة ما يقتضى المكنة من اجتناب المنـهى عنـه باجتنـاب أى فرد كان.. وربما افتخر بذكر هذا الكلام المجرد واتجاهه على المصنف"، جـ٥/٢٩.

(٢) الكاشف جـ١/١٧٦-١٧٧، جـ٣/٤٥٠-٤٥٢. "ولننظر الآن فى أدلة المثبت والنافى"، جـ٦/٥٩٢. "والدليل علـى ذلك"، جـ٢/٢٥/٩٤. "والدليـل عليـه"، جـ٢/١٢٥، جـ٤/٢٤٢/٤٠٨/٥٧٢. "وحـاصل الدليـل"، جـ٦/٤٦٣. "والدليل عليه"، جـ٦/٥٩٥. "وأما الدليل الذى ذكـره فلنشـرحه أولا ثـم نبـين مـا فيـه مـن الخلـل"، الكاشـف جـ٢/٩١. "إن تمام إيضاح هذا الدليل"، جـ٣/١٩٩. "هذا شرح هذا الدليل وهو ضعيـف"، جـ٤/٣٦. "اعلـم أن هذا الدليل واضح بأسئلته وأجوبته إلا أنه يحتاج إلى تنبيهين"، جـ٤/٦١. "إنه يمكن تقرير هذا الدليل على وجه آخر"، الكاشف جـ٣/١٧١. "إن هذا الدليل يفيد أن الأمر للوجوب"، جـ٣/٢٠٧. "إن هـذا الدليـل مبنـى علـى القول بجريان القياس فى اللغة"، جـ٣/٢١٢. "إن هذا الدليل مركب من مقدمتين"، جـ٣/٢٢٠. "إن هذا الدليـل يعود حاصلـه إلى أن ثبوت الحكـم فـى إحـدى الصورتـين"، جـ٣/٤٦٣. "إن هـذا الدليـل ظـاهر، وهـو قيـاس استثنائى"، جـ٣/٤٤٧.

(٣) "إن هذا الدليل مبنى على مقدمات"، جـ٤/٣٠. "وإذا عرفت هـذه المقدمـات فقـد عرفـت..."، جـ٥/٢١٠. "إن الدليل المذكور مبنى على مقدمتين"، جـ٦/٤٧٦.

(٤) شرح المنار: الدليل (٢). الكاشف جـ١/٢٣٩. "إن هذا الدليل واضح غير أنا نزيده إيضاحا وتقريرا"، جـ٣/٢٣٢، جـ٤/٤٨. "لما فرغ من المعارضة فى المقدمة عارض حكم المسألة بوجوه وهى ظاهرة فـى الأصـل إلا الوجـه الثـانى والثالث فنقول.."، جـ٤/١٢. "إن هـذا الكـلام معارضـة فـى حكـم المسـألة وبيانـه أن تقـول"، جـ٤/١٣٢. "إن المصنف تمسك فى إثبات هذا المطلوب بدليلين"، جـ٤/٢٧٣. "إن هذا هو الدليل الثالث الدال على أن صيغة ما للعموم ووجه الدلالة"، جـ٤/٢٨٦. "إن المصنف أجاب عن الوجوه العقلية بالنقض بأصل التكليف. وهـو واضـح. والتكليف واقع باتفاق نفاه القياس والقائلين به"، جـ٦/٣٨١.

(٥) "إن هذا الدليل مبنى على مقدمات"، جـ٤/٣٠. "وإذا عرفت هـذه المقدمـات فقـد عرفـت..."، جـ٥/٢١٠. "إن الدليل المذكور مبنى على مقدمتين"، جـ٦/٤٧٦.

يدل[1]. ويستكمل الشارح أشكال الاستدلال النظرى حتى يكون المتن أكثر إحكاما.

وقد يكون المسار فى أول الكتاب وصفا للأبواب والفصول والترابط بينهما. فالمسار وصف للبنية، والبنية مسار بلا حركة[2]. وقد يكون الغالب على أسلوب الشرح هو وصف المسار أى بيان منطق الاستدلال. تبدأ العبارة بحرف "لما..." ونادرا ما تكون هناك بدايات خارج هذه الصيغة[3]. ويكشف الشرح عن "خيال الدور" أى الدور المنطقى فى الاستدلال فى الصلة بين المعجز العقلى والتصديق القولى[4]. كما يبين مسار الفكر واتجاهه إما عن طريق القياس وإما عن طريق مقدمات أخرى تستلزم منها نتائج أخرى[5]. ويبين الشرح مسار الفكر من السؤال إلى الجواب، ومن المسألة إلى الحل[6].

٦- **تعليل الحكم.** وإذا كان النص فصلا من أصول الفقه يبين الشرح الانتفاع به. فالشرح يعطى الغاية بحروف العلة مثل لام التعليل. والتعليل بالعلة الغائية بيان القصد والهدف. فالعلة الغائية هى العلة الفاعلة بالأصالة. فلفظ "لأن الغرض" لا يعنى العلة الفاعلة بل العلة الغائية. وقد يكون بالفاء للتعاقب، وترتيب شىء على آخر[7]. وقد يقدم الشرح التعليل "لماذا قال المصنف ذلك؟ ولماذا أخذ هذا الموقف؟ ولماذا أصدر هذا الحكم؟ ويكون التعليل بحروف العلة المعرفة

---

(١) شرح الورقات ص٢٠-٢٣/٢١. نهاية السؤل جـ١/٥١/١٠٣/١٣٢. ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٥٥/٢٧٩/٣٢٦/٣٥٢. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٩٢/١٩١/٢١١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الاستدلال، الدليل (١٢).

(٢) "لما كان الخوض فى العلم مسبوقا بتصوره قدم تعريف أصول الفقه على مباحثه"، جـ٢/٦٧٤.

(٣) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى، مثلا ص١٢٣/١٣٢-١٣٣/٢٠٧. وأيضا "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج. تيسير التحرير جـ١/٢١٥. نشر البنود على مراقى السعود جـ١/٢٠٧. فواتح الرحموت: مسار الفكر جـ١/٣٩٥، الاستنتاج ص٣٤٦، إكمال الاستدلال النظرى جـ١/٣٤، البرهان العقلى جـ١/٦٧.

(٤) "وإنما نشأ خيال الدور من كون المعجز العقلى أفاد مما يفيد التصور القولى. وهذا وهم لأن اشتراك المختلفين بالحقيقة فى بعض العوامل لا يوجب اشتراكهما فى الجميع"، جـ٦/٢٣. "إن هذا الكلام ظاهر، والدور ممنوع"، جـ٦/٥٧٢.

(٥) "إن هذا الجواب يتجه اتجاها تاما. أما إذا كان الوجه الذى هذا جوابه مقررا بطريق القياس، وهو ضعيف، فقد نبهنا على ضعف مثل هذا القياس وإما إذا قرر الوجه الذى هذا جوابه بالطريق الذى ذكرناه فلا يتم هذا الجواب إلا بضم مقدمة أخرى إليه"، جـ٤/٧٤.

(٦) "إن المصنف أجاب عن قوله أمر الرسول..."، جـ٤/٩٣.

(٧) السابق ص٣/٥-٧/٩/١٠/١٤/٢٣. "ولأجل هذا"، نهاية السول جـ٢/٧. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٩٨/١٢١/٢٠٣/٤٩٢. مناهج العقول: التعليل (٥٠). وفواتح الرحموت مملوء بالتعليل.

خاصة "لأن". فالعلة هنا هى العلة الفاعلة أو المؤثرة[1]. وتبدو ألفاظ التعليل مثل "لأن"، "فـإن"، "لما أنه"...الخ. وقد يذكر اللفظ مباشرة، التعليل أو السبب، بناء على "وهذا علة"[2].

ويذكر الشرح التعليل للحكم بعد أن تركه النص غير معلل. فالحكم بـالكفر علـى أحـد لأن به إنكار للشرائع كالصلاة، والعلم هو العلم النافع لأنه وسيلة للعمل، والعلم مقصـود لأنـه ابتـلاء وتقديم الصحابى لأنه قريب من الرسول، والتقييد بأحكام الشرع لأن فيه عبرا وأمثـالا وإخبـارا. فى هذه الحالة يكون التعليل اعتذارا للمتن وتبريرا له وبيان وجه الاحتراز فيه. ويمكن المصادقـة على تعليل المتن دون إعطاء تعليل جديد[3]. وقد يكون التعليل لمسار الفكر احترازا عن شىء[4].

وقد يركز التعليل على النتائج الناشئة عن المقدمات[5]. واتساق القول "فيستقيم حيث إطلاق القول". فالعلة هنا أقرب إلى الحد الأوسط المشـترك بـين المقدمـة الكـبرى والمقدمـة الصغـرى فـى القياس. ومن النتائج المستنبطة ما يعلن عنها فى الشرح بلفظ فائدة، فائدة جليلة، فوائد[6].

وتكون العلة غائية عندما يبين الشرح قصد الفكر، وهدف النـص، وغايـة المؤلـف. فـالفكر قصد واتجاه. وهو الذى يحدد اللفظ والمعنى والشىء. وهى قدرة علـى تحليـل النـص كقصـد فـى وعى المؤلف أولا قبل أن يتحقق فى النص. وقد يكون القصد إيجابا أم سـلبا، مـا يقصـده النـص المشروح أو ما لا يقصده، ما يريده مؤلفه وما لا يريده[7]. الموضوع قصد فـى الشـعور، ومسـار فـى

---

(١) الكاشف جـ١/١٢٩/١٧٠.

(٢) الكافى جـ١ (١٩)، جـ٢ (٥٠)، جـ٣ (٦٥)، جـ٤ (٦). ابن الفركاح: شرح الورقـات ص١١٧/١٥٩/١٩٢/٢١١/٢٢٣/٢٢٨/٢٤٠. شرح المنار: التعليل (١٧٩). الإبـهاج فـى شـرح المنـهاج: التعليـل (٥). شـرح مختصـر المنـار ص١٠. شرح المنار ص٢٤٣/٤٣٩.

(٣) الكافى جـ١/٢٠٩.

(٤) السابق جـ (٧)، جـ٣ (٤). نهاية السول جـ١/١٠٢، جـ٣/١٠٨٣/١٣٠٧/١٤٨٧/١٥١٣.

(٥) الكافى جـ٢/٦٠٦/٧٧٦، جـ٣/١٥٣٣.

(٦) نفائس الأصول: فائدة، فائدة جليلة، فوائد (٣٠٢).

(٧) الكاشف جـ١/١٣١. "اعلم أن هذا الفصل مقصود لبيان أن الحاجة داعية إلى تعريف العلم والظن والنظـر والحكـم الشرعى والدليل والإمارة"، السابق جـ١/١٥٥. والمقصود فى هـذه المسـألة جـ٢/١٢٢. "إن الغـرض المقصـود مـن المسألة"، جـ٢/٣٢٧. "إن المقصود فى هذه المسألة بيان الفرق بين المطلـق والعـام"، جـ٤/٢٤٢. "اعلـم أن المـراد بـ"غيرهما" ما عدا النسخ والاستثناء من أنواع التخصيصـات بـالأمور المنفصلـة علـى مـا سـيأتى بيانـه مفصـلا". جـ٤/٣٩٥. "إن المقصود فى هذه المسألة"، جـ٤/٣٩٦. "المراد بقوله.."، جـ٤/٥٦٠. "اعلم أن المراد من الفعل مـا هو حقيقة وليس المراد منه الفعل الصناعى"، جـ٥/٦٢. نهاية السول، جـ١/٣٨٤. ابن الفركـاح: شـرح الورقـات ص١١٦/١٢٤/١٦٠/٣٥٥. الجـزرى: معـراج المنـهاج جـ١/٤٨/٨٠/٢٣٥/٢٤٣، جـ٢/١٤٧/١٥٢. شـرح المنـار: الإرادة والقصد (٢١). الإبهاج فى شرح المنهاج: القصد (٧). مناهج العقول: القصد (٤٠).

الفكر. لذلك كثرت ألفاظ الإرادة والقصد مثل "يريد"، "يقصد" وأيضا أسماء "غاية" أو "غرض"[1].

٧- **تعيين الشيء وضرب المثل.** والشرح إظهار لإحالات حروف العطف مثل "الواو"، وأسماء الإشارة مثل "هذا"، والصلة مثل "الذى"، وصفات الملكية مثل "الهاء"[2]. فهذه أى الثلاثة، والأولان هما كلمة كل وكلمة من، وهذا أى الأصل. وإذا تمت الإحالة إلى ما تقدم يعينه الشرح بأنه عمل الراوى وتعيين "سرف" بأنه جبل فى طريق المدينة. وإذا تحدث المتن عن القسم الثانى يعينه الشارح بأنه التأييد الذى ثبت دلالة. والثالث هو الواضح، والثانى نسخ الكم، والثالث نسخ التلاوة، والصيغة هو الإعجاز، وما ذكر هو جواز الصلاة.

وقد يكون التعيين للموضوع أو للوجوه أو للغرض[3]. ويكون التعيين بمزيد من التعريف بصاحب النص المشروح مثل "الورقات" للجوينى، نسبه ولقبه ومولده ووفاته وأساتذته وتلاميذه ومؤلفاته[4].

والشرح إظهار للمضمر، والنطق بالسكوت عنه مثل "الذى جرى به القلم" وشرحه أهمية الأسلوب واختيار الألفاظ. و"ربنا المجازى" لمن جاهد لقطع عروق الضلال وحرض المؤمنين على القتال. والشارح على وعى متى يصرح المتن "من قبيل التأييد الصريح فى الاستعمال". فالنص يوجب حكما[5]. كما أن الشرح يكون للأسلوب وليس فقط للمضمون مثل "هذا توسع فى العبارة" من أجل التدقيق فيه، وقد العبارة على قد المضمون[6].

وقد يكون الشرح إكمالا للاسم مثل "عبد المجيد" فيضاف خان أو تحديدا للمؤلف مثل المنار لحافظ الدين عبد الله النسفى أو للعلم فى علم أصول الفقه، والنعمان هو أبو حنيفة، ومشياخنا هما أستاذانا الإمام أحمد الطواويسى والإمام شمس الدين الحلوانى. ويعين الشاعر بأنه

---

(١) القرافى: نفائس الأصول، "يريد" (١٢). الجزرى: معراج المنهاج (٢٣). الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٤٤، جـ٢/٧٨٧. فواتح الرحموت: "التعبيران قصد.." جـ١/٦٤، "المقصود" جـ١/١١٠.

(٢) الكافى جـ٢ (٢)، جـ٣ (١٣). شرح مختصر المنار ص٤/٧.

(٣) الجزرى: معراج المنهاج، تعيين الموضوع جـ١/٣٨٧/٣٨٦/٣٩٤/٤١٢/٤٣٦. تعيين الوجوه جـ١/٢٠٦، جـ٢/٨٧/١١٦/٢٨٩. تعيين الغرض جـ١/١٢٩/٣٨٣. شرح المنار: تعيين الوجوه (٣). مناهج العقول: أسماء الإشارة (٢٠٠).

(٤) ابن الفركاح: شرح الورقات ص٧٧.

(٥) شرح مختصر المنار ص٤-٥.

(٦) الكافى جـ٢/٥٨١/٩٧٤، جـ٣/١٠٧٤/١٤٠٢، جـ٤/١٥٩٤. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٠٩. شرح المنار: إظهار المضمر (٣٠). فواتح الرحموت جـ١/١١.

رؤية. يكون التعيين بالشخص مثل اسم راو هو أبو الحسن البصرى وأبو سعيد هو الحزرى. والخطابية أى طائفة من الروافض، وتعيين المثبت بأنه النجاسة، والصحابة مثل الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى والشعبى[1]. مهمة التعيين الخروج من اللغة إلى العالم، ومن اللفظ إلى الشىء، ومن العبارة إلى الواقع. تحيل اللغة إلى العالم الخارجى كما هو الحال فى المعنى الاشتقاقى مثل "العرنيين" من "عرنة" وهو واد بحذاء عرفات[2].

يكون الشرح إذن بالتعيين وزيادة فى الوصف مثل "صحبه" الذين جاهدوا معه فى سبيل الله، ومحمد بآثاره وسيرته، و"سلطان الأمم" وهو ولى كل جماعة. ويكون الشرح للعنوان مثل الفقه الأكبر لشرفه، موضوعه وهى الذات الإلهية، ويتم شرح "ونحوهما" أى كقوم ورهط. وإذا ذكر التعطيل بيّن الشرح أنها فرقة المعتزلة. ويكون التعيين بالبعض أى بالجزء من الكل مثل بعض المتفقين. ويكون التعيين بالخاص للعام[3]. ويكون الشرح وصفا للشىء وتعيينا له. فإذا كان النص "ورقات" أضاف الشرح "قليلة"[4]. وقد يكون التحديد العينى بالتحديد الكمى من أن أكثر الحيض عشرة لا غير[5]. والمقدر هو المقدر بالكيل. ويكون بالحركة مثل الأرجل بالخفض[6]. ويكون بالموضوع والإشارة إليه وتكراره والتنبيه عليه[7]. ويكون بالشخص مثل: أبو على (الجبائى)، أبو الحسين (البصرى)[8]. وقد يكون بالشرط مثل "إذا" والغائية بحروف مثل "حتى" أو الاستثناء[9]. ويكون فى الزمان، مثل الطلاق فى الحال[10]. والشبهة فى الصدر الأول.

ويكون الشرح بضرب المثل على القاعدة العامة، فالقضاء مثل فعل اللاحق. ويكون المثال حكاية. ويضرب المثل من أجل توضيح الحكم. وهو نوع من التعيين. فأفعال الحج مثل الوقوف

---

(١) الكافى جـ١/١٥٥-١٥٦/١٧٣، جـ٣/١٣١١/١٣٦٢/١٣٦٥/١٤١٥، جـ٤/١٥٩٣. نهاية السول جـ٢/٢٤٤. شرح المنار: التعيين بالإحالة إلى الخارج (١٥١).

(٢) شرح المنار ص٢٨٩. الإبهاج فى شرح المنهاج: التعيين بالشخص (٢). شرح مختصر المنار ص٥/٦/١٧.

(٣) الكافى جـ١/١٥٧/٢٠٧/٣٤٣، جـ٣/٣٦٠/١٥٢٣. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٩٠/٢٠٧/٢١١/٢١٨/٢٤٥. شرح المنار: إكمال الوصف (٩). شرح مختصر المنار ص٤/٥.

(٤) السابق ص٣.

(٥) الكافى جـ٣/١٣٩٨/١٤٦٥/١٤٦٨. شرح المنار: التحديد الكمى (٢).

(٦) الكافى جـ٣/١٤٠٠.

(٧) مناهج العقول: التعيين بالموضوع (٤٠).

(٨) السابق جـ٢/٣٤٢.

(٩) الكافى جـ٢ (١٢)، جـ٣ (١٣).

(١٠) جـ٢/١٠٢٧، جـ٤/١٦١٥. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٢٧٨. شرح المنار: تحديد الشرط والاستثناء والغاية (٤٩).

والطواف والسعى والرمى، وصفاتها كيفية هذه الأفعال، ومعيارها خلاف الصوم، ومثل تحريم نكاح ما نكح الآباء، وبيع الملاقيح والمضامين. المثل إضافة وتوضيح، جمع بين العام والخاص. والاسم المطلق هو اسم الصلاة، والشرط هو تعيين النية. وشرط الرخصة هو حقيقة العجز، والنذر هو النفل، وأشهر الحج من هذا العام، والخلل فى ركن العقد هو الإيجاب والقبول، وفى محله هو المبيع، والمشترى قد يكون غاصبا، والحكم يتعلق بالحرية[1]. ويضرب الشرح المثل إذا كان المثل مجردا لمزيد من التوضيح[2]. وتتكاثر الأمثلة من أجل التوضيح، وتفصيل العام إلى الخاص، فالقواعد الأصولية استقراء معنوى من جزئيات الشريعة[3].

وقد يكون المثل حكاية طويلة أو قصة تاريخية، وقد يكون قولا أو فعلا أو افتراضا أو مثلا فقهيا. وقد يكون من الشعر[4]. يكون المثل فقهيا نظرا لارتباط علم الأصول بالفقه وليس مثلا عقليا من افتراض الذهن. وقد يكون المثل من الأصول، والمادة أصولية من أجل إكمال المادة العلمية لإعطاء الصورة الكلية. فالنص تركيز والشرح إسهاب. ومن ثم يصبح النص الأصولى نصا وشرحا نصا كاملا وافيا شاملا[5].

سادسا: الأدلة العقلية والنقلية.

١- الأدلة النقلية. ويضيف الشرح الشواهد النقلية من آيات وأحاديث لتقوية النص وإرجاعها إلى مصادره[6]. فالوجوب مخالفته تقتضى العقاب مثل ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تعيهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾. ويرجع الشارح الخلاف فى الآراء إلى خلاف فى تفسير الآيات. وأحيانا يتم شرح الدليل بصيغة أكثر تجديدا من المتن وأقل وضوحا منه[7]. وقد لا

---

(١)-الكافى جـ١ (٢)، جـ٢ (٢٠)، جـ٣ (١٦)، جـ٤ (١). شرح مختصر المنار ص١٢.

(٢) نفائس الأصول ص٣/٥-٨/١٠-١٥/١٩-٢٠/٢٢.

(٣) السابق جـ١/١٣٠/٣٢٨، جـ٤/٥٠٠، جـ٦/٥٢٥/٦٠٢.

(٤) السابق: ضرب المثل (٣). ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢١٢/٢٣٨. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٣٩/٤١/٥٦/٨١. شرح المنار: ضرب المثل (٧٤). مناهج العقول: ضرب المثل (٩٠).

(٥) السابق ص٦-٩.

(٦) لم نشأ نعطى إحصائيات عن عدد الآيات والأحاديث المضافة فى كل الشروح على النصوص وقياس مقدار الزيادة حتى لا يُغالى فى منهج تحليل المضمون. وأحيانا يتوقف الإحصاء الكمى عن إعطاء أى دلالة كيفية أكثر من الملاحظة الرئيسية.

(٧) الكافى: جـ١ (٢)، جـ٢ (٢٢)، جـ٣ (٤٧)، جـ٤ (٣). أمثلة من النقل، ابن الفركاح: شرح الورقات، حديث (٩٤)، آية (٧٧). الجزرى: معراج المنهاج، آية (٢١٠)، حديث (١١٨). الأصفهانى: شرح المنهاج، آية (٢٠٦)، حديث (١٠٣)، الآثار (٢١). ابن نجيم: فتح الغفار بشرح المنار، آية (٢٣)، حديث (٦). شرح=

تذكر آية بأكملها بل نصفها فقط لإكمال النصف الأول المذكور فى المتن[1].

ويكون ضرب المثل بالحجج النقلية زيادة فى مادة الشرح، خاصة الآيات كرصيد أول ثم الأحاديث كرصيد ثان[2]. وتضاف الآية إلى الشرح كمثل أو مصدر أو أصل. وتكثر الحجج النقلية وتتوالى تباعا فى وقفة واحدة، تأليف محتبس فى قناة واحدة، دفعة فى تيار واحد مثل آيات الناسخ والمنسوخ[3]. وعلى هذا النحو يعود علم الأصول إلى أحد المصادر التى نشأ منها وهى علوم القرآن أو علم التفسير. فقد كان أصول الفقه فى المصدر الأول وفى كثير من مباحث الألفاظ تنظيرا للقرآن مثل "أحكام القرآن" للجصاص، وكما كانت "الرسالة" تنظيرا لمناهج السنة فى الرواية والقرآن فى البيان. لذلك كثر الرواة والمحدثون والمفسرون والصحابة والتابعون بدلا من الأصوليين. وطغى السند على المتن[4].

واستمرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مادة غزيرة للشرح كمعين لا ينضب متوافرا دائما فى الموروث الثقافى. والآيات أكثر من الأحاديث. وتتوالى فى الشرح آية وراء آية مادام النبع فياضا[5]. ويكمل الشرح الآية أو الحديث ثم يضيف عليهما آيات وأحاديث أخرى.

وبطبيعة الحال تزيد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار فى الشرح عنها فى المتن[6]. كما قد يكون النقل حوار أو خبرا أو حكاية. وتكثر الحجج النقلية من الآيات

=مختصر المنار ص١٠-١٢/١٤-١٦/١٩/٢٣-٢٦/٢٩-٣٣. شرح المنهاج، آية (١٣٥)، حديث (٤٨). الإبهاج فى شرح المنهاج، آية (٦٨١)، حديث (٢٠١). مناهج العقول، آية (٣١٩)، حديث (١٦٢). التحقيقات فى شرح الورقات، الآيات (١١١)، الأحاديث (٦١). شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، الآيات (٣٦٥)، الأحاديث (١٥٥).

(١) فواتح الرحموت جـ١/٦٥/٤٠٨.

(٢) السابق ص٦/٩-١٢.

(٣) شرح الورقات ص١٥.

(٤) مثل شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ)، (جزءان).

(٥) الكاشف: الآيات (٥٦٩)، الأحاديث (١٤١). نهاية السؤل جـ١/٣٨٠. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى: الآيات (٦٤)، الأحاديث (١٢). التقرير والتحبير: الآيات (١٣٩٠)، الأحاديث (٢٥٧). فتح الغفار: الآيات (٢٦٥)، الأحاديث (٧٠). فتح الودود على مراقى السعود: الآيات (١١٠٠)، الأحاديث (٢٠). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: الآيات (٢٣٣)، الأحاديث (٥٠). فواتح الرحموت: الآيات (١٦٢)، الأحاديث (١٠٨).

(٦) الكافى شرح البزدوى للسنغاقى: الآيات (٣٤١)، الأحاديث (١٧٩)، أفعال الرسول (٢٠)، الآثار (٢٢) عمر (٦)، على (٤)، ابن مسعود (٣)، ابن عباس، أنس، عائشة (٢)، مجاهد ابن عمر، أبو بكر (١)، الأمثال (٨). "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى: الآيات (٤٥٠)، الأحاديث (١٩٥).

والأحاديث فى كل الشروح. فهى مادة موفورة من أجل التجميع والزيادة.

ويقوم الشرح بمراجعة الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث اعتمادا على علم التفسير وعلم مصطلح الحديث للتحقق من حسن الفهم والتأويل للآيات، وصحة الروايات للأحاديث. ويتم التحقق من حسن التفسير عن طريق تحقيق المناط ومعرفة الأفعال التى يصفها النص فى الواقع الخارجى. وقد يكون حسن التأويل عن طريق الألفاظ، وهى مباحث الألفاظ عند الأصوليين. ومن ثم أتت ضرورة بيان وجه الدليل النقلى[1]. كما يختلف الأصوليون فى فهم الآية بين العموم والخصوص أو الظاهر والمؤول[2].

كما يتم الاستشهاد بالأحاديث ووجه التمسك بها. وإذا خالف مذهب الراوى روايته أو إذا خالفها مذهب الصحابى أو التابعى فلمن الأولوية؟[3] فإذا كان الشرح من الحديث تمت الإضافة فى السند واختلاف الروايات من أجل إضافة مادة علمية، صولات وجولات فى لاموضوع، حول نقطة هامشية تفيد فى السجال أكثر مما تفيد فى الموضوع نفسه[4].

وتعتمد الشروح على المنقول أكثر من اعتمادها على المعقول. تجمع العلوم الأخرى من اللغة والفقه والتفسير حول المتن الشروح دون هدف أو غاية. وقد تكثر الحجج النقلية فى بعض الشروح مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" حيث تبلغ الآيات والأحاديث بالمئات والشعر بالعشرات. تقل الشواهد النقلية فى المتن وتكثر فى الشرح. فالقرآن والحديث مادة خصبة فى الشرح[5].

وفى شرح الشرح تكثر الشواهد النقلية والحجج العقلية معا. فهو إسهاب فى الأدلة[6]. وتتفاوت زيادة أو نقصانا طبقا لطبيعة الموضوع. تقل فى القياس، وتزيد فى النسخ.

ومن آليات الشرح إضافة الأدلة النقلية على العقلية حتى تستكمل كل طرق الاستدلال أو

---

(١) "اعلم أنه لا إجماع فى هذه الآية"، جـ٥/٥٧.

(٢) "اعلم أن الآية الأولى عامة لأنها ذكرت بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام وهى للعموم والثانية خاصة". الكاشف جـ٤/٥٠٢، جـ٥/٥٠٩. "فيلزمه التخصيص"، نهاية السول جـ٢/١٨٣/٥٢٦-٥٢٧/٥٥٦. "وهذا ظاهر كلام القائل"، فواتح الرحموت جـ١/١٠٦.

(٣) "إن هذه الأخبار من باب الآحاد.. إن هذه الطريقة فيها نظر. وبيانه يتوقف على ذكر صورة الدليل مرتبة". الكاشف جـ٢/٤١٧، جـ٦/٩٨. فواتح الرحموت، التحقق من السند جـ١/١٧١/٢٧١/٣٥٩.

(٤) شرح الورقات ص١٧/٢٤.

(٥) تشنيف المسامع بجمع الجوامع للسبكى (جزءان): القرآن (١٨)، الحديث (٥).

(٦) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح: القرآن (١٧٣)، الحديث (٨٣).

استكمال الأدلة النقلية. وأحيانا تبدو الأصول الحنفية أكثر اعتمادا على العقل دون النقل وأقل اعتمادا على الحجج النقلية. ومع ذلك تكثر الروايات، ويزداد المحدثون والرواة وأسماء الصحابة والتابعين خاصة فى الشروح المتأخرة[1]. وذلك على عكس "التقرير والتحبير" المليء بالحجج النقلية.

٢- التجربة الشعرية. ويستشهد بالشعر لما كان الشرح ديوان العرب، فيه تفسير الكتاب. ويستشهد به فى موضوعات البخل. وقد كان الشافعى شاعرا لـه "الأم" كما لـه ديوان شعر. وأحيانا يذكر الشعر بصرف النظر عن الشاعر وهو الأغلب. فالشعر تجربة إنسانية عامة تبدأ بالشاعر وأحيانا أخرى يذكر الشاعر طبقا للرواية ونسبتها ومعظمهم من كبار الشعراء مثل المتنبى وأبى العتاهية والكميت وطرفة...الخ. ويقل الشعر كلما قلت الموهبة الشعرية والتذوق الفنى[2]. والشعر هو مقياس صحة فهم الشواهد النقلية بعد أن حل القرآن محل الشعر، مركزا للثقافة العربية. ويتم الاستشهاد بالشعر كما يتم الاستشهاد بالآيات والأحاديث[3]. وقد تحولت الآيات والأحاديث والأشعار إلى تراث شعبى ومخزون نفسى وثقافة يومية إلى حجة سلطة مثل النص المباشر[4].

ونظرا لأن الإبداع الشعرى هو الإبداع المستمر قبل الإسلام وبعده، وكما نظمت المتون شعرا

---

(١) وهذا واضح فى تيسير التحرير لأميرباد شاه. "والراجح عند العقل"، جـ١/١٤٦. إكمال الآية والحديث، جـ١/٣٥١/٣٨٢.

(٢) الكافى جـ١/١٥/١٦/١٧٣/١٧٨/٢٥٢/٣١٩/٣٣٠-٣٣١/٤٠٧، جـ٢/٧١٢/٧٤٥/٧٧٨/٨٦٤/٩٥٠/٨٣٧/٨٩٧-٨٩٨/١٠١٨، جـ٣/١٢١٦/١٤٦٠/١٨٢٩، جـ٤/١٥٧٨/٢٠٣٢، جـ٥/٢٠٣٣/٢١٧٩/٢٢٢٦. نهاية السول جـ٢/١٩٠-١٩١/٢٣٩/٢٤٩. نفائس الأصول: الشعر (٨٤). ابن فركاح: شرح الورقات، الشعر (٧). الجزرى: معراج المنهاج، الشعر (٧). الأصفهانى: شرح المنهاج، الشعر (٧). شرح المنهاج، الشعر (١١). الإبهاج فى شرح المنهاج، الشعر (٦٩). مناهج العقول، الشعر (٩)، "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى، الشعر (١١). شعر الشافعى جـ١/١٥٧/٣٠٧-٣٠٨. فتح الغفار، الشعر (١٥). فواتح الرحموت، الشعر (١٢). الولاتى: فتح الورود على طريق السعود، الشعر (١). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطى، الشعر (٣٠). شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، الشعر (١٣). نهاية السول جـ١/٧٧/٢٤٦/٣٨٠، جـ٢/٧٥. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى، الأشعار (٢). التقرير والتحبير، الأشعار (٥٤). جامع الأسرار فى شرح المنار للكاكى، الأشعار (١١).

(٣) "ينسب إلى عمر قوله "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منهم. فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم. وغفلت عن الشعر وروايته. فلما جاءت الفتوح واطمأنت العرب راجعوا رواية الشعر.."، الكاشف جـ١/٤٨٤.

(٤) الكاشف جـ٢ (٣٢)، جـ٣ (١)، جـ٤ (٢).

دون كثير من الشرح نثرا بكل مواصفات النثر من محسنات بديعية من جناس وطباق وتورية وقافية موحدة فى نهايات العبارات. وقد يكون الشعر تعليميا خالصا كما هو الحال فى المنظومات الشعرية النحوية والمنطقية والكلامية[1]. فالشعر هو الثابت فى الوجدان العربى. والصورة الشعرية هى الوعاء الثقافى وعليها قام النص الدينى.

٣- الأدلة العقلية. وقد يتضمن الشرح حجاجا وسجالا وردا على أسئلة من أجل إكمال العرض النظرى والتخفيف من المعارض العقلى خاصة بين المعتزلة والأشاعرة، والرد على حجج الخصوم، ومطالبته بالبرهان. وظيفة الدليل العقلى هو إعطاء الأساس النظرى للدليل النقلى الذى يرتكز أساسا على اللغة[2]. وترصد الحجج واحدة تلو الأخرى من أجل التأسيس النظرى أو من أجل تبديد المعارض العقلى[3].

يدخل الشرح فى المحاجة والسجال ورفض حجج المذاهب المعارضة. ويستدل على الحكم، ويرد على الاعتراض المسبق، ويحول الآية إلى دليل. ويقيم حجج الخصوم ما لها وما عليها،

---

(١) وذلك مثل: حياة وعلم قدرة وإرادة ∴ كلام وإبصار وسمع مع البقا
نهاية السول جـ٢/٧٥.
وجمع التكسير شعرا بأفعل وبأفعال وأفعلة ∴ وفعلة يعرف الأدنى من العدو
نهاية السؤل جـ٢/٣٩٤.

(٢) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٤/١١٤٢-١١٥٠. "اعلم أن الخصم احتج لمذهبه.."، الكاشف جـ١/٣٣٤. "احتج الخصم"، جـ٢/٥٤١. "إن هذا السؤال مع الجواب ظاهر غير أن بعضهم أورد عليه سؤالا فلنورده ونجيب عنه"، جـ٣/١٣١. "إن المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة، وانفصل عنها بأجوبة صحيحة"، جـ٣/١٥١. "إن هذه الأسئلة ظاهرة"، جـ٣/٢٥١. "إن هذه وجوه من المعارضة فى حكم المسألة فلنبسطها ثم نجيب عليها"، جـ٣/٢٦٦. "إن هذه المعارضات فى حكم المسألة"، جـ٣/٣٣٢. "إن المصنف أجاب عن المعارضة الأولى بأنه حكاية عن حال..."، جـ٣/٣٤٣. "إن المصنف أورد على نفسه أسئلة فقال"، جـ٣/٣٨١. "أجاب المصنف على السؤال"، جـ٣/٣٨٣. "إن هذه معارضات فى حكم المسألة"، جـ٣/٣٩٦. "إن الخصم تمسك بوجهين"، جـ٣/٤١٤. "إن المصنف أورد على دليله أسئلة ثلاثة"، جـ٣/٤٩٣. "إنه لم يجب المصنف على السؤال الأول إلا بإعادة الدليل المذكور.. والجواب على السؤال الثالث"، جـ٣/٤٩٥. "إن هذا الكلام هو معارضة فى الحكم"، جـ٣/٤٩٧. "إن هذا السؤال مع جوابه ظاهر"، جـ٣/٥٩٠. "إن هذه مطالبة ولابد من بيان توجيهها فنقول للخصم"، جـ٤/١٧٦. "إن المصنف أجاب عن المطالبة المذكورة بأن قال". جـ٤/١٧٩. "إن ما ذكره من المعارضة فى حكم المسألة ظاهر غنى عن الشرح فلنشرح الجواب فإنه محتاج إليه". جـ٤/١٨٧. "وجميع ما ذكره بعد هذا مندفع لما بيناه فى الشرح"، جـ٤/٤٧٦.

(٣) نهاية السول جـ١/٢٠، جـ٢/٢٥٨. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٤١-٤٢/٤٨/٥٠/٩١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الاعتراض والدليل والبرهان (٩)، الحجاج (٨)، شبه الخصوم (٣). نشر البنود على مراقى السعود: الاعتراض والرد (٢). فواتح الرحموت: السجال جـ١/٧٨/٩٣/١٠٧.

يذكر الشرح الحجج ويرد علـى الشـبهات[1]. وقـد يكـون الاسـتدلال لغويـا أو عقليـا أو شـرعيا. فالشرح يقوم على العقل والنقل[2].

ويبدو السجال فى أسلوب القيل والقال، وترديد حجج السابقين والدخـول فـى خلافاتـهم وسجالاتهم، وأخذ طرف دون طرف فى معارك القدماء. ويدل القيل والقال على كثرة الخلافـات فى علم الأصول والحجج والحجج المضادة[3]. ويرد على شبه الخصوم القوية، ويترك الضعيفة[4]. ويقل فى الأصول الحنفية أسلوب القيل والقال وأساليب الجدل والحجاج العقلى لصـالح التنظير العقلى المجرد. لذلك لا تستبعد مذهبا أو تقصى فرقة. ويفضل مدخلا منطقيا عقليا خالصا[5].

ويحاول الشـرح رفـع تعـارض الأدلـة[6]. ويبـين قـوة الاعـتراض وضعـف الإجابـة. وتكـثر الشروح عـرض المعـارض العقلـى بطريقـة "فـإن قيـل.." والـرد عليـه مسـبقا. ويتـم الحكـم علـى صحة الاستدلال أو خطئه بعد المراجعة على حجج المتن[7]. وأحيانا يندر الاعتراض على شيء[8].

ويبين الشرح أوجه الاستدلال الصحيـح. الاسـتقراء والبرهـان دليـلان صحيحـان، اسـتقراء جزئيات الشريعة فى قاعدة كلية يتم استنباط الأحكام منها[9]. ثم يقاس الدليـل العقلـى والدليـل

---

(١) الكافى جـ١ (١٣)، جـ٢ (٩)، جـ٣ (٤). الجزرى: معراج المنهاج جـ١ (١٠)، جـ٢ (٦).

(٢) "إما عقلا فظاهر وإما شرعا"، فواتح الرحموت جـ١/١١٥.

(٣) الكاشف جـ١ (٧)، منتهى السول جـ١/١٢. القيل والقال مثلا، القرافى فى نفائس الأصول فـى شـرح المحصـول جـ١ (٥)، جـ٢ (١٧).

(٤) "وشبهة الخصم ضعيفة وجوابها ظاهر فلا حاجة إلى شرحه"، جـ٤/٣٩٩. شرح المنهاج (٣٤). الإبهاج فى شـرح المنهاج: القيل والقال (٨). مناهج العقول: فإن قلت، قلنا أو قلـت أو أقـول (٧٢)، أقـول (١٣٠)، قولـه (٣٠)، قلنا (١٠).الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار (لم نشأ أن نقوم بتحليل مضمون فعـل القـول لخمسـة أجـزاء). وهو أسلوب شائع أيضا فى "التقرير والتحبير".

(٥) وهذا واضح فى "تيسير التحرير" لأميربادشاه وأيضا فى فواتح الرحموت جـ١/٤١٧.

(٦) "إنه تعارض الدليل القاطع... وتعارض قاطعين محال، فلابد من التوفيق بينهما. وطريق التوفيق.."، جـ٤/١٦٤. "إن هذه معارضة فى حكم المسـألة"، جـ٤/١٧٧. "والحـق أن هـذه الاعتراضـات قويـة وأجوبتـها ضعيفـة، وأن التعريف المذكور ضعيف. وكيف يتوقع أن يكون كاشفا بما هو خفى فى نفسه غاية الخفاء؟"، جـ٦/١٤٧. "وهذا الجواب ضعيف"، جـ٦/١٤٦. "إن المصنف عارض فى الحكم بوجهين"، جـ٦/٤٢٠.

(٧) "وأما قياس العكس فما ذكره أنه تمسك بنظم التـلازم وإثبـات لأحـدى مقدمتيـه بالقيـاس طـردا فـهو صحيـح"، جـ٦/١٦٢. "وهذا الدليل وجوابه يقتضيان أن الإمام يسلم أن ذلك إجماع وهو مناقض لما سيأتى مـن كونـه ليـس بإجماع ولا حجة"، نهاية السول جـ٢/٢٧٩. الجزرى: معراج المنهاج جـ١ (١٢)، جـ٢ (٤).

(٨) شرح المنهاج: الاعتراض (١).

(٩) "وهذه الطريقة عمدة المحققين"، الكافى جـ٦/٢٢٩. "إن معتمدنا التمسك بالاسـتقراء وهـو أنـه دل علـى تـلازم=

النقلى لمعرفة أيهما أقوى[1]. لذلك كثر استعمال لفظ الدليل. كما يستعمل لفظ البرهان وهو الدليل الشامل، الدليل عقلى نظرى والبرهان عقلى حسى، نظرى عملى، صورى تجريبى[2]. وتستعمل الحجج العقلية الخالصة أحيانا بما يفوق الحجج النقلية، وبالتالى يتأسس علم أصول الفقه على العقل الخالص أكثر مما يتأسس على النقل خاصة ولو كان الشارح معتزليا أو حنفيا[3]. وتظهر بعض الحجج العقلية حتى ولو زادت الحجج النقلية مثل الحجج العقلية لإثبات النسخ، وإثبات أحكام التكليف كأفعال قصدية وإثبات الإجماع[4]. ويكثر الحديث عن الاستقراء وهو أحد مناهج علم الأصول، استقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات وكما هو الحال فى علم القواعد الفقهية. وذلك قائم على إثبات الطبائع[5]. وهو أيضا علم الضروريات الدينية فالوحى والعقل والواقع نظام واحد[6].

٤- السؤال والجواب. وقد يأخذ الشرح أسلوب السؤال والجواب، الحوار مع الذات ومع الآخرين. الشرح حوار بين الشارح والمؤلف، تفاعل بين النص الشارح والنص المشروح[7]. وينص

=المصالح والأحكام الشرعية. والبرهان دل على أنه ليس كذلك بطريق الوجوب على ما سبق فى علم الكلام. فلزم أن يكون ذلك بطريق التفضل. ولا يقدح الفرق فيما صح بما ذكرنا من الاستقراء والبرهان"، الكافى جـ٦/٣٨١-٣٨٢.

(١) "واعلم أن الغزالى مال إلى طريقة التمسك بالآحاد واختار ذلك صاحب الأحكام. وكان صوابه أن يجيب عن أسئلة المصنف ثم يتمسك بالأحاديث واستضعف الغزالى طريقة العقل"، الكاشف جـ٥/٤٢١. الجزرى: معارج المنهاج، الدليل جـ٢ (١٠).

(٢) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٢٩٦، جـ٢/٧٨٣.

(٣) وذلك مثل: ابن نُجيّم: فتح الغفار بشرح المنار.

(٤) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٣ (٦). فواتح الرحموت: البرهان العقلى جـ١/٢٨٣.

(٥) "وهذا مخالف للضروريات البديهية"، فواتح الرحموت جـ١/١١٥.

(٦) وذلك واضح فى فواتح الرحموت. "وهذه مقدمة استقرائية"، السابق جـ١/١٨٥. "فليرجع حقيقة النزاع إلى النزاع فى وجود الطبائع"، السابق جـ١/٢٥٩. "وهذا مخالف للضرورات الدينية"، السابق جـ١/٢٠.

(٧) الكاشف جـ١/١٨٨/٢٨٢/٣٥٧. "إن المصنف أورد على المعارضة المذكورة أسئلة بأجوبتها ليس بواضح من كلامه فلنذكرها موجهة ثم نشرع فى الجواب عنها"، جـ٢/١٠٠. "هذا هو تحرير هذه الأسئلة"، جـ٢/١٠١. "المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة فلنذكرها بتوجيهها ثم نجيب عنها"، جـ٤/١٠. "إن المصنف أجاب عن هذا السؤال بأن قال.."، جـ٤/١٣١. "إن المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة يجب تحقيقها على الوضع الذى أذكره فإنه اللائق بقوانين علم النظر"، جـ٤/٢٦٧. "إن الجواب عن هذه الأسئلة واضح لا يحتاج إلى بسط القول فيه غير أنا نؤثر الجريان فى الشرح"، جـ٤/٢٧٠. "إن هذه المسائل واضحة الأدلة والأسئلة والجواب فلهذا تركنا بسط الكلام فيها"، جـ٥/١٢٨. مناهج العقول: أجيب (١٠). ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٢١. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٤٦/٧٨/٨٦/١٢٤.

على ذلك فى بداية الشرح كنوع أدبى مقصود. فلا يورد سؤال إلا إذا كان حقا ولا جـواب لـه أو له جواب غامض. ولا تذكر الأسئلة الضعيفة حتى لا يتسلسل السؤال والجواب، ويكـون الشـرح أقرب إلى علم الخلاف[1]. والمسألة فى النص أى مشـكلة تتحـول إلى سـؤال، ويتـم التفـاعل بـين النصين عن طريق السؤال والجواب. فالموضوع منظور. والحق متعدد. وكل رأى يرى الموضـوع مـن زاوية وموقع[2].

وهو سؤال وجواب افتراضيان فى صيغة: "فـإن قيـل..قلـت" أو "فـإن قلـت... قلـت" أو "قلنا" حتى يسهل استذكار المتن والشرح بهذه الصيغة المدرسية كما هو الحال فى أحكام السؤال والجواب فى آخر المصنفات الأصولية[3]. وهو مثل تحليل ألفاظ الروايـة فـى الحديـث. وقـد يتـم الإعلان عن السؤال والجواب صراحة مثل "وأما الجواب عن قولهم". وقد يستعمل فعـل ذكـر أو قص أو "قال بعضهم". وقد يختلف أسلوب النـص وأسـلوب الشـرح فـى درجـة اسـتعمال القيـل والقال، النص أقل والشرح أكثر. وقد يستمر أسلوب القول صفحات بأكملها كأداة للشرح.

والشرح أسلوب فى مخاطبة القارئ وإشراكه مع الشارح فى نفس المهمة. وله لازمـة تتكـرر دائما مثل "اعلم وفقك الله" كما هو الحال فى "رسائل" إخوان الصفا. وأحيانا تأتى "اعلـم" فقـط دون دعـاء بـالتوفيق أو رجـاءه بلفـظ "افـهم ذلـك"[4]. وأحيانـا يشـعر الشـارح بالاسـتطراد فـى

---

(١) "إن المصنف كان ادعاؤه فى أول المسألة أن فعل العبد مشروط بالعلم به. ثم وجه على نفسه السـؤال أعـرض عـن تلك الدعوى على تلك الصورة"، جـ٤/١١١. "وهو سؤال وارد مشهور سنذكره مـع الجـواب عنـه"، جـ٦/٤٠٣. "والمصنف قد استدل على ذلك بوجوه واضحة غنية عن الشرح إلا أن فى الوجهين الأولـين مباحثـة فلنذكـر كـل واحد منهما على حدة مع ما يتجه من الأسئلة والأجوبة"، جـ٤/٢٨٩. "إن المصنـف أجـاب عـن الشـبهة الأولى بالمنع"، جـ٤/٣٠٦. "إن حاصل جوابه عن الحجة المذكورة"، جـ٤/٣٦٨. "وبقية الأسئلة والأجوبة ظاهرة غنيـة عن الشرح"، جـ٦/١٩٤.

(٢) "ولا أورد من الأسئلة إلا ما هو حق عندى لا جواب عنه أو ما عنه جواب غير أن كثيرا من الفضلاء يعسر عليهم الجواب عنه فاذكره لجوابه لا لذاته. وليحترز منه، ويتنبه به على أمثاله. وأما الأسئلة الضعيفة فلا أوردها لأنها تطويل بغير فائدة مهمة. والعمر أقصر شقة من أن يطول بالعتاب. وكذلك إذا وقع جـواب حـق أو سـؤال حـق لا أورد عليه الأسئلة الضعيفة ثم أجيب عنها فتصير أجوبة وأسئلة، وأسـئلة وأجوبـة، فيتسلسـل الحـال. فـهذا لا يليق إلا بعلم الخلاف للتمرن على الجدال والمنـاظرات. أمـا بغـيره فـلا"، القرافـى: نفـائس الأصـول فـى شـرح المحصول جـ١/٩٦. تحويل النص إلى أسئلة مثلا جـ١ (١٠)، جـ٢ (٤). نفائس الأصول: سؤال (٢٨٢)، مسـألة (١١٦)، فائدة وسؤال (١)، جواب، رد (٤٦).

(٣) الكافى: شرح البزدوى، مقدمة ص٨٨-٩٣. جـ١ (٩٥)، جـ٢ (١٤٢)، جـ٣ (١٣٥). شـرح المنـهاج: السـؤال والجـواب (١٢). الإبهاج فى شرح المنهاج: السؤال والجواب (٨). نشر البنود على مراقى السعود: القيل والقال (١٦).

(٤) الكاشف جـ١/١٣٤/١٨٣/١٨٨/٤٥٩. "وتأمل كلام المصنف فإنه يتضح لك ما ذكرنا"، جـ٥/١٠٦. نهايـة السـول جـ١/٤٦/٣٤٥.

الاعتراضات والخروج على الموضوع فينبه عليه وعلى العودة إلى الموضوع الأصلى[١]. بل إن الشارح يدعو القارئ إلى المشاركة فى الشرح ودعوته إلى الملاحظة والتأمل فى صيغة "ألا ترى أن.." [٢]. بل إن المشاركة تكون أيضا مع الخصوم فى نفس التجربة. وقد تتوالى الدعوة للتأمل والمشاركة واحدة تلو الأخرى حتى يتحرك السامع ويبدأ بالتأمل والرؤية. لذلك تبدأ كثير من الفقرات الشارحة بلفظ "اعلم"[٣]. وتكون الصيغة عادة فعل أمر فى اللفظ ورجاء وتمنى فى المعنى مثل "فافهم"، "فافهم واسقم"، "فتأمل"، "واعلم"، "فتدبر"[٤]. الشرح تجربة مشتركة بين الشارح والقارئ كما أنه تجربة مشتركة بين المؤلف والشارح. فالشارح وسيط بين المؤلف والقارئ. لذلك تكثر ألفاظ الأمر مثل "اعلم"، "فلينظر"، "فليراجع"[٥]. وتعتمد المشاركة على البداهة وحسن النظر.

سابعا: الوعى التاريخى.

يعنى "الوعى التاريخى" مدى ترسب علم الأصول بأعلامه ونصوصه ومذاهبه ومناطق انتشاره من المغرب إلى المشرق فى الوعى التاريخى وهو الوعى الحضارى الجمعى، وما هو العَلَم الأكثر حضورا والمتن الأكثر قراءة وشرحا واختصارا، والمذهب الأكثر انتشارا. فالشروح ذاكرة جمعية للعلم. من خلالها تبدو تموجاته فى التاريخ. فالقصدية ليست فقط فى الفرد بل فى الحضارة.

ويبدو أن العلم، بأعلامه ومتونه ومذاهبه ومناطقه مازال حاضرا فى الوعى التاريخى. لم تحدث قطيعة معه كما حدث مع علوم الحكمة بل مازال مستمرا، له حركات تجديده. ومازال يمثل دافعا على الإصلاح خاصة عند الشيعة لدى محمد باقر الصدر، وعند السنة عند مصطفى عبد الرازق تنبيها على أهمية العلم، وعند علال الفاسى كتابة فى المقاصد، وعند جماعة "المسلم المعاصر". ومازال العلم قادرا على ان يكون جسرا بين التيارين الرئيسين فى الأمة، السلفى والعلمانى بدلا من حالة الاستقطاب الحالى. فمقاصد الشريعة حلقة الوصل بين التيارين، وضعية الشريعة والمصالح العامة.

---

(١) "ولنرجع الآن إلى شرح الاعتراضات على كلام القاضى"، جـ٦/١٤٤.

(٢) الكاشف جـ١ (٢٧)، جـ٢ (٤٢)، جـ٣ (٣٧)، جـ٤ (١).

(٣) شرح المنار: "اعلم" (٩). نشر البنود على مراقى السعود: "اعلم" (١١).

(٤) فواتح الرحموت: ألفاظ جـ١/٣٣/٤٥/٦٩/٧٢/٧٥/٨٠/٩٣.

(٥) التقرير والتحبير: "اعلم" (٥).

١- الأعلام. إذا كان اسم العلم فى المتن فإنه لا يذكر فى الإحصائيات لأنه دال على المتن وليس على الشرح. وقد يرد اسم العلم بلقبه أو بشخصه. اللقب يعنى الطاعة والتقدير والتبجيل والتعظيم أى تحويل الشخص إلى سلطة. فالرازى هو الإمام، والجوينى إمام الحرمين، والباقلانى القاضى، والاسفرايينى الأستاذ، والغزالى حجة الإسلام. وقد يتضاعف اللقب تعظيما مثل قاضى القضاة للباقلانى. وقد يكون اللقب صورة فنية مثل شمس الأئمة وفخر الإسلام. وقد تتداخل الألقاب بحيث يصعب تمييز الشخص مثل ألقاب الإمام والشيخ والأستاذ. أما اسم العلم فإنه يدل على شخصية تاريخية لم تنسج حولها هالة التعظيم والتبجيل كما تم لكبار الأعلام. تذكر الأعلام الكبار لانتشارها عمقا. وقد تنتشر عرضا. تزيد العلام أكثر مما تتكرر، نظرا لتجميع كل من تناول العلم بالرأى أو التعليق[1].

وبالرغم من الإسهاب في تحليل الأسماء والمصادر والمذاهب والفرق إلا أن التحليل الدقيق للوعى التاريخى هو المقدمة الأولى لكل حركة إصلاحية تريد الحوار بين المذاهب المتعددة.

وهناك ثلاثة مجموعات من الأعلام. الأولى تكشف عن حضور الشافعى والشافعية، والثانى الغزالى والأشعرية كسند نظرى من أصول الدين لأصول الفقه. والثالث محاولة المذاهب المعارضة الحنفية واستنادها إلى الاعتزال والمالكية والحنفية للعودة إلى مركز الوعى التاريخى.

أ- الشافعى والشافعية. وفى "شرح الورقات"لابن الفركاح يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة وابن برهان. ويتداخل الصحابة مع الصوفية مع الأشاعرة مثل الجوينى والباقلانى والرازى والغزالى والاسفرايينى مع المحدثين مثل البخارى ومسلم، والفقهاء مثل أحمد بن حنبل، ومالك، وبعض المعتزلة مثل أبى الحسن البصرى، وأبى الحسين البصرى، وبعض علماء اللغة مثل الخليل[2]. فهناك صراع بين التيار الرئيسى فى الوعى التاريخى بين المركز الممثل فى الشافعى والشافعية وبين الأطراف الممثل فى أبى حنيفة والأحناف والمعتزلة والمالكية والحنبلية بالإضافة إلى بعض علماء اللغة.

---

(١) الكافى شرح البزدوى: الأعلام (٣٣٩)، إبراهيم أبو عمران، هلال الأنصارى، حافظ الدين، إبراهيم النخعى (٢) وباقى الأسماء مرة واحدة.

(٢) الشافعى (٢٠)، أبو حنيفة، ابن برهان (٨)، سعيد بين المسيب، عبد الله بن عباس، عمر بن الخطاب (٥)، أبو بكر، الجوينى، على بن أبى طالب، الباقلانى، مسلم (٤)، أحمد بن حنبل، الحسن البصرى، عبد الله بن عمر، أبو الحسين البصرى (٣)، أبو على بن أبى هريرة، عيسى بن أبان، مالك بن أنس، البخارى، فخر الدين الرازى، الغزالى (٢)، الاسفرايينى، البيهقى، ابن سريج، ابن راهويه، الخليل بن أحمد، سفيان الثورى، الدبوسى، عبد القاهر الجرجانى، أبو موسى الأشعرى، الدارقطنى، الطبرى، الترمذى وعشرات آخرون (١).

وفى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم الأشاعرة مثل الشافعى والباقلانى والرازى على المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار، أبو الحسين البصرى، الجبائيان، الكرخى. ثم يتبادل المعتزلة الأشاعرة الأولوية مثل الكرخى والنظام والخياط وأبو الهذيل وعيسى بن أبان والأصم من المعتزلة. والغزالى وابن سريج والأشعرى والقفال الشاشى والاسفراييني والآمدى وابن فورك والجوينى. ثم يأتى أبو حنيفة والأحناف مثل الجصاص وأبو يوسف ثم مالك وأحمد بن حنبل، ومن النحاة ابن جنى. ويتقدم من الصحابة على ثم عمر وعائشة وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم. وهنا يظهر الشافعى والشافعية فى مركز الوعى التاريخى ينازعه المعتزلة والحنفية والمالكية[1].

وفى "شرح المنار" لعبد اللطيف يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة ثم أصحابه مثل أبو يوسف ومحمد وزفر مع فقهاء الأحناف مثل البزدوى والسرخسى والجصاص. ويظهر مالك والحسين البصرى، ومن ثم تستوفى المذاهب الأربعة باستثناء الحنابلة. ثم يظهر علماء الأشاعرة مثل الغزالى والباقلانى والرازى، وظاهرى مثل ابن حزم[2]. وهى نفس النتيجة، الحضور الطاغى للشافعية ومحاولة الحنفية والأحناف والمعتزلة والمالكية بل والظاهرية زحزحتها من المركز.

وفى "جامع الأسرار شرح المنار للنسفى" للكاكى بالرغم من أن الشارح حنفى وصاحب المتن شافعى إلا أن الشافعى يتقدم باقى الأعلام نظرا لسيطرة الشافعية وسيطرة الأشعرية منذ الغزالى

---

(١) الشافعى (٤٦)، الباقلانى (٣٩)، الرازى (فخر الدين) (٣٧)، أبو هاشم الجبائى (٢٨)، أبو الحسين البصرى (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، أبو على الجبائى (١٩)، على بن أبى طالب (١٧)، عمر بن الخطاب (١٦)، الكرخى (١٥)، مالك، الغزالى (١٤)، أبو بكر، ابن سريج (١٠)، الأشعرى (٨)، عائشة، ابن عباس، الصيرفى (٧)، القفال الشاشى، عبد الجبار (٦)، النظام، عثمان بن عفان، عيسى بن أبان، ابن حنبل، الجوينى (٥)، حاتم الطائى، ابن أبى هريرة، المرتضى، أبو مسلم الأصفهانى (٤)، الاسفراييني (أبو اسحق)، الجصاص، أبو عبد الله البصرى، أبو سعيد الخدرى (٣)، أبو هريرة، أبو موسى الأشعرى، الدبوسى، ابن جنى، الاسفراييني (أحمد)، ابن سينا، سفيان الثورى، شريح، الكعبى، ابن الزيعرى، ابن أبى السرح، عبيدة السلمانى، فاطمة، داود الأصفهانى، معاذ، الأعشى، الفرزدق، أبو يوسف (٢)، المروزى. أبو ثور، أبو اسحق الشيرازى، ابن علية، المزنى، أنس، المريسى، المعلىّ، الحسين، الصيمرى، الأصم، الخياط، الآمدى، البخارى، الطبرى، الدقاق، ابن فورك، ابن سيرين، أبو الهذيل، النهروانى، ابن عمران، ..الخ.

(٢) الشافعى (٥٩)، أبو حنيفة (٢٩)، أبو يوسف (١٤)، محمد، فخر الإسلام (البزدوى) (١٣)، مالك (١٠)، صاحب الكشاف (٦)، زفر، الكرخى (٥)، شمس الأئمة (السرخسى)، التلمسانى (٤)، عبد الله بن مسعود (٣)، الجصاص، الشيخ قوام الدين الأتقانى، مالك بن الصيف، الحسين البصرى، الباقلانى، ابن ماجة، الرازى (٢)، الغزالى، أبو سعيد الخدرى، أبو بكر الاسكافى، السراج الهندى، السجستانى (أبو داود)، ابن سحنون، داود الأصفهانى، البروى، ابن الأثير، ابن الزعبرى، عيسى ابن أبان، الدبوسى، ابن حزم، الحلى، القاضى أبو زيد، ابن أبى ليلى، سريج، القصار، وعشرات آخرين من المفسرين والفقهاء.

فى القرن الخامس[1]. ثم يأتى أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ثم محمد بعده. ثم يأتى باقى الأعلام الحنفية الأوائل مثل شمس الأئمة (السرخسى)، وأبو زيد الدبوسى. ثم يأتى صاحب المتن بلقب الشيخ وهو النسفى. ثم يتوالى أعلام الحنفية من جديد مثل فخر الإسلام أو صدر الإسلام البزدوى. ثم يأتى مالك أستاذ أبى حنيفة ثم زفر أحد أصحاب أبى حنيفة. ثم يظهر الماتريدى (أبو منصور) الجامع بين الشافعية والحنفية كجمعه بين الأشعرية والاعتزال ومعه أبو بكر الرازى (الجصاص) من أوائل الحنفية. ثم يبرز الغزالى وسط باقى أعلام الحنفية مثل عيسى بن أبان. ويتداخل المعتزلة والأشاعرة على التوالى مما يدل على استمرار الصراع بينهما، المعتزلة مثل الحسن البصرى، والبلخى، ثم أبو الحسين البصرى والجاحظ والنظام، ومن الأشاعرة الطحاوى والباقلانى والأشعرى، وفخر الدين الرازى، والجرجانى، والسمعانى والاسفراييني، والبيهقى. ومن اللغويين والنحاة أبو على الفارسى وسيبويه والمبرد والفراء. ومن الفرق غير الإسلامية مانى وزرادشت. كما تكثر أسماء الرواة والمحدثين والصحابة والتابعين مما يدل على عودة علم الأصول إلى مصادره الأولى[2].

وفى "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخارى الحنفى يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة ثم صاحباه أبو يوسف ومحمد مما يبين تنازع الشافعية والحنفية للاستقرار كمذهب مستقر فى التاريخ. ثم تتداخل الأعلام بين المعتزلة مثل أبى الحسين والكرخى، والحنفية مثل

---

(١) الناشر د. فضل الرحمن عبد الغفور الأفغانى ذكر أسماء الأعلام والآيات والأحاديث والطوائف والكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية وأسماء الكتب دون ترددها مما يخل بمادة تحليل المضمون. الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار جـ٥/١٤٥١-١٥١٠.

(٢) الشافعى (١٧٥)، أبو حنيفة (٨٩)، أبو يوسف (٦٧)، محمد (٥٦)، شمس الأئمة (٤٤)، فخر الإسلام أو صدر الإسلام (٤٣)، أبو زيد الدبوسى (٣٤)، الشيخ (٣٣)، مالك (٢٢)، الكرخى (١٥)، زفر (١٣)، الماتريدى، الجصاص (أبو بكر الرازى) (١١)، ابن حنبل (١٠)، الغزالى، عيسى بن أبان (٩)، عبد القاهر البغدادى، الحسن البصرى (٧)، الطحاوى، أبو اليسر (٥)، الباقلانى، القاضى عبد الجبار، أبو هاشم الجبائى (٤)، الأشعرى، فخر الدين الرازى، البردعى، الجرجانى، الحسن بن زياد، الدمشقى، صاحب القواطع (السمعانى)، الإمام أبو القاسم، أبو المعين (٣)، الشهيد السمرقندى، المزنى، ابن فورك، الزجاجى، ابن سماعة، أبو الفضل الكرمانى، أبو عبد الله البصرى، أبو بكر الدقاق، المروزى، البلخى، الصيرفى، الزهرى، الطبرى، الأصفهانى، المصقف (٢)، وعشرات أخرى من أسماء الأعلام تجمع بين الأشاعرة والمعتزلة والشافعية والحنفية مثل: ابن شجاع، الاسفراييني، ابن أبى ليلى، إبراهيم النخعى، نجم الدين النسفى، البيهقى، السمعانى صاحب الميزان، ابن شريح، القاشانى، ابن جرير، أبو الحسين البصرى، معبد الجهنى، النظام، الجاحظ، أو الفقهاء مثل: الليث بن سعد، صاحب الميزان، أو من أهل الظاهر مثل: داوود الظاهرى، والنحاة مثل: أبى على الفارسى، والفراء، سيبويه، المبرد، أو بعض أساتذة الشارح مثل: شيخى العلامة، أو مؤسسى الأديان مثل: مانى وزرادشت.

البزدوى، والدبوسى مع الشافعية والأشعرية مثل الأشعرى والرازى. ويكشف أساسا عن جدل المركز والأطراف بين الشافعية والحنفية[1].

وفى "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى يتقدم أيضا الشافعى ثم أبو حنيفة ثم البزدوى ثم الأشعرى. ويتبادل الشافعية والحنفية، والأشاعرة والمعتزلة المواقع. من الحنفية أبو يوسف ومحمد وشمس الأئمة، ومن المعتزلة الجبائى والحسن البصرى، ومن الأشاعرة الأشعرى[2].

وفى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الشافعى بالرغم من أن صاحب المتن وصاحب الشرح حنفيان مما يدل على حضور الشافعية كمذهب نمطى مستقر فى الوعى التاريخى. ويتلو السبكى، ثم التفتازانى من أئمة الشافعية وأخيرا يظهر أبو حنيفة ثم ابن الحاجب من الحنبلية. ثم يعود الرازى من الشافعية والايجى قبل أن يظهر محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية عند الغزالى وإمام الحرمين والبيضاوى قبل أن يظهر أبو يوسف صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية لدى الباقلانى والأبهرى والأسنوى والأشعرى قبل أن يتداخل بينهم ابن حنبل. ثم يظهر بعض أئمة الأحناف الأوائل مثل فخر الإسلام البزدوى والسرخسى والجصاص (الرازى) يتخللهم مالك. ثم يتلوه الأشاعرة الشافعية كالاسفراييني والأصفهانى وصدر الشريعة، والشيرازى. ثم يظهر النحويون وعلماء اللغة كالخليل والسكاكى وابن جنى وسيبويه والزجاج وغيرهم. ثم يتساوى تقريبا الأشاعرة مثل القفال الشاشى والأرموى، وعبد القاهر البغدادى والنسفى، والمعتزلة مثل: أبى هاشم والقاضى عبد الجبار والجبائى (أبو هاشم)، والمالكية مثل القرافى والقاضى عبد الوهاب، والحنبلية مثل أبى الخطاب الحنبلى، وباقى الأحناف مثل زفر والأوزاعى والمزنى وابن أبان، وبعض الفلاسفة كابن سينا، وبعض المفسرين مثل الزمخشرى والطبرى، وبعض المتكلمين المتأخرين أصحاب العقائد مثل الطحاوى، وبعض الفقهاء أصحاب "الأحكام السلطانية" مثل الماوردى، وبعض الشيعة مثل الشريف المرتضى[3].

---

(١) الشافعى (٣١)، فخر الإسلام (٢٧)، أبو حنيفة (١٢)، السرخسى (٦)، أبو يوسف ، محمد (٥)، صاحب الكشاف، الرازى (أبو بكر) (٤)، الكرخى (٣)، الأشعرى، البزدوى، البردعى، أبو زيد، مالك، عبد الله بن عباس (٢)، أبو الحسين، ابن الحاج، تاج الشريعة سعد، فخر الإسلام، عبد الله بن مسعود، سعيد بن المسيب، الإمام (الرازى)، صاحب الهداية، الإمام سراج الملة والدين، أبو الحسين البصرى، الأصمعى، مالك، أبو هاشم، ابن سريج، العقابى، الكعبى، الجبائى، أبو على، الحماسى (١).

(٢) الشافعى (٥٠)، أبو حنيفة (٣٠)، البزدوى (١٩)، الأشعرى (١٢)، ابن الحاجب (٧)، أبو يوسف ، محمد، شمس الأئمة (٤)، الجبائى (٣)، الماتريدى، أبو الحسن البصرى (١)

(٣) الشافعى (١٩٢)، السبكى (تاج الدين) (١٠٢)، التفتازانى (٨٧)، أبو حنيفة (٨٤)، ابن الحاجب (٧٨)، الرازى (فخر الدين) (٦٦)، الآمدى، الايجى (عضد الدين) (٥٧)، محمد بن الحسن (٥١)، الغزالى (٤٨)، إمام=

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الشافعى على الإطلاق على الرغم من أن الشارح والشروح حنفيان. ثم يتلو أبو حنيفة والمصنف (ابن الهمام) والشارح (ابن أمير الحاج)، والدبوسى والجصاص والأوزاعى وأبو يوسف وزفر. ثم يأتى المالكية مثل ابن الحاجب ثم مالك. ويكثر الشافعية الأشاعرة باعتبارهم التيار السائد فى الوعى التاريخى مثل الآمدى ثم الغزالى ثم إمام الحرمين ثم القاضى ثم الرازى ثم الأشعرى، وصدر الشريعة والايجى والبيضاوى والشيرازى والسبكى والباقلانى وعبد القاهر البغدادى. ويظهر الحنابلة ممثلين فى ابن حنبل. كما يظهر النحاة مثل سيبويه والزجاج وابن جنى. ومن المعتزلة يظهر الزمخشرى، ومن الفلاسفة ابن سينا، ومن المتكلمين محمد بن كرام[1].

وتقل أسماء الأعلام إذا كان النص أقرب إلى العقل الخالص منه إلى النقل مثل "فتح الغفار

=الحرمين، البيضاوى (٤٥)، أبو يوسف (٣٩)، القاضى أبو الطيب، الأبهرى (٣٦)، فخر الإسلام (٣٣)، أحمد، الأسنوى، الأشعرى (٣٠)، مالك (٢٧)، السرخسى، الاسفرايينى، الأصفهانى، صدر الشريعة، أبو بكر الرازى (٢٤)، الكرمانى (الفاضل)، أبو اسحق الشيرازى، الكرخى (٢١)، المحقق الشريف، سيبويه (١٨)، القاضى أبو زيد، الصيرفى (١٥)، الخليل، ابن سريج، الكاكى، ابن جريج، صاحب البديع (١٢)، القرافى، الاسترابادى، الكسائى، الماتريدى، شيخنا الحافظ، الأخفش، أبو هاشم، ابن برهان (٩)، القفال، زفر، الحليمى، القاضى عياض، ابن جنى، ابن سينا، الزمخشرى، الطحاوى، ابن السمعانى، ابن علية، الماوردى، صاحب الكشف، الكرابيسى، الطبرى، صدر الإسلام (٦)، الزجاج، ابن كيسان، الخطابى، أبو العتاهية، الأعشى، ابن العربى، الأزهرى، الأوزاعى، وكيع، ابن السراج، الحماسى، ابن الصباغ، القاضى عبد الوهاب، الكعبى، الأرموى، المتنبى، الفيروزبادى، المطرزى، الأصمعى، قطب الدين، ابن الجوزى، الصفى الهندى، الشيخ سراج الدين الهندى، شمس الأئمة الكردرى، شيخنا أبو الحسن، الأصبهانى، القاسم بن سلام الكوفى، القاضى عياض، الأصطخرى، المزنى، الدقاق، عبد القاهر البغدادى، أبو المعين النسفى، ابن أبان، أبو الخطاب الحنبلى، ابن رجب الحنبلى، القاضى عبد الجبار، ابن الابيارى، الشريف المرتضى، ابن خيران، الجبائى (٣)، صاحب القواطع، صاحب الكشف، صاحب المحصول، صاحب الحاصل، صاحب المنار، صاحب البدائع، صاحب التقويم. صاحب التحصيل، صاحب التنقيح، صاحب التحقيق (١).

(١) الشافعى (٩٠)، أبو حنيفة (٦٣)، التفتازانى (٦٠)، المصنف (٥١)، ابن الحاجب (٤٥)، الشارح (٣٩)، الآمدى (٣٦)، الغزالى، أبو يوسف (٣٠)، إمام الحرمين، القاضى (٢٤)، الرازى، فخر الإسلام (٢١)، الأشعرى، ابن حنبل (١٨)، سيبويه (١٥)، صدر الشريعة، الايجى، البيضاوى، ابن سريج، أبو اسحق الشيرازى، مالك (١٢)، القاضى أبو زيد، القاضى أبو بكر، الصيرفى، الكرخى (٩)، الشيبانى (٧)، صاحب الكشاف، أبو الحسين البصرى، الأبهرى، الحليمى، أبو عبيدة، الماتريدى (٦)، الخليل، الزجاج، ابن كيسان، الخطابى، الطحاوى، السبكى، المعتزلى، الباقلانى، الزمخشرى، ابن سينا، محمد بن كرام، عبد الله بن سلام، الأخفش، أبو الخطاب، أبو الحسن سعيد، ابن جنى، الخطيب البغدادى، القاضى عياض، أبو عبد الله البصرى، أبو هاشم، أبو الحسن البصرى، ابن المثنى، ابن خويزمنداد، الدقاق، الاسفرايينى، الأستاذ، الكرمانى، الإمام، صاحب الهداية، ابن جريج، الأسنوى، زفر، وكيع، الأوزاعى.

بشرح المنار" لابن نجيم. وفى هذه الحالة يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة ثم الكرخى ثم عيسى بن أبان ثم مالك[1]. كما يقل ذكر الفرق والطوائف. ومع ذلك يتقدم المعتزلة[2].

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للشنقيطى يتقدم الشافعى بالرغم من أن الشارح مالكى مما يدل على حضور الشافعية حتى فى أقصى المغرب. وسرعان ما يظهر أبو حنيفة والأحناف مثل الكرخى والماوردى وأبى يوسف والأوزاعى لمحاولة الدخول فى مركز الوعى التاريخى. ويعضده فى ذلك مالك والمالكية مثل صاحب "مراقى السعود" والقاضى عبد الوهاب المالكى، وأبى الخطاب وابن خويزمنداد وابن الحاجب والقرافى. كما يؤيده بعض الحنابلة، فصاحب المتن حنبلى، مثل البغدادى الحنبلى، وابن حزم الظاهرى[3]. ويلجأ إلى التجربة الشعرية، ويذكر ثمانية من كبار الشعراء، فالنص والشعر صنوان

ب- الغزالى والأشعرية. ففى "الكاشف" للأصفهانى يكشف تردد أسماء الأعلام عن حضور أعلام الأشاعرة، ويتقدم الغزالى، أبو حامد، حجة الإسلام على الجميع ثم أستاذه إمام الحرمين ثم الشافعى مما يدل على اجتماع الأشعرية والشافعية منذ القرن الخامس. ثم يظهر أبو حنيفة ثم أبو الحسين البصرى وأبو الحسن البصرى التيار الثانى الذى مازال يصارع من أجل البقاء. ثم تتداخل الأشعرية من جديد عند القاضى أبى بكر الباقلانى ثم الأشعرى. ثم يظهر التيار الاعتزالى عند القاضى عبد الجبار وأبى هاشم. ثم تعود الأشعرية عند الرازى والشيرازى والباقلانى ثم تدخل الحنبلية عند أحمد والقاضى عبد الوهاب. ثم تظهر المالكية. ويظل التداخل بين المذاهب الفقهية الأربعة والتيارين الكلاميين الرئيسيين عند أهل السنة. فالحضور الطاغى للشافعية الأشعرية ممثلة فى حجة الإسلام ثم إمام الحرمين ثم الشافعى[4].

---

(١) ابن نجيم: فتح الغفار بشرح المنار: الشافعى (٢٠)، أبو حنيفة (٩)، الكرخى (٣)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).

(٢) السابق: المعتزلة (٢)، أصحاب الشافعى، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة، الأشعرية (١).

(٣) الشافعى (٢٨)، أبو حنيفة (١٤)، مالك، ابن حنبل (١٠)، الكرخى، صاحب مراقى السعود، القاضى، أبو الخطاب (٦)، زهير، الآمدى، الباجى (٤)، جرير، حسان بن ثابت، علقمة، قيس بن الخطاب، النابغة، امرؤ القيس، الباقلانى، الرازى، ابن لحمير، ابن خويزمنداد، البغدادى الحنبلى، البنانى، السيد، لبيد، ابن الحاجب، الحلى، ابن قدامة، طرفة، الأوزاعى، العراقى، القرافى، الماوردى، أبو يوسف، ابن حزم، إمام الحرمين، البيضاوى (٢).

(٤) الغزالى (٢٢٣)، إمام الحرمين (١٧٥)، الشافعى (١٧١)، أبو حنيفة (١٠٥)، أبو الحسن البصرى (٨٨)، ابن الحاجب (٧٠)، أبو الحسن البصرى (٦٥)، القاضى أبو بكر (٦١)، الأشعرى (٦٠)، القاضى عبد الجبار (٥٤)، أبو هاشم (٥١)، الإمام الرازى (٣٤)، أحمد (٣١)، أبو اسحق الشيرازى (٢٩)، الصيرفى (٢٢)، ابن برهان (٢١)، الباقلانى (١٩)، القاضى عبد الوهاب الحنبلى، ابن عباس، مالك (١٨)، أبو عبد الله البصرى (١٧)،=

وفى "التحقيقات فى شرح الورقات" لابن قاوان (٨٨٩هـ) يتقدم أيضا حجة الإسلام بلقبه وليس باسمه مما يدل على حضوره فى التاريخ وتعظيمه فى الوعى التاريخى، ثم الشافعى بعد أن استقرت الشافعية كمذهب فقهى يعتمد على الأشعرية ثم المصنف وهو مؤلف المتن إمام الحرمين. ثم يتناوب أئمة الأشعرية والشافعية كالباقلانى والأشعرى والرازى والتفتازانى والعضد مع أئمة المعتزلة مثل أبى الحسين البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو بكر الصيرفى وأبى هاشم، وبن أبان والنظام والكعبى أو من فقهاء الأحناف مثل الدبوسى وأبى يوسف. ويظهر إمام الحنابلة أحمد، وشيخ النحاة سيبويه وبعض الشعراء مثل لبيد وبعض الصحابة مثل الخلفاء الأربعة[1].

وفى بعض الشروح يكون لصاحب النص الأولوية فى الظهور مثل "نهاية السول" للأسنوى وهو شرح لفصول الرازى. إذ الأولوية فى تردد الأسماء للإمام (الرازى) ثم صاحب التحصيل، ثم الآمدى ثم الشافعى ثم ابن الحاجب ثم صاحب الحاصل ثم الأصفهانى ثم الغزالى. ثم يتوقف الأشعرية الشافعية ويظهر القرافى من المالكية ثم يظهر الأشاعرة عند الجوهرى وابن برهان والباقلانى ثم يبرز المعتزلة مثل أبو هاشم، أبو الحسين البصرى، وبعض النحاة مثل سيبويه ثم

=سيبويه، ابن فورك (١٥)، الماتريدى (١٣)، السهروردى، أبو الخطاب الحنبلى، النظام (١٢)، ابن جنى، الاسفراايينى، أبو على الحنبلى، عيسى بن أبان (١١)، التميزى (٩)، عباد بن سلسيمان، قاضى القضاة، ابن سريج (٨)، أبو هريرة (٧)، القفال الشاشى، الجبائى، القاضى، التلمسانى، الباجى، عمر (٦)، المرورزى، الدبوسى، البلخى، الكعبى (٥)، ابن العربى (٤)، أبو بكر، العلمى، على بن جيزان، الأصمعى، الخليل، ابن سينا، الشريف المرتضى، الزمخشرى، أبو الحسن الابيارى، أبو عمرو بن العلاء، الأرموى، النقشوانى، الكرخى، الجاحظ، الجرجانى، ابن عقيل الحنبلى، ابن الزعبى، الدقاق، ابن مسعود، الحسين (٣)، أبو الحسن الشيخان، المبرد، أبو.عمرو، الشيبانى، أبو بكر الرازى، عبد الرحمن بن عوف، أبو الهذيل، القزوينى، داود، زيد بن ثابت، عيسى، الخليل، اسحق، مسيلمة، فاطمة، على، فخر الرازى، الحصيرى، أبو البركات البغدادى (٢) وعشرات آخرين ذكر كل منهم مرة واحدة مثل: الآمدى، الفاضل، أبو على الفاسى، الاصطخرى، زفر، أبو الحسن التميمى، المزنى، أبو ثور، ابن الفارص، الأبهرى، أبو تمام، أبو يوسف، الخوارزمى، جهم بن صفوان، القاشانى، الأخطل، الأبهرى، أبو سعيد الخدرى، الخياط، الطبرى، أبو شمر، ضرار، حفص القرد، ابن السكيت، ابن الخطيب، ابن الباقلانى، إبراهيم، موسى، شعيب وآخرون (١).

(١) الغزالى (حجة الإسلام) (٢١)، الشافعى (١٧)، المصنف (١٥)، الباقلانى (القاضى) (١٤)، ابن الحاجب (٩)، أبو الحسين البصرى (٨)، أبو حنيفة (٦)، السعد، الأشعرى (٥)، القاضى عبد الجبار، ابن سريج، الرازى (٤)، ابن عباس، أبو بكر الصيرفى، أحمد (٣)، سيبويه، عبد القاهر الجرجانى، أبو بكر الدقاق، العضد، عثمان، على (٢)، الدبوسى، لبيد، السكاكى، ابن الصلاح، الاسفراايينى، أبو هاشم، ابن أبان، أبو ثور، البيضاوى، الأبهرى، أبو اسحق، الآمدى، أبو مسلم الأصفهانى، النظام، أبو موسى الأشعرى، ابن فورك، ابن برهان، السبكى، العراقى، الكعبى، المرتضى، المزنى، أبو يوسف، مالك، أبو بكر، عمر، أبو هريرة وابنه، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١).

تعود المالكية فى شخص القاضى عبد الوهاب. وهكذا يتداخل الأشعرى الشافعى مع ما تبقى من مالكية واعتزال، وفقهاء ونحاة. ويكون الحضور الطاغى لنفس التيار الشافعى الأشعرى ممثلا فى الإمام (الرازى) ثم الآمدى ثم الشافعى. ثم يبرز ابن الحاجب المالكى منازعا الشافعية الأشعرية قبل أن يحاصره الغزالى والقرافى. ثم تبرز المالكية من جديد ممثلة فى القرافى قبل أن يحاصره الباقلانى. ويتكاتف المعتزلة ممثلة فى أبى الحسين البصرى وأبى هاشم مع المالكية ممثلة فى القاضى عبد الوهاب المالكى لفك الحصار الشافعى الأشعرى ولكن سرعان ما يحاصر أيضا بالتيار الغالب. ثم يأتى الحنفية ممثلة فى الكرخى لمساعدة التيارات المهمشة ولكن سرعان ما تذوب فى التيار الغالب ممثلا فى الاسفراييني[1].

وفى "تشنيف السامع بجمع الجوامع" للسبكى يتقدم الرازى صاحب المحصول ثم إمام الحرمين ثم الباقلانى، ثم الغزالى ثم الآمدى ثم الاسفراييني وغيرهم من كبار أئمة الأشاعرة ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على استمرار المذهب الحنفى فى العصور المتأخرة نظرا لتبنى الأتراك المذهب. ثم يتبادل الأشاعرة والمعتزلة، الشافعية والحنفية المواقع مما يدل على صراعهما من أجل السيطرة على العقيدة والشريعة. فمن الأشاعرة يظهر ابن فورك والأشعرى نفسه. ومن المعتزلة يذكر الكرخى والصيرفى وأبو الحسين، والقاضى عبد الجبار، وأبو على وابنه. ويظهر بعض أعلام المالكية مثل مالك وابن الحاجب، وبعض أعلام الحنابلة مثل أحمد وبعض النحاة مثل سيبويه. وقد يتوارى الفقهاء لحساب المتكلمين نظرا لاعتماد أصول الفقه على أصول الدين. وكثير من الأسماء على الاتساع وليس فى العمق باستثناء أئمة الأشاعرة وفقهاء الشافعية[2].

---

(١) الإمام (١٤٨)، صاحب التحصيل (١٤٥)، الآمدى (١١٥)، الشافعى (٧٥)، ابن الحاجب (٧٠)، صاحب الحاصل (٣٩)، الأصفهانى (٣٨)، الغزالى (٣٦)، القرافى (٣٤)، الجوهرى، ابن برهان (٢٨)، الباقلانى (٢٦)، أبو هاشم (٢٤)، أبو الحسين البصرى (٢٣)، الأشعرى (٢٠)، ابن التلمسانى (١٦)، أبو اسحق (١٣)، سيبويه، أبو على (٩)، القاضى عبد الوهاب المالكى (٨)، القاضى عبد الجبار، الكعبى، ابن مالك، الكرخى (٧)، أبو حنيفة (٦)، مالك، الخدرى (٥)، الاسفراييني، ابن جنى، أبو حيان (٤)، ابن سينا، الصيرفى، صاحب التلخيص، الرافعى، الصيمرى (٣)، وعشرات أخرى من الأعلام من مختلف المذاهب الفقهية والعلوم الإسلامية.

(٢) الرازى (الإمام) (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضى الباقلانى (٢٥)، الغزالى (٢٤)، الشافعى، الشيخ الإمام (٢١)، أبو حنيفة (١٦)، أبو اسحق الشيرازى (٩)، الأستاذ، أبو اسحق، الاسفراييني (٧)، الكرخى، ابن الحاجب (٦)، أحمد، السمعانى، ابن فورك (٥)، الصيرفى، أبو الحسين (٤)، القاضى أبو بكر، عبد الجبار، ابن سريج، مالك، سيبويه (٣)، أبو هاشم، أبو حيان، الأشعرى، ابن أبى هريرة، القرافى، تعلب، الجبائى، ابن عصفور، الزمخشرى، العنبرى، الشيخ، داود، الخطيب، الماوردى، المزنى، المروزى، ابن عبد السلام، الذهبى، الشلوبين، الفارسى (٢)، وعشرات آخرين ذكر كل منهم مرة واحدة مثل: القاضى الحسين، ابن دقيق العيد، البغوى، أبو شامة، الدقاق، ابن خويزمنداد، الأبهرى، البلخى، ابن جنى، الحريرى، النقشوانى،=

وتكثر أسماء الأعلام في "الإبهاج في شرح المنهاج" للسبكيين، الأب والابن، يتقدمها جميعا إمام الحرمين ثم الرازى (الإمام) ثم الباقلانى (القاضى أبو بكر) ثم الغزالى ثم الشيرازى (صاحب اللمع) ثم الآمدى، ثم صفى الدين الهندى ثم الشافعى. فكلهم من الشافعية مما يدل على السيطرة شبه الكاملة للمذهب الشافعى. ثم تظهر المالكية فى شخص القرافى والحنفية فى شخص أبى حنيفة، والمعتزلة فى شخص أبى هاشم. ثم تتداخل المذاهب الفقهية والكلامية، شافعية أشعرية مثل الاسفراييني وابن فورك والبيهقى والقفال والماوردى والأرموى، ومالكية مثل القاضى عبد الوهاب والباجى ومالك، وحنفية مثل الكرخى والدبوسى، وحنبلية مثل أحمد بن حنبل، ومعتزلة مثل أبو على الجبائى والقاضى عبد الجبار والنظام وبشر المريسى، وشيعة مثل المرتضى، ولغويون مثل سيبويه والجوهرى والخليل والمبرد، وصوفية مثل أبى سعيد الخدرى. ومن الوافد جالينوس[1].

وفى "نفائس الأصول" للقرافى واضح أولوية الشراح الأشاعرة مثل التبريزى ثم الآمدى، ثم الغزالى، ثم النقشوانى ثم الجوينى ثم الشافعى نظرا لارتباط الأشعرية بالشافعية ثم سراج الدين والمازرى والقاضى أبو بكر. ثم يظهر المعتزلة وعلى رأسهم أبو الحسين البصرى. ثم يتوالى الأشاعرة من جديد مثل ابن برهان وتاج الدين والرازى وأبو اسحق الشيرازى. ثم يظهر أبو هاشم الجبائى. ويأتى أبو حنيفة والحنفية، ومالك والمالكية، وابن حنبل والحنبلية بعد ذلك. ثم يتداخل الكل مع الكل على التساوى، المالكية مثل الباجى والطرطوشى. والمعتزلة مثل النظام

=ابن جرير، ابن فارس، البيضاوى، الهندى، عياض، الشهرستانى، أبو مسلم، الأخفش، ابن مالك، المبرد، الزجاج، الماتريدى، القزوينى، الأصطخرى، البصرى، البيهقى، ابن سيرين، ابن حزم، الكرخى، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، ابن الصلاح، الشهرزورى، الجنيد، الأوزارعى، القشيرى..الخ (١).

(١) إمام الحرمين (١٩٠)، الرازى (١٧٢)، الشافعى (١٣٨)، الباقلانى (١٢٥)، الغزالى (١٠٦)، الشيرازى (٩٩)، الآمدى (٦٨)، المصنف (٥٢)، صفى الدين الهندى (٥١)، أبو هاشم (٤٤)، القرافى (٤١)، أبو حنيفة، ابن الحاجب (٣٧)، الأصفهانى (٢٢)، الشيخ، أبو الحسن (١٥)، الإمام الوالد (١٤)، المروزى (١٣)، ابن الصباغ، الاسفراييني، الأستاذ (١٢)، النقشوانى (١١)، القاضى عبد الوهاب (١٠)، الرافعى، المازرى، ابن برهان، جمال الدين بن مالك (٩)، ابن فورك، الكرخى (٨)، البيهقى (٧)، أبو سعيد الخدرى، ابن المعلى، المرتضى الشيعى، أبو على الجبائى، الباجى (٦)، سيبويه، أبو عبد الله البصرى، مالك (٥)، الماوردى، الجوهرى، داود، أحمل بن حنبل (٤)، القاشاتى، أبو الطيب الطبرى، القفال (٣)، العز بن عبد السلام، الفراء، القاضى عبد الجبار، الأبهرى، أبو عاصم، الحافظ الذهبى، أبو على الطبرى، الصيرفى، النهروانى، النظام (٢)، الدبوسى، الخليل، الأرموى، صاحب التحصيل، ابن التلمسانى، الحافظ بن عساكر، الحليمى، الرازى (أبو بكر)، ابن سريج، ابن حيان، ابن خيران، ابن دقيق العيد، المبرد، الزمخشرى، الدارقطنى، وعشرات آخرين من المحدثين والفقهاء (١). ومن الوافد جالينوس.

والخياط والجبائى، والظاهرية مثل ابن حزم، ومن الفلاسفة ابن سينا، ومن النحاة سيبويه وابن جنى والخليل. ومن الأنبياء موسى ثم عيسى ثم نوح وحزقيال ويعقوب. وبختنصر من ملوك بابل. ويظل الحضور الغالب فى الوعى التاريخى للشافعية الأشعرية، بالرغم من محاولات المالكية والحنفية والاعتزال الخروج من الهامش إلى المركز[1].

وفى "شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ)" يتقدم المصنف أى صاحب المتن مما يدل على أن الشرح هو انكباب على المتن وصاحبه. لا يهم اسمه بقدر ما يهم مصنفه. ثم يتصدر الإمام الرازى صاحب "المحصول" مما يدل على حضوره ممثلا للأشعرية الشافعية قبل الشافعى نفسه والآمدى والباقلانى وإمام الحرمين ووالد المصنف، فالعلم عائلى، والاسفراييني، وأبى اسحق الشيرازى والأشعرى والبيضاوى. ولا يظهر من باقى الأصوليين بعد الأشعرى سوى أبو حنيفة، ثم القرافى من المالكية، ثم الزمخشرى من مفسرى المعتزلة، وأخيرا الإمام أحمد، ومن المعتزلة أو أبو عبد الله البصرى، ومن الفقهاء ابن عبد السلام وعشرات آخرين من الأصوليين والفقهاء والمفسرين والنحويين[2]. ونظرا لحلول المحدثين والصحابة والتابعين والرواة محل

---

(١) التبريزى (١٣٣)، الآمدى (١٢٧)، الغزالى (٨٩)، النقشوانى (٨٧)، الجوينى (٦٥)، الشافعى (٤٧)، سراج الدين (٤٦)، المازرى (٣٦)، القاضى أبو بكر (٣١)، أبو الحسين البصرى (٢٩)، ابن برهان (٢٨)، الرازى (٢٧)، تاج الدين (٢٣٩، أبو اسحق الشيرازى (٢١)، عبد الوهاب المالكى (١٨)، أبو حنيفة (١٤)، أبو هاشم الجبائى (١٣)، القاضى أبو يعلى الحنبلى، أبو الخطاب الحنبلى (٩)، العز بن عبد السلام، القاضى عبد الجبار (٨)، أحمد بن حنبل، مالك (٧) الطرطوشى، الباجى، الابيارى (٥)، العنبرى، الصيرفى، أبو عبد الله البصرى، النظام، أبو مسلم الأصفهانى (٤)، الجبائى، ابن العربى، الخرقى، الكرخى، الحاكم، ابن حزم، الماوردى (٣)، عباد، الأشعرى، ابن سينا، سيبويه، ابن التلمسانى، عيسى بن أبان، شرف الدين التلمسانى، قطب الدين المصرى (٢)، وعشرات آخرون مثل ابن فورك، أبو يعلى، الخياط، المروزى، الزجاج، امرؤ القيس، المتنبى، ابن جنى، الجواليقى، القاضى عياض وآخرون (١)، ومن الأنبياء: موسى (٣)، عيسى (٢)، نوح، آدم، حزقيال، يعقوب، بختنصر (١).

(٢) المصنف (٨٣)، الإمام الرازى (٥٢)، الشافعى (٤٠)، ابن الحاجب (٣٨)، الآمدى (٣٦)، الباقلانى (٢٩)، إمام الحرمين (١٤)، والد المصنف (١٣)، أبو اسحق الشيرازى (١٢)، الاسفراييني، الغزالى (١١)، الأشعرى، أبو حنيفة (١٠)، البيضاوى (٨)، القرافى، الزمخشرى، ابن سريج (٦)، الإمام أحمد، الصفى الهندى، أبو الحسن البصرى (٥)، أبو الحسين البصرى (٤)، الكعبى، الصيرفى، ابن السمعانى (٣)، أبو عبد الله البصرى، الحليمى، الرافعى، ابن عبد السلام (٢)، الماوردى، الكيا الهراسى، البغوى، أبو على الفارسى، النقشوانى، الواحدى، ابن حزم، الأسنوى، الماتريدى، المروزى، القاضى عياض، الأصفهانى، ابن برهان، ومن النحويين السكاكى وسيبويه، ومن المفسرين القرطبى، ومن الفلاسفة البيهقى، ومن المعتزلة أبو على الجبائى والجاحظ وعبد الجبار، ومن الحنفية أبو يوسف، ومن الشعراء الأخطل. ومن الصوفية أبو سعيد الخدرى والحلاج والسهروردى.

الأصوليين يتقدم الترمذى ثم البخارى ثم ابن ماجة ثم النسائى وغيرهم[1].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم أصوليون جدد من المتأخرين غير المتقدمين سيطروا على الفكر الأصولى ابتداء من القرن الثامن الهجرى. يتقدم أولا الجاربردى ثم الغزى وإلى حد ما صدر الشريعة. ومن القدماء يتقدم الرازى، ثم العبرى، ثم الخانجى، ثم الشافعى، ثم المصنف نفسه، ثم المراغى. ومن المعتزلة يتقدم أبو الحسن البصرى وأبو هاشم وعبد الجبار وأبو على الجبائى مما يدل على بقاء الاعتزال كباعث على المعارضة الفكرية إلى وقت متأخر. ويظهر الشافعية وفى مقدمتهم الشافعى ثم الباقلانى ثم الغزالى ثم الآمدى والشيرازى والجوينى والاسفراييني ثم البيضاوى وابن فورك والقفال وغيرهم. ويظهر أيضا الأحناف ابتداء من أبى حنيفة محمد وأبو يوسف ويظهر الماتريدى مما يدل على انتشار الماتريدية فى خراسان وبلاد ما وراء النهر. ومن الفلاسفة يظهر ابن سينا صاحب الفلسفة الإشراقية[2]. بل ويبدو انتشار ابن عربى لأول مرة والتصوف، فالشارح نفسه صوفى النزعة كما يبدو فى المقدمة. فقد قام بالشرح أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين ومعارف الصوفية. ومن اللغويين يظهر سيبويه والخليل[3].

جـ- المعارضة الحنفية والاعتزالية والمالكية والحنبلية. وتقل أسماء الأعلام فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم، يتقدم أبو حنيفة بالرغم من أن المتن والشرح لشافعيين ثم الشافعى ثم أئمة الأشاعرة الشافعية مثل الباقلانى والاسفراييني. ثم يتوالى

---

(١) الترمذى (٢٠)، البخارى (٧)، ابن ماجه (٥)، الدارقطنى (٤)، النسائى، النووى (٣)، ابن حيان (٢). ومن الصحابة يتقدم الخلفاء الأربعة، أبو بكر (٧) ثم عمر (٥)، ثم عثمان وعلى (٤).

(٢) الجاربردى (٨٠)، الغزى (٧٦)، الإمام (الرازى) (٣٥)، العبرى (٣٤)، الخانجى (٣٣)، الشافعى (٣٢)، المصنف (٢٩)، ، المراغى (٢٦)، أبو الحسن البصرى، الباقلانى (٢٤)، الفاضل (٢١)، أبو حنيفة (٢٠)، حجة الإسلام (١٦)، أبو هاشم (١٢)، الكرخى (٩)، الآمدى (٨)، الشيرازى، إمام الحرمين (٦)، الاسفراييني، الأشعرى، عبد الجبار، أحمد بن حنبل (٥)، ابن الحاجب، أبو بكر الصيرفى، أبو عبد الله البصرى (٤)، أبو زيد، صاحب المنتهى، صاحب التنقيح، أبو بكر الرازى (٣)، الماتريدى، ابن عربى، الأصمعى، البغوى (٢)، الزمخشرى، البيضاوى، الكعبى، ابن سينا، الخليل، سيبويه، أبو سعيد الخدرى، سعيد بن جبير، صدر الشريعة، ابن فورك، البلخى، أبو على الجبائى، الطوسى، ابن مالك، على بن عيسى الربيعى، ابن سريج، السكاكى، الأصفهانى، محمد بن الحسن، أبو سعيد المعلى، القفال أبو يوسف، سعيد بن المسيب، الشريف المرتضى، عبد الجابر، صاحب الحاصل، صاحب التحصيل، شارح المختصر، الأوزاعى، أبو الهذيل، النظام، عيسى بن أبان، بشر المريسى وعشرات غيرهم (١).

(٣) "أثناء اشتغالى باقتناص علوم الأولياء الإلهيين، وتعلق بالى باقتباس معارف الصوفية المتألهين مع التزام مجاورة الطلاب وحل كتب أخرى غير هذا الكتاب"، مناهج العقول جـ١/٤.

الشافعية مثل الجوينى وابن فورك والجرجانى والغزالى والقفال والرازى مع بعض المعتزلة مثل أبى الحسين البصرى وعبد الله البصرى وعيسى بن أبان. ويذكر ابن حنبل وداود الظاهرى مع عديد من الصحابة والتابعين والنحاة واللغويين مثل الزبيدى[1].

وفى "فتح الغفار بشرح المنار" لابن نجيم يتقدم فخر الإسلام البزدوى. فالشارح حنفى ليجد مكانا للحنفية كمركز للوعى الأصولى التاريخى بعد أن سيطرت عليه الشافعية. ويتوالى الأحناف تباعا ابتداء من المصنف والهندى والسيرامى وأبو حنيفة والقاآنى والبرغرى والدبوسى والكرخى وقاضى خان وأبو يوسف وشمس الأئمة وزفر والجصاص والماتريدى وابن الهمام. ويعضدهم المالكية مثل ابن الحاجب ومالك نفسه، ويؤيدهم المعتزلة مثل عبد الجبار وأبو هاشم ومعهم الإمامية مثل ملا خسرو والنحاة مثل سيبويه، وذلك لإخراج الشافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخى عند الشافعى والتفتازانى والبيضاوى والأسنوى والأشعرى والايجى والطحاوى والسبكى وسيبويه[2].

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى الحنفى يتقدم بطبيعة الحال فخر الإسلام البزدوى الحنفى ثم ينازعه الشافعى. ثم يظهر ابن الهمام الحنفى. ويتوالى فقهاء الأحناف مثل الشيبانى وأبو يوسف وأبو حنيفة نفسه مع مالك لفك الحصار الشافعى الأشعرى ممثلاً فى الغزالى والرازى. ويعود فقهاء الأحناف مثل شمس الأئمة والجصاص والمصنف نفسه والقاضى أبو زيد لفك الحصار الشافعى الأشعرى الممثل فى عبد القاهر البغدادى. ويقابل الماتريدى الأشعرى. ويأتى ابن حنبل لمساعدة الأحناف مثل الكرخى ثم يحاصران بإمام الحرمين. ثم يظهر المالكى مثل ابن الحاجب

---

(١) أبو حنيفة (٨)، الشافعى (٥)، الباقلانى (٤)، الاسفرايينى (٣)، الصيرفى، سعيد بن المسيب، سفيان الثورى، ابن عباس، عائشة، ابن سريج، على، عمر، أبو هريرة، الكرخى (٢)، ابن حنبل، الأزهرى، ابن راهويه، الجوينى، أبو بكر، ابن فورك، الجرجانى، الأشعرى، أبو الحسين البصرى، خالد بن الوليد، داود الظاهرى، الرازى (فخر الدين)، الزبيدى، الأصطخرى، عبد الله البصرى، ابن علية، عيسى بن أبان، الغزالى، القفال، الكسائى، الكميت، عز بن مالك، مالك، محمد بن مسلمة، أبو محمد الجوينى، ابن مسعود، معاذ، المغيرة، المقداد، أبو موسى الأشعرى، النحاسى، النووى، الحسن بن الحسين (١).

(٢) فخر الإسلام (٦٢)، الشافعى (٥٢)، المصنف (٥٠)، أبو يوسف، السيرامى (٢٤)، الهندى (١٨)، صدر الشريعة، أبو حنيفة (١٦)، القاآنى، التفتازانى، شمس الأئمة (١٠)، البرغرى، الدبوسى، الكرخى، قاضى خان، الشيبانى، شمس الأئمة (٦)، الجرجانى، ابن الحاجب، الزيلعى، عبد الجبار، صاحب الهداية، صاحب الكشف، ملا خسرو، زفر، ابن السبكى الفارسى، امرؤ القيس، الجوهرى (٤)، ابن الهمام، الأكمل، البيضاوى، القرطبى، الثلجى، أبو هاشم، الحداوى، الأسنوى، الأخفش، الأشعرى، الايجى، أبو بكر الرازى (الجصاص)، الوالوالجى، مالك، القاضى، ابن مالك، الطحاوى، السبكى، الصيرفى، الماتريدى، سيبويه، زهير، الكلبى، شيخ الإسلام ابن حجر، صاحب التقديم، صاحب الكشاف، شرح الكنز، شرح الجمع (٢).

والفيلسوف ابن سينا لمساعدة التيار العقلى الواقعى ولكن يحاصرهما الباقلانى. وهكذا تستمر التيارات المهمشة الاعتزالية عند عبد الجبار والجبائى، وأبى الحسين البصرى، وأبى الحسن البصرى، وعباد ابن سليمان، والحنفى عند الدهلوى والمزنى والكرخى وعيس بن ابان والسرخسى بل والإمامى عند جعفر الصادق والطوسى ومحمد الباقر والمالكى أقل. واللغوى عند سيبويه والسيرافى وابن أبى البقاء بل والصوفية مثل صاحب الفتوحات الملكية ولكن الأشعرية الشافعية تستمر فى الحصار مثل السبكى والطحاوى والتفتازانى وصاحب المحصول وصاحب الهداية والاسفراييني والنسفى والدوانى وعبد السلام والماوردى[1].

وفى "معراج المنهاج" للجزرى يتقدم بعد المؤلف نفسه أعلام المعتزلة على الإطلاق مثل النظام، وأبى الحسين البصرى والكرخى والخياط وأبى عبد الله البصرى وأبى على، وأبى هاشم والقاضى عبد الجبار. ومن الأشاعرة الأشعرى والجوينى والأرموى، ومن الظاهرية داود والفقهاء الأربعة وسفيان الثورى، ومن النحاة سيبويه، ومن الشعراء الفرزدق وامرئ القيس[2].

وفى "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى يتقدم بطبيعة الحال أعلام المالكية مثل السبكى والقرافى لأن الشارح مالكى موريتانى مغربى حيث تسود المالكية فى مركز الوعى

---

(١) فخر الإسلام البزدوى (٨٨)، الشافعى (٨٤)، ابن الهمام (٧٨)، صدر الشريعة (٣٠)، القاضى، مالك، الشيبانى(٢٤)، أبو حنيفة، أبو يوسف، حجة الإسلام (٢٢)، القاضى أبو زيد (٢٠)، الرازى (فخر الدين)، شمس الأئمة (١٦)، الجصاص، المصنف، الجصاص البغدادى (عبد القاهر) (١٤)، الماتريدى، الأشعرى، ابن حنبل (١٢)، الكرخى، إمام الحرمين، ابن الحاجب، ابن سينا(١٠)، الباقلانى، القاضى أبوبكر، الدهلوى، جدى الولى قطب الملة والدين السيد قوس سره الشريف (٦)، الكعبى، سيبويه، عبد الجبار، الجبائى، الحسن البصرى، أبو الحسين البصرى، صاحب الكشف (٤)، المزنى، أبو ثور، أعظم مشايخنا وأكبر مشايخ العراق، القاضى الإمام، الطحاوى، جعفر الصادق، التفتازانى، ابن خلكان، صاحب المحصول، السيد، صاحب الهداية، الكرخى، أبو اليسر، صاحب التحرير، صاحب البديع والمختصر، الطوسى، الاسفراييني، الحليمى، العينى. عبد الواحد بن يزيد، عيسى بن أبان، النسفى، ابن الزبعرى، الفراء، المبرد، الإمام، صدر الإسلام، صاحب الفتوحات المكية، قطب الدين الشهيد، عمر بن الفضل، الشيخ سراج الدين، صاحب البديع، محمد الباقر، جلال الدين الدمانى، الشيخ عبد السلام، ابن أبى البقاء، السرخسى، السيرافى، السهيلى، الفارسى، ابن هشام، امرئ القيس، الماوردى، قطرب، هشام، الدينورى، ابن مالك، أبو عمر الزاهد.

(٢) الجزرى (٣)، النظام، أبو الحسين البصرى (٢)، أبو الحسن الكرخى، الخياط، أبو عبد الله البصرى، الجبائى، (أبو على. أبو هاشم)، القاضى عبد الجبار، الاسفراييني، ابن جرير الطبرى، ابن سريج، الباقلانى، الرازى. الصيرفى، أبوجعفر الطوسى، أبو مسلم الأصفهانى، الأشعرى، الجوينى، البيضاوى، القفال الشاشى، المازرى، أبوبكر الدقاق، الغزالى، الأرموى، أبو داود الظاهرى، الشريف المرتضى، أبو حنيفة، أبو يوسف، الشيبانى، الشافعى، البخارى، أبو سعيد الخدرى، سفيان الثورى، أحمد بن حنبل، مالك بن أنس، سيبويه، الفرزدق، امرئ القيس.

التاريخي الفقهي الأصولي ويحاصر المالكية مثل ابن الحاجب ومالك نفسه والقاضي عبد الوهاب المالكي والباجي، وأبو الفرج المالكي والتلمساني الشافعي والرازي وزكريا. ويساعد الأحناف مثل أبي حنيفة نفسه وابن الهمام وعيس بن أبان وأبو زيد الدبوسي والجصاص والكرخي في زحزحة المركز. كما يساعد أيضاً الحنابلة مثل أحمد نفسه، والصوفية مثل ابن عربي، والمعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وأبي الحسين البصري والحسن البصري والزمخشري. ولأول مرة يظهر ابن رشد من الفلاسفة دفاعاً عن حق المحيط في أن يصبح مركزاً، ويزاح الأشاعرة مثل التفتازاني والزركشي وإمام الحرمين والباقلاني والأشعري والأموي والغزالي والبيضاوي والقفال والشيرازي والايجي والاسفراييني والأسنوي[1].

وفي "فتح الودود على مراقي السعود" للشنقيطي يتقدم بطبيعة الحال مالك. فالشارح مالكي المذهب وإن كان شافعي العقدية. وهو ما يبين حضور الغزالي في العقائد ومالك في الشرائع في آن واحد، وهو الخلف المغربي المتمثل أيضاً في ابن رشد، ظاهري في العقيدة، ومالكي في الشريعة. يظهر مالك مزاحماً للشافعي. ثم يتوالى المالكية مثل القاضي عبد الوهاب ليزيح السبكي الأب والابن وإمام الحرمين. ثم يظهر ابن الحاجب والقرافي والابياري والباجي وأبو الفرج المالكي وحلولو ليزيح الباقلاني والآمدي والرازي. ويعضد أبو حنيفة المذاهب مع باقي الأحناف مثل أبي يوسف والماتريدي. ويأتي ابن حنبل أيضاً ليجد له مكاناً في المركز. ويساعد النحاة مثل ابن جني والزجاج لإفساح المجال ضد السيادة الأشعرية عند البيضاوي والأشعري والسمعاني. وربما لثاني مرة يظهر ابن رشد كسراب بعيد يتراءى في الوعي التاريخي مازال في حاجة إلى استدعاء[2].

---

(١) السبكي (٧٨)، القرافي (٧٦)، الشافعي (٥٤)، ابن الحاجب (٤٦)، مالك (٤٢)، الرازي (٢٦)، زكريا شيخ الإسلام (٢٤)، القاضي (٢٠)، القاضي عبد الوهاب المالكي (١٦)، اللقاني (١٤)، أبو حنيفة، المحلي، أحمد، التفتازاني، أبو الحسن البصري، الابياري، الباجي (١٢)، الزركشي، ابن رشد، إمام الحرمين (١٠). ابن الهمام، الأصفهاني، الشاطبي (٨)، حلولو، الباقلاني، الرهوني، الأشعري، الآمدي، الغزالي، الفهري، البيضاوي (٦)، ابن الماجشون، خليل المالكي، ابن عبد السلام، السمعاني، البرماوي، ابن العربي، القفال. عبد الجبار، اسحق بن راهويه، الابهري، عيسى بن أبان، سيبويه (٤)، المحشي، العبادي، أبو زيد، البناني، سحنون، عبد الباقي، ابن مرزوق، الدماميمي، الرهوني، ابن دقيق العيد، المصنف، الحميري، أبو بكر الرازي، الشيخ الإمام ابن مالك، الصفي الهندي، التلمساني، الشيرازي، اللخمي، شهاب الدين عميرة، الايجي، صلاح الدين، المقرى، الحسن البصري، الزمخشري، البخاري، ابن عربي، أبو طالب، الدبوسي، محمد الجويني، الاسفراييني، الأسنوي.

(٢) مالك (٢٤)، الشافعي (٢٢)، القاضي عبد الوهاب المالكي، السبكي (تقي الدين) (٢٠)، إمام الحرمين (١٢). ابن الحاجب، أبو حنيفة، السبكي (تاج الدين)، القاضي أبوبكر الرازي (الجصاص) (١٠)، القرافي، المحلي.=

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار وهو حنبلى يشرح حنبلياً يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم الرسول، وهى سمة الحنبلية، الاقتداء بالرسول. ثم يتبع فقهاء الحنابلة، أبو يعلى ثم ابن مفلح ثم ابن تيمية ثم ابن الحاجب وابن قاضى الجبل وابن قدامة والطوفى وابن القيم الجوزية وابن عقيل وابن الصلاح والماوردى والعز بن عبد السلام وابن الجوزى وابن البناء. ويتخللهم فقهاء الشافعية الأشعرية باعتباره التيار المستقر فى الوعى التاريخى مثل الشافعى والآمدى والباقلانى والغزالى والأشعرى والجوينى والرازى والاسفرايينى والقفال الشاسى وابن فورك والايجى والشيرازى والسبكى والبغوى. ويتداخل معهم فقهاء المالكية بداية بمالك والقرافى وعبد الوهاب المالكى ويظهر معهم كبار المحدثين النسائى والترمذى والبخارى ثم يظهر النحاة مثل سيبويه، وابن جنى، والزجاج، والسيرافى. ومن الصوفية المحاسبى، والقشيرى وغيرهم. ومن المعتزلة: الجبائيان، الحسن البصرى، أبو الحسين البصرى، القاضى عبد الجبار. الزمخشرى. ومن الأحناف: أبو حنيفة، الكرخى، السرخسى، الجصاص، الأوزاعى، أبو يوسف، الشيبانى، أبو شمر. ومن الظاهرية ابن حزم وداود الظاهرى. ويلاحظ قدرة الحنابلة على الجمع بين النص والعقل والمصلحة، الوحى والعقل والطبيعة[1].

٢- المتون والشروح.

أ- المحصول للرازى. والمتن الأكثر حضوراً فى الشرح هو "المحصول للرازى" ثم البرهان

=الابيارى، الباجى، الباقلانى (٦)، الآمدى، الرازى، حلولو، ابن حنبل، أبو يوسف (٤)، أبو الفرج المالكى، الأبهرى، المحلى، الولاتى، ابن حجر، ابن كثير، المصورى، ثعلب، ابن فارس، الزجاج، العسكرى، البيضاوى، ابن القشيرى، المحشى، ابن جنى، النعمان، القشيرى، الماتريدى، زكريا، الأشعرى، السمعانى (٢)، ابن رشد (١).

(١) ابن حنبل (٣٤٧)، محمد الرسول (٢٤٢)، أبو يعلى الحنبلى (٢٢٥)، ابن مفلح الحنبلى (٢١٣)، الشافعى (١٤٦)، الآمدى (١٣٥)، ابن تيمية (١٠٧)، البرماوى (١٠٦)، ابن الحاجب (٩٨)، ابن قاضى الجبل الحنبلى (٨٦)، ابن قدامة، العلوفى (٧٦)، الباقلانى (٧٢)، مالك (٧٠)، الجوينى (٦١)، ابن حمدان (٥٤)، ابن تيمية (٥٣)، أبو حنيفة (٤٢)، الغزالى (٣٩)، الأشعرى (٣٧)، ابن برهان (٣٥)، القرافى، السبكى (تاج الدين) (٢٩)، ابن السمعانى، صفى الدين (٢٧)، سيبويه (١٨)، ابن حجر العسقلانى (٢٦)، أبو داود السجستانى، البيضاوى (٢٥)، ابن العراقى (٢٣)، الترمذى، النسائى (٢٢)، البيهقى، ابن البناء، ابن حامد (١٨)، الأصفهانى، الخلال (١٦)، الايجى (١٥)، الجبائى (أبو هاشم)، الكورانى. الجبائى (أبو على) (١٤)، عبد الوهاب المالكى (١٣)، المروزى، الاسفرايينى (١٢)، الشافعى، ابن القيم، الجوزية، الماوردى، عبد الوهاب المالكى (١٠)، ابن كلاب المصرى، السبكى (تقى الدين)، النيسايورى، الصيرفى، طاوس، ابن الصباغ، أبو حاتم الرازى (١١)، عبد القاهر البغدادى، الماتريدى (٩)، أبو على الفارسى، الحلى، الزجاج، ابن سريج (٨)، المروزى، أبو البقاء (٧)، الحلوانى، الجصاص (٦).

"للجوينى"، والمستصفى "للغزالى". ثم الشروح المتأخرة خاصة المالكية والحنبلية. وتبدو أهمية "المحصول" لأنه جمع بين "البرهان" و"المستصفى". ويظهر اسم العمل دون اسم المؤلف نظراً لشهرته وحضوره فى الوعى التاريخى نصاً كان أم شرحاً بعد أن تحول الشرح إلى متن مثل المتون الأولى.

ومن المصادر المذكورة فى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم "المحصول" للرازى كنص عمدة، ثم "المختصر" لابن الحاجب ثم "المصباح" و"المنهاج" للبيضاوى، ثم "الأحكام" للآمدى. ثم "التحصيل" للأرموى. ومن الفقه "شرح الكفاية الشافية" لابن مالك. ومن النحو "الخصائص" لابن جنى[1].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم "المحصول" للرازى ثم شروحه مثل "الحاصل" و"التحصيل" ثم "المنتهى" لابن الحاجب ومختصراته وشروحه، ثم أمهات الأصول الأشعرية الشافعية مثل "البرهان" للجوينى و"المستصفى" للغزالى. وتظهر بعض المتون لحنفية مثل "أصول البزدوى" لسيادة الحنفية والماتريدية فى خراسان. وتظهر السيادة الفلسفية الإشراقية يظهر "شرح الإشارات" للطوسى[2].

وفى "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخارى يتقدم أيضاً المحصول ثم متون الحنفية كالمبسوط للسرخسى وأصول البزدوى[3].

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" يتقدم أيضاً المحصول ثم الشرح للآمدى وبعض متون الشافعية وشروحها[4].

وفى "نهاية السول" للأسنوى شارحاً المحصول للرازى بطبيعة الحال يتقدم نص "المحصول" على غيره من النصوص والشروح ثم "المنتخب" و"الاحكام" للآمدى ثم شروح

---

(١) المحصول فى علم الأصول للرازى (٤)، المختصر لابن الحاجب، المصباح لناصر الدين البيضاوى (٣)، الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى، المنهاج لناصر الدين البيضاوى (٢)، التحصيل من المحصول لسراج الدين الأرموى، الخصائص لابن جنى، شرح الكفاية الشافية لابن مالك (١).

(٢) المحصول (١٧)، شرح المحقق (عضد الدين) (٨)، الحاصل (٥)، شرح السنة (٣)، الفتوحات، المختصر (٢)، المنتهى، حاصل المحصول، الصحاح، الحاوى، الوجيز، الكشاف، مختصر المنتهى، البرهان، التلويح، الصحاح، شرح الإشارات، صحيح البخارى، شرح مختصر المنتهى، الهداية، المفتاح، التحصيل، أصول البزدوى، المستصفى (١).

(٣) المحصول (٢)، المبسوط، أصول البزدوى، شرح الطحاوى، كتب الأصول، الجامع، الصحاح (١).

(٤) المحصول للرازى، شرح المختصر للآمدى (١٠)، شرح المنهاج (٧)، المختصر (٣)، الكشاف، المستصفى، الصحيحان (٢)، التقريب، المرشد الوجيز، المنخول، شرح البرهان، كتب المغاربة والمشارقة (١).

المحصول. وتبرز النصوص التكوينية للشافعية الأشعرية مثل "المستصفى" للغزالى، و"البرهان" و"الشامل" للجوينى. كما تظهر بعض النصوص الاعتزالية مثل "المعتمد" للبصرى و"العمد" لعبد الجبار[١].

ب- البرهان للجوينى والمستصفى للغزالى. وبعد "المحصول" للرازى يتقدم "البرهان" للجوينى ففى "الكاشف" للأصفهانى يأتى فى المقدمة "البرهان" للجوينى ثم "المستصفى" و"شفاء الغليل" للغزالى ثم "المعتمد" لأبى الحسين البصرى مما يدل على استمرار الصراع بين الأشاعرة والمعتزلة[٢]. ثم يختفى الشخص لحساب المؤلف مثل "صاحب الأحكام" ثم صاحب التلخيص ثم صاحب المعتمد (أبو الحسن البصرى)... إلخ. وتدل الإشارات على احتواء العمل للمؤلف وتعريف المؤلف بعمله لا بشخصه[٣].

وفى "الإبهاج لشرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم أيضاً "البرهان" أولاً وشروحه المختلفة كما أتى من المصنفين إمام الحرمين أولاً. ثم تأتى شروح واختصارات "التقريب" و"الإرشاد" لإمام الحرمين أيضاً ثم "شرح اللمع" للشيرازى. وتبدو أصول الفقه الاعتزالى مثل "المعتمد" و"شرح العمد" من بعيد[٤].

وفى "الأنجم الزاهرات فى حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم يحال إلى "البرهان" للجوينى ثم

---

(١) نهاية السول: المحصول (١٧٥)، المنتخب (٤٥)، شرح المحصول (٣٧)، الاحكام (الآمدى) (٢٥)، البرهان (٢٣)، المستصفى (١٩)، التحصيل (١٥)، شرح اللمع (٨)، شرح المعالم، الوجيز (٧)، المعتمد، شرح المعتمد، الشامل (٥)، شرح التنقيح، التنقيح (٤)، وعشرات أخرى من المصادر والنصوص والشروح على السواء.

(٢) البرهان (٦٣)، المعتمد (٤٦)، المستصفى (٤٠)، شفاء الغليل (٤٠)، الرسالة البهائية (١٢)، شرح المعتمد (٩)، شرح العمد (٨)، التنقيح، الملخص، العمد (٧)، الشامل (٦)، المعالم (٥)، التحصيل، الخصائص، الإرشاد (٤)، المحصل، التلخيص، منتهى السول (٣)، القواعد للأصفهانى، الأوسط، المنتخب (٢)، العين، الأربعين، الإيضاح، التمهيد، الجامع، الصحاح، الموجز، نهاية الاقدام، المدخل، اللمع، الأساليب، الوصول إلى علم الأصول، الفصول، الطريقة الحسنة (١).

(٣) صاحب الأحكام (٢١٢)، صاحب التلخيص (٩٦)، صاحب المعتمد (٧٦)، صاحب التنقيح (٦٥)، صاحب التحصيل (٣٤)، صاحب الحاصل (٢٥)، صاحب التنقيحات (١٥)، صاحب المحصول، صاحب الإفادة (٦)، صاحب كشف الأسرار، صاحب العين، صاحب المنتخب (٢)، صاحب الصحاح، صاحب الكشية، صاحب النهاية، صاحب الملخص، شارح البرهان (١).

(٤) البرهان (٢١)، مختصر التقريب والإرشاد (٢٠)، التلخيص والإرشاد (٢٠)، شرح اللمع، شرح المحصول، التقريب (٩)، شرح البرهان (المازرى)، القواطع (ابن السمعانى)، الملخص، عدة المعالم (٦)، شرح المعتمد (٣)، المحصول، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة، المعالم (٢)، الحاصل، الإرشاد، الأشباه والنظائر، الوجيز، الإفادة، المعتمد، أحكام القرآن، شرح الكفاية، الاصحاح، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة (١).

الصحاح للبخارى ومسلم مع شرح مسلم للنووى[1]. فلم يعد البرهان فى حاجة إلى شرح إلا بالحديث أى بالنقل دون العقل مع غياب أى تحد آخر من الحنفية أو المعتزلة أو المالكية أو الحنبلية أو الظاهرية أو الإمامية.

وفى "التقرير والتحبير" لابن كمال الحاج يتقدم أيضاً "البرهان" و"الرسالة" للشافعى مؤسس علم الأصول و"المواقف" للايجى آخر نص فى علم الكلام الفلسفى، و"المحصول" للرازى، و"شرح الكفاية". تتلوها عديد من المتون مثل "التقريب"، "جامع الأسماء"، "كشف الأسرار"، "جمع الجوامع"، "المحصول"، "الاحكام" مع عديد من الشروح مثل "شرح المواقف"، "شرح الهداية"، "شرح المنهاج"، "شرح أصول ابن الحاجب"، "شرح البرهان"، "شرح الطحاوى"...الخ. ويبدو التحدى بين الحنفية فى "كشف الأسرار" للبزدوى، والمالكية فى "المنتهى" لابن الحاجب وشروحه[2].

وفى "نفائس الأصول" للقرافى المالكى يتقدم "المستصفى" للغزالى الشافعى باعتباره أهم نص تكوينى فى القرن الخامس، ثم "شرح البرهان" للجوينى وهو صاحب البرهان والإمام. وهما ثنائيا الأشاعرة، التلميذ والأستاذ ثم "الأوسط" لابن برهان. ثم يظهر بعد ذلك النص الاعتزالى "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى، ثم يعود الأشاعرة من جديد فى "اللمع" للشيرازى. ثم تظهر نصوص الحنابلة مثل "العمدة" لأبى يعلى، و"أصول الفقه" لعبد الوهاب المالكى، و"التمهيد" لأبى الخطاب الحنبلى. ثم يعود الأشاعرة الشافعية من جديد كتيار دائم مثل "الأحكام" للآمدى و"شفاء الغليل" للغزالى. ويتبادل الشافعية والمالكية والحنابلة الأدوار مثل "المعالم" للرازى و"الملخص" للمالكى، و"شرح المحصول" للباجى و"الواضح" لابن عقيل[3].

---

(١) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات: البرهان (٣)، البخارى، مسلم، شرح مسلم (١).

(٢) الرسالة، المواقف، البرهان، شرح الكفاية (٨)، شرح المواقف، المقاصد، المحصول، شرح المنهاج (٦)، المنتخب، شرح الهداية، التقريب، جامع الأسرار، كشف الأسرار، المنتهى، فتح القدير، الجامع الكبير، المبسوط، المستصفى، جمع الجوامع، شرح المنهاج، المحاصيل، التحصيل، المحصول، المنهاج، الإيضاح، الكفاية، طبقات، الفقهاء، الأحكام، شرح أصول ابن الحاجب، شرح الطحاوى، شارحِىْ أصول ابن الحاجب، جامع العلة، الحكمة، شرح البرهان (٣).

(٣) المستصفى (٦٤)، شرح البرهان (الجوينى) (٢١)، الأوسط (ابن برهان)، المعتمد (البصرى) (١٩)، اللمع (الشيرازى) (١٧)، العمدة (أبو يعلى) (١٤)، شرح البرهان (المازنى) (١٣)، أصول الفقه (المالكى) (١١)، التمهيد (أبو الخطاب) (٩)، الاحكام (الآمدى)، المحصول (الرازى) (٧)، شفاء الغليل (٥)، الملخص (المالكى) (٤)، المعالم (الرازى) (٣)، شرح المحصول (الباجى)، الواضح (ابن عقيل)، الحاصل، شرح المعالم (ابن التلمسانى)، الأحكام السلطانية (الماوردى) (٢)، الاختصار، الإرشاد (الجوينى)، شرح العمد، القياس (البصرى)، الكشاف (الزمخشرى)، المحصل (الرازى)، المزنى، ترجيح الأخبار، الترجيحات، المحصول،=

وتستمر المدارس الأصولية على التناوب، بين الشافعية والمعتزلة والحنبلية والمالكية. بل والظاهرية. كما تتداخل النصوص اللغوية مثل "الجامع" لابن جنى، و"الأمالى" للزجاج بل والفلسفية أيضاً مثل "الشفاء" لابن سينا. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل[1].

وفى "التحقيقات لشرح الورقات" لابن واقان يتقدم أيضاً "المستصفى" و"المنتهى". ويحال إلى التوراة[2].

وبعد "المستصفى" يأتى "جمع الجوامع". ففى "فتح الودود على مراقى السعود" للشنقيطى المالكى تقل الإحالة إلى المصادر باستثناء "جمع الجوامع" للسبكى، و"الرسالة"، و"شرح التنقيح"، بالرغم من ورود ما يزيد على الألف ومائة اقتباس دون الإحالة إلى مصادرها بل يكفى علامة "أهـ"[3].

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للولاتى تقل الإحالة إلى مصادر خارجية باستثناء "الضياء اللامع فى روضة الناظر" للشارح الحنبلى مع حواشى البيضاوى[4].

جـ- المتون والشروح المعارضة. وهى المتون والشروح الحنفية والاعتزالية والمالكية والحنبلية والظاهرية والإمامية. ومعظمها حنبلية. ففى "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى تظهر أيضاً نصوص مثل "المبسوط" وعدد آخر من الشروح والمتون الحنفية والأصولية واللغوية ومجموعات الأحاديث مثل شرح البزدوى وتقويم الأدلة للدبوسى والمالكية مثل شرح أصول ابن الحاجب والاعتزالية مثل "المعتمد"[5].

ويحيل "تيسير التحرير" لابن بادرشاه إلى عديد من المصادر. أولها "شرح الهداية" ثم "الشرح العضوى" ثم شروح "التنقيح" ثم "شرح المختصر". وتأتى الشروح قبل المتون مثل

=القبس (ابن العربى)، المعتمد (أبو يعلى)، الاقرار (الخرقى)، الجامع (ابن جنى)، الأمالى (الزجاج)، الشفاء (ابن سينا)، شرح المحصل (قطب الدين المصرى)، النكت (ابن حزم) (١).

(١) التوراة (٤)، الإنجيل (١).

(٢) المستصفى، المنتهى، التوراة (١).

(٣) جمع الجوامع (٦)، الرسالة، شرح التنقيح (٢)، الاقتباسات (١١٠٠).

(٤) "الضياء اللامع فى روضة الناظر"، "حواشى البيضاوى" (١).

(٥) المبسوط (٤)، المحيط (٢). الشروح مثل: شرح البزدوى، شرح الهداية، شرح الجامع، شرح الآثار، شرح التأويلات، شرح أصول الدين (الحاجب)، شرح المنار (للمصنف). والمتون مثل: الصحاح، تقويم الأدلة، معرفة أنواع الحديث، صحيح مسلم، تنويع السماع وتجنيس الإجازة، الاستحسان (محمد)، المعتمد، الكفاية، الجامع الحسابى.

"الكشاف"، و"المحصول"، و"البديع"، و"الهداية"، و"المستصفى"[(١)].

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار تتجاوز المصادر المحال إليها ما يفوق أربعمائة مصدر مما يدل على أن الحنبلية أصبحت موسوعة ضخمة لعلم الأصول والذاكرة الحضارية للوعى الأصولى. فالفقهاء هم حراس المدينة الذين يدقون ناقوس الخطر، والذين يقومون بعمليات المراجعة والتصفية حفاظاً على الأصيل ضد الدخيل. يتقدمها جميعاً الكتاب المصدر الأول للتشريع، ثم "شرح التحرير" للمرداوى و"الإنصاف" له و"الفصول" و"الفنون" و"الإرشاد" و"الواضح" لابن عقيل و"التمهيد" و"الانتصار" لابن الخطاب، و"الروضة" و"المغنى" و"الشرح الكبير" لابن قدامه. فالمصادر الحنبلية تأتى أولاً. و"المقنع" و"نهاية المبتدئين" لابن حمدان، و"الأصول" لابن الحاجب، ومختصر، و"أعلام الموقعين" لابن القيم، و"الرعاية" و"الرعاية الكبرى" و"الرعايتان" لابن حمدان و"شرح المختصر" و"شرح الروضة"، و"أصول وفروع" ابن مفلح، و"المسودة" لآل تيمية و"المجرد" و"العدة" لأبى يعلى و"القواعد والفصول" لابن اللحام. ومن مستوى الشافعية "الرسالة" للإمام الشافعى، و"البرهان" للجوينى، و"الملخص فى الجدل" للشيرازى، و"المحصول" للرازى، و"التقريب" للباقلانى. ومن المالكية "شرح التنقيح" للقرافى. ويحال إلى الصحيحين وإلى كتب الحديث الخمسة. كما يحال إلى التوراة والإنجيل[(٢)].

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى من المصادر يتقدم "شرح المختصر" ثم "الحاشية" ثم "شرح المختصر" ثم "التحرير" ثم "مطلع الأسرار الإلهية (الربانية)" و"شرح الشروح" ثم "التلويح" وغيرها من أمهات المتون الشافعية بالإضافة إلى صحيح البخارى والتوراة. ويلاحظ غلبة المتون ثم الشروح ثم الحواشى[(٣)].

---

(١) شرح الهداية (٢٧)، الشرح العضدى (١٢)، الكشاف، التنقيح مع شرح التوضيح والتلويح، شروح المختصر (٦)، المحصول، البديع، المستصفى، الهداية (٣).

(٢) المصادر (٣٤٦). أهمها: الكتاب (المصحف، القرآن) (١٦٣)، شرح التحرير للمرداوى، الواضح لابن عقيل، التمهيد لابن الخطاب (٤١)، الروضة لابن قدامة (٣٩)، جمع الجوامع للسبكى (٣٨)، أصول ابن مفلح، الفروع لابن مفلح (٢٨)، شرح الطوفى لمختصره، المسودة لآل تيمية، تحرير المنقول للمرداوى (١٥)، نهاية المبتدئين لابن حمدان (١٤، فتح البارى للعسقلانى (١٢)، القاموس المحيط للفيروزبادى، التذكرة للتيمى، المجرد للفراء، الفنون لابن عقيل (١٠)، العدة للفراء، البرهان للجوينى، الحاوى للحنبلى، شرح مختصر الطوفى للعسقلانى، شرح التهذيب للنووى، الأصول لابن الحاجب، أعلام الموقعين لابن القيم، الملخص فى الجدل للشيرازى، صحيح البخارى، الانتصار لابن الخطاب (٨)، شرح مختصر الروضة للطوفى، التوراة (٧)، شرح المنظومة للبرماوى (٦).

(٣) شرح المختصر (٣٨)، الحاشية (٣٠)، التحرير (٢٨)، مطلع الأسرار الإلهية، شرح الشرح (١٢)، التلويح (٨)، شرح المنهاج (٦)، المختصر، فتح الغدير، شرح المنار (٤)، المجتبى، التقرير، الشفاء، الفوائد الغثائية، الكشف، المواقف، الأسرار، شرح الهداية، الدرة المنثورة، الاسم، البدائع، البديع، التلميح والتحرير (٢).

وفى "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى تتقدم المتون على الشروح والحواشى. وأهمها "التنقيح" بشروحه وحواشيه ثم "المحصول" للرازى الذى جميع بين "البرهان" و"المستصفى" وتظهر بعض المتون مثل "شرح المختصر" لخليل المالكى(١).

وفى "فتح الغفار فى شرح المنار" لابن نجيم يتقدم "التلويح" ثم "التحرير" ثم "التقرير" ثم "التنقيح". وتتراوح بين المتون والشروح والحواشى، والمتون أكثر من الشروح، والشروح أكثر من الحواشى(٢).

٣- المذاهب والفرق

أ- التحدى الاعتزالى. فى "الكاشف" للأصفهانى من الفرق والمذاهب والطوائف يأتى المعتزلة تحديا بينهم وبين الأشاعرة مع توسط الفقهاء والمتكلمون والأصوليون متأخرون ومتقدمون وبالتفاعل مع المذاهب الفقهية الشافعية والحنفية، وبتآزر الفلاسفة والمناطقة والنحاة، وبقايا الديانات الشرقية القديمة البراهمية والثنوية. وتمثل المذاهب والفرق ليس المركز بل الأطراف، وليس التيار الغالب، الشافعية الأشعرية، بل تيارات الأطراف التى مازالت تمثل تحدياً للمركز وعلى رأسها المعتزلة ثم الحنفية ثم الحنبلية ثم مجموع الأصوليين(٣).

---

(١) التنقيح (٢٢)، المحصول (١٤)، شرح التنقيح (١٢)، الآيات البينات (٦)، المختصر (خليل المالكى)، شرح المحلى على جمع الجوامع (٤)، الرسالة، المنهج، الدر الواقع، مختصر بن الحاجب، جمع الجوامع، المنتهى، نقاش الدرر، الذخيرة، التلويح على التنقيح، حواشى التلويح، التلويح، شرخ المختصر، فيض الفتاح على نور الاقاح (للشارح نفسه)، شرح المحصول، حياة الحيوان الكبرى (٢).

(٢) التلويح (١٧٦)، التحرير (١٧٠)، التقرير (٤٨)، فتح القدير، التنقيح (٤٢)، المغنى (٣٠)، التوضيح (٢٦)، الكشف (١٦)، الكشاف، البدائع. الهداية، حاشية العضد. المبسوط، تلخيص الجامع الكبير. شرح الكنز (٤)، فتح البارى، المحيط، العدة. الشارح، صاحب الكشاف، شرح المجمع، حاشية العضد، شرح الهداية، الفتاوى البزازية، الكشف الكبير، المحصول، شرح المغنى، الإيضاح، المفتاح، مختصر ابن الحاجب، ضياء، الحلوم، الحاشية، المصابيح، البحر الرازق، شرح كنز الدقائق، المنتهى، البدائع، شرح منهاج البيضاوى، الفتاوى الظهيرية، كتاب السير، العدة، المنار، تفسير الجلالية، شرح الجمع (٢).

(٣) المعتزلة (١٩٣)، الفقهاء (٧٨)، الأشاعرة (٦١)، أصحابنا (٤٥)، المتكلمون (٤٢)، الشافعية (١٩)، الأصوليون (١٧)، المتأخرون (١٤)، العلماء، أهل الظاهر (١٢)، الحنفية، المحققون (١١)، الجمهور (٩)، الفلاسفة، الشيعة (٨). الخوارج (٧)، المالكية، الحنابلة (٦)، الواقعية (٥)، المنطقيون، الكرامية، أصحابنا، الفضلاء، الأئمة، أهل السنة، علماء الأصول (٤)، الأصحاب، النحاة، أئمة العربية، الزيدية (٣)، المتقدمون، الأدباء، أئمة البصرة (البصريون)، أهل العربية، أهل الفقه، المحققون من الحكماء، أئمة الأصول، المرجئة، أهل الحق (٢). وعشرات ذكر كل منها مرة واحدة مثل البراهمة والثنوية والبغداديون والكوفيون واليونانيون وعلماء الإسلام والحشوية وأصحاب مالك وأهل اللسان والعرب والسمنية والعيسوية.

وفى "نهاية السول" للأسنوى يتقدم المعتزلة مما يدل على حضورهم فى هذه العصور المتأخرة حتى بعد محنتهم فى القرن الخامس. ثم يأتى الفقهاء خاصة "أصحابنا" أى الفرقة التى ينتمى إليها الشارح، ثم مجموع الأصوليين والمتكلمين والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة مع الشافعية، والحنفية مع معتزلة البصرة والكوفة. ويظهر المرجئة والحشوية من الفرق السائدة عند أهل السنة. ومن كل فرقة متقدمون ومتأخرون[1]. يتقدم المعتزلة عامة ومعتزلة بغداد والبصرة خاصة مما يدل على أنهم مازالوا الحاد الرئيسى فى علم أصول الفقه، ولم ينتهوا تماما كما هو الحال فى علم أصول الدين. ثم يأتى الحنفية وهم معتزلة الأصول ثم الشافعية التيار السائد، ثم الأشاعرة سندهم العقائدى، ثم المالكية التيار السائد فى المغرب العربى ثم الحنابلة. ويأتى المتكلمون والعلماء والنحاة. ثم تعود الفرق الكلامية كالخوارج (الرافضة) والإمامية والكرامية والشيعة والمرجئة والحشوية والتعليمية. ثم تأتى فرق تنسب إلى منهجها مثل: الجدليون والقياسيون. ومنهم المتقدمون والمتأخرون. ثم تأتى فرق تنسب إلى أقطارها ومدنها كالعراقيين (أهل العراق) والبخاريين. ثم تأتى الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة والثانوية والشمعونية والعنانية والعيسوية. ويظهر الفلاسفة كفرقة والتابعون وأهل زماننا والحكماء والمشايخ والمحققون[2].

وفى "معراج المنهاج" للجزرى يتقدم جمهور المعتزلة عامة وبعد ذلك معتزلة بغداد والبصرة، والجبائية، والخياطية، والنظامية، والهامشية خاصة. وبعدهم أبو حنيفة المدرسة العقلانية فى الفقه ثم الشافعية مع الأشعرية والواقعية وأهل السنة والمرجئة. ثم يأتى باقى المتكلمين الشيعة ثم الإمامية ثم الزيدية والخوارج (الرافضة). ثم تأتى المدارس الفقهية كالحنابلة[3].

---

(١) المعتزلة (٦٧)، الفقهاء (٢٥)، أصحابنا (١٩)، الأصوليون (١٤)، المتكلمون (١٢)، النحاة (النحويون) (١١)، الشافعية، الحنفية (١٠)، الأشاعرة (٩)، الكوفيون (٨)، البصريون (٥)، المرجئة (٤)، الأقدمون، المتأخرون، الأصحاب، المعتزلة، البصرية، المحققون (٣)، وعشرات أخرى من الفرق والمذاهب مثل: الخوارج، نحاة البصرة، الكوفة، الحشوية، الحنابلة، وغيرهم.

(٢) المعتزلة، الاعتزال، القدرية (٣٩)، الحنفية، الحنفى (٢٩)، الشافعية، الشافعى (٢٠)، الأصوليون (١٧)، الفقهاء (١٦)، أصحابنا (١٣)، الأشاعرة، الأشعرية (٨)، المالكية، المالكى (٧)، المتكلمون (٦)، الصحابة، العلماء، الحنابلة، النحاة (٤)، معتزلة بغداد، الخوارج، المتقدمون، الجدليون (٣)، الإمامى، الإمامية، المتأخرون، الظاهرية (أهل الظاهر)، الشيعة، اليهود، النصيرى، القياسيون (٢)، الكرامية، البراهمة، الثنوية، النصارى، أهل العرف، الفلاسفة، البصريون، الكوفيون، التابعون، أهل زماننا، العلماء، العراقيون، البخاريون، السنى، الجمهور، المشايخ، الحشوية، التعليمية، المحققون (١).

(٣) المعتزلة (٥٥)، الحنفية (٢٧)، الشافعية (١١)، المتكلمون (١٠)، الشسعة (٩)، الحنابلة (٧). الإمامية (٥)،=

وفى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم المعتزلة كالعادة ثم الصحابة، ثم الحنفية، أصحاب أبى حنيفة لاعتمادهم على العقل مثل المعتزلة، ثم مجموع الفقهاء، ثم الشيعة والمتكلمون، ثم أهل اللغة قبل أن يظهر الشافعية أصحاب الشافعى والأصوليون، والأدباء والإمامية والحنابلة والعترة وآل البيت والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة والخوارج وأئمة اللغة والتابعون والخلفاء الأربعة والسلف والشيخان. ومن المتكلمين يذكر الزيديون والحشوية والأزارقة وأصحاب الصفات وأهل الظاهر وأهل القبلة والسمنية والمجسمة والمرجئة. ومن الأصوليين يظهر المالكية ومشايخ الحنفية. ومن النحاة نحاة البصرة والكوفة. ثم يعود أصحاب أبى حنيفة والمعتزلة البصرية والبغدادية وغيرهم[1].

ومن الفرق والمذاهب فى "شرح المنار" لابن نجيم يتقدم المعتزلة مما يدل على استمرار وجودهم فى الوعى التاريخى حتى هذا العصر المتأخر، القرن التاسع بعد أن رعاهم الأحقاف فى الدولة العثمانية. ويتقدم العراقيون باعتبارهم موطن العقل فى البصرة وبغداد. ثم يأتى مشايخ أهل السنة والمتقدمون والشافعية والكوفيون والمتكلمون مثل الشيعة والروافض[2].

وفى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم المعتزلة على الإطلاق باعتبارهم النقيض الذى مازال حاضرا تاريخيا ولم ينته بعد عصر المتوكل فى القرن الخامس قبل الأصحاب أو أصحابنا وهم الشافعية الأشعرية وجمهور الفقهاء والمتكلمين والأصوليين. وبعد ذلك ياتى الحنابلة والشافعية وأهل السنة، متقدمين ومتأخرين قبل الخوارج وأهل الظاهر والشيعة والمرجئة. ويظهر النحويون وأهل اللغة واللسان، بصريين وكوفيين. كما تظهر أخيرا بعض الفرق

=الأشعرية، الظاهرية (٤)، الواقفية (٣)، أهل السنة، البصرية، البغدادية، الزيدية، المرجئة (٢)، الجبائية، الحشوية. الخطابية، الخوارج، الخياطية، الدهرية، الرافضة، السنية، الكعبية، المجسمة، المريسية، النظامية، الهشامية(١). ومن العراق غير الإسلامية: أهل الكتاب، الذمية، المجوس (١).

(١) المعتزلة (٣٩)، الصحابة (٣٧)، الحنفية، أصحاب أبى حنيفة (٣٠)، الفقهاء (٢٥)، الشيعة، المتكلمون (١٣)، أهل اللغة، الشافعية، أصحاب الشافعى (٧)، الأصولويون (٦)، الأدباء، الإمامية، الحنابلة، المعتزلة (٥)، أهل البيت، النحاة (٤)، الأشاعرة، الخوارج، أئمة اللغة، التابعون، الخلفاء الأربعة، الزيدية، السلف، الشيخان، العراقيون من أصحاب أبى حنيفة المحدثون، المعتزلة البصرية، المعتزلة البغدادية (٣)، الأئمة الأربعة، أهل بدر، الكوفيون، أهل الردة، الحشوية (٢)، الأزارقة، أصحاب الصفات، أهل الظاهر، أهل القبلة، أهل العرف، أهل العربية، أهل المدينة، أهل المناظرة، البصريون، بنى قريظة، السمنية، الفضلية، المالكية، المجسمة، المرجئة، مشايخ الحنفية، نحاة البصرة والكوفة (١).

(٢) المعتزلة (٧)، العراقيون، أصحابنا (٤)، الفقهاء، مشايخ العراق (٣)، مشايخنا، علماؤنا، الأصوليون (٢)، مشايخ أهل السنة، المتقدمون، علماؤنا الثلاثة، الشافعية، الكوفيون، العلماء، جمهور أهل العلم، المتكلمون، الروافض، الخوارج، الشيعة (١).

غير الإسلامية مثل أهل الشرك واليهود والنصارى[1].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم الحنفية ثم المعتزلة أى التيار العقلانى الذى مازال "مهمازاً" للفكر الأشعرى المستقر وتحدياً له. ومن المعتزلة يبرز الجبائيان ومعتزلة بغداد والبصرة. ثم يأتى الشافعية والأشعرية مع باقى المتكلمين والفقهاء دون ممثلين آخرين للتيار السائد. كما يظهر الشيعة والحكماء أو الفلاسفة والمالكية والخوارج وأهل السنة. ومن كل متقدمون ومتأخرون[2].

وفى "تشنيف السامع بجمع الجوامع" للزركشى يتقدم المعتزلة على عكس ما هو شائع من نهاية المعتزلة بعد محنتهم فى عصر المتوكل، ثم الجمهور، ثم الحنفية، ثم الظاهرية قبل الشافعية التى ينتسب إليها الشارح وبعض الفرق الكلامية مثل الحشوية والمرجئة والزيدية، والفقهاء عامة والحنابلة خاصة. فالمعتزلة والحنفية لم ينتهيا كمذاهب للجمهور، وظل العقل دعامة المذهب الكلامى والفقهى متحدياً الأشعرية والشافعية[3].

وفى "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخارى الحنفى يتقدم المعتزلة كالعادة ثم أصحابنا أى الحنفية مما يدل على حضور المذهب الحنفى والعقلانية الاعتزالية حتى هذا العصر المتأخر. ثم يظهر العلماء والفقهاء وأصحاب الظواهر والأشعرية وعلماء البيان، المتأخرون منهم والمتقدمون[4].

---

(١) المعتزلة (٥٩)، أصحابنا (٥٨)، الفقهاء (٤٠)، المتكلمون (٣٤)، الحنفية (٢٩)، الجمهور (٢٨)، الأصوليون (٢٥)، الحنابلة، اللغويون، النحاة (النحويون) (٩)، الشافعية (٧)، الأشعرية (الأشاعرة) (٤)، المتأخرون (٣). أهل اللسان، المتقدمون، المالكية، الكوفيون، البصريون، الرافضة (الخوارج)، أهل الظاهر (٢)، الشيعة، المفسرون، الحكماء، أهل الحق، الجدليون المرجئة، نحاة البصرة والكوفة، أهل الشرك، اليهود، النصارى (١).

(٢) الحنفية (٣٩)، المعتزلة (٢١)، الشافعية (١٩)، الأشاعرة (١٢)، الفقهاء (١١)، المتكلمون (٦)، الشيعة، الحكماء (الفلاسفة) (٥)، الجبائيان، الشارحان (العبرى، البارجردى)، الصوفية، الحنابلة، أهل الاصطلاح، الجمهور (٢)، الأصوليون، الفضيلية (الخوارج)، مشايخنا، الشيخان مشايخ علماء ما وراء النهر، أهل العربية، البصرية، معتزلة البصرة، الاشتقاقيون، الجبائية، الخلفاء الراشدون (١).

(٣) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الإمامية، الظاهرية (٤)، المجوس (٣)، أهل المدينة، علماؤنا، الشافعية، الشيعة (٢)، أصحابنا، المحققون، الحشوية، المرجئة، الحنابلة، الفقهاء، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل النحو (الكوفة والبصرة)، الصحابة، الجدليون، الصوفية، المحققون، العلماء، القدرية (١).

(٤) المعتزلة (٩)، أصحابنا (٨)، الأشاعرة (٦)، الصحابة، علماونا (٣)، الفقهاء، المتأخرون، المعتزلة، الحكماء (٢)، المحدثون، الشافعية، الشيخان، علماء البيان، أصحاب الظواهر، مشايخنا، الأشعرية، البصريون، المتكلون، النحاة، اليهودية، النصرانية (١).

وفى شرح الشرح "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لسعد الدين التفتازانى يتقدم المعتزلة على الإطلاق، ثم الفرق وأهل السنة والفقهاء وأصحابنا والحكماء والعراقيون[1].

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى يتقدم المعتزلة كالعادة فى الشروح المتأخرة مما يدل على حضور المعتزلة سلباً من خلال نقد الأشاعرة والشافعية لهم وباعتبارهم مخزوناً نفسياً فى اللاوعى الحضارى بالرغم من التهميش والمحنة. ثم يتلوهم الحنفية مع صفة "الحنفى"، المذهب الفقهى الذى يعتمد على نفس الأصل الذى يعتمد عليه المعتزلة، العقل. ثم يأتى مجموع الفقهاء والمتكلمين قبل الشافعية وصفة الشافعى، ثم مجموع الأصوليين والحكماء والصوفية والأشاعرة. ثم تظهر المالكية والفلاسفة والمحققون والبيانيون والعقلاء والجمهور. ثم تظهر بعض الفرق الكلامية مثل أهل السنة والشيعة والحشوية والروافض والجبرية[2].

ب- البديل الحنفى. وبالإضافة إلى التحدى الاعتزالى للشافعية الأشعرية يأتى البديل الحنفى الاعتزالى ليزحزح المركز. ففى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الحنفية على الإطلاق، مذهب الشارح، ثم الشافعية المذهب الذى استقر فى الوعى التاريخى ثم الحنابلة وأصحابنا عوداً إلى أنصار مذهب الشارح. ثم المعتزلة مما يدل على حضورهم كدافع تاريخى مستمر للحوار والمحاجاة مع الفقهاء ومجموع الأصوليين والمتكلمين. ثم يظهر اللغويون والنحاة والمناطقة نظراً لأولية مستوى اللفظ فى الشرح مع علماء العربية. ثم يظهر الأشاعرة والمفسرون والأصوليون. ومن المعتزلة يذكر الجبائيان والبصريان (أبو الحسن وأبو عبد الله)، ومن الفرق أهل السنة (أهل السلف) وأهل الخلف والشيعة وأخيراً المالكية، أقل المذاهب الأصولية ظهوراً. كما يظهر الأمصار مثل العراق، وفقه المدن مثل البصرة وسمرقند. ولدى كل فريق متقدمون ومتأخرون، والمتأخرون أكثر ذكراً[3].

---

(١) المعتزلة (٤)، الفقهاء، أصحابنا، الفرق، أهل السنة، الحكماء، العراقيون (١).

(٢) المعتزلة (٤٢)، الحنفية (٣٨)، الحنفى (١٣)، الفقهاء (١٢)، المتكلمون، الشيخان (١١)، الشافعية (٨)، الشافعى، الأصوليون (٦)، الحكماء، الصوفية، الأشاعرة، المالكية (٤)، الأكثرون، المحققون، الفلاسفة (٣)، المتأخرون، البيانيون (٢)، الكنعانيون، بنو إسرائيل، العقلاء، الجمهور، أهل قسطنطينة، الروافض، أهل السنة، السلف، الحشوية، الشيعة، الجبرية (١).

(٣) الحنفية (١٥٣)، الشافعية (١٢٣)، الحنابلة، أصحابنا (٢٤)، المعتزلة، الفقهاء (١٥)، أهل اللغة، المنطقيون، النحويون (١٢)، المتكلمون، علماء العربية، الأشاعرة، المفسرون، المتأخرون، المتقدمون (٩)، العلماء، العراقيون، البصريون، المتقدمون، الأصوليون (٦)، الإشراقيون، الجبائيان، مشايخنا، المشايخ، أهل السنة، أهل السلف، أهل الخلف، الشيعة، مشايخ العراق، الصحابة، البصريان (أبو الحسن، أبو عبد الله)، مشايخ سمرقند، الجمهور، أهل العلم، المالكية (٣)، ومن الفرق غير الإسلامية يذكر البراهمة واليهود والسمنية (٣).

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الحنفية فالشارح حنفى، ثم الشافعية وهو المذهب النمطى فى الوعى التاريخى، ثم أصحابنا إلى المذهب الحنفى من جديد، ثم مجموع الفقهاء والمتكلمين والمعتزلة والأصوليين والحنابلة والصحابة متقدمين ومتأخرين، ثم علماء العربية وأهل اللغة والخلفاء الراشدون، والسلف والخلف والأشاعرة، ومشايخ سمرقند والعراقيون والمفسرون[1].

وفى "التحقيقات فى شرح الورقات" لابن واقان يتقدم الحنفية ثم الحنابلة ثم الشافعية ثم المعتزلة والجمهور ثم الصحابة دون المالكية والأشاعرة. ومن الفرق الكلامية يظهر الشيعة والسنة والظاهرية. ومن الفرق غير الإسلامية يظهر البراهمة واليهود والعيسوية[2].

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى تتقدم الحنفية لأن الشارح حنفى ثم المالكية ظهير الحنفية، فالعقل والواقع صفوان. وتحاصر الشافعية، التيار المركزى بالمعتزلة والجمهور ومجموعه الأصوليين والمتكلمين. وتحاصر الأشعرية الحشوية والمرجئة بالصحابة والتابعين والسلف وأهل السنة والحنابلة وأهل النص، وبمشايخ العراق والعراقيين والبصريين أهل العقل، ويحاصر السبكية والشافعية بالحنابلة والحنفية مع البيانيين والنحاة. وتحاصر الشافعية بالأئمة الثلاثة الحنفية وبمجموع الأئمة الأربعة[3].

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار تظهر المزاحمة الحنبلية، ويتقدم الحنابلة والمذهب الحنبلى ثم مجموع العلماء مما يبين تقدير الذهب للعلم فى مقابل الهوى. ثم يأتى المذهبان الرئيسيان الشافعية القريبة من النص والحنفية القريبة من العقل ثم المالكية. ويأتى الصحابة والتابعون والعشرون وأئمة الحديث والقراء السبعة والنحاة والظاهرية والبيانيون والسلف وأئمة

---

(١) الحنفية (٦٦)، الشافعية (٦٠)، أصحابنا، الفقهاء (١٢)، الجمهور، المتكلمون، المعتزلة، المتقدمون، المتأخرون، الأصوليون، الصحابة، الحنابلة (٩)، علماء (أهل) العربية، أهل اللغة، الخلفاء الراشدون، السلف، الخلف، البصريان، المشايخ، الأشاعرة، مشايخ سمرقند، العراقيون، المفسرون (٣).

(٢) الحنفية (٩)، الحنابلة (٦)، الشافعية (أصحاب الشافعى) (٥)، المعتزلة، الجمهور (٤)، الصحابة (٣)، المنطقيون، الأقلون، الشيعة، البراهمة (٢)، الأصوليون، علماء البيان، المحققون، الأئمة الأربعة، أهل الشرائع، اليهود، العيسوية، الأكثرون، الفقهاء، الظاهرية، أهل المدينة، السمنية، أهل السنة، الفلاسفة، الخلفاء، الأنبياء (١).

(٣) الحنفية (٤٠)، المالكية (٣٨)، الشافعية (٣٠)، الجمهور (٢٤)، المعتزلة (١٨)، الأصوليون، أهل الأصول (١٧)، المتكلمون (٦)، الأشعرية، الحشوية، المتأخرون، الصحابة، التابعون، أهل الظاهر، الفقهاء (٤)، العلماء، المحشيان، الفقهاء الثلاثة، المرجئة، الكوفيون، أهل السنة، البيانيون، السلف، مشايخ العراق، الأئمة الأربعة، العراقيون، مشايخ الحنابلة، حنفى، شافعى (٢).

التفسير مما يبين أهمية التقليد. ويتقدم المعتزلة الفرق الكلامية كلها بعد الشافعية ثم الأشاعرة والروافض من أمهات الفرق الكلامية ثم البصريون والكوفيون وأهل العراق ممن اعتمدوا على العقل فى تأويل النص ثم الروافض والشيعة والكرامية والجهمية والمشوية والجبائية والمرجئة من أجل مراجعة مقالاتهم[1]. وتتضاءل الشافعية إلى الأشعرية وتحاصر بين الحنفية والحنبلية من ناحية ومجموع الأصوليين من ناحية أخرى.

وفى "جامع الأسرار فى شرح المنار" للكاكى يتقدم أصحاب الشافعى على الإطلاق على أصحاب أبى حنيفة كما يتقدم الشافعى على أبى حنيفة فى أسماء الأعلام. ثم يظهر المعتزلة باعتبارهم السند الفكرى للأحناف قبل الفقهاء و"أصحابنا" أى أصحاب الأحناف ومشايخنا أى مشايخ الأحناف. ومنهم المتأخرون والمتقدمون. ثم يظهر الأصوليون والمتكلمون والعلماء والمحققون باعتبارهم الفرق الجامعة للمذاهب. وأخيرا تظهر الأشعرية بعد الاعتزال مع مشايخ سمرقند الأحناف والماتريدية. وتتم العودة إلى أهل الظاهر وأصحاب الحديث، والخلفاء الراشدين وأهل اللغة مع بعض الفرق غير الإسلامية كاليهود والنصارى والبراهمة وعبدة الأوثان والسوفسطائية. ومن الفرق الكلامية تظهر الإمامية والمرجئة والجهمية. ويظهر البعد الإقليمى فى البصريين والكوفيين والعراقيين والبغداديين والحجازيين[2].

وفى "فتح الغفار لشرح المنار" لابن نجيم من المذاهب والفرق يتقدم الشافعية بالرغم من أن

---

(١) الحنبلية (٤٠٢)، العلماء (٢٢٦)، الشافعية (١٨٩)، الحنفية (١٦٣)، الصحابة (١٣٦)، المعتزلة (٩٣)، المجتهدون (٦٥)، الأئمة الأربعة (٣٩)، الأصوليون، الأشاعرة (٥٨)، الأشعرية، أهل السنة والحديث (أصحاب)، المحدثون (٣٦)،.النحاة (٣٤)، التابعون (٣٢)، القراء السبعة (٢٧)، المالكية (٢٤)، الأصوليون (٢٢)، أئمة الحديث (السنة)، المبتدعة (٢٠)، الظاهرية (١٩)، القدرية (١٧)، الجمهور (١٦)، الروافض (١١)، الشيعة (١٠)، البصريون، أهل اللغة، علماء البيان (البيانيون) (٨)، الخوارج، الكوفيون (٧)، الكرامية، أئمة التفسير (٦)، المشوية، أهل العراق، المتأخرون (٥)، الخلف، الجبائية (٣)، الصوفية، المرجئة (٢)، وعشرات آخرين كل منهم مرة واحدة.

(٢) أصحاب الشافعى (٤٤)، المعتزلة (٣٠)، الفقهاء (٢٦)، أصحابنا (٢٢)، مشايخنا (٢٠)، المتأخرون (١٥)، الأصوليون (١٤)، الأشعرية (٩)، المتكلمون، العلماء (٨)، المقتدمون (٧)، أهل الحديث، المحققون (٦)، مشايخ سمرقند. أهل الظاهر، أصحاب الظواهر (٤)، الخلفاء الراشدون، النجدات، الصوفية، أهل اللغة، العيسوية، النصارى، اليهود (٢)، وعشرات أخرى من الطوائف والفرق كل منها مرة واحدة مثل: مشايخنا المتأخرون، المشايخ، الشيعة، الجمهور، الإمامية، المرجئة، الكلامية، الشارحون، السلف، المحققون، الشافعية، العامة، العراقيون، مشايخ العراق، أهل العربية، الكوفيون، الحجازيون، أهل المشرق، أهل الطب، الشارحون للمنتخب، جمهور المفسرين، الشيخان، عامة الحديث، القدرية، الجهمية، المحدثون. البصريون، السمنية، عبدة الأوثان، البراهمة، السوفسطائية...إلخ.

الشارح حنفى إلا أن الشافعية هى التيار الغالب فى الوعى التاريخى الأصولى. ويأتى المعتزلة لمساندة الحنفية تتبعهم الأشعرية. ثم يأتى الفلاسفة والمالكية من الهامش لمنازعة المركز مع الماتريدية أنصاف الأحناف وعلماء اللغة والعراقيين والحنابلة والصوفية والخوارج والبصريين والعقلاء والقدرية والشيعة والأئمة الثلاثة من الأحناف، الشيبانى وأبى يوسف وفر[1].

جـ- تحدى الجمهور. ويعنى الجمهور مجموع الأصوليين والعلماء الذين يتقدمون مذهب المركز ومذاهب الأطراف. ففى "فتح الغفار لشرح المنار" لابن نجيم يتقدم الأصوليون (علماء الفصول) على الإطلاق ثم الشافعية باعتبارها التيار المركزى المهيمن على الوعى الأصولى التاريخى. ثم تظهر الحنفية كتحد أول مع المحققين والجمهور والفقهاء والمشايخ والشارحين لزحزحة المعتزلة مع الأحناف من مشايخ سمرقند والنجاريين والعراقيين. وينضم إليهم الشيعة والنحاة وعلماء البيان[2].

وفى "فتح الودود على مراقى السعود" للشنقيطى يتقدم الأصوليون (أهل الأصول) على الإطلاق مما يدل على بداية اختفاء المذهبية وتواريها خارج الوعى التاريخى. ثم تظهر المالكية كتيار رئيسى فى الوعى التاريخى فى المغرب لتنافس الشافعية. كما تأتى المعتزلة مع مجموع المتكلمين والفقهاء والجمهور كى تكون سندا نظريا للمالكية، فالعقل والواقع صفوان. ثم تأتى الحنفية مع العلماء لتحل محل الأشاعرة، والمحققون والبصريون محل السلف[3].

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للولاتى يتقدم الأصوليون على الإطلاق. ثم تظهر المالكية فالشارح مالكى. ومن الجمهور يظهر الحنفية قبل الشافعية مع مجموع المتكلمين ثم تظهر الحنبلية مع مجموع الفقهاء والقراء السبعة ومتأخرى الأصوليين. وتظهر الفرق المهمشة

---

(١) الشافعية (١٢٠)، الحنفية (٥٢)، المعتزلة (٤٦)، الأشعرية (٤٠)، الفلاسفة (٢٤)، المتكلمون (أهل الكلام) (٢٠)، بعض المشايخ (المتأخرين)، المالكية (١٦)، أهل العربية (١٤)، الروافض (الخوارج)، الفقهاء، الماتريدية (١٠)، مشايخنا (الكرام)، الأصوليون (٨)، العراقيون (مشايخ العراق)، الحنابلة (٦)، الصوفية، البصريون، الأئمة الثلاثة (٤)، العقلاء، القدرية، الشيعة، أهل الحق، النجاريون، المحدثون، الخلفاء الراشدون، علماء الكوفة، المحققون (٢).

(٢) الأصوليون (علماء الأصول) (٣٠)، الحنفية (٢٠)، المحققون (١٢)، الجمهور، الأشاعرة (١٠)، الفقهاء، المشايخ (٨)، الشافعية (٦٩، الشارحون، المعتزلة، مشايخ سمرقند، النجاريون، العراقيون، الصحابة، أهل (أرباب) العقول، علماء البيان، النحاة (٤)، الشيعة، أصحابنا، مشايخنا، المشركون، المتأخرون، المتقدمون، المتكلمون، ومن الفرق غير الإسلامية المجوس (٢).

(٣) الأصوليون (أهل الأصول) (٤٠)، المالكية (٢٢)، الشافعية (٢٠٩، المعتزلة (١٤)، المتكلمون، الجمهور (١٢)، الفقهاء (٨)، الحنفية (٦)، العلماء (٤)، الأشاعرة، المحققون، السلف، البصريون (٢).

كالقدرية والإمامية مع علماء الحديث والشيخين والخلفاء الراشدين. ومن الفرق غير الإسلامية يُذكر النصارى[1].

وتقل أسماء الطوائف فى "النجوم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم ويتقدم العلماء على الإطلاق والصحابة ثم جمهور العلماء والفقراء ثم الأصوليون. ثم يظهر الشافعية قبل الحنفية، والمعتزلة قبل الأشعرية. كما تظهر بعض الفرق الإسلامية مثل أهل السنة والسلف والحنابلة والخوارج والشيعة والظاهرية والمالكية والمجسمة والنحويون. كما تظهر بعض الفرق غير الإسلامية مثل المجوس واليهود[2].

٤- الحضور والغياب. ويظهر البعد الجغرافى فى الشرح. فالشراح من أقطار مختلفة فى المشرق والمغرب. ولكل صقع ثقافته ومزاجه وبيئته. كما يتضح ذلك فى فهارس الأماكن والبلدان فى بعض الشروح. فلا يوجد مصر خاص بالأصول وإن تميز العراق وخراسان[3] بالحنفية، والحجاز بالحنبلية، والمغرب العربى بالمالكية. وقد تتمايز المدن مثل البصرة والكوفة[4]. وتذكر بعض الشروح تعبير "أهل المغرب"[5].

وتغيب أسماء الأعلام من الشرح ربما لغيابها من النص المركز مثل "الورقات" للجوينى، ولكن أيضاً لأن الشرح بالرغم من كونه إفاضة واسترسالا وإكمالا للمادة إلا أنه آثر الإبقاء على النص غير المشخص، النص المستقل عن أصحابه حتى تبقى الورقات ورقات بلا أصحاب. ونادراً ما يوجد متن وشرح أصولى يعتمد على العقل وحده.

---

(١) الأصوليون (أهل الأصول) (١٤)، المالكية الجمهور (٨)، الحنفية (٦)، الشافعية، المتكلمون (٤)، الحنبلية، الفقهاء، القراء السبعة، متأخرو الأصوليين، القدرية، الإمامية، النصارى، علماء الحديث، الشيخان، الخلفاء الراشدون (٢).

(٢) العلماء (١٣)، الصحابة (١١)، جمهور العلماء، الفقهاء (٨)، الأصوليون (٦)، الشافعية، الكفار، النصارى (٤)، الأكثرون، الحنفية، المجوس، المعتزلة، معتزلة بغداد، اليهود (٢)، الأئمة الأربعة، أصحاب بدر، التابعون، المتكلمون، بنو المطلب، المعاصرون، الأشعرية، الأمة، أهل السنة، أهل القبلة، الحنابلة، الخوارج، السلف، الشيعة، الظاهرية، القدرية، المالكية، المبتدعة، المجسمة، معتزلة البصرة، الملحدون، النحويون، بنو هاشم (١).

(٣) "لما وصل هذا الكلام إلى أفريقية من المغرب قالوا: "هذه عبارة متكررة لا فرق بينها ولا فائدة منها وأشكل ذلك عليهم.." القرافى: نسى الأصول فى شرح المحصول جـ١/١٩٢-١٩٣. "أهل العراق يطلقون القبيح على المحرم والمكروه وما لا بأس بفعله وهو ما فيه شبهة قليلة"، السابق ص٢٩٠.

(٤) الأصفهانى: شرح المنهاج المدينة، الكعبة (٣)، بدر، عرفة، مكة (٢٩، بئر بضاعة، بخارى، البصرة، سمرقند، طيبة، غار حراء، الكوفة، اليمن، الهند (١).

(٥) فتح الودود على مراقى الصعود، ص٥٨.

والعجب أنه لا ذكر لابن رشد فقيها ألا نادرا، ولا إحالة إلى "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" أو تلخيص "المستصفى" فى "الضرورى فى أصول الفقه" وكأنه لا يمثل اتجاها ولا تيارا ولا حتى ضمن المالكية أو الظاهرية[1]. ومن ثم يكون حضور ابن رشد فى الوعى التاريخى فى المغرب تمنيا واقعا، افتراض دون برهان. وهما، الرشدية والمالكية، يمثلان العقل والواقع، وجهان لعملة واحدة.

ونادرا ما تظهر الأسماء الوافدة. فعلم أصول الفقه هو أكثر العلوم الإسلامية العقلية النقلية أصالة، يعتمد على الموروث وليس الوافد على عكس علوم الحكمة التى يتبادل فيها الوافد والموروث الأولوية فى التأليف[2]. فيضرب المثل بأفلاطون وقوله بالمثل فيما يعرف باسم "واقعية المثل". كما يذكر السوفسطائيون والواقعيون وأرسطو ومانن وسقراط فى معرض رفض الشك والمعرفة الحسية دفاعا عن العقل.

ثامنا: المختصرات.

١- الشرح والمختصر وشرح المختصر. والأغلب هو الشرح وليس المختصر لأن الحضارة تتمدد أكثر مما تنكمش، وتستطرد أكثر مما تختصر، وتجمع أكثر مما تستبعد. والرغبة فى التمدد مازالت تعبر عن بقايا حياة أكثر من الرغبة فى الانكماش. الشرح إضافة ولو شكلية نصية فى حين أن الملخص تركيز ورغبة فى الإمساك بشئ قبل أن يضيع كل شئ. الشرح تجميع وحشو وجهد، والتلخيص تفريق واختصار. الشرح يجلب ويستدعى ويلم، والتلخيص يفرق ويستبعد ويطرد. الشرح يغطى ويستر ويحجب، والتلخيص يعرى ويكشف ويبين. وفى كلتا الحالتين لا جديد هناك إلا من حركتين فارغتين بين الذهاب والإياب، التقدم والنكوص، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف. الشرح لإطالة المركز والتلخيص لتقصير المسهب. وهناك إحساس لدى الشارح بالزيادات التى أضافها أكثر من إحساس المختصر بالأجزاء التى حذفها[3].

ميزة الشرح أنه يعطى النصين معا، المتن والشرح فيمكن رصد آليات الشرح فى حين أن المختصر لا يعطى إلا النص المختصر فقط دون وضع المتن الأصلى. يمكن رصد آليات الشرح من

---

(١) من النقل إلى الإبداع، مجـ١ الإبداع، جـ٣ الشرح.

(٢) فى "نهاية السول" يذكر أفلاطون فى إثبات الكليات فى الخارج جـ٢/٥٠. وفى "التقرير والتمييز" يذكر أرسطو جـ١/٦٣ ومانن وسقراط جـ١/٧٠ من الأسماء ومن الفرق المشاؤون والفلاسفة جـ١/٦٣.

(٣) "وتلقيا للزيادات التى ألحقها بالكتاب"، التقرير والتمييز جـ١/٤.

داخل الشرح وتخمين آليات الاختصار من داخل المختصر كنص وإن أمكن العود إلى المتن الأصلى من خارج النص.

وإذا كان الشرح يذكر النص بين قوسين أو فى الهامش ومن ثم يتضخم الكتاب فإن المختصر لا يذكر النص الطويل الذى يتم اختصاره. ومن ثم أتت المختصرات أصغر بكثير من الشروح، وأتت الشروح مجلدات أطول بكثير من المختصرات. وذلك مثل تلخيص الأنصارى "لب الأصول" لكتاب "جمع الجوامع" للسبكى[1]. وأيضا "مختصر التحرير" لابن النجار الحنبلى (ت٩٧٢هـ) لكتاب "تحرير النقول وتهذيب علم الأصول"[2].

وإذا كان الشرح كنوع أدبى أقرب إلى "التفسير" كنوع أدبى فى علوم الحكمة مثل "تفسير ما بعد الطبيعة" لابن رشد فإن المختصرات أشبه بالجوامع التى تذهب إلى الموضوع مباشرة متجاوزة القول[3]. فى حين أن شرح المختصر أقرب إلى التلخيصات التى تبدأ من النص وتنتهى إلى المعنى. وإذا كان الشرح أقرب للفظ والعبارة فإن المختصر أقرب إلى الشىء ذاته خارج العبارة. فى حين أن مختصر الشرح أقرب للجمع بين اللفظ والمعنى. فهو وسط بين الشرح والجوامع.

وقد يكون المختصر مختصرا لغيره يعيش على ذاته ويتعامل مع ما أبدعه غيره. وقد يكون مختصرا لنفسه يتمدد أو ينكمش على نفسه، يمتد حول نفسه طولا أو يلتف حول نفسه عرضا فى دوائر متداخلة[4]. وإذا كان الشرح يكشف عن تراكم تاريخى، فالمتن هو المشجب الذى يتم عليه تعليق الزيادات المتأخرة، فإن المختصر يقوم بالوظيفة المعاكسة وهى تخليص المتن من كل الشوائب العالقة به من الشرح بل وتطهير المتن نفسه من أسماء الأعلام والفرق والطوائف والمذاهب والمصادر والخلافيات للعودة إلى الأصل نفسه اى الموضوع العقلى أو بنية الأصول نفسها.

وقد يعنى المختصر المتن القصير دون أن يكون اختصار المتن كبير. وفى هذه الحالة يكون

---

(١) على هامش شرح "لب الأصول" للأنصارى أيضا.

(٢) العلامة ابن النجار الحنبلى (تقى الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحى المصرى الحنبلى المعروف بابن النجار): مختصر التحرير (الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير) ضبط نصه وصححه وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى محمد رمضان عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر والأستاذ المساعد بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض، دار الأرقم، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. "فهذا مختصر محتو على مسائل تحرير المنقول، وتهذيب علم الأصول فى أصول الفقه، جمع الشيخ العلامة علاء الدين المرداوى الحنبلى..."، ص١١.

(٣) من النقل إلى الإبداع: المجلد الأول: النقل، الجزء الثالث: الشرح.

(٤) لا يتجاوز "مختصر المنار" لابن حبيب تسع صفحات، "زبدة الأسرار فى شرح مختصر المنار" ص٣١-٣٩.

أقرب إلى كتب العقائد المتأخرة فى علم الكلام عن "قواعد العقائد" من أجل حفظها.

وتخلف المختصرات فيما بينها من حيث القصر فتكون مختصرا أو الطول فتكون شرحا للمختصر أو مجرد شرح. مثل المختصر الشارح "حصول المأمول من علم الأصول" لصديق حسن خان وهو اختصار "إرشاد الفحول" للشوكانى. إذ أنه يتضمن عددا كبيرا من الشواهد النقلية وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والمذاهب والمصادر. كما يدخل فى عديد من السجالات والمحاجات والخلافيات ما يجعله أقرب إلى الشرح منه إلى المختصر كما هو الحال فى المتن الأصلى "إرشاد الفحول" والمتون المشابهة مثل "البحر المحيط" للزركشى.

وهناك وعى بالاختصار وعدم التطويل. فالمختصر يعطى المعارف المباشرة والحقائق المكتشفة ذاتيا وليس المعلومات عن طريق التقليد والنقل والرواية[1].

وإذا كانت غالبية الشروح تنكر الدوافع عليها فإن غالبية المختصرات لا تفعل ذلك. بل تدخل إلى الموضوع مباشرة، وتتجه إلى الأشياء ذاتها دون المرور بالعبارة والألفاظ ودون توسط النص بين الوعى والعالم. فلا يذكر ابن حبيب (ت٨٠٨هـ) دوافع "مختصر المنار" ربما لأن ذكر الدوافع أقرب إلى الشرح. فالمختصر يتجه إلى الموضوع مباشرة مستقلا عن الذات[2].

ولذلك مازال الاختصار مثل الشرح لا يعبر عن تجربة حية عند الشارح أو الملخص بل هى مجرد تمرينات فى التدوين عندما خبت روح الحضارة وبردت ولم تعد قادرة على الإبداع من جديد باستثناء المقدمات والخواتيم الإيمانية. ومع ذلك يشرك المختصر القارئ معه كما يفعل الشروح فى تجربة مشتركة وخطاب مباشر له ودعوة إلى التأمل والمراجعة[3].

وهناك مؤلفون غلب عليهم الشرح مثل السنغاقى[4]. وآخرون غلبهم الاختصار. والشرح أكثر

---

(١) فى "حصول المأمول" تظهر هذه التعبيرات: "والكلام فى هذا البحث يطول" ص٣٥، "ولا نطول الكلام باستيفاء ما قيل فى تلك المسألة وأدلة أجوبتها وما قيل عليها" ص١١٦، "وطول أهل الأصول الكلام فى هذا البحث" ص١٢٥، "فذلك يغنيك عن تكثير المباحث فى هذا الباب" ص١٣٢، "وذكروا له اصطلاحا حدودا على كل حد منها اعتراضات يطول الكلام بذكرها" ص١٥٨، "وبالجملة فتطويل البحث فى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح" ص١٨٦، "ولأهل الأصول فى هذه المباحث كلام طويل وليست بحاجة إلى التطويل" ص١٩٤.

(٢) ابن حبيب: مختصر المنار فى "زبدة الأسرار فى شرح مختصر المنار" تأليف احمد بن محمد بن عارف الزيلى السيواسى (١٠٠٦هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، جـ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٣١-٣٩.

(٣) "وإذا تقرر لك هذا علمت ما هو الصواب"، السابق ص٧١.

(٤) له مثلا: شرح تقويم الأدلة للدبوسى، بالإضافة إلى شرح البخارى، شرح الجامع الصغير والجامع الكبير للشيبانى وزيادة الزيادات وشرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة... إلخ، الكافى جـ١/ ٢٩-٣٠.

شيوعا من الاختصار لأنه يبين علم العالم وقوة ذاكرته وتنوع مصادره، فى حين أن المختصر يكشف عن العقل الصريح والقدرة على التنظير. الشروح لعامة العلماء والمختصرات لخاصتهم.

والجديد فى بعض المختصرات المتأخرة هو صب علم الأصول فى النهاية فى "علم أصول الدين" عودا بأصول الفقه أى أصول العمل إلى أصول الدين أى أصول النظر[1].

وقد يصب علم أصول الفقه ليس فقط فى علم أصول الدين بل أيضا فى التصوف بعد أن أصبحت الأشعرية هى الأساس النظرى للتصوف منذ الغزالى[2]. وإذا كان علم الكلام هو الملجأ للفلسفة بعد أن كفرها ابن الصلاح فإن علم الأصول قد انضوى تحت الكلام والفقه واللغة بل والتصوف. فأصبح الكلام هو العلم الشرعى الوحيد الذى من خلاله تختبئ العلوم الأخرى المستبعدة فى العصور المتاخرة، وكأن علم الكلام أصبح زوجا متعدد الزوجات، الفلسفة، الأصول.

٢- **آليات الاختصار:** من أجل وضع آليات دقيقة للاختصار تعادل آليات الشرح من الضرورى وضع النصين معا المتن والاختصار لمعرفة كيفية الاختصار وماذا تم حذفه مثل معرفة كيفية الشرح وكيفية الإضافة وماذا تمت إضافته. وهى دراسات نصية أدخل فى "علم النص" منها فى علم أصول الفقه تستكملها أجيال قادمة.

والسؤال هو: هل تم الاختصار باللفظ أم بالمعنى؟ هل تم حذف فقرات والإبقاء على أخرى أم تمت إعادة صياغة المتن الأول بأسلوب جديد مع التركيز على المعانى دون الإسهاب فى شرحها وإيجاد الأدلة عليها ورواية الاختلافات فيها وذكر الآراء حولها؟ يوحى المختصر أحيانا بأنه اتبع الطريقة الأولى، طريقة الحذف الكمى وليس الاختصار الكيفى بدليل الاقتباسات المذكورة والتى تعلن عن نهاياتها بلفظ "انتهى"[3].

وكما يؤكد الشرح على وحدة النص الشارح داخل وحدة عمل الشارح أو وحدة المتن المشروح داخل عمل مؤلف المتن كذلك يؤكد المختصر على وحدة المتن داخل وحدة الحضارة[4]. وتكون إما

---

(١) لب الأصول، ص١٥٢-١٦٣.

(٢) السابق: خاتمة فى التصوف، ص١٦٣-١٦٦.

(٣) حصول المأمول: ص١١٧/١٢٨/١٢٩/١٥١/١٦٥.

(٤) "وإلى هنا انتهى الكلام فى المبادئ والتشريع الآن بعون الله سبحانه وتعالى فى المقاصد فنقول وبه أصول وأصول"، السابق ص٣٨. "وإلى هنا انتهى الكلام فى المبادئ والتشريع الآن بعون الله سبحانه وتعالى فى المقاصد فنقول وبه أحول وأصول"، السابق ص٣٨. وحدة المتن الأصلى مثل "وقد بسط الشوكانى القول فى ذلك فى رسالة مستقلة وذكر فى نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" ما إذا رجعت إليه لم تحتج إلى غيره، السابق ص٤١. وقد بسط=

بالإحالة إلى ما تقدم مسبقاً أو ما سيأتى لاحقاً[1]. وكثيراً ما يبدو ذلك أيضاً فـى فـترات الانتقـال بين الفصول.

ويكون المختصر أيضاً على مستوى اللغة، فالنحو هو منطق العرب كما أن المنطـق هـو نحـو اليونان. ولم يتم التضحية بباب "الحروف" كما كتب الفارابى كتاب "الحـروف" عرضـاً لمـا بعـد الطبيعة لأرسطو. ليس المقصود الحرف الجزئى بـل دلالتـه علـى السـياق الكلـى. والخـلاف فـى الأصول فرع للخلاف فى اللغة.

وفى "الحاصل من المحصول" يقتفى الأرموى (٦٥٣هـ) أثر المحصول الرازى ويتبـع نفـس تقسيمه للعلم إلى أربعة عشر قسماً يبدأ كل منها بلفظ "الكلام فى" وبزيادة قسم واحد على قسـمة المحصول وهو "الكلام فى المقدمات" فى البداية[2]. وهو شافعى مثله. وينقسم كل "كلام فـى" إلى فصول أو أبواب أو أقسام أو مسائل أو أنواع أو أركان أو أنظار. والغالب القسمة إلى أقسام[3]. ومن كثرة التقسيمات قد يختل البناء، ويظهر النوع الرابع فـى "المجمـل والمبـين" بـدلاً مـن "الكـلام فى"[4].

وتظهر أحكام التكليف والوضع مع تعريف العلم فى المقدمات وهى الثمرة فى "المستصفى".

=الشوكانى المبحث فى تفسيره فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراسية فى علم التفسير ولخصنا مـن ذلـك فى تفسيرنا فتح البيان فى مقاصد القرآن ما يثلج خاطر المطلع عليه إن شاء الله تعالى" ص٤١-٤٢". وحدة عمـل الشارح او المختصر" وقد أوضحت هذا الكلام فى رسالتى "قصـد السـبيل غلـى ذلك الكـلام والتـأويل فليراجـع"، السابق ص٤١٤. "ومن أراد استيفاء هذا البحث على وجه الصواب فليرجع إلى كتابى الجنة"، السـابق ص٢٠١. "عبارات وحدة الحضارة" "والكلام على هذه المسألة مبسوط فى كتب الكلام"، السابق ص٤٥.

(١) فى "حصول المأمول" عبارات وحدة المختصر مثل "كمـا تقـدم" ص٥٠ و"كمـا تقدم فـى البحـث المتقدم" ص٥١. و"سيأتى بيان ما هو الحق فيها إن شاء الله تعالى" ص١٢٦ و"سيأتى الكلام على ذلك بعد هذا الباب إن شاء الله تعالى" ص١٣٩، "بالمرجحات التى سيأتى ذكرها" ص١٨٩.

(٢) تاج الدين أبو عبد الله بن الحسين الأرموى، الإمام الأصولى والفقيه الشافعى (٦٥٣هـ): الحـاصل مـن المحصـول فـى أصـول الفقـه، دراسـة وتحقيـق د.عبـد السـلام محمـود أبـو نـاجى (ثلاثـة أجـزاء)، دار المـدار الإسـلامى، بيروت، ٢٠٠١.

(٣) ينقسم الكلام فى الأوامر والنواهى، وفى العموم والخصوص وفـى المجمـل والمبين وفـى الناسـخ والمنسـوخ، وفـى الإجماع، وفى الأخبار، وفى القياس، وفى التعادل والتراجيح، أى فى ثمانية موضوعات من الخمسة عشر. وقـد قسم الكلام فى الأفعال، وفيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل التى مـسائل (موضوعـان). وينقسـم الكـلام فـى المقدمات إلى فصول وفى اللغات إلى أبواب، وفـى الاجتـهاد إلى أركـان، وفـى الإفتاء إلى أنظـار، وفـى تراجيـح الأقيسـة إلى أنواع، الحاصل من المحصول جـ٢/٣٨٦.

(٤) السابق جـ٢/٣٨٦-٤١٦.

ثم تظهر بعض مباحث الألفاظ مثل الحقيقة والمجاز مع بعض المقدمات اللغوية في الكلام عن اللغات ثم تستقر باقي المباحث في كلام مستقل مثل الأوامر والنواهي بالجمع، والعموم والخصوص، والمجمل والمبين بدلاً من الأصل الأول وهو القرآن. ثم يأتي الكلام في الأفعال والناسخ والمنسوخ والأخبار بدلاً من الأصل الثاني، السنة. ثم يأتي الكلام في الإجماع، الأصل الثالث. وأخيراً يأتي الكلام في القياس وتراجيح الأقيسة والاجتهاد والافتاء وما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل في القياس، الأصل الرابع. وتأتي مباحث الألفاظ أولاً من حيث الكم (اللغات، الأوامر والنواهي، العموم والخصوص) ثم مباحث القياس (القياس، التعادل والتراجيح، تراجيح الأقيسة، الاجتهاد، الافتاء، فيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل)، ثم مباحث السنة (الأفعال، الأخبار) ثم الإجماع ثم القرآن (الناسخ والمنسوخ)[1].

وقد ينقسم الفصل إلى تقسيمات (الفصل الثالث من الكلام في المقدمات) أو الباب (الثاني من الكلام في اللغات). وقد ينقسم الباب إلى أنظار (الباب الأول من الكلام في اللغات)، أو إلى أقسام (الباب السادس من الكلام في اللغات)، أو إلى فصول (الباب الثالث من الطرف الأول من القسم الثالث من العموم والخصوص. وقد ينقسم القسم إلى مسائل (الأول من الكلام في الأوامر والنواهي أو إلى أطراف (القسم الثالث من العموم والخصوص) أو إلى أبواب (القسم الأول من الأخبار. وقد ينقسم الباب إلى أقسام. والقسم إلى فصول (القسم الثاني من القياس) الباب الثاني من القسم الثاني من الأخبار). وقد ينقسم القسم إلى أبواب والأبواب إلى فصول. ومن كثرة التقسيمات يختل البناء ويظهر النوع الرابع "في المجمل والمبين" وهو أقرب إلى "الكلام في". وقد ينقسم القسم إلى شطور (الأول من العموم والخصوص) أو إلى أطراف (القسم الثالث من العموم والخصوص)، والطرف إلى أبواب (القسم الثاني من القياس).

وهو ليس شرحاً للمحصول للرازي، فقرة فقرة وعبارة عبارة بل تلخيصا إجماليا له. يبدأ بتصنيف العلوم. ويذكر منها الدينية. وهي إما نقلية حرفية كالتفسير والحديث والرواية أو نظرية مثل أصول الدين وأصول الفقه والفقه. وأصول الفقه فرع من علم الكلام. لذلك كثرت الإشارة إلى الفرق الكلامية[2].

والدافع على التلخيص هو كبر حجم "المحصول" بالرغم من حسن النظم. تتجافاه الطباع لكبر حجمه، لذلك تم اختصاره من جهة اللفظ وليس من جهة المعنى. "وإيجاز مع استثبات

(١) مباحث الألفاظ (٣٢٣)، مباحث القياس (٢٤٦)، مباحث السنة (١٠٨)، الإجماع (٥٣)، القرآن (٣٨).

(٢) الحاصل من المحصول، جـ٢/٢٤.

اللباب والمغزى"، وحذف المسائل المتكررة أو التى لم تعد إليها حاجة وهى فى مقدار العشر، والاقتصار من الدلائل على أوضحها، ومن الاعتراض والأجوبة على أقواها[1].

ومع ذلك هناك شرح داخلى عندما يذكر تعريف مثل تعريف الكلام الكلام لأبى الحسين البصرى "المؤلف من الحروف المسموعة المتميزة"، لفظ لفظا بطريق الشرح الكبير[2]. واختصار حسن صديق خان لإرشاد الفحول للشوكانى مثل اختصار الأرموى للمحصول للرازى.

وكالعادة فى المؤلفات المتأخرة، البداية بوجدانيات صوفية يتلوها مدح السلطان[3]. وقد أتى التلخيص بإشارة منه. فالسلطان يعرف كل شئ، ولا يتم أى شئ إلا بتوجيه منه. وتنتهى كثير من الأقسام أو الأبواب أو الفصل بلازمة "والله أعلم" أو "إن شاء الله".

وتظهر اللغربة فى تجنب الحشو والتطويل، أتى النص مرتبا وواضحا، أقرب إلى الحدود المنطقية فى عبارات قصيرة وبأسلوب عقلى منطقى وبنية هندسية محكمة[4]. وهو أقرب إلى رؤوس الموضوعات والهيكل العام منه إلى الحشو الخليط. يخلو الأدب والصور الفنية. لا يكفر ولا يستبعد ولا يقصى أحدا. والرأى الصحيح هو المختار دون تخطئة الآراء الأخرى وبعد كل خلاف فى الرأى مع الاعتراضات والردود. وتظهر وحدة الرؤية فى إحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق[5].

ومثال المختصر لذاته "قواعد الأصول ومعاقد الفصول" لصفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغدادى الحنبلى ٧٣٩هـ فهو مختصر تحقيق الأمل فى علمى الأصول والجدل[6]. وعديد من أعماله الأخرى مختصرات بعد أن قل الإبداع وكثر الالتفاف حول الذات[7]. وقد وصل حد الاختصار إلى أن أصبح المختصر أقرب إلى التعريفات المنطقية، ووضع

---

(١) السابق جـ٢/١٥-١٧.

(٢) السابق جـ٢/٦٤-٦٥.

(٣) السابق، جـ٢/١٣-١٤/١٦.

(٤) يتكرر لفظ "المختار" دائما مثلا جـ٢/٣٣١-٣٣٣/٤٦٩-٥٠٧ جـ٣/٣٠٥.

(٥) الحاصل من المحصول جـ١/١٣١/١٤٤/١٦٤/١٩٩ جـ٣/١١٥/١٢٢/١٦٠/١٩٥/٢٨٢.

(٦) صفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغدادى الحنبلى: قواعد الأصول ومعاقد الفصول، مختصر تحقيق الأمل فى علمى الأصول والجدل، تصحيح ومراجعة أحمد محمد شاكر، على محمد شاكر، دار المعارف، مصر، القاهرة (د.ت).

(٧) مثلا: إدراك الغاية فى اختصار الهواية، تلخيص المنقح (فى الجدل)، مختصر تاريخ الطبرى. مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام بن تيمية، مختصر معجم البلدان لياقوت. والشرح أقل مثل: العدة فى شرح العمدة، شرح إدراك الغاية، السابق ص٧.

رؤوس موضوعات دون البرهنة عليها، مجرد هيكل عظمى دون لحم ودم، مجرد رسم هندسى دون مواد البناء.

وظلت البنية ثلاثية، الحكم، والأدلة، والاجتهاد والتقليد. وأكبرها الأدلة[1]. والاجتهاد والتقليد جزء من القياس. ومن ثم أصبح المختصر ثنائى البنية. الأدلة الثلاثة الأولى سمعية والرابع عقلى مع أن الدليل الثالث يقوم على الاجتهاد الجماعى، بين النقل والعقل. والرابع هو استصحاب الحال الدال على براءة الذمة وليس القياس. والأحكام تشمل أحكام التكليف وأحكام الوضع معا.

ويمكن تقسيم المختصر إلى مسائل أى إلى رؤوس موضوعات وقد لا تتسق جميعها فى نسق عقلى. فينقل التكليف مع المبادئ اللغوية. ويتم تخصيص الأمر والنهى والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والظاهر (دون المؤول) والمنطوق والمفهوم أبواب لكل منهما وكلها تدخل فى مباحث الألفاظ كما يتم تخصيص أبواب للنسخ وهو أدخل فى الأصل الأول. وتفصل أبواب فى الاستدلال والاجتهاد والتقليد والإفتاء وترتيب أدلة التعارض والتراجيح. وكلها تعريفات للأصل الرابع. ولا يوجد باب أو فصل للأصل الثالث، الإجماع[2]. تخلو بعض الأبواب من الفصول بالرغم من الحاجة إلى التخصيص مثل باب الأصل الأول، الكتاب، وكثير من أبواب مباحث الألفاظ[3]. وهناك موضوعات بلا أبواب ولا فصول مثل الأحكام ومسالك الصلة بل ويتم اللجوء إلى العد والإحصاء كما هو الحال فى الشروح من أجل الاستيعاب والاحتواء[4].

وقد يقتصر المختصر على بنية العلم، المصادر الأربعة كل منها باب ثم ينقسم كل باب إلى فصول باستثناء الإجماع لصغر حجم الكتاب (القياس كل منها أربعة فصول، والسنة ثلاثة)[5].

---

(١) الأدلة (٢٩)، الحكم (٥)، الاجتهاد والتقليد (٣).

(٢) فى "لب الأصول" ٤٣ مسألة موزعة على الكتب السبعة. أكبرها الكتاب الأول (الكتاب) (١٨)، ثم المقدمات (١٠)، ثم الكتاب الثانى (السنة) (٩)، والكتاب الخامس (الاستدلال). والكتاب السابع (الاجتهاد) (٨)، والكتاب الرابع (القياس) (٢)، والكتاب السادس (التعادل والتراجيح) (١١). والكتاب الثالث (الإجماع) بلا مسائل.

(٣) فى "مختصر التحرير" ستة عشر بابا على النحو التالى: ١-الأصل الأول، الكتاب. ٢-الأصل الثانى، السنة، ٣-الأمر، ٤-النهى، ٥-العام، ٦-المطلق والمقيد، ٧-الجمل، ٨-المبين، ٩-الظاهر، ١٠-المنطوق والمفهوم، ١١-النسخ، ١٢-الأصل الرابع القياس، ١٣-باب الاستدلال، ١٤-الاجتهاد، ١٥-التقليد والافتاء، ١٦-ترتيب الأدلة والتعارض والتراجيح.

(٤) مختصر التحرير: العد والإحصاء، ص١٥٧-١٥٨.

(٥) هذه قسمة "مختصر المنار" لابن حبيب "زبدة الأسرار" ص٣١-٣٩.

وفى "حصول المأمول" من علم الأصول وهو اختصار "إرشاد الفحول" للشوكانى[1] تم تقسيم المختصر إلى قسمين: المبادئ وتشمل المبادئ اللغوية والأحكام والمقاصد وتشمل المقاصد السبعة، الكتاب العزيز، والسنة، والإجماع، والأوامر والنواهى، والقياس، والاجتهاد والتقليد، والتعادل والتراجيح. وينقسم كل مقصد إلى عدة أبواب، الكتاب أربعة، والسنة أحد عشر، والإجماع عشرون. والأوامر والنواهى تسعة، والسابع منها الظاهر والمؤول ثلاثة فصول، والقياس سبعة، والاجتهاد والتقليد اثنان، والتعادل والتراجيح بلا قسمة. والنسخ ليس من مباحث الألفاظ بل من مباحث المقصد الأول، الكتاب العزيز. والظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ وليس من المبادئ اللغوية العامة مثل الحقيقة والمجاز. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم السنة ثم الإجماع. وأصغرها الكتاب[2].

ويقوم المختصر على نظرية فى الوضوح واستبعاد كل غموض واشتباه ربما لأن غرضه تعليمى، فالتعليم يقوم على الوضوح والاختصار[3]. وقد يستعمل أسلوب التعريفات من أجل الوضوح. وهو مدخل أصولى أيضاً لمباحث الألفاظ. ويكون التعريف أولا لغة أى اشتقاقا ثم فكرا أى اصطلاحا. ونادرا ما يظهر التعريف العرفى الذى يتطور مع الاستعمال فى التاريخ[4].

ومع ذلك تضاف عدة ألفاظ وفقرات تكشف عن الرغبة فى مزيد من التنبيه وتقديم بعض الفوائد حتى ولو أدى ذلك إلى اللجوء إلى بعض الفروع أو التنبيه على الخاتمة[5].

كما يخلو من الحجج العقلية والسجال والقيل والقال والرد على المعارض، واقعا أم افتراضا إيثارا لوحدة الموضوع، وتجاوز الخلاف إلى الوحدة، والتشعب إلى أصل الشئ[6]. إذ يقوم الاختصار على نظرية فى الوحدة، وحدة الموضوع والأصل بعيدا عن الخلافات والمذاهب. الاختصار دعوة إلى الأصول دون الفروع[7]. ومع ذلك لا يستبعد الملخص المواقف المخالفة، ولا

---

(١) المولى الأصيل ذو المجد الأثيل الأيسر الهمام العالى المقام الكريم المفضال البليغ القوال، مولانا الملك المفخم النواب السيد محمد صديق حسن خارن بهادر، نواب بهوپال المعظم: حصول المأمول من علم الأصول. طبع فى مطبعة الجوائب الكائنة أمام الباب العالى فى القسطنطينية ١٢٩٦.

(٢) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٧٦)، القياس (٥٤)، السنة (٢٢)، الإجماع (١٦)، الكتاب (١٠).

(٣) "وأبدلت منه غير المعتمد والواضح بهما مع زيادات حسنة"، لب الأصول ص٤.

(٤) هذه هى طريقة "مختصر التحرير" لابن النجار.

(٥) مختصر التحرير: تنبيه (٣)، فوائد، فائدة (٢)، فرع، خاتمة (١).

(٦) وذلك مثل "مختصر التحرير" لابن النجار، "ومختصر المنار" لابن حبيب.

(٧) "دون الأقوال، خال من قول ثان إلا لفائدة تزيد على معرفة الخلاف، ومن عزو مقال إلى من إياه قال. ومتى قلت فى وجه: فالمقدم غيره وفى أو على قول فإذا قوس الخلاف أو اختلف الترجيح أو مع إطلاق القولين أو الأقوال إذ لم اطلع على مصرح بالتصحيح"، مختصر التحرير ص١١.

يقطع فى حكم. ويتبنى المختصر موقفا ليس وحده هو الصحيح. ويعبر عنه بعدة ألفاظ مثل "المختار"، "الأصح"[1]. وكما لا تستبعد بعض الشروح أيا من المذاهب أو الآراء احتراما للخلاف وتأكيد على التعددية فالأولى ألا تستعمل المختصرات أساليب الاقصاء والتكفير لأنها لا تتعرض للخلافيات من أجل إبراز وحدة الموضوع والعودة إلى الأصل. لا تصوب ولا تخطئ بل تجعل الآراء احتمالات مختلفة وزوايا متعددة للموضوع. وإذا كان هناك اختيار فإنه يكون مجردا حتى من احتمالات أخرى[2].

والمذاهب ليست كتلة صماء بل فيها أجنحة وفروع، وسط ويمين ويسار بلغة العصر. وهناك الجمهور أيضا إلى جمهور الفقهاء، والعوام أى الفقه الشعبى. وكلاهما يقابل الفقه العالم، فقه المذاهب. ومع ذلك فلرؤساء المذاهب الاحترام والتعظيم مثل الشافعى سيد الشافعيين[3].

وتقل الشواهد النقلية، من القرآن والحديث من المختصرات. فهى زائدة على الخطاب العقلى المركز الذى لا يعتمد إلا على طبيعة العقل وحده. وقد تزيد الأحاديث على الآيات إذا كان المختصر حنبليا من أهل السنة والحديث. لذلك يغيب أسماء الرواة والمحدثين، والصحابة والتابعين، إيثارا للمتن على السند، وعرضه عرضا عقليا خالصا، فيقينه فى داخله وليس فى خارجه[4]. وقد يخلو المختصر كلية من أى آية أو حديث أو شاهد شعرى[5].

وقد تغيب الأشعار فالمختصر لا يقوم على تجربة شعرية بل على تجربة عقلية خالصة بإزاحة الحواشى والإبقاء على اللب[6].

٣- الوعى التاريخى: ويعتمد على كثير من الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث، والحديث أكثر من الأثار المروية[7]. ومن الأعلام يأتى فى القدمة الشافعى ثم المتكلمان أبو الحسين البصرى والباقلانى، المعتزل والأشعرى قبل أبى حنيفة. ثم يأتى الجباتى قبل الكرخى

---

(١) لب الأصول: "المختار" (١٠)، "الأصح" (٢).

(٢) حصول المأمول: "والمختار الحق"، ص٢١٠. "وهو الصحيح"، ص٧١. "ولا يخفاك أن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبل الإفراط أو التفريط"، ص١٨٣

(٣) "ذهبت طائفة جلة سيدهم الشافعى إلى أن.، السابق ص١٤٢.

(٤) لب الأصول: الآيات (٤)، الأحاديث (٣). مختصر التحرير: الآيات (٦)، الأحاديث (٢٠). حصول المأمول: الآيات (٢٢١)، الأحاديث (٧١)، الأشعار (١١).

(٥) مثل "مختصر المنار" لابن حبيب، زبدة الأسرار ص٣١-٣٩.

(٦) لذلك يخلو من الشواهد الشعرية "مختصر التحرير" لابن النجار.

(٧) الآيات (٢١٩)، الأحاديث (٧٥)، الأثار (١٦)، الشعر (١١).

مما يدل على وحدة علم الأصول. ثم يتداخل المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار والنظام مع الصحابة والأشاعرة مثل الغزالى. ثم يتداخل فقهاء الأصناف مثل عيسى بن أبان مع مالك بن أنس واللغويين مثل سيبويه. ثم يستمر التداخل بين الأصوليين، معتزلة وأشاعرة، وأصناف وشافعية وماكلية مما يدل على وحدة الحضارة وتكامل الرؤية[1].

ومن الفرق والطوائف تتقدم المعتزلة باعتبارها المحاور الرئيسى، ثم الشيعة واليهود مما يدل على أهمية الفرق غير الإسلامية مثل النصارى والبراهمة، والسوفسطائية، والمجوس، والمانوية. ثم تتفرع فرق الشيعة إلى إمامية وزيدية وأهل العترة. ثم تأتى باقى الفرق الكلامية مثل الخوارج والظاهرية والحشوية والرافضة والسمنية والفضيلية والكرامية والمجسمة والمرجئة مما يدل على ارتباط علم اصول الفقه بعلم أصول الدين. ولا يوجد مذهب فقهى بل فقهاء[2].

ومن حيث الأماكن تتقدم مكة ثم المدينة على البصرة وبغداد ومما يدل على الارتباط بالسلف. ثم تتساوى بدر وبيت المقدس وخوارزم والعراق والكوفة واليمن[3].

وتكاد تختفى أسماء الأعلام أيضا من المختصرات. فالمهم هو الفكرة لا الشخص، والموضوع وليس ممثله، والموقف وليس صاحبه[4]. وإذا ذكرت بعض الأعلام فكمثال لقياس الفرع على الأصل، باللقب أو الاسم الأول[5].

---

(١) الشافعى (١)، أبو الحسينى البصرى (٣٣)، الباقلانى (٢٩)، أبو حنيفة (٢٦)، أبو هاشم الجبائى (٢٢)، الكرخى (١٩)، القاضى عبد الجبار، على بن أبى طالب، عمر بن الخطاب (١٣)، أبوبكر، الغزالى، أبو على الجبائى (١٢)، ابن عباس (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، النظام، أبو عبد الله البصرى، مالك بن أنس (٨)، سيبويه (٧)، ابن سريج، على المرتضى، الصيرفى، موسى (٦)، عائشة، القفال (٥)، الاسفراينى، زيد بن ثابت، إمام الحرمين، ابن جنى، الأشعرى (٤)، إبراهيم الخليل، أبوبكر الرازى، ابن أبو هريرة، شريح، الصيمرى، عثمان، الجاحظ، الشيبانى، المبرد، أبو مسلم الأصفهانى، الدقاق، أبو يوسف (٣)، أبو ثور، المزنى، المريسى، الحسن بن على العباسى، أبو لهب، الكعبى، أبو موسى الأشعرى، الأصمعى، عيسى، ماعز، ابن فورك، العلاف، معاذ (٢)، المروزى، أبو اسحق الشيرازى، ابن الراوندى، الخليل، داود الظاهرى، سفيان الثورى، الأصم، عبد القاهر الجرجانى، الخياط، الزيعرى، الواحدى، الكسائى، الطبرى، ابن سيرين، الرازى، الفراء، ابن سينا وآخرون (٦٣).

(٢) المعتزلة (٤٢)، الشيعة (٩)، اليهود (٨)، الخوارج، الظاهرية، العترة، الواقفة (٤)، الإمامية (٣)، الحشوية، الزيدية، الملحدة، النصارى (٢)، البراهمة، السوفسطائية، السمنية، الفضيلية، الكرامية، المجوس، المانوية، المجسمة، المرجئية (١).

(٣) مكة (٤) المدينة (٣)، البصرة، بغداد (٢)، بدر، بيت المقدس، خوارزم، العراق، الكوفة، اليمن (٤).

(٤) التوراه (٣)، العين، المحصول (٢)، كتاب سيبويه، الخصائص (١).

(٥) مثل "لب الأصول": الحافظ الذهبى، البيهقى (١) ص١٠٤. وتختفى أسماء الأعلام كلية من "مختصر المنار" لابن حبيب، زبدة الأسرار ص٣١-٣٩.

وفى "قواعد الأصول" لصفى الديـن الحنبلـى يمتلئ المختصـر بأسمـاء الفقـهاء والأصوليـين والمتكلمين والفرق والمذاهب والطوائف والشواهد النقلية. فالمختصر أيضا به روح التجميع الموجودة فى الشرح وفى التأليف المتأخر مثل "البحـر المحيـط" للزركشـى. وقـد بلـغ هـذا الحشـو درجـة يصعب معها رصدها. ومع ذلك يتقدم القرآن على الحديث[1]. ومن الأعلام يتقدم القاضى ثـم أبـو الخطاب على الأئمة الأربعة، أبو حنيفة والشافعى ومالك وأحمد، بالرغم من أن المؤلف حنبلـى. ثم يظهر باقى الفقهاء مثل التميمى وابن شاقلا ثم الكرخى وأبو حامد، ثم ابن عقيل وأبو يوسـف وعيسى بن أبان والبستى وغيرهم بصرف النظر عن اختلاف مذاهبهم. ومن الصحابـة يتقـدم أبـو بكر على عمر. ومن المعتزلـة يظـهر النظـام الجـاحظ فـى مواقفـهما الأصوليـة الخاصـة بالإجمـاع والقياس[2].

ومن المذاهب يتقدم الشافعية على الحنفية بعد أن أصبحت الشافعية المذهب الرسمـى علـى الأشعرية بعد أبى حامد[3]. ومن الفرق والطوائف يتقدم المتكلمون ثـم الجمـهور ثـم أصحابنـا. ثـم الخلفاء الأربعة والصحابة، ثم أصحاب الحديث والأئمة وأهل العربيـة والنحـاة. وللبعـض منـهم متقدمين ومتأخرين أو بالتبعيض، الأغلب أو الأقل[4].

وفى "حصول المأمول" يتقـدم الشـافعى بطبيعـة الحـال. فـالمختصر شـافعى ثـم الـرازى ثـم الجوينى ثم الغزالى ثم الآمدى ثم اسحق الشيرازى مما يبين مدى حضور الشافعية الأشـعرية فـى بؤرة الوعى التاريخى الأصولى. ثم تظهر المالكية مثل ابن الحاجب مع أبى حنيفة لتحدى المركـز من الأطراف.

ويستمر الأشاعرة الشافعية فى الظهور مثل الأشعرى نفسه والقفال والبيضـاوى وابـن فـورك والأصفهانى والاسفرايينى والشوكانى والمرجـانى. ويسـتمر الحنفيـة فـى التحـدى مثـل الكرخـى والسرخسى وأبى يوسف الجصاص والدبوسى والأوزاعى والشيبانى والمزنـى، ومـع المالكيـة مثـل مالك وابن الحاجب والباجى والقاضى عبـد الوهـاب وأبـى الخطـاب وابـن خـواز منـداد، ومـع

---

(١) القرآن (٢١)، الحديث (١٤).

(٢) القاضى (١٩، أبو الخطاب (١٧)، أبو حنيفة (١٦)، الشافعى (٨)، مالك (٧)، أبو بكر (٤)، أحمد، التميمـى، ابن شاقلا (٣)، الكرخى، أبو حامد، النظام، الجاحظ، (٢)، ابن عقيـل، أبـو يوسـف، أبـو بكـر عبـد العزيـز البستى، ابن داود، داود، عيسى بن أبان، الخرزى، ابن جرير، عمر (١).

(٣) الشافعية (٢٨)، الحنفية (٢١)، المعتزلة (الثورية) (٩)، الظاهرية (٦)، المالكية (٢).

(٤) المتكلمون (١١)، الفقهاء (٧)، أصحابنا، الجمـهور (٣)، الصحابـة، الخلفـاء الأربعـة (٢)، متـأخرو أصحابنـا، أصحاب الحديث، الأئمة، بعض المحدثين، أهل العربية، النحاة (١).

الحنبلية مثل ابن قدامة، ومع المعتزلة مثل: النظام وأبو الحسين البصرى وأبو على الجبائى وأبو الحسن البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو هاشم، ومع الظاهرية مثل ابن حزم، ومع النحاة مثل سيبويه والفراء والمبرد والزجاج والسيرافى وصاحب القاموس[1].

كما تندر الإحالة إلى المصادر. فالمختصر يأتى من طبيعة العقل وليس من المصادر المدونة أو الشفاهية. لذلك لا يحتاج إلى إحالات أو تخريجات.

ويعتمد "حصول المأمول" على عديد من المصادر كما هو الحال فى الشرح مما يجعله أقرب إلى الشرح منه إلى المختصر. ويتقدمها جميعا المحصول الجامع بين البرهان والمستصفى ثم البحر المحيط نموذج التجميع والذاكرة الجمعية ثم البرهان ثم المستصفى المصدران الرئيسيان للمحصول، ثم الإرشاد والأحكام واللمع، وكلها متون أشعرية شافعية باستثناء شرح البزدوى الحنفى، ومختصر المنتهى للمالكى مما يدل على حضور الأشعرية الشافعية فى بؤرة الوعى التاريخى الأصولى[2].

---

(١) الشافعى (٦٨)، الرازى (٥٨)، الجوينى (٥٣)، الغزالى (٤٩)، الآمدى (٣٨)، ابن الحاجب (٣٦)، أبو اسحق الشيرازى، أبو حنيفة (٣٣)، الزركشى (٢٥)، الباقلانى (٢٣)، الأشعرى، أحمد بن حنبل، الصيرفى، ابن السمعانى (٢١)، الصفى الهندى (٢٠)، مالك، ابن برهان (١٨)، الماتريدى، القفال (١٦)، القاضى (١٥)، البيضاوى (١٣)، ابن حزم، أبو الحسن البصرى، ابن دقيق العيد (١٢)، الكرخى، سليم الرازى (١١)، ابن فورك الأصفهانى، الاسفراييني، ابن مالك (١٠)، القرافى، سيبويه، الكيا الهراسى، الماوردى، ابن القشيرى، ابن حزم، (٨)، أبو على الفارسى، داود الظاهرى، الروبانى، القاضى عبد الوهاب، القاضى أبو بكر (الجصاص) (٧)، ابن شريح، القاضى عبد الجبار، السرخسى، المروزى، ابن القطان (٦)، أبو هاشم، أبو البقاء، القرطبى، ابن الصلاح، أبو عبد الله البصرى، الباجى، أبو يوسف، ابن الصباغ، الرافعى، الطبرى، الدقاق، مسلم، ابن الصباغ (٥)، ابن حنبل، الزمخشرى، ابن عمر، ابن أبى هريرة، أبو بكر الرازى، داود، ابن عباس، الشوكانى، أبو بكر العربى، ابن عبد السلام (٤)، النظام، أبو الحسين البصرى، ثعلب، المبرد، الفراء، السيرافى، ابن عصفور، الكيا الطبرى، القاضى عياض، القاضى أبو الطيب، ابن خواز منداد، أبو داود، القاضى أبوزيد، ابن الساعاتى (٣)، ابن الهمام، أبو على الجبائى، أبو عبيدة، الشوكانى، الأخفش، النووى، الدبوسى، الخطيب، شمس الأئمة، الأوزاعى، الشيبانى، الأستاذ، ابن عليه، ابن عائشة، المازنى، ابن القيم، البيقهى، أبو الحسن البصرى (٢)، ابن سينا، ابن هشام، الأصمعى، صاحب القاموس، صاحب البديع، صاحب المنهاج، التبريزى، اللخمى، ابن كيسان، النحاس، ثوبان، ابن كثير، الاصطخرى، الكعبى، البخارى، المزنى، الترمذى، ابن ماجه، الأصم، ابن قدامة، الطحاوى، ابن حيان، عيسى الوراق، الجرجانى، أبو ثور، الانبارى، أبو البركات الاسترابادى، السهروردى، ابن تيمية، عيسى بن أبان، أبو الخطاب الحنبلى، الزجاج، وعشرات آخرون (١).

(٢) المحصول (١٥)، البحر المحيط (٦)، البرهان (٥)، المستصفى (٤)، الإرشاد، الأحكام، اللمع (٣)، شفاء الغليل، الملخص، شرح المحصول، الودائع، الشامل، المصباح، التحرير، إرشاد الفحول، المغتنم، نيل الأوطار، فتح القدير، فتح البيان، المنحول، زوائد الروضة، الملل والنحل، العالم، التقويم، التبصرة، الثقاة، التقريب،=

وقد لا يحال إلا إلى الصحابة والخلفاء الأربعة أو متقدمى الإسلام إذا كان المختصر حنبليا من أهل السنة والاستقامة[1]. وإذا ذكر شافعى أو حنفى فلضرب المثل على اختلاف الرؤية وتعدد الرأى فى أقل القليل[2].

ومن الطوائف والفرق يظل المعتزلة هم "المهماز" الذى يبعث على الفكر، والتحدى الذى يستعدى الإجابة[3]. والاستجابة هى الفرقة الناجية "عندنا".

وفى "حصول المأمول" يتقدم مجموع الفقهاء بوجه عام مما يدل على هم العلم أكثر من العلماء، والأصول أكثر من الأصوليون، وكذلك الجمهور أى مجموع الأصوليين بصرف النظر عن المذاهب الفقهية. ثم تظهر الشافعية باعتبارها المكون الرئيسى للوعى التاريخى. ثم يظهر التحدى الحنفى والتحدى الاعتزالى والتحدى الفلسفى المثل فى السمنية أى فى البداية وربما الاقتصار على المعرفة الحسية. ثم يظهر أيضا مجموع أهل الأصول والصحابة والمتكلمون والحنابلة والظاهرية والمالكية والمتأخرون كمحاولات لزحزحة المركز من الأطراف. ثم تظهر الأشعرية مع التابعين. ويتقدم النحاة للعودة إلى الأصل فى اللغة، مجموع النحاة ونحاة البصرة مع أصل الاجتهاد[4].

٤- شرح المختصرات:

أ- السمات العامة: ويقع شرح المختصرات بين الشرح والمختصر كما يقع الشرح الأوسط

=القواعد، المنهاج، الإعراب، الرسالة، التقويم، الوضعية، المسائل، الجام العوام، مسائل الخلاف، أدب الطلب ومنتهى الأدب، القول المفيد فى حكم التقليد، مدارج السالكين، الهداية، التمهيد، شرح الإلمام، شرح الكفاية، شرح العنوان، شرح البزدوى، شرح مختصر المنتهى، مختصر المنتهى، الملخص (١).

(١) مختصر التحرير: الصحابة، الخلفاء الأربعة، متقدموا الإسلام، ص٢٥٧.

(٢) السابق، ص٢٤٣-٢١٤.

(٣) لب الأصول: المعتزلة (٤) "ونبهت على خلاف المعتزلة بعندنا وغيرهم بالأصح غالبا" ص٤/٩.

(٤) الأصوليون، الفقهاء (٧٣)، الجمهور (٦٢)، الشافعية (٤٢)، الحنفية (٣١)، المعتزلة، السمنية (٣٠)، أهل الأصول (٢٨)، الصحابة (٢٣)، المتكلمون (٢٢)، الحنابلة (٢١)، (الظاهرية) أهل الظاهر (١٦)، المالكية (١٥)، المتأخرون (١٢)، الأشعرية (١٠)، العلماء، أهل العلم (١٢)، المحققون (٨)، نحاة الكوفة، التابعون (٧)، النحاة، نحاة البصرة، المحدثون (٥)، الخلفاء الأربعة، أهل الاجتهاد (٤)، الجدليون، أهل العراق، الأولون، السلف، الأكثرون، الإمامية (٢)، أهل الأصول والأحكام، جمهور النحاة، النحويون، أهل اللغة، أصحاب أبى حنيفة، أئمة الحديث، الأئمة، أهل العراق، أصحابنا، جمهور أصحابنا، أهل الحديث، الخلفاء، الخلف، المهاجرون، الأنصار، الخوارج، أهل السنة، الأئمة الأربعة، فقهاء الأمصار، أهل الحرمين، المجتهدون، الزيدية، العترة. ومن الفرق غير الإسلامية البراهمة (١).

أى التلخيص فى علوم الحكمة بين التفسير والجوامع. فقد يكون للمتن شرح ومختصر ثم شرح المختصر. ويتأرجح المتن بين التطويل والتقصير، بين الإسهاب والتركيز[1].

وإذا كان الشرح والمختصر سيرا فى المكان وتمددا طولياً فى الشرح ودائرياً فى المختصر فإنه يمكن الجمع بين الاثنين الاختصار أولاً ثم الشرح ثانياً. ولما كان الشعر مازال وجدان العرب بعد أن توقفت الحضارة والعلوم العقلية النقلية وعادت إلى الشعر مركز الحياة الثقافية العربية، قبل أن يحل القرآن محله فيمكن نظم المختصر شعراً قبل أن يتم شرحه تلمساً لمظاهر الإبداع. وهذا ما حدث فى "نظم وشرح مختصر المنار للشيخ طه فندى" من علماء الأتراك "والمنار لحافظ الدين عبد الله النسفى" مع كل مظاهر التمجيد والتعظيم فى الألقاب[2].

وقد يكون شرح المختصر تناقضاً. فإذا كانت غاية الشرح الاختصار فإن غاية الاختصار الشرح، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف، السير فى المكان، صورة الفكر دون مضمونه، ألفاظ وعبارات دون تقدم، ثنى ومد فى الألعاب الرياضية، شد وارتخاء للمطاط دون أن يتغير المطاط نفسه.

وبعد أن اختصر الأنصارى الشافعى "جمع الجوامع" للسبكى شرحه فى "غاية الوصول شرح لب الأصول" فى عمليتى الانكماش والامتداد، لخص غيره، وشرح نفسه[3]. والهدف من شرح المختصر بيان حقائقه، وتوضيح دقائقه، وتذليل صعاب اللفظ وكشف النقاب عن معانيه. والواقع فى "زبدة الأسرار" لشرح المختصر المنار هو حل الألفاظ وإيجاد نوع أدبى متوسط بين

---

(١) الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافى (٦٨٤): شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول، طبعة جديدة منقحة مصححة باعتناء، مركز البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(٢) نظم وشرح مختصر المنار للعالم المحقق والمحرر المدقق فريد دهره ووحيد عصره البغدادى الشيخ طه أفندى العريف بسنوى زاده ابن الجهبذ الذى علت به كلمة الأستاذ، وزخر به العلم الحديثى، وزاد وأمد باملائه الصدور بالإرشاد والإمداد الشيخ أحمد أفندى ابن العلامة الذى بتمهيد المسائل برز على نظرائه فى مصر. فأفضت إليه الرياسة العلمية فى عصره ومصره، مصدر المقولات والمنقولات، الشيخ محمد قسيم السنندجى الكورانى أسكنهم الله تعالى فراديس الجنان بحرمة من أنزلت عليه سورة الفاتحة! سعيا فى جامعه ونشره برخصة من نظارة المعارف العمومية بعدد (٢٠٢)، وفى تاريخ ٦ مارس سنة ١٣١٤ ولدا المؤلف نائب لواء زدر سابقاً إسماعيل سيف الدين أفندى ونائب لواء ديوانيه سابقاً عبد المجيد أفندى. وطبعت فى دار الخلافة العلية فى مطبعة (محمود بك) المرقمة (٧٢)، بالقرب من الباب العالى بشارع أبو السعود وذلك فى ١٩ محرم سنة ١٣١٦هـ.

(٣) شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى من أعلام الشافعية فى القرن الثامن (السابع) الهجرى، عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر (د.ت) ص٢.

الشرح الممل والاختصار المخل[1].

وتغيب البنية، وتحضر الفصول المتتالية بلا عناوين أو ترقيم. ومع ذلك يمكن اكتشاف بنية ضمنية بتجميع الفصول فى موضوعات. إذ يتضمن الكتاب مقدمة حول تعريف العلم والمبادئ اللغوية كمدخل له وليس المنطق، بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين فصلاً[2]. ويمكن تجميعها حول ثلاثة موضوعات، الأحكام الشرعية، أحكام التكليف، أحكام الوضع، والأدلة الشرعية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ومباحث الألفاظ بين الإجماع والقياس. وفى هذه الحالة تكون مباحث الألفاظ أكبرها ثم الأدلة الثلاثة ثم القياس ثم المقدمة، وأصغرها الأحكام[3]. فاللغة رصيد العرب فى حالة غيب الشعر. وفى نفس الوقت يعادل القياس وحده الأدلة الثلاثة الأولى فى حين أن النص حنبلى، وكأن النص والعقل قرينان. والأحكام على طول تاريخ النص أصغر الأجزاء.

وتكثر الشواهد النقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية. ثم تأتى الشواهد الشعرية والآثار عن الصحابة والتابعين وبعض الأمثال العربية[4]. ويعتمد المختصر على عديد من المصادر فى التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه يتقدمها "المحرر" لأبى البركات ابن تيميه ثم "الروضة" لابن قدامة[5].

---

(١) "لما قرأ علىّ بعض الإخوان مختصر النار... والجأنى أن أكتب عليه ما يحل ألفاظه ويزيل إيجازه فإنه قليل الحجم مقداراً، جليل السهم آثاراً.." زبدة الأسرار ص٤٢-٤٣.

(٢) أكبرها الفصل ١١ عن خبر الواحد (٣٣)، وأصغرها ٢٨ عن الاستقراء، ٢٩ عن الاستحسان (١)، والترتيب الكمى للفصول كالآتى المقدمة (٦٠)، ١١-خبر الواحد (٣٣)، ٢٤-القياس (٣٠)، ١٦-العام والخاص (٢٤)، ١٣-النسخ (١٨)، ٤-الحكم الشرعى، ١٤-الأمر (١٧)، ١٢-الإجماع (١٦)، ٢٥-أسئلة القياس (١٥)، ١-الحروف، ٣٣-الترجيح (١٤)، ١٠-السنة، ١٨-الاستثناء، ٣١-الاجتهاد (١١)، ٢٣-المفهوم (١٠)، ٦-خطاب الوضع (٩)، ٣٢-التقليد (٨)، ٥-الندب والمكروه والمباح، ١٥-النهى، ٢١-المجمل (٦)، ٣-الأحكام، ٧-المحكوم فيه، ٨-المحكوم عليه، ٢٠-المطلق والمقيد، ٢٢-المبين (٤)، ١٧-التخصيص (٣)، ٢-اللفظ، ٢٦-الاستصحاب، ٢٧-شرح من قبلنا، ٣٠-الاستصلاح (٢)، ٢٨-الاستقراء، ٢٩-الاستحسان(١).

(٣) مباحث الألفاظ (٩٤)، الأدلة الثلاثة الأولى (٨٧)، القياس (٨٦)، المقدمة (٦٦)، الأحكام (٤٤).

(٤) الآيات (١٤٠)، الأحاديث (٨٥)، الأشعار (١٣)، الآثار (٨).

(٥) من كتب الأصول: "المحرر" لأبى البركات ابن تيمية (١٧)، "الروضة" لابن قدامه (١٤)، "التمهيد" للكالوذانى (١١)، "الواضح" لابن عقيل (٧)، "شرح جمع الجوامع" للمحلى (٤)، "الكفاية" لأبى يعلى (٣)، "المغنى" لابن قدامه، "جمع الجوامع" للسبكى (٢)، "الإرشاد" لأبى موسى، "المعتمد" "العدة" "المجرد" لأبى يعلى، "المحصول" للرازى، "المسودة" لآل تيمية (١)، ومن كتب التفسير: تفسير الرازى (١)، ومن كتب الحديث: صحيح البخارى (٢)، شرح مسلم للنووى (١).

وبالرغم من ذكر شروح المختصرات أيضاً مسألة "الأرض المغصوبة" إلا أنه لم يتم تطويرها خاصة وأن شرح المختصر قد كتب أثناء سقوط الأندلس في الغرب، والصراع بين المماليك الجراكسة والأتراك في الشرق[1].

ب- آليات الاختصار. وآليات الشرح واحدة سواء في شرح المتن أو شرح الاختصار. وتكرارها بعد تحليلها يحوّل تحليل المضمون من وسيلة إلى غاية، وإلى كم دون كيف، وإلى أرقام دون دلالة وأهمها: العد والإحصاء من أجل القسمة ووضع البنية[2]، التحليل اللغوى[3]، والإعراب والتعريب وتحديد الألفاظ الأجنبية، السكنجبين، والحديث عن الألفاظ الهندية والحبشية والفارسية، وصف القصد ومسار الفكر والبحث عن الاتساق والحكم بالخلف في الاستدلال[4]، إصدار حكم بالخطأ أو الصواب والاكتفاء بالمختار[5]، استعمال أسلوب السؤال والجواب من أجل حيوية الفكرة والدعوة إلى مشاركة القارئ[6]، وحدة العلم والإحالة إلى المطولات[7]، الإيمانيات والدعوة إلى السلطان التركى[8]، وفي شرح المختصر تكثر الشواهد النقلية. فالقرآن والحديث منبعان بنصبان لمادة الشرح. وعلى هذا النحو يعود علم أصول الفقه ويختفى في علوم القرآن أو علوم التفسير ومنهما نشأ في البداية كما هو الحال عند "أصول الجصاص" ونشأتها من "أحكام القرآن". والشعر هو الشعر التعليمى المتأخر الخاوى من أى تجربة شعرية[9].

جـ- الوعى التاريخى. ومن الأسماء في شرح "غاية السول" يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم أبو يعلى الفراء الحنبلى وابن عقيل والكلوذانى وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ومعظم الفقهاء والأصوليين الحنابلة. ومن الشافعية يتقدم الشافعى والآمدى والباقلانى والاسفراييني والشيرازى والغزالى وغيرهم. ومن المالكية مالك ابن أنس والقرافى. ومن الحنفية أبو حنيفة والكرخى والجصاص وأبو يوسف والشيبانى. ومن الظاهرية داود. ومن المعتزلة الجبائى والكعبى،

---

(١) السويسى: شرح مختصر المنار، ص٩٥.

(٢) زبدة الأسرار، ص٦١/٧٤/٨٦/١٠٣/١١٠/١١٤/١٣٤/١٨٠/١٩٢/٢٤٩/٢٥٠.

(٣) السابق، مباحث الألفاظ ص٥٣، الإعراب ص٤٥، ٤٦، المعنى اللغوى ١٠٤/١٣٥/١٤٢/١٤٥/١٨٠/٢٠٩/٢٤٨.

(٤) السابق، ص٩٣/٧٩.

(٥) السابق، ص٦٥/٩٦.

(٦) السابق، ص٦١/٨٣. ألفاظ مخاطبة القارئ مثل تأمل ص٨١.

(٧) السابق، ص٢١٩/٢٢٦.

(٨) الإيمانيات ص٤١-٤٣، الله أعلم ص٩٢، السلطان ص٢٥٦، السلطان التركى ص٤٣.

(٩) غاية الوصول شرح لب الأصول: الآيات (٣٣٥)، الأحاديث (٧٣)، الشعر (١٢). زبدة الأسرار: الآيات (١١٢)، الأحاديث (٣٨)، الشعر (٣).

البلخى[1]. هذا بالإضافة إلى الصحابة والتابعين. ومن الأنبياء إبراهيم ثم نوح وعيسى وموسى وآدم. ومن الملائكة جبريل[2].

وفى شرح المختصر تزيد أسماء الأعلام لدرجة كبيرة. فالأعلام أصوليون وفقهاء ومتكلمون ونحاة وصحابة وتابعون بل وصوفية، منابع رئيسية لتجميع مادة الشرح التى يتم تعليقها على المختصر لدرجة الثقل الزائد لحبات الخرز على الخيط الرفيع. ويتقدمهم الشافعى مما يدل على حضوره التاريخى فى هذه العصور المتأخرة ثم أئمة الشافعية مثل الرازى والبرماوى وإمام الحرمين والسبكى مع أئمة الأشاعرة مثل الباقلانى والغزالى والآمدى. ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على تبادل الحضور فى التاريخ بين الشافعية والحنفية. ويكاد يختفى مالك وأحمد. ويظهر بعض النحاة مثل سيبويه والفراء ويكثر أعلام الصحابة والتابعين. وتغيب أعلام المعتزلة بالرغم من ظهور أبى حنيفة[3].

---

(١) أبو يعلى الفراء (٦٢)، على ابن عقيل (٥٨)، أبو الخطاب الكلوذانى (٤٣)، ابن قدامة (٢٤)، الشافعى (٢٣)، الأموى، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية (١٦)، أبو البركات، الحلوانى (١٥)، مالك بن أنس (١٠)، الباقلانى، أبو حنيفة (٨)، ابن حامد (٧)، داود الظاهرة، إمام الحرمين (٦)، الاسفرايينى، أبو الحسن التميمى، أبو الفرج، الشيرازى، (٥)، أبوبكر بن جعفر، ابن اللحام، ابن داود، الجبائى، أبو الحسين البصرى (٤)، ابن شقلا، القرافى، ثعلب الفخر البغدادى، ابن البنا، عائشة، أبو هريرة، ابن العباس، ابن الزعفرانى، المحلى، البخارى، ابن مفلح المقدس، أبو يوسف (٣)، ابن برهان، الجصاص، ابن سريج، أبوبكر الخلال، أبو الحسن الجزرى، سعيد الأسدى، الطوفى، سهيل السجان، عبد الجبار الهمزانى، البلخى، الكعبى، أبو بكر، عطاء بن أبى رباح، الخرقى، عمر بن الخطاب، الشيبانى، الصيرفى، الغزالى، الجرجانى، مسيلمة الكذاب (٢). أبو اسحق المرزوى، النظام، ابن فارس، أبو حامد الاسفرايينى، أسماء، ابن علية، إسماعيل الجوهرى، الأشعث بن قيس، أنس بن مالك، البراء، جابر بن حرام، حسان بن ثابت، الفارسى، ابن أبى هريرة، البربهارى، الحسن البصرى، أبو عبد الله البصرى، القاضى حسين، البغوى، ابن المغيرة، ذو اليدين، خزيمة الأنصارى، السمان، ربيعة، التميمى، أبو محمد التميمى، السرخسى، الأعمشى، الشافعى، عباد بن سليمان، أبو حازم الحنفى، السهيلى، الجبائى، ابن عبد السلام، أبو البقاء، الجهنى، الكرخى، أبو الفضل التميمى، القاضى عبد الوهاب، ابن جنى، عثمان، ابن الحاجب، عكرمة، على، الأشعرى، المرتضى، عمار بن ياسر، العكبرى، أبوجهل، عمرة بنت مسعود، ابن أبان، غيلان، فرعون، كعب بن عجرة، مجاهد المكى، محمد التقفى، ابن القيم، ابن خويز منداد، أبو مسلم الأصفهانى، الطبرى، ابن الأعرابى، محمد بن سيرين، ابن مالك، الأبهرى، القفال، أبوبكر الدقاق، أبو يعلى الصغير، أبو هذيل، الطرطوشى، ابن ماجه، مسلم، معاذ، أبو عبيدة، أبوبردة بن نيار، النووى، ابن عبد البر (١).

(٢) إبراهيم (٣)، نوح، عيسى، موسى (٢)، آدم (١).

(٣) الشافعى (٢٨)، الرازى، ابن الحاجب (١٦)، البرماوى (١٤)، إمام الحرمين (١١)، الباقلانى، الترمذى، الزركشى (١٠)، الغزالى، الآمدى (٩)، السبكى (٨)، النووى (٧)، أبو حنيفة، مسلم، البخارى (٥)، الجلال المحلى، السعد التفتازانى (٤)، الأشعرى، الكعبى، ابن عبد السلام، ابن مالك، الصفى الهندى،=

ويجمع شرح "غاية السول إلى علم الأصول" لابن المبرد (ت٩٩٠هـ) بين الشرح والتلخيص[١]. فقد كتب ابن المبرد تلخيصين من عدة كتب أصولية حنبلية لابن مفلح وابن اللحام حتى يسهل استذكاره ثم شرحه بنفسه لمن شاء التطويل والتفصيل. فهو اختصار وشرح، تجميع وتنظير، نقل وعقل، من المتقدمين والمتأخرين. والشرح لفظاً بلفظاً، وعبارة بعبارة من أجل إدخال مادة جديدة. فاللفظ شماعة لتجميع المادة الأصولية عليها. ومع ذلك يمتاز بالوضوح والعرض العقلى الذى يقوم على التعريفات مع كثرة الشواهد النقلية، من القرآن والحديث والشعر.

وهو تجميع على مذهب الإمام أحمد بين حنبل وليس لمذهبين. وأحكامه هادئة على المذاهب والآراء المخالفة. ومع ذلك يظل الجدل قائماً مع الشافعية ثم الحنفية ثم المالكية. ومن الفرق الكلامية يتقدم المعتزلة ثم الجبائية ثم الأشعرية والقدرية ثم الظاهرية ثم الإمامية وأهل السنة والبهشمية والجهمية والرافضة والسنية والارجاء. ومن الفرق غير الإسلامية اليهود[٢]. ثم تأتى المجموعات المهنية أو القومية أو الدينية أو القبلية[٣]. ومن الأماكن تتقدم البصرة والكوفة، مدينتا العلم[٤].

وفى "شرح مختصر المنار" للسيواسى يتقدم الشافعى بالرغم من أن الشارح حنفى مما يدل على هيمنة الشافعية على مركز الوعى التاريخى. ثم يظهر المصنف أى الشارح نفسه ثم أعلام

=الزهرى (٣)، سيبويه، الاسفرايينى، الفراء، ابن الجزرى، السكاكى، أبو هريرة، ابن الصباغ، أبو حيان، غيلان، أبو عيسى الأصفهانى، ابن الصلاح، ميمونة، القاضى حسين، القاضى عبد الوهاب (٢). وعشرات أخرى من أسماء الأعلام مثل ابن دقيق العيد، ابن ماجه، مالك، الأستاذ، المروزى، الماوردى، البيهقى، البغوى، الشهاب العماد، ابن السمعانى، ابن الدرداء، الكمال بن الهمام، داود الأصفهانى، القرافى، العراقى، الحريرى، ابن هشام، ابن مسعود، أبو سعيد الخدرى، السيرافى، الشمس الأصفهانى، الدارقطنى، ابن عبد السلام، أبو على الفارسى، الشيرازى، ابن الصلاح، الرافعى، الحليمى، ابن عيينة، الخطيب البغدادى، سعيد بن المسيب، ابن عباس، الطبرانى، الأصمعى، أبو هريرة، أحمد، النسفى، أبو ثور، الزمخشرى، ابن جنى، الجنيد، والقراء السبعة. ومن الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

(١) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلى الدمشقى الشهير بابن المبرد (٨٤٠-٩٩٠هـ)، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقى العنزى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

(٢) الشافعية (٥٥)، الحنفية (٤٧)، المعتزلة (١٤)، النحاة (١٢)، المالكية (٩)، المتكلمون، الصحابة (٨)، الفقهاء (٧)، الجبائية (٥)، القدرية، الأشعرية، الكوفيون (٤)، الأصوليون، البصريون، التابعون، الظاهرية (٣)، أهل الأهواء، أهل المدينة، الشيعة، بنو هاشم، المحدثون (٢)، الارجاء، الإمامية، أهل السنة، البهشمية، الجهمية، الرافضة، السنية، اليهود (١).

(٣) القومية مثل: أبناء العجم، بنو حنيفة، بنو بكر، بنو المطلب، ربيعة، قريش، وائل، والمهنية مثل الأطباء، والدينية مثل أصحاب بدر، أهل البيت، أهل بيعة الرضوان، أهل الحديث، المبتدعة (١).

(٤) البصرة، الكوفة (٦)، الجعرانة، عرفة، منى (١).

الحنفية مثل عيسى بن أبان والكرخي وأبو حنيفة نفسه وصاحباه أبو يوسف ومحمد ثم المزني والدبوسي والسرخسي. ويظهر الأشعرية بعد ذلك الاسفراييني والأشعري والغزالي والباقلاني[1].

ويظهر بعض الأعلام والمصادر من الوافد بالرغم من ندرته مثل أرسطو وأفلاطون وشرح إيساغوجي[2].

ومن المصادر تتقدم الحاشية ربما نفس حاشية الشرح أو حاشية أخرى ثم بعض الشروح الأخرى، ورسالة في التصوف[3]. ويعترف الشارح بأنه اعتمد في شرحه على المحقق الفهامة الجلال المحلي لسلاسته وحسن تأليفه. ولا ضير من إضافة سبب غيبي هو حصول البركة منها[4].

ومن الطوائف والفرق والمذاهب يتقدم المعتزلة على الإطلاق مما يدل على استمرارهم في تحدي الأشعرية والشافعية، بل وفرقهم مثل معتزلة بغداد. ثم تأتي الحنفية باعتبارها تجسيداً أصولياً للاعتزال[5].

ومن الفرق والمذاهب يتقدم مشايخ العراق ومعظمهم من الأحناف ثم مذهبنا وعلماؤنا أي الحنفية والأحناف ثم مشايخ ما وراء النهر "الماتريدية" وهم أيضا أحناف. ولا يأتي الأشاعرة إلا مؤخراً مع الجمهور مما يدل على نجاح الحنفية في زحزحة الأشعرية داخل الوعي التاريخي الأصولي[6].

تاسعا: الحواشي والتقارير.

١- الحواشي على الشروح. وتقل الحواشي بكثير عن الشروح والمختصرات. فهي إضافات وزيادات تجميعية. فإذا كان المتن إبداعا فإن الشرح والمختصر وسط بين النقل والإبداع، والحاشية نقل خالص لأنها مجرد تجميع نصوص من مصادر سابقة لتدعيم الشرح بنصوص كما

---

(١) الشافعي (١٤)، المصنف (٥)، عيسى بن أبان، الكرخي (٤)، أبو حنيفة، أبو يوسف (٣٩، محمد بن الحسن الشيباني، سراج الدين الهندي (٢)، الواسي، المزني، الاسفراييني، العراقي، أبوزيد (الدبوسي)، شمس الأئمة وفخر الإسلام (السرخسي)، الخوارزمي، الأشعري، الغزالي، الباقلاني، ابن الملك، المسيّب، النخعي، سريج، علقمة (١).

(٢) شرح إيساغوجي (٢)، أفلاطون، أرسطو (١).

(٣) الحاشية (١٣)، شرح المختصر (١٣)، شرح المهمة، شرح آداب البحث، جمع الجوامع، شرح الروضة، الإرشاد، شرح رسالة الإمام العارف (٨).

(٤) السابق، ص٢.

(٥) المعتزلة (٣٤)، الحنفية (٢٣)، الحنفي (١٥)، الفقهاء (١٢)، الأصوليون (١١)، الشافعي (نسبة إلى المذهب) (٩)، المحققون (٦)، الأشاعرة (٥)، المتكلمون، الحكماء (٤)، المحدثون (٣)، الجمهور، الكوفيون، الشيعة (٢)، الصوفية، البصريون، المتأخرون، بنو هاشم، بنو عبد المطلب، الظاهرية، النصارى، اليهود، العيسوية، النحويون (١).

(٦) مشايخ العراق (العراقيون)، علماؤنا، مذهبنا، المعتزلة، (٢)، البيانيون، مشايخ ما وراء النهر، الأشاعرة، الجمهور (١).

يفعل الدارسون المعاصرون. وللنص المقتبس علامة انتهاء إما بلفظ "انتهى" أو بحرفى "أ هـ" دون علامة بداية. والدارس المعاصر يضعه بين معقوفتين "......"[1]. ويتأرج المحشى بـين الجوهـرى أو محمد الجوهـرى مع زيـادة تدريجية فـى التعظيم بإضافة شـيخنا أو العلامـة أو كليـهما. فالحواشى تجميع لا تأليف. وقد تسبق حروف الانتهاء مؤلفين آخرين بالاسم أو بلقـب "كاتبـه" أو باسم الكتاب[2]. وقد تسبق أول حرفين من اسمى المؤلف علامة الانتهاء[3]. وقـد تبـدو حـروف أخرى غامضة اختصار لأسماء أو علامات[4].

والعلاقـة بـين المتن والشـرح والحاشـية مثـل العلاقـة العنقوديـة أو علاقـة مسـتويات الثريا أو طبقـات الهـرم المـدرج. المتن فـى القمـة والشـرح فـى الطبقـة المتوسـطة والحاشـية فـى القاعدة[*]. الحاشية على الشرح وليس على المتن بعد أن بعدت المسافة بين الحاشية والمتن.

---

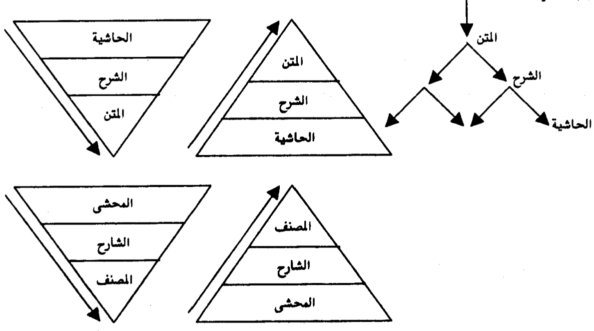
(١) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول: أهـ (٢٥)، انتهى (٥)، أهـ جوهرى (٢)، أهـ محمد الجوهـرى (٢)، أهـ (شيخنا) (١١)، انتهى شيخنا الجوهرى (٦)، أهـ شـيخنا محمد الجوهـرى (٦)، انتـهى شـيخنا العلامـة محمد الجوهرى (٤)، أهـ شيخنا سيدى محمد الجوهرى (١١)، أهـ من حاشية الشارح على المحلى (١).

(٢) أهـ زكريا (١)، أهـ شارح العلامة شيخ الإسلام المحلى (١١)، انتهى شارح المحلى (٢٥)، انتـهى كاتبـه (٤)، أهـ أنساب السيوطى (١).

(٣) مثل م (محمد) ج (الجوهرى) هـ (انتـهى) حواشـى محمد الجوهـرى علـى غايـة الوصـول شـرح لـب الأصـول، ص١٠٢. حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: أهـ (٨٢)، انتهى (٦).

(٤) مثل أ م ر فى حاشية عزمى زادة ص١١٢. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسـفى: انتـهى (٨). حاشية المطيعى على نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: انتهى (٢٢٤).

(٥) العنقود:



حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى: أهـ (٣٦٤)، سم (٣٢٨)، أهـ سم (٣٦). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: انتهى (٦٩).

وقد يكون الاقتباس باللفظ والحرف والنص. وقد يكون بـالتلخيص أى بـالمعنى والاقتصـار. وأكثر الاستعمالات اقتباس النص بحرفه مفردا أو بحروفه جمعا[1]. وفى حالـة التلخيص يكـون الاقتباس بتصرف[2]. يذكر الاقتباس مرة نصا ومرة ملخصا[3].

وقد يكون النص المقتبس تلخيصا وليس حرفيا[4]. وفى كلتا الحالتين الحاشية نقل من فلان عن فلان. وفى كلتا الحالتين يتم الفصل بين الشرح والحاشية كما هو الحال فى الشرح، الفصـل بين الشرح والمتن. ولا تذكر العبارة كلها بل أولها فقط مسبوقة بلفظ "قوله"[5].

ومع ذلك ازدادت الحاشية كما، وتعـددت الأجـزاء، وأصبحـت أكـبر مـن الشـرح كمـا أن الشرح أكبر من المتن طبقا لقانون التمدد الطبيعى، أضعافا وأضعافا. وضاع المتن القصـير وسـهولته وتركيزه وسط مجلدات الشرح والحواشى. وكلما زادت الحواشى قل الحجم[6].

والحواشى تعليقات مجمعة من الشروح السابقة، كتبت أثناء المذاكرة والتدريـس بنـاء علـى طلب أهل العلم والخير[7]. كلها منقول من المصادر السابقة مع إضافات قليلة من المحشى، قليلة

---

(١) بحروفه (٨)، بحرفه (٤)، هو من حاشية المصنف بحروفه (١)، أهـ بالحرف (٩)، بلفظه (٣)، انتـهى شيخنا الجوهرى من لفظه، أهـ من لفظه (٢)، بنصه (١١)، وكتب العلامـة الجوهـرى مـا نصـه (١). حاشـية نسـمات الأسحار لابن عابدين: أهـ (١٨٤)، انتهى (١٢).

(٢) أهـ، وبعضه بتصرف شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١)، أهـ ملخصا مع بعض تغيير حاشية نسـمات الأسـحار لابن عابدين ص٣٣.

(٣) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/٣١.

(٤) ملخصا (٨)، انتهى من شرح الزركشى ملخصا، أهـ من البحر ملخصـا، أهــ ملخصـا مـن حاشـية الشـارح علـى المحلى، أهـ من تلخيص شيخنا العلامة محمد الجوهرى، أهـ ملخصا من حاشية الشارح، أهـ ملخصا مما نقلـه الكمال عن القواعد للشيخ عز الدين.

(٥) وذلك مثل حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين. حاشية الرهاوى علـى شـرح ابـن فرشـته علـى المنـار للنسـفى: انتهى (١٥).

(٦) الحاشية الأولى للرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى أكبر من الحاشية الثانية لعزمى زادة علـى نفـس الشرح، وهذه أكبر من الحاشية الثالثة أنوار الملك على نفس الشرح والحاشيتين.

(٧) "فهذه تعليقات جمعتها من هوامش شرح المنار لابن فرشته... وقد كتبتها أثناء المذاكرة وتضاعيف الدروس. وكان ذلك بإلحاح جمع ممن وفقه الله تعالى لاستدعاء الخير."، حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشـته علـى المنـار للنسفى ص٤. "وشرعت أن أكتب ما يسر الله لنا نقله من كلام المحققين من علماء هذا الفن المتقدمين والمتأخرين وما فتح الله به على عبده المسكين المتوسل إليه بسيد المرسلين. فجـاءت وافيـة إن شـاء الله بـالمقصود. فـهى وإن كانت قليلة المبانى لكنها كثيرة المعانى، تغنى عن كثير من المطولات ويسـتفيد منـها المبتـدئ ولا يسـتغنى عنـها المنتهى. وأرجو من الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، عائدة على الطلاب بأكبر فائدة وأعظم نفع عميم إنه الجواد المحسن المنعام وسميتها "سلم الوصول لشـرح نهايـة السـول"، حاشـية المطيعـى علـى نهايـة السـول للأسنوى على شرح منهاج الوصول للبيضاوى ص٤.

فى تغيير بنية الموضوع وإن كانت تعطى كثرة من التفصيلات فى المقارنات بين المذاهب وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينها مع تصحيح لبعض المواقف وبيان فساد البعض الآخر. ويزيد المحشى فى التواضع والمسكنة والحاجة إلى العون من المولى الكريم. فالحاشية أداة وليست غاية، "سلم الأصول" وليست قراءة جديدة أو إعادة بناء للعلم. ويفصل بين الحاشية والشرح. يسبق الحاشية "قال المصنف"، ويسبق الشرح "قال الأسنوى". وبعد النص المقتبس من الشرح أو المتن يعلن المحشى "وأقول"، "واعلم" أو حروف "أى" أو أسماء إشارة مثل "وذلك"، "وكذا". وقد يذكر المحشى والشارح فى نفس الفقرة[1].

وقد يكون النص إملاء أى بطريق شفاهى أو كتابة بالخط أو جمعا بين الإملاء والكتابة[2]. وقد يضاف الحرف إلى الإملاء للتأكيد على النص الحرفى وليس مجرد تلخيص الإملاء[3]. وقد يجمع الاختصار والخط، وقد يعتمد المحشى على أكثر من نسخة[4].

وتبين الحاشية كما بين الشرح والمتن الدوافع عليها بتقديم فوائد عظيمة وفرائد يتيمة على حاشية، تعظيما للفائدة وإيراد ما قد تكون قد نسيته الذاكرة الجمعية[5]. فالبرغم من أهمية الشرح وعظمته وإبداعه وتفرده إلا انه اختصر فى بعض المواضع ما يحتاج إلى الإيضاح لخفائه عن الأذهان أى تفصيل المجمل، وبيان المهمل[6]. وفى العصر الحالى، عصر الكتب المدرسية

---

(١) السابق ص٦٢. قال الأسنوى (٤٥٣)، "قال المصنف" (٧٥). "الاتفاق والاختلاف بين المذاهب"، جـ١/١٢٧. "ولا خلاف لأحد من العلماء"، جـ١/١٣٢. "فلا خلاف فى المعنى الحاضر"، جـ١/١٣٢. "واتفق الفريقان على فساده"، جـ١/١٤١. "قد اختلفوا فى أن هذا الخلاف لفظى"، جـ١/١٣٧. "إنما قاله لاعتبار خاص لا ينافى ما هو الحق كما بيناه من قبل"، جـ١/١٣١. "لما علمت أن أئمة المذاهب يتفقون على حقيقة الرفض"، جـ١/١٢٧.

(٢) انتهى من خط شيخنا العلامة (٥)، أهـ من خط شيخبا العلامة محمد الجوهرى (١)، انتهى وباختصار وبخط شيخنا العلامة الجوهرى (١). أهـ المراد منه وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١)، انتهى فى وأملاه شيخنا محمد الجوهرى (٣)، أهـ من أملاه شيخنا محمد الجوهرى (٥)، أهـ من إملاء شيخنا السيد محمد الجوهرى (١).

(٣) أهـ بالحرف وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١).

(٤) حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فصار ساقطا من نسخته" ص٣٠٢، "كذا فى جميع النسخ" ص٣١٤.

(٥) هذه فوائد عظيمة وفرائد يتيمة وضعتها على شرح المنار"، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢.

(٦) "فإنه شرح لم تسمع أذن بمثاله ولم تنسج قريحة على منواله. بيد أنه جرى فيه على عادته من الالتزام بالاختصار فلم يظهر المراد منه لامتثاله من الطلبة الصغار مع ما أهمله فى بعض المواضع من المتن عن البيان مما يحتاج إلى الإيضاح لخفائه عن الأذهان فأوضحت فى هذه الحواشى ما أجمله، وذكرت ما أهمله..."، السابق ص٢. "فهذه حاشية وضعتها على شرح المنار فى أصول الفقه للشيخ الإمام العالم العلامة عبد اللطيف بن فرشته رحمه الله، تفتح منه مقفله، وتبين مجمله، وتبرز ما أهمله، مع بيان ما يرد عليه الجواب منه=

والمقررات الجامعية تدون الحاشية بهذا الدافع لتوضيح ما أشكل على الطلاب[1]. وتعبر أيضا عن هموم قصص العمر[2].

ومع ذلك لا يتحقق الهدف المعلن فى البداية، وتظل الحاشية تدور فى المكان "محلك سر" لغياب الهدف والقصد. فتدور الحاشية حول الشرح وتلف حوله مواد لغوية وفقهية وكلامية حتى تكبر الشرنقة ويموت المتن بداخلها بعد لف عديد من العبارات حوله من الشرح والحاشية على حد سواء.

وإذا كان الشرح شرحا لكل عبارة ولفظ فى المتن أو شرح الشرح فإن الحواشى ليست تعليقات أو جمع مواد على كل شرح بل جمع ما تيسر من علم على ما تيسر من متن. فهناك صفحات بأكملها من الشرح بلا حواشى[3].

ونادرا ما تطول الحاشية وتخلو من الشرح. وفى هذه الحالة تكون دراسة مستقلة، كما أن الشرح دراسة مستقلة إذا طال واستقل عن المتن[4]. وتكون قطعا طويلة مستقلة بذاتها ودراسة

=إن أمكن. وقد أتعرض فيها لكلام المصنف رحمه الله لإيضاح أو غيره..."، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢. "فقد وضعت هذه الحواشى مرفوعة عنها الغواشى مجلوة عليك ولك فى الديجور والملك... رفعت أعن وجهها نقاب الإشكال ليظهر الجمال وسلكت فيها طريقى التفصيل والإجمال بحسب مقتضى الحال مشتملة على فوائد صحيحة نقلتها، وزوائد متن سقيمة قد عقلتها، مكتملة بما فيها من نقول أشهى من النقول، وواردات ووردت على المنقول"، حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٣.

(١) "لما قررت رياسة المعاهد الدينية تدريس منهاج الصول للبيضاوى وشرحه الأسنوى بالمعاهد المذكورة طلب منى بعض أفاضل أهل العلم أن أكتب على شرح الأسنوى المسمى بنهاية السؤل على منهاج الأصول للعلامة القاضى البيضاوى تغييرات لطيفة وتحقيقات شريفة توضح ما أشكل على الطلاب فى هذا العصر من معانيه، وتشتمل على الجواب عما استشكله على المنهاج ولم يجب عنه فيه مع بيان ما كان حقا من الاعتراض بدون ميل عن الحق ولا إعراض وغير ذلك مما تدعوا إليه حاجة الناظرين لإحقاق الحق وتمييز الصواب من الخطأ"، حاشية المطيعى على نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى ص٤.

(٢) "ولولا كان من هجوم الهموم عن فرط همة وعموم وخصوص الغموم المظلمة المدلهمة لما آل جهدها فى تحريرها وتصحيحها ولم أطو كشحا عن تهذيبها وتنقيحها"، السابق ص٣.

(٣) محمد الجوهرى: حواشى غاية الوصول شرح لب الأصول للأنصارى ص٢٤/٣٥-٣٦/٣٩-٤١/٥٠-٥٥/٦٤-٦٧/٧١/٧٣-٨٢/٨٥-٩٠/٩٢-٩٦/٩٨-١٠٠/١٠٣-١٢٨/١٣٠-١٣٤/١٣٦-١٤٠/١٤٨-١٥١/١٥٤/١٥٦-١٥٨/١٦٢-١٦٧.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين، ص٣٣. حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/١٣٧/٣١٥. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢٠/٣٣/٢٣٧. حاشية المطيعى على نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى.

للموضوع دون الاعتماد على "العكاز"، الشرح أو المتن. ومع ذلك معظم الحواشي قصيرة، قطع صغيرة، نفسها محدود. تربطها جميعا حرف "أي"[1]. ويفصل بين الحاشية والشرح والمتن. تذكر أول العبارة فقط من الفقرة وليس النص الكامل.

وبالرغم من أن الحاشية لا تعطى مادة علمية في الغالب إلا أنها تشعر أيضا بالتطويل والإطناب، ويتم تنبيه المحشى على ذلك[2]. والحاشية أيضا مثل المتن والشرح على وعى بالطول والقصر وبالخروج عن الموضوع والإطناب فيه والحذر من التطويل[3].

ونظرا لكثرة الاقتباسات يحيل اللاحق منها إلى السابق تأكيدا على وحدة الحواشي بعبارات مثل "كما سلف"، "كما سيأتي" حتى يعم الربط بين الاقتباسات المتراصة، الواحد تلو الآخر. ومع ذلك يتوه القارئ بين الاقتباسات فالعقل لا يقدر على فهم ما تستدعيه الذاكرة. وتردد نفس اللازمات في عديد من الحواشي[4]. كما يضع المحشي حاشيته وسط أعماله السابقة، متونا أو شروحا أو حواشي[5].

---

(١) وذلك مثل حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين. نماذج الحواشي الطويلة جـ١/٢٩٨-٣٠٤/٣٤٨-٣٥٣/٣٧٠-٣٧٤/٣٧٦-٣٧٨، جـ٢/٢٣٤-٢٣٦/٢٩٦/٣٠٢/٦١١-٦١٦.

(٢) "وإنما أطلنا بذكر هذا البحث"، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٤. "فذكرها معنا استطراد"، ص٣١. "مما يؤدى كتابته إلى التطويل الممل وأما كلام المختصر فقابل للمذهبين بما سمعته من التقرير"، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي ص٢٨٦.

(٣) حاشية البناني على شرح الحلى لجمع الجوامع للسبكي، السابق جـ١/١١.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: كما سيأتي (١٢)، كما سيأتي بيانه ص١، سيأتي بيان ذلك ص٦٣، وستأتي هذه المسألة ص٥٤، كما يأتي بيانه ص٥١، وفيه كلام يأتي ص٦٤، سيأتي فيه بحث ص٨١، كما سيتبين في موضعها ص١، كما مر ويأتي ص١. حاشية البناني على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي: سيأتي (١٤)، على ما سيجئ (٤)، كما سيذكره (٤)، فسيأتي آخر المسألة (٤)، وسيأتي رد (٤)، على ما سيأتي (٢٠)، كما سيأتي بيانه (٤)، ما سيأتي تحقيقه (٨)، وسيأتي ذلك (٤)، كما تقد ذلك (٨)، كما في المثال الآتي (٨). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: كما سيأتي ص٢٢٨/٤٢٤/٤٣٢، لما سيأتي ص١٤٩، وسيأتي ذكرها ص١٣٦، وسيأتي في محله ص٧٧، على ما سيجئ ص٢٠٦، وسيجئ بيانه ص٣٢٧، وسنذكر، الكلام فيما مر ص٢٠٥. حاشية عزمي زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: "فيما سبق" ص١١١/٢١٦، "مبنى على ما سبق" ص١٦٣، "كما سيجئ تفصيله" ص١٦٤، "كما سيأتي" ص١٢١، "فيما سيجئ" ص٦٦، "كما يأتي جوابه" ص٢٦٦. حاشية ابن الحلبي على شرح ابن فرشته على المنار للنسفي: "على ما يأتي" ص١٥٨، "فيما سيجئ" ص٩٧، "بما سيذكره" ص٦٨، "قال آنفا" ص٤٠٣.

(٥) يحيل المطيعي في حاشيته على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى إلى متن "القول المفيد في التوحيد" ص٥٧، وعلى شرحه "البدر الساطع على جمع الجوامع ص٧٨/٨٦/١١٤/١٤١، وحاشيته على شرح خريدة الدردير ص٥٧/٩٠.

وإذا كان المحشى من نفس المذهب للشارح والشارح من نفس المذهب للمصنف فإن النصوص الثلاثة تكون من مذهب واحد، توسيعا لرقعة المذهب ورصدا لتياراته وتفريعاته واختلافاته الداخلية[1]. وإن كان المحشى من مذهب آخر غير مذهب الشارح وكان الشارح من مذهب غير مذهب المصنف تكون غاية الحاشية فى هذه الحالة جمع المذاهب كلها فى مذهب واحد، وهى سمة الحواشى والشروح المتاخرة أو بلغة العصر الحوار بين المذاهب للتقريب بينها من أجل العودة إلى الأصول الأولى قبل تفريعاتها[2]. وفى هذه الحالة يكثر المدح والإطناب للمصنف ويغيب النقد إلا فى أقل القليل. وفى الشروح المتأخرة يعلن عن مذهب المحشى الحنفى مثلا وطريقته الصوفية كالقادرية[3]. وتظهر بعض مصطلحات أصول الفقه الشيعى فى الحواشى المتأخرة بعد أن تقاربت المذاهب وتوحد علم الأصول ومعظمها مصادر وصفات مثل صلوحى"، "وتنجيزى"[4].

وإذا كان الشارح يضع عناوين للشرح تشابه أو تخالف عناوين المتن وتختلف عنه من حيث ترتيب الأبواب والفصول وعددها إلا أن الحاشية لا تغير من بنية المتن شيئا. فقد بعد العهد بينها وبينه على عكس الشرح الذى يتعامل مع المتن تعاملا مباشرا دون توسط نص ثان. أما الحاشية فتتعامل مع المتن بتوسط الشرح ومن ثم لم تعد قادرة على تغيير بنية المتن بل تكاد لا تذكر الحواشى أى عنوان جانبى يوحى بنية الموضوع اعتمادا على قسمة الشارح، اعتمادا على قسمة المصنف[5].

ومع ذلك قد لا تخلو الحواشى من علم دقيق ونظرات جزئية فاحصة فى موضوع المتن والشرح مثل التمييز بين العهد الذهنى للنحاة والخارجى العلمى للبيانيين[6]. فالمحشى مؤلف أيضا إذا ما تخلى عن جسم الشرنقة وعاد إلى بؤرتها والتجربة الحية فيها. كما لا تخلو من مراجعة وتحقق من الروايات.

---

(١) نموذج النوع الأول حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين الحنفى على شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار لمحمد علاء الدين الحصنى الحنفى على متن النسفى الحنفى، وكذلك حاشية الرهاوى المصرى الحنفى على شرح عبد اللطيف ابن فرشته على المنار للنسفى.

(٢) نموذج النوع الثانى حاشية البنانى المالكى على شرح الجلال المحلى الشافعى.

(٣) حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٣-٤.

(٤) حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى ص٥٤/٢٧٨-٢٧٩/٢٨٨/٣٠٤/٣٢٦.

(٥) حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: القسمة ص٥٠.

(٦) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/٢٢٨. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى ص٨٦.

كما يتوجه المحشى للقارئ بلفظ "اعلم"[1]. ويستعمل الأسلوب الشخصى فى ضمير المتكلم المفرد عن الشخص أو الجمع عن أصحاب المذهب[2]. وتنتهى كثير من الحواشى بألفاظ "فليتأمل"، "تدبر"، "فلتراجع" من أجل إشراك القارئ مع المحشى فى العمل. وأيضا "انظر" كما هو الحال فى الهوامش الحديثة[3].

وتظهر بعض العبارات الإيمانية بين الحين والآخر مثل "والله أعلم"[4]. وتقرن الإيمانيات بالسجعيات، والابتهالات بعديد من المحسنات البديعية، وهى سمة الحواشى والشروح بل والمتون المتأخرة[5]. ويتم أيضا تعظيم العلماء وتبجيل المشايخ ومدح الشارح وهى احدى درجات التأليه كما تظهر أيضا الدعوة إلى السلطان.

٢- مادة الحاشية. ولا تختلف مادة الحاشية عن مادة الشرح عن مادة المتن، إذ تتكرر المادة بنفس الأمثلة. الزيادة فى الكم وليس فى الكيف.

وتغلب على الحواشى مادة اللغة العربية فهى المادة الثابتة الصماء والتواصل التاريخى فى الوعى الثقافى العربى[6]. وتتضمن إعراب اللفظ وضبطه[7].

كما تعتمد الحاشية على التمييز بين الظاهر والمؤول فى المتن[8]. وتعتمد على باقى مباحث

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "اعلم" (٦).

(٢) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى (١٦). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: اعلم (١٢)، فتأمل (٩). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فليتأمل" (١٥). حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فأنت تعلم" ص٢٧، "إعلم أن" ص١٣٩/٤٢٣، "فافهم" ص١٣٥، "فتأمل" ص٢٨/٢٦٩.

(٣) حواشى محمد الجوهرى على غاية الوصول شرح لب الأصول للأنصارى ص٤٨. وأيضا حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "إن شاء الله تعالى" (١٠)، "والله تعالى أعلم" (٤).

(٥) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢. حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى: "الله أعلم" (٨)، الدعوة إلى السلطان جـ١/١٦٤. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "والله أعلم" (١٥)، "إن شاء الله" (٩)، "اللهم" (٣). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "إن شاء الله تعالى"، "الله تعالى أعلم" (٦). حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: "الله أعلم" جـ١/٣٥.

(٦) وذلك مثل حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى.

(٧) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٦/٨/١٢/٣٢/٣٧/٥٩/٦٩، التوكيد اللفظى ص٥٩.

(٨) السابق ص٤٣.

الألفاظ أو المبادئ اللغوية العامة مثل تقسيم معانى الألفاظ إلى اشتقاقية واصطلاحية وعرفية، وبيان أهمية المعنى العرفى لربطه بالواقع، بالمجتمع والتاريخ[1].

وبالرغم من أن الحاشية مجرد تعليق على الشرح وتعتمد على مسار فكره إلا أنها بين الحين والآخر تصف مسار فكر الشارح كما يصف الشارح مسار فكر المصنف، ويستخلص النتائج من المقدمات[2]. كما تستعمل الحاشية القسمة والاستقراء كما ترد على الاعتراضات أسوة بالشرح.

وقد تغلب على الحواشى المواد الكلامية إرجاعا لعلم أصول الدين إلى أصله فى علم أصول الفقه، ورد الشريعة إلى العقيدة، والعالم الإنسانى إلى العالم الإلهى، وتأسيس العمل إلى تأسيس النظر. ومن ثم غابت غابت المصالح العامة كما غاب واقع الأمة وانحسر الاجتهاد بالرغم من وجود الاجتهاد فى اللغة عند البغداديين[3]. ومع ذلك فإن الاعتقادات الشعبية العامة غير اعتقادات المتكلمين[4]. وتكثر المواد الكلامية نظرا لسيطرته مع الفقه على باقى العلوم[5]. وكان يمكن تطوير "الكلام النفسى" بحيث يدرس الوحى على مستوى التجربة الشعورية[6].

وقد تغلب على الحواشى المادة الفقهية، هذا التاريخ الممتد عبر العصور والذى يتضمن دائما النوازل القديمة والجديدة والأحكام الشرعية بعد أن توقف علم الأصول باعتباره علما

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: اللغة (١٨)، الإعراب (١٢)، الاشتقاق، الاشتراك اللفظى، الحقيقة اللغوية (٦). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "ولعله اصطلاح من عنده أراد به المعنى اللغوى" ص١٦٥، المغايرة اللغوية والمغايرة الاصطلاحية ص١٣٦، المعنى اللغوى المطلق ص١٤١، اللغة ص٢٤/٥٢، الإعراب ص٨٧/٢٣٤/٣١٩. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الإعراب (١٢)، اللغة (٦)، الحقيقة الاصطلاحية (١٠)، المشترك اللفظى ص١٢٠، الألفاظ ص١٣٨. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: اللفظ جـ١/٥٠، عبث لفظى جـ١/٨٩، الخلاف لفظى جـ١/١٤٠.

(٢) "وهذا مبنى على ماتقدم"، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٣٣. حاشية بن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: القسمة ص٥٠، الاستقراء ص١٢٩. "فتفسير معترض من قبل المعترض" ص١٥٣. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: مسار الفكر جـ١/٣٠٥.

(٣) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى ص٩-١٠، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٣٣.

(٤) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/١٥١، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الكلام (١٨).

(٥) وذلك مثل حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: علم الكلام ص٢٥/٢٤٠، علم الأصول ص١٢/٢٣. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقه (١٦)، الأصول (٦). حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى جـ١/٥٧.

(٦) حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى جـ١/٢٩٨-٣١٥.

استدلاليا[١]. بل وتظهر بعض المسائل الفقهية الدالة مثل الصلاة فى الغصوب، ويمر عليها المحشى مر الكرام كما مر الشارح والمختصر وصاحب المتن الأول[٢]. وتسمى أيضا الوضوء بالماء المغصوب، والعيش بالمال المغصوب، وإطعام الشاة المغصوبة وهل يستمر الضمان عليه؟ كما تعرض بعض المسائل التى تجاوزها العصر مثل "من قتل قتيلا فله سلبه". فالحياة أهم من المتاع. وهناك موضوعات أخرى ولى عصرها مثل موضوع العبيد. وكذلك حق الفقراء فى أموال الأغنياء ولم يتم التوقف عليه فى مجتمع به أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء[٣]. وكان يمكن تطوير بعض الموضوعات العصرية مثل حقوق الإنسان بناء على بعض المرويات مثل "الآدمى بنيان الرب، لعن الله من هدم بنيانه". كان يمكن تطوير بعض المسائل القديمة مثل الذاتيات فى مقابل العرضيات وتحويلها من مستوى الطبيعة إلى مستوى الذات الإنسانية نظرا لتفسير العصر باكتشاف الذاتية الترتسندنتالية عند إقبال وفى الفلسفة الغربية[٤].

وتتحول الحواشى إلى علم نظرى خالص فى حين أن علم الأصول بين النظر والعمل، يمهد للعمل بإعطاء الأسس النظرية للسلوك. يتحول علم الأصول إلى بحوث نظرية خالصة لا شأن لها بالواقع العملى. ومادام الفقه لم يتجدد فأصول الفقه لم تتجدد. فأصول الفقه يقوم على استقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات. غاب عن الحاشية التوجيه والهدف، تطوير القديم أو البحث عن الجديد. والغريب أن يأتى ذلك من كل المذاهب حتى من المالكية التى تقول بالمصالح العامة وأن ما رآه المسلمون حسن فهو حسن. وتظهر بعض الموضوعات الغيبية التى لا فائدة منها فى علم الأصول الذى يتعامل مع سلوك الناس ووجود الإنسان فى العالم.

وقد تبدأ الحاشية بسيرة ذاتية، والحديث عن أولاد الشارح محب الدين وجمال الدين. وقد مات الأول شهيدا بالغرق وكف بصر الوالد حزنا عليه كما حدث ليعقوب عندما علم بأكل

---

(١) حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى ص١٥.

(٢) السابق ص٣٠، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٤٩. حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/١٧٠/٢٠٠/٢٠٢/٢٠٤/٣٩٥.

(٣) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين جـ١/١٧/٢٠٢/٢٠٤. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: المال المسروق ص٩٤. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الملك المغصوب ص٢٨١، العبيد ص٤٨٥. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: الفقه جـ١/١٢٢. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢٢٠/٢٦٠/٢٦٤/٢٦٦/٢٨٠-٢٨١.

(٤) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/٨٦. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقه (٦)، العلوم كلها ص٢٣. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقه ص٢٥/١٠١/٢٠١/٢٢٠/٢٨٣.

الذئب ليوسف. ولم يعقب. والثانى هو الذى أعقب[1]. كما تضم الحواشى سيرة الأسر العلمية من الجد إلى الابن إلى الحفيد إلى السبط[2].

ويقوم المحقق والناشر بتعليق على الشرح قد يتجاوز كما النص المشروح والنص الشارح على السواء. فعقلية الشرح مازالت سائدة عند المشايخ والأساتذة، وتعليق العلم على مشجب القدماء مازال هو أسلوب التأليف دون البحث عن نقطة بداية جذرية جديدة[3]. فإذا كان النص مبدعا، والشرح مبدعا فى إطار الإبداع الأول فإن تعليق الناشر الحديث مجرد مادة صماء أقرب إلى مواد شبكات المعلومات والكتب المنقولة. وهو تبرير لما قاله القدماء طبقا لعادة العصر وأساليبه فى التأليف، التعليقات الهامشية لمزيد من المعلومات وتخريجها من بطون النصوص القديمة. ولا يتضمن التعليق الهامشى الحديث أى موقف نقد أو تطوير أو تجاوز مما يدل على مستوى الدراسات الحديثة التى انتشرت فى الجامعات من أجل الكتب المقررة أو الرسائل الجامعية أو التعامل مع الناشرين من أجل إعادة نشر النصوص القديمة غير المحققة تحقيقا علميا كما هو الحال فى الطبعات الأزهرية القديمة أو النافذة، والصمت حول حقوق الناشرين الأوائل لصالح الناشرين المحدثين. ومع ذلك تفيد هذه الشروح فى التعريف بالأعلام والمذاهب وبالمقارنات وبإعطاء الخلفية التاريخية للموضوع كما تفعل الحاشية مما يعوض عن نقص الفهارس العامة للأسماء والفرق والمذاهب والأماكن والآيات والأحاديث والأقوال المأثورة[4].

وتفيد تعليقات الناشر الحديث حتى ولو كانت طويلة عن طريق التعريف بالأعلام وبتحديد معنى بعض الألفاظ القديمة وإضافة مادة زائدة ومصادر مساندة وربما وضع عناوين جانبية للنص بالرغم من قصره وخطورة الخلط بينها وبين عناوين المؤلف إن لم تكن موضوعة بين معقوفتين[5]. وهى نهاية الحواشى بعد إنزالها فى الهوامش التى تضم اختلاف النسخ والإحالة إلى المصادر والمراجع والقواميس والتعريف بالأعلام مع زيادة الأدلة النقلية ورصد التشابه والاختلاف بين

---

(١) حواشى الجوهرى لغاية الأصول شرح لب الأصول للأنصارى ص٢.

(٢) السابق ص٦، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٦.

(٣) جـ١ (٥٧)، جـ٢ (١٠٣)، جـ٥ (٨٢)، جـ٦ (١١٥). نفائس الأصول فى شرح المحصول: جـ (٢٨)، جـ٣ (٥٥)، جـ٤ (٦)، جـ٥ (٥٦)، جـ٦ (٢٠).

(٤) وذلك مثل "نفائس الصول فى شرح المحصول للقرافى" (تسعة اجزاء). جـ٦/٢١٠٧-٢٥١٢/٢٥٦٤-٢٥٦٧/٢٨١٥-٢٨٢١، جـ٧/٣٢٠٩-٣٢١٢. وتخريج الأعلام جيد فى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى.

(٥) العلامة الحسين بن أحمد بن محمد الكيلانى الشافعى المكى المعروف بابن قاوان (رحمه الله) المتوفى سنة ٨٨٩هـ، تحقيق ودراسة د. الشريف سعد بن عبد الله بن حسين، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

المذاهب وتعيينها وزيادة معلومات مع بعض المقارنات والمراجعة المحدودة(١).

وعادة ما تكون الحواشي بلا موقف أو حكم أو جدال، تصويبا أو تخطئة لأنها مجرد جمع وتعليق للمعلومات على الشرح. ومع ذلك قد يصحح الناسخ(٢). وإذا كان هناك حكم فلتبرير الشرح وتصويبه(٣). وأحيانا تصدر أحكام بالصحة أو بالإيهام أو أن "الشارح زاد في الطنبور نطحة" أى تطرف في الحكم. وتقوم الحاشية أحيانا بنقد على استحياء وتصحيح للمفاهيم والمواقف عن طريق الاقتباسات وضرب بعضها بالبعض الآخر "قص ولزق" ذكى وموجه(٤). والغالب هو الاختيار دون التصويب في صيغة "المختار أن"(٥). وأحيانا يقوم المحشي بدور القاضي فى الحكم بين المتخاصمين. المصنف والشارح أو بين مصنفين أو بين شارحين أو بين محشيين(٦).

وتقل الأدلة النقلية. ففى الشرح ما فيه الكفاية(٧). والشعر أكثر من القرآن، والقرآن أكثر من الحديث. فالشعر والقرآن مخزون العرب الأول، ما قبل الإسلام وما بعده. وقد تكثر الأدلة النقلية فالقرآن مادة الأصول الأولى، وتتم العودة إلى النص الخام. لذلك يكثر الرواة والمحدثون والصحابة والتابعون. ويقل التنظير والعرض العقلي. وتتعدد الروايات للحديث الواحد وتذكر بالتفصيل أوجه الاختلاف في سند الحديث(٨). وتقل الروايات وأسماء المحدثين فالحاشية لا تتحمل ذلك

---

(١) وذلك مثل هوامش شرح غاية اليسول إلى علم الأصول لابن المبرد، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقي العنزي.

(٢) "من غلط الناسخ"، حواشي غاية الوصول شرح لب الأصول للأنصاري ص٨٤.

(٣) السابق ص١٥.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين "وأئمتنا صححوه" ص٤٣، "والصحيح" ص٢٢/٢٥/٣٧، "فليكن هذا هو المعتمد" ص٤٤، "والمختار عندنا" ص٤٩/٥٤، "والشارح زاد في الطنبور نطحة" ص٣٤، الإيهام ص٣٥.

(٥) حاشية البناني على شرح المحلى للسبكي جـ١/١٠٤، والمختار أن جـ١/٢٠٥، النقد جـ١/٣٢٥. "هذا كلام وارد ظاهر حسن"، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: المذهب الصحيح ص١٧، فيرتفع الخلاف وفيه نظر ص٧٢، والمختار ص٣٠٩. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "حالة الخطأ" ص١٨، "والأصوب أن يقال" ص١١١. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "ما يندفع به الإيهام اندفاعا" ص٢٥٥، "بمعنى صيرورته منكسرا خطأ" ص١٣١، "فالصواب أن يقال.." ص١٣٢، "التخيير هو الصواب" ص٤٦٣، "خطأ ذلك الظن فى كلام طويل له هناك" ص٢١٩. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: "باطلة بلا طائل" جـ١/١٠٩، "فالصواب ذكره فى جميع المواضع" جـ١/٨١، "فالصواب قدمناه" جـ١/٩٢.

(٦) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٤٣.

(٧) حواشي الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى: الآيات (١٠)، الشعر (١٣). حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: الآيات (٧١)، الأحاديث (٢٠)، الأشعار (٦).

(٨) السابق ص٢. حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى: الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٠)، الأشعار (٣٨). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيات (٦٣)، الحديث (٤٨)، ولا توجد أشعار.

كما يتحمله الشرح[1].

وقد تغيب الأشعار لأن الحاشية ابتعدت عن التجارب الأصولية وأصبحت تتعامل معها من خلال الشرح وليس المتن إلا فى أقل القليل. فهى تتعامل مع نصوص وليس مع وقائع.

وتقل الأدلة العقلية لأنه لا يوجد استدلال أو منطق أو مقدمات أو نتائج بل مجرد تجميع عشوائى لمواد متوفرة كنوع من التأليف الخالى من الهدف. دون التمييز بين العلم وهو المتن، والمعلومات وهى الحواشى. ومع ذلك قد تكشف الحاشية وقوع الشارح أو المصنف فى الدور.

ويختفى أسلوب القيل والقال الذى يغلب على المتن والشرح. فالحاشية لا تستدل ولا تحاجج ولا تعترض ولا تجيب بل تجمع مادة زائدة على مادة الشرح والمتن دون أن تغير الاتجاه أو تناصر مذهبا على مذهب آخر[2]. ولا توجد اعتراضات وردود، أسئلة وأجوبة إلا فى أقل الحدود. فالحاشية لا تتعرض للموضوع أو للمعنى بل هى أقرب إلى تحليل الألفاظ. ولا يتم الانتقال إلى المعنى أو إلى الشيء إلا من خلال اللفظ[3].

ويظهر أحيانا فى الحاشية العد والإحصاء كما يظهر فى الشرح وإن كان بصورة أقل لأن الشرح لا يبنى بل يفكك[4].

٣- الوعى التاريخى فى الحواشى: وتكثر أسماء الأعلام فى "الحواشى" لأنها أ ـد

---

(١) وذلك مثل حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيات (٧٢)، الأحاديث (١٢)، ولا توجد أشعار. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيات (٧٤)، الأحاديث (٦)، ولا توجد أشعار. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على شرح منهاج الوصول للبيضاوى: الآيات (١١٢)، الأحاديث (١٤)، ولا توجد أشعار.

(٢) وذلك مثل حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى.

(٣) وذلك أيضا مثل حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى جـ١/١٠/١٩/١٠٢، لزوم الدور جـ١/١٢٧. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: القيل والقال (٩). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: السؤال والجواب ص١٤٣/٢٧٠. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: السؤال والجواب ص١٥٨. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: "وحاصل هذا الاعتراض" جـ١/١٩، الاعتراض الثانى جـ١/٦٥، "فلا وجه للاعتراض ولا للتصويب" جـ١/٩٢، "اعتراضا وجوابا" حـ١/١٠٧، "اعترض السيد" جـ١/١٠٩، "أقول هو اعتراض وجيه" جـ١/١١٨، "والجواب عن ذلك" جـ١/٢١/٨٧.

(٤) حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: العد والإحصاء ص١٣٦، الاستقراء ص٣١/٥٩. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: العد والإحصاء جـ١/٢٢، القسمة جـ١/١٢٦.

مصادر تجميع المادة. ففى حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى يتقدم البدر الزركشى صاحب "البحر المحيط" الذى قام هو نفسه بالتجميع قبل ذلك. فهى مادة مجمعة جاهزة. ثم الشارح صاحب الشرح، والمصنف صاحب المتن، وهو شخص واحد، الأنصارى. ثم يأتى العلامة المحلى وصاحب الحاشية. ثم يتقدم أئمة الشافعية والأشعرية ابتداء من الشافعى، وإمام الحرمين، والسعد التفتازانى، والرازى، والسبكى، والماوردى، والايجى، وابن السبكى، والغزالى، والبيضاوى. ويظهر أبو حنيفة وحيدا مع صاحب المغنى. كما يندر ظهور المالكية والحنبلية[1].

وفى "حاشية نسمات الأسحار" لابن عابدين الحنفى يتقدم بطبيعة الحال ابن نجيم الحنفى، صاحب "الأشباه والنظائر"، ثم الشارح محمد علاء الدين الحصينى، مفتى دمشق الحنفى ثم المصنف وهو النسفى الحنفى صاحب "المنار". ثم يظهر الشافعى باعتباره بؤرة الوعى التاريخى، ولكن سرعان ما يتم حصاره بأبى حنيفة والأحناف مثل: الشيبانى، شمس الأئمة، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصاص، ابن الهمام، الدبوسى، ابن أمير الحاج، صاحب المنار. ثم تتراءى الأشعرية الشافعية مثل: الرازى، الأشعرى، التفتازانى، الجرجانى، الغزالى، الآمدى، ألجوينى، ابن السبكى. ويصارع المعتزلة مع الأحناف مثل القاضى عبد الجبار. ويدخل المالكية أيضا مثل: مالك، ابن الحاجب. ويساعد النحاة مثل: سيبويه، المبرد، الزجاج[2]. ويتم تعظيم البعض مثل: السيد الشريف وحواشيه "قدس الله سره". وتكثر عبارات

---

(١) البدر الزركشى (١٥)، الشارح، المصنف (١٤)، العلامة المحلى محمد الجوهرى، الشافعى (٨)، إمام الحرمين (٧)، السعد التفتازانى، الإمام (الرازى) (٥)، أبو حنيفة، السبكى (٤)، السيد، البرماوى، الماوردى، العضد (الايجى)، ابن السبكى، الغزالى (٣)، الكمال، المنوفى، الدنوشيرى، ابن الساعاتى، القرافى، البيضاوى، ابن جنى، المناوى، ابن هشام (٢). الزمخشرى، السهيلى، الطبلاوى، الزنجانى، الباجى، القاضى، الأبهرى، الآمدى، الكمال، ابن مكى، المحقق الدوانى، العراقى، ابن السمعانى، الدمامينى، القرطبى، البخارى، الشهاب، ابن الحاجب، ابن مالك، الشيخ تقى الدين،الزنجانى (١).

(٢) ابن نجيم (١٥٨)، الشارح (٩٢)، المصنف (٨٢)، الشافعى (٦٢)، فخر الإسلام (٤٤)، ابن ملك (١٨)، الكرخى (١٦)، أبو حنيفة (١٤)، الشيبانى، صدر الشريعة (١٨)، شمس الأئمة (١٢)، الغزى (١٠)، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصاص، ابن الهمام (٨)، الرازى، أبو زيد، الإمام، صاحب الهداية، الأشعرى (٦)، الزمخشرى، التفتازانى، الفنارى، الجرجانى، زفر، صاحب المنار، الشيخ النافى، جمال الدين بن هشام، ابن السبكى، زهير، الجوهرى، الباقلانى، ابن أمير الحاج (٤)، ابن عابدين، أحمد بن حنبل، الخطيب، ابن القيم، الكونى، الكسائى، يونس، الجرجانى، سيبويه، ابن مالك، أحمد المنينى، الكاكى، أبو الليث، الغزالى، مالك، المحلى، الكعبى، الوالولجى، المبرد، ابن الحاجب، الزجاج، ابن ماجه، الدمامينى، البهشى، الشيخ أكمل الدين، القاضى عبدالجبار، أبو اليسر، الشهاب المنينى، الآمدى، إمام الحرمين، الشيخ قاسم، المرتضى، الماتريدى، الزيعرى، السهيلى، الزيلعى، شيخنا، شيخ مشايخنا، صاحب البديع (٢). وعشرات آخرون ذكر كل منهم مرة واحدة.

المدح والتعظيم للمشايخ والأعلام والأئمة وفي نفس الوقت صفات التواضع للمحشى والشارح والمصنف فى وصفه بأنه "أصغر المبتدين"[1]. والنسفى صاحب المتن هو عمدة المتأخرين. وهو أيضاً الشارح له، والإمام الأوحد والهمام المفرد[2].

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى يتقدم الشارح ثم المصنف. فالحاشية على صلة مباشر بالشرح، وعلى صلة متوسطة بالمتن، ثم العلامة ثم شيخ الإسلام ثم العلامة الناصر، مما يدل على تدرج فى التعظيم والتبجيل للأعلام. ثم تظهر المالكية ممثلة فى ابن الحاجب قبل الإمام الرازى من أجل زحزحة الشافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخى. ثم يتوالى الأشاعرة، الغزالى والجوينى والشافعى والايجى والآمدى والتفتازانى والأصفهانى والزركشى والشيرازى والرازى مقابل الأحناف بداية بأبى حنيفة والمالكية بداية بمالك والمعتزلة مثل: الزمخشرى، والنحاة مثل: سيبويه[3].

وفى "حاشية الرهاوى على شرح المنار" يتقدم الشارح على الشافعى بالرغم من أن المتن حنفى والشرح حنفى مما يدل على زحزحة الشافعية من بؤرة الوعى التاريخى. ثم يستمر الأحناف فى أخذ مكانهم والإحلال محلهم ابتداء من الشارح عبد اللطيف بن فرشته ثم فخر الإسلام ثم المصنف نفسه، النسفى، ثم أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف والشيبانى ثم السرخسى ثم زفر وباقى الأحناف مثل الكرخى والمزنى وابن الهمام والجصاص والبزدوى والماتريدى والدبوسى. ثم يساعد الحنابلة مثل أحمد. ويعضد هذا الإحلال المالكية مثل مالك وابن الحاجب والباجى. ويسانده المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار والجبائى والحسن البصرى. ومن اللغويين يظهر الفراء والسيرافى ثم يظهر الأشاعرة مثل الرازى والتفتازانى وأبو اسحق الشيرازى وعبد

---

(١) "فيقول أصغر المبتدين محمد أمين ابن عم المدعو بابن عابدين غفر الله ذنوبه، وملأ من زلالا العفو ذنوبه"، السابق ص٢/٣٣.

(٢) السابق، ص٢.

(٣) الشارح (٥٦٠)، المصنف (٣٨٨)، العلامة (٣٣٠)، شيخ الإسلام (١٩٤)، العلامة الناصر (١٠٨)، ابن الحاجب (٦٤)، الإمام (٥٦)، شيخنا (٤٤)، أهـ سم (٣٦)، الأخفش، الكمال (٢٨)، الشيخ (٢٤)، القاضى زكريا، الغزالى، السيد (رحمه الله) (٢٠)، سيبويه، الشافعى، الايجى، الآمدى، ابن مالك، التفتازانى، إمام الحرمين (١٦)، مالك، القاضى، الأصفهانى، أبو حنيفة، الزركشى (١٢)، الزمخشرى، التفتازانى (ناصر الدين)، العلامة الشهاب، البرماوى، العراقى، صاحب المواقف (٨)، سعد الدين، أرباب الحواشى، الجوهرى، ابن هشام، أبو اسحق الشيرازى، ابن القاسم الدلك،المزنى، الإمام الرضى، القاضى أبو بكر، النووى، صاحب الألفية، البيضاوى، الأشعرى، الرازى، السهروردى، السيد الصفوى، الرافعى، النووى، الجوهرى.

القاهر البغدادى والأشعرى نفسه[1].

وفى "حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته" للمنار النسفى يتقدم الشارح بطبيعة الحالة فهو صاحب الشرح الذى تتم عليه الحاشية مباشرة، ثم المصنف صاحب المتن الذى يتم التعامل معه من خلال الشرح. ثم يتوالى أئمة الحنفية لزحزحة الشافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخى مثل فخر الإسلام وصاحب الكشف. ثم يظهر الشافعى يتلوه بسرعة فقهاء الأحناف لحصاره مثل: القآنى، وأبو حنيفة نفسه، وشمس الأئمة، وسراج الدين الهندى، وصاحب التوضيح، وأكمل الدين، وابن الهمام، وصاحب التحقيق، وأبو اليسر، وصاحب التلويح. ثم يظهر صاحب أبى حنيفة الشيبانى وأبو يوسف. ثم يتلوهما صاحب الهداية وابن كمال باشا والاخسيكى قبل أن يظهر الباقلانى والتفتازانى والأشعرى نفسه والبيضاوى. ثم يتوالى فقهاء الأحناف من جديد مثل الجصاص والكرخى وأبو زيد وصاحب كشف الأسرار، يؤيدهم بعض علماء الاعتزال مثل: الزمخشرى وأبو هاشم الجبائى، وبعض المالكية مثل: مالك نفسه. ولا يظهر الغزالى والرازى إلا متأخرين[2].

---

(١) الشارح (١٢٣)، الشافعى (١٠٨)، فخر الإسلام (٥٤)، المصنف (٥١)، أبو حنيفة، أبو يوسف (٤٥)، السرخسى (٣٩)، الشيبانى (٣٣)، صاحب الكشاف (٢٤)، مالك، شيخ الإسلام (ابن حجر)، الجبائى، القاضى،زفر، الرازى (٢١)، ابن الحاجب، ابن حنبل (١٨)، الكرخى (١٢)، السمرقندى، أبو اليسر (٩)، الإمام، الشيخ، المزنى، ابن الهمام، البزدوى، الجصاص، صاحب الكشف، صاحب الميزان، صاحب الهداية (٦)، التفتازانى، أبو اسحق، ابن عطية، الكاكى، ابن أبى يعلى، الرافعى، أبو الدرداء، الزيلعى، الحسن البصرى، الكعبى، النسفى، عبد القاهر البغدادى، الفراء، السيرافى، الغزالى، الماتريدى، صدر الإسلام، القاضى عبد الجبار، الزجاجى، قاضيخان، الباجى، الدبوسى، الاتقانى، البزدوى، النسفى، الأشعرى (٣). وآخرون كل منهم مرة ومرتين مثل: صاحب البدائع، صاحب الميزان، شيخنا، الشيخ الإمام، الماتريدى، صدر الإسلام، البزازى، القآنى، شارح الهداية، أكمل الدين، صاحب التحقيق، صاحب المحيط، صاحب التقويم، صاحب اللواء، شارح الفئة، ابن مالك.

(٢) الشارح (٢١٠)، المصنف (١٣٥)، فخر الإسلام (البزدوى) (٨٤)، صاحب الكشف (٧٥)، الشافعى (٦٩)، القآنى (٤٥)، أبو حنيفة (٣٦)، سراج الدين الهندى، شمس الأئمة (٢٤)، صاحب التوضيح (٢١)، أكمل الدين (١٨)، ابن الهمام، صاحب التحقيق (١٥)، أبو اليسر، الإمام، صاحب التلويح، الشيبانى، أبو يوسف (١٢)، القاضى، الباقلانى، صاحب الهداية، ابن كمال باشا، الاخسيكى (٩)، التفتازانى، الرضى، الأشعرى، البيضاوى، صاحب المغنى، صاحب الكشاف (٦)، الرازى، الجوهرى، الجصاص، الكرخى، أبو زيد (الدبوسى)، صدر الشريعة، مالك، الصدر الشهيد، ابن شهاب، صاحب الترجيح، الفنارى، صاحب الميزان، صدر الإسلام، القاضى، الإمام، الغزالى، الزمخشرى، أبو هاشم، أبو حيان، الشيخ، صاحب كشف الأسرار، صاحب جامع الأسرار، صاحب القواطع، السيوطى، أبو الفضل، الكرمانى، الشريف قدس الله سره (٣). وعشرات آخرون يذكر كل منهم مرتين أو مرة واحدة.

وفى حاشية "أنوار الملك" لابن الحلبى على شرح ابن فرشته للنسفى يتقدم الشارح بطبيعة الحال نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح مباشرة ثم المصنف أى المتن نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح. ثم يتقدم أعلام الحنفية مثل القآنى، والهندى، وشمس الأئمة لزحزحة الشافعية عن بؤرة الشعور. ويستمر أعلام الأحناف فى الظهور مثل أبو يوسف وفخر الإسلام وأبو حنيفة نفسه، وصاحب التوضيح ابن فرشته الشارح والأكمل وصاحب التوفيق قبل الأشعرى ثم يستمر الأحناف من جديد مثل السيرافى والمزنى والشيبانى والمرزوى والماتريدى قبل أن يتوالى الشافعية الأشعرية مثل السبكى والتفتازانى والمحلى والباقلانى والشيرازى والرازى. ويأتى المالكية لمساعدة الأحناف مثل ابن الحاجب. كما يأتى الحنابلة للمساعدة نظراً لوحدة العقل والمصلحة والنص[1].

وفى حاشية "المطيعى على نهاية السول فى الدستور على منهاج الأصول" للبيضاوى يتقدم الأسنوى الشارح مع المصنف وهو البيضاوى. فالحاشية تتعامل مع المتن من خلال الشرح. ثم يتبادل الشافعية والأحناف الصدارة فى الوعى التاريخى. الشافعية مثل الزركشى وصاحب جمع الجوامع (السبكى) والجوينى والرازى والشافعى نفسه والآمدى والجرجانى والغزالى والأشعرى والأصفهانى والألوسى والعضد، وصاحب الحاصل وصاحب المحصول (الرازى) والأرموى والشيرازى وابن السمعانى. والحنفية مثل الكمال وصاحب التحرير والصفى الهندى والبزدوى والكرخى. والمالكية مثل: القرافى ومالك نفسه. والحنبلية مثل أحمد والشيخ تقى الدين وابن الحاجب. وواضح أن ابن سينا هو الفيلسوف عند الأصوليين لعروضه النظرية للمسائل الفلسفية[2].

---

(١) الشارح (٦٤)، المصنف (٥٨)، القآنى (٣٤)، صاحب التلويح (٣٠)، الشارح الهندى (١٨)، شمس الأئمة، الشافعى (١٦)، أبو يوسف (١٢)، ابن الهمام (١٠)، سيبويه، فخر الإسلام (٨)، أبو حنيفة، صاحب التوضيح (٦)، ابن فرشته الأكمل، صاحب التوفيق، الأشعرى، السيرافى، المزنى، الشيبانى (٤)، محمد بن الحنبلى، الحلبى، المرزوى، ابن أبى ليلى، ابن الحاجب، السيد الشريف قدس الله روحه، السكاكى، الجوهرى، السبكى، التفتازانى، المحلى، القاضى أبو الطيب، أبو اسحق الشيرازى، السمعانى، الإمام الرازى، الماتريدى، صاحب الكشاف، صاحب التحرير، صاحب البدائع، صاحب عمدة الحفاظ، صاحب فتح المنجى، شارح البديع، صاحب المغنى (٢). وآخرون كل منهم ذكره مرة واحدة.

(٢) الأسنوى، المصنف (٢٨٠)، البيضاوى (١٥٤)، الزركشى (١١٢)، صاحب جمع الجوامع (٨٥)، الجلال المحلى (٧٠)، السبكى، إمام الحرمين (٦٣)، أبو هاشم (٤٩)، ابن الحاجب (٤٢)، الشافعى، الإمام الرازى، القاضى حسين (٣٥)، الآمدى، الجرجانى، الكمال، الغزالى (٢٨)، الأشعرى، الصفى الهندى، صاحب التحرير، القرافى (٢١)، البدخشى، السعد التفتازانى، أبو حنيفة، مالك، أحمد، صاحب التحصيل، الولى العراقى، الشيخ تقى الدين، البزدوى، الكرخى (١٤)، ابن مالك، عبد الحكيم، الأصفهانى، الألوسى، العز بن جماعة، الجوهرى، العضد، الصفوى، صاحب مسلم الثبوت، صاحب الحاصل، صاحب المحصول،=

ومن المصادر التى تُجمع منـها الحاشية حواشى أخرى مثل حاشية المحلى للشارح، وحواشى العضد، وحاشية شرح المختصر، وحاشية الجلال. ومنها الشروح مثل شرح الزركشى، وشرح المختصر، وشرح الإمام، وشرح الواقف. ومنـها التلخيص. ومنـها المتون الأولى مثل المحصول للرازى والبحر المحيط للزركشى، وجمع الجوامع للسبكى، والتقريب والبرهان والقواطع للجوينى، والأشباه والنظائر لابن نجيم، والمستصفى للغزالى. ومنها قواميس اللغة مثل القاموس والمصباح... إلخ[1].

وفى حاشية "نسمات الأسحار" لابن عابدين تكثر المصادر فى الحواشى فمنها تأتى الاقتباسات. ويتقدمها التلويح ثم التحرير ثم التنقيح ثم التوضيح وهى المتون المتأخرة. ثم تأتى شروحها، مثل شرح التحبير، شرح التحرير، ويتم الاعتماد على عدة متون وشروح وحواشى بالعشرات كمصادر لتجميع المعلومات[2]. ويعترف المحشى بمصادره التى اعتمد عليها دون ترتيبها حسب أهميتها التى يكشف عنها منهج تحليل المضمون لرصد تكرارها مثل "كشف الأسرار" وجامع الأسرار، والتوضيح والتلويح... إلخ. كما يعترف بالنقل الصريح منها دون زيادة عليها. ويحيل إليها لمن أراد مزيداً من التفصيل[3].

=ابن الحاجب، عبد العزيز، الكيا الهراسى، الروبانى، المتولى، الشيخ، الشربينى، المولوى عبد الحق، الأرموى، الشيرازى، ابن القشيرى، ابن السمعانى، سليم الرازى، ابن فورك (٧). وعشرات أخرى من الأعلام يذكر كل منها أقل من سبع مرات مثل ابن سينا.

(١) الحاشية (٧)، حاشية المحلى للشارح (٦)، المحصول (الرازى) (٤)، البحر المحيط (الزركشى)، جمع الجوامع (٢)، حواشى العضد، حاشية شرح المختصر، البرلسى على المحلى، شرح الزركشى، شرح المختصر، حاشية الجلال، شرح المغنى، شرح مسلم، شرح الإلمام، شرح المواقف، التقريب، البرهان، الحاوى، الأشباه والنظائر، التلخيص، المستصفى، نهاية الأصول، منع الموانع، الجامع، القاموس، المصباح، القواطع، المعتمد، محاسن الشريعة (٢)، جمع البحرين (١).

(٢) التلويح (١٦٦)، التحرير (١٠٢)، التنقيح (٢٦)، التوضيح، جامع الأسرار (٢٢)، القاموس، العزمية (١٨)، شرح التحبير (١٢)، الشرح الملكى، فتح القدير (٨)،المبسوط، المرآة فى شرح المرقاه، الكشاف، الكشف (٦)، كشف الأسرار، التحبير، البدائع، المتن، شرح مختصر المنار، الشروح، التحقيق، التقرير، شرح المنار، إفاضة الأنوار على شرح المنار، شرح ابن فرشته، شرح ابن النجيم، شرح ابن مالكن شرح جمع الجوامع، تفسير التنقيح، تفسير البيضاوى، شرح التلخيص للسبكى، شرح التحرير، كشف الأسرار، التوضيح والتلويح، قسمات الأسحار، فصول البدائع، الصحاح، تغيير التنقيح، أصول ابن الحاجب، التهذيب، الكنز، البحر، حواشى العصام، حواشى الكشاف، حواشى التلويح، العرف القاسم على رسالة العلامة قاسم، حاشية الفنرى... (٢).

(٣) مراجعا لجلة كتب معتبرة فى هذا الفن تركن إليها القلوب وتطمئن لشرح المصنف المسمى بكشف الأسرار، وشرح الكاكى المسمى بجامع الأسرار، وشرح ابن فرشته، وشرح ابن نجيم، والتوضيح والتلويح، وتفسير التنقيح لابن كمال باشا، والتحرير لابن الهمام، وشرحه التحبير لابن أمير حاج والمرآة لمولانا خسرو وغيرها من الكتب المعتبرة المنقحة المحررة. ولم أخرج فى الغالب عما ذكرته هذا. فمن أشكل عليه شئ فليرجع إلى تلك الأصول"، السابق ص٢.

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى تتعدد المصادر. ويتقدم بطبيعة الحال متن جمع الجوامع ثم شرحه. ثم تتوالى المتون والشروح والملخصات والحواشى. فالحاشية أقرب إلى التجميع أكثر من الشرح، والشرح أقرب إلى التفكير من الحاشية[1].

وفى "حاشية الرهاوى المصرى على شرح ابن فرشته على المنار" للنسفى يتقدم عديد من المتون الحنفية مثل: الكشف، التحرير، الجامع الصغير، الكشاف، المنار، التبيين، البداية، والشروح مثل شرح الهداية، شرح التقويم، شرح المغنى، شرح المنار، شرح العقائد. التفاسير مثل تفسير الهداية، والحواشى مثل حاشية المتوسط[2]. ومن المصادر أيضاً التوراة والإنجيل نظراً لوحدة الوحى بالرغم من مستويات التدوين من حيث الصحة التاريخية.

وفى "حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار" للنسفى تتقدم عديد من المتون مثل الكشف، والتلويح، والتحقيق، والتوضيح، وجامع الأسرار، والكشاف، والهداية، والتحرير، والتقرير والأنوار، والمغنى، وإشارات الأسرار، وفصول البداية، والأنوار، ومعظمها من متون الأحناف التى يتم الاقتباس منها. كما تذكر عديد من شروح الأحناف مثل الشرح نفسه لابن فرشته الذى تتم عليه الحاشية مباشرة، وشرح الأكملى، وشرح المغنى، وشرح الهداية، وشرح منتخب الاخسيكى، وشرح المشارق للمحشى نفسه، وشرح المصنف، وشرح ابن الحاجب من المالكية، وشرح الكافية، وشرح الوقاية، ومعها كتب التفسير الاعتزالى مثل الكشاف للزمخشرى. كما تظهر عدة حواشى مثل حواشى التلويح. ويساند ذلك بعض قواميس اللغة مثل القاموس والصحاح[3].

---

(١) جمع الجوامع، الشرح (١٦)، الشهاب (١٢)، شرح المختصر، شرح المنهاج، شرح ابن الحاجب، المواقف، المنخول (٨)، منع الموانع، المحصل، كتاب الأصل، محاسن الشريعة، شرح المحصول، حواشى العضد، تلخيص البرهان.

(٢) الكشف، شرح الهداية (٩)، التحرير، الجامع الصغير (٦)، الكشاف، تقرير الكلام، الجمع المحلى، القاموس، المنار، التبيين، البداية، التحرى، الصحاح، الاحياء، تفسير الهداية، شرح التقويم، شرح المغنى، شرح المنار، شرح العقائد، حاشية المتوسط (٣). ومصادر أخرى يذكر كل منها مرة واحدة أو مرتين.

(٣) الكشف (٩٦)، التلويح (٧٥)، الشرح (٤٢)، شرح الأكملى (٣٣)، شرح المغنى (٣٠)، جامع الأسرار (١٨)، التحقيق، التوضيح (١٥)، الكشاف، شرح الهداية، الصحاح (١٢)، الهداية (٩)، تفسير الكشاف، شرح منتخب الاخسيكى، حواشى التلويح، التحرير، شرح المشارق، شرح أصول الفقه لابن الحاجب، التقرير، الأنوار (٦)، شرح الكافية، شرح الوقاية، المغرب، القاموس، أدب القاضى، المتن وبعض شروحه، تحرير الأصول، إشارات الأسرار، شرح المصنف، فصول البداية، الأنوار (٣). وعشرات أخرى من المتون والشروح والحواشى ذكر كل منها مرتين أو مرة واحدة.

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى من المصادر يتقدم التلويح، ثم شرح البديع ثم تتوالى المتون مثل التحرير والكشف، وجامع الأسرار، والشفاء، والبرهان، والحقائق، وفتح المجنى، والجنى الدانى، ومعظمها من المتون الحنفية. ثم تتوالى الشروح مثل شرح المغنى، الشرح الأكملى، شرح العقائد النسفية، شرح القاآنى، شرح المفتاح، شرح المنهاج. كما يحال إلى المختصرات مثل مختصر المزنى. ويحال أيضا إلى متون العلم على العموم مثل كتب البلاغة[1].

وفى "حاشية المطيعى على نهاية السول" للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى يتقدم "مسلم الثبوت" لابن عبد الشكور وهو متن حنفى، ثم المحصول "للرازى"، ثم "جمع الجوامع" للسبكى، ثم الشروح العديدة لجمع الجوامع، ثم "حزامة الحواشى" للجرجانى، ثم فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت للأنصارى[2].

ومن الفرق والطوائف والمذاهب يتقدم الفقهاء ثم المتكلمون والأصوليون وهى الفرق الرئيسية فى علم الأصول. ثم يتقدم الأشعرية ثم المعتزلة ثم الحنفية والمذاهب الأصولية والكلامية الرئيسية فى علم الأصول والأشعرية الأساس النظرى للشافعية، والمعتزلة الأساس النظرى للحنفية. ثم يأتى المحققون أو أصحاب التحقيق أى أصحاب النظر العقلى بعيداً عن أهل الأهواء مع النحويين. ثم يأتى مشايخ الأصول والكلام المتأخرين منهم المتقدمين. وأخيراً يظهر الحنابلة مع الشافعية[3]. وأحياناً يسبق الأشاعرة حرف النداء "أيها" فى تعبير "أيها الأشاعرة" قبولاً وليس رفضاً[4].

---

(١) التلويح، شرح البديع (٢٠)، شرح المغنى، التحرير (٦)، الكشف، الشرح الأكملى (٤)، شرح العقائد النسفية، جامع الأسرار، الشفاء، البرهان، شرح القاآنى، شرح المفتاح، شرح المنهاج، كتب البلاغة، الحقائق، فتح المجنى، الجنى الدانى، مختصر المزنى.

(٢) مسلم الثبوت (٤٢)، المحصول (٣٥)، جمع الجوامع (٢٨)، حزامة الحواشى، فواتح الرحموت (٢١)، المنهاج، الكشف، شرح جمع الجوامع، التلويح (١٤)، التقرير، القواطع، نهاية الوصول، نهاية السول، سلم الوصول لشرح نهاية السول، رسالة الأصول، التحرير، النجم اللامع، البحر المحيط، البرهان، التحصيل، المختصر، اللمع، روح المعانى، أحكام القرآن، شرح ابن مالك، شرح جمع الجوامع، شرح البزدوى، شرح المختصر، شرح المنهاج، حواشى القطب، حاشية على العضد (٧). وعشرات أخرى من المصادر ومتون وشروح وحواشى وتقارير يذكر كل منها مرة واحدة.

(٣) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى، الفقهاء (١٣)، المتكلمون، الأصوليون (٦)، الأشعرية (٥)، المعتزلة (٤)، الحنفية (٣)، المحققون، النحويون (٢)، المتأخرون، مشايخ الأصول، متأخرو الأصوليين والكلاميين، أصحاب التحقيق، الأصحاب، أصحابنا، الجمهور، الحنابلة، الشافعية (١).

(٤) السابق، ص٢٠.

ومن الفرق يتقدم المعتزلة ثم الحنفية ثم مجمـوع الشـراح ممـا يـدل علـى إمكانيـة زحزحـة الشافعية الأشعرية خارج بؤرة الشعور. ثم يظهر الشافعية والأشعرية. وسرعان ما يتم حصارهم من جديد بمشايخ سمرقند الأحناف وبمجموع الفقهاء والأصوليين والجمهور مع الحنابلـة والبصريـين والماتريدية وأصحاب الظواهر والعراقيين والمتكلمين وأئمة الفقه والنحويـين والبيـانيين والمحققـين من "أصحابنا". فالمحشى يعتمد على شروح وحواشى وتقارير مذهبه[1].

وفى "حاشية البنانى على شـرح المحلـى لجمـع الجوامـع" للسـبكى يتقـدم المعتزلـة علـى الإطلاق مما يبين حضور المعتزلة فى الوعى التاريخى كتحد مستمر فى موضوعى الحسـن والقبـح العقليين وشكر المنعم والواجبات العقلية. ثم يأتى مجموع الفقهاء والأصوليين. ثم تظـهر الحنفيـة من أجل زحزحة الشافعية من المركز. ومع الشافعية تأتى الأشعرية والمتكلمون والجمهور والكوفية وأهل السنة. ثم يظهر البصريون والبغداديـون. ثـم تظـهر المالكيـة عنـد شـارحى ابـن الحـاجب. ويدخل المناطقة لتأييد الاتجاه العقلى مـع أهـل الجـدل والمحققـون والحكمـاء، المتقدمـون منـهم والمتأخرون[2].

وفى "حاشية الرهاوى" على شرح عبد اللطيف بن فرشته على المنار للنسفى يتقدم المعتزلة وليس الأشعرية ثم مجموع المحققين والشراح والفقهاء والمتكلمـين وأهـل العـراق و"مشـايخنا" أى مشايخ الأحناف والحنفية قبل أن يظهر الشافعية وأهل السنة والعلماء والمشايخ والأشاعرة ثم يتلو مشايخ الأحناف مثل: مشايخ سمرقند، والمالكية مثل شراح أصول ابن الحاجب، والحنابلـة مـن شراح الأصول، والبصريون والمنطقيون (المناطقة) والفلاسـفة وأهل اللغة والصوفية، والمجوسية مـن الفرق المهمشة من أجل إحلالها محل فرقة المركز[3].

---

(١) المعتزلة (الاعتزال) (٢٢)، الحنفية (١٤)، الشراح (الشـارحون)، الشـافعية، الأشـاعرة (١٠)، مشـايخ سمرقنـد، المشايخ، الحنابلـة، الصحابـة، المتـأخرون (٤)، البصريـون، أصحـاب الظواهـر، الماتريديـة، العراقيـون، أئمـة التفسير، البخاريون، المتكلمون، أئمة الفقه، التابعون، أهل السنة، المحققون، أصحابنا، النحويون، البيانيون (٢).

(٢) المعتزلة (١٤٠)، الفقهاء (٨٤)، الأصوليون (٥٦)، الحنفية (٣٦)، بنو هاشم والمطلب (٢٠)، الشافعية، الاشاعرة (الأشعرية)، المتكلمون (١٦)، الجمهور، الكوفيون، المالكية (١٢)، البصريون، شـارح الحـاجب، المناطقـة (٨)، أهل الجدل، البغداديون، أهل السنة، المحققون، الحكماء، المتقدمون، المتأخرون (٤). وفرق أخرى ذكرت كـل منها مرة واحدة.

(٣) المعتزلة (٥١)، المحققون، مشـايخنا، الشـراح، الشـارحون (٣٣)، الفقـهاء (٢٤)، الأصوليـون، العراقيـون أهـل العـراق (١٨)، المتكلمـون، الشـافعية، الحنفيـة (١٢)، أهـل السـنة، العلمـاء (٩)، المشـايخ، الحنابلـة، شـراح الأصول، مشايخ سمرقند، المفسرون، أصحابنا، الشاعرة، المناطقة (المنطقيـون) (٦)، الخلفـاء الراشـدون، العلمـاء المتقدمون، المحدثون، أصحاب الحديث، الفلاسفة، أهل اللغة، الظرفية، الصوفية، أهل الأصـول، البصريـون، شراح أصول الحاجب، المرجئة، الأمة المجوسية (٣). وفرق ومذاهب أخرى كل منها مرة واحدة أو مرتين.

وفى "حاشية عزمى زادة" على شرح ابن فرشته للمنار للنسفى يتقدم من الطوائف مجموعات مثل: المحققون، أهل العربية قبل الشافعية. يتلوهم أيضاً مجموعات أخرى مثل: الشراح، المتقدمون، المشايخ، الفقهاء، المخالفون، أصحابنا، الجمهور، مشايخنا. مما يدل على وجود أصوليين فقهاء من غير الشافعية الأشعرية. ثم يأتى المعتزلة لمساعدة الحنفية مع المناطقة والعراقيين والمجتهدين قبل أن يظهر أهل السنة وأصحاب الحديث. كما يظهر الحنابلة لحصار الأشعرية[1].

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى يتقدم من الطوائف الشافعية التى مازالت محتلة بؤرة الوعى التاريخى ثم أصحاب الشافعى، والمحققون، وفقهاؤنا على الإطلاق لزحزحة الشافعى وأصحابه من الصدارة، ثم العلماء وأهل العربية وأهل اللغة والبيانيون وأصحابنا وأهل مرو وأصحاب أبى حنيفة مع المعتزلة لحصار الشافعية[2].

وفى "حاشية المطيعى على نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى" يتقدم من الفرق الحنفية مع مجموع الأصوليين والمعتزلة قبل الشافعية مما يدل على الرغبة فى التحرر من الشافعية الأشعرية كبؤرة تقليدية فى الوعى التاريخى. ثم يأتى الأشاعرة وأهل السنة مع مجموع الفقهاء. ثم يظهر الحنفية من جديد وهم "أصحابنا" والمحققون والماتريدية وأهل العلم والمتقدمون باعتبار أن الأشاعرة هم المتأخرون والمتكلمون والمصنفون[3].

٤- التقرير.

أ- الشكل الأدبى. التقرير من الدائرة الثالثة المحيطة بالمتن فى شرنقة تثبيت النص، بعد الشرح والحاشية. يضع الحاشية بين قوسين التى تضع النص بين قوسين. فبين التقرير والنص،

---

(١) المحققون (٢٤)، أهل العربية (أئمة العربية)، أهل اللغة، أصحاب الشافعى (الشافعية) (١٨)، الفقهاء، المعتزلة، الواقفية، الشراح، المتقدمون، المشايخ (٩)، المخالفون، أصحابنا، الجمهور (٦)، أهل السنة، مشايخنا، أهل التفسير، الخلفاء الراشدون، الحنفية، المنطقيون، الحنابلة، أصحاب الحديث، العراقيون، المجتهدون، الأشاعرة (٣).

(٢) الشافعية (١٠)، المحققون، فقهاؤنا، أصحاب الشافعى (٤)، العلماء، المعتزلة، أهل العربية، أهل اللغة، أصحابنا، البيانيون، أهل مرو، أصحاب أبى حنيفة.

(٣) الحنفية، الأصوليون (١٠١)، المعتزلة (١٥٤)، الشافعية (١٤٠)، الفقهاء (٨٤)، متأخرو الأشاعرة (٤٩)، المتأخرون (٣٥)، أهل العلم، المتقدمون، أرباب التحقيق، المتكلمون، المصنفون (٧). وعشران أخرى من الفرق والطوائف يذكر كل منها أقل من سبع مرات.

نصان متوسطان، الشرح والحاشية[1]. فكما يحيل الشرح إلى المتن، وتحيل الحاشية إلى الشرح يحيل التقرير إلى الحاشية. وبالتالى تبعد المسافة بين التقرير والمتن بعنصرين متوسطين: الشرح والحاشية، وبالتالى البعد عن غاية علم الأصول وهو وضع قواعد السلوك الإنسانى، ويختفى الموضوع لصالح النصوص، ويغيب الواقع لصالح النص.

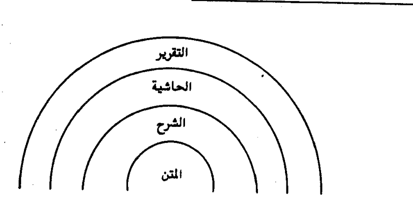
وقد يبدو التقرير أحيانا وكأنه تجاوز للنصين المتوسطين الحاشية والشرح بل والمتن ويعود إلى الموضوع الأصولى ذاته. وهو ما يندر حدوثه. وإذا حدث فإن التقرير فى هذه الحالة يبدو وكأنه تخليص للموضوع الأصولى من الشرنقة والخيوط الملتفة حوله التى تخنقه.

ومع ذلك تغيب الدلالات الجديدة فى التقرير على موضوع علم الأصول إلا من دلالات التقرير على نفسه كنوع أدبى. فقد بعد التقرير عن موضوع العلم بعد أن التفت الشروح والحواشى حوله فخنقته. ويظهر لفظ "الترجمة" بمعنى "التعبير" كما ظهر فى بعض الشروح[2]. ومع ذلك، لا يخلو التقرير أحيانا من عرض بعد الإشكالات النظرية ويتجاوز النص إلى المعنى والحواشى والشروح إلى القضايا[3].

ومع ذلك وعندما يقول المقرر "قوله" بين قوسين فإنها تعنى قول الشارح وليس المحشى أو المصنف. فالتقرير هنا مثل الحاشية. يتعامل كلاهما مع الشرح مباشرة وليس مع النص الأول[4]. التقرير نوع أدبى شامل يتضمن الحاشية والشرح والمتن فى منظومة كلية واحدة. الشرح يفصل،

---

(١)



(٢) جملة مباحث الألفاظ المترجمة بها أول الكتاب، التقرير جـ٢/١٩٨.

(٣) التقرير جـ١/١٩٨ "فاندفع الإشكال الآتى" جـ١/١٩٨.

(٤) إحالة إلى الحواشى، تقرير الشربينى على حاشية البنانى على شرح المحلى على متن السبكى جـ١/٣. وهناك تقارير أخرى ولكن هذا التقرير يعتبر نموذجا. وبالرغم من النشر الأزهرى غير العلمى الذى كان يهدف إلى توفير النص وليس تحقيقه يرصد المصحح بعض الاختلافات بين النسخ. ويلاحظ أن "الكلام غير مستقيم وهو هكذا فى النسخ التى اطلعنا عليها" التقرير جـ١/٢٨٢، "هذه المقولة لم توجد فى النسخ البنانى التى بأيدينا" جـ١/٢٨٧ "وهو خطأ من الناسخ" جـ١/٢٤٨.

والحاشية توصل، والتقرير يجمع الكل ويحاول اللحاق بالأصل، وهو الوضوع. فالنصوص متمايزة ومتداخلة فى نفس الوقت[1].

وإذا كان للمتن فضل صياغة العنوان وللشرح أيضا تعديل عليه فإن الحاشية والتقرير مجرد حواشى وتقارير بلا عناوين جديدة موحية بالمعنى والهدف[2]. كما لا توجد دوافع فى بداية الشرح تبرر تدوينه[3].

وأحيانا يقفز التقرير فوق الحاشية والشرح للحاق بالموضوع ذاته، فالوضوع مازال يطل برأسه مخترقا شرنقتى الشرح والحاشية. فى هذه الحالة يتعامل التقرير مع المتن مباشرة وكأنها إعادة صياغة له وليس مجرد تعليق على حاشية أو تطوير لشرح. ويحدث ذلك إذا ما تطرقت الحاشية أو ابتعد الشرح عن المتن أى الموضوع. دور التقرير هنا التنبيه عليه، والتذكير به. وأحيانا يعجب التقرير بالمتن نفسه ويعطيه الأولوية على الشرح والحاشية. وفى هذه الحالة يكون التقرير عودا إلى الأصول الأولى وليس نصا رابعا[4].

وقد يكون التقرير أحد مصادر الحاشية بل والشرح. فلا يعنى هذا البناء الرباعى، المتن والشرح والحاشية توال فى الزمان باستثناء المتن الذى يكتب أولا بالضرورة فهو أساس البناء كما أن الشرح بالضرورة تال للمتن فهو تعليق عليه. إنما قد يكتب التقرير قبل الحاشية ويصبح أحد مصادرها[5]. ففى هذه الحالة يكون التقرير مثل الحاشية فى علاقة كل منهما بالشرح. والغالب هو البنية الرباعية المتتالية من المتن إلى الشرح إلى الحاشية إلى التقرير. وقد يسمى التقرير تخريجا أى تأويل الحاشية وتعليقا عليها. ولا توجد درجة خامسة حتى الآن. فالتحقيقات والدراسات والتعليقات الهامشية لدى النص حول اختلافات النسخ وتعريف الأعلام والمذاهب والطوائف والفرق وربما توضيح بعض الأمور الغامضة هى نهاية المطاف فى "تكوين النص" فى علم الأصول.

وإذا كانت المتون كثيرة، والشروح أقل منها فلا تشرح كل المتون بل المتون التكوينية فقط مثل "المحصول" للرازى الجامع بين "البرهان" للجوينى و"المستصفى" للغزالى، فإن الحواشى أقل من الشروح. فليس كل شرح له حاشية كما أن ليس لكل متن شرح. والتقارير أقل من الحواشى. فليس لكل حاشية تقرير كما أن ليس لكل شرح حاشية، وليس لكل متن شرح.

---

(١) يتضح مقابل العناوين فى متون الأصول مثل التقابل بين "جمع الجوامع ومنع الموانع".

(٢) التقرير جـ١/٤٥.

(٣) التقرير جـ١/٢.

(٤) التقرير جـ١/١٦٣.

(٥) أ هـ تقرير ج (٢). أ هـ تقرير العلامة محمد الجوهرى (١).

وكما لا توجد فى الشرح والحاشية بنية للموضوع مخالفة لبنية المتن كذلك لا يوجد فى التقرير أى إشارة إلى بنية الموضوع لأن التقرير مثل الشرح والحاشية لا يتعامل مع الوضوع بل مع النص، ولا ينظر للواقع بل يؤول النصوص المدونة حوله، شروحا أو حواشى. فلا توجد فى التقرير بنية فى الذهن ولا فى الواقع ولا فى الشعور. ومع ذلك تظهر القسمة الكلية، ويتم العد والإحصاء للأجزاء، والإشارة إلى أهمية الاستقراء ومقارنة بين المناطقة والأصوليين[1].

وكما يصدر الشرح والحاشية الأحكام بالصواب والخطأ على موقفى المصنف والشارح والمحشى كذلك يصدر التقرير أحكاما على المذاهب الأصولية ويحكم على مواقفها بالصحة أو البطلان[2]. كما تصدر أحكام على النقول وضرورة مراجعتها مثل بعض النقولات عن الأشعرى[3]. ويظهر أثر بعض مصطلحات الأصول الشيعية مثل "التنجيزى"[4].

وكما يقطع الشرح المتن إلى فقرات تطول أو تقصر وكما تقطع الحاشية الشرح بنفس الطريقة أيضا إلى فقرات تطول أو تقصر فإن التقرير يقطع أيضا الشرح أو الحاشية إلى فقرات معظمها قصيرة لأنها مجرد تعليقات على فقرات وليست دراسة لموضوعات. وبالرغم من أن التقرير تفريع على تفريع على تفريع، تعليق على حاشية التى هى نفسها تعليق على شرح الذى هو نفسه تعليق على متن إلا أن هناك إحساسا بالإطناب والتطويل عند المقرر كما كان عند المحشى والشارح والمصنف، ينبه عليه ويذكر به[5].

وكما تعتمد الشروح على الاقتباسات ولو بدرجة أقل ومعظمها من الشروح المتأخرة وليست من المتون الأولى لأن الصلة بين الشرح والمتن صلة مباشرة، وكما تعتمد الحواشى على الاقتباسات لأنها مجرد تجميع على نص من نصوص فإن التقرير أيضا يعتمد على عديدة من الاقتباسات دون تأليف نص جديد، مجرد تجميع مادة زائدة. وإذا كان الشرح تجميعا أكثر وتأليفا أقل، وكانت الحاشية تجميعا شبه كامل فإن التقرير تجميع كامل لا تأليف فيه إلا فيما ندر مثل اللجوء إلى الطبع السليم فى الحكم على الأشياء[6].

---

(١) العد والإحصاء، التقرير جـ١/٣٩، الاستقراء جـ١/٢٤٩ جـ٢/٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) الحكم بالصواب مثل التقرير جـ١/٥٤، "المذهب الصحيح" جـ١/١٢٩، "هذا هو الصواب" جـ١/٢٤٨، "والصواب حذف هذا الكلام" جـ١/٢٥٤، "وهذا المذهب هو الصحيح" جـ٢/١٢٩، والحكم بالفساد مثل: وهذا نظم فاسد جـ/٣٤٤. "وكل ذلك أوهام على أوهام" جـ٢/١٣١.

(٣) "رأى الأشعرى المنقول عنه فى الكتب غير المشهورة أو قبله"، التقرير جـ١/٧٢.

(٤) "التعلق التنجيزى"، السابق جـ١/٥٥/٧٧-٧٨/١٣٩-١٤٠.

(٥) التقرير جـ١/١٠ "وقد طال المحشى الكلام فيه فراجعه تستفد" جـ١/١٠، "ولا يفيد بيان وجوهها وإن كان توجيه شيخه لا ينفع" جـ١/١١.

(٦) التقرير جـ١/٣٤ وعدد الاقتباسات بناء على مؤشر حرفى أ هـ حوالى (١٥٠).

وقد كانت هناك فرصة لدى المقرر لأن يقرأ الحاشية التى تقرأ الشرح الذى يقرأ المتن، وأن ينفذ من خلال الشرنقة إلى الموضوع الحى بداخلها ويفك أسره ليعيد إليه نسمة الحياة والقدرة على استنشاق الهواء من جديد. كانت هناك فرصة لأن يتم حوار بين المقرر والمحشى والشارح والمصنف، حوار بين أربعة أطراف فى تناص متداخل الحلقات كالحجارة فى الماء التى تحدث دوائر متتالية ومتداخلة ولكن اقتصر التقرير على النص وليس على الموضوع الذى يصوره النص وتعبر عنه النصوص المتداخلة[1].

ومع ذلك تظهر بعض الإبداعات السابقة دون الإحالة إلى أصحابها مثل الأحكام الوضعية التى من إبداع الشاطبى فى وصفه للشريعة بأنها وضعية وتمييزة بين أحكام الوضع وأحكام التكليف كما يدرك التقرير ما تفرد به الشارح[2].

وكما يحيل المتن والشرح والحاشية إلى نفسه تعبيراً عن وحدة النص كذلك يحيل التقرير إلى السابق واللاحق تأكيداً على وحدة الموضوع[3]. وكما توجد فى الشروح والحواشى رموز أو علامات تدل على أسماء كذلك يوجد فى التقرير نفس الحروف مثل "سم" سواء كانت من المقرر أو من المحشى والشارح، يستعيدها المقرر فى تقريره. وقد ترمز إلى "السيد العلامة"[4].

وكما يدعو الشرح والحاشية القارئ للمشاركة كذلك يدعو التقرير القارئ للمشاركة بأفعال التأمل والتدبر والتعرف[5]. كما تظهر الإيمانيات والسجعيات فى البداية والوسط والنهاية بالرغم من أن الأصول عقلية استقرائية[6].

ب- مادة التقرير: هى مثل مادة الشرح والحاشية، اللغة، إعراباً، واشتقاقاً، واصطلاحاً ورد بعض الخلافات الأصولية إلى خلافات لفظية. فاللغة هى الرصيد الأول للثقافة العربية.

---

(١) التقرير، ص٣٧.

(٢) الحكم الوضعى: التقرير جـ١/٥١-٥٣/٦٨/١٠٨، أحكام الوضع جـ١/٥٣، "وهذا تدقيق تفرد به الشارح" جـ١/٤٥.

(٣) فقد عرفت حقيقة الحال جـ١/٤٠، الإحالة إلى السابق مثل: كما قدمناه، كما بيناه، كما تقدم ١٩٠، والإحالة إلى المستقبل مثل: فيما سيأتى (١٣)، كما سيأتى (٩)، وسيأتى بيانه (٣)، وسيأتى (٢)، وسيتضح فيما بعد. كما ستعرف (١). وسيأتى لهذا بقية إن شار الله تعالى جـ١/٢٤٠. وتذكر آخر الكتاب (١).

(٤) التقرير، جـ١ ٢٨/٤٥.

(٥) التقرير جـ١/٤١ فتأمل جـ١/٣٤٤، فتأمل تعرف جـ١/١٥. وتذكر آخر الكتاب جـ٢/٢، "فتدبر لتعرف كيفية استخراج دقائق هذا الكتاب" جـ٢/٤٩.

(٦) التقرير جـ١/٤٧، "فسبحان من لا تحيط به العقول" جـ١/٤٧.

تنقيتها ضرورية بالرغم من دخول بعض الألفاظ الأجنبية فيها[1]. وبطبيعة الحال يشتمل التقرير على مادة من علم الكلام مع استعدادات وتعريفات كلامية تخرج عن القصد مثل الاستطرادات حول اليقين، وموضوع الذات والصفات بين المعتزلة والأشاعرة، وموضوع التأويل بين أهل السلف، الفرقة الناجية التى تبتعد من التأويل لأنه أسلم، ومذهب الخلف الذى يؤول لمزيد من العلم[2]. كما يعتمد على مادة فقهية دون تطوير موضوعاتها الدالة مثل الصلاة فى مكان مغصوب والترس والحرب والجيش ودار الحرب[3].

كما تتضمن المادة علوم التفسير أى العلوم النقلية الأولى بعد أن ارتدت العلوم العقلية النقلية إلى علوم عقلية خالصة واختفت العلوم العقلية تماما فى المشرق بالرغم من ازدهارها فى بلاد ما وراء النهر، خراسان.

كما يتضمن التقرير بعض الموضوعات الصوفية، والمصادر الصوفية، بل وبعض الألفاظ مثل "الانكشاف"[4].

والحجج النقلية قليلة نسبيا عن الحواشى والشروح والآيات أكثر من الأحاديث. ويغيب الشعر نظرا لأن المقرر لا يتعامل مع التجارب الحية مباشرة حتى يستعدى مثيلاتها من المخزون الشعرى العربى بل يعلق على نصوص مدونة سلفا، حواشى وشروحا، تغلف الموضوع وتعزله عن المقرر. وتغيب الأشعار إلا شطرى بيت. فالتقرير ليس تجربة حية تجد سندا لها فى التجربة الشعرية[5]. ويتضمن التقرير بعض الحجج العقلية فى صيغة القيل والقال والردود مسبقا على الاعتراضات[6].

ويمتلأ التقرير بأسماء الأعلام والفرق والمذاهب والطوائف فقد أصحبت الشروح والحواشى والتقارير حوامل للتاريخ، ووعاء للذاكرة الجماعية وبوتقة للوعى التاريخى الأصولى. يتقدم الشارح. وهنا يبدو التقرير مثل الحاشية. يتعامل مباشرة مع الشارح، ثم يتلو المصنف. يبدو التقرير يتعامل مباشرة مع المتن قفزا فوق الحاشية والشرح. ثم يظهر التفتازانى (السعد) باعتباره

---

(١) مثل السكنجبين، السابق ص٢٤٢.

(٢) السابق جـ١/١٣٠/٢٨٣ جـ٢/٤٠٨.

(٣) السابق جـ١/١١٧ جـ٢/٢٨٥/٣٠٨-٣٠٩.

(٤) السابق جـ١/٤٩ جـ٢/٢٨٣.

(٥) الآيات (٣٠)، الأحاديث (٦)، الشعر (٢).

(٦) التقرير جـ١/٥/١١٤، "فلا يستقيم الاعتراض" جـ٢/٢١٦، "فاندفع اعتراض الناصر" جـ٢/٥٦، "فالاعتراض عليه اعتراض على المصنف" جـ١/١١٤.

المصدر الأول للتقرير ثم عبد الحكيم ثم السيد (الشريف الجرجانى) ثم العضد الايجى ثم المحشى ثم السيد الزاهد، وكلهم من الأشاعرة. ثم يظهر الزمخشرى على استحياء ليفك الحصار الأشعرى الشافعى عن بؤرة الوعى التاريخى. ثم يتوالى الأشاعرة من جديد، الدوانى، والأشعرى نفسه والجوهرى، والآمدى والشافعى والباقلانى والأسنوى والرازى وابن فورك. ثم يأتى المالكية من الهامش إلى البؤرة مثل: ابن الحاجب، ومالك نفسه[1].

ثم يأتى الأحناف، أبو حنيفة، والكمال، والكرخى، وابن ابان، والصفى الهندى. ثم يظهر المعتزلة، القاضى عبد الجبار، وأبو هاشم؛ وأبو الحسين البصرى. ثم يظهر الفلاسفة وعلى رأسهم الشيخ الرئيس والفارابى لمساندة التيار العقلى ممثلا فى الحنفية والاعتزال. ثم يظهر النحاة للعودة إلى مباحث اللغة لضبط الخلافات اللفظية، أصل الاختلافات، مثل ابن جنى وسيبويه والزجاج. ثم يظهر الحنابلة الذين استتب لهم الأمر فى العصور المتأخرة مثل ابن تيمية وابن القيم وأحمد نفسه. ويتكرر حرفا سم ربما اختصارا للقب السيد العلامة[2]. ولا يظهر من الوافد إلا المعلم الأول[3].

ويعتمد التقرير على عديد من المصادر الأخرى بالإضافة إلى المصادر التى تعتمد عليها الحاشية والشرح. وتتنوع بين المتون والشروح والحواشى. والحواشى أكثر من الشروح، والشروح أقل من المتون. وقد تنسب الحاشية إلى شرحها أو إلى متنها. ويتقدم الحواشى حواشى العضد والرازى والسيد الزاهد والقطب والعضد والدوانى وغيرها. وتتقدم المتون التوضيح ومنع الموانع ثم العقائد العضدية والكشاف والصحاح والمصباح والقواطع وطبعيات الشفاء مما يدل على حضور

---

(١) الشرح (٢٤٧٥)، المصنف (١٥٦٥)، التفتازانى (السعد) (٤٥٩)، عبد الحكيم (٣٧٥)، السيد (الشريف، الجرجانى)، (٢٧٠)، العضد (الايجى) (١٩٥)، المحشى (١٥٠)، الزمخشرى، الجوينى (٤٢)، الجوهرى، ابن الحاجب، الناصر، السكاكى، الشيخ الرئيس، شيخ الإسلام، العز بن الصفوى، الناصر، البيضاوى، صاحب التلويح، الآمدى، مالك، أبو حنيفة، ابن الحاجب، الزركشى (٣٠)، عبد الجبار (٢٣٩، السرخسى، الهروى، ابن الجوزى، النووى، صاحب القاموس، البهقى، الخبيصى، الشهاب، صاحب كشك الحقائق، صاحب التوضيح، الرويانى، المتولى، الشافعى، أبو حنيفة، القاضى، صاحب الجواهر، الأسنوى، الكمال، الرازى (١٥)، الكرخى، ابن ابان (١٢)، أبو الحسين البصرى (٨)، السيوطى، أبو شامة، الكمال، ابن حزم، الغزالى (٤)، مالك، أحمد، الطوسى، الفارابى، أبو هاشم، الباقلانى، ابن السمعانى، ابن جنى، الدبوسى، الذهبى، المطرزى، الأصفهانى، سيبويه، الأحمص، الزجاج، الجزومى، الصفى الهندى، عبد القاهر، ابن حجر، ابن فورك، القلانسى، الماوردى، الهروى، القرافى، الأستاذ، ابن الرقعة، البارزوى (٣)، الزجاج، أبو هاشم، الصفى الهندى، ابن تيمية، البرماوى (٢). وعشرات آخرون من الأعلام كل منها مرة واحدة.

(٢) يتكرر الـ سم حوالى (٦٠).

(٣) السابق جـ١/١٤١.

المتن الفلسفى لابن سينا دون غيره قبل ابن رشد. كما يظهر "المستصفى" النص المكون الرئيسى حتى القرن الخامس. ويتقدم الشروح شرح المواقف ثم شرح المقاصد[1].

ومن الفرق والطوائف والمذاهب يتقدم الأشاعرة على الإطلاق ثم المعتزلة مما يكشف عن الصراع القائم بين الفرقتين الكلاميتين أو بين الأساسين النظريين لهما النقل والعقل اللذين يستند إليها الشافعية والحنفية. ثم يأتى مجموع الأصوليين والمتكلمين والبيانيين والنحاة دون تمايز بين المذاهب. ثم يظهر الصراع بين الشافعية والحنفية مع جمهور المنطقيين والبصريين والكوفيين والصوفية وأسانيد كل منهما[2].

هذه هى ملحمة تكوين النص. وهى ملحمة لا تنتهى كما ولكن يمكن وصفها كيفا عندما تتكرر المادة ولا تتغير الدلالات أو تزيد. ثم عرضه نصا نصا منذ كشف البنية ثم حجبها ثم اجتزاؤها ثم تحريكها حتى تثبيتها. فالنصوص كائنات حية تولد وتنمو وتتطور وتنتهى. وهى البديل الفعلى عن الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى يضاف عادة دون أن تكون له صلة بالنص. وإن وجدت الصلة فهى صلة علة بمعلول مما يوقع فى "الرد التاريخى". ووقائع التاريخ بين قوسين. والنصوص هى تدوين لها كتجارب معاشة. فالنص هو المتوسط بين الذهن والواقع. هو الكاشف عن التجربة الحية التى يعيشها المصنف فى التاريخ. "تكوين النص" هو تأسيس النص فى التاريخ قبل "بنية النص" أى التأسيس الثانى للنص فى الشعور. تكوين النص فى مراحل حجب بنيته ثم كشفها ثم اجتزائها ثم تحريكها تمت من خلال تحليل النصوص تباعا عبر الزمان. فالبنية تنكشف فى التاريخ، والتاريخ هو الحامل للبنية. فالنص هو وحدة التحليل. فى حين عرض "تثبيت البنية" كآليات للشرح والملخصات والحواشى والتقارير. فالآلية

(١) الحواشى حوالى (١٨) وهى: حواشى العضد (٦٠)، حواشى رسالة العلم (المنسوبة إلى الرازى)، حواشى السيد الزاهد، حواشى القطب (٤٥)، حواشى عقائد العضد. حواشى الدوانى، حاشية شرح المطالع، حاشية الشرح العضدى (٣٠)، حاشية المقدمات، حاشية الطول، حواشى شرح الشمسية، حواشى الجامى، حاشية الكشاف، حاشية الزاهد لدوانى التهذيب. حاشيتى العضد والشمسية، حاشية شرح المختصر (١٥)، حاشية الشيرازى على شرح التحرير (٢)، حواشى الاشمونى، حواشى الجامى (١). والمتون حوالى (١٢) وهى: العقائد العضدية، الكشاف، الصحاح، المصباح، المختصر (١٥)، القواطع، طبيعيات الشفاء، المستصفى (٢). والشروح حوالى (٧)، هى: شرح المواقف (٦٠)، شرح المقاصد (٣٥)، شرح الديباجة، شرح المفتاح ٠١٥)، شروح المنهاج (٥)، شروح المفتاح، شرح الكفاية (٢). وعشرات أخرى من المصادر ذكر كل منها مرة واحدة.

(٢) الأشاعرة (١٠٥)، المعتزلة (٧٥)، المحققون، علماء (أهل) العربية، الأصوليون (٣٠)، المتكلمون، البيانيون (١٨)، النحاة، أهل السنة، الفقهاء، الحنفية، الشافعية، الأساتيذ، المتقدمون، الجمهور (١٥)، المنطقيون (٦)، المتأخرون (٤)، البصريون، الكوفيون، الصوفية (٣).

هى وحدة التحليل. زاد حجم الآليات بحيث قد تبدو وكأنها تعادل البنية كلها، حجبا وكشفا واجتزاء وتحريكا. ومع ذلك فالمنهجان صائبان: التحليل والتركيب. عيوب التحليل يمكن تفاديها فى التركيب. وعيوب التركيب يمكن تفاديها فى التحليل. ولا يوجد خطأ وصواب فى مناهج البحث العلمى. فكل منهج يكشف عن زاوية للموضوع. وتكامل المناهج يؤدى إلى رؤية الموضوع من جميع زواياه. "تكوين النص" فيه العلم الدقيق القادر على تجنب الأحكام العامة والشائعة دون تأسيس علمى. فى حين أن "بنية النص" فيه الفلسفة القادرة على الإيحاء. فإذا كان "تكوين النص" هو الأساس فإن "بنية النص" هو البناء.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
كشف البنية

الفصل الثانى

حجب البنية

الفصل الثالث

اجتـزاء البنيــة

الفصل الرابع

تحريك البنية

الفصل الخامس

تثبيت البنية

رقم الايداع :
١٦٠٣٥ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولي :
977 - 294 - 287 - 9